

محمد الشربيني الخطيب

السراج المنير فى الاعانه على معرفة كلام ربنا
العليم الخبير، تأليف الخطيب الشربينى،
محمد بن احمد - ٩٧٧هـ. كتب فى القرن
الثانى عشر الهجرى تقديراً.
ج٢، ٣ فى ٢مج (٣٨٣، ٣٧٧ق) ٣٣س
٥ر٣٠ × ٢٠ سم
نسخه حسنه، خطها نسخ، ناقصة، طبع
الازهرية١ : ٢٦٧ معجم المطبوعات
١ : ١١٠٩

١ـ التفسير، القرآن الكريم وعلومه. أ ـ المؤلف
ب ـ تاريخ النسخ. ج ـ تفسير الشربينى.

والابانة للغير وقد تقدم في غير موضع انه ليس عليك الا البلاغ ولو شئنا
لهديناهم طوعا وكرها او البخع ان يبلغ بالذبح النخاع بالنون وهو عرق
مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذابح ولعل للاشفاق اي اشفق على
نفسك ان تقتلها حسرة على ما فاتك من ايمان قومك فصبره وعزاه وعرفه ان حزنه
وغمه لا ينفع كما ان وجود الكتاب ووضوحه لا ينفع ثم انه تعالى اعلمه انما كلامهم فيه
انما هو بارادته تعالى بقوله تعالى ان نشا ننزل عليهم وعبر بالمضارع فيهما
اعلاما بدوام القدرة وقرا ابن كثير وابو عمرو بسكون النون الثانية واخفاها
عند الزاي وتخفيف الزاي والباقون بفتح النون وتشديد الزاي ثم قال تعالى
محققا للمراد من السما اي التي جعلنا فيها بروجا للمنافع واشار الي تمام القدرة
بتوحيدها بقوله تعالى اية اي قاهرة كما فعلنا ببعض من قبلهم بنتق الجبل ونحوه
تنبيه هنا همزتان مختلفتان ابدل نافع وابن كثير وابو عمرو الهمزة الثانية
المفتوحة بعد المكسورة ياء خالصة وحققها الباقون ثم اشار تعالى بالتعبير
بالماضي في قوله تعالى عطفا على ننزل لانه في معنى انزلنا فظلت اي عقب
الانزال من غير مهلة اعناقهم اي التي هي موضع الصلابة وعنها تنشا
حركات الكبر والاعراض لها خاضعين اي منقادين تنبيه خاضعين
خبر عن اعناقهم واستشكل جمعه جمع سلامة لانه يختص بالعقلاء
واجيب عنه باوجه احدها ان المراد بالاعناق رؤساؤهم ومقدموهم
شبهوا بالاعناق كما يقال لهم الروس والنواصي والصدور قال القايل
في محفل من روس الناس مشهود • ثانيها انه على حذف مضاف اي فظل
اصحاب الاعناق ثم حذف وبقي الخبر على ما كان عليه قبل حذف المخبر عنه
مراعاة للمحذوف ثالثها انه لما اضيف الي العقلاء اكتسب منهم هذا الحكم
كما يكتسب التانيث بالاضافة لمونث في قوله • كما شرقت صدر القناة من الدم
رابعها قال الزمخشري اصل الكلام فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق
لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على اصله كقولهم ذهبت اهل اليمامة
كان الاهل غير مذكور ونوزع في التنظير لان اهل ليس مقحما البتة لانه المقصود
بالحكم خامسها انها عوملت معاملة العقلا كقوله تعالى ساجدين وطايعين بعين
في يوسف والسجدة وقيل انما قال تعالى خاضعين لموافقة روس
الاي ليكون على نسق واحد وما ياتيهم اي الكفار من ذكر اي
موعظة او طايفة من القران يذكرونا به فيكون سبب ذكرهم وشرفهم
من الرحمن اي الذي انكروه مع احاطة نعمه بهم محدث اي بالنسبة الي
تنزيله وعلمهم به واشار تعالى الي دوام كبرهم بقوله تعالى الا كانوا عنه
معرضين اي اعراضا هو صفة لهم لازمة ولما كان حال المعرض عن الشي
حال الكذب به قال تعالى فقد اي فتسبب عن هذا الفعل منهم

انه قد كذبوا اي بالذكر بعد اعراضهم وامعنوا في تكذيبه بحيث ادي بهم الي
الاستهزاء به المخبر به عنهم ضمنا في قوله تعالي فسياتيهم اي اذا مسهم
عذاب الله تعالي يوم بدر او يوم القيمة انبؤا اي عظيم اخبار وعواقب
اي العذاب الذي ما كانوا به يستهزؤن اي يهزؤن من انه كان حقا او باطلا
وكان حقيقا بان يصدق ويعظم امره او يكذب فيستحق امره ثم قال تعالي
متعجبا منهم اولم يروا الي الارض اي علي سعتها واختلاف نواحيها ونبه
علي كثرة ما صنع من جميع الاصناف بقوله تعالي كم انبتنا اي بما لنا من
العظمة فيها بعد ان كانت يابسة ميتة لا نبات فيها من كل زوج اي صنف
مشاكل بعضه لبعض فلم يبق صنف يليق بهم في العاجلة الا اكثرنا من
الانبات منه كريم اي كثير المنافع محمود العواقب وموصفة لكل ما يحمد
ويرضي وهو صند اللئيم وههنا يحتمل معنيين احدهما ان النبات علي نوعين
نافع وضار فذكر كثرة ما انبت في الارض من جميع اصناف النبات النافع
وخلي ذكر الضار والثاني ان يعم جميع النبات نافعه وضاره ويصفهما جميعا
بالكرم وينبه علي انه تعالي ما انبت شيئا الا وفيه فائدة لان الحكيم لا يفعل
فعلا الا لحكمة بالغة وان غفل عنها الغافلون ولم يتوصل الي معرفتها العاقلون
ولما كان ذلك باهرا للعقل منبها له في كل حال علي عظيم اقتدار صانعه
وبديع اختياره وصل به قوله تعالي ان في ذلك اي الامر العظيم لاية اي
دلالة علي كمال قدرته تعالي فان قيل حين ذكر الازواج دل عليها بكلمتي
الكثرة والاحاطة وكان لا يحصيها الا عالم الغيب فكيف قال ان في ذلك لاية
وهلا قال لايات اجيب بوجهين احدهما ان يكون ذلك مشارا به الي
مصدر انبتنا فكانه قال ان في ذلك الانبات لاية ثانيهما ان يراد في كل واحد
من تلك الازواج لاية والحال انه ما كان اكثرهم اي البشر مؤمنين
في علم الله تعالي وقضائه فلذلك لا ينفعهم مثل هذه الايات العظام وقال
سيبويه كان زائدة وان اي والحال ان ربك اي الذي احسن اليك
بالارسال وسخر لك قلوب الاصفيا وزوي عنك اللد الاشقياء لهو
العزيز ذو العزة ينتقم من الكافرين الرحيم يرحم المومنين ولما كان مع ما ذكر
في ذكر القصص تسلية للنبي صلي الله عليه وسلم فيما يقاسيه من الاذي
والتكذيب وكان موسي عليه السلام قد اختص بالكتاب الذي ما بعد
القران مثله من الايات التي ما اتي بمثلها احد قبله بدا بذكره فقال تعالي
واذ اي واذكر اذ نادي ربك اي المحسن اليك بكل ما يمكن الاحسان به
في هذه الدارين ذكر المنادي في قوله تعالي موسي اي حين راي الشجرة والنار
واختلف اهل السنة في النداء الذي سمعه موسي عليه السلام اهو
الكلام القديم او هو صوت من الاصوات قال ابو الحسن الاشعري

رضي الله عنه

رضي الله عنه هو الكلام القديم فكما ان ذاته تعالي لا تشبه سائر الذوات مع ان
الدليل دال علي انها معلومة ومرئية في الاخرة من غير كيف ولا جهة فكذا كلامه منزه
عن مشابهة الحرف والصوت مع انه مسموع وقال الماتريدي هو
نداء من جنس الحروف والاصوات واما المعتزلة فقد اتفقوا علي ان ذلك
النداء كان بحروف واصوات علم به موسي من قبل الله تعالي فصار امعجزا
علم به موسي ان الله تعالي مخاطبا له فلم يحتج مع ذلك الي واسطة ثم ذكر
تعالي ما له النداء بقوله تعالي ان اي بان ائت القوم اي الذين فيهم
قوة واي قوة الظالمين رسولا ووصفهم بالظلم لكفرهم واستعباد
بني اسرائيل وذبح اولادهم بني اسرائيل وقوله تعالي قوم فرعون اي
معه بدل او عطف بيان للقوم الظالمين وقوله تعالي الا يتقون
استئناف اتبعه ارساله اليهم للانذار تعجيبا له من افراطهم في
الظلم واجترائهم عليه ولما كان من المعلوم ان من اتي الناس بما يخالف هواهم
لم يقبل قال رب اي ايها الرفيق بي اني اخاف ان يكذبون اي فلا يترتب
علي اتياني اليهم اثر فاجعل لي قبولا ومهابة تحرسني بها ممن يريد بي سوء
وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو بفتح الياء والباقون بالسكون ويضيق صدري من
تكذيبهم لي باداء الرسالة للعقدة التي فيه بواسطة تلك الجمرة التي لدغت في
حال الطفولية ولا ينطلق اي فيتسبب عن ذلك الذي اقتدرت به عن المبادرة
الي الذهاب عند الامر لساني اخي ليكون لي عضدا علي ما امضي له من الرسالة
فيحتمل ان تكون تلك العقدة باقية عند الرسالة وان تكون قد زالت عند الدعوة
ولكن لا يكون عند حل العقدة من لسانه من الفصحاء المصاقع الذين اوتوا سلاطة
الالسنة وبسطة المقال وهرون كان بتلك الصفة فاراد ان يقرن به ويدل
عليه قوله تعالي واخي هرون هو افصح مني لسانا ومعني فارسل الي هرون
ارسل اليه جبريل واجعله نبيا وازرني به واشدد به عضدي وهذا الكلام
مختصر وقد بسطه في غير هذا الموضع وقد احسن في الاختصار حيث قال
فارسل الي هرون فجاء بما يتضمن معني الاستنباء ومثله في تقصير الطويلة
في الحسن قوله تعالي فقلنا اذهبا الي القوم الذين كذبوا باياتنا فدمرناهم
تدميرا حيث اقتصر علي ذكر طرفي القصة الطويلة كلها وهو انهم قوم
كذبوا بايات الله فاراد الزام الحجة عليهم فبعث اليهم رسولين فكذبوا
فاهلكهم فان قيل كيف ساغ لموسي عليه السلام ان يامره ربه
بامر فلا يقبله بسمع وطاعة من غير توقف وتشبث بعلل وقد علم ان الله
عليم بحاله اجيب بانه قد امتثل وتقبل ولكنه التمس من ربه ان يعضده
باخيه حتي يتعاونا علي تنفيذ امره وتبليغ رسالته فمهد قبل التماسه
عذره فيما التمسه ثم التمس بعد ذلك وتمهيد العذر في التماس الامر

بهم

٣ التمس

المعين على تنفيذ الامر ليس يتوقف في التماس الامر ولا يتعلل فيه وكفى بطلب العون
دليلا على التقبل لا على التعلل ثم زاد في الاعتذار في طلب العون خوفا من ان يقتل قبل
تبليغ الرسالة بقوله **ولهم علي ذنب** اي تبعة ذنب لحذف المضاف او سمي
باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة وهو قتله القبطي وسماه ذنبا على زعمهم
وهذا اختصار قصته المبسوطة في مواضع **فاخاف** بسبب ذلك
ان يقتلون اي يقتلونني به **قال** الله تعالى **كلا** اي ارتدع عن هذا
الكلام فانه لا يكون شي مما خفت لا قتل ولا غيره وكانه لما كان التكذيب
مع ما قام عليه من الصدق من البراهين المقوية لصاحبها الشارحة لصدره
المعلية لامره عدما وقد اجبناك الى الاعانة باخيك **فاذهبا** اي انت
واخوك متعاضدين الى ما امرتك به مؤيدين **بآياتنا** الدالة على صدقكما
تنبيه فاذهبا عطف على ما دل عليه حذف لردع من الفعل كانه قيل
ارتدع عما تظن فاذهب انت واخوك باياتنا **انا** اي بما لنا من العظمة **معكم
مستمعون** اي سامعون لانه تعالى لا يوصف بالمستمع على الحقيقة
لان الاستماع جار مجرى الاصغا والاستماع من السمع بمنزلة النظر من
الروية ومنه قوله تعالى قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا
قرانا عجبا ويقال استمع الى حديثه وسمع حديثه اي اصغى اليه وادركه
بحاسة السمع ومنه قوله عليه الصلاة والسلام من استمع الى حديث قوم
وهم له كارهون صب في اذنيه البرم وهو الكحل المذاب ويروى البيرم
وهو بزيادة اليا فان قيل لم قال معكم بلفظ الجمع وهما اثنان اجيب
بانه تعالى اجراهما مجرى الجمع تعظيما لهما او معكما ومع بني اسرائيل نسمع ما يجيبكم
فرعون **فاتيا** اي فتسبب عن ذهاب ما ذكرت بالحراسة والحفظ
اني اقول لكما ايتيا **فرعون** نفسه وان عظمت مملكته وجلت جنوده
فقولا اي ساعة وصولكما اليه ولمن عنده **انا رسول رب العالمين** اي المحسن
الى جميع الخلق المدبر لهم مصالحهم فان قيل لم افرد الرسول كما ثنى في قوله انا
رسولا ربك اجيب بان الرسول يكون بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته
واما هاهنا فهو اما لانه مصدر بمعنى الرسالة والمصدر يوحد او من مجيء
رسول بمعنى رسالة كما في قوله

لقد كذب الواشون ما فهت عندهم ... بشي ولا ارسلتهم برسول

اي برسالة والواشون الساعون بالكذب عند ظالم وما فهت بمعنى
ما تكلمت واما لانهما ذوو شريعة واحدة فنزلا منزلة رسول واما لان المعنى
كل واحد منا رسول واما لانه من وضع الواحد موضع التثنية لتلازمهما
فصارا كالشيين المتلازمين كالعينين واليدين وقال ابو عبيدة يجوز
ان يكون الرسول بمعنى الاثنين والجمع تقول العرب هذا رسولي ووكيلي

وهولاء

وهولاء رسولي ووكيلي وهم لكم عدو ثم ذكر له ما قصد من الرسالة اليه فقال
معبرا باداة التفسير لان الرسول فيه معنى الرسالة التي تتضمن القول
ان اي بان **ارسل** اي خل واطلق واعاد الضمير على معنى رسول فقال
معنا بني اسرائيل اي قومنا الذين استعبدتهم ظلما ولا سبيل لك عليهم نذهب
بهم الى الارض المقدسة التي وعدنا الله تعالى بها على السنة الانبياء
من ابائنا عليهم السلام وكان فرعون استعبدهم اربعمائة سنة وهم
وكانوا في ذلك الوقت ستمائة وثلاثين الفا ويروى ان موسى رجع الى
مصر وعليه جبة صوف وفي يده عصاه ومكتل معلق في راس العصا
وفيه زاده فدخل دار نفسه واخبر هرون بان الله تعالى ارسلني الى
فرعون وارسل اليك حتى ندعو فرعون الى الله تعالى فخرجت امهما وصاحت
وقالت ان فرعون يطلبك ليقتلك فلو ذهبتما اليه قتلكما فلم يمتنع بقولها
وذهبا الى باب فرعون ليلا ودقا الباب ففزع البوابون وقالوا من بالباب
وروي ان البواب اطلع عليهما وقال من انتما فقال موسى انا رسول رب
العالمين فذهب البواب الى فرعون وقال ان مجنونا بالباب يزعم انه رسول
رب العالمين فقال فرعون ايذن له لعلنا نضحك منه وقيل لم يوذن لهما الى
سنة فدخلا عليه واديا رسالة الله عز وجل فعرف فرعون موسى لانه نشا
في بيته فلما عرفه **قال** له منكرا عليه **الم نربك** حذف فاتيا فرعون فقالا
له ذلك لانه معلوم لا يشتبه وهذا النوع من الاختصار كثير في القران **فينا**
اي في منازلنا **وليدا** اي صغيرا قريبا من الولادة بعد فطامه **ولبثت فينا** اي لا
في غيرنا باعتبار انقطاعك الينا وتعززك بنا **من عمرك سنين** ثلاثين سنة
فانا عليك بذلك من الحق ما ينبغي ان يمنعك من مواجهتنا بمثل هذا وكانه عبر
عما يفهم النكد نكاية عن مدة مقامه عنده لانها كانت نكرة لانه وقع فيما كان يخافه
وفاته ما كان يحتاط به من ذبح الاطفال وكان موسى يلبس من ملابس فرعون
ويركب من مراكبه وكان يسمى ابنه وقرا نافع وابن كثير وعاصم باظهار الثا المثلثة
عند التا والباقون بالادغام ولما ذكر ما يحمله على الحيا منه ذكره ذنبا يخاف من
عاقبته فقال مهولا له بالكناية **وفعلت فعلتك** اي من قتل القبطي ثم اكد نسبته
الى ذلك مشيرا الى انه عامله بالحلم تجهيلا له فقال **التي فعلت وانت** اي والحال
انك **من الكافرين** قال الحسن والسدي من الكافرين بالهك ومعناه على ديننا
هذا الذي تعيبه وقال اكثر المفسرين اي الجاحدين لنعمتي عليك
بالتربية وعدم الاستعباد ويقول ربيناك فكافيتنا ان قتلت منا نفسا
وكفرت بنعمتنا وهذا رواية العوفي عن ابن عباس وقال ان فرعون لم يكن يعلم
ما الكفر بالربوبية **قال** له موسى مجيبا على طريقة النشر المشوش
واثقا بوعد الله تعالى بالسلامة **فعلتها اذا** اي اذ قتلته **وانا من**

الضالين اي من الجاهلين بان ذلك يودي الى قتله او المخطئين كمن يقتل خطا من غير
تعمد للقتل قال ابن جرير والعرب تضع الضلال موضع الجهل وتضع الجهل موضع
الضلال وقيل لا اعرف دينا فانا واقف من كل وجهة حتى يوجهني ربي الى ما
يشاء ففررت اي فتسبب عن فعلها اني فررت منكم اي منك لتسلطك
ومن قومك لاغرائهم اياك علي لما خفتكم على نفسي ان تقتلوني بذلك
القتيل الذي قتلته خطا وانا ابن اثني عشر سنة مع كونه كافرا مهدر الدم
فوهب لي ربي اي الذي احسن الي بتربيتي عندكم تحت كنف امي امنة علي
مما احدثتم من الظلم حكما اي علما وفهما وقيل نبوة وجعلني من المرسلين اي
فاجهد الان جهدك فاني لا اخافك لقتل ولا غيره ولما اجتمع في كلام فرعون
من وتعيير بداه بجوابه عن التعيير لانه الاخير فكان اقرب ولانه اهم
وهو معنى ما تقدم من انه على طريقة النشر المشوش بان يبدا بالاخير قبل
الاول ولذلك انكر على امتنانه عليه بالتربية فابطله من اصله موبخا له مبكتا
منكرا عليه غير انه حذف حرف الانكار اجمالا في القول واحسانا في الخطاب
وابى ان يسمي نعمته الا نقمة بقوله وتلك اي التربية الشنيعة العظيمة
في الشناعة التي ذكرتها نعمة تمنها علي ان عبدت اي تعبيدك وتذليلك بني
اسرائيل اي جعلتهم عبيدا ظلما وعدوانا وهم ابنا الانبيا ولسلفهم يوسف
عليه السلام عليكم من المنة باحيا نفوسكم اولا وعتق رقابكم ثانيا ما لا تقدرون
له على جزا اصلا ثم ما كفاك ذلك حتى فعلت ما لا يفعله مستعبد فامرت بقتل
ابنائهم فكان ذلك سبب وقوعي اليك لا سلم من ظلمك ولو لم تفعل ذلك لكفلني
اهلي ولم يلقوني في اليم فكيف تمن علي بذلك وقيل معناه انك تدعي ان بني
اسرائيل عبيد لك ولا منة للمولى على العبد في تربيته وقال الحسن انك
استعبدت بني اسرائيل فاخذت اموالهم وانفقت منها علي فلا نعمة لك
بالتربية وقيل ان الذي تولى تربيتي هم الذين استعبدتهم فلا منة لك علي
كانت من قبل امي ومن قومي ليس لك الا مجرد الاسم وهذا ما بعدا انها ما فات
قيل لم جمع الضمير في منكم وخفتكم مع افراده في تمنها وعبدت اجيب
بان الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملائه المؤتمرين بقتله
كما مرت الاشارة اليه بدليل قوله تعالى ان الملا يأتمرون بك ليقتلوك واما
الامتنان فمنه وحده وكذلك التعبيد ولما قال له بوابه ان ههنا من يزعم
انه رسول رب العالمين وادخل عليه قال له فرعون عند دخوله حائدا
عن جوابه منكرا لخالقه على سبيل التجاهل كما انكرها اولا الرحمن متجاهلين
وهم اعرف الناس بغايات افعاله كما كان فرعون يعرف لقول موسى عليه السلام
لقد علمت ما انزل هولاء الا رب السموات والارض وما رب العالمين الذي
زعمتما انكما رسوله وانما اتى بما دون من لانها يسال بها عن طلب الماهية

كنهها

كنهها كما العقلا ولما كان جواب هذا السوال لا يمكن تعريفه الا بلوازمه الخارجية
لامتناع التعريف بنفسه وبما هو داخل منه لاستحالة التركيب في ذاته عدل موسى
عليه السلام الى جواب ممكن فاجاب بصفاته تعالى كما قال تعالى اخبارا عنه
قال رب اي خالق ومبدع ومدبر السموات كلها والارض وان تباعدت
اجرامها بعضها من بعض وما بينهما اي بين السموات والارض فاعاد ضمير التثنية
على جمعين اعتبارا بالجنسين وخصه بهذه الصفات لانها اظهر خواصه واثاره
وفيه ابطال لدعواه انه اله ومعنى قوله ان كنتم موقنين اي ان كان يرجى
منكم الايقان الذي يودي اليه النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب والا لم ينفع اي و
ان كنتم موقنين بشي قط فهذا اولى ما توقنون به لظهوره وانارة دليله ولما
ذكر موسى عليه السلام هذا الجواب الحق قال فرعون لمن حوله من اشراف
قومه قال ابن عباس وكانوا خمسماية رجل عليهم الاسورة وكانت
للملوك خاصة الا تستمعون جوابه الذي لم يطابق السوال سالته عن حقيقته
وهو يجيبني بافعاله ولما كان يمكن ان يعتقد ان السموات والارض واجبة
لذاتها فهي غنية عن الخالق قال لهم موسى زيادة في البيان ربكم ورب اباءكم
الاولين فعدل عن التعريف بخالقية السموات والارض الى التعريف بكونه
تعالى خالقا لهم ولابائهم اذ لا يمكن ان يعتقد في نفسه وابائه واجداده كونهم
واجبين لذواتهم اذ المشاهدة دلت على انهم وجدوا بعد العدم وعدموا بعد
الوجود وما كان كذلك استحال ان يكون واجبا لذاته واستحال وجوده الا
بالموثر فكان التعريف بهذا الاثر اظهر ولكن فرعون لم يكتف بذلك ولهذا قال
ان رسولكم على سبيل التهكم اشارة الى ان الرسول ينبغي ان يكون اعقل الناس
ثم زاد الامر بقوله الذي ارسل اليكم اي وانتم اعقل الناس لمجنون لا يفهم
السوال فضلا عن ان يجيب عنه فكيف يصلح للرسالة من الملوك فلما قال ذلك
عدل موسى عليه السلام الى طريق ثالث اوضح من الثاني بان قال رب المشرق
والمغرب اي الشروق والغروب ووقتهما وموضعهما وما بينهما من
المخلوقات لان التدبير المستمر على هذا الوجه العجيب لا يتم الا بتدبير مدبر
قادر وهذا بعينه طريقة ابراهيم عليه السلام مع نمرود فانه استدل
اولا بالاحيا والاماتة وهو الذي ذكره موسى عليه السلام بقوله ربكم ورب
اباءكم الاولين فاجابه نمرود انا احيي واميت فقال ان الله ياتي بالشمس
من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر وهو الذي ذكره موسى
عليه السلام بقوله رب المشرق والمغرب واما قوله ان كنتم
تعقلون فكانه عليه السلام قال ان كنت من العقلا عرفت انه لا جواب
عن سوالك الا ما ذكرت لك لانك طلبت مني تعريف حقيقته ولا يمكن تعريف
حقيقته بنفس حقيقته ولا يمكن تعريف حقيقته باجزا حقيقته

فلم يبق الا ان اعرف حقيقته باثار حقيقته وقد عرفت حقيقته باثار حقيقته
من كان عاقلا يقطع بانه لا جواب عن سؤالك الا ما ذكرته لك فلما انقطع فرعون
عن الجواب ولزمته الحجة نكب عن الحق وعدل الي التخويف بان **قال لئن اتخذت
الها غيري لاجعلنك من المسجونين** اي واحدا ممن هم في سجني على ما تعلم من حالي
في افتكاري ومن سجوني في فظاعتها وحال من فيها من شدة الحصر والغلظ في
الحجر قال الكلبي كان سجنه اشد من القتل لانه كان ياخذ الرجل فيطرحه
في هوة ذاهبة في الارض بعيدة العمق وحده فردا لا يسمع ولا يبصر فيها شيا
وقرا ابن كثير وحفص وعاصم باظهار الذال عند التاء والباقون بالادغام ثم
ذكر موسي عليه السلام كلاما مجملا يتعلق فرعون قلبه به فيعدل عن وعيده
بان **قال** مدافعا بالتي هي احسن ارخا للعنان لارادة البيان حتي لا يبقي عذر
ولا نسيان لان من العادة الجارية التكون الي الانصاف والرجوع الي الحق
والاعتراف **او لو** اي اتسجنني ولو **جيتك بشي مبين** اي هل يحسن
ان تذكر هذا مع اقتداري على ان اتيك بدليل يدل على وجود الله تعالى
وعلى اني رسول فعند ذلك **قال** طمعا في ان يجد موضعا للتكذيب او
التلبيس **فات به** اي تسبب عن قولك هذا اني اقول لك ائت بذلك
الشي **ان كنت من الصادقين** اي فيما ادعيت من الرسالة تنبيه لوا و في او لو
جيتك واو الحال وليتها الهمزة بعد حذف الفعل كما علم من التقرير فان قيل
كيف قطع الكلام بما لا تعلق له بالاول وهو قوله او لو جيتك بشي مبين
اي باية بينة والمعجز لا يدل على الله كدلالة سائر ما تقدم اجيب بانه يدل
بما اراد ان يظهره من انقلاب العصا حية على الله وعلى توحيده وعلى انه صادق
في ادعا الرسالة فالذي ختم به كلامه من جنس ما تقدم **فالقى** اي
فتسبب عن ذلك وتعقبه ان القى **عصاه** التي تقدم في غير سورة ان الله تعالى
اراه اياها ولم يصرح باسمه اكتفاء بصكره لانه غير ملتبس **فاذا هي ثعبان** اي
حية في غاية الكبر **مبين** اي ظاهر ثعبانيته روي انها لما انقلبت حية ارتفعت
في السما قدر ميل ثم انحطت مقبلة على فرعون تقول يا موسي مرني بما شيت
ويقول فرعون اسالك بالذي ارسلك الا اخذتها فاخذها فصارت عصا
فان قيل كيف قال هنا ثعبان مبين وفي اية اخري فاذا هي حية تسعي وفي
اية ثالثة كانها جان والجان مايل الي الصغر والثعبان الي الكبر اجيب
بان الحية اسم الجنس ثم لكبرها صارت ثعبانا وشبهها بالجان لخفتها وسرعة
حركتها ويحتمل انه شبهها بالشيطان لقوله تعالى والجان خلقناه من قبل
من نار السموم ويحتمل انها كانت صغيرة كالجان ثم عظمت فصارت ثعبانا
ثم ان موسي عليه السلام لما اراه اية العصا قال له فرعون هل غيرها قال نعم
ونزع يده اي التي كانت احترقت لما اخذ الجمرة وهو في حجر فرعون ويذل

وبذل فرعون جهده في علاجها بجميع ما قدر عليه من الاطبا فعجز عن ابرايها
من عهامن جيبه بعد ان اراه اياها على ما يعهد منها ثم ادخلها في جيبه **فاذا
هي** بعد النزع **بيضا للناظرين** يضي الوادي من شدة بياضها من غير برص لها
شعاع كشعاع الشمس يغشي البصر ويسد الافق فعند هذا اراد فرعون
تعمية هذه الحجة على قومه فذكر امورا او لها ان **قال للملا حوله** لما وضح الامر
بموه على عقولهم خوفا من اتباعهم **ان هذا لساحر عليم** اي شديد المعرفة بالسحر
تنبيه حوله حال من الملا ومعمول القول قوله ان هذا لساحر عليم ولما
اوقفهم بما خيلهم به احمايهم لانفسهم فقال ملقيا جلباب الانفة لما
قهره من سلطان المعجزة **يريد ان يخرجكم من ارضكم** اي هذه التي هي قوامكم **بسحره**
اي بسبب ما اتي به فانه يوجب استتباع الناس فيتمكن مما يريد ثم قال
لقومه الذين كان يزعم انهم عبيده وانه الههم ما دل على انه حارت
قواه فحط عن منكبيه كبريا الربوبية وارتعدت فرايصه لما استولي عليه
من الدهش والحيرة حتي جعل نفسه مامورا بعد ان كان يدعي انه امر بل
الها قادرا **فماذا تامرون** اي في مدافعته عما يريد بنا **قالوا** اي الملا الذين
كانوا حوله **ارجه واخاه** اي اخرامرهما ومناظرتهما الي اجتماع السحرة ولم
يامروا بقتلهما ولا بما يقاربه فسبحان من يلقي الروح من امره على من يشا من
عباده فيهابه كل شي ولا يهاب هو غير خالقه وقرا قالون بغير همز
واختلاس كسرة الها وورش والكساي بغير همز واشباع حركة كسرة الها
وابن كثير وهشام بالهمزة الساكنة وصلة الها مضمومة وابو عمرو بالهمزة وضم
الها مقصورة وابن ذكوان بالهمز وكسر الها مقصورة وعاصم وحمزة بغير همز
واسكان الها **وابعث في المداين حاشرين** اي رجالا يحشرون السحرة
واصل الحشر الجمع بكره وقيل ان فرعون اراد قتل موسي فقالوا له لا تفعل
فانك ان تقتله دخلت الناس شبهة في امره ولكن اخره واجمع له سحرة
ولا يفاومه ليقاوموه ولا تثبت له عليك حجة وعارضوا قوله ان هذا لساحر
بقولهم **ياتوك بكل سحار** اي بليغ في السحر فجاوا بكلمة الاحاطة وصفة
المبالغة ليطامنوا من نفسه وليسكنوا بعض قلقه **عليم** اي متناه في
العلم به بعد ما تناهي في التجربة وعبر بالبنا للمفعول في قوله **فجمع السحرة**
اشارة الي عظمة ملكه اي بايسر امر لما له عندهم من العظمة **لميقات
يوم معلوم** اي في زمانه ومكانه وهو ضحي يوم الزينة كما مر في طه وعن
ابن عباس وافق يوم السبت من اول يوم من سنتهم وهو يوم النيروز
وقيل اي يقول من يقبل لكونه من فرعون **للناس** اي عامة وقوله **هل انتم
مجتمعون** فيه استبطا لهم في الاجتماع والمراد منه استعجالهم واستحثاثهم
كما يقول الرجل لغلامه هل انت منطلق اذا اراد ان يحرك منه ويحثه

على الاطلاق كانما يخيل له ان الناس انطلقوا وموا قفوا منه قول تابط شرا اسم
شاعر ، هلا انت باعث دينار لحاجتنا ، او عبد رب اخا عون بن مخراق ،
اي هل انت حث على ارسال دينار اسمي رجلين والثاني منصوب على محل الاول
واخا عون منادى او عطف بيان له وعليه اقتصر الكشاف لعلنا نتبع السحرة
اي في دينهم ان كانوا هم الغالبين لموسى ولا نتبع موسى في دينه وليس
غرضهم اتباع السحرة وانما الغرض الكلي ان لا يتبعوا موسى فساقوا الكلام
مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى وقيل ارادوا
بالسحرة موسى وهرون وقالوا ذلك على طريق الاستهزاء وعبر بالفاء في قوله
فلما جاء السحرة اي الذين كانوا في جميع بلاد مصر ايذانا بسرعة حشرهم
لضخامة ملكه ووفور عظمته قالوا لفرعون مشترطين الاجر في حال الحاجة
الى الفعل ليكون ذلك اجدر بحسن الوعد ونجاز القصد ائن لنا لاجرا
ان كنا نحن الغالبين موسى واتوا باداة الشك مع جزمهم بالغلبة تخويفا
له بانه ان لم يحسن في وعدهم لم ينصحوا له قال مجيبا الى ما سألوا نعم لكم
ذلك وقرأ الكسائي بكسر العين والباقون بالفتح وزادهم بما لا احسن منه في
عند اهل الدنيا موكدا بقوله وانكم اذا اي اذا غلبتم لمن المقربين اي عندي
وزاد اذن هنا زيادة في التاكيد ولما قال لهم فرعون ذلك قالوا لموسى
اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين قال لهم موسى اي مريدا لابطال سحرهم
لانه لا يتمكن منه الا بالقائهم القوا ما انتم ملقون فان قيل كيف
امرهم بفعل السحر اجيب بانه لم يرد بذلك امرهم بالسحر والتمويه بل الاذن
بتقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسلا به الى اظهار الحق فالقوا اي تسبب
عن قول موسى عليه السلام وتعقبه ان القوا حبالهم وعصيهم
التي اعدوها للسحر وقالوا مقسمين بعزة فرعون وهي من ايمان الجاهلية
وهكذا كل حلف بغير الله تعالى ولا يصح في الاسلام الا الحلف بالله تعالى
او باسم من اسمائه او صفة من صفاته كقوله والله والرحمن ورب العرش وعزة
الله وقدرة الله وجلال الله وعظمة الله قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا تحلفوا بآبائكم ولا بامهاتكم ولا تحلفوا بالطواغيت ولا تحلفوا الا بالله
ولا تحلفوا بالله الا وانتم صادقون ولقد استحدث الناس في هذا الباب في
اسلامهم جاهلية نسيت لها الجاهلية الاولى وذلك ان الواحد منهم لو اقسم
باسماء الله كلها لم يقبل منه ولم يعتد بها حتى يقسم براس سلطانه فاذا
اقسم به فتلك عندهم جهد اليمين التي ليس وراءها حلف لحالف ثم انهم
اكدوا يمينهم بانواع من التوكيد بقولهم انا لنحن اي خاصة لا غيرنا
الغالبون وذلك لفرط اعتقادهم في انفسهم او لاتيانهم باقصى ما يمكن
ان يوتى به من السحر فالقى اي فتسبب عن صنع السحرة وتعقبه

ان القى

ان القى موسى عصاه التي جعلت آية له وتسبب عن القائه قوله تعالى فاذا
هي تلقف اي تبتلع في الحال بسرعة ونهمة ما يافكون اي ما يقلبونه عن وجهه
وحقيقته بسحرهم وكيدهم ويزورونه ويخيلونه في حبالهم وعصيهم انها
حيات تسعى بالتمويه على الناظرين او افكهم سمى تلك الاشياء افكا مبالغة
وقرأ حفص بسكون اللام وتخفيف القاف وقرأ الباقون بفتح اللام وتشديد
القاف وشدد البزي التاء في الوصل وخففها الباقون فالقي السحرة اي
عقب فعلها من غير تلبث ساجدين اي فسجدوا بسرعة عظيمة حتى كان
ملقيا القاهم من قوة اسراعهم علما منهم بان هذا من عند الله فامسوا اتقيا
بررة بعد ما جاؤا في صبح ذلك اليوم سحرة كفرة روي انهم قالوا ان يك ما جاء
به موسى سحرا فلن يغلب وان يك من عند الله فلن يخفى علينا فلما قذف عصاه
تلقفت ما اتوا به علموا انه من عند الله فامنوا وعن عكرمة اصبحوا سحرة
وامسوا شهداء وانما عبر عن الخرور بالالقاء لانه ذكر مع الالقاآت
فسلك به طريقة المشاكلة وفيه ايضا مع مراعاة المشاكلة انهم حين رأوا ما رأوا
لم يتمالكوا ان رموا بانفسهم الى الارض ساجدين كانهم اخذوا فطرحوا طرحا
فان قيل فاعل الالقاء ما هو لو صرح به اجيب بانه الله تعالى بما خولهم
من التوفيق او ايمانهم وما عاينوا من المعجزة الباهرة قال الزمخشري ان لا
تقدر فاعلا لان القوا بمعنى خروا وسقطوا ولما كان كانه قيل ما فعلهم
فما كان قولهم قيل قالوا امنا برب العالمين اي الذي دعا اليه موسى عليه السلام
اول ما تكلم وقولهم رب موسى وهرون عطف بيان لرب العالمين لان
فرعون كان يدعي الربوبية فارادوا ان يعزلوه ومعنى اضافته اليهما في ذلك
المقام انه الذي دعا اليه موسى وهرون عليهما السلام ولما امن السحرة بالجمع
لم يامن فرعون ان يقول قومه ان هولاء السحرة على كثرتهم وبصيرتهم لم يومنوا
الا عن معرفة بصحة امر موسى عليه السلام فيسلكون فلبس على القوم وبالغ
في التنفير عن موسى من وجوه احدها ان قال امنتم له اي لموسى قبل ان
آذن اي انا لكم فسارعتم الى الايمان به دالة على ميلكم اليه تنبيه
ههنا همزتان مفتوحتان قرأ الجميع بابدال الثانية الفا وحقق حمزة الثانية
وسهلها الباقون غير حفص فانه يسقط الاولى والثانية عنده هي المبدو بها
ثانيها قوله انه لكبيركم الذي علمكم السحر وهذا تصريح بما رمز
به اولا وتعريض منه بانهم فعلوا ذلك عن مواطأة بينهم وبين موسى وقصدوا
في السحر وقصروا في السحر ليظهروا امر موسى والا ففي قوة السحرة ان يفعلوا
مثل ما فعل ثالثها قوله فلسوف تعلمون وهو وعيد وتهديد شديد
رابعها قوله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اي يد كل واحد اليمنى
ورجله اليسرى ولاصلبنكم اجمعين وهذا الوعيد من اعظم الاهلاك

والكسائي وشعبة

ثم انهم اجابوا عن هذه الكلمات من وجهين الاول قولهم **قالوا لا ضير** اي لا ضرر علينا
وخبر لا محذوف تقديره في ذلك **انا** اي بفعلك ذلك فينا ان قدر الله
تعالى عليه **الى ربنا** اي الذي احسن الينا بالهداية بعد موتنا اي وجه كان
منقلبون اي راجعون في الاخرة الثاني قولهم **انا نطمع** اي نرجوا **ان يغفر**
اي يستر ستر ابليغا **لنا ربنا خطايانا** اي التي قدمنا على كثرتها ثم عللوا طمعهم
مع كثرة الخطايا بقولهم **ان كنا** اي كونا هونا كالجبلة **اول المومنين** اي
من اهل هذا المشهد او من رعية فرعون او من اهل زمانهم لما ظهر من امر فرعون مما
شاهدوه وخيف ان يقع منه ببني اسرايل وهم الذين امنوا وكانوا في قوم
موسى عليه السلام ما يودي الى الاستيصال امره الله تعالى ان يسري بهم
كما قال تعالى **واوحينا** اي بما لنا من العظمة حين اردنا فصل الامر
وانجاز الموعود **الى موسى ان اسر** اي سر ليلا **بعبادي** وذلك بعد سنين
اقام بين اظهرهم يدعوهم الى الحق ويظهر لهم الايات فلم يزيدوا الا عتوا وفسادا
وقرا نافع وابن كثير بكسر النون ووصل الهمزة بعدها من سرا وقراءة
الباقون بسكون النون وقطع الهمزة بعدها ثم علل امره له بالمسير في الليل
بقوله تعالى **انكم متبعون** اي لا يظن انهم لكثرة ما راوا من الايات يكفون
عن اتباعكم فاسرع بالخروج لتبعدوا عنهم الى الموضع الذي قدرت
في الازل ان اظهر مجدي والمراد توافيهم عند البحر ولم يختم اتباعهم عن
موسى لعدم تاثرهم به والمعنى اني بنيت تدبير امركم وامرهم على ان تتقدموا
ويتبعونكم حتى يدخلوا مدخلكم ويسلكوا مسلككم من طريق البحر
فاطبقه عليهم ثم روي انه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم ولد
فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى بقومه وروي ان الله تعالى اوحى الى موسى
ان اجمع بني اسرايل كل اربعة ابيات في بيت ثم اذبحوا الجدي واضربوا بدمايها
على ابوابكم فاني سامر والملايكة ان لا يدخلوا بيتا على بابه دم وامرهم بقتل
ابكار القبط واخبز واخبزا فطيرا فانه اسرع لكم ثم اسر بعبادي حتى تنتهي
الى البحر فياتيك امري وروي ان قوم موسى قالوا لقوم فرعون ان لنا في هذه
الليلة عيدا ثم استعاروا منهم حليهم بهذا السبب ثم خرجوا بتلك
الاموال في الليل الى جانب البحر فلما سمع فرعون ذلك جمع قومه وتبعهم
كما قال تعالى **فارسل فرعون** اي لما اصبح وعلم بهم **في المداين حاشرين** اي
رجالا يجمعون الجنود بقوة وسطوة وان كرهوا ويقولون تقوية لقلوبهم
وتحقيرا لهم **ان هولا** اشارة باداة القرب تحقيرا لهم الى انهم في
القبضة وان بعدوا لما بهم من العجز وبال فرعون من القوة فلسوا بحيث يخاف
فوتهم **لشرذمة** اي طايفة وقطعة من الناس **قليلون** اي بالنسبة
الى ما لنا من الجنود التي لا تحصى فذكرهم اولا بالاسم الدال على القلة

بالشرذمة

بالشرذمة وهي الطايفة القليلة ومنها قولهم ثوب شراذم للذي بلي وتقطع
قطعا ثم جعلهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب قليلا واختار
جمع السلامة الذي هو للقلة مع انهم كانوا ستماية الف وسبعين الفا
وسماهم شرذمة قليلين وذلك بالنسبة لما ارسله خلفهم فان الذي
ارسله فرعون في اثرهم كانوا الف الف وخمسماية الف ملك مسور
ومع كل ملك الف وخرج فرعون في جمع عظيم وكان مقدمته سبعماية
الف كل رجل على حصان وعلى راسه بيضة وعن ابن عباس خرج فرعون
في الف الف حصان سوى الاناث فلذلك استقل قوم موسى قال الزمخشري
ويجوز ان يريد بالقلة الذلة والقماءة ولا يريد قلة العدد والمعنى انهم
لقلتهم لا يبالي بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون افعالا
تغيظنا وتضيق صدورنا قال تعالى **وانهم لنا لغايظون** اي بما فجعونا
به من انفسهم وما استعاروه من الزينة منا واني الذهب والفضة
وفاخر الكسوة فلا رحمة في قلوبنا تحميهم **وانا لجميع حاذرون** اي عادتنا
التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الامور فاذا خرج علينا خارج
سارعنا الى حسم فساده وهذه معاذير اعتذر بها الى اهل المداين
ليلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه وقرا ابن ذكوان والكوفيون
بالف بعد الحاء والباقون بغير الف وقال ابو عبيدة والزجاج هما بمعنى
يقال رجل حذر وحذر وحاذر بمعنى وقيل بل بينهما فرق فالحذر
المتيقظ والحاذر الخايف وقيل الاول للتجدد لانه اسم فاعل والثاني
للثبات لانه صفة مشبهة وقيل الحاذر المتسلح الذي له شوكة
السلاح وهو ايضا من الحذر لانه انما يفعل حذرا ويحكى انه كان يصرف
في خراج مصر بانه يجزيه اربعة اجزا احدها لوزرايه وكتابه وجنده
والثاني لحفر الانهار والجسور والثالث له ولولده والرابع يفرق في
المدن فان لحقهم ظما او استبحار او فساد علة او موت عوامل قواهم
به وروي انه قصده قوم فقالوا نخلج الى ان نحفر خليجا النعم ضياعنا
فاذن في ذلك واستعمل عليهم عاملا فاستكثر ما حمل من تلك الناحية
الى بيت المال فسال عن مبلغ ما انفقوه على خليجهم فاذا هو ماية الف
دينار فامر بحملها اليهم فامتنعوا من قبولها فقال اطرحوها عليهم
فان الملك اذا استغنى بمال رعيته افتقر وان الرعية اذا استغنت بمال
ملكهم استغنى واستغنوا ولما كان المقدر فاطاعوا امره ونفروا على
كل صعب وذلول عطف عليه قوله تعالى معلما بما ال اليه امرهم **فاخرجناهم** اي
فرعون وجنوده بما لنا من القدرة من مصر ليلحقوا موسى وقومه اخراجا
حثيثا مما لا يسمح احد بالخروج منه **من جنات** اي بساتين كانت



علي جانب النيل يحق لها ان تذكر وعيون اي انهار جارية في الدور من النيل
وقيل عيون تخرج من الارض لا يحتاج معها الي نيل ولا مطر وكنوز اي
اموال ظاهرة من الذهب والفضة وسميت كنوزا لانه لم يعط حق الله تعالى
منها وما لم يعط حق الله تعالى منه فهو كنز وان كان ظاهرا قيل كان لفرعون
ثمانمائة الف غلام كل غلام كان على فرس عتيق في عنق كل فرس طوق من ذهب
ومقام من المنازل كريم اي حسن للامرا والوزرا يحفه اتباعهم وعن
الضحاك المنابر وقيل السرر في الحجال وذكر بعضهم انه كان اذا قعد على سريره
وضع بين يديه ثلثمائة كرسي من ذهب يجلس عليها الاشراف عليهم
الاقبية من الديباج مخوصنة بالذهب كذلك اي اخراجنا كما ذكرنا
واورثناها اي تلك النعم السنية بمجرد خروجهم بالقوة وبعد اغراق
فرعون وجنوده بالفعل بني اسرائيل اي جعلناهم بحيث يرثونها لانا لم
نبق منهم مانعا يمنعهم منها بعد ان كانوا مستعبدين تحت ايدي اربابها
واستشكل ارثهم لها بالفعل لقوله تعالى في الدخان قوما اخرين وسياتي
الكلام على ذلك ان شاء الله تعالى في ذلك المحل بل قيل ان بني اسرائيل
لم يرجعوا بعد ذلك الي مصر ولما وصف تعالى الاخراج وصف اثره بقوله
تعالى مرتبا عليه بالفعل وعلى الارث بالقوة فاتبعوهم اي جعلوا انفسهم
تابعة لهم مشرقين اي داخلين في وقت شروق الشمس اي طلوعها صبيحة
الليلة التي سار فيها بنو اسرائيل ولولا تقدير العزيز العليم بخرق ذلك للعادة
لم يكن على حكم العادة في اقل من عشرة فانه امر يعجز الملوك عن مثله واستمروا
الي ان لحقوهم عند بحر القلزم فلما تراءى الجمعان اي راى كل منهما الاخر
قال اصحاب موسى ضعفا وعجزا استصحابا لما كان عندهم فيه من الذل
ولانهم اقل منهم بكثير بحيث يقال ان طليعة ال فرعون كانت على عدد بني
اسرائيل وذلك محقق لتقليل فرعون لهم فكانه عبر عنهم باصحاب دون بني
اسرائيل لانه كان قد امن كثير من غيرهم انا لمدركون اي يدركنا فرعون وقومه
وقد صرنا بين سدين العدو وراءنا والبحر امامنا ولا طاقة لنا بذلك قال
اي موسى عليه السلام وثوقا بوعد الله تعالى كلا اي لا يدركونكم اصلا ثم
علل ذلك تسكينا لهم بقوله ان معي ربي اي بنصره فكانهم قالوا وما
عساه يفعل وقد وصلونا قال سيهدين اي يدلني على طريق النجاة
روي ان مومن ال فرعون كان بين يدي موسى عليه السلام فقال اين تذهب
فهذا البحر امامك وقد غشيك ال فرعون قال امرت بالبحر ولعلي اومر
بما اصنع فاوحينا اي فتسبب عن كلامه الدال على المراقبة انا اوحينا بنون
باسم الكريم جزاء له على ثقته به سبحانه وتعالى فقال تعالى الي موسى وفسر
الوحي الذي فيه معنى القول بقوله تعالى ان اضرب بعصاك البحر اي الذي

امامكم

امامكم وهو بحر القلزم الذي يتوصل منه اهل مصر الي الطور والي مكة المشرفة
وما والاها وقيل النيل فضربه فانفلق بسبب ضربه لما ضربه امتثالا لا
لامر ربه اثني عشر فرقا على عدد اسباطهم فكان كل فرق اي جزء وقسم
عظيم فيه كالطود اي الجبل في اشرافه وطوله وصلابته بعدم السيلان
العظيم المتطاول في السما الثابت في نفره لا يتزلزل لان الما كان منبسطا
في ارض البحر فلما انفلق وانكشف فيه الطرق انضم بعضه الي بعض فاستطال
وارتفع في السما بين تلك مسالك سلكوها لم يبتل منها سرج الراكب
قال الزجاج لما انتهى موسى الي البحر هاجت الريح والبحر يرمي بموج
كالجبال قال يوشع يا كليم الله اين امرت فقد غشينا فرعون والبحر
امامنا قال موسى هاهنا فخاض يوشع الما وجاز البحر ما يواري حافر
دابته الما وقال الذي يكتم ايمانه يا كليم الله اين امرت قال هاهنا فكبح
فرسه بلجامه فارتسب في الما وصنع القوم مثل ذلك فلم يقدروا وجعل
موسى لا يدري كيف يصنع فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه
فانفلق فصار فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق فاذا الرجل على فرسه
لم يبتل سرجه ولا لبده وروي ان موسى قال عند ذلك يا من كان قبل
كل شي والمكون لكل شي والكاين بعد كل شي وهذا معجز عظيم من وجوه
احدها ان تفرق ذلك الما معجز اي معجز وثانيها ان اجتماع ذلك الما فوق
كل فرق منه حتى صار كالجبل معجز ايضا وثالثها انه ثبت في الخبر ان الله
تعالى ارسل على فرعون وقومه من الرياح والظلمة ما حيرهم فاحتبسوا
القدر الذي تكامل معه عدد بني اسرايل وهذا معجز ثالث ورابعها
ان جعل الله في تلك الجدران المايية كوى ينظر بعضهم الي بعض
وهذا معجز رابع وخامسها ان بقي الله تعالى تلك المسالك حتى قرب ال
فرعون فطمعوا ان يتخلصوا من البحر كما تخلص موسى عليه السلام
وهذا معجز خامس ناشي لكل من جميع القرا في الرا من فرق بالترقيق
والتفخيم ولما كان التقدير وادخلنا كل شعب في طريق من تلك
الطرق عطف عليه وازلفنا اي قربنا بعظمتنا ثم اي هنالك الاخرين
اي فرعون وقومه حتى سلكوا مسالكهم وقال ابو عبيدة وازلفنا
جمعنا ومنه ليلة المزدلفة اي ليلة الجمع وعن عطا ابن السايب ان جبريل عليه السلام
كان بين بني اسرائيل وقوم فرعون وكان يسوق بني اسرايل ويقول
ليلحق اخركم باولكم ويستقبل القبط ويقول رويدكم ليلحق اخركم اولكم
وانجينا موسى ومن معه وهم من اتبعوه من قومه وغيرهم اجمعين اي لم
نقدر على احد منهم الهلاك بل اخرجناهم من البحر على هيئته المذكورة
ثم اغرقنا الاخرين اي فرعون وقومه بانطباق البحر عليهم لما تم دخولهم

البحر وخروج بني اسرائيل منه ويقال هذا البحر بحر القلزم وقيل هو بحر من وراء مصر
يقال له اساف ان في ذلك اي الامر العظيم العالي الرتبة من قصة موسى وفرعون
وما فيها من العظات لاية اي علامة عظيمة دالة على قدرة الله تعالى لان احدا من
البشر لا يقدر عليه وعلى حكمته وكون وضعه مصلحة في الدين والدنيا وعلى صدق
موسى بكونه معجزة له وعلى التحذير عن مخالفة امر الله تعالى ورسوله عليه السلام
وفي ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم لانه قد تغتم بتكذيب قومه مع ظهور
المعجزات عليه فنبهه الله تعالى بهذا الذكر على ان له اسوة بموسى وغيره وما
كان اكثرهم اي اهل مصر الذين شاهدوها والذين وعظوا بسماعها مؤمنين
اي متصفين بالايمان الثابت اما القبط فما امن منهم الا السحرة ومؤمن ال
فرعون وامراة فرعون والمراة التي دلتهم على عظام يوسف عليه السلام واما
بنو اسرائيل فكان كثير منهم متزلزلا يتعنت كل قليل ويقول ويفعل ما هو كفر
حتى تداركهم الله تعالى على يد موسى عليه السلام ومن بعده واول ما كان من
ذلك سؤالهم اثر مجاوزة البحر ان يجعل لهم الهة كالاصنام التي مروا عليها
واما غيرهم ممن تاخر عنهم فحالهم معروف وامرهم مشاهد مكشوف فقد سالوا
بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وطلبوا رؤية الله تعالى جهرة وان ربك
اي المحسن اليك باعلاء امرك واستنقاذ الناس من ظلام الجهل على يدك لهو
العزيز اي القادر على الانتقام من كل فاجر الرحيم بعباده لانه تعالى افاض عليهم
نعمه وكان قادرا على ان يهلكهم فدل ذلك على كمال رحمته وسعة جوده
وفضله ولما اتم سبحانه وتعالى ما اراد من قصة موسى عليه السلام ليعرف
محمدا صلى الله عليه وسلم ان تلك المحن التي اصابته كانت حاصلة لموسى م
اتبعه دلالة على حجيته وزيادة في تسلية نبيه قصة ابراهيم عليه السلام
وهي القصة الثانية بقوله تعالى واتل اي اقرا قراءة متتابعة
يا اشرف الخلق عليهم اي كفار مكة وقوله تعالى نبا اي خبر ابراهيم
قرا نافع وابن كثير وابو عمرو في الوصل بتسهيل الهمزة الثانية وحققها الباقون
وفي الابتداء بالثانية الجميع يحققون ويبدل منه اذ اي حين قال
لابيه وقومه منبها لهم على ضلالهم لا مستعلما لانه كان عالما بحقيقة
حالهم ولكنه سالهم بقوله ما اي اي شيء تعبدون اي تواظبون
على عبادته ليريهم ان ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة في شيء
كما تقول للتاجر ما مالك وانت تعلم ان ماله الرقيق ثم تقول له الرقيق
جمال وليس بمال قالوا في جوابه نعبد اصناما فان قيل قوله عليه الصلاة
والسلام ما تعبدون سؤال عن المعبود فحسب فكان القياس ان يقولوا
اصناما كقوله تعالى ويسالونك ماذا ينفقون قل العفو وكقوله تعالى
ماذا قال ربكم قالوا الحق وكقوله تعالى ماذا انزل ربكم قالوا خيرا اجيب

قصة ابراهيم عليه السلام

بان هولاء

بان هولاء قد اجابوا بقصة امرهم كاملة كالمبتهجين بها والمفتخرين فاشتملت
على جواب ابراهيم عليه السلام وعلى ما قصدوه من اظهار ما في نفوسهم من الابتهاج
والافتخار الا تراهم كيف عطفوا على قولهم نعبد فنظل لها عاكفين ولم يقتصروا
على زيادة نعبد وحده ومثاله ان تقول لبعض الشطار ما تلبس في بلادك
فيقول البس البرد الاتحمي فاجر ذيله بين جواري الحي وانما قالوا نظل لانهم كانوا
يعبدونها بالنهار دون الليل يقال ظل يفعل كذا اذا فعل بالنهار دون الليل
والعكوف الاقامة على الشيء ثم ان ابراهيم عليه السلام قال منبها على فساد
مذهبهم هل يسمعونكم اي يسمعون دعاءكم او يسمعونكم تدعون فحذف ذلك
لدلالة اذ اي حين اذ تدعون عليه ففعل الاول هي متعدية لواحد اتفاقا وعلى
الثاني هي متعدية لاثنين قامت الجملة المقدرة مقام الثاني وهو قول الفارسي
وعند غيره الجملة المقدرة حال وقرا نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم باظهار الذال
عند التاء والباقون بالادغام او ينفعونكم ان عبدتموهم او يضرون اي يضروكم
ان لم تعبدوهم ولما اقام ابراهيم عليه السلام عليهم هذه الحجة الباهرة
وهو ان الذي يعبدونه لا يسمع دعاءهم حين يعرف مقصودهم ولو عرف ذلك
لما صح ان يبذل النفع او يدفع الضر فكيف يعبد ما هذه صفته ولم يجدوا ما
يدفعون به حجته الا التقليد قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك اي مثل فعلنا
هذا الفعل العالي الشان ولم يكن عند من نعبدهم شيء من ذلك ثم صوروا
حالة ابائهم في نفوسهم تعظيما لامرهم بقولهم يفعلون اي فنحن نفعل
كما فعلوه فانهم حقيقون ما بان لا نخالفهم مع سبقهم لنا الى الوجود فهم ارصن
منا عقولا واعظم تجربة لولا انهم راوا ذلك حسنا ما واظبوا عليه وهذا تقليد
محض خال عن ادنى نظر كما تفعل البهائم والطير في تبعها ولما تم ان ابراهيم
عليه السلام قال معرضا عن جواب كلامهم لما راه ساقطا لا يرتضيه عاقل
افرايتم اي تنبهتم عن قولكم هذا الى اقول لكم ارايتم اي ان لم
تكونوا رايتموهم رؤية موجبة لتحقق امرهم فانظروهم نظرا شافيا ما
كنتم تعبدون اي مواظبين على عبادتهم انتم واباؤكم الاقدمون اي الذين
هم اقدم ما يكون فان التقديم والاولية لا يكون برهانا على الصحة والباطل
لا ينقلب حقا بالقدم فانهم عدو لي اي اعداء لي وانما وحده على ارادة الجنس
ويجيء العدو والصديق في معنى الواحد والجماعة قال القائل
وقوم علي ذوي مئرة اراهم • عدوا وكانوا صديقا
ومنه قوله تعالى وهم لكم عدو تشبيها بالمصادر كالحنين والصهيل
وقيل هو من المقلوب اراد اني عدو لهم فان من عاديته فقد عاداك وقرا
نافع افرايتم بتسهيل الهمزة التي هي عين الكلمة ولورش ايضا ابدالها
الفا واسقطها الكسائي وحققها الباقون فان قيل لم قال فانهم عدو

ولم يقل فانهم عدو لكم اجيب بانه عليه السلام صور المسئلة في نفسه بمعني
اني فكرت في امري فرايت عبادتي لها عبادة للعدو فاجتنبتها واراهم انها
نصيحة نصح بها نفسه فاذا تفكروا قالوا ما نصحنا ابراهيم الا بما نصح به نفسه
فيكون ذلك ادعى الى القبول وابعث الى الاستماع منه ولو قال فانهم عدو
لكم لم يكن بتلك المثابة ولانه دخل في باب التعريض وقد يبلغ التعريض
للمنصوح ما لا يبلغه التصريح لانه يتامل فيه فربما قاده التامل الى التقبل ومنه
عن الشافعي رضي الله تعالى عنه ان رجلا واجهه بشيء فقال لو كنت بحيث انت
لاحتجت الى ادب وسمعت ناسا يتحدثون في الحجر فقال ما هو بيتي ولا بيتكم
وقوله الا رب العالمين اي مدبر هذه الاكوان كلها يصح ان يكون استثناء منقطعا
بمعني انهم عدو لي لا اعبدهم لكن رب العالمين فاني اعبده وان يكون متصلا
على ان الضمير لكل معبود عبدوه وكان من ابائهم من عبد الله تعالى فكانه قال
الا رب العالمين فانه ليس بعدوي بل وليي ومعبودي ثم شرع يصفه
بما هم به عالمون من انه على الضد الاقصى من كل ما عليه اصنامهم بقوله
الذي خلقني اي اوجدني على هيئة التقدير والتصوير فهو اي فتسبب
عن تفرده بخلقي انه هو لا غيره يهدين اي الى الرشاد ولانه لا يعلم باطن
المخلوق ويقدر على التصرف فيه غير خالقه ولا يكون خالقه الا سميعا بصيرا
ضارا نافعا له الكمال كله وذكر الخلق بالماضي لانه لا يتجدد في الدنيا والهداية
بالمضارع لتجددها وتكررها لانه يقال لما انه خلقه ونفخ فيه الروح عقب
ذلك هدايته المتصلة التي لا تنقطع الى كل ما يصلحه ويعنيه والا فمن هداه
الى ان يتغذي بالدم في البطن امتصاصا ومن هداه المعرفة الثدي عند
الولادة والى معرفة مكانه ومن هداه لكيفية الارتضاع الى غير ذلك
دنيا ودينا والذي هو اي هو لا غيره يطعمني ويسقين اي يرزقني ويغذيني
بالطعام والشراب ولو اراد اعدام ما اكل وما اشرب او اصابني بافة
لا استطيع معها اكلا ولا شربا ونبه بذكر الطعام والشراب على ما عداهما
تنبيه يجوز في الذي يطعمني ويسقين ان يكون مبتدا وخبره محذوف
لدلالة ما قبله عليه وكذا اللذان بعده ويجوز ان تكون اوصافا للذي
خلقني ودخول الواو جائز كقوله
الى الملك القرم وابن الهمام ۰ وليث الكتيبة في المزدحم
وتكرير الموصول على الوجهين للدلالة على ان كل واحد من الصلات مستقلة
باقتضاء الحكم واذا مرضت اي باستيلاء بعض الاخلاط على بعض لما بينهما
من التنافر الطبيعي فهو اي وحده يشفين اي بسبب تعديل المزاج
بتعديل الاخلاط وقسرها على الاجتماع لا بطبيب ولا غيره فان قيل
لم اضاف المرض الى نفسه والشفا من الله تعالى اجيب بانه قال

ذلك

ذلك استعمالا لحسن الادب كما قال الخضر عليه السلام فاردت ان
اعيبها وقال فاراد ربك ان يبلغا اشدهما واجاب الرازي بان اكثر
اسباب المرض يحصل بتفريط الانسان في مطاعمه ومشاربه وغير ذلك
ومن ثم قال الحكما لو قيل لاكثر الموتى ما سبب اجالكم لقالوا التخم وبان الشفا
محبوب وهو من اصول النعم والمرض مكروه وليس من النعم وكان مقصود
ابراهيم عليه السلام تعداد النعم ولما لم يكن المرض من النعم لا جرم لم يضفه
الى الله تعالى ولا ينتقض ذلك باسناد الاماتة اليه كما سياتي فان الموت ليس
بضرر لان شرط كونه ضررا وقوع الاحساس به وحال الموت لا يحصل الاحساس
به انما الضرر في مقدماته وذلك هو عين المرض ولان الارواح اذا كملت في
العلوم والاخلاق كان بقاوها في هذه الاجساد عين الضرر وخلاصها
عنها عين السعادة بخلاف المرض والذي يميتني بقبض روحي في الدنيا
ليخلصني من افاتها ثم يحيين للمجازاة في الاخرة كما شفاني من المرض ولهذا
التراخي بين الموت والاحيا اتي بثم هنا لان الاماتة في الدنيا والاحيا في الاخرة
ولما ذكر البعث ذكر ما يترتب عليه بقوله والذي اطمع هضما لنفسه واطراحا
لاعماله ان يغفر اي يمحو ويستر لي خطيئتي اي تقصيري عن ان اقدره
حق قدره يوم الدين اي الجزا وروي ان عائشة رضي الله تعالى عنها قالت
قلت يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين
فهل ذلك نافعه قال لا ينفعه انه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي
يوم الدين وهذا كله احتجاج من ابراهيم على قومه انه لا يصلح للالهية الا
من يفعل هذه الافعال فان قيل لم قال والذي اطمع والطمع عبارة عن الظن
والرجا وهو عليه السلام كان قاطعا بذلك اجيب بان في ذلك اشارة
بان الله تعالى لا يجب عليه لاحد شيء فانه يحسن منه تعالى كل شيء ولا اعتراض
لاحد عليه في فعله فان قيل لم اسند لنفسه الخطيئة مع ان الانبياء
معصومون اجيب بان مجاهدا قال هي قوله اني سقيم وقوله بل فعله
كبيرهم هذا وقوله لسارة هي اختي ورد بان هذه المعاريض كلام وتخييلا
للكفرة وليست بخطايا يطلب لها الاستغفار والاولى في الجواب ان
استغفار الانبياء تواضع منهم لربهم وهضم لانفسهم ويدل عليه
قوله اطمع ولم يجزم القول بالمغفرة وفيه تعليم لاممهم وليكون لطفا لهم
في اجتناب المعاصي والحذر منها وطلب المغفرة مما يفرط منهم فان قيل
لم علق مغفرة الخطيئة بيوم الدين وانما يغفر في الدنيا اجيب بان اثرها
يتبين يومئذ وهو الان خفي لا يعلم ولما حكى الله عن ابراهيم عليه السلام ثناه
عليه ذكر بعد ذلك دعاه ومسئلته بقوله رب اي ايها المحسن الي هب
لي حكما اي عملا متقنا بالعلم وقال ابن عباس معرفة حدود الله واحكا مه

وقال الكلبي النبوة لان النبي ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله ثم بين ان
الاعتماد انما هو على محض الكرم فان من نوقش الحساب عذب بقوله والحقني
بالصالحين اي الذين جعلتهم ايمة للمتقين في الدنيا والاخرة وهم الانبيا والمرسلون
وقد اجابه الله تعالى حيث قال وانه في الاخرة لمن الصالحين وفي ذلك تنبيه على
ان تقديم الثنا على الدعا من المهمات فان قيل لم تقتصر ابراهيم على الثنا كما
يروى عنه انه قال حسبي من سوالي علمه بحالي اجيب بانه عليه
السلام انما ذكر ذلك حين اشتغاله بدعوة الخلق الى الحق لانه قال فانهم
عدو لي الا رب العالمين ثم ذكر الثنا ثم ذكر الدعا لما ان الشارع لا بد له من
تعليم الشرع فاما حين خلا بنفسه ولم يكن غرضه تعليم الشرع اقتصر على
قوله حسبي من سوالي علمه بحالي تنبيه الالحاق بالصالحين ان يوفقه لعمل
ينتظم به في جملتهم او يجمع بينه وبينهم في المنزلة والدرجة في الجنة ثم انه
عليه السلام طلب زيادة في الاجر بقوله واجعل لي لسان صدق اي ذكرا جميلا
وقبولا عاما وثنا حسنا بما اظهرت من خصال الخير في الاخرين اي من الناس
الاخرين الذين يوجدون بعدي الى يوم الدين لاكون للمتقين اماما فيكون
لي مثل اجورهم فان من سن سنة حسنة كان له اجرها واجر من عمل بها الى
يوم القيمة قال ابن عباس اعطاه الله تعالى بقوله وتركنا عليه في الاخرين
فاهل الاديان يتولونه ويثنون عليه وقد جعله الله شجرة مباركة فرع منها
الانبيا الذين احيا الله تعالى بهم ذكره الذي من اعظمه ما كان على لسان
اعظمهم النبي الامي صلى الله عليه وسلم من قوله صل على محمد وعلى ال محمد
كما صليت على ابراهيم الى اخره ولما طلب عليه السلام سعادة الدنيا
وكان لا نفع لها الا بانضمامها لها سعادة الاخرة التي هي الجنة طلبها بقوله
واجعلني اي مع ذلك كله بفضلك ورحمتك من ورثة جنة النعيم ان
فيها النظر الى وجه الله الكريم وهو السعادة الكبرى وشبهها بالارث
الذي يحصل بغير اكتساب اشارة الى انها لا تنال الا بمنه وكرمه
لا تنال بشي من ذلك ولما دعا لنفسه ثنى باحق الخلق ببره بقوله
واغفر لابي بالهداية والتوفيق الى الايمان لان المغفرة مشروطة
بالايمان وطلب المشروط متضمن لطلب الشرط فقوله واغفر
لابي كانه دعا له بالايمان وقيل ان اباه وعده بالاسلام لقوله
تعالى وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اباه
فدعا له قبل ان يتبين له انه عدو لله كما سبق في سورة التوبة
وقيل ان اباه قال له انه على دينه باطنا وعلى دين نمرود ظاهرا
تقية وخوفا فدعا له لاعتقاده ان الامر كذلك فلما تبين له خلاف ذلك
تبرا منه ولذلك قال في دعايه انه كان من الضالين فلولا اعتقاده

انه

انه في الحال ليس بضال لما قال ذلك وقيل ان الاستغفار للكافر لم يكن
ممنوعا اذ ذاك ولا تخزني اي تفضحني يوم يبعثون اي العباد فان
قيل كان قوله واجعلني من ورثة جنة النعيم كافيا عن هذا وايضا قال
تعالى ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين فما كان نصيب الكفار فقط
كيف يخافه المعصوم اجيب بان حسنات الابرار سيات المقربين
فكذا درجات الابرار خزي المقربين وخزي كل واحد بما يليق به ولما
نبه عليه السلام على ان المقصود هو الاخرة صرح بالتزهيد في الدنيا
بقوله يوم لا ينفع اي احدا مال اي يفتدي به او يبذل لشافع
او ناصر مظاهر ولا بنون ينصرونه او يعتضد فكيف بغيرهم واستثنى
قوله تعالى الا من اوجه احدها انه منقطع وجرى عليه الجلال المحلي
اي لكن من اتى الله بقلب سليم فانه ينفعه ذلك الثاني انه مفعول به
لقوله لا ينفع اي لا ينفع المال والبنون الا هذا الشخص فانه ينفعه ماله
المصروف في وجوه البر وبنوه الصلحا فانه علمهم واحسن اليهم الثالث
انه بدل من المفعول المحذوف او مستثنى منه اذ التقدير لا ينفع مال
ولا بنون احدا من الناس الا من كانت هذه صفته واختلف في القلب
السليم على اوجه قال الرازي اصحها ان المراد سلامة النفس عن
الجهل والاخلاق الرذيلة الثاني انه الخالص من الشرك والنفاق
وهو قلب المومن وجرى على هذا الجلال المحلي واكثر المفسرين فان
الذنوب قل ان يسلم منها احد وهذا معنى قول سعيد بن المسيب
السليم هو الصحيح وهو قلب المومن فان قلب الكافر والمنافق مريض
قال الله تعالى في قلوبهم مرض الثالث انه الذي سلم وسلم واسلم
وسالم واستسلم الرابع انه اللديغ اي القلب المنزعج من خشية الله
لكن قال الزمخشري ان القولين الاخيرين من بدع التفاسير
وقوله تعالى وازلفت الجنة حال من واو يبعثون ومعنى ازلفت قربت
الجنة للمتقين فتكون قريبة من موقف السعدا ينظرون اليها يفرحون
بانهم المحشورون اليها زيادة في سرورهم وبرزت الجحيم اي كشفت
وظهرت النار الشديدة للغاوين اي الكافرين فيرونها مكشوفة
ويتحسرون على انهم المسوقون اليها زيادة في هوانهم تنبيه
في اختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد على الوعيد حيث قال في حق
المتقين وازلفت اي قربت وفي حق الغاوين وبرزت اي اظهرت ولا
يلزم من الظهور القرب وقيل لهم تبكيتا وتنديما وتوبيخا وابهم القايل
ليصلح لكل احد تحقيرا لهم ولان المبكي نفس القول لا كونه من معين
اينما كنتم اي اين الذي تدعون في الدنيا ثم حقر معبوداتهم بقوله

مزدون اي ازداد في رتبة من رب الله الملك الذي لا كفو له وكنتم تزعمون
انهم يشفعون لكم ويعينونكم في مثل هذا اليوم هل ينصرونكم بدفع العذاب عنكم
او ينتصرون بدفعه عن انفسهم فكبكبوا اي فتسبب عن عجزهم ان
القوا فيها اي في مهواة الجحيم هم اي الاصنام وما شابهها من الشياطين
ونحوهم والغاوون اي الذين ضلوا بهم والكبكبة تكرير الكب
بتكرير معناه كان من القي في النار ينكب مرة بعد اخرى حتى يستقر في قعرها
وقال الزجاج طرح بعضهم فوق بعض وقال القيني القوا على
روسهم وجنود ابليس هم اتباعه ومن اطاعه من الجن والانس وقيل ذريته
اجمعون ولما لم يتمكنوا من قول في جواب استفهامهم قبل القائهم
قالوا اي العبدة وهم فيها اي الجحيم يختصمون مع المعبودات وقولهم
تالله اي الذي له جميع الكمال ان كنا لفي ضلال مبين اي ظاهر جدا لمن
كان له قلب سليم معمول القول وما بينهما وهو وهم فيها يختصمون
جملة حالية معترضة بين القول ومعموله وقيل ان الاصنام تنطق
وتخاصم العبدة ويؤيده الخطاب في قولهم اذ اي حين نسويكم
برب العالمين في استحقاق العبادة تنبيه اذ منصوب اما بمبين
واما بمحذوف اي ضللنا في وقت تسويتنا لكم بالله في العبادة وما
اضلنا اي ذلك الضلال المبين عن الطريق البين الا المجرمون
اي الاولون الذين اقتدينا بهم من روسائنا وكبرائنا كما في اية اخرى
ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا وعن ابن جريج
ابليس وابن ادم الاول وهو قابيل وهو اول من سن القتل وانواع
المعاصي فما اي فتسبب عن ذلك انه ما لنا اليوم وزادوا في تعميم
النفي زيادة الجار فقالوا من شافعين يكونون سببا لادخال الجنة
كالمومنين تشفع لهم الملائكة والنبيون والمومنون ولا صديق حميم
اي قريب يشفع لنا يقول ذلك الكفار حين تشفع لهم الملائكة
والنبيون والمومنون والصديق هو الصادق في ودادك الذي
يهمه ما اهمك مع موافقة الدين وعن جابر قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل ليقول في الجنة ما فعل صديقي
فلان وصديقه في الجحيم فيقول الله تعالى اخرجوا له صديقه الى
الجنة فيقول من بقي في النار فما لنا من شافعين ولا صديق حميم
قال الحسن استكثروا من الاصدقاء المومنين فان لهم
شفاعة يوم القيمة فان قيل لم جمع الشافع ووحد الصديق اجيب
بان الشفعاء كثيرون في العادة رحمة لهم وحسبة وان لم يسبق
له باكثرهم معرفة واما الصديق وهو الصادق في ودادك الذي يهمه

ما اهمك

ما اهمك قال الزمخشري اعز من بيض الانوق انتهى قال الجوهري
الانوق على فعول طير وهو الرخمة وفي المثل اعز من بيض الانوق لانها تحرزه
فلا يكاد يظفر بها لان اوكارها في روس الجبال والاماكن الصعبة البعيدة
وعن بعض الحكماء انه سئل عن الصديق فقال اسم لا معنى له اي لا يوجد
ولما وقعوا في هذا الهلاك وانتفى عنهم الخلاص تسبب عنهم تمنيهم
المحال فقالوا فلو ان لنا كرة اي رجعة الى الدنيا فنكون من المومنين اي
الذين صار الايمان لهم وصفا لازما فما زلفت لهم الجنة تنبيه ما احسن
ما رتب ابراهيم عليه السلام كلامه مع المشركين حين سالهم اولا عما يعبدون
سؤال مقرر لا مستفهم ثم انحى الى الهتهم فابطل امرها بانها لا تضر ولا
تنفع ولا تبصر ولا تسمع وعلى مقلديهم اباءهم الاقدمين وكسره واخرجه
من ان يكون شبهة فضلا عن ان يكون حجة ثم صور المسئلة في نفسه
دونهم حتى تخلص منها الى ذكر الله عز وجل فعظم شانه وعدد نعمته
من لدن خلقه وانشائه الى حين وفاته مع ما يرجى في الاخرة من رحمته
ثم اتبع ذلك ان دعاه بدعوات المخلصين وابتهل اليه ابتهال الاوابين
ثم وصله بذكر يوم القيمة وثواب الله تعالى وعقابه وما يدفع اليه المشركون
يومئذ والندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتمني الكرة الى
الدنيا ليومنوا ويطيعوا ان في ذلك اي المذكور من قصة ابراهيم
وقومه لاية اي عظيمة على بطلان الباطل وحقوق الحق وما اي
والحال انه ما كان اكثرهم اي الذين شهدوا منه هذا الامر العظيم
الذي سمعوه عنه مومنين اي بحيث صار الايمان صفة لهم ثابتة
وفي ذلك اعظم تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وان ربك اي
المحسن اليك بارسالك وهداية الامة بك لهو العزيز اي القادر
على ايقاع النقمة بكل من خالفه حين يخالفه الرحيم اي الفاعل فعل الراحم
في امهاله العصاة مع ادرار النعم ودفع النقم وارسال الرسل ونصب الشرائع
لكي يومنوا واحدا من ذريتهم ولما انتهى سبحانه وتعالى قصة الاب
الاعظم الاقرب ابراهيم عليه السلام اتبعها بقصة الاب الثاني ابراهيم وهو نوح
عليه السلام وهي القصة الثانية مقدما لها على غيرها لما له من القدم
في الزمان اعلاما بان البلاء قديم ولانها ادل على صفتي الرحمة والنقمة اللتين
هما اثر العزة بطول الامهال لهم على طول مدتهم ثم تعميم النقمة مع كونهم جميع
اهل الارض فقال كذبت قوم نوح وهم اهل الارض كلهم من الادميين قبل
اختلاف الامم بتفرق اللغات المرسلين اي بتكذيبهم نوحا عليه السلام
لانه اقام الدليل على نبوته بالمعجزة ومن كذب بالمعجزة فقد كذب بجميع المعجزات
لتساوي اقدامها في الدلالة على صدق الرسول وقد سئل الحسن البصري

عن ذلك فقال من كذب واحدا فقد كذب الكل لان الاخير جا بما جا به الاول تنبيه
القوم يؤنث باعتبار معناه ولذا يصغر على قويمة ويذكر باعتبار لفظه وتذكيره
اشهر واختير التانيث هنا للتنبيه على ان فعلهم احسن الافعال والى
انهم مع علوهم وكثرتهم كانوا عليه سبحانه وتعالى اهون شي واضعف بحيث
جعلهم لهبا منثورا وكذا من بعدهم ولاجل التسلية عبر بالتكذيب في كل
قصة **اذ** اي حين **قال لهم اخوهم** اي في النسب لا في الدين **نوح** وذكر
الاخوة زيادة في تسلية النبي صلى الله عليه وسلم واشار تعالى الى
الحسن ادب نوح عليه السلام مع قومه واستجلابهم برفقه ولينه مع قوله
الا تتقون الله بان تجعلوا بينكم وبين سخطه وقاية بطاعته بالتوحيد
وترك الالتفات الى غيره ثم علل اهليته للامر عليهم بقوله **اني لكم** مع كوني
اخاكم يسرني ما يسركم ويسوؤني ما يسوؤكم **رسول** اي من عند خالقكم
فلا مستند وحدي لي عما امرت به **امين** اي مشهور بالامانة بينكم لا غش
عندي كما تعلمون ذلك على طول خبرتكم بي ثم تسبب عن ذلك الرفق
الجزم بالامر فقال **فاتقوا** اي اوجدوا الخوف والحذر والتحرز الذي **الله**
اختص بالجلال والجمال لتحوزوا اصل السعادة فتكونوا من اهل الجنة
واطيعون فيما امركم به من توحيد الله وطاعته ثم نفى عن نفسه التهمة
بعد ان اثبت امانته بقوله **وما اسئلكم عليه** اي على هذا الحال الذي
اتيتكم به واشار الى الاعراق في النفي بقوله **من اجر** لتظنوا اني جعلت
الدعاء سببا لذلك ثم اكد هذا النفي بقوله **ان** اي ما **اجري** اي ثوابي
وجزائي لكم **الا على رب العالمين** اي الذي دبر جميع الخلائق وربّاهم وقرا
نافع وابو عمرو وابن عامر وحفص بفتح اليا في اجري في المواضع الخمسة
في هذه السورة والباقون بالسكون ولما انتفت التهمة تسبب عن
انتفائها اعادة ما قدمه اعلاما بالاهتمام به زيادة في الشفقة ه
فقال **فاتقوا الله** اي الذي حاز جميع صفات العظمة **واطيعون** ولما
اقام الدليل على نصحه وامانته **قالوا** اي قومه منكرين لاتباعه استنادا
الى داء الكبر الذي ينشا عنه بطر الحق وغمص الناس اي احتقارهم **انؤمن**
لك اي لاجل قولك هذا وما استنه من اوصافك **و** الحال انه قد
اتبعك الارذلون اي فيكون ايماننا بك سببا لاستوائنا معهم[٢] والرذالة
الخسة والذلة وانما استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من
الدنيا وقيل كانوا من اهل الصناعات الخسيسة كالحياكة والحجامة
والصناعة لا تزري بالديانة وهكذا كانت قريش في اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وما زالت اتباع الانبياء كذلك وعن ابن
عباس هم الغاغة وعن عكرمة الحاكة والاساكفة وعن مقاتل السفلة

[٢] لاستوائنا معهم م

[٢] [illegible] م

ولما كانت هذه الشبهة في غاية الركاكة لان نوحا بعث الى جميع قومه فلا يختلف
الحال بسبب الفقر والغنا وشرف المكاسب وخستها اجابهم بقوله **قال**
وما اي اي شي **علمي بما كانوا يعملون** قبل ان يتبعوني اي مالي وللبحث
عن سرائرهم وانما قالوا هذا قد طعنوا في استرذالهم في ايمانهم وانهم لم
يؤمنوا عن نظر وبصيرة وانما امنوا هديا وبديهة كما حكى الله عنهم في قوله
الذين هم اراذلنا بادي الراي ثم اكد انه لا يبحث عن بواطنهم بقوله **ان** اي ما
حسابهم اي في الماضي والاتي **الا على** المحسن الى فهو يحاسبهم ويجازيهم
واما انا فلست بمحاسب ولا مجاز **لو تشعرون** اي لو كان لكم نوع شعور لعلمتم
ذلك فلم تقولوا ما قلتم جمودا منكم على امور الدنيا فقط ولا نظر له الى يوم
الحساب فان الغنا غنى الدين والنسب نسب التقوى ولما اوهم قولهم هذا
استدعا طرد هؤلاء الذين امنوا معه وتوقيف ايمانهم عليه حيث جعلوا اتباعهم
المانع عنه اجابهم بقوله عليه السلام **وما** اي ولست **انا بطارد المؤمنين**
اي الذين صار الايمان لهم وصفا راسخا فلم يرتدوا عنه للطمع في ايمانكم ولا
لغيره من اتباع شهواتكم ثم علل ذلك بقوله **ان انا الا نذير** اي تحذير لا وكيل
فاتفتش على البواطن[٢] ولا متعنت على الاتباع **مبين** اوضح ما ارسلت به
فلا ادع فيه لبسا وقرا قالون بمد انا في الوصل بخلاف عنه والباقون
بالقصر ولما اجابهم بهذا الجواب وقد ايسوا مما راموه لم يكن منهم الا التهديد
بان **قالوا لئن لم تنته** ثم سموه باسمه جفا وقلة ادب بقولهم **يا نوح** عما
تقول **لتكونن من المرجومين** قال مقاتل والكلبي من المقتولين بالحجارة وقال
الضحاك من المشتومين فعند ذلك حصل الياس لنوح من فلاحهم فلذلك
قال شاكيا الى الله تعالى بما هو اعلم به منه توطئة للدعا عليهم معرضا
عن تهديدهم له صبرا واحتسابا لانه من لازم الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر **رب** اي المحسن الي **ان قومي كذبون** اي فيما جيت به فليس الغرض
من هذا اخبار الله تعالى بالتكذيب لعلمه بانه عالم الغيب والشهادة ولكنه
اراد لا ادعوك عليهم لما اذوني وانما ادعوك لاجلك واجل دينك ولانهم كذبوني
في وحيك ورسالتك **فافتح** اي احكم **بيني وبينهم فتحا** اي حكما يكون لي فيه
فرج وبه من الضيق مخرج فاهلك المبطلين **ونجني ومن معي من المؤمنين** اي في الدين
مما تعذب به الكافرين ثم لما كان في اهلاكهم والنجاة من بديع الصنع ما يجل عن الوصف
اظهر في مظهر العظمة في قوله تعالى **فانجيناه ومن معه** اي الذين اتبعوه في
الدين على ضعفهم وقلتهم **في الفلك** اي السفينة وجمعه فلك قال الله تعالى
وترى الفلك فيه مواخر فالواحد بوزن قفل والجمع بوزن اسد وقال تعالى
المشحون اي الموقور المملوء من الناس والطير والحيوان لان سلامته مملوءا
اغرب ولما كان اغراقهم كلهم من الغرائب عظمه باداة البعد فقال تعالى

[٢] على البواطن م

ثم اغرقنا بعد اي بعد انجا نوح ومن معه الباقين اي من بقي على الارض
ولم يركب معه في السفينة على قوتهم وكثرتهم ان في ذلك اي الامر العظيم من
الدعا والامهال ثم الانجا والاهلاك لاية اي عظيمة لمن شاهد ذلك او
سمع به وما اي والحال انه كان اكثرهم اي العالمين بذلك مومنين وقد
كان ينبغي لهم اذ فاتهم الايمان بمحض الدليل ان يبادروا للايمان حين رأوا ايل العذاب
وان ربك اي المحسن اليك بارسالك وتكثير اتباعك وتعظيم اشياعك هو
العزيز اي القادر بعزته على كل من قسرهم على الطاعة واهلاكهم في اول
اوقات المعصية الرحيم اي الذي يخص من شاء من عباده بخالص وداده
ولما فرغ من قصة نوح عليه السلام شرع في قصة هود عليه السلام
وهي القصة الرابعة فقال تعالى كذبت عاد اي تلك القبيلة التي مكن
الله تعالى لها في الارض بعد قوم نوح المرسلين بالاعراض عن معجزة هود
عليه السلام ثم سلى محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله اذ اي حين قال
لهم اخوهم اي في النسب لا في الدين هود بصيغة العرض تاديبا
معهم وتلطفا بهم الا تتقون اي يكون منكم تقوى لربكم الذي خلقكم
ولا تشركون به ما لا يضركم ولا ينفعكم ثم علل ذلك بقوله اني لكم
رسول اي لا املك لكم امرا الا كم عنكم شيئا مما امرت به ولا
اخالف شيئا منه فاتقوا اي فتسبب عن ذلك اني اقول لكم اتقوا الله
اي الذي اعظم من كل شي واطيعون اي في كل ما امركم به من طاعة الله
وترك مخالفته ثم نفى عن نفسه التهمة في دعايه لهم بقوله وما
والحال اني ما اسالكم عليه اي دعاي لكم من اجر فتتهموني به وانما انا
رسول داع ان اي ما اجري اي ثوابي الا على رب العالمين فهو الذي
يثيب العبد على عمله ولما فرغ من دعايهم الى الايمان اتبعه انكار بعض ما هم
عليه لان حالهم حال الناسي لذلك الطوفان الذي اهلك الحيوانات
واهدم البنيان بقوله اتبنون بكل ريع جمع ريعة وهو في اللغة المكان
المرتفع ومنه قولهم كم ريع ارضك وهو ارتفاعها وقال ابن عباس
الريع كل شرف وعن مجاهد هو الفج بين الجبلين وقال الضحاك
هو كل طريق اية اي علامة على شدتكم لانه لو كان لهداية او نحوها لكفى
بعض ذلك ولكنكم تعبثون بمن يمر في الطريق الى هود عليه السلام
ويسخرون منه والجملة حال من ضمير تبنون وقيل كانوا يبنون
الامكنة المرتفعة ليعرف بذلك غناهم فهوا عن ذلك ونسبوا الى
العبث وقال سعيد بن جبير هي بروج الحمام لانهم كانوا يلعبون
بالحمام ثم ذكرهم زوال الدنيا بقوله وتتخذون مصانع قال مجاهد قصورا
مشيدة وقال الكلبي هي الحصون وقال قتادة ماخذ المياه

يعني

يعني الحياض واحدها مصنعة ولما كان هذا الفعل حال الراجي للخلود قال لعلكم
لعلكم اي كانكم تخلدون فيها فلا تموتون ثم بين لهم افعالهم الخبيثة بقوله
واذا بطشتم اي اردتم البطش اي باحد بضرب او قتل بطشتم جبارين اي
من غير رافة قال البغوي والجبار الذي يضرب ويقتل على الغضب تنبيه
انما قدرنا الارادة لئلا يتحد الشرط والجزا وجبارين حال ولما خوفهم هود
عليه السلام بهذا الانكار وهو ان اتخاذ الابنية العالية يدل على حب
الدنيا واتخاذ المصانع يدل على حب البقا والجبارية تدل على حب التفرد
بالعلو وهي ممتنعة الحصول للعبد خوفهم بهذا الانكار عقاب الجبار
تسبب عن ذلك قوله فاتقوا الله اي الذي له صفات الجلال والاكرام
واطيعون زيادة في دعايهم الى الاخرة وزجرا لهم عن حب الدنيا والاشتغال
بالسرف والتجبر ثم وصل هذا الوعظ بما يوكد القبول بان نبههم
على نعم الله تعالى عليهم بقوله واتقوا الذي امدكم اي جعل لكم مددا وهو
اتباع الشي ما يقويه على الانتظام بما تعلمون اي ليس فيه نوع خفا
حتى تتغافلوا عن تعيينه باستكبار ثم فصل ذلك المجمل بقوله امدكم
بانعام تعينكم على الاعمال وتاكلون منها وتبيعونه وبنين يعينونكم
على ما تريدون عند العجز وجنات اي بساتين ملتفة الاشجار بحيث
تستر داخلها وعيون اي انهار تشربون منها وتسقون انعامكم
وبساتينكم ثم خوفهم بقوله اني اخاف عليكم قال ابن عباس ان عصيتموني
فانكم قومي يسوءني ما يسوءكم عذاب يوم عظيم في الدنيا والاخرة فانه كما
قدر على الانعام فهو قادر على الانتقام وتعظيم اليوم ابلغ من تعظيم
العذاب ولما بالغ عليه السلام في وعظهم نبههم على نعم الله تعالى
حيث اجملها ثم فصلها مستشهدا بعلمهم وذلك انه ايقظهم عن سنة
غفلتهم عنها حيث قال امدكم بما تعلمون ثم عددها عليهم وعرفهم
المنعم بتعديد ما يعلمون من نعمته وانه كما قدر ان يتفضل عليكم بهذه
النعم قادر على الانتقام منكم ولم يقدر الله تعالى هدايتهم قالوا له
راضين بما هم عليه سواء علينا اوعظت اي خوفت وحذرت ام لم تكن
من الواعظين فانا لا نرعوي عما نحن عليه فان قيل لو قيل اوعظت ام لم تعظ
كان اخصر والمعنى واحد اجيب بان ذلك لتواخي الفواصل او لان المعنى
ليس واحدا بل بينهما فرق لان المعنى المراد سواء علينا افعلت هذا الفعل
الذي هو الوعظ ام لم تكن اصلا من اهله ومباشريه فهو ابلغ في قلة اعتدادهم
بوعظك من قولك ام لم تعظ وقرا قوله تعالى ان اي ما هذا اي الذي
جيتنا به الا خلق الاولين نافع وابن عامر وعاصم وحمزة بضم الخاء
واللام اي ما هذا الذي نحن فيه الا عادة الاولين في حياة ناس وموت اخرين

وعافية فومرو بلدا اخرين وقرا الباقون بفتح الخاء وسكون اللام اي ما هذا الا كذب
الاولين وما نحن بمعذبين اي على ما نحن عليه لانا اهل قوة وشجاعة ونجدة
وبراعة ولما تضمن هذا التكذيب تسبب عنه قوله تعالى فكذبوه ثم تسبب
عن تكذيبهم قوله تعالى فاهلكناهم في الدنيا بريح صرصر وسياتي بيانها
ان شاء الله تعالى في سورة الحاقة ان في ذلك اي الاهلاك في كل قرن
للمكذبين والانجا للمصدقين لاية اي عظيمة لمن بعدهم على انه تعالى فاعل
ذلك وحده وانه مع اوليايه ومن كان معه لا يذل وانه على اعدايه ومن كان عليه
لا يعز وما كان اكثرهم اي اكثر من كان بعدهم مومنين اي فلا تحزن انت
يا اشرف الرسل من اعرض عن الايمان بك وان ربك اي المحسن اليك
بارسالك وغيره من النعم لهو العزيز في انتقامه ممن عصاه الرحيم في
انعامه واكرامه مع عصيانه وكفرانه وارسال المنذرين وتاييدهم بالايات
المعجزة ثم اتبع قصة هود عليه السلام قصة صالح عليه السلام وهي
القصة الخامسة بقوله تعالى كذبت ثمود وهم اهل الحجر المرسلين
وقرا نافع وابن كثير وعاصم باظهار التاء عند المثلثة والباقون
بالادغام واشار تعالى الى زيادة التسلية بمفاجاتهم بالتكذيب من
غير تامل ولا توقف بقوله تعالى اذ اي حين قال لهم اخوهم اي في
النسب لا في الدين صالح بصفة القرض تادبا معهم وتلطفا بهم
كقول من تقدم قبله الا تتقون الله ثم علل ذلك بقوله اني لكم رسول
من رب العلمين فلذلك عرضت عليكم هذا لاني ماموربذلك امين في
جميع ما ارسلت به اليكم من خالقكم الذي لا احد ارحم بكم منه
ثم تسبب عن قوله اني لكم رسول قوله فاتقوا الله اي الذي له الغنا
المطلق واطيعون فيما امرتكم به من عند الله ثم نفى عنه ما قد يتوهم من لا
عقل له بقوله وما اسالكم عليه اي وما جئتكم به واغرق في النفي بقوله
من اجر ثم زاد في تاكيد هذا النفي بقوله ان اي ما اجري على احد
الا على رب العلمين فهو المتفضل المنعم على خلقه ثم شرع ينكر عليهم
اكل خيره وعبادة غيره بقوله اتتركون اي من ايدي النوايب التي لا ينقذ
عليها الا الله تعالى فيما هاهنا اي في بلادكم هذه من النعم حالة كونكم
امنين لا تخافون وانتم تبارزون الملك القهار بالعظايم فان ما
في ما هاهنا في معطوفة من ماثم نشر ما اجمله بقوله في جنات اي بساتين
تستر الداخل اليها وتخفيه لكثرة اشجارها وعيون تسقيها مع
ما لها من ساير الانواع من البهجة وغير ذلك من المنافع وزروع اي من
ساير الانواع ونخل طلعها اي ما يطلع منها من الثمر هضيم قال ابن عباس
هو اللطيف ومنه قولهم كشح هضيم وقيل هو الجواد الكريم من قولهم

واحسانه اي مع م

بمهضوم

بيد مهضوم اذا كانت تجود بالدهنا وقال اهل المعاني هو المنضم بعضه الى
بعض في وعايه قبل ان يظهر والطلع عنقود الثمر قبل خروجه من الكم وقال
الزمخشري الطلع هو الذي يطلع من النخلة كنصل السيف في جوفه شماريخ
القنو والقنو هو اسم الخارج من الجذع كما هو بعرجونه فان قيل لم قال ونخل
بعد قوله في جنات والجنة تتناول النخل اول شي كما تتناول النعم الابل
كذلك من بين الازواج حتى انهم ليذكرون الجنة ولا يقصدون الا النخل
كما يذكرون النعم ولا يريدون الا الابل قال زهير تسقي سحقا
وسحقا جمع سحوق ولا يوصف به الا النخل اجيب بوجهين احدهما
ان خص النخل بافراده بعد دخوله في جملة ساير الشجر تنبيها على انفراده
عنها بفضله عليها الثاني ان يريد بالجنات غيرها من الشجر لان اللفظ يصلح
لذلك ثم يعطف عليها النخل ولما ذكر ما انعم الله تعالى به عليهم اتبعه افعالهم
الخبيثة بقوله وتنحتون اي والحال انكم تنحتون اظهارا للقدرة من الجبال
بيوتا وقرا ورش وابو عمرو وحفص بضم البا والباقون بكسرها وقرا فارهين ابن
عامر والكوفيون بالف بعد الفا اي حاذقين وقرا الباقون بغير الف اي بطرين
اي لحاجتكم الى شي من ذلك فاتقوا اي فتسبب عن ذلك اني اقول لكم
اتقوا الله الذي له جميع العظمة بان تجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية
باتباع اوامره واجتناب نواهيه واطيعون اي في كل ما امركم به عنه
فاني لا امركم الا بما يصلحكم ولا تطيعوا امر المسرفين الذين اي المجاوزين
للحدود وقال ابن عباس المشركين وقال مقاتل هم التسعة الذين
عقروا الناقة تنبيه قد استعير الطاعة التي هي انقياد للامر لامتثال
الامر وجعل الامر مطاعا على المجاز الحكمي والمراد الامر ومنه قولهم لك علي امرة
مطاعة وقوله تعالى واطيعوا امري ثم وصف المسرفين بما بين سرفهم
بقوله الذين يفسدون في الارض اي بالمعاصي ولا يصلحون اي ولا يطيعون الله
فيما امرهم به فان قيل ما فايدة ولا يصلحون بعد قوله ولا يفسدون اجيب
بان في ذلك دلالة على خلوص فسادهم فليس فيه شي من الصلاح كما يكون
حال بعض المفسدين مخلوطا ببعض الصلاح ولما عجزوا عن الطعن في شي
مما دعاهم اليه عدلوا الى التخييل على عقول الضعفا بان قالوا انما انت من المسحرين
قال مجاهد وقتادة من المسحورين المخدوعين اي ممن سحر مرة بعد مرة اي
حتى غلب على عقله وقال الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس اي من المخلوقين
المعللين بالطعام والشراب ولست بملك وعلى هذا فيكون قولهم
ما انت الا بشر مثلنا تاكيدا له قيل المسحر هو المخلوق تلفيقا بحيلة
اي فما وجه خصوصيتك عنا بالرسالة فات باية اي علامة تدل
على صدقك ان كنت من الصادقين اي الراسخين في الصدق فقال لهم صالح

ما تريدون قال لو اريد ناقة عشرا تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا فقعد صالح
يتفكر فقال له جبريل صل ركعتين وسل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة
وبركت بين ايديهم ونتجت سقبا مثلها في العظم وعن ابي موسى رايت مصدرها
فاذا هو ستون ذراعا فلما راوها قال لهم صالح هذه ناقة اخرجها ربي
من الصخرة كما اقترحتم لها شرب اي نصيب من الماء في يوم معلوم ولكم
شرب اي نصيب من الماء في يوم معلوم لا زحام بينكم وبينها
وعن قتادة اذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله ولا تشرب في يومهم ماء
ولا تمسوها بسوء كضرب وعقر ثم خوفهم بما يتسبب عن عصيانهم بقوله
فياخذكم اي يهلككم عذاب يوم عظيم بسبب ما حل فيه من العذاب
فهو ابلغ من وصف العذاب بالعظم واشار الى سرعة عصيانهم بفاء التعقيب
بقوله فعقروها اي قتلوها بضرب ساقها بالسيف واسند العقر الى كلهم
لان عاقرها انما عقرها برضاهم فكانهم فعلوا ذلك فاصبحوا اي فتسبب
عن عقرهم لها انهم اصبحوا حين راوا مخايل العذاب نادمين على عقرها
من حيث انه يفضي الى الهلاك لا من حيث انه معصية الله ورسوله
وليس على وجه التوبة او كان ذلك عند رؤية الباس فلم ينفعهم فاخذهم
العذاب اي العذاب الموعود على عقرها ان في ذلك اي ما تقدم في هذه
القصة من الغرايب لاية اي دلالة عظيمة على صحة ما امروا به عن الله
تعالى وما اي والحال انه مع ذلك ما كان اكثرهم بل ايسرهم واعلى ماهم
عليه وان ربك اي المحسن اليك باحسن الاخلاق لهو العزيز اي فلا يخرج
شيء عن قبضته وارادته الرحيم اي في كونه لم يهلك احدا حتى يرسل اليهم
رسولا فيبين لهم ما يرضيه الله تعالى وما يسخطه ثم اتبع قصة صالح عليه
السلام قصة لوط عليه السلام وهي القصة السادسة فقال تعالى
كذبت اي داب من تقدم كانهم تواصوا به قوم لوط المرسلين اي لان من
كذب رسولا كما مضى فقد كذب الكل لاستوائهم في الضلال بقوله تعالى
اذ اي حين قال لهم اخوهم اي في البلد لا في الدين ولا في النسب لانه
ابن اخي ابراهيم عليه السلام وهما من بلاد الشرق من ارض بابل وكانه عبر
بالاخوة لاختياره لمجاورتهم ومناسبتهم بمصاهرتهم واقامته بينهم
في مدة مديدة وسنين عديدة واتيانه بالاولاد من نسائهم
مع موافقته لهم في انه قروي ثم بينه بقوله تعالى لوط بصيغة العرض
كغيره ممن تقدم الا تتقون الله فتجعلون بينكم وبين سخطه وقاية ثم علل
ذلك بقوله اني لكم اي خاصة رسول فلا يسعني المخالفة امين لا غش
عندي ولا خيانة ثم سبب عن ذلك قوله فاتقوا الله اي الملك العظيم
فانه قادر على ما يريد فلا تعصوه واطيعون اي لان طاعتي سبب نجاتكم

اني

اني لا امركم الا بما يرتضيه ولا انهاكم الا عما يبغضه ثم نفى عن نفسه ما قد يتوهم
كما تقدم لغيره بقوله وما اسالكم عليه اي الدعا الى الله تعالى من اجر اي
فتتهموني بسببه ان اي ما اجري الا على رب العالمين اي المحسن اليكم
بايجادكم ثم بتربيتكم ثم وبخهم ووعظهم بقوله اتاتون الذكران وقوله من
العالمين يحتمل عوده الى الاتي اي انتم من جملة العالمين مخصوصون بهذه
الصفة اي اتيان الذكور لم يفعل هذا الفعل غيركم من الناكحين من الخلق
ويحتمل عوده الى الماتي اي انتم اخترتم الذكران من العالمين لا الاناث
منهم وعلى هذا يحتمل ايضا ان يراد الذكران من الادميين ومن غيرهم تو غلا
في الشر وتجاهرا بالتهتك قاله البقاعي وان يراد الادميون فقط وجرى
عليه البغوي واكثر المفسرين اي تريدون الذكران من اولاد ادم مع كثرة
الاناث وغلبتهن وتذرون اي تتركون لهذا الغرض ما خلق لكم
ربكم اي المحسن اليكم وقوله من ازواجكم يصلح ان يكون تبيينا اي وهن
الاناث وان يكون للتبعيض ويكون المخلوق لذلك هو القبل وكانوا يفعلون
مثل ذلك بنسائهم ثم كانهم قالوا نحن لم نترك نساءنا اصلا ورأسا وان
كانوا قد فهموا ان مراده تركهن حال الفعل في الذكور ثم لما كان مضربا عن مقالهم
لما اراد وابو حيث عن الحق وعاديا في الفجور بل انتم قوم عادون اي متجاوزون
عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات او مفرطون في المعاصي
وهذا من جملة ذلك او احقاء بان توصفوا بالعدوان لارتكابهم هذه الجريمة
ولما اتضح الحق عندهم وعرفوا ان لا وجه لهم في ذلك وانقطعت حجتهم
قالوا مقسمين لئن لم تنته وسموه باسمه جفاء وغلظة بقوله يا لوط اي
عن مثل انكارك هذا علينا لتكونن من المخرجين اي ممن اخرجناه من بلدنا على
وجه فظيع من تعسف واحتباس املاك كما هو حال الظلمة اذا اجلوا بعض
من يغضبون عليه وكما كان يفعل اهل مكة بمن يريد المهاجرة وفي هذا اشارة
الى انه غريب عندهم وان عادتهم المستمرة نفي من اعترض عليهم قال
مجيبا لهم اني مؤكدا المضمون ما ياتي به لعملكم من القالين اي المبغضين
غاية البغض لا اقف على الانكار عليه بالايعاد تنبيه قوله من القالين ابلغ
من ان يقول اني لعملكم قال كما تقول فلان من العلماء فيكون ابلغ من قولك فلان
عالم لانك تشهد له بكونه معدودا في زمرتهم ومعروفة مساهمته لهم في
العلم والقلا البغض الشديد كان البغض يقلي الفؤاد والكبد والقالي المبغض
كما قال القايل فوالله ما فارقتكم قاليا لكم ولكن ما يقضى فسوف يكون ثم انه
عليه السلام دعا الى الله تعالى بقوله رب نجني واهلي وقوله مما يعملون
يحتمل ان يريد من عقوبة عملهم قال الزمخشري وهو الظاهر ويحتمل
ان يريد بالتنجية العصمة ثم ان الله تعالى قبل دعاه كما قال تعالى

ابلغ من

فنجيناه واهله بما عذبناهم به من اخراجنا له من بلدهم حين استحقاقهم له ولم نوخره عنهم الى حين خروجهم الا لاجله واكد بقوله تعالى اجمعين اشارة الى انه نجى اهل بيته ومن تبعه على دينه ثم استثنى تعالى من اهل بيته فقوله تعالى الا عجوزا وهي امراته كائنة في حكم الغابرين اي الماكثين الذين تلحقهم الغبرة بما يكون من الداهية فانا لم ننجها لقضائنا بذلك في الازل لكونها لم تتابعه في الدنيا ولم تخرج معه وكانت مائلة الى القوم راضية بفعلهم وقيل انها خرجت فاصابها حجر في الطريق فاهلكها فان قيل كان قوله مومنين ولولا ذلك لما طلب لهم النجاة فكيف استثنى الكافرة منهم اجيب بان الاستثنا انما وقع من اهل بيته كما مرت الاشارة اليه وفي هذا الاسم لها معهم شركة بحق الزواج وان لم تشاركهم في الايمان فان قيل في الغابرين صفة لها كانه قيل الا عجوزا غابرة ولم يكن الغبور صفتها وقت تنجيتهم اجيب بان معناه الا عجوزا مقدرا غبورها او في حكمهم كما مرت الاشارة اليه ثم دمرنا اي اهلكنا الاخرين اي الموخرين عن اتباع لوط وفي التعبير بلفظ الاخرين اشارة الى تاخرهم من كل وجه ثم لما كان المراد بقوله تعالى دمرنا حكما بتدميرهم عطف عليه قوله تعالى وامطرنا عليهم مطرا قال وهب بن منبه الكبريت والنار وقال قتادة امطر الله على شذاذ القوم حجارة من السما فاهلكتهم فسا مطر المنذرين اللام فيه للجنس حتى يصح وقوع المضاف الى المنذرين فاعل سا وذلك لان فاعل فعل الذم او المدح يجب ان يكون معرفا بلام الجنس ليحصل الابهام المقصود ثم التفصيل ولا ياتي ذلك في لام العهد والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم ان في ذلك اي انجا لوط ومن معه واهلاك هولا الكفار الفجار لاية اي دلالة عظيمة على صدق الرسل في جميع ترغيبهم وترهيبهم ولما كان من اتى بعد هذه الامم كقريش ومن تقدمهم قد علموا اخبارهم وضموا الى تلك الاخبار نظر الديار والتوسم في الاثار قال متعجبا من حالهم في ضلالهم وما اي والحال انه كان اكثرهم مومنين بما وقع لهاولا وان ربك لهو العزيز اي في بطشه لاعدائه الرحيم بلطفه باوليائه ثم اتبع قصة لوط عليه السلام بقصة شعيب عليه السلام وهي القصة السابعة فقال تعالى كذب اصحاب الايكة اي الغيضة ذات الارض الجيدة التي تبتلع الماء تنبت الشجر الكثير الملتف المرسلين لتكذيبهم شعيبا عليه السلام فيما اتى به من المعجزة المساوية في خرق العادة وعجز المتحدين بها عن مقاومتها لبقية المعجزات الاتي بها الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقرا نافع وابن كثير وابن عامر ليكة بلام مفتوحة من غير الف وصل ولا الف قبلها وفتح تا التانيث والباقون باسكان اللام وقبلها وصل وبعد اللام همزة مفتوحة بعدها يا ساكنة وخفض تا التانيث قال

ابو عبيدة

ابو عبيدة وجدنا في بعض التفاسير الفرق بين ليكة والايكة فقيل ليكة اسم للقرية التي كانوا فيها والايكة البلاد كلها فصار الفرق بينهما شبيها بما بين مكة وبكة ثم بين تعالى وقت تكذيبهم بقوله تعالى اذ اي حين قال لهم شعيب برفق وتلطف الا تتقون اي الله الذي تفضل عليكم بنعمه ولم يقل اخوهم شعيب لانه لم يكن من اهل الايكة في النسب لانهم كانوا اهل بدو وكان عليه السلام قرويا لان الله تعالى لم يرسل نبيا الا من اهل القرى تشريفا لهم لان البركة والحكمة في الاجتماع ولذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التعرب بعد الهجرة وقال من يرد الله به خيرا ينقله من البادية الى الحاضرة ولما ذكر مدين قال اخاهم شعيبا لانه كان منهم وكان الله تعالى بعثه الى قومه اهل مدين والى اصحاب الايكة ثم اكد ما قاله بقوله اني واشار الى تبشيرهم ان اطاعوه بقوله لكم رسول اي من عند الله فهو امرني ان اقول لكم هذا امين اي لا خيانة عندي ولا غش فلذلك ابلغ جميع ما ارسلت به ولذلك تسبب عنه قوله فاتقوا الله اي المحسن اليكم بهذه النعمة وغيرها واطيعون لما سبق من نصحي لكم ثم ذكر ما ذكر من تقدمه من الانبياء من نفي ما يتوهم ان لهم رغبة في اجرة على دعائهم فقال وما اسالكم عليه اي دعائي لكم الى الايمان بالله تعالى من اجر ثم زاد في البراءة من الطمع في احد من الخلق بقوله ان اي ما اجري الا على رب العالمين اي المحسن الى الخلائق كلهم فانا لا ارجو احدا سواه ثم نصحهم بقوله اوفوا الكيل اي اتموه اتماما لا شبهة فيه اذا كلتم كما توفونه اذا اكتلتم ولا تكونوا من المخسرين اي الناقصين لحقوق الناس في الكيل والوزن كما قال تعالى ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون اي الكيل واذا كالوهم اي كالوا لهم او وزنوهم او وزنوا لهم يخسرون ينقصون الكيل او الوزن وزنوا اي لانفسكم ولغيركم بالقسطاس اي الميزان الاقوم واكد معناه بقوله المستقيم وقيل هو بالرومية العدل وقرا حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف والباقون بالضم تنبيه الكيل على ثلاثة اضرب واف وطفيف وزائد فامر بالواجب الذي هو الايفا بقوله تعالى اوفوا الكيل ونهى عن المحرم الذي هو التطفيف بقوله تعالى ولا تكونوا من المخسرين ولم يذكر الزائد لانه ان فعله فقد احسن وان لم يفعله فلا اثم عليه والوزن في ذلك كالكيل ولهذا عممه في النهي عن النقص بقوله ولا تبخسوا اي تنقصوا الناس اشياءهم اي في كيل او وزن او غير ذلك ثم اتبع ذلك بما هو اعم منه بقوله ولا تعثوا اي تنتشروا في الارض من غير تامل حال كونكم مفسدين اي في المال او غيره كقطع الطريق ثم خوفهم بعد ان وعظهم ونهاهم عن الفساد من سطوة

فوا

الجبار ما احل بمن هو اعظم منهم بقوله **واتقوا الذي خلقكم** اي من نطفة فاعدامكم
اهون شيء عليه واشار الي ضعفهم وقوة من كان قبلهم بقوله **والجبلة** اي الجماعة
والامم **الاولين** الذين كانوا علي خلقة وطبيعة عظيمة كانها الجبال قوة وصلابة
لاسيما قوم هود الذين بلغت بهم الشدة حتي قالوا من اشد منا قوة وقد
اخذهم الله تعالي اخذ عزيز مقتدر ثم انهم اجابوه بالقدح في الرسالة
اولا وباستصغار الوعيد ثانيا بان **قالوا انما انت من المسحرين** اي الذين كرر سحرهم
مرة بعد اخري حتي خلوا فصار كلامهم علي غير نظام او من المعللين له
بالطعام والشراب كما في مضي في صالح عليه السلام اي فانت بعيد عن
الصلاحية للرسالة ثم اشاروا الي عدم صلاحية البشر لها مطلقا ولو
كانوا افضل الناس بقولهم **وما انت الا بشر مثلنا** اي فلا وجه لتخصيصك
عنا بذلك واتوا بالواو للدلالة علي انه جامع بين وصفين منافيين
مبالغة في تكذيبه ولهذا قالوا **وان نظنك لمن الكاذبين** اي في دعواك تنبيه
مذهب البصريين ان هذه هي المخففة من الثقيلة اي وانا نظنك والذي
يقتضيه السياق ترجيح مذهب الكوفيين هنا في ان ان نافية فانهم ارادوا
باثبات الواو في وما انت المبالغة في نفي ارساله بتعداد ما ينافيه فيكون
مرادهم انه ليس لناظن يتوجه الي غير الكذب وهو ابلغ من اثبات الظن به
ثم ان شعيبا عليه السلام كان يوعدهم بالعذاب ان لم يؤمنوا فقالوا **فاسقط
علينا كسفا** اي قطعا **من السما** اي السحاب او الحقيقة **ان كنت من
الصادقين** اي العريقين في الصدق المشهورين فيما بين اهله لنصدقك
فيما لزم من امرك لنا باتخاذ الوقاية من العذاب تنبيه انظر الي حسن
نظر شعيب كيف هددهم بما الله عليه من القدرة في خلقهم وخلق من
كانوا اشد منهم قوة واهلاكهم بانواع العذاب لما عصوه بتكذيب رسلهم
وقرا حفص بفتح السين والباقون بالسكون وهنا همزتان مكسورتان
فقالون والبزي يسهل الهمزة الاولي مع المد والقصر واسقطها ابو عمرو
مع المد والقصر وسهل ورش وقنبل الثانية ولهم ايضا ابدالها الفا
مع تحقيق الاولي والباقون بتحقيق الاولي والثانية **قال** لهم شعيب **ربي
اعلم بما تعملون** فيجازيكم به فان شاء عجل لكم العذاب وان شاء اخره الي
اجل معلوم واما انا فليس علي الا البلاغ وانا مامور به فلم اخوفكم من
نفسي ولا ادعيت قدرة علي عذابكم فطلبكم ذلك مني مضموم الي
ظلمكم بالتكذيب **فكذبوه** اي استمروا علي تكذيبه **فاخذهم** اي فتسبب
عن تكذيبهم ان اخذهم **عذاب يوم الظلة** وهي سحابة علي نحو ما طلبوا من
قطع السما يروي ان الله تعالي حبس عنهم الريح سبعا وسلط عليهم
الرمد وهو شدة الحر مع سكون الريح فاخذ بانفاسهم لا ينفعهم

ظل ولاما ولا شرب فاضطروا الي ان خرجوا الي البرية فاظلتهم سحابة وجدوا لها
بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا وروي ان شعيبا
بعث الي امتين اصحاب مدين واصحاب الايكة فاهلكت مدين بصيحة جبريل واصحاب
الايكة بعذاب يوم الظلة **انه كان عذاب يوم عظيم** وقد منا ان تعظيم اليوم ابلغ من
تعظيم العذاب **ان في ذلك** اي الامر العظيم من الانجا المطرد لكل رسول
ومن اطاعه والاخذ المطرد لمن عصاه في كل عصر بكل قطر بحيث لا يشذ من
الفريقين انسان قاص ولا دان **لاية** اي دلالة واضحة عظيمة علي صدق
الرسل وان يكونوا جديرين بتصديق العباد لهم في جميع ما قالوا من البشاير
والنذاير بان الله تعالي يهلك من عصاه وينجي من والاه لانه الفاعل المختار
وما كان اكثرهم اي اكثر قومك كما كان من قبلهم **مؤمنين** مع انك قد اتيت
قومك بما لا يكون معه شك لو لم يكن لهم بك معرفة قبل ذلك فكيف وهم
عارفون بانك كنت قبل الرسالة اصدقهم لهجة واعظمهم امانة
واغزرهم عقلا واعلاهم همة وابعدهم عن كل ذي دنس **وان ربك** اي
المحسن اليك بكل ما يعلي شانك ويوضح برهانك **لهو العزيز** فلا يعجزه
احد **الرحيم** بالامهال لكي يؤمنوا او احد من ذريتهم هذا اخر القصص
السبع المذكورة علي سبيل الاختصار تسلية لرسول الله صلي الله
عليه وسلم وتهديدا للمكذبين فان قيل كيف كرر في هذه السورة في
اول كل قصة واخرها ما كرر اجيب بان كل قصة منها تنزيل
براسه وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها فكانت كل واحدة منها تدلي بحق
في ان يفتتح بما افتتحت صاحبتها وان تختتم بما اختتمت به ولان في
التكرير تقريرا للمعاني في الانفس وتثبيتا لها في الصدور الا تري انه
لا طريق الي تحفظ العلوم الا ترديد ما يراد تحفظه منها وكلما زاد ترديده
كان امكن في القلب وارسخ في الفهم واثبت للذكر وابعد من النسيان ولان
هذه القصص طرقت بها اذان وقر عن الانصات للحق وقلوب غلف عن
تدبره فكوثرت بالوعظ والتذكير ورجعت بالتكرير والترديد لعل ذلك
يفتح اذنا او يفتق ذهنا او يصقل عقلا طال عهده بالصقل او يجلو
فهما قد غطي عليه تراكم الصدا وفي ذلك دلالة علي ان البعثة مقصورة
علي الدعا الي معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو الي ثوابه ويبعده
عن عقابه وان الانبيا متفقون علي ذلك وان اختلفوا في بعض التفاريع
مبرؤون عن المطامع الدنية والاعراض الدنيوية ولما ذكر تعالي قصص
الانبيا عليهم السلام اتبعه بما يدل علي نبوته صلي الله عليه وسلم بقوله
تعالي **وانه** اي الذكر الذي اتاهم بهذه الاخبار وهم عنه معرضون وهم
له تاركون **لتنزيل رب العالمين** اي الذي رباهم بشمول علمه وعظيم

قد برتبه بما يعجز عن امثل شي منه غيره نزل به اي نجوما على سبيل التدريج من
الافق الاعلي الذي هو محل البركات وعبر عن جبريل بقوله الروح دلالة
على انه مادة خير وان الارواح تحيي بما ينزله من الهدي وقال تعالى
الامين اشارة الي كونه عليه السلام معصوما من كل دنس فلا يمكن منه
خيانة على قلبك يا اشرف الرسل ففي هذا تقرير لحقيقة تلك القصص
وتنبيه علي اعجاز القرآن ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم وان الاخبار
عنها ممن لم يتعلمها لا يكون الا وحيا من الله تعالى وقرا نافع وابن كثير وابو
عمرو وحفص بتخفيف الزاي والروح الامين برفعهما والباقون بتشديد
الزاي والروح الامين بنصبهما فان قيل لم قال على قلبك وهو انما نزل
عليه اجيب بانه ذكر ليوكد ان ذلك المنزل محفوظ والرسول متمكن
من قلبه لا يجوز عليه التغير ولان القلب هو المخاطب في الحقيقة لانه موضع
التمييز والاختيار واما سائر الاعضاء فمسخرة له ويدل على ذلك الكتاب والسنة
والمعقول فمن الكتاب قوله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك واستحقاق
الجزاء ليس الا على ما في القلب قال الله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في
ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم
الا وان في الجسد مضغة اذا اصلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد
الجسد كله الا وهي القلب ومن المعقول ان القلب اذا غشي عليه
وقطع سائر الاعضاء لم يحصل به الشعور واذا افاق القلب شعر بجميع ما
ينزل بالاعضاء من الافات واذا فرح القلب او حزن تغير حال الاعضاء عند
ذلك ولان المعاني الروحانية انما تنزل اولا على الروح ثم تنتقل منه الي
القلب لما بينهما من التعلق ثم تتصعد منه الي الدماغ فتنتقش بها الروح
المخيلة ولما كان السياق في هذه السورة للتحذير قال تعالى معللا للجملة
التي قبله لتكون من المنذرين اي المخوفين المحذرين لمن اعرض عن الايمان
وفعل ما نهي عنه من المعاصي وقوله تعالى بلسان عربي يجوز ان يتعلق
بالمنذرين فيكون المعنى لتكون من الذين انذروا بهذا اللسان وهم خمسة
هود وصالح وشعيب واسماعيل ومحمد صلى الله عليه وسلم ويجوز ان
يتعلق بنزل فيكون المعنى نزله باللسان العربي لينذر به لانه لو نزله
باللسان الاعجمي لتجافوا عنه اصلا ولقالوا ما نصنع بما لا نفهم
فيتعذر الانذار به قال ابن عباس بلسان قريش ليفهموا ما فيه
ولما كان في العربي ما قد يشكل على بعض العرب قال تعالى مبين اي
بين في نفسه كاشف لما يراد منه ليس تاركا لبسا عند من تدبره
على ما يتعارفه العرب في مخاطباتها من سائر لغاتها بحقائقها ومجازاتها
على اتساع اراداتها وتباعد مراميها في محاوراتها وحسن مقاصدها

في كناياتها

في كناياتها واستعاراتها ومن يحيط بذلك حق الاحاطة غير العليم الحكيم الخبير
البصير ولما كان الاستكثار من الادلة مما يسكن النفوس وتطمئن به القلوب قال
تعالى وانه اي هذا القرآن اصوله وكثير من قصصه وامهات فروعه لفي زبر
اي كتب الاولين كالتوراة والانجيل وقيل وانه اي محمدا ونعته لفي كتب
الاولين اولم يكن لهم اي لكفار مكة ذلك آية اي على صحة القرآن او نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم وقرأ ابن عامر بالتاء الفوقية ورفع آية على انها الاسم والخبر
لهم والباقون بالياء التحتية ونصب آية على انها خبر وقوله تعالى ان يعلمه
اي هذا الذي يأتي به نبينا من عندنا وهو اسمها علماء بني اسرائيل اي يعرفونه
بنعته المذكور في كتبهم والمعني اولم يكن لهؤلاء المنكرين علم بني اسرائيل
علامة ودلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لان العلماء الذين كانوا من
بني اسرائيل كانوا يخبرون بوجود ذكره في كتبهم كعبد الله بن سلام
وابن يامين وثعلبة واسد واسيد قال الله تعالى واذا يتلى عليهم
قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين قال ابن عباس
بعث اهل مكة الى اليهود بالمدينة فسألوهم عن محمد صلى الله عليه وسلم
فقالوا ان هذا لزمانه وانا نجد في التوراة نعته وصفته فكان ذلك آية
على صدقه فائدة خط في المصحف علماء بواو قبل الالف على لغة من يميل
الالف الى الواو وعلى هذه اللغة كتبت الصلوة والزكوة والربا قال الله تعالى
ولو نزلناه اي القرآن على ما هو عليه من الحكمة والاعجاز على بعض الاعجمين اي
على رجل ليس بعربي اللسان او بلغة العجم فقرأه عليهم اي كفار مكة
ما كانوا به مؤمنين لفرط عنادهم واستكبارهم او لعدم فهمهم واستنكافهم
من اتباع العجم وقالوا ما نفقه قولك وجعلوه عذرا لجحودهم ونظيره ولو
جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته الآية تنبيه الاعجمين
جمع اعجمي بالنسب على التخفيف بحذف ياء من الجمع ولكونه جمع اعجمي جمع
سلامة لانه حينئذ ليس من باب افعل فعلاء بخلاف ما لو كان جمع اعجم
فان مؤنثه عجماء بوزن افعل فعلاء وهو عند البصريين لا يجمع هذا الجمع الا
لضرورة كقوله حلائل اسودينا واحمرينا وقال ابن عطية جمع اعجم يقال
الاعجمون جمع اعجم وهو الذي لا يفصح وان كان عربي النسب يقال له اعجم وذلك
يقال للحيوانات ومنه قوله صلى الله عليه وسلم جرح العجماء جبار واسند
الطبري عن عبد الله بن مطيع انه كان واقفا بعرفة وتحته جمل فقال جملي
هذا اعجم ولو انه انزل عليه ما كانوا يؤمنون ولما كان ذلك محل عجب وكان
ربما ظن انه ان الامر على خلاف حقيقته قرر مضمونه وحققه بقوله تعالى
كذلك اي مثل ادخالنا التكذيب به بقراءة الاعجم سلكناه قال ابن
عباس والحسن ومجاهد ادخلنا الشرك والتكذيب في قلوب المجرمين اي

كنا رمكة بقراءة النبي صلى الله عليه وسلم وهذا يدل على ان الكل بقضا الله وقدره
وقيل الضمير في سلكناه عايد الى القران قال ابن عادل وهو الظاهر
اي سلكناه في قلوب المجرمين كما سلكناه في قلوب المومنين ومع ذلك لم يجع
فيهم وفي جملة لا يومنون به وجهان احدهما الاستيناف على جهة البيان
والايضاح لما قبله والثاني انه حال من الضمير في سلكناه اي سلكناه غير
مومن به اي من اجل ما جبلوا عليه من الاجرام وجبل على قلوبهم من الطبع
والختام حتى يروا العذاب الاليم اي الملجي للايمان فحينئذ يومنون حيث
لا ينفعهم الايمان ويطلبون الامان حيث لا امان ولما كان اتيان الشر فجاءة
اشد قال تعالى فياتيهم بغتة وهم لا يشعرون باتيانه فيقولوا اي تاسفا
واستسلاما وتلهفا في تلك الحالة لعلمهم بانه لا طاقة لهم بوجه هـ
هل نحن منظرون اي مفسوح لنا في آجالنا فنسمع ونطيع فان قيل
ما معنى التعقيب في فياتيهم بغتة فيقولوا اجيب بانه ليس المعنى
ترادف رؤية العذاب ومفاجاته وسوال النظرة فيه في الوجود وانما
المعنى ترتيبها في الشدة كانه قيل لا يومنون بالقران حتى تكون رؤيتهم
للعذاب فما هو اشد منها وهو سوالهم النظرة مثال ذلك ان
تقول لمن تعظه ان اسات مقتك الصالحون فمقتك الله فانك لا تقصد
بهذا الترتيب ان مقت الله يوجد عقب مقت الصالحين وانما قصدك
الى ترتيب شدة الامر على المسي فانه يحصل له بسبب الاساءة مقت
الصالحين فما هو اشد من مقتهم وهو مقت الله وترى ثم تقع في هذا الاسلوب
فيحل موقعه ولما اوعدهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعذاب قالوا الى متى
موعدنا بالعذاب ومتى هذا العذاب قال الله تعالى افبعذابنا وقد تبين لهم
كيف اخذ الامم الماضية والقرون الخالية والاقوام العاتية يستعجلون
اي بقولهم امطر علينا حجارة اسقط علينا كسفا من السما ونحو ذلك
افرايت ان متعناهم اي ملت ان الامر كما يعتقدون من طول عيشهم في النعيم
فاخبرني سنين ثم جاءهم اي في الدنيا برغد العيش وصافي الحياة ما كانوا
يوعدون اي بعد ذلك السنين المتطاولة والدهور المتواصلة ما اغنى عنهم
فيما ياخذهم من العذاب ما اي اي شي اغنى عنهم اي ما اخذهم
من العذاب ما كانوا يمتعون وقع العذاب او تخفيفه اي لم يغن عنهم
طول التمتع شيا ويكونون كانهم لم يكونوا في نعيم قط وعن ميمون بن مهران
انه لقي الحسن في الطواف وكان يتمنى لقاه فقال له عظني فلم يزد على
تلاوة هذه الاية فقال له ميمون لقد وعظت فابلغت وما اهلكنا من قرية اي
من القرى السالفة بعذاب الاستيصال الا لها منذرون رسولهم
ومن تبعه من امته ومن سمعوا من الرسل باخبارهم مع اممهم من قبل

ثم علل الانذار بقوله تعالى ذكرى تنبيها عظيما على ما فيه النجاة او جعل المنذر
نفس الذكرى كما قال تعالى قد انزلنا اليكم ذكرا رسولا وذلك اشارة
الى امعانهم في التذكير حتى صاروا اياه وما كنا ظالمين اي في اهلاك شي
منها لانهم كفروا نعمتنا وعبدوا غيرنا بعد الاعذار اليهم ومتابعة الحجج
ومواصلة الوعيد تنبيه الواو في وما كنا والحال من نون اهلكنا
فان قيل كيف عزلت الواو عن الجملة بعد الا ولم تعزل عنها في قوله
وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم اجيب بان الاصل
عزل الواو ولان الجملة صفة لقرية واذا زيدت فلتاكيد وصل الصفة
بالموصوف كما في قوله تعالى سبعة وثامنهم كلبهم ولما كان الكفرة يقولون
ان محمدا كاهن وما يتنزل عليه من جنس ما تتنزل به الشياطين اكذبهم
سبحانه وتعالى بقوله تعالى وما تنزلت به الشياطين اي ليكون سحرا
او كهانة او شعرا او اضغاث احلام كما يقولون وما ينبغي لهم اي ما يصح
لهم ان ينزلوه وما يستطيعون اي التنزل له وان اشتدت معالجتهم
على تقدير ان يكون لهم قابلين لذلك ثم علل هذا بقوله تعالى انهم عن
السمع اي لكلام الملائكة لمعزولون اي محجوبون بالشهب ولما كان
القران داعيا الى الله تعالى ناهيا عن عبادة غيره تسبب عن ذلك ان تكون
فلا تدع مع الله [٢] من القادر على ما يريد بايسر امر واسهله وهذا خطاب
لنبيه صلى الله عليه وسلم والمراد غيره لانه معصوم من ذلك قال
ابن عباس يحذر به غيره يقول انت اكرم الخلق لدي واعزهم علي ولو اتخذت
الها غيري لعذبتك فيكون الوعيد ازجر له ويكون هو له اقبل روى محمد بن
اسحق بسنده عن علي رضي الله عنه قال لما نزل على النبي صلى الله عليه
وسلم وانذر عشيرتك الاقربين دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا علي ان الله امرني ان انذر عشيرتي الاقربين فضقت بذلك ذرعا
وعرفت اني متى اناديهم بهذا الامر ارى منهم ما اكره فصمت عليها
حتى جاءني جبريل فقال يا محمد انك لا تفعل ما تومر يعذبك ربك فاصنع
لي صاعا من طعام واجعل عليه رجل شاة واملا لنا عسا من لبن ثم اجمع
لي بني عبد المطلب ثم ابلغهم ما امرت به ففعلت ما امرني به ثم دعوتهم له وهم
يومئذ اربعون رجلا يزيدون رجلا او ينقصونه فيهم اعمامه ابو طالب
وحمزة والعباس وابو لهب فلما اجتمعوا دعاني بالطعام الذي صنعت
فجئت به فلما وضعته تناول صلى الله عليه وسلم جذبة من اللحم فشقها
باسنانه ثم القاها في نواحي الصحفة ثم قال خذوا بسم الله
فاكل القوم حتى ما لهم بشي من حاجة وايم الله ان كان الرجل الواحد منهم
لياكل مثل ما قدمت لجميعهم ثم قال اسق القوم فجئتهم بذلك العس

[٢] اي الذي جمع هذه الصفات
الها آخر فتكون من المعذبين

فشربوا حتى رووا جميعا وايم الله ان كان الرجل الواحد منهم يشرب مثله
فلما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكلمهم بدره ابو لهب فقال
سحركم صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال الغد يا علي ان هذا الرجل قد سبقني الى ما سمعت من القول فتفرق
القوم قبل ان اكلمهم فعد لنا من الطعام مثل ما صنعت ثم اجمعهم ففعلت
ثم جمعتهم ثم دعاني بالطعام فقربته ففعل كما فعل بالامس فاكلوا وشربوا ثم تكلم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا بني عبد المطلب اني قد جيتكم
بخير الدنيا والاخرة وقد امرني الله ان ادعوكم اليه فايكم يوازرني على امري
ويكون اخي ووصيي وخليفتي منكم فاحجم القوم عنها جميعا فقلت وانا
احدثهم سنا انا يا نبي الله اكون وزيرك عليه قال فاخذ برقبتي ثم قال
ان هذا اخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا واطيعوا فقام القوم
يضحكون ويقولون قد امرك ان تسمع لعلي وتطيع وعن ابن عباس لما نزلت
وانذر عشيرتك الاقربين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد
الصفا فجعل ينادي يا بني فهر يا بني عدي لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل
الرجل اذا لم يستطع ان يخرج ارسل رسولا لينظر ما هو فجاء ابو لهب
وقريش فقال ارايتكم لو اخبرتكم ان خيلا بالوادي تريد ان تغير عليكم
اكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك الا صدقا قال فاني نذير لكم
بين يدي عذاب شديد قال ابو لهب تبا لك ما جمعتنا الا لهذا ثم قام
فنزلت تبت يدي اي خسرت يدي ابي لهب وتب ما اغنى عنه ماله
وما كسب وفي رواية فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد
الصفا فهتف يا صباحاه فقالوا من هذا فاجتمعوا اليه فقال ارايتكم ان
اخبرتكم ان خيلا تخرج من سفح هذا الجبل اكنتم مصدقي الى اخر ما مر وعن
ابي هريرة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انزل الله هذه
الاية قال يا معشر قريش او كلمة نحوها اشتروا انفسكم لا اغني عنكم
من الله شيا يا بني عبد مناف لا اغني عنكم من الله شيا يا عباس بن عبد
المطلب لا اغني عنك من الله شيا يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا اغني عنك من الله شيا يا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا اغني
عنك من الله شيا وروى ابو يعلى عن الزبير بن العوام ان قريشا جاءته فحذرهم
وانذرهم فسالوه ايات سليمان في الريح وداود في الجبال وعيسى في احياء
الموتى او نحو ذلك وان يسير الجبال ويفجر الانهار ويجعل الصخر ذهبا فاوحى
تعالى اليه وهم عنده فلما سري عنه اخبرهم انه اعطي ما سالوه ولكنه ان اراهم
فكفروا اعوجلوا فاختار صلى الله عليه وسلم الصبر عليهم ليدخلهم الله
باب الرحمة ولما كانت النذارة انما هي للمتولين امر بضدها لاضدادهم

بقوله تعالى **واخفض جناحك** اي لين غاية اللين وذلك ان الطائر اذا اراد ان
يرتفع رفع جناحيه واذا اراد ان ينحط كسرهما وخفضهما فجعل ذلك
مثلا في التواضع ومنه قول بعضهم

وانت الشهير بخفض الجناح ... فلا تك في رفعه اجدلا

ينهاه عن التكبر بعد التواضع **لمن اتبعك من المومنين** اي سواء كانوا من الاقر بين
ام الابعدين فان قيل المتبعون للرسول هم المومنون والمومنون هم
المتبعون للرسول فما معنى قوله لمن اتبعك من المومنين اجيب بوجهين
احدهما ان تسميتهم قبل الدخول في الايمان مومنين لمشارفتهم ذلك
الثاني ان يريد بالمومنين المصدقين بالسنتهم وهم صنفان صنف صدق
واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به وصنف ما وجد منه الا التصد بق
فقط ثم اما ان يكونوا منافقين او فاسقين والمنافق والفاسق
لا يخفض لهما الجناح فمن على هذا للتبعيض واذا اريد عموم الاتباع فهي للتبيين
واختلف في الواو في قوله تعالى **فان عصوك** على اوجه احدها انها ضمير الكفار
اي فان عصاك الكفار في امرك لهم بالتوحيد الثاني انها ضمير العشيرة
وهذا اقرب كما جرى عليه الجلال المحلي الثالث انها ضمير المومنين اي فان
عصاك المومنون في فروع الاسلام وبعض الاحكام بعد تصديقك
والايمان برسالتك وهذا كما قال ابن عادل في غاية البعد **فقل** اي تاركا
لما كنت تعاملهم به من اللين **اني بريء** اي منفصل غاية الانفصال **مما تعملون**
اي من العصيان الذي انذرته منه القران **وتوكل** اي فوض في عصمتك
ونجاتك وجميع امورك **على العزيز** اي القادر على الدفع عنك والانتقام
منهم **الرحيم** اي الذي نصرك عليهم برحمته وقرا نافع وابن عامر فتوكل
بالفاء على الابدال من جواب الشرط والباقون بالواو ثم اتبع الامر بالتوكل
الوصف المقتضي لجميع اوصاف الكمال بقوله تعالى **الذي يراك** اي
بصرا وعلما **حين تقوم** من نومك الى التهجد وقال مجاهد الذي
يراك اينما كنت وقال اكثر المفسرين كما قاله البغوي حين تقوم
الى الصلاة اي من نوم او غيره ويرى **وتقلبك** في الصلاة قائما وراكعا
وساجدا **في الساجدين** قال عكرمة عن ابن عباس اي في المصلين وقال
مقاتل مع المصلين في الجماعة يقول يراك حين تقوم وحدك للصلاة و
يراك اذا صليت مع المصلين جماعة وقال مجاهد يرى تقلب بصرك في
المصلين فانه كان يبصر من خلفه كما يبصر من امامه روى ابو هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال هل ترون قبلتي ههنا فوالله ما يخفى
علي خشوعكم ولا ركوعكم اني لاراكم من وراء ظهري وقال عطاء عن ابن
عباس اراد وتقلبك في اصلاب الانبياء من نبي الى نبي حتى اخرجتك

في مدح الامة وقيل يردد في تصفح احوال المتهجدين من اصحابك ليطلع
عليهم من حيث لا يشعرون وتستبطن سرائرهم وكيف يعبدون الله
وكيف يعملون لاخرتهم كما يحكي انه لما نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة
ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون لحرصه عليهم وعلى ما يوجد منهم
من فعل الطاعات وتكثير الحسنات فوجدها كبيوت الزنابير انه هو
اي وحده السميع اي لجميع اقوالكم العليم اي لجميع ما تسرونه وتعلنونه
من اعمالكم وشمول العلم يستلزم تمام القدرة فصار كانه قال انه السميع
البصير العليم القادر فثبتنا للتوكل عليه ولما بين سبحانه وتعالى
ان القران لا يصح ان يكون مما تنزلت به الشياطين اكد ذلك بان بين
ان محمدا صلى الله عليه وسلم لا يصح ان ينزلوا عليه من وجهين ذكرهما بقوله
تعالى هل انبئكم اي اخبركم خبرا جليا نافعا في الدين عظيم الجدوى
في الفرق بين اوليا الرحمن واوليا الشيطان على من تنزل وتردد
الشياطين حين تسترق السمع ولما كان كانه قيل نعم انبئنا اشار الى احد
الوجهين بقوله تعالى تنزل على سبيل التدريج والتردد على كل افاك اي
كذاب اثيم اي فاجر مثل مسيلمة الكذاب وغيره من الكهنة واشار الى
ثاني الوجهين بقوله تعالى يلقون السمع اي الافاكون يلقون السمع
الى الشياطين فيتلقون وحيهم اليهم او يلقون المسموع من الشياطين
الى الناس فيضمون اليها على حسب تخيلاتهم اشيا لا يطابق اكثرها
كما جاء في الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها في اذن وليه فيزيد
فيها اكثر من مائة كذبة ولا كذلك محمد صلى الله عليه وسلم فانه اخبر
عن مغيبات كثيرة لا تحصى وقد طابق كلها او يلقون المسموع من
الشياطين الى الناس فيضمون اليها ويجوز ان يعود الضمير على
الشياطين ومعنى القائهم السمع انصاتهم الى الملا الاعلى قبل ان
رجموا فيختطفون منهم بعض المغيبات ويوحونه الى اوليائهم او
يلقون الشي المسموع الى الكهنة واكثرهم اي الفريقين كاذبون
اما الشياطين فانهم يسمعونهم ما لم يسمعوا واما الافاكون فانهم يفترون
على الشياطين ما لم يوحوا اليهم فان قيل كيف قال واكثرهم كاذبون
بعد ما حكم عليهم ان كل واحد منهم افاك اجيب بان الافاكين
هم الذين يكثرون الكذب لا انهم الذين لا ينطقون الا بالكذب فاراد
ان هولاء الافاكين قل من يصدق منهم فيما يحكي عن الجني واكثرهم
مفتر عليه ولما قال الكفار لم لا يجوز ان يقال الشياطين تنزل بالقران
على محمد كما ينزلون بالكهانة على الكهنة وبالشعر على الشعراء ثم انه تعالى فرق
بين محمد عليه الصلاة والسلام وبين الكهنة هنا ما يدل على

الفرق بينه وبين الشعراء بقوله والشعراء يتبعهم الغاوون اي الضالون
المائلون عن السنن الاقوم الى كل فساد يجر الى الهلاك واتباع محمد صلى الله
عليه وسلم ليسوا كذلك بل هم الساجدون الباكون الزاهدون رضي الله
تعالى عنهم وقرا نافع بسكون التا الفوقية وفتح البا الموحدة والباقون بتشديد
الفوقية وكسر الموحدة ولما قرر حال اتباعهم علم منهم انهم هم اغوى
لتهتكهم في شهوة اللقلقة باللسان حتى حسن لهم الزور والبهتان دل
على ذلك بقوله تعالى الم تر اي تعلم انهم اي الشعراء ومثل حالهم بقوله
في كل واد من اودية القول من المدح والهجو والتشبيب والرثا
والمجون وغير ذلك يهيمون اي يسيرون سير الهائم حائرين وعن طريق
الحق حائدين كيفما جرهم القول انجروا من القدح في الانساب والتشبيب
بالحرم والهجو ومدح من لا يستحق المدح ونحو ذلك ولذلك قال
تعالى وانهم يقولون ما لا يفعلون اي لانهم لا يقصدونه وانما الجاهم اليه الفن
الذي سلكوه فاكثر اقوالهم لا حقايق لها وقيل انهم يمدحون الجود
والكرم ويحثون عليه ولا يفعلونه ويذمون البخل ويصرون
عليه ويهجون الناس بادنى شي صدر منهم تنبيه قال المفسرون
اراد شعرا الكفار وكانوا يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذكر مقاتل اسماءهم فقال منهم عبد الله بن الزبعرى السهمي
وهبيرة بن ابي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف وابو عزة
عمرو بن عبد الله الجمحي وامية ابن ابي الصلت الثقفي تكلموا بالكذب
والباطل وقالوا نحن نقول كما قال محمد وقالوا الشعر واجتمع عليهم غواة
قومهم يسمعون اشعارهم حين هجوا النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
ويروون عنهم قولهم فذلك قوله تعالى يتبعهم الغاوون وهم الرواة الذين
يروون هجا المسلمين قال قتادة هم الشياطين ثم انه تعالى لما ذكر شعرا
الكفار بهذه الاوصاف استثنى شعرا الذين كانوا يهجون شعرا الجاهلية
ويهجون الكفار وينافحون عن النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه منهم
حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك فقال تعالى
الا الذين امنوا بالله ورسوله وعملوا اي تصديقا لقولهم لايمانهم
الصالحات الذي التي شرعها الله ورسوله وذكروا الله مستحضرين
ما له من الكمال كثيرا اي لم
اي لم يشغلهم الشعر عن الذكر روي ان كعب بن مالك قال للنبي صلى الله
عليه وسلم ان الله قد انزل في الشعرا ما انزل فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ان المومن يجاهد بلسانه وسيفه والذي نفسي بيده لكانما ترمونهم
به نضح النبل وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة

النعمان ابن رواحة يمشي بين يديه وهو يقول

خلوا بني الكفار عن سبيله • اليوم نضربكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله • ويذهل الخليل عن خليله

فقال له عمر يا ابن رواحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حرم الله تقول شعرا فقال النبي صلى الله عليه وسلم خل عنه يا عمر فهي اسرع فيهم من نضح النبل وعن البراء ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم قريظة لحسان اهج المشركين فان جبريل معك وعن عايشة رضي الله تعالى عنها قالت ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اهجوا قريشا فانه اشد عليهم من رشق النبل فارسل الى ابن رواحة فقال اهجهم فلم يرض فارسل الى كعب بن مالك ثم ارسل الى حسان بن ثابت فلما دخل عليه فقال حسان قد آن لكم ان ترسلوا الى هذا الاسد ثم ادلع لسانه فجعل يحركه فقال والذي بعثك بالحق لافرينهم بلساني فري الاديم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تعجل فان ابا بكر اعلم قريش بانسابها وان لي فيهم نسبا حتى يلخص لك نسبي فاتاه حسان ثم رجع فقال يا رسول الله لقد لخص لي نسبك والذي بعثك بالحق لاسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين قالت عايشة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان ان روح القدس لا يزال يريدك ما نافحت عن الله ورسوله قالت وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هجاهم حسان فشفا واشتفا قال حسان

هجوت محمدا فاجبت عنه • وعند الله في ذاك الجزاء
هجوت محمدا برا حنيفا • رسول الله شيمته الوفاء
فان ابي ووالده وعرضي • لعرض محمد منكم وقاء
فمن يهجو رسول الله منكم • ويمدحه وينصره سواء
وجبريل رسول الله فينا • وروح القدس ليس له كفاء

وقد ورد في مدح الشعر عن ابي بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من الشعر حكمة وعن ابن عباس جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال هل معك من شعر امية بن ابي الصلت شي قال نعم قال هيه فانشد بيتا فقال هيه فانشد بيتا فقال هيه حتى انشد ماية بيت وعن جابر بن سمرة قال جالست رسول الله صلى الله عليه وسلم مايه مرة فكان اصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون شيا من امر الجاهلية فربما تبسم معهم وعن عايشة رضي الله عنها الشعر كلام فمنه حسن ومنه قبيح فخذ الحسن ودع القبيح وكان عن الشعبي كان ابو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان علي اشعر الثلاثة وعن ابن عباس

جالست م

انه كان

انه كان ينشد الشعر في المسجد ويستنشده فروي انه دعا عمر بن ابي ربيعة المخزومي واستنشده القصيدة التي قالها

امن آل نعمي انت غاد مبكر • غداة غد ام رايح متهجر

فانشد بن ربيعة القصيدة الى اخرها وهي قريبة من سبعين بيتا ثم ان ابن عباس اعاد القصيدة جميعا وكان حفظها بمرة واحدة ثم بين سبحانه وتعالى ما حمل المومنين على الشعر وهو انتصارهم من المشركين بقوله تعالى **وانتصروا** اي بهجوهم الكفار **من بعد ما ظلموا** بهجو الكفار لهم لانهم بدوا بالهجاء او عد شعر الكفار وغيرهم من المشركين بقوله تعالى **وسيعلم الذين ظلموا** بالشرك وهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم **اي منقلب** اي مرجع **ينقلبون** اي يرجعون بعد الموت قال ابن عباس الى جهنم والسعير وفي هذا تهديد شديد لما في سيعلم من الوعيد البليغ وفي الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفي اي منقلب ينقلبون من الابهام والتهويل وقد تلى ابو بكر لعمر رضي الله عنه هذه الاية حين عهد اليه اللهم اجعلنا ممن جعل هذه الاية بين عينيه فلم يغفل عنها وروي الثعلبي في تفسيره عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اعطيت السورة التي تذكر فيها البقرة من الذكر الاول واعطيت طه والطواسين من الواح موسى واعطيت فواتح القران وخواتيم السورة التي تذكر فيها البقرة من تحت العرش واعطيت المفصل نافلة وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اعطاني السبع مكان التوراة واعطاني الطواسين مكان الزبور وفضلني بالحواميم والمفصل ما قراهن نبي قبلي وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري من ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة الشعرا كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وشعيب وصالح وابراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم حديث موضوع

سورة النمل مكية

وهي ثلاث او اربع او خمس وتسعون اية والف ومايه وتسع واربعون كلمة واربعة الاف وسبعمايه وتسعة وتسعون حرفا **بسم الله** الذي كمل علمه فبهرت حكمته **الرحمن** الذي عم بالهداية باوضح بيان **الرحيم** الذي من بجنان النعيم على من اتبع الصراط المستقيم **طس** قال ابن عباس هو اسم من اسماء الله عز وجل وقد سبق الكلام في حروف الهجا وقرا حمزة والكسائي وشعبة باماله الطا والباقون بالفتح **تلك** اي هذه الايات العالية المقام البعيدة المرام

البيئة النظام ايات القران اي الكامل في قوانينه الجامع للاصول
الناشر للفروع الذي لاخلل فيه ولا فصم ولا صدع ولا وصم
وكتاب مبين اي مظهر للحق من الباطل فان قيل كيف صح ان يشار
لاثنين احدهما مونث والاخر مذكر باسم الاشارة المونث ولو قلت
تلك زيد وهند لم يجز اجيب من ثلاثة اوجه احدها ان المراد
بالكتاب هو الايات لان الكتاب عبارة عن ايات مجموعة فلما كان ناشيا
واحدا صحت الاشارة اليهما باشارة الواحد المونث الثاني انه على
حذف مضاف اي ايات كتاب مبين الثالث انه لما ولي المونث
ماتصح الاشارة به اليه اكتفي به وحسن ولو اولي المذكر لم يحسن
الا تري انك تقول جاءتني هند وزيد ولو اخرت هند لم يجز تانيث
الفعل وقرا ابن كثير بالنقل وصلا وابتداء وحمزة في الوقف لا غير
والباقون بغير نقل وقوله تعالى هدى وبشرى يجوز ان يكونا منصوبين
على المصدر بفعل مقدر من لفظهما اي يهدي هدى ويبشر بشرى
وان يكونا في موضع الحال من ايات والعامل فيهما ما في تلك من معنى الاشارة
وان يكونا خبرا بعد خبر وان يكونا خبري مبتدا مضمر اي هو هدى من
الضلالة وبشرى للمومنين اي المصدقين به بالجنة كقوله تعالى
يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان فضل ويهديهم اليه صراطا
مستقيما وهذا خص به المومنين وقيل المراد بالهدى انه دلالة وانما
وانما خصه بالمومنين لانه ذكر مع الهدى البشرى والبشرى انما تكون
للمومنين اولانهم تمسكوا به لقوله تعالى انما انت منذر من يخشاها
اولانه زيد في هداهم لقوله تعالى ويزيد الله الذين اهتدوا هدى
ولما كان وصف الايمان خفيا وصفه بما يصدقه من الامور الظاهرة بقوله
تعالى الذين يقيمون الصلاة اي يجمع حدودها الظاهرة والباطنة من المواقيت
والطهارات والشروط والاركان والخشوع والمراقبة والاحسان
اصلاحا لما بينهم وبين الخالق ويوتون الزكاة اي احسانا فيما بينهم
وبين الخلايق وهم بالاخرة هم يوقنون اي يوجدون الايقان حق الايجاد
بالاستدلال ويجددونه في كل حين بما يوجد منهم من الاقدام
على الطاعة والاحجام عن المعصية واعيد هم لما فصل بينه وبين
الخبر ولما افهم التخصيص ان ثم من يكذب بها ذكره بقوله تعالى
ان الذين لا يومنون اي يوجدون الايمان ويجددونه بالاخرة زينا اي
بعظمتنا التي لا يمكن دفاعها لهم اعمالهم اي القبيحة بتركيب الشهوة
حتى اعرضوا عن الخوف من عاقبتها مع ظهور قباحتها والاسناد اليه تعالى
حقيقي عند اهل السنة لانه الموجد الحقيقي والى الشيطان مجازي

سببي

سببي وعند المعتزلة بالعكس قال الزمخشري في تفسيره ان اسناده
الى الشيطان حقيقة واسناده الى الله عز وجل مجاز فهم اي فتسبب
عن ذلك انهم يعمهون اي يتحيرون ويترددون في اودية الضلال
ويتمادون في ذلك فهم في كل لحظة في خبط جديد بعمل غير سديد اولئك اي
البعداء البغضاء الذين لهم اي خاصة سوء العذاب اي اشده في الدنيا بالقتل
والخوف وهم في الاخرة هم الاخسرون اي اشد الناس خسارة لانهم خسروا
بلا خسارة مثله لمصيرهم الى النار المويدة عليهم ولما وصف تعالى القران
بما اقتضى بيان اهل الفوز والخسران ذكر حالة المنزل عليه وهو النبي
صلى الله عليه وسلم مخاطبا له بقوله وانك اي وانت اشرف الخلق
واعلمهم واحكمهم لتلقى القران اي لتوتاه وتلقنه يوتي اليك بشدة
من لدن اي من عند حكيم اي بالغ الحكمة فلا شي من افعاله الا وهو في غاية
الاتقان عليم اي عظيم العلم واسعه تامه شامله والجمع بينهما مع
ان العلم داخل في الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل والاشعار
بان علوم القران منها ما هو حكمة كالعقايد والشرايع ومنها ما ليس
كذلك كالقصص والاخبار عن المغيبات ثم شرع في بيان تلك العلوم
بقوله تعالى اذ قال موسى اي اذكر قصة موسى حين قال لاهله اي
زوجته بنت شعيب عليه السلام عند مسيره من مدين الى مصر
وهي القصة الاولى من قصص هذه السورة قال الزمخشري روي انه
لم يكن مع موسى عليه السلام غير امراته وقد كنى الله تعالى عنها بالاهل
فتبع ذلك ورود الخطاب على لفظ الجمع وهو قوله اني وكانا يسيران
ليلا وقد اشتبه الطريق عليهما والوقت وقت برد وفي مثل هذا الحال
تقوى النفس بمشاهدة نار من بعد لما يرجى فيها من زوال الحيرة بامر
الطريق ومن الانتفاع بالنار للاصطلاء فلذلك بشرها فقال اني
انست اي ابصرت ابصارا حصل لي به الانس وازال عني الوحشة
نارا سآتيكم منها بخبر اي عن حال الطريق وكان قد اضلها وعبر بلفظ
الجمع كما في قوله امكثوا فان قيل كيف جاء بسين التسويف اجيب
بان ذلك عدة لاهله انه ياتيهم به وان ابطا الاتيان او كانت المسافة
بعيدة فان قيل قال هنا سآتيكم منها بخبر وفي سورة الاية لعلي
اتيكم منها بخبر وهما كالمتنافيين لان احدهما ترج والاخر تيقن اجيب
بان الراجي قد يقول اذا قوي رجاؤه سافعل كذا او سيكون كذا مع تجويز
الخيبة او اتيكم بشهاب قبس اي شعلة نار في راس فتيلة او عود
قال البغوي والقبس في الطرف الاخر نار قال بعضهم الشهاب شي
ذو نور مثل العمود والعرب تسمي كل ابيض ذو نور شهابا والقبس

القطعة من النار وقرا الكوفيون بشهاب بالتنوين على ان القبس بدل منه او وصف
له لانه بمعنى المقبوس والباقون باضافة الشهاب اليه لانه يكون قبسا
وغير قبس فهو من اضافة النوع الى جنسه نحو ثوب خز اذ الشهاب شعلة
قطعة من النار والقبس قطعة منها تكون في عود او غيره كما مر فان قيل
لم جا باو دون الواو اجيب بانه بنا الرجا على انه لم يظفر بحاجتيه جميعا
لم يعدم واحدة منهما اما هداية الطريق او اقتباس النار ثقة بعادة
الله انه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده وما ادراه حين قال ذلك انه
ظافر على النار بحاجتيه الكليتين جميعا وهما العزان عز الدنيا
وعز الاخرة ثم انه عليه السلام علل اتيانه بذلك او بهما لاهله لانها
باردة بقوله **لعلكم تصطلون** اي لتكونوا في حال من يرجى ان يستدفي
بذلك من البرد والطا بدل من تا الافتعال من صلي بالنار بكسر اللام
وفتحها **فلما جاءها** اي تلك التي ظنها نارا **نودي** من قبل الله تعالى
ان بورك ان هي المفسرة لان النداء فيه معنى القول والمعنى قيل له
بورك او المصدرية اي بان بورك وقوله تعالى **من في النار** اي موسى
ومن حولها اي الملائكة هو نايب الفاعل لبورك والاصل بارك الله من
في النار ومن حولها وهذا تحية من الله عز وجل لموسى بالبركة ومذهب
اكثر المفسرين ان المراد بالنار النور ذكر بلفظ النار لان موسى حسبه
نارا ومن في النار هم الملائكة وذلك ان النور الذي يراه موسى عليه السلام
كان فيه ملائكة لهم زجل بالتسبيح والتقديس ومن حولها هو موسى
لانه كان بالقرب منها ولم يكن فيها وقال سعيد بن جبير
كانت النار بعينها والنار احدى حجب الله تعالى كما جاء في الحديث حجابه
النار لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه
تنبيه يتعدى بنفسه وبحرف الجر يقال باركك الله وبارك
عليك وبارك فيك وبارك لك وقال الشاعر

فبوركت مولودا وبوركت ناشيا * وبوركت عند الشيب اذ انت اشيب

قال الزمخشري والظاهر انه عام في كل من في تلك الارض وفي ذلك الوادي
وحواليهما من ارض الشام ولقد جعل الله تعالى ارض الشام الموسومة
بالبركات لكثرتها مبعث الانبيا وكفاتهم احيا وامواتا ومهبط الوحي
عليهم وخصوصا تلك البقعة التي كلم الله تعالى فيها موسى عليه
السلام وقوله تعالى **وسبحان الله رب العالمين** من تمام ما نودي به لئلا
يتوهم من سماع كلامه تشبيها والتعجب من عظمة ذلك الامر فانه اتاه
النداء كما ورد من جميع الجهات فسمعه بجميع الحواس او تعجب من موسى
لما دهاه من عظمته ولما تشوقت النفس الى تحقق الامر تصريحا

قالت

قالت تمهيدا لما اراد سبحانه اظهاره على يد موسى عليه السلام من المعجزات
الباهرات **يا موسى انه** اي الشان العظيم الجليل الذي لا يبلغ وصفه وحمله
انا الله اي البالغ من العظمة ما تقصر عنه الاوهام مفسرة له او المتكلم وانا
خبر والله بيان له ثم وصف تعالى نفسه بوصفين يدلان على ما يفعله مع موسى
عليه السلام احدهما **العزيز** اي الذي يصل الى جميع ما يريد ولا يرده عن مراده
راد والثاني **الحكيم** الذي يفعل كل ما يفعله بحكمة وتدبير فان قيل هذا النداء
يجوز ان يكون من عند غير الله تعالى فكيف علم موسى انه من الله تعالى اجيب
بانه سمع الكلام المنزه عن مشابهة كلام المخلوقين لان النداء اتاه من
جميع الجهات وسمعه بجميع الحواس كما مر فعلم بالضرورة انه صفة الله تعالى
ثم اري الله تعالى موسى عليه السلام اية تدل على قدرته ليعلم علم شهود وهي
قوله تعالى **والق عصاك** فالقاها كما امر فصارت في الحال بما اذنت به حية
عظيمة جدا ومع كونها في غاية العظم في نهاية الخفة والسرعة في اضطرابها عند
محاولتها ما تريد **فلما راها تهتز** اي تضطرب في تحركها مع انها في غاية الكبر
كانها جان اي حية صغيرة في خفتها وسرعتها فلا ينافي ذلك كبر جثتها
ولى اي موسى عليه السلام ثم ان التولية مشتركة بين معاني فلذلك بين
المراد منها بقوله تعالى **مدبرا** اي التفت هاربا منها مسرعا جدا لقوله تعالى
ولم يعقب اي لم يرجع على عقبه ولم يلتفت الى ما وراه بعد توليته تنبيه
قال الزمخشري والق عصاك معطوف على بورك لان المعنى نودي ان
بورك وان الق عصاك كلاهما تفسير لنودي والمعنى قيل له بورك من في النار
وقيل له الق عصاك انتهى وانما احتاج الى تقدير وقيل له الق لتكون جملة
خبرية مناسبة للجملة الخبرية التي عطفت عليها كانه يرى في العطف تناسب
الجمل المتعاطفة والصحيح كما قاله ابو حيان انه لا يشترط ذلك ولما تشوفت
النفس الى ما قيل له عند هذه الحالة اجيب بانه قيل له **يا موسى لا تخف**
اي منها ولا من غيرها ثقة بي ثم علل هذا النهي بقوله تعالى مبشرا بالامن
والرسالة **اني لا يخاف لدي** اي عندي **المرسلون** اي من حية وغيرها
لانهم معصومون من الظلم ولا يخاف من الملك العدل الا ظالم وقوله
تعالى **الا من ظلم** فيه وجهان احدهما انه استثنا منقطع لان المرسلين
معصومون من المعاصي وهذا هو الصحيح والمعنى لكن من ظلم من
سائر الناس فانه يخاف الا من تاب كما قال تعالى **ثم بدل** اي بتوبته
حسنا بعد سوء وهو الظلم الذي كان عمله اي جعل الحسن بدل السوء
كالسحرة الذين امنوا بعد ذلك بموسى عليه السلام **فاني** ارحمه بسبب
اني **غفور** اي من شاني ان امحو الذنوب محوا ازيل جميع اثارها
رحيم اي اعامله معاملة الراحم البليغ الرحمة والثاني انه استثنا متصل

وللمفسرين فيه عبارات فقال الحسن ان موسي ظلم بقتل القبطي ثم تاب
فقال رب اني ظلمت نفسي فاغفرلي وقال غيره ان ذلك محمول على ما يصدر
من الانبياء من ترك الافضل وقال بعض النحويين الا هنا بمعني ولا اي لا يخاف
لدي المرسلون ولا المذنبون التائبون كقوله تعالى لئلا يكون للناس عليكم
حجة الا الذين ظلموا اي ولا الذين ظلموا ثم اراه الله تعالى بعد هذه الاية اية
اخري ذكرها بقوله تعالى وادخل يدك في جيبك اي فتحة ثوبك وهو
ما قطع منه ليحيط بعنقك وكان عليه مدرعة صوف لاكم لها وقيل الجيب
القميص لانه يجاب اي يقطع تخرج بيضاء اي بياضا عظيما نيرا جدا
لها شعاع كشعاع الشمس فكانت الاية الاولي مما في يده بقلب جوهرها
الي جوهر شئ اخر حيواني وهذه في يده نفسها بقلب عرضها التي كانت عليه
الي عرض اخر نوراني ثم نفي عنها ان يكون ذلك بسبب افة بقوله تعالى من
غير سوء اي برص ولا غيره من الافات وقوله تعالى في تسع ايات كلام مستانف
وحرف الجر فيه يتعلق بمحذوف والمعني اذهب في تسع ايات الي فرعون
وقومه كقول القائل ۰ فقلت الي الطعام فقال منهم ۰ فريق يحسد الانس الطعاما ۰
ويجوز ان يكون المعني والق عصاك وادخل يدك في تسع ايات وعدادهن
ولقائل ان يقول كانت الايات احدي عشرة اية ثنتان منها العصا واليد
والتسع الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة
والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم وقيل في بمعني من اي تسع ايات
فتكون العصا واليد من التسع ثم علل ارساله اليهم بالخوارق بقوله
تعالى انهم كانوا قوما فاسقين اي خارجين عن طاعتنا فلما جاءتهم اياتنا اي
على يد موسي عليه السلام مبصرة اي واضحة بينة هادية الي الطريق
الاقوم قالوا هذا سحر اي خيال لا حقيقة له مبين اي واضح في انه خيال
وجحدوا بها اي انكروا كونها ايات موجبات لصدقه مع علمهم بها لان
الجحود الانكار مع العلم واستيقنتها انفسهم اي علموا انها من عند الله وتخلل
علمها صميم قلوبهم فكانت السنتهم مخالفة لما في قلوبهم ولذلك
استند الاستيقان الي النفس ثم علل جحدهم ووصفهم لها بخلاف وصفها
بقوله تعالى ظلما وعلوا اي شركا وتكبرا عن ان يؤمنوا بما جاء به موسي فانظر
يا اشرف الخلق كيف كان عاقبة المفسدين وهو الاغراق في الدنيا [illegible]
[illegible] فلم يبق عين منهم تطرف ولم يرجع منهم مخبر على كثرتهم
وعظمتهم وقوتهم والاحراق في الاخرة بالنار المؤبدة القصة
الثامنة قصة داود وسليمان عليهما السلام المذكورة بقوله تعالى
ولقد اتينا اي بما لنا من العظمة داود وسليمان ابنه وهما من اتباع
موسي عليه السلام وبعده بازمان متطاولة علما اي جزءا من العلم

عظيما

عظيما من منطق الطير والدواب وتسبيح الجبال وغير ذلك لم يؤته لاحد من قبلهما
ولما كان التقدير فعملا بمقتضاه عطف عليه قوله وقالا شكرا عليه ودلالة على
شرف العلم وتنبيها لاهله اي التواضع الحمد اي الاحاطة بجميع اوصاف
الكمال لله اي الذي لا كفوء له الذي فضلنا اي بما اتانا من النبوة والكتاب
وتسخير الشياطين والجن والانس وغير ذلك على كثير من عباده المؤمنين اي
من لم يؤت علما او مثل علمهما وفي ذلك تحريض للعالم ان يحمد الله تعالى على ما اتاه
من فضله ويعتقد انه وان فضل على كثير فلا يتكبر ولا يفتخر ويشكر الله تعالى
وينفع به المسلمين كما نفعه الله تعالى به ثم انه تعالى اشار الي فضل سليمان
بانه جمع الي ما اتاه ما كان منح به اباه بقوله تعالى وورث سليمان داود اباه عليهما
السلام دون سائر اولاده وكان لداود تسعة عشر ابنا فاعطي سليمان ما
اعطي داود من الملك وزيد له تسخير الريح وتسخير الشياطين قال مقاتل
كان سليمان اعظم ملكا من داود واقضي منه وكان داود اشد تعبدا من
سليمان وكان سليمان شاكرا لنعم الله تعالى عليه وقال تحدثا بنعمة ربه
ومنبها على ما شرفه الله تعالى به ليكون اجدر في قبول الناس ما يدعوهم اليه من الخير
يا ايها الناس علمنا اي انا وابي بايسر امر واسهله منطق الطير اي فهم ما يريد
به كل طائر اذا صوت فسمي صوت الطير منطقا لحصول الفهم منه كما يفهم من
كلام الناس روي عن كعب الاحبار انه قال صاح ورشان عند سليمان
عليه السلام فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول لدوا للموت
وابنوا للخراب وصاحت فاختة فقال اتدرون ما تقول قالوا لا قال فانها
تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاووس فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال
فانه يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال
فانه يقول من لا يرحم لا يرحم وصاح صرد فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال
فانه يقول استغفروا الله يا مذنبين وصاح طيطوي فقال اتدرون ما يقو
قالوا لا قال فانه يقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال
اتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول قدموا خيرا تجدوه وهدرت
حمامة فقال اتدرون ما تقول قالوا لا قال فانها تقول سبحان ربي الاعلى
ملء سمائه وارضه وصاح قمري فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول
سبحان ربي الاعلى قال والغراب يدعو على العشار والحدا تقول كل شيء
هالك الا الله والقطاة تقول من سكت سلم والببغاء تقول ويل لمن الدنيا همه
والضفدع يقول سبحان ربي القدوس وتقول ايضا سبحان ربي المذكور بكل
لسان والباز يقول سبحان ربي وبحمده وعن مكحول صاح دراج عند سليمان
فقال اتدرون ما يقول هذا قالوا لا قال فانه يقول الرحمن على العرش
استوي وروي عن فرقد السبخي قال مر سليمان على بلبل فوق شجرة يحرك راسه

وميل ذنبه فقال لاصحابه اتدرون ما يقول هذا البلبل قالوا الله ونبيه اعلم قال
يقول اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفا وهو بالفتح والمد التراب وقال ابو عبيد
هو الدروس وفي حديث صفوان اذا دخلت بيتي فاكلت رغيفا وشربت عليه
فعلى الدنيا العفا وروي ان جماعة من اليهود قالوا لابن عباس انا سايلوك عن سبعة
اشيا ان اخبرتنا امنا وصدقنا قال اسلوا تفقها ولا تسلوا تعنتا
قالوا اخبرنا ما يقول القنبر في صفيره والديك في صعقه والضفدع في نقيقه
والحمار في نهيقه والفرس في صهيله وما يقول الزرزور والدراج قال نعم
اما القنبر فيقول اللهم العن مبغضي محمد وال محمد واما الديك فيقول اذكروا
الله يا غافلين واما الضفدع فيقول سبحان المعبود في لجج البحار واما الحمار فيقول
اللهم العن العشار واما الفرس فيقول اذا التقى الصفان سبوح قدوس رب
الملائكة والروح واما الزرزور فيقول اللهم ارزقني قوت يوم بيوم يا رزاق
واما الدراج فيقول الرحمن على العرش استوى قال فاسلم اليهود وحسن
اسلامهم ويروى عن جعفر الصادق عن ابيه عن جده عن الحسين بن علي قال
اذا صاح النسر قال ابن ادم عش ما شئت اخره الموت واذا صاح العقاب
قال في البعد من الناس انس واذا صاح القنبر قال الهي العن مبغضي ال محمد
واذا صاح الخطاف قال الحمد لله رب العالمين ويمد ولا الضالين كما يمد القاري
وقول سليمان عليه السلام **واوتينا من كل شي** اي تؤتاه الانبيا والملوك قال
ابن عباس من امر الدنيا والاخرة وقال مقاتل يعني النبوة والملك وتسخير
الجن والانس والرياح **ان هذا** اي الذي اوتيناه **لهو الفضل المبين** اي البين
في نفسه لكل من نظره الموضح لعلو قدر صاحبه روي ان سليمان اعطي ملك
مشارق الدنيا ومغاربها فملك اربعين سنة وستة اشهر ملك جميع اهل
الدنيا من الجن والانس والدواب والطير والسباع واعطي على ذلك منطق
كل شي وفي زمانه صنعت الصنايع العجيبة فقوله ان هذا لهو الفضل
المبين تقرير لقوله الحمد لله الذي فضلنا والمقصود منه الشكر والحمد
كما قال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم ولا فخر فان قيل كيف قيل
علمنا واوتينا وهو كلام المتكبر اجيب بوجهين الاول انه يريد اباه
ونفسه كما مر الثاني ان هذه النون يقال لها نون الواو المطاع وكان ملكا
مطاعا ولما كان هذا المجرد خبرا تبعه ما يصدقه بقوله تعالى **وحشر** اي جمع
جمعا حتما بقهر وسطوة واكراه بايسر امر **لسليمان جنوده** ثم بين ذلك بقوله
تعالى **من الجن** وبداهم لعسر جمعهم ثم ثنى بقوله تعالى **والانس** لشرفهم
ثم اتبع من يعقل بما لا يعقل بقوله **والطير** فقدم القسم الاول لشرفه
وذلك كان في مسير له في بعض الغزوات **فهم** اي فتسبب عن مسيره بذلك
انهم **يوزعون** اي يكفون بحبس اولهم على اخرهم بادني امر واسهله ليتلاحقوا

فيكون

فيكون ذلك احذر بالهيبة واعون على النصرة واقرب الى السلامة قال قتادة
كان على كل صنف من جنوده وزعة ترد اولاها على اخراها لئلا يتقدموا في المسير قال
والوزاع الحابس وهو النقيب وقال مقاتل يوزعون اي يساقون وقال السدي
يوقفون وقيل يجمعون واصل الوزع الكف والمنع قال محمد بن كعب القرظي
كان عسكر سليمان عليه السلام مائة فرسخ خمسة وعشرون للانس وخمسة
وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير وقيل
نسجت له الجن بساطا من ذهب وحرير فرسخا في فرسخ وكان يوضع كرسيه
في وسطه فيقعد وحوله ستمائة الف كرسي من ذهب وفضة فتقعد الانبيا
على كراسي الذهب والعلما على كراسي الفضة والناس حولهم والجن والشياطين
حول الناس والوحش حولهم وتظلهم الطير باجنحتها حتى لا تقع عليه
الشمس وكان له الف بيت من قوارير على الخشب فيها الف بيت من قوارير
على الخشب فيها ثلاثمائة منكوحة وسبعمائة سرية فيامر الريح العاصف
فترفعه ثم يامر الريح فتسير به مسيرة شهر واوحى اليه وهو يسير بين
السما والارض اني قد زدت في ملكك ان لا يتكلم احد من الخلايق بشي
الا جات به الريح فاخبرتك به فيحكى انه مر بحراث فقال لقد اوتي ال داود
ملكا عظيما فالقته الريح في اذنه فنزل ومشى الى الحراث وقال اني مشيت
اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها الله
تعالى خير مما اوتي ال داود ساير واستمر سايرا بمن معه **حتى اذا اتوا** اي
اشرفوا **على وادي النمل** روي عن كعب الاحبار انه قال كان سليمان اذا ركب حمل
اهله وخدمه وحشمه وقد اتخذ مطابخ ومخابز فيها تنانير الحديد وقدور
عظام تسع كل قدر عشرة من الابل يطبخ الطباخون ويخبز الخبازون
واتخذ ميادين للدواب فتجري بين يديه وهو بين السما والارض والريح
تهوي بهم فسار من اصطخر يريد اليمن فسلك مدينة النبي صلى الله عليه
وسلم فقال سليمان هذه دار هجرة نبي يخرج في اخر الزمان طوبى لمن امن به
وطوبى لمن اتبعه ولما وصل الى مكة راى حول البيت اصناما تعبد من دون الله
فلما جاوز سليمان البيت بكى فاوحى الله الى البيت ما يبكيك فقال يا رب ابكاني
ان هذا نبي من انبيايك وقوم من اوليايك مروا علي ولم يهبطوا ولم يصلوا عندي
والاصنام تعبد حولي من دونك فاوحى الله اليه لا تبكي فاني سوف املا
وجوها سجدا وانزل فيك قرانا جديدا وابعث منك نبيا اخر الزمان
احب انبيايي الي واجعل فيك عمارا من خلقي يعبدوني وافرض على عبادي فريضة
يدفون اليك دفيف النسور الى وكرها ويحنون اليك حنين الناقة الى ولدها
وحنين الحمامة الى بيضها واطهرك من الاوثان وعبدة الشياطين ثم مر سليمان
حتى مر بوادي السدير من الطايف فاتى على وادي النمل هكذا قال كعب

بيان ميادين

أي محمد

انه واد بالطايف قال البقاعي وهو الذي تميل اليه النفس فانه معروف عندهم الى الان
بهذا الاسم وقال قتادة ومقاتل هو واد بالشام وجرى عليه البيضاوي
وقيل واد كانت تسكنه الجن واولئك النمل مراكبهم وقال نوف الحميري وكان
نمل ذلك الوادي مثل الذباب وقيل كان كالبخاتي وقال البغوي والمشهور
انه النمل الصغير فائدة وقف الكسائي على واد بالياء والباقون بغير ياء فان
قيل لم عدي اتوا بعلى اجيب بانه يتوجه على معنيين احدهما ان اتيانهم
كان من فوق فاتى بحرف الاستعلاء والثاني ان يراد قطع الوادي وبلوغ اخره
من قولهم اتى على الشيء اذا انفذه وبلغ اخره كانهم ارادوا ان ينزلوا عند مقطع
الوادي لانهم ما دامت الريح تحملهم في الهوى لا يخاف حطمهم ولما كانوا في
امر مهول منظره وقربوا من ذلك الوادي **قالت نملة** قال الشعبي كانت
تلك النملة ذات جناحين وقيل كانت نملة عرجا فنادت **يا ايها النمل ادخلوا**
اي قبل وصول ما ارى من الجيش **مساكنكم** ثم عللت امرها فقالت
لا يحطمنكم اي لا يكسرنكم ويهشمنكم اي لا تبرزوا فيحطمنكم فهي نهي لهم
عن البروز في صورة نهيه وهو ابلغ من التصريح بنهيهم لان من نهى اميرا عن
شيء كان تنزهه اشد نهيا **سليمان وجنوده** اي لانهم لكثرتهم اذا صاروا في
هذا الوادي استقلوا عليه فضيقوه فلم يدعوا فيه موضع الشبر خاليا
وهم اي سليمان وجنوده **لا يشعرون** اي بحطمهم لكم لا تعنفا لهم بما فيه
من احوال الناس للسير وقولها هذا يدل على علمها بانهم لم يشعروا بهم ما اذ وهم
لانهم اتباع نبي فهم رحماء وانما خاطبتهم خطاب من يعقل لانها لما جعلت قائلة
والنمل مقولا له كما يكون في اولي العقل اجرت خطابهم والنمل اسم جنس معروف
واحده نملة ويقال نملة ونمل بضم النون وكسر سكون الميم ونملة ونمل
بضمهما وعن قتادة انه دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوني عما شئتم
وكان ابو حنيفة رحمه الله تعالى حاضرا وهو غلام حدث فقال سلوه عن نملة
سليمان اكانت ذكرا ام انثى فسالوه فافحم فقال ابو حنيفة كانت انثى
فقيل له من اين عرفت فقال من كتاب الله وهو قوله قالت نملة ولو كانت ذكرا
لقال قال نملة قال الزمخشري وذلك ان النملة مثل الحمامة والشاة في
وقوعها على الذكر والانثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة
انثى وهو وهي انتهى ورد هذا ابو حيان فقال ولحاق التاء في قالت لا يدل على
ان النملة مؤنث بل يصح ان يقال في الذكر قالت نملة لان النملة وان كان بالتاء
هو مما لا يتميز فيه المذكر من المؤنث وما كان كذلك كاليمامة والقملة
مما بينه في الجمع وبين واحده تاء التانيث من الحيوان فانه يخبر عنه اخبار
المؤنث ولا يدل كونه يخبر عنه اخبار المؤنث على كونه ذكرا او انثى لان التاء
دخلت فيه للفرق لا للدلالة على التانيث له الحقيقي بل دالة على الواحد

من هذا الجنس قال وكان قتادة بصيرا بالعربية وكونه الحم يدل على معرفته
باللسان اذ علم ان النملة يخبر عنها بالمؤنث وان كانت تطلق على الانثى
والمذكر اذ لا يتميز فيه احد هذين العلامة لا تدل فلا يعلم التذكير والتانيث
الا بوحي من الله تعالى انتهى وحكى الطيبي العجب من ابي حنيفة ان ثبت ذلك
عنه لان النملة كالحمامة والشاة يقع على الذكر والانثى واطال الكلام في ذلك
فان قيل كيف يتصور الحطم من سليمان وجنوده وكانت الريح تحمل سليمان
وجنوده على بساط بين السما والارض اجيب بان من جنوده ركبانا
ومنهم مشاة على الارض تطوي لهم وان ذلك كان قبل تسخير الريح لسليمان
وروي ان سليمان لما بلغ وادي النمل حبس جنده حتى دخل النمل بيوتهم
فقد روي انه سمع كلامها من ثلاثة اميال وقيل كان اسمها طاخية
فائدة قال اهل المعاني في كلام هذه النملة انواع من البلاغة
نادت ونبهت وسمت وامرت ونصت وحذرت وخصت وعمت واشارت
واعذرت ووجهه نادت يا ايها النمل نبهتها سمت النمل امرت ادخلوا
نصت مساكنكم حذرت لا يحطمنكم خصت سليمان عمت وجنوده اشارت
وهم اعذرت وهم لا يشعرون ولما كان هذا امرا معجبا لما فيه من جزالة الالفاظ
وجلالة المعاني تسبب عنه قوله **فتبسم ضاحكا من قولها** اي لما اوتيته
من الفصاحة والبيان وسرورا بما وصفته به من العدل في انه وجنوده
لا يؤذون احدا وهم لا يعلمون وبما اتاه الله من سمعه كلام النملة واحاطته
بمعناه تنبيه ضاحكا حال مؤكدة لانها مفهومة من تبسم بل حال
مقدرة فان التبسم ابتدا الضحك وقيل ان التبسم قد يكون للغضب
ومنه تبسم تبسم الغضبان فضاحكا مبين له قال عنترة
لما رآني قد قصدت اريده ❊ ابدى نواجذه لغير تبسم
وقال الزجاج اكثر ضحك الانبيا التبسم وقوله ضاحكا اي متبسما
وعن عائشة رضي الله عنها قالت ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا
قط ضاحكا حتى ارى منه لهواته انما كان يتبسم وعن عبد الله بن الحارث
ابن جزء قال ما رايت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل كان اوله التبسم واخره الضحك ثم حمد الله تعالى على هذه النعمة
وسال ربه توفيق شكره لما تذكر ما اولاه ربه سبحانه بحسن تربيته من فهم
كلامها الى ما انعم عليه من غير ذلك **وقال رب** اي ايها المحسن الي **اوزعني** اي
الهمني **ان اشكر نعمتك** وقيل معناه اجعلني ازع شكر نعمتك اي اكفه وامنعه
حتى لا ينفلت مني فلا ازال شاكرا وازع بفتح الزاي اصله اوزع فحذفت واوه
كما في ادع ولما افهم ذلك تعلق النعمة به حققه بقوله **التي انعمت علي** وافهم قوله
وعلى والدي ان امه ايضا كانت تعرف نطق الطير وانما ادرج ذكر والديه

لان النعمة على الولد نعمة على الوالدين خصوصا النعمة الراجعة الى الدين فانه اذا كان
تقيا ينتفعان به بدعائه وشفاعته ودعاء المؤمنين لهما كلما دعوا له وقالوا رضي الله تعالى
عنك وعن والديك تنبيه الشكر لغة فعل ينبئ عن تعظيم المنعم من حيث انه منعم
على الشاكر او غيره سواء كان ذكرا باللسان او اعتقادا ومحبة بالجنان او عملا وخدمة
بالاركان قال القايل

افادتكم النعماء مني ثلاثة ... يدي ولساني والضمير المحجبا

وعرفا صرف العبد جميع ما انعم الله به عليه من السمع وغيره الى ما خلق لاجله
وهذا المرتبة الغاية الربانية نسال الله الكريم الفتاح ان يجعلنا ومن
يلوذ بنا بعنايته روي عن داود عليه السلام انه قال يا رب كيف اشكرك
والشكر نعمة منك اخرى احتاج عليها الى شكر اخر فاوحى الله تعالى اليه يا داود
اذا علمت ان ما بك من نعمة مني فقد شكرتني والشكر ثلاثة اشيا الاول معرفة
النعمة بمعنى احضارها في الخاطر بحيث يتميز عندك انها نعمة فرب جاهل يحسن
اليه وتنعم عليه وهو لا يدري فلا جرم انه لا يصح منه الشكر الثاني قبول النعمة
بتلقيها من المنعم باظهار الفقر والفاقة فان ذلك شاهد بقبولها حقيقة الثالث
الثناء بها بان تصف المنعم بالجود والكرم ونحوه مما يدل على حسن تلقيك لها
واعترافك بنزول مقامك في الرتبة عن مقامه فان اليد العليا خير من اليد
السفلى ولما علم من كلامه ان الشاكر هو المستغرق في الثناء على المنعم
مما يجب عليه من العمل بحسب ما يقدر عليه وكان ذلك العمل مما يجوز ان يكون
زين لذلك العبد بكونه حسنا وهو ليس كذلك قال عليه السلام
مشيرا الى هذا المعنى وان اعمل صالحا اي في نفس الامر وقيده بقوله ترضاه
لان العمل الصالح قد لا يرضى المنعم لنقص في العامل كما قيل

اذا كان المحب قليل حظ ... فحسناته الا ذنوب

وقوله وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين يدل على ان دخول الجنة برحمته وفضله
لا باستحقاق العبد والمعنى ادخلني في جملتهم واثبت اسمي في اسمائهم
واحشرني في زمرتهم قال ابن عباس يريد مع ابراهيم واسمعيل واسحق
ويعقوب ومن بعدهم من النبيين فان قيل درجات الانبياء افضل من درجات
الاولياء والصالحين فما السبب في ان الانبياء يطلبون جعلهم من الصالحين
وقد تمنى يوسف عليه السلام بقوله فاطر السموات والارض انت وليي
في الدنيا والاخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين وقال ابراهيم توفني مسلما
والحقني بالصالحين اجيب بان الصالح الكامل هو الذي لا يعصي الله ولا
يهم بمعصية وهذه درجة عالية ثم ان سليمان عليه السلام لما وصل
الى المنزل الذي وصله قصد تفقد احوال جنوده كما تقتضيه العناية
بامور الملك وتفقد الطير اي طلبها وبحث عنها والتفقد طلب ما فقد

دمعي/

على شي الا الزيادة خير ومنفعة فقيل لهم هذا الكلام تنبيها لهم على نهاية
ضلالهم وجهلهم وتهكما بهم وتسفيها لرايهم اذ من المعلوم انه لا خير فيما
اشركوه راسا حتى يوازن بينه وبين من هو مبدا كل خير وروي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قراها قال بل الله خير وابقى واجل واكرم
ثم عدد سبحانه وتعالى انواعا من الخيرات والمنافع التي هي اثار رحمته
وفضله الاول منها قوله تعالى امن خلق السموات والارض التي هي اصول
الكاينات ومبادي المنافع فان قيل ما الفرق بين ام وام وام فيما يشركون
وامن خلق اجيب بان تلك متصلة لان المعنى ايهما خير وهذه منقطعة
بمعنى بل والهمزة لما قال الله خير ام الالهة قال بل امن خلق السموات
والارض خير تقريرا لهم بان من قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على
شي وانزل لكم اي لاجلكم خاصة وانتم تكفرون به وتنسبونه ما تفرده
به لغيره من السما ما هو للارض كالما الدافق للارحام فانبتنا به حدايق جمع
حديقة وهي البستان وقيل القطعة من الارض ذات الما قال الراغب
سميت بذلك تشبيها بحدقة العين في الهيئة وحصول الما فيها وقال
غيره سميت بذلك لاحداق الجدران بها قال ابن عادل وليس بشي
لانها يطلق عليها ذلك مع عدم الجدران ذات بهجة اي بها وحسن
ورونق وسرور على تقارب اصولها مع اختلاف انواعها وتباين طعومها
واشكالها ومقاديرها والوانها ولما اثبت الانبات له نفاه عن غيره بقوله
تعالى ما كان اي ما صح وما تصور بوجه من الوجوه لكم وانتم احيا
فضلا عن شركايكم الذين هم اموات بل موات ان تنبتوا شجرها اي شجر تلك
الحدايق االه مع الله اعانه على ذلك اي ليس معه اله بل هم اي ادعيابهم
معه سبحانه شريكا قوم يعدلون اي عن الحق الذي لا مرية فيه الى غيره وقيل
يعدلون عن الحق الظاهر ونظير هذه الاية اول سورة الانعام الثاني منها
قوله تعالى امن جعل الارض قرارا وهو بدل من امن خلق السموات
والارض وحكمها حكمه ومعنى قرارا لا تميد باهلها وكان القياس يقتضي
ان تكون هاوية او مضطربة كما يضطرب ما هو معلق في الهوا ولكن الله تعالى
ابدى بعضها من الما بحيث يتاتى استقرار الانسان والدواب عليها
وجعل خلالها اي وسطها انهارا اي جارية على حالة واحدة فلو اضطربت
الارض ادنى اضطراب لتغيرت مجاري المياه ثم ذكر تعالى سبب القرار بقوله تعالى
وجعل لها رواسي اي جبالا اثبت بها الارض على ميزان دبره سبحانه في مواضع
من ارجايها من حيث اعتدلت جميع جوانبها فامتنعت من الاضطراب
ولما كان بعض مياه الارض عذبا وبعضه ملحا مع القرب جدا بين تعالى
ان احدهما لم يختلط بالاخر بقوله تعالى وجعل بين البحرين اي العذب والملح

حاجزا من قدرته يمنع احدهما ان يختلط بالاخر أإله مع الله اي المحيط علما وقدرة معين له على ذلك بل اكثرهم اي الذين ينتفعون بهذه المنافع لا يعلمون توحيد ربهم بل هم كالبهائم لاعراضهم عن هذا الدليل الواضح تتمة في قراءة أإله مثل ايتكم الثالث منها قوله تعالى امن يجيب المضطر اي المكروب وهو الذي احوجه مرض او فقر او نازلة من نوازل الدهر الى اللجا والتضرع الى الله تعالى اذا دعاه وقت اضطراره وعن ابن عباس هو المجهود وعن السدي هو الذي لاحول له ولا قوة فان قيل هذا ايهم كل مضطر وكم من مضطر يدعو فلا يجاب اجيب بان اللام فيه للجنس لا للاستغراق فلا يلزم منه اجابة كل مضطر وقوله تعالى ويكشف السوء كالتفسير للاستجابة فانه لا يقدر احد على كشف ما وقع له من فقر الى غنى ومرض الى صحة الا القادر الذي لا يعجزه شيء والقاهر الذي لا ينازع والاضافة في قوله تعالى ويجعلكم خلفاء الارض بمعنى في اي يخلف بعضكم بعضا لا يزال يجدد ذلك باهلاك قرن وانشاء اخر الى قيام الساعة أإله مع الله اي الملك الذي لا كفو له ثم استانف التبكيت تبكيتا قليلا ما تذكرون اي تتعظون وقرا ابو عمرو وهشام بالياء التحتية على الغيبة والباقون بالخطاب وفيه ادغام التاء في الذال وما زائدة لتقليل القليل الرابع منها قوله تعالى امن يهديكم اي يرشدكم الى مقاصدكم في ظلمات البر اي بالنجوم والجبال والرياح والبحر بالنجوم والرياح ومن يرسل الرياح اي التي هي دلائل السير بشرا اي تنشر السحاب وتجمعها بين يدي رحمته التي هي المطر تسمية للمسبب باسم السبب والرياح التي يهدي بها في المقاصد اربع التي من تجاه الكعبة الصبا ومن ورائها الدبور ومن جهة يمينها الجنوب ومن شمالها الشمال ولكل منها طبع فالصبا حارة يابسة والدبور باردة رطبة والجنوب حارة رطبة والشمال باردة يابسة وهي ريح الجنة التي تهب على اهلها جعلنا الله ووالدينا ومشايخنا ومن انتفع بشيء من هذا التفسير ودعا لنا بالمغفرة منهم وقرا حمزة والكسائي وابن كثير الريح بالافراد والباقون بالجمع وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو ونشرا بضم الشين والنون وابن عامر بضم النون وسكون الشين وحمزة والكسائي بفتح النون وسكون الشين وعاصم بالباء الموحدة مضمومة وسكون الشين ولما انكشف بما مضى من الايات ما كانوا في ظلامه من واهي الشبهات واتضحت الادلة ولم يبق لاحد في شيء من ذلك علة كرر سبحانه وتعالى الانكار في قوله تعالى أإله مع الله اي الذي كمل علمه تعالى الله اي الفاعل القادر المختار عما يشركون به غيره وابان رتبة العجز من رتبة القدرة الخامس منها قوله تعالى امن يبدأ الخلق اي كما هو في الارحام من نطفة ما علمتم منهم وما لم تعلموا ثم يعيده اي بعد الموت لان الاعادة اهون عليه فان قيل كيف قيل لهم ثم يعيده ولم يعترفوا بالاعادة

اجيب

اجيب بانهم كانوا معترفين ودلالة على الاعادة ظاهرة قوية لان الاعادة اهون من الابتداء فلما كان الكلام مقرونا بالدلالة الظاهرة صاروا كانهم لا عذر لهم في الانكار على الاعادة لقيام البراهين عليها ولما كان الامطار والانبات من اول ما يكون على الاعادة قال مشيرا اليها على وجه عم جميع ما مضى ومن يرزقكم من السماء اي بالمطر والحر والبرد وغيرها مما له سبب في التكوين او التلوين والارض اي بالنبات والمعادن والحيوان وغيرهما مما لا يعلمه الا الله تعالى وعبر عنها بالرزق لان به تمام النعمة أإله مع الله اي الذي له صفات الجلال والاكرام ولما كانت هذه كلها براهين ساطعة ودلائل قاطعة امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم اعراضا عنهم بقوله تعالى قل اي لهؤلاء المدعين للعقول هاتوا برهانكم اي حجتكم على نفي شيء من ذلك عن الله تعالى او على اثبات شيء منه لغيره ان كنتم صادقين اي في انكم على حق ان مع الله تعالى غيره واضاف تعالى البرهان اليهم تهكما بهم وتنبيها على انهم ابعدوا في الضلال واغرقوا في المحال ثم انهم سالوه عن وقت قيام الساعة فنزل قل اي لهم لا يعلم من في السموات والارض من الملائكة والناس الغيب اي ما غاب عنهم وقوله تعالى الا الله استثناء منقطع اي لكن الله يعلمه ولما كان الله تعالى منزها عن ان يحويه مكان جعل الاستثناء منقطعا فان قيل من حق المنقطع النصب اجيب بانه رفع بدلا على لغة بني تميم يقولون ما في الدار احد الا حمار يريدون ما فيها الا حمار كان احدا لم يذكر ومنه قولهم ما اتاني زيد الا عمرو وما اعانه اخوانكم الا اخوانه فان قيل ما الداعي الى المذهب التميمي على الحجازي اجيب بانه دعت اليه حاجة سرية حيث اخرج المستثنى مخرج قوله الا اليعافير بعد قوله ليس بها انيس الا اليعافير والا العيس ليؤول المعنى الى قولك ان كان الله ممن في السموات والارض فهم يعلمون الغيب يعني ان علمهم الغيب في استحالته كاستحالة ان يكون الله منهم كما ان المعنى ما في البيت ان كانت اليعافير انيسا ففيها انيس بتا للخلو عن الانيس ويصح كونه متصلا والظرفية في حقه تعالى مجاز بالنسبة الى علمه وان كان فيه جمع بين الحقيقة والمجاز كما قال به امامنا الشافعي رضي الله عنه وان منعه بعضهم ومن ذلك قول المتكلمين الله تعالى في كل مكان على معنى ان علمه في كل الاماكن كلها فكان ذاته فيها وعلى هذا فيرتفع على الصفة والبدل والرفع افصح من النصب لانه من منفي وعن عائشة رضي الله تعالى عنها من زعم انه يعلم ما في غد فقد اعظم على الله الفرية والله تعالى قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وعن بعضهم اخفى غيبه عن الخلق ولم يطلع عليه احدا لئلا يامن احد من عبيده مكره وقوله تعالى وما يشعرون

صفة لاهل السموات والارض نفي ان يكون لهم علم الغيب وان اجتمعوا وتعاونوا
ايان اي اي وقت يبعثون اي يحشرون وقوله تعالى بل بمعنى هل
ادارك اي بلغ وتناهى علمهم في الاخرة اي بها حتى سالوا عن وقت مجيئها
ليس الامر كذلك بل هم في شك اي ريب منها كمن يحير في الامر لا يجد
عليه دليلا بل هم منها عمون اي لا يدركون دلايلها لاختلال بصيرتهم وهذا
وان اختص بالمشركين ممن في السموات والارض نسب الى جميعهم
كما يسند فعل البعض الى الكل فان قيل هذه الاضرابات الثلاثة ما معناها
اجيب بانها لتنزيل احوالهم وصفهم اولا بانهم لا يشعرون وقت البعث
ثم بانهم لا يعلمون ان القيامة كائنة ثم بانهم يخبطون في شك وريبة فلا
يزيلونه والازالة مستطاعة ثم بما هو اسوا حالا وهو العمى وان يكون مثل
البهيمة قد عكف همه على بطنه وفرجه لا يخطر بباله حقا ولا باطلا ولا
يفكر في عاقبة وقد جعل الاخرة مبدا عماهم ومنشاه فلذلك عداه بمن
دون عن لان الكفر بالعاقبة والجزا هو الذي جعلهم كالبهايم لا يتدبرون
ولا يتبصرون ووصفهم باستحكام علمهم في امر الاخرة تهكما وقرا ابو عمرو
وابن كثير بقطع الهمزة مفتوحة وسكون اللام قبلها وسكون اللام بعدها
والباقون بكسر اللام واسقاط الهمزة بعدها وتشديد الدال وبعدها
الف بمعنى تتابع حتى استحكم او تتابع حتى انقطع من تدارك بنو فلان
اذا تتابعوا في الهلاك وقوله تعالى وقال الذين كفروا ائذا كنا ترابا
وآباؤنا ائنا اي نحن وآباؤنا الذين طال العهد بهم لمخرجون كالنبات
لعمههم والعامل في اذا المحذوف يدل عليه لمخرجون تقديره نبعث ونخرج
لان بين يدي عمل اسم المفعول فيه عقبات وهي همزة الاستفهام وان
ولام الابتدا وواحدة منها كافية فكيف اذا اجتمعن والمراد الاخراج
من الارض ومن حال الفنا الى الحياة وتكرير حرف الاستفهام بادخاله
على اذا وان جميعا انكار على انكار وجحود على جحود ودليل على كفر موكد
مبالغ فيه والضمير في ائنا لهم ولابائهم لان كونهم ترابا قد تناولهم
واباءهم تنبيه آباؤنا عطف على اسم كان وقام الفصل بالخبر مقام
الفصل بالتوكيد وقرا نافع بالخبر في ائذا وبالاستفهام في ائنا
وابن عامر والكسائي بالاستفهام في الاول والخبر في الثاني وزادا فيه نونا
ثانيا والباقون بالاستفهام في الاول والثاني وهم على مذاهبهم من
التسهيل والتحقيق والمد والقصر فمذهب قالون وابي عمرو في التسهيل
في الهمزة الثانية وادخال الف بينها وبين همزة الاستفهام ومذهب ورش
وابن كثير التسهيل وعدم الادخال ومذهب هشام الادخال وعدمه
مع التحقيق ومذهب الباقين التحقيق وعدم الادخال ثم اقام الكفار

الدليل في زعمهم في ذلك فقالوا تعليلا لاستبعادهم لقد وعدنا هذا اي
الاخراج من القبور كما كان اول مرة نحن وآباؤنا من قبل اي قبل محمد فقد مرت
الدهور على هذا الوعد ولم يقع منه شي فذلك دليل على انه لا حقيقة
له فكانه قيل فما المراد به فقالوا ان اي ما هذا الا اساطير الاولين اي احاديث
واكاذيبهم التي كتبوها ولا حقيقة لها تنبيه اساطير جمع اسطور
بالضم اي ما سطر من الكذب فان قيل لم قدم في هذه الاية هذا على
نحن وآباؤنا وفي اية اخرى قدم نحن وآباؤنا على هذا اجيب
بان التقديم دليل على ان المقدم هو الغرض المتعمد بالذكر وان الكلام
انما سيق لاجله ففي احدى الايتين دل على ان ايجاد البعث هو الذي
تعمد بالكلام وفي اخرى على ان ايجاد المبعوث بذلك الصدد ثم امر الله
تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يرشدهم بما في صورة التهديد بقوله
تعالى قل سيروا في الارض اي ايها العمي الجاهلون فانظروا كيف كان عاقبة
المجرمين بانكارهم وهي هلاكهم بالعذاب فانكم ان نظرتم وتاملتم اخبار
حق التامل اسرع بكم ذلك الى التصديق فتنجوتم والا هلكتم كما هلكوا
واراد بالمجرمين الكافرين فان قيل فلم يقل عاقبة الكافرين اجيب
بان هذا يحصل به التخويف لكل العصاة ثم ان الله تعالى صبر نبيه صلى
الله عليه وسلم على ما يناله من جهلهم في عماهم عن السبيل الذي هدى
اليه الدليل بقوله تعالى ولا تحزن عليهم اي في عدم ايمانهم فانما عليك البلاغ
ولا تكن في ضيق مما يمكرون اي لا تهتم بمكرهم عليك فانا ناصرك عليهم وجاعل
تدميرهم في تدبيرهم كطغاة قوم صالح تنبيه الضيق الحرج يقال
ضاق الشي ضيقا وضيقا بالفتح والكسر ولهذا قرا ابن كثير بكسر الضاد
والباقون بفتحها ولما اشار تعالى الى انهم لم يتقوا في المبالغة بالتكذيب
وجها اشار تعالى الى انهم بالوعيد بالساعة وغيرها من عذاب الله هم
اشد مبالغة بقوله تعالى ويقولون بالمضارع المؤذن بالتجدد كل حين
للاستمرار متى هذا الوعد اي بالعذاب والبعث والمجازاة الموعود بها
وسموه وعدا لاظهار المحبة تهكما به ان كنتم اي انت ومن تبعك
صادقين ثم امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يجيبهم بقوله
تعالى قل لهم عسى ان يكون ردف لكم اي تبعكم ولحقكم واللام مزيدة
على هذا للتاكيد كالبا في ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة ويصح ان يتضمن
ردف معنى فعل يتعدى باللام نحو دنا وقرب وازف وبهذا فسره ابن
عباس وقد عدي بمن في قول القايل
فلما ردفنا من عمير وصحبه ۞ تولوا سراعا والمنية تعنق
يعني دنونا من عمير بعض الذي تستعجلون فحصل لهم القتل ببدر والباقي العذاب

بأن يبدا الموت تنبيه عسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك كالجزم بها وانما
يطلقونه اظهارا لوقارهم واشعارا بان الرمز منهم كالتصريح من غيرهم وعليه
جرى وعد الله ووعيده ولما كان التقدير فان ربك لا يعجل على هذا العاصي
بالانتقام مع تمام قدرته عطف عليه وان ربك اي المحسن اليك بالحلم
على امتك لذو فضل اي تفضل وانعام على الناس اي كافة ولكن اكثرهم
لا يشكرون اي لا يعرفون حق النعمة فيه ولا يشكرونه بل يستعجلون بجهلهم
العذاب قال ابن عادل وهذه الآية تبطل قول من قال لا نعمة لله
على الكفار وان ربك اي والحال انه ليعلم ما تكن اي تضمر وتستر
وتخفي صدورهم اي الناس كلهم فضلا عن قومك وما يعلنون اي
يظهرون من عداوتك وغيرها فيجازيهم على ذلك وما من غائبة في السماء والارض
اي في اي موضع كان منهما وافردهما دلالة على ارادة الجنس ○
الشامل لكل فرد تنبيه في هذه التاء وجهان احدهما انها للمبالغة كرواية
وعلامة وقولهم ويل للشاعر من راوية السوء كانه تعالى قال وما من
شديد الغيبوبة والخفا الا وقد علمه الله تعالى والثاني انها كالتاء الداخلة
على المصادر نحو العافية والعاقبة قال الزمخشري ونظيرها الذبيحة
والنطيحة والرمية في انها اسماء غير صفات الا في كتاب هو اللوح المحفوظ
كتب فيه ذلك قبل ايجاده لانه لا يكون شيء الا بعلمه وتقديره مبين
اي ظاهر لمن ينظر فيه من الملائكة ولما تمم تعالى الكلام في اثبات المبدأ والمعاد
ذكر بعده ما يتعلق بالنبوة بقوله تعالى ان هذا القرآن اي الآتي به هذا النبي
الامي الذي لم يعرف قبله علما ولا خالط عالما يقص على بني اسرائيل اي
الموجودين في زمان نبينا صلى الله عليه وسلم اكثر الذي هم فيه يختلفون
اي من امر الدين وان بالغوا في كتمه كقصة الزاني المحصن في اخفائهم اذ حكم
الرجم وقصة عزير والمسيح واخراج النبي صلى الله عليه وسلم من توراتهم
فصح تحقيقه على من لم يلم قط بعلم بنبوته صلى الله عليه وسلم لان ذلك
لا يكون الا من عند الله ثم وصف تعالى فضل هذا القرآن بقوله تعالى
وانه لهدى اي من الضلالة لما فيه من الدلائل على التوحيد والحشر والنشر
والنبوة وشرح صفات الله تعالى ورحمة اي نعمة واكرام للمؤمنين
اي الذين طبعتهم على الايمان فهو صفة لهم راسخة كما انه للكافرين وقر في
اذانهم وعمى في قلوبهم ولما ذكر تعالى دليل فضله اتبعه دليل عدله بقوله تعالى
ان ربك اي المحسن اليك بما لم يصل اليه احد يقضي بينهم اي بين
جميع المختلفين بحكمه الذي هو اعدل الحكم واتقنه وانفذه فان قيل القضا
والحكم فان قيل القضا والحكم شيء واحد فقوله تعالى يقضي بحكمه كقوله يقضي
بقضائه ويحكم بحكمه اجيب بان معنى قوله تعالى بحكمه اي بما يحكم به وهو عدله

لا يقضي

لا يقضي الا بالعدل فسمي المحكوم به حكما او اراد بحكمته وهو اي والحال انه
هو العزيز فلا يرد له امر العليم فلا يخفى عليه سر ولا جهر فلما اثبت له تعالى
العلم والحكمة والعظمة والقدرة تسبب عن ذلك قوله تعالى فتوكل على الله اي
ثق به لتدع الامور كلها اليه وتستريح من تحمل المشاق وثوقا بنصره ثم علل
ذلك بقوله تعالى انك على الحق المبين اي البين في نفسه الموضح لغيره فصاحب
الحق خليق بالوثوق بحفظ الله ونصره وقوله تعالى انك لا تسمع الموتى تعليل
آخر للامر بالتوكل من حيث انه يقطع طمعه عن معاضدتهم وانما شبهوا بالموتى
لعدم انتفاعهم باستماع ما يتلى عليهم كما شبهوا بالصم في قوله تعالى ولا
تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين اي معرضين فان قيل ما معنى قوله تعالى اذا
ولوا مدبرين اجيب بانه تأكيد لحال الاصم لانه اذا تباعد عن الداعي بان تولى
عنه مدبرا كان ابعد عن ادراك صوته وقرا ابن كثير ولا يسمع بالياء التحتية
المفتوحة وفتح الميم الصم برفع الميم والباقون بالتاء الفوقية مضمومة
وكسر ميم الصم بالنصب وسهل نافع وابن كثير وابو عمرو الهمزة الثانية
من الدعاء اذا كالياء مع تحقيق الاولى والباقون بتحقيقهما وهم على مراتبهم في المد
ثم قطع طمعه عن ايمانهم بقوله تعالى وما انت بهادي العمي اي في ابصارهم
وبصائرهم مزيلا لهم ونافلا ومبعدا عن ضلالتهم اي عن الطريق بحيث
تحفظهم عن ان يزلوا عنها اصلا فان هذا لا يقدر عليه الا الحي القيوم
وقرا حمزة تهدي بتاء فوقية وسكون الهاء والعمي بنصب الياء والباقون
بالباء الموحدة مكسورة وفتح الهاء بعدها الف والعمي بكسر الياء ولما كان هذا
ربما اوقف عن دعائهم رجاء في انقيادهم وارعوائهم بقوله تعالى ان اي ما
تسمع اي سماع انتفاع على وجه الكمال في كل حال الا من يؤمن اي من
علمنا انه يصدق بآياتنا بان جعلنا فيه قابلية السمع ثم سبب عنه قوله
دليلا على ايمانه فهم مسلمون اي مخلصون في غاية الطواعية لك كما في قوله تعالى
بلى من اسلم وجهه لله يعني جعله سالما لله خالصا له ثم ذكر تعالى ما يوعدون مما تقدم
استعجالهم له استهزاء بقوله تعالى واذا وقع القول عليهم اي مضمون القول
وهو ما وعدوا به من قيام الساعة والعذاب ووقوعه حصوله او اطلق
المصدر على المفعول اي المقول اخرجنا بما لنا من العظمة لهم حين مشارفة
الساعة وظهور اشراطها حين لا تنفع التوبة دابة من الارض وهي الجساسة
جاء في الحديث ان طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يدركها هارب
(في الهامش: ٣ يفوتها)
وروي ان لها اربع قوائم وزغبا وهو شعر اصفر على ريش الفرخ وريشا وجناحين
وعن ابن جريج في وصفها فقال راسها راس ثور وعينها عين الخنزير واذنها
اذن فيل وقرنها قرن ايل وعنقها عنق نعامة وصدرها صدر اسد

ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هر وذنبها ذنب كبش وخفها خف بعير وما
بين المفصلين اثنا عشر ذراعا بذراع ادم عليه السلام وروي لا تخرج
الا راسها وراسها يبلغ عنان السما او يبلغ السحاب وعن ابي هريرة فيها
من كل لون وما بين قرنيها فرسخ للراكب وعن الحسن لا يتم خروجها الا بعد ثلاثة
وعن علي رضي الله تعالى عنه انها تخرج ثلاثة ايام والناس ينظرون فلا يخرج
الا ثلثها وروي انه صلى الله عليه وسلم سئل من اين تخرج الدابة فقال
من اعظم المساجد حرمة واكرمها على الله فبينما هو لهم الا خرجت من بين الركن
حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة
وقيل تخرج من الصفا ولما كان التعبير بالدابة يفهم انها كالحيوانات العجم لا كلام
لها قال **تكلمهم** اي بالعربية كما قاله مقاتل بكلام يفهمونه بلسان طلق
ذلق فتقول **ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون** اي ان الناس كانوا لا يوقنون بخروجي
لان خروجها من الايات وتقول الا لعنة الله على الظالمين وعن السدي تكلمهم
ببطلان الاديان كلها سوى دين الاسلام وعن ابن عمر تستقبل المغرب
فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل المشرق ثم الشام ثم اليمن فتفعل مثل
ذلك وروي تخرج من اجياد وروي بينا عيسى عليه السلام يطوف بالبيت
ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض تحتهم تحرك القنديل وينشق
الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصى موسى وخاتم سليمان
فتضرب المسلم في مسجده او فيما بين عينيه بعصا موسى فتنكت نكتة
بيضا فتفشوا تلك النكتة في وجهه حتى يضي لها وجهه او تترك وجهه
كانه كوكب دري وتكتب بين عينيه مومن وتنكت الكافر بالخاتم في انفه
فتفشوا النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر وروي
فتجلو وجه المومن بالعصا وتخطم انف الكافر بالخاتم ثم تقول لهم يا فلان
انت من اهل الجنة ويا فلان انت من اهل النار وعن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم بادروا بالاعمال ستا طلوع الشمس من مغربها والدجال
والدخان والدابة وخاصة احدكم وامر العامة وقال صلى الله عليه وسلم
ان اول الايات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على
الناس ضحى وايهما ما كانت قبل صاحبتها فالاخرى على اثرها وقال صلى
الله عليه وسلم للدابة ثلاث خروجات من الدهر فتخرج خروجا باقصى
اليمن فيفشو ذكرها في البادية ولا يدخل ذكرها القرية يعني
مكة ثم تمكث زمانا طويلا ثم تخرج خرجة اخرى قريبا من مكة فيفشو ذكرها
في البادية ويدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم بين الناس في اعظم المساجد
على الله حرمة واكرمها على الله عز وجل يعني المسجد الحرام لم يرعهم الا وهي

في ناحية

في ناحية تدنو وتدنو قال الراوي ما بين الركن الاسود الى باب بني مخزوم
عن يمين الخارج في وسط من ذلك فارفض الناس عنها وثبت لها عصابة عرفوا
انهم لم يعجزوا الله فخرجت عليهم تنفض راسها من التراب فمرت فجلت عن وجو بهم
حتى تركتها كانها الكواكب الدرية ثم ولت في الارض لا يدركها طالب
ولا يعجزها هارب حتى ان الرجل ليقوم فيتعوذ منها بالصلاة فتاتيه من خلفه
فتقول يا فلان الان تصلي فيقبل عليها بوجهه فتسمه في وجهه فيتجاور
الناس في ديارهم ويصطحبون في اسفارهم ويشتركون في الاموال يعرف
الكافر من المومن فيقال للمومن يا مومن وللكافر يا كافر وعن علي رضي الله
تعالى عنه انه قال ليس بدابة لها ذنب ولكن لها لحية يشير الى انه رجل
والاكثرون على انها دابة وعن ابن عباس انه قرع الصفا بعصاه وهو محرم
وقال ان الدابة تسمع قرع عصاي هذه وعن ابي هريرة ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال بيس الشعب شعب جياد مرتين او ثلاثا قيل ولم
ذاك يا رسول الله قال تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات يسمعها
من بين الخافقين وقال وهب وجهها وجه الرجل وساير خلقها خلق الطير
فتخبر من راها ان اهل مكة كانوا بمحمد والقران لا يوقنون وقرا الكوفيون بفتح
الهمزة من ان على تقدير الباء اي بان الناس والباقون بكسرها على
الاستيناف **ويوم نحشر** اي الناس على وجه الاكراه قال ابو حيان
الحشر الجمع على عنف **من كل امة** اي قرن **فوجا** اي جماعة **ممن يكذب**
باياتنا اي وهم روسا وهم المتبوعون **فهم يوزعون** اي يجمعون برد
اخرهم الى اولهم واطرافهم على اوساطهم ليتلاحقوا ولا يشذ منهم احد
ولا يزالون كذلك **حتى اذا جاءوا** اي مكان الحساب **قال** اي الله تعالى
لهم **اكذبتم** اي انبيائي **باياتي** التي جاءوا بها **و** الحال انكم **لم تحيطوا بها**
اي من جهة تكذيبكم **علما** اي من غير فكر ولا نظر يؤدي الى الاحاطة بها
في معانيها وما اظهرت لاجله حتى تعلموا انها تستحقه وما يليق بها بدليل
لا مرية فيه وام في قوله تعالى **اماذا** منقطعة وتقدم حكمها وماذا يجوز
ان يكون برمته استفهاما بتعملون الواقع خبرا عن كنتم وان تكون ما استفهامية
مبتدا وذا موصول خبره والصلة **كنتم تعملون** وعائده محذوف اي اي
شي الذي كنتم تعملونه **ووقع القول** اي وجب العذاب الموعود **عليهم**
بما ظلموا اي بسبب ما وقع منهم من الظلم من صريح التكذيب وما
نشا عنه من الضلال في الاقوال والافعال **فهم لا ينطقون** قال قتادة
كيف ينطقون ولا حجة لهم نظيره قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يوذن
فيعتذرون وقيل لا ينطقون لان افواههم مختومة ثم انه تعالى خوفهم

باحوال القيامة ذكر كلاما يصلح ان يكون دليلا على التوحيد والحشر وعلى النبوة مبالغة في الارشاد على الايمان والمنع من الكفر فقال **الم يروا** مما يدلهم على قدرتنا على بعثهم بعد الموت وعلى كل ما اخبرنا به **انا جعلنا** اي بعظمتنا الدالة على تفردنا وفعلنا بالاختيار **الليل** اي مظلما **ليسكنوا فيه** عن الانتشار **والنهار مبصرا** اي يبصر فيه ويتصرفوا فيه ويبتغوا من فضل الله فحذف من الاول ما اثبت نظيره في الثاني ومن الثاني ما اثبت نظيره في الاول اذ التقدير جعلنا الليل مظلما كما مر ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ليتصرفوا فيه كما مر فحذف مظلما لدلالة مبصرا وليتصرفوا لدلالة ليسكنوا وقوله تع مبصرا كقوله تع اية النهار مبصرة وتقدم الكلام على ذلك في الاسرا قال الزمخشري فان قلت ما للتقابل لم يراع في قوله تع ليسكنوا ومبصرا حيث كان احدهما علة والاخر حالا قلت هو مراعى من حيث المعنى وهكذا النظم المطبوع غير المتكلف لان المعنى مبصر ليتصرفوا فيه طرق التقلب في المكاسب واجاب غيره بان السكون في الليل هو المقصود لانه وسيلة الى جلب لمنافع الدينية والدنيوية **ان في ذلك** اي هذا المذكور **لايات** اي دلالات بينة على التوحيد والبعث والنبوة وغير ذلك وخص المومنين بقوله تعالى **لقوم يومنون** لانهم المنتفعون به وان كانت الادلة للكل كقوله تع هدى للمتقين ولما ذكر تعالى هذا الحشر الخاص الدليل على مطلق الحشر ذكر الحشر العام بقوله تع **ويوم ينفخ** بايسر امر **في الصور** اي القرن ينفخ فيه اسرافيل **ففزع** اي فصعق **من في السموات ومن في الارض** اي كلهم فماتوا والمعنى انه يلقى عليهم الفزع الى ان يموتوا وقيل ينفخ اسرافيل في الصور ثلاث نفخات نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة القيام لرب العالمين فان قيل لم قال تع ففزع ولم يقل فيفزع اجيب بان في ذلك نكتة وهي الاشعار بتحقيق الفزع وثبوته وانه كاين لا محالة واقع على اهل السموات والارض لان الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعا به والمراد فزعهم عند النفخة الاولى حين يصعقون **الا من شاء الله** اي المحيط علما وقدرة وعزة وعظمة ان لا يفزع روي انه صلى الله عليه وسلم سال جبريل عنهم فقال هم الشهدا يتقلدون اسيافهم حول العرش وعن ابن عباس هم الشهدا لانهم احيا عند ربهم لا يصل الفزع اليهم وعن مقاتل هم جبريل وميكايل واسرافيل وملك الموت ويروى ان الله تع يقول

لملك الموت خذ نفس اسرافيل ثم يقول الله تعالى لملك الموت من بقي يا ملك الموت فيقول سبحانك ربي تباركت وتعاليت ياذا الجلال والاكرام وجهك الباقي الدائم بقي جبريل وميكايل وملك الموت فيقول خذ نفس ميكايل فياخذ نفس ميكايل فيقع كالطود العظيم فيقول من بقي فيقول جبريل وملك الموت فيقول مت يا ملك الموت فيموت فيقول يا جبريل من بقي فيقول تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام وجهك الباقي الدائم وجبريل الميت الفاني قال يا جبريل لا بد من موتك فيقع ساجدا يخفق بجناحيه فيروى ان فضل خلقه على خلق ميكايل كالطود العظيم ويروى انه يبقى مع هولا الاربعة حملة العرش ثم روح اسرافيل ثم روح ملك الموت وعن الضحاك هم رضوان والحور ومالك والزبانية وقيل عقارب النار وحياتها **وكل** من فزع ومن لم يفزع **اتوه** اي بعد ذلك للحساب بنفخة اخرى يقيمهم بها وفي ذلك دليل على قدرته تعالى في كونه فاجاهم عقب اماتتهم **داخرين** اي صاغرين وقرا حفص وحمزة بقصر الهمزة وفتح التا على انه فعل ماض ومفعوله الها فالتعبير به لتحقق وقوعه والباقون بمد الهمزة وضم التا على انه اسم فاعل مضاف للها وهذا حمل على معنى كل وهي مضافة تقديرا اي وكلهم ولما ذكر تعالى دخورهم اتبعه بدخور ما هو اعظم منهم بقوله تع **وترى الجبال** اي تبصرها وقت النفخة والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لكونه انفذ الناس بصرا وانورهم بصيرة او لكل احد **تحسبها** اي تظنها **جامدة** اي قايمة ثابتة في مكانها لا تتحرك لان الاجرام الكبار اذا تحركت في سمت واحد لا تكاد يتبين تحركها **وهي تمر** اي تسير حتى تقع على الارض فتستوي مبثوثة ثم تصير كالعهن ثم تصير هباء منثورا واشار تعالى الى ان سيرها خفي وان كان حثيثا بقوله تع **مر السحاب** اي مر سريعا لا يدرك على ما هو عليه لانه اذا اطبق لا يرى الجو لا يدرك سيره مع انه لا شك فيه والا لم تنكشف الشمس بلا لبس وكذلك كبير الجرم او كثير العدد يقصر عن الاحاطة به لبعد ما بين اطرافه لكثرته البصر بكونه سايرا او الناظر الحاذق يظنه واقفا وقرا تحسبها بكسر السين نافع وابن كثير وابو عمرو والكسائي وفتحها الباقون وقوله تعالى **صنع الله** مصدر موكد لمضمون الجملة قبله اضيف الى فاعله بعد حذف عامله اي صنع الله ذلك صنعا ثم زاد في التعظيم بقوله دالا على تمام الاحكام في ذلك الصنع **الذي اتقن** اي احكم **كل شي** صنعه ولما اثبت هذا على هذا الوجه المتقن والنظام الامكن انتج قطعا قوله تع **انه** اي الذي احكم هذه الامور **خبير بما يفعلون** اي عالم بظواهر

الاحوال وبواطنهم ليجازيهم عليها كما قال تعالى من جاء بالحسنة اي الكاملة وهي الايمان وعن ابن عباس الحسنة كلمة الشهادة فله خير اي افضل مضاعفا اقل ما يكون عشرة اضعاف الى ما لا يعلمه الا الله تعالى وقيل له خير حاصل من جهتها وهو الجنة وفسر الجلال المحلي الحسنة بلا اله الا الله وقال وقوله خير منها اي بسببها وليس للتفضيل اذ لا فعل خير منها وهذا يناسب القول الثاني وهم اي الجاؤن بها من فزع يومئذ اي يومئذ اذ وقعت هذه الاحوال العظيمة آمنون اي حتى لا يحزنهم الفزع الاكبر وقرا يعملون ابن كثير وابو عمرو وهشام بالياء التحتية على الغيبة والباقون بالفوقية على الخطاب وقرأ وهم من فزع يومئذ الكوفيون بتنوين العين والباقون بغير تنوين وهم اعم فانه يقتضي الامن من جميع فزع ذلك اليوم واما على قراءة التنوين فيحتمل معنيين من فزع واحد وهو خوف العذاب واما ما يلحق الانسان من الرعب ومشاهدته فلا ينفك منه احد ومن فزع شديد مفرط الشدة ولا يكتنهه الوصف وهو خوف النار وقرأ نافع والكوفيون بفتح الميم من يومئذ والباقون بكسرها فان قيل اليس قال تعالى في اول الاية ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله فكيف نفى الفزع ههنا اجيب بان الفزع الاول لا يخلو منه احد عند الاحساس بشدة تقع او هول يفجأ الا ما استثني وان كان المحسن يامن لحاق الضرر به واما الثاني فهو الخوف من العذاب ومن جاء بالسيئة اي التي لا سيئة مثلها وهي الشرك لقوله تعالى فكبت اي بابتدار وجوههم في النار بان وليتها مع انه ورد في الصحيح ان موضع السجود التي اشرفها الوجه لا سبيل للنار عليها والوجه اشرف ما في الانسان فاذا اهان كان ما سواه اولى بالهوان والمكبوب عليه منكوسا وبقاء الله تبكيتا هل اي ما تجزون جزاء الا ما كنتم تعملون اي من الشرك والمعاصي تنبيه جعل مقابلة الحسنة بالثواب والسيئة بالعقاب من جملة احكامه للاشيا واتقانه لها واجرائه لها على قضايا الحكمة انه عليم بما يفعل العباد وبما يستوجبونه عليه فيكافيهم على حسب ذلك فانظر الى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه واخذ بعضه بحجزة بعض كأنما افرغ افراغا واحدا ولامر ما اعجز القوى واخرس الشقاشق والادعا ثم امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقول لقومه انما امرت اي بامر من لا يرد له امر ان اعبد اي بجميع ما امركم به رب اي موجد ومدبر هذه البلدة اي مكة التي تخرج الدابة منها فيفزع كل من براها ثم نؤمن اهل السعادة اخصه بذلك لا اعبد شيئا مما تعبدونه الذي حرمها اي جعلها الله حرما آمنا لا يسفك فيها دم ولا يظلم فيها احد ولا يصاد صيدها ولا يختلى خلاها ولما خص مكة بهذه الاضافة تشريفا لها وتعظيما

لشانها فان احترازا عما قد يتوهم وله كل شيء اي من غيرها مما اشركتموه به وغيره خلقا وملكا وملكا ولما كانوا ربما قالوا نتعبد بعبادة من يرجوه اليه تقريبا اليه زلفى عين الدين الذي تكون به العبادة بقوله وامرت اي مع الامر بالعبادة له وحده ان اكون اي كونا هو في غاية الرسوخ من المسلمين اي من المسلمين المنقادين لجميع ما يامر به كتابه اتم انقياد ثابتا على ذلك غاية الثبات وان اي وامرت ان اتلوا القران عليكم تلاوة الدعوة الى الايمان او ان اواظب على تلاوته لتنكشف لي حقايقه في تلاوته شيئا فشيئا فمن اهتدى اي باتباع هذا القران الداعي الى الجنان فانما يهتدي لنفسه اي لاجلها لان ثواب هدايته له ومن ضل اي عن الايمان الذي هو الطريق المستقيم فقل اي له كما تقول لغيره انما انا من المنذرين اي المخوفين له عواقب صنعه فلا علي من وبال ضلاله شيء اذ ما على الرسول الا البلاغ وقد بلغت وقل اي انذارا لهم وترغيبا وترجية وترهيبا الحمد اي الاحاطة باوصاف الكمال لله اي الذي له العظمة كلها على نعمة النبوة وعلى ما علمني ووفقني للعمل به سيريكم اياته القاهرة في الدنيا كوقعة بدر وخروج دابة الارض وفي الاخرة بالعذاب الاليم فتعرفونها اي فتعرفون انها ايات الله ولكن حين لا تنفعكم المعرفة وما ربك اي المحسن اليك بجميع ما اقامك فيه من هذه الامور الجسيمة والاحوال العظيمة بغافل عما تعملون اي فلا تحسبوا ان تاخير عذابكم لغفلته عن اعمالكم وقرا نافع وابن عامر وحفص بالتاء على الخطاب لان المعنى عما تعمل انت واتباعك من الطاعة وهم من المعصية والباقون بالياء على الغيبة وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري من ان من قرا طسم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وكذب به وهود وشعيب وصالح وابراهيم ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله حديث موضوع

سورة القصص مكية

الا قوله تعالى ان الذي فرض عليك الاية نزلت بالجحفة والا الذين اتيناهم الكتاب الى لا نبتغي الجاهلين وهي سبع او ثمان وثمانون اية والف واربعمائة واحدى واربعون كلمة وخمسة الاف وثمانمائة حرف وتسمى سورة موسى لاشتمالها على قصته فقط من حين ولد الى ان اهلك تعالى فرعون وخسف بقارون كما سميت سورة نوح وسورة يوسف لاشتمالها على قصتهما ولا يقال سميت بذلك لاجل القصص فيها لقوله تعالى فلما جاءه وقص عليه القصص لان سورة يوسف فيها ذكر

القصص مرتين الاولى نحن نقص عليك احسن القصص والثانية لقد كان في
قصصهم فكانت سورة يوسف اولى بهذا الاسم وايضا فكانت سورة
هود اولى بهذا الاسم لان ذكر فيها قصص سبعة انبياء وهذه ليس فيها
الا قصة واحدة فكان ينبغي العكس وان تسمى سورة هود القصص وهذه
سورة موسى بسم الله اي الذي اختص بالكبريا والعظمة الرحمن
الذي عم بنعمه اهل الايمان والكفران الرحيم الذي خص بنعمه بعد البعث اهل
الايمان طسم تقدم الكلام على اوايل السور اول البقرة تلك اي
هذه الايات العالية الشان ايات الكتاب اي المنزل على قلبك الجامع
لجميع المصالح الدنيوية والاخروية والاضافة بمعنى من المبين اي المظهر
الحق من الباطل نتلوا اي نقص قصصا متتابعا متواليا بعضه في اثر بعض
عليك بواسطة جبريل عليه السلام من نبإ اي خبر موسى وفرعون بالحق
اي الصدق الذي يطابقه الواقع تنبيه يجوز ان يكون مفعول نتلو محذوفا
دل عليه صفته وهي من نبا موسى تقديره نتلوا عليك شيا من نبا موسى
ويجوز ان تكون من مزيدة على راي الاخفش اي نتلوا عليك نبا موسى
وبالحق يجوز ان يكون حالا من فاعل نتلوا او من مفعوله اي نتلوا عليك بعض
خبرهما متلبسين او متلبسا بالحق ثم نبه على ان هذا البيان كما سبق انما
ينفع اولي الاذعان بقوله تعالى لقوم يؤمنون فغيرهم لا ينتفع بذلك ولما كان
كانه قيل ما هذا المقصود من هذا النبا قال ان فرعون ملك مصر
الذي ادعى الالهية علا اي بادعا الالهية وتجبره على عباد الله وقهره
لهم في الارض اي ارض مصر واطلاقها يدل على تعظيمها وانها لجميع اهل
الارض لاشتمالها على ما قل ان يشتمل عليه غيرها وجعل اي بما جعلناله
من نفوذ الكلمة اهلها اي الارض المرادة شيعا اي فرقا تتبع كل فرقة
شيئا يتبعونه على ما يريد ويطيعونه لا يملك احد منهم ان يلوي
عنقه او اصنافا في استخدامهم يسخر صنفا في بنا وصنفا في حرث وصنفا
في حفر ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية او فرقا مختلفة قد اغرى بينهم
العداوة وهم بنو اسرايل والقبط وقوله تعالى يستضعف طايفة منهم يجوز
فيه ثلاثة اوجه ان يكون حالا من فاعل جعل اي جعلهم كذا حالة كونهم مستضعفا
طايفة منهم وان يكون صفة لشيعا وان يكون استينافا بيانا للحال لاهل
الذين جعلهم فرقا واصنافا وهم بنو اسرايل الذين كانت حياة جميع اهل
مصر على يد واحد منهم وهو يوسف عليه السلام وفعل معهم من الخير
ما لم يفعله والد مع ولده ومع ذلك كافؤه في اولاده واولاد اخوته بان
استعبدوهم ثم ما كفاهم حتى ساموهم على يد هذا العبد سوء العذاب
قال البقاعي وهذا حال الغربا بينهم قديما وحديثا ثم بين تعالى الاستضعاف

بقوله تعالى يذبح

بقوله تعالى يذبح ابناءهم اي عند الولادة وكل بذلك اناسا ينظرون كلما
ولدت امراة ذكرا ذبحوه وسبب ذلك ان كاهنا قال له يولد مولود في
بني اسرايل يذهب ملكك على يديه فولد في تلك الليلة اثنا عشر
غلاما فقتلهم وبقي ذلك العذاب في بني اسرايل سنين كثيرة وكان
ذلك من غاية حمق فرعون فانه ان صدق الكاهن لم يدفع القتل الكاين
وان كذب فما وجه القتل ويستحيي نساءهم اي يريد حياة الاناث
فلا يذبحهن وقال السدي ان فرعون راى في منامه نارا اقبلت
من بيت المقدس الى مصر فاحرقت القبط دون بني اسرايل فسال
عن روياه فقيل له يخرج من هذا البلد من بني اسرايل رجل يكون
هلاك مصر على يديه فامر بقتل الذكور وقيل ان الانبيا الذين
كانوا قبل موسى عليه السلام بشروا بمجيه فسمع فرعون ذلك فامر
بذبح بني اسرايل انه اي فرعون كان من المفسدين فلذلك
اجترا على قتل خلق كثير من اولاد الانبيا لتخيل فاسد قال وهب
ذبح فرعون في طلب موسى سبعين الفا من بني اسرايل وقوله تعالى
ونريد ان نمن عطف على قوله ان فرعون علا في الارض لانها نظيرة
تلك في وقوعها تفسيرا لنبإ موسى وفرعون واقتصاصا له ونريد
حكاية حال ماضية اي نعطي بقدرتنا وعلمنا ما يكون جديرا ان
نمن به على الذين استضعفوا اي حصل استضعافهم وهانوا بهذا
الفعل الشنيع ولم يراقب فيهم مولاهم في الارض اي ارض مصر
فذلوا واهينوا ونريهم في انفسهم واعدايهم فوق ما يحبون
وفوق ما يأملون ونجعلهم ايمة اي مقدمين في الدين والدنيا
علما يدعون الى الجنة عكس ما ياتي من عاقبة ال فرعون وقال
مجاهد دعاة الى الخير وقال قتادة ولاة وملوكا لقوله تعالى
وجعلكم ملوكا وقيل يقتدى بهم في الخير ونجعلهم اي بعظمتنا
وقدرتنا الوارثين اي لملك لا ينازعهم فيه احد من القبط
يخلفونهم في مساكنهم ونمكن اي نوقع التمكين لهم في الارض
اي كلها لا سيما ارض مصر والشام باهلاك اعدايهم وتابيد ملكهم
وتاييدهم بكلمة الله ثم بالانبيا من بعدهم صلوات الله وسلامه
عليهم اجمعين بحيث نسلطهم بسببهم على من سواهم بما نؤيدهم
به من الملايكة ونظهر لهم من الخوارق ونري اي بما لنا من
العظمة فرعون اي الذي كان هذا الاستضعاف منه وهامان
وزيره وجنودهما اي اللذين كانا يتوصلان بهم الى ما يريدانه من
الفساد فتقوي كل منهم بالاخر في الارض فعلوا وطغوا وقوله تعالى

منهم اي المستضعفين متعلق بنري او بنريد لا بيحذرون لان ما بعد
الموصول لا يعمل فيما قبله **ما كانوا يحذرون** اي من ذهاب ملكهم وهلاكهم
على يد مولود منهم وقرا حمزة والكسائي ويري باليا مفتوحة وفتح الرا
مع الامالة وسكون الرا بعد الامالة اليا ورفع فرعون وهامان وجنودهما
مضارع راي مسند الي فرعون وما عطف عليه فلذلك رفعوا وقرا
الباقون بالنون مضمومة وكسر الرا وفتح اليا بعدها ونصب الاسماء
الثلاثة مضارع اري فلذلك نصب فرعون وما عطف عليه مفعول
اول وما كانوا هو الثاني ثم ذكر تعالى اول نعمة من بها على الذين استضعفوا
بقوله تعالى **واوحينا** اي وحي الهام او منام **الي ام موسى** لا وحي نبوة
قال قتادة قذفنا في قلبها واسمها يوحانذ وهي بنت لاوي بن يعقوب
وهذا هو الذي امضينا في قضايانا ان يسمى بهذا الاسم وان يكون
هلاك فرعون وزوال ملكه على يده بعد ان ولدته وخافت ان يذبحه
الذابحون **ان ارضعيه** ما كنت امنة عليه ولم يشعر بولادته غير اخته
قيل ارضعته ثمانية اشهر وقيل اربعة اشهر وقيل ثلاثة اشهر
كانت ترضعه في حجرها وهو لا يبكي ولا يتحرك وقد روي انها ارضعته
ثلاثة اشهر في تابوت من بردي مطلو من داخله بالقار **فاذا خفت**
عليه اي منهم ان يصيح فيسمع فيذبح **فالقيه** اي بعد ان تضعيه
في شي بقية الما **في اليم** وهو البحر ولكن اراد هنا النيل **ولا تخافي** اي
لا يتجدد لك خوف اصلا من ان يغرق او يموت من ترك الرضاع **ولا تحزني**
اي ولا يوجد لك حزن لوقوع فراقه فان قيل ما المراد بالخوفين حتى
اوجد احدهما ونهي عن الاخر اجيب بان الخوف الاول هو الخوف
عليه من القتل لانه كان اذا صاح خاف ان يسمع الجيران صوته فينموا
عليه واما الثاني فالخوف من الغرق ومن الضياع ومن الوقوع في بعض
العيون المبثوثة من قبل فرعون في تطلب الولدان وغير ذلك من المخاوف
فان قيل ما الفرق بين الخوف والحزن اجيب بان الخوف غم يلحق الانسان
لمتوقع والحزن غم يلحق لواقع وهو فراقه والاخطار به فنهيت عنهما
جميعا واومنت بالوحي اليها بما يسليها ويطمن قلبها ويملاها غبطة
وسرورا وهو رده اليها كما قال تعالى **انا رادوه اليك** فازال تعقيبي الخوف
والحزن ثم زادها بشرى واي بشرى بقوله تعالى **وجاعلوه من المرسلين**
اي الذين هم خلاصة المخلوقين روى عطا والضحاك عن ابن عباس
قال ان بني اسرايل لما كثروا بمصر لما كثروا بمصر استطالوا على الناس
وعملوا بالمعاصي ولم يامروا بمعروف ولم ينهوا عن منكر فسلط الله تعالى
عليهم القبط فاستضعفوهم الي ان نجاهم الله تعالى على يد نبيه وكليمه

قال

قال ابن عباس ان ام موسى لما تقارب ولادتها وكانت قابلة من القوابل
التي وكلهن فرعون بحبالى بني اسرائيل مصافية لام موسى فلما ضربها الطلق
ارسلت اليها فقالت قد نزل بي ما نزل فلينفعني حبك اياي اليوم قال
فعالجت قبالها فلما ان وقع موسى بالارض هالها نور بين عيني موسى
فارتعش كل مفصل منها ودخل حب موسى قلبها ثم قالت لها يا هذه
ما جئت اليك حين دعوتني الا ومن وراي قتل مولودك ولكن وجدت
لابنك هذا حبا شديدا ما وجدت حب شي مثل حبه فاحفظي ابنك
فاني اراه هو عدونا فلما خرجت القابلة من عندها ابصرها بعض
العيون فجاء الي بابها ليدخلوا الي ام موسى فقالت اخته يا اماه هذا الحرس
بالباب فلفت موسى في خرقة فوضعته في التنور وهو مسجور وطاش
عقلها فلم تعقل ما تصنع قال فدخلوا فاذا التنور مسجور وام موسى
لم يتغير لها لون فقالوا ما ادخل عليك القابلة قالت هي مصافية لي
دخلت علي زائرة فخرجوا من عندها فرجع اليها عقلها فقالت لاخت
موسى فاين الصبي فقالت لا ادري فسمعت بكا الصبي من التنور
فانطلقت اليه وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما فاحتملته قال
ثم ان ام موسى لما رات الحاح فرعون في طلب الولدان خافت على ابنها
فقذف الله تعالى في نفسها ان تتخذ له تابوتا صغيرا فقال لها النجار
ما تصنعين بهذا التابوت قالت ابن لي اخبوه في هذا التابوت
وكرهت الكذب قال ولم قالت اخشى عليه كيد فرعون فلما
اشترت التابوت وحملته وانطلقت انطلق النجار الى الذباحين
ليخبرهم بامر موسى فلما هم بالكلام امسك الله تعالى على لسانه فلم يطق
الكلام وجعل يشير بيديه فلم يدر ما يقول فلما اعياهم امره قال
كبيرهم اضربوه فضربوه واخرجوه فلما اتى النجار الى موضعه رد الله تعالى
عليه لسانه فتكلم فانطلق ايضا يريد الامنا فاتاهم ليخبرهم فاخذ
الله لسانه وبصره فلم يطق الكلام ولم يبصر شيئا فضربوه واخرجوه
فوقع في واد يهوي فيه فجعل لله عليه لسانه وبصره ان لا يدل عليه
وان يكون معه يحفظه حيث ما كان فعرف الله تعالى منه الصدق
فرد الله تعالى لسانه وبصره فخر لله تعالى ساجدا فقال يا رب دلني على
هذا العبد الصالح فدل عليه فخرج من الوادي فامن به وصدقه وعلم
ان ذلك من الله عز وجل وقال وهب بن منبه لما حملت ام موسى
بموسى كتمت امرها جميع الناس فلم يطلع على حبلها احد من خلق الله تعالى
وذلك شي ستره الله تعالى لما اراد ان يمن به على بني اسرائيل فلما كانت
السنة التي يذبح فيها فبعث فرعون القوابل وتقدم اليهن وفتش

تعنتنا لم يعش قبل ذلك وحملت ام موسي فلم تنتب ولم يتغير لونها ولم يظهر
لبنها فكانت القوابل لا ينفرضن لها فلما كانت الليلة التي ولدتها
ولدته ولا رقيب عليها ولا قابلة ولم يطلع عليها احد الا اخته مريم فلما
خافت عليه عملت له تابوتا مطبقا ثم القته في البحر ليلا فالتقطه بالتابوت
صبيحة النيل آل اي اعوان فرعون فوضعوه بين يديه قال ابن عباس
وغيره وكان لفرعون يومئذ بنت ولم يكن له ولد غيرها وكانت من اكرم
الناس عليه وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها الى فرعون وكانت
برص شديد وكان فرعون قد جمع لها اطباء مصر والسحرة فنظروا في
امرها فقالوا له ايها الملك لا تبرا الا من قبل البحر يوجد فيه شبه
الانسان فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرا من ذلك وذلك
في يوم كذا وساعة كذا حين تشرق الشمس فلما كان يوم الاثنين
غدا فرعون الي مجلس له علي شفير النيل ومعه امراته اسية بنت
مزاحم واقبلت ابنة فرعون في جواريها حتي جلست علي شاطئ النيل
مع جواريها تلاعبهن وتنضح الماء علي وجوههن اذ اقبل النيل بالتابوت
تضربه الامواج فقال فرعون ان هذا لشيء في البحر قد تعلق بالشجر
ائتوني به فابتدروه بالسفن من كل جانب حتي وضعوه بين يديه
فعالجوا فتح التابوت فلم يقدروا عليه فدنت اسية فرات في جوف
التابوت نورا لم يره غيرها فعالجته ففتحت الباب فاذا هي بصبي صغير
في مهده واذا نور بين عينيه وقد جعل الله رزقه في ابهامه يمصه لبنا
فالقي الله تعالي المحبة في قلب اسية لموسي واحبه فرعون وعطف عليه
واقبلت بنت فرعون فلما اخرجوا الصبي من التابوت عمدت بنت
فرعون الي ما يسيل من ريقه فلطخت به برصها فبرئت فقبلته وضمته
الي صدرها فقال الغواة من قوم فرعون ايها الملك انا نظن ان ذلك المولود
الذي تحذر منه من بني اسرائيل هو هذا رمي به في البحر فرقا منك فاقتله
فهم فرعون بقتله قالت اسية قرة عين لي ولك واستوهبت موسي
من فرعون وكانت لا تلد فوهبه لها وقال فرعون اما انا فلا حاجة لي فيه
وفي حديث قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لو قال يومئذ قرة
عين لي كما هو قرة عين لك لهداه الله كما هداها قال الزمخشري وهذا
علي سبيل الفرض والتقدير اي لو كان غير مطبوع علي قلبه كاسية
لقال مثل قولها ولاسلم كما اسلمت هذا ان صح الحديث تاويله والله
اعلم بصحته انتهي ثم قال لاسية ما تسميه قالت سميته موسي
لانا وجدناه في الماء والشجر فمو هو الماء وسي هو الشجر فذلك قوله تعالي
فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا اي بطول خوفهم منه بمخالفته

لم

لهم في دينهم وحملهم علي الحق وقتل رجالهم وحزنا اي بزوال ملكهم لانه يظهر
فيهم الايات التي يهلك الله تعالي بها من شاء منهم ويستعبد نساءهم
ثم يظفر بهم كلهم فيهلكهم الله تعالي بالغرق علي يديه اهلاك نفس واحدة
فيعم الحزن والنواح اهل ذلك الاقليم كله تنبيه في هذه اللام وجهان
احدهما انها للعلة المجازية دون الحقيقة لانهم لم يكن داعيهم الي
الالتقاط ان يكون لهم عدوا وحزنا ولكن المحبة والتبني غير ان ذلك
لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرته شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل
اليفعل
لاجله وهو الاكرام الذي هو نتيجة المجيء والتادب الذي هو ثمرة
الضرب لتأديب وتحريره ان هذه اللام حكمها حكم الاسد حيث
استعيرت لما يشبه التعليل كما يستعار الاسد لمن يشبه الاسد
والثاني انها للعاقبة والصيرورة لانهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوا
وحزنا ولكن صار عاقبة امرهم الي ذلك وقرا حمزة والكسائي بضم
الحاء وسكون الزاي والباقون بفتحهما وهما لغتان بمعني واحد كالعدم
والعدم ثم بين تعالي ان هذا الفعل لا يفعله الا احمق متهور او
مغفل مخذول لا يكاد يصيب بقوله تعالي ان فرعون وهامان وزيره
وجنودهما اي كلهم علي طبع واحد كانوا خاطئين اي في كل شيء فلا بدع
منهم ان قتلوا الوفا لاجله ثم اخذوا يربونه ليكبر ويفعل بهم
ما كانوا يحذرون او مذنبين فعاقبهم الله تعالي بان ربي عدوهم
علي ايديهم وقال وهب لما وضع التابوت بين يدي فرعون فتحه فوجد
فيه موسي فلما نظر اليه قال كيف اخطا هذا الغلام الذبح وكان
فرعون قد استنكح امراة من بني اسرائيل يقال لها اسية بنت مزاحم
وكانت من خيار النساء ومن بنات الانبياء وكانت اما للمساكين
ترحمهم وتتصدق عليهم وهي المذكورة في قوله تعالي وقالت امرات فرعون
بسان بجنبه
اي له وهي قاعدة بجنبه هذا الوليد اكبر من ابن سنة وانما امرت ان
تذبح الولدان لهذه السنة فدعه قرة عين لي اي به ولك اي
يا فرعون لانهما لما راياه اخرج من التابوت احباه وروي انها قالت
انه اتانا من ارض اخري ليس من بني اسرائيل ولما اثبتت له انه ممن تقر
به العيون قالت لا تقتلوه اي انت بنفسك ولا احد ممن تامره
بذلك ثم عللت ذلك او استانفت بقولها عسي ان ينفعنا ولو كان
له ابوان معروفان فيه مخايل اليمن ودلائل النفع وذلك لما رات من النور
بين عينيه وارتضاعه ابهامه لبنا وبرء البرصاء بريقه او نتخذه ولدا
اي ان لم يعرف له ابوان فيكون نفعه اكثر فانه اهل لان يتشرف به الملوك
تنبيه التاء في قرة مجرورة وقف عليها ابن كثير وابو عمرو والكسائي

بالمها وابا قون بالنار وهي خبر مبتدا مضمر اي هو قرة عين والعامة من القرا
والمفسرين واهل العلم على ذلك ونقل ابن الانباري بسنده عن ابن عباس
انه وقف على لا اي هو قرة عين لي فقط ولك لا اي ليس هو لك اي لكن
هو قرة عين ثم يبتدي بقوله تقتلوه قال ابن عادل وهذا لا ينبغي
ان يصح عنه وكيف يبقى تقتلوه من غير نون رفع ولا مقتضي لحذفها فلذلك
قال الفراء هو لحن وقوله تعالى وهم لا يشعرون جملة حالية من كلام الله
تعالى اي لا شعور لهم اصلا لان من لا يكون له علم الا بالاكتساب فكيف
اذا كان مطبوعا على قلبه واذا كانوا كذلك فلا شعور لهم بما يؤول
اليه امرهم معه من الامور الهائلة المؤدية الى هلاك المفسدين وقيل ان ذلك
من كلام امراة فرعون فانه لما رات ملاه اشاروا بقتله قالت له
افعل انت ما اقول لك وقومك لا يشعرون انا التقطناه قاله الكلبي
ولما اخبر تعالى عن حال من لقيه اخبر عن حال من فارقه بقوله تعالى
واصبح اي عقب الليلة التي حصل فيها فراقه فؤاد ام موسى اي قلبها
الذي زاد احتراقه شوقا وخوفا وحزنا وهذا يدل على انها القته بليل
واختلف في معنى قوله تعالى فارغا فقال اكثر المفسرين اي خاليا من
كل شي الا من ذكر موسى وهمه وقال الحسن اي ناسيا للوحي
الذي اوحى الله تعالى اليها حين امرها ان تلقيه في البحر ولا تخاف ولا تحزن
والعهد الذي عهد ان يرده اليها ويجعله من المرسلين فجاءها الشيطان
وقال لها كرهت ان يقتل فرعون ولدك فيكون لك اجره وثوابه
وتوليت انت قتله فالقيتيه في البحر فاغرقتيه وقال الزمخشري صفرا
من العقل والمعنى انها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها
لما دهمها من فرط الجزع والدهش ونحوه قوله تعالى وافئدتهم هوا
اي جوف لا عقول فيها وذلك ان القلوب مراكز العقول الا ترى الى
قوله تعالى فتكون لهم قلوب يعقلون بها وقوله تعالى ان هي المخففة
من الثقيلة واسمها محذوف اي انها كادت اي قاربت لتبدي اي
يقع منها الاظهار لكل ما كان من امره به اي بام موسى عليه السلام
من انه ولدها وقال عكرمة عن ابن عباس كادت تقول وا ابناه
وقال مقاتل لما رات التابوت يرفعه موج ويضعه اخر خشيت
عليه الغرق فكادت تصيح من شفقتها وقال الكلبي كادت تظهر
انه ابنها حين سمعت الناس يقولون لموسى بعدما شب موسى بن فرعون
فشق عليها فكادت تقول هو ابني وقيل ان الهاء عائدة الى الوحي
اي كادت لتبدي بالوحي الذي اوحى الله تعالى اليها ان يرده عليها
وجوابه لولا ان ربطنا محذوف اي لابدت كقوله تعالى وهم بها

لولا



لولا ان راى برهان ربه والمعنى لولا ان ربطنا على قلبها بالعصمة والصبر
والتثبيت وقوله تعالى لتكون من المؤمنين متعلق بربطنا اي من المصدقين
بوعد الله وهو قوله تعالى انا رادوه اليك ثم اخبر تعالى عن فعلها في
تعرف خبره بعد ان اخبر عن كتمها بقوله تعالى وقالت اي امه
لاخته اي بعد ان اصبحت على تلك الحالة قد خفي عليها امره
قصيه اي اتبعي اثره وتتبعي خبره برا او بحرا ففعلت فبصرت
اي ابصرته به عن جنب اي من مكان بعيد اختلاسا وقوله تعالى
وهم لا يشعرون جملة حالية ومتعلق الشعور محذوف اي انها اخته
وانها ترقبه بل هم في غاية الغفلة التي هي في غاية البعد عن رتبة
الالهية او انها تقصه او انه سيكون لهم عدوا وحزنا ثم ذكر تعالى احد
الاسباب في رده بقوله تعالى وحرمنا اي منعنا بعظمتنا عليه
المراضع جمع مرضعة وهي من تكتري للرضاع من الاجانب اي حكمنا
بمنعه من الارتضاع منهن فاستعير التحريم للمنع لانه منع فيه رحمة
قال الرازي في اللوامع تحريم منع لا تحريم شرع من قبل اي من
قبل ان تاتي امه اخته بما امرتها به او قبل قصها اثره او قبل ولادته
في حكمنا وقضائنا وهو انه تعالى غير طبعه عن لبن سائر النسا فلذلك
لم يرتضع او احدث في لبنهن طعما ينفر عنه طبعه او وضع في لبن امه
لذة تعود بها فكان يكره لبن غيرها فلما رات اخت موسى التي ارسلتها
امها في طلبه انه لا يقبل لبن امراة وفي القصة ان موسى مكث ثمان
ليال لا يقبل ثديا ويصيح فقالوا لها هل عندك مرضعة تدلينا
عليها لعله يقبل ثديها قال ابن عباس ان امراة فرعون كان همها من
الدنيا ان تجد له مرضعة فكلما اتوه بمرضعة لم ياخذ ثديها فدنت
اخته منه بعد نظرها اليه فقالت لهم لما راتهم في غاية الاهتمام
برضاعه هل لكم حاجة في ان ادلكم على اهل بيت ولم تقل على امراة
لتوسع دائرة النظر يكفلونه لكم اي ياخذونه ويعولونه ويقومون
بجميع مصالحه من الرضاع وغيره لاجلكم ثم ابعدت التهمة عن نفسها
وقالت وهي امراة قتل ولدها فاحب شي اليها ان تجد صغيرا ترضعه
ثم زادتهم رغبة بقولها وهم له ناصحون اي ثابت نصحهم له
لا يغشونه نوعا من الغش قال البغوي والنصح ضد الغش وهو
تصفية العمل من شوائب الفساد قال السدي لما قالت ذلك
اخذوها وقالوا قد عرفت هذا الغلام فدلينا على اهله فقالت
ما اعرفه وقالت انما اردت وهم للملك ناصحون فتخلصت منهم
بذلك قال ابن عادل ولهذا يسمى عند اهل البيان الكلام الموجه

ومثله لما سئل بعضهم وكان بين اقوام يحب عليا دون غيره وبعضهم
يحب ابابكر وبعضهم عمر وبعضهم عثمان فقيل له ايهم احب
الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من كانت ابنته تحته وقيل
لما تفرسوا انها امه قالت انما قلت هذا رغبة في سرور الملك
واتصالنا به وقيل لها لما قالت ذلك قالوا لها من قالت امي قالوا
ولامك ابن قالت نعم هرون وكان ولد في سنة لا يقتل فيها قالوا
صدقت فأتينا به فانطلقت الي امها فاخبرتها بحال ابنها وجاءت
بها اليهم فلما وجد الصبي ريح امه قبل ثديها وجعل يمصه حتى
امتلأ جنباه ريا فقالوا لها اقيمي عندنا فقالت لا اقدر على فراق
بيتي ان رضيتم ان اكفله في بيتي والا فلا حاجة لي واظهرت
الزهد فيه نفيا للتهمة فرضوا بذلك فرجعت به الى بيتها فذلك قوله
تعالى فرددناه الى امه ثم علله بقوله تعالى كي تقر عينها اي تبرد
وتستقر واصل قرة العين من القر وهو البرد اي بردت ونامت بخلاف
سخنت عينه يقال اقر الله تعالى عينك من الفرح واسخنها من
الحزن فلهذا قالوا دمعة الفرح باردة واسخنها من الحزن ودمعة
الحزن حارة هذا قول الاصمعي قال ابو تمام

فاما عيون العاشقين فاسخنت ... واما عيون الشامتين فقرت

وقال ابو العباس ليس كما قال الاصمعي بل كل دمع حار فمعنى
اقر الله عينك صادفت سرورا فنامت وذهب سهرها وصادفت
ما يرضيك اي بلغك الله اقصى املك حتى تقر عينك من النظر
الى غيره استغناء ورضا بما في يديك ولا اي وكي لا تحزن اي بفراقه
وتعلم اي علما هو عين اليقين كما كانت عالمة به علم اليقين وعلم شهادة
كما كانت عالمة به علم غيب ان وعد الله اي الامر الذي وعدها به الذي
له الكمال كله في حفظه وارساله حق اي هو في غاية الثبات في مطابقة
الواقع ولكن اكثرهم اي اكثر آل فرعون وغيرهم لا يعلمون ان وعد الله حق
فيرتابون فيه او لا يعلمون ان الله وعدها رده اليها قال الضحاك لما قبل
ثديها قال لها هامان انك لامه قالت لا قال لها فما باله قبل ثديك من بين
النسوة قالت ايها الملك اني امرأة طيبة الريح حلوة اللبن فما شم ريحي
صبي الا اقبل على ثديي قالوا صدقت فلم يبق احد من آل فرعون الا اهدى
اليها واتحفها بالذهب والجوهر واجرى عليها اجرها قال السدي
وكانوا يدفعون اليها كل يوم دينارا فان قيل كيف حل لها ان تاخذ الاجر
على رضاع ولدها منه اجيب بانها ما كانت تاخذه على انه اجر
على الرضاع ولكنه مال حربي كانت تاخذه على الاستباحة فمكث عندها

الي ان

الي ان فطمته واستمر عند فرعون ياكل من ماكوله ويشرب من مائه ويلبس من
ملبوسه الى ان كمل كما قال تعالى حكاية عنه في سورة الشعراء الم نربك فينا
وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين ولما بلغ اشده وهو ثلاثون سنة
او وثلاث كما قال مجاهد وغيره واستوى اي بلغ اربعين سنة كما رواه سعيد
ابن جبير عن ابن عباس وقيل اعتدل في السن وتم استحكامه بانتهاء شبابه
وهو من العمر ما بين احدى وعشرين سنة الى اثنين واربعين سنة
اتيناه اي ابتداء من غير اكتساب اصلا جريا على العادة اسوة اخوانه من
الانبياء حكما اي عملا محكما بالعلم وعلما اي فقها في الدين تهيئة لنبوته وارهاصا
لرسالته وقيل العلم علم التوراة والحكم السنة قال الزمخشري
وحكمة الانبيا سنتهم قال الله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات
الله والحكمة وقيل معناه اتيناه سيرة الحكماء والعلماء وسمتهم قبل البعث
فكان لا يفعل فعلا يستجهل فيه قال البقاعي واختار الله هذا السن
للارسال ليكون من جملة الخوارق لانه به يكون ابتداء الانتكاس الذي قال
الله تعالى فيه ومن نعمره اي الى الكمال سن الشباب ننكسه في الخلق اي نوقفه
فلا يزداد بعد ذلك في قواه الظاهرة ولا الباطنة شيء ولا يوجد فيه غريزة
لم تكن موجودة اصلا عشر سنين ثم ياخذ في النقصان هذه عادة الله في جميع
بني ادم الا الانبياء فانهم في حد الوقوف يؤتون من بحار العلوم ما يقصر عنه
الوصف بغير اكتساب بل غريزة يغرزها الله تعالى فيهم حينئذ ويؤتون
من قوة الابدان ايضا بمقدار ذلك ففي انتكاس غيرهم يكون نموهم وكذا من
الحقه الله تعالى بهم من صالحي اتباعهم كما قال تعالى وكذلك اي مثل هذا الجزاء
العظيم نجزي المحسنين اي كلهم على احسانهم ولما اخبر تعالى بتهيئته
للنبوة اخبر بما هو سبب لهجرته وكانت هي سنة بعد ابراهيم عليه السلام
بقوله تعالى ودخل اي موسى المدينة قال السدي هي مدينة منف من
ارض مصر وقال مقاتل كانت قرية تدعى حابين على راس فرسخين من مصر
وقيل مدينة عين شمس وقيل غير ذلك على حين غفلة من اهلها وهو وقت
القائلة واشتغال الناس بالقيلولة وقال محمد بن كعب القرظي دخلها
فيما بين المغرب والعشاء وقيل يوم عيد لهم وهم مشتغلون فيه بلهوهم
وقيل لما شب وعقل اخذ يتكلم بالحق وينكر عليهم فاخافوه فلا يدخل قرية
الا على تغفل واختلف في السبب الذي من اجله دخل المدينة في هذا الوقت
قال السدي وذلك ان موسى كان يسمى ابن فرعون فكان يركب مراكب
فرعون ويلبس من ملابسه فركب فرعون يوما وليس عنده موسى فلما جاء
موسى قيل له ان فرعون قد ركب فركب في اثره فادركه المقيل بارض منف
فدخلها نصف النهار وليس في طرقها احد وقال ابن اسحاق كان

لموسى شيعة من بني اسرائيل يسمعون ويقتدون برايه فلما عرف ما هو عليه من الحق راى فراق فرعون وقومه فخالفهم في دينه فاخافوه فكان لا يدخل قرية الا خائفا مستخفيا وقال ابن زيد لما علا موسى فرعون بالعصا في صغره فاراد فرعون قتله فقالت امراته هو صغير فترك قتله وامر باخراجه من مدينته فلم يدخل عليهم الا بعد ان كبر وبلغ اشده فوجد فيها اي المدينة رجلين يقتتلان اي يفعلان مقدمات القتل مع الملازمة من الخنق والضرب وهما اسرائيلي وقبطي ولهذا قال تعالى مجيبا لمن كان يساله عنهما وهو ينظر اليهما هذا من شيعته اي من بني اسرائيل وهذا من عدوه اي من القبط قال مقاتل كانا كافرين الا ان احدهما من القبط والاخر من بني اسرائيل لقول موسى عليه السلام انك لغوي مبين والمشهور ان الاسرائيلي كان مسلما قيل انه السامري والقبطي طباخ فرعون فكان القبطي يسخر الاسرائيلي ليحمل الحطب الى المطبخ وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس لما بلغ موسى اشده لم يكن احد من ال فرعون يخلص الى احد من بني اسرائيل بظلم حتى امتنعوا كل الامتناع وكان بنو اسرائيل عزوا لمكان موسى لكونه ربيب الملك مع ان مرضعته منهم لا يظنون ان سبب ذلك الا الرضاع فاستغاثه اي طلب منه الذي من شيعته ان يغيثه على الذي من عدوه فغضب موسى عليه السلام واشتد غضبه وقال للفرعوني خل سبيله فقال انما اخذته ليحمل الحطب الى مطبخ ابيك فنازعه فقال الفرعوني لقد هممت ان احمله عليك وكان موسى عليه السلام قد اوتي بسطة في الخلق وشدة في القوة والبطش فوكزه موسى اي دفعه بجمع كفه والفرق بين الوكز واللكز ان الاول بجمع الكف والثاني باطراف الاصابع وقيل بالعكس وقيل اللكز في الصدر والوكز في الظهر فقضى اي وقع القضاء الذي هو القضاء على الحقيقة وهو الموت الذي لا ينجو منه احد مخلوق عليه فقتله وفرغ منه وكل شيء فرغت منه فقد قضيته وقضيت عليه وخفي هذا على الناس لما هم فيه من الغفلة فلم يشعر به احد فندم موسى عليه السلام عليه ولم يكن قصده القتل فدفنه في الرمل قال هذا اي قتله من عمل الشيطان اي لاني لم اومر به على الخصوص ولم يكن من قصدي وان كان المقتول كافرا حربيا ثم اخبر عن حال الشيطان ليحذر منه بقوله انه عدو ينبغي الحذر منه مضل لا يقود الى خير اصلا مبين اي عداوته واضلاله في غاية البيان ما في شيء منهما خفاء ولما لم يكن في قتله الا الندم لعدم اذن خاص قال رب اي المحسن الي اني ظلمت نفسي اي بالاقدام على ما لم تامرني فيه

ليحمل

بالخصوص

بالخصوص وان كان مباحا فاغفر اي امح هذه الهفوة عينها واثرها لي اي لاجلي لا تؤاخذني فغفر له اي اوقع المحو لذلك كما سال اكراما انه هو اي وحده الغفور اي البالغ في صفة الستر لكل من يريد الرحيم اي العظيم الرحمة بالاحسان بالتوفيق الى الافعال المرضية لمقام الالهية ولاجل ان هذه صفته رده الى فرعون وقومه حين ارسله اليهم فلم يقدروا على مؤاخذته بذلك بقصاص ولا غيره بعد ان نجا منهم قبل ارساله على غير قياس ثم شكر ربه على هذه النعمة التي انعم بها عليه بان قال رب اي ايها المحسن الي بما انعمت علي اي بسبب انعامك علي بالمغفرة فلن اكون اي ان اعصمتني ظهيرا اي عونا وعشيرا وخليطا للمجرمين قال ابن عباس للكافرين وهو اما صحبة فرعون وانتظامه في جملته وتكثيره سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد وكان يسمى ابن فرعون واما بظاهره واما مظاهرة من اول مظاهرته الى الجرم والاثم كما في مظاهرة الاسرائيلي المؤدية الى القتل الذي لم يؤمر به وهذا نحو قوله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا وعن عطا ان رجلا قال له ان اخي يضرب بقلمه ولا يعدو رزقه قال فمن الراس يعني من يكتب له قال خالد ابن عبد الله القسري قال فاين قول موسى وتلا هذه الاية وفي الحديث ينادي مناد يوم القيامة اين الظلمة واشباه الظلمة حتى من لاق لهم دواة وبرى لهم قلما فيجمعون في تابوت من حديد فيرمى بهم في جهنم وقال ابن عباس يدل على ان الاسرائيلي الذي اعانه موسى كان كافرا وهو قول مقاتل وقال قتادة اي لا اعين بعدها على خطيئة وقيل بما انعمت علي من القوة فلن استعملها الا في مظاهرة اوليائك واهل طاعتك والايمان بك قال ابن عباس لم يستثن اي فلم يقل ان شاء الله فابتلي به في اليوم الثاني كما قال تعالى فاصبح في المدينة اي التي قتل القتيل فيها خائفا اي بسبب قتله له يترقب اي ينتظر ما يناله من جهة القتل قال البغوي والترقب انتظار المكروه وقال الكلبي ينتظر ما يؤخذ به فاذا اي ففجاه الذي استنصره اي طلب نصرته من شيعته بالامس يستصرخه اي يطلب ان يزيل ما يصرخ بسببه من الضر من قبطي اخر كان بطلبه فكانه قيل فما قال له موسى بعد ما اوقعه فيما يكره فقيل قال له اي لهذا المستصرخ موسى انك لغوي اي صاحب ضلال بالغ مبين اي واضح الضلال لعزيمته لكونه ما وقع بالامس لم يكفك عن الخصومة لمن لا تطيقه وان كنت مظلوما ثم دنى منهما لينصره فلما ان اراد اي شاء فانه مريد ان يبطش اي موسى عليه السلام بالذي هو عدو لهما اي لموسى والاسرائيلي لانه لم يكن على دينهما ولان القبط كانوا اعداء بني اسرائيل

بان ياخذه بعنف وسطوة لخلاص الاسرائيلي منه قال اي الاسرائيلي
الغوي لاجل ما راي من غضبه وتكلمه له ظانا انه يريد البطش به يا موسى
ناصا عليه باسمه اتريد ان تقتلني اي اليوم وانا من شيعتك كما قتلت نفسا
بالامس اي من شيعة اعدائنا والذي يدل على ان الاسرائيلي هو الذي
قال له هذا الكلام السياق وعليه الاكثرون لانه لم يعلم بقتل القبطي
غير الاسرائيلي وقيل انما قاله موسى للفرعوني فانك لغوي مبين بظلمك
وبياسه قوله ان اي ما تريد الا ان تكون جبارا اي قهارا عاليا فلا
يليق ذلك الا بقول الكافر وان الاسرائيلي انه كان كافرا قال ابو حيان وشان
الجبار ان يقتل بغير حق في الارض اي التي تكون بها فلا يكون فوقك احد
وما تريد اي تتخذ ذلك ارادة ان تكون اي كونا هو لك كالجبلة من
المصلحين اي العريقين في الصلاح فان المصلح بين الناس لا يصل الى القتل
على هذه الصورة فلما سمع القبطي هذا ترك الاسرائيلي وكان القبط
لما قتل ذلك القبطي ظنوا في بني اسرايل فاغروا فرعون بهم وقالوا ان بني
اسرايل قتلوا منا رجلا فخذ لنا بحقنا فقال ابغوا الي قاتله ومن يشهد
عليه فان الملك وان كان صفوه مع قومه لا يستقيم ان يقضي بغير بينة
ولا تثبت فلما قال هذا الغوي هذه المقالة علم القبطي ان موسى هو الذي
قتل الفرعوني فانطلق الى فرعون فاخبره بذلك فامر فرعون بقتل موسى
قال ابن عباس فلما ارسل فرعون الذباحين لقتل موسى اخذوا الطريق
الاعظم وجاء رجل اي ممن يحب موسى عليه السلام واختلف في اسمه
فقيل حزقيل مومن ال فرعون وقيل شمعون وقيل سمعان وكان ابن عم
فرعون من اقصى المدينة اي ابعدها مكانا يسعى اي يسرع في مشيه
فاخذ طريقا قريبا حتى سبق الى موسى فاخبره وانذره حتى اخذ طريقا اخر
فكانه قيل فما قال الرجل له فقيل قال مناديا لموسى باسمه تعطفا وازالة
للبس يا موسى ان الملا اي اشراف القبط الذين في ايديهم الحل والعقد
لان لهم القدرة على الامر والنهي ياتمرون بك اي يتشاورون في شانك
ليقتلوك حتى وصل حالهم في تشاورهم الى ان كلا منهم يامر الاخر
وياتمر بامره لانهم سمعوا انك قتلت صاحبهم فاخرج اي من هذه المدينة
ثم علل ذلك بقوله على سبيل التاكيد ليزيل ما يطرقه من احتمال عدم القتل
لكونه عزيزا عند الملك اني لك من الناصحين اي العريقين في نصحك فخرج
اي موسى مبادرا منها اي المدينة لما علم صدق قوله مما تحققه من القرائن
حال كونه خائفا على نفسه من ال فرعون يترقب اي يكثر الالتفات
بادارته في الجهات ينظر هل يتبعه احد ثم دعا الله تعالى بان قال رب اي
ايها المحسن الي بالنجاة وغير ذلك من وجوه البر نجني اي خلصني من القوم

الظالمين

الظالمين اي الذين يضعون الامور في غير مواضعها فيقتلون من لا يستحق القتل
مع قولهم فاستجاب الله له دعاءه فوفقه لسلوك الطريق الاعظم نحو مدين فكان
ذلك سبب نجاته وذلك ان الذين انتدبوا اليه قطعوا بانه لا يسلك الطريق
الاكبر جريا على عادة الخائفين الهاربين وفي القصة ان فرعون لما بعث في
طلبه قال اركبوا ثنيات الطريق فانبثوا فيها اطلبوه يمينا وشمالا ففاتهم
ولما توجه اي اقبل بوجهه قاصدا تلقاء اي الطريق الذي يلاقي سالكه
ارض مدين قال ابن عباس خرج وما قصد مدين ولكنه سلم نفسه
الى الله تعالى ومشى من غير معرفة فهداه الله تعالى الى مدين وقيل وقع في
نفسه ان بينهم وبينه قرابة لانهم من ولد مدين بن ابراهيم وكان من بني
اسرايل سميت البلد باسمه فخرج ولم يكن له علم بالطريق بل اعتمد على
فضل الله تعالى وقيل جاءه جبريل عليه السلام وعلمه الطريق قال ابن
اسحاق خرج من مصر الى مدين خائفا بلا زاد ولا ظهر وبينهما مسيرة ثمانية
ايام ولم يكن له طعام الا ورق الشجر قال عسى جدير وحقيق ربي اي
المحسن الي ان يهديني سواء اي عدل وسط السبيل اي الطريق الذي
يطلعني الله تعالى عليها من غير اعوجاج وقال ذلك قبل ان يعرف الطريق
اليها قيل فلما دعا جاءه ملك بيده عنزة فانطلق به الى مدين قال المفسرون
خرج موسى من مصر ولم يكن له طعام الا ورق الشجر والبقل حتى ترى خضرته
في بطنه وما وصل الى مدين حتى وقع خف قدميه قال ابن عباس وهو
اول ابتلاء من الله تعالى لموسى عليه السلام ولما ورد اي وصل ماء مدين
وهو بئر كان يستقي منها الرعاء مواشيهم وجد عليه اي الماء امة
اي جماعة كثيرة من الناس مختلفين يسقون اي مواشيهم ۝
ووجد من دونهم اي في مكان سواهم اسفل من مكانهم امراتين عبر بذلك
لما جعل لهما سبحانه من المروءة ومكارم الاخلاق كما يعلمه من امعن النظر
فيما يذكر عنهما الى تذودان اي يحبسان ويمنعان اغنامهما اذا فرغت
من العطش الى الماء حتى يفرغ الناس ويخلو لهما البئر وقال الحسن يكفان
الغنم لئلا تختلط بغنم الناس وقال قتادة يكفان الناس عن اغنامهما
وقيل لئلا يختلطن بالرجال وقيل كانتا تذودان عن وجوههما نظر
الناظرين لتسترهما وقيل غير ذلك فكانه قيل فما قال موسى لهما قيل قال
لهما رحمة لهما ما خطبكما اي ما شانكما لا تسقيان مواشيكما مع الناس
قالتا لا نسقي اي مواشينا وحذف للعلم به حتى يصدر اي ينصرف
ويرجع الرعاء اي عن الماء خوف الزحام فنسقي وقرا ابو عمرو وابن عامر
بفتح الياء وضم الدال والباقون بضم الياء وكسر الدال مضارع اصدر
معدي بالهمزة تثنية المفعول محذوف اي يصدرون مواشيهم

والرعاع رَاع مثل تاجر وتجار اي نحن امرأتان لا يليق ان نزاحم الرجال فاذا صدروا
سقينا مواشينا ما افضلت مواشيهم في الحوض **وابونا شيخ كبير** اي لا يستطيع
لكبره ان يسقي فاضطررنا الى ما ترى تنبيه اختلف في ابيهما فقال
مجاهد والضحاك والسدي ابوهما هو شعيب النبي عليه السلام وانه عاش
عمرا طويلا بعد هلاك قومه حتى ادركه موسى عليه السلام وتزوج
بابنته وقال وهب وسعيد بن جبير هو يثرون بن اخي شعيب وكان
شعيب قد مات قبل ذلك بعد ما كف بصره فدفن بين المقام وزمزم
وقيل رجل ممن امن بشعيب قالوا فلما سمع موسى قولهما رحمهما فاحتمل
صخرة من راس بئر اخرى كانت بقربهما لا يطيق رفعها الا جماعة من الناس
وقال ابن اسحاق ان موسى زاحم القوم ونحاهم عن راس البئر فسقى
غنم المرأتين ويروى ان القوم لما رجعوا باغنامهم غطوا راس البئر بحجر لا يرفعه
الا عشرة نفر وقيل اربعون وقيل مائة فجاء موسى ورفع الحجر وحده
وسقى غنم المرأتين ويقال انه سألهم دلوا فاعطوه دلوهم وقالوا
استق بها وكان لا ينزعها الا اربعون فاستقى بها وصبها في الحوض
ودعا فيه بالبركة فروي منه جميع الغنم فان قيل كيف ساغ لنبي الله
تعالى شعيب السقي بالماشية اجيب بان الناس اختلفوا فيه هل هو
شعيب او غيره واذا قلنا انه هو كما عليه الاكثر فليس ذلك بمحظور فلا
يأباه الدين والناس مختلفون في ذلك بحسب المروة وعاداتهم فيها
متباينة واحوال العرب والبدو تباين احوال العجم والحضر لا سيما اذا
دعت الى ذلك ضرورة **فسقى** اي موسى عليه السلام **لهما** والمفعول
محذوف اي غنمهما لما علم ضرورتهما انتهازا لفرصة الاجر وكرم الخلق
في مساعدة الضعيف مع ما به من النصب والجوع وسقوط خف القدم
ولكنه رحمهما فاعانهما وكفاهما امر السقي في مثل تلك المزاحمة
بقوة قلبه وقوة ساعده وما اتاه الله تعالى من الفضل في متانة الفطرة
ورصانة الجبلة **ثم تولى** اي انصرف جاعلا ظهره يلي ما كان يليه وجهه
الى الظل اي سمرة فجلس في ظلها ليقيل ويستريح مقبلا على الخالق
بعد ما قضى من نصيحة الخلائق وهو جائع قال الضحاك لبث
سبعة ايام لم يذق الا بقل الارض **فقال رب** واكد الافتقار بالاضافة
باللام دون الى بقوله **اني لما انزلت الي من خير** قليل او كثير غث او سمين **فقير**
اي محتاج سائل تنبيه لما انزلت متعلق بفقير قال الزمخشري
عدي فقير باللام لانه ضمن معنى سائل وطالب ويحتمل اني فقير
من الدنيا لاجل ما انزلت الي من خير الدين وهو النجاة من الظالمين وليس
في الشكوى الى الغني المطلق نقص قال ابن عباس سأل الله تعالى

فلقة خبز يقيم بها صلبه وقال الباقر لقد قالها وانه لمحتاج الى شق تمرة وقال
سعيد بن جبير عن ابن عباس لقد قال موسى ذلك وهو اكرم خلقه عليه
وانه قد كان بلغ به من الضر ان اخضر بطنه من اكل البقل وضعف حتى
لصق بطنه بظهره وانما قال ذلك في نفسه مع ربه وهو اللائق
به وقيل رفع به صوته لاستماع المرأتين وطلب الطعام وهذا لا يليق
بموسى عليه السلام فانظر الى هذا النبي عليه السلام وهو خلاصة
ذلك ليكون لك في ذلك اسوة وتجعله اماما وقدوة وتقول ما لقي
الانبياء والصالحون من الضيق والاهوال في سجن الحياة الدنيا صونا
لهم منها واكراما من ربهم عنها رفعة لدرجاتهم واستهانة لها وان
ظنه الجاهل المغرور على غير ذلك وفي القصة ترغيب في الخير وحث
على المعاونة على البر وبعث على بذل المعروف مع الجهد فلما رجعتا الى
ابيهما سريعا قبل الناس واغنامهما حفل بطان قال لهما ما اعجلكما
قالتا وجدنا رجلا صالحا رحيما فسقى لنا اغنامنا فقال لاحداهما
اذهبي فادعيه لي **فجاءته احداهما** ممتثلة امر ابيها وقوله **تمشي**
حال وقوله **على استحياء** حال اخرى اي مستحيية اي اما من جاءت
واما من تمشي قال عمر بن الخطاب بسلفع من النساء خراجة
ولاجة ولكن جاءته مستترة وضعت كم درعها على وجهها استحياء
ثم استانف الاخبار بما تشوف اليه السامع بقوله تعالى **قالت**
واكدت اعلاما بما لابيها من الرغبة الى لقائه بقولها **ان ابي** ووصفت
حاله بالمضارع بقولها **يدعوك ليجزيك** اي يعطيك مكافاة لك
لان المكافاة من شيم الكرام **اجر ما سقيت لنا** اي مواشينا قال
ابن اسحق اسم الكبرى صفورا والصغرى ليا وقيل ليا
وقال غيره صفرا وصفيرا وقال الضحاك صافورا وقال
الاكثرون التي جاءت لموسى الكبرى وقال الكلبي الصغرى
قال الرازي وليس في القرآن دلالة على شيء من هذه التفاصيل
فان قيل في الآية اشكالات احدها كيف ساغ لموسى ان يعمل
بقول امرأة وان يمشي معها وهي اجنبية فان ذلك يورث التهمة
العظيمة وقال صلى الله عليه وسلم اتقوا مواضع التهم وثانيها
انه سقى اغنامهما تقربا الى الله تعالى فكيف يليق به اخذ الاجرة عليه
وذلك غير جائز في الشريعة وثالثها انه عرف فقرهما وفقر ابيهما
وانه عليه السلام كان في نهاية القوة بحيث يمكنه الكسب
باقل سعي فكيف يليق بمروءة مثله طلب الاجرة على ذلك القدر من
الشيخ الفقير والمرأة الفقيرة ورابعها كيف يليق بالنبي شعيب

عليه السلام ان يبعث ابنته الشابة الى رجل شاب قبل العلم بكون الرجل
عفيفا او فاسقا اجيب عن الاول بان الاول يعمل فيه بقول المراة فان
الخبر يعمل فيه بقول الواحد حرا كان او عبدا ذكرا كان او انثى وهي ما
كانت مخبرة الا عن ابيها واما المشي مع المراة بعد الاحتياط والتورع فلا
باس به وعن الثاني بان المراة لما قالت ذلك لموسى عليه السلام ما ذهب
اليهم طلبا للاجرة بل للتبرك بذلك الشيخ لما روي انه لما دخل على شعيب
عليه السلام اذا هو بالعشا مهيا فقال اجلس يا شاب فتعش
فقال موسى اعوذ بالله فقال شعيب ولم ذلك الست بجايع قال بلى ولكن
اخاف ان يكون هذا عوضا لما سقيت لهما وانا من اهل بيت لا نطلب على
عمل من اعمال الاخرة عوضا من الدنيا وفي رواية لا نبيع ديننا بدنيانا
ولا ناخذ بالمعروف ثمنا فقال له شعيب لا والله يا شاب ولكنها عادتي
وعادة ابائي نقري الضيف ونطعم الطعام فجلس موسى فاكل وايضا
فليس بمنكر ان الجوع قد بلغ الى حيث ما كان يطيق تحمله ففعل ذلك
اضطرارا وهو الجواب عن الثالث فان الضرورات تبيح المحظورات
وعن الرابع بان شعيبا عليه السلام كان يعلم طهارة ابنته وبراءتها اما بوحي
او بغيره فكان يامن عليها قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه
فقام يمشي والجارية امامه فهبت الريح فوصفت ردفها فكره موسى عليه
السلام ان يرى ذلك منها فقال لها امشي خلفي او قال موسى اني من عنصر
ابراهيم فكوني خلفي حتى لا يرفع الريح ثيابك فارى ما لا يحل وفي رواية
كوني خلفي ودليني على الطريق برمي الحصا لان صوت المراة عورة فان قيل لم
حسن لموسى ان يكون ذلك اجرة له على عمله ولم يكره مع الخضر ذلك حين قال
لو شئت لتخذت عليه اجرا اجيب بان اخذ الاجرة على الصدقة لا يجوز
واما الاستيجار ابتداء فغير مكروه **فلما جاءه** اي موسى شعيبا **وقص** اي موسى
عليه السلام **عليه** اي شعيب **القصص** اي حدثه حديثه مع فرعون
واله في كفرهم وطغيانهم واذلالهم لعباد الله تعالى تنبيه القصص
مصدر كالعلل سمي به المقصوص قال الضحاك قال له من انت يا عبد الله
قال انا موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وذكر له
جميع امره من لدن ولادته وامر القوابل والمراضع والقذف في اليم وقتل القبطي
وانهم يطلبونه ليقتلوه ثم ان شعيبا عليه السلام امنه بان قال
له **لا تخف نجوت من القوم الظالمين** اي فان فرعون لا سلطان له بارضنا فان قيل
ان المفسرين قالوا ان فرعون يوم ركب خلف موسى ركب في الف الف وثمانمائة
الف والملك الذي هذا شانه كيف يعقل ان لا يكون في ملكه قرية على بعد
ثمانية ايام اجيب بان هذا ليس بمحال وان كان نادرا ولما امنه واطمانت

قالت احداهما اي المراتين وهي التي دعته الى ابيها مشيرة بالندا باداة البعد الى
استصغارها لنفسها وجلالة ابيها **يا ابت استاجره** اي اتخذه اجيرا
يرعى اغنامنا **ان خير من استاجرت القوي الامين** اي خير من استعملت من قوي
على العمل لشي من الاشيا وادى الامانة قال ابو حيان وقولها قول حكيم جامع
لا يزاد عليه لانه اذا اجتمعت هاتان الخصلتان اعني الكفاية والامانة
في القايم بامرك فقد فرغ بالك وتم مرادك وقد استغنت بارسال هذا الكلام
الذي سياقه سياق المثل والحكمة ان تقول استاجره لقوته وامانته وانما جعل
خير من استاجرت اسما والقوي خبرا مع ان العكس اولى لان العناية هي سبب
التقديم وقد صدقت حتى جعل لها ما هو احق بان يكون خبرا اسما وورود الفعل
بلفظ الماضي للدلالة على انه امر قد جرب وعرف وعن ابن عباس ان شعيبا
احتطفته الغيرة قال وما علمك بقوته وامانته فذكرت اقلال الحجر
ونزع الدلو وانه صوب اي خفض راسه حين بلغته رسالة ابيها اليه
وامرها بالمشي خلفها وعن ابن مسعود افرس الناس ثلاثة بنت شعيب
وصاحب يوسف في قوله عسى ان ينفعنا وابو بكر في عمر ولما اعلمته ابنته
بذلك **قال** لموسى عليه السلام عند ذلك **اني اريد** يا موسى
والتاكيد لان الغريب قل ما يرغب فيه اول ما يقدم لا سيما من
الرؤسا انتم الرغبة **ان انكحك احدى ابنتي هاتين** اي الحاضرتين اللتين
سقيت لهما ليتاملها فينظر من يقع اختياره عليه منهما ليعقد له عليها
قال اكثر المفسرين انه زوجه الصغرى منهما وهي التي ذهبت لطلب
موسى واسمها صفورة على خلاف تقدم في اسمها وقوله هاتين فيه
دليل على انه كانت له غيرهما وقوله **على ان تاجرني ثماني حجج** اي من اجرته
اذا كنت له اجيرا كقولك ابوته اذا كنت له ابا وثماني حجج ظرف او من اجرته
اي ترعى غنمي ثماني حجج واما من اجرته كذا اذا اثبته اياه وقال الفراء
اي تجعل ثوابي من تزويجها ان تجعل اجري على ذلك وثوابي ثماني حجج تقول
العرب اجرك الله باجرك اي اثابك ومنه تعزية رسول الله صلى الله
عليه وسلم اجركم الله ورحمكم وثماني حجج مفعول به ومعناه رعية ثماني
حجج فان قيل كيف صح ان ينكحه احدى ابنتيه من غير تمييز اجيب بان ذلك
لم يكن عقدا ولكن مواعدة ومواصفة امر قد عزم عليه ولو كان عقدا
لقال انكحتك ولم يقل اني اريد ان انكحك وقد مرت الاشارة الى ذلك
والحجج السنون واحدها حجة **فان اتممت عشرا** اي عشر سنين وقوله
فمن عندك يجوز ان يكون في محل رفع خبر المبتدا محذوف تقديره
فهي من عندك او نصب فقد زدتها من عندك او تفضلت بها من
عندك وليس ذلك بواجب عليك تنبيه هذا اللفظ يدل على

ان العقد وقع على اقل الاجلين والزيادة كالتبرع فالعقد بما وقع على معين
ودلت الاية على ان العمل يكون مهرا كالمال وعلى ان عقد النكاح لا يفسد
بالشروط التي لا يوجبها العقد اذا كان وقع شرط هذه الزيادة في
العقد ولما ذكر له ذلك اراد ان يعلمه ان الامر بعد الشرط بينهما
على المسامحة فقال وما اريد ان اشق عليك اي ادخل عليك مشقة
بمناقشة ومراعاة اوقات ولا في اتمام عشر ولا غيره لك ثم اكد معنى
المساهلة بقوله ستجدني وفتح اليا نافع عند الوصل والباقون
بسكونها ثم استثنى على قاعدة انبيا الله واوليائه في المراقبة على
سبيل التبرك بقوله ان شاء الله اي الذي له جميع الامر من الصالحين
قال عمر اي في حسن الصحبة والوفا بما قلت اي وكلما تريد من كل
خير وقيل اراد الصلاح على العموم فان قيل كيف ينعقد العقد بهذا الشرط
ولو قلت انت طالق ان شاء الله تعالى لم تطلق اجيب بان هذا انما يختلف
بالشرايع او ان ذلك ذكر للتبرك قال اي موسى عليه السلام ذلك اي
الذي ذكرته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه بيني وبينك اي قائم
بيننا جميعا لا يخرج كلانا عنه لا انا عما شرطت علي ولا انت عما
شرطت على نفسك تنبيه ذلك مبتدا والظرف خبره واضيف بين
لمفرد ولتكررها عطف بالواو ولو قلت المال لزيد فعمرو لم يجز والاصل
ذلك بيننا كما ففرق بالعطف ثم فسر ذلك بقوله ايما اي اي
الاجلين فما زايدة قضيت اي فرغت منه اطولهما الذي هو العشر
او اقصرهما الذي هو الثمان فلا عدوان اي اعتدا بسبب ذلك لك ولا لاحد
علي في طلب اكثر منه لانه كما لا تجب الزيادة على العشر لا تجب الزيادة على
الثمانية فان قيل تصور العدوان انما هو في احد الاجلين الذي هو اقصر
وهو المطالبة بتتمة العشر فما معنى تعلق العدوان بهما جميعا اجيب
بان معناه كما اني ان طولبت بالزيادة على العشر كان عدوانا لا شك فيه
فكذلك ان طولبت بالزيادة على الثمان اراد بذلك تقرير امر الخيار وانه
ثابت مستقر وان الاجلين على السوا اما هذا واما هذا من غير تفاوت
بينهما في القضا واما التتمة فموكلة الي راي ان شئت اتيت بها والا
لم اجبر على ذلك عليها وكانه اشار بنفي صيغة المبالغة الا انه لا يواخذ
لسعة صدره وطهارة اخلاقه بمطلق العدو والله اي الملك الاعظم
على ما نقول اي كله في هذا الوقت وغيره وكيل قال ابن عباس ومقاتل
شهيد فيما بيني وبينك وقيل حفيظ وعن سعيد بن جبير قال سالني يهودي
من اهل الحيرة اي الاجلين قضى موسى قلت لا ادري حتى اقدم على حبر
العرب فاساله فقدمت فسالت ابن عباس فقال قضى اكثرهما وروي

عن

عن ابي ذر مرفوعا اذا سئلت اي الاجلين قضى موسى فقل خيرهما واذا
سئلت اي المراتين تزوج فقل الصغرى منهما وهي التي جات فقالت
يا ابت استاجره فتزوج صغراهما وقضى اوفاهما وقال وهب انكحه
الكبرى وروي عن شداد بن اوس مرفوعا بكى شعيب عليه السلام حتى عمي
فرد الله تعالى عليه بصره ثم بكى حتى عمي فرد الله تعالى عليه بصره ثم بكى حتى عمي
فرد الله تعالى عليه بصره وقال له ما هذا البكا اشوقا الى الجنة ام خوفا من
النار قال لا يا رب ولكن شوقا الى لقائك فاوحى الله اليه ان يكن ذلك فهنيا
لك يا شعيب لذلك اخدمتك موسى كليمي ولما تم العقد بينهما امر شعيب
ابنته ان تعطي موسى عصا يدفع بها السباع عن غنمه واختلفوا في تلك
العصا فقال عكرمة خرج بها ادم من الجنة واخذها جبريل بعد موت
ادم فكانت معه حتى لقي بها موسى ليلا فدفعها اليه وقال اخرون كانت
من اس الجنة حملها ادم من الجنة فتوارثها الانبيا وكان لا ياخذها غير نبي
الا اكلته فصارت من ادم الى نوح ثم الى ابراهيم ثم الى شعيب وكانت عصي
الانبيا عنده فاعطاها موسى وقال السدي كانت تلك العصا استودعها عنها
اياه ملك في صورة رجل فامر ابنته ان تاتيه بعصا فدخلت فاخذت
العصا فاتته بها فلما راها شعيب قال لها ردي هذه العصا واتيه بغيرها
فدخلت والقتها وارادت ان تاخذ غيرها فلا يقع في يدها الا هي حتى فعلت
ذلك ثلاث مرات فاعطاها موسى فاخرجها موسى معه ثم ان الشيخ ندم
وقال كانت وديعة فذهب في اثره فطلب ان يرد العصا فابى موسى
ان يعطيه وقال هي عصاي فرضيا ان يجعلا بينهما اول رجل يلقاهما فلقيهما
ملك في صورة رجل فحكم ان تطرح العصا فمن حملها فهي له فطرح موسى
العصا فعالجها الشيخ فلم يطقها فاخذها موسى بيده فرفعها فتركها
له الشيخ وروي ان شعيبا كان عنده عصي الانبيا فقال لموسى
بالليل ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي فاخذ عصا هبط بها
ادم من الجنة ولم يزل الانبيا يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب فمسها
وكان مكفوفا فضن اي بخل بها فقال غيرها فما وقع في يده الا هي سبع
مرات فعلم ان له شانا وعن الحسن ما كانت الا عصا من الشجر اعترضها
اعتراضا وعن الكلبي الشجرة التي منها نودي موسى شجرة العوسج
ومنها كانت عصاه ولما اصبح قال له شعيب اذا بلغت مفرق الطريق
فلا تاخذ على يمينك فان الكلا وان كان بها اكثر الا ان فيها تنينا
اخشاه عليك وعلى الغنم فاخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها فمشى
على اثرها فاذا عشب وريف لم ير مثله فنام فاذا بالتنين قد اقبل
فحاربته العصا حتى قتلته وعادت الى جنب موسى دامية والتنين

مقتول فارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب مس الغنم فاخبره موسى ففرح
وعلم ان لموسى والعصا شانا **فلما قضى موسى الاجل** اي اتمه وفرغ منه
وزوجه ابنته قال مجاهد بعد ذلك عند صهره عشرا اخرى فاقام
عنده عشرين سنة ثم ان شعيبا عليه السلام اراد ان يجازي موسى على
رعيه اكراما له وصلة لابنته اي وهبت لك من الجرايا التي تضعها اغنمي
في هذه السنة كل ابلق وبلقا فاوحى الله تعالى الى موسى في المنام ان اضرب
بعصاك الماء الذي في سقي الاغنام قال فضرب موسى بعصاه الماء ثم سقى الاغنام
منه فما اخطات واحدة منها الا وضعت حملها ما بين ابلق وبلقا فعلم
شعيب ان ذلك رزق ساقه الله عز وجل الى موسى وامراته فوفى له بشرطه
وسلم له الاغنام اليه ثم ان موسى استاذنه في العود الى مصر فاذن له
فخرج **وسار باهله** اي امراته راجعا الى اقاربه بمصر **انس** اي ابصر من بعيد
من جانب الطور اسم جبل **نارا** اتته رويتها وكان في البرية في ليلة مظلمة
شديدة الطلق واخذ امراته الطلق فحينئذ **قال لاهله امكثوا**
اي هنا وقرا حمزة في الوصل بضم الهاء قبل همزة الوصل وعبر موسى عليه
السلام بضمير الذكور فلعل كان معه بنين فغلبهم على امراته وقد
ذكرت غير ذلك في السورة التي قبل هذه ثم علل ذلك بقوله موكدا
لاستبعاد ان يكون في ذلك المكان القفر وفي ذلك الوقت الشديد البرد
نار **اني انست نارا** فتح اليا نافع وابن كثير وابو عمرو وسكنها الباقون كانه
قيل فماذا تفعل بها فقال معبرا بالترجي لانه الليق بالتواضع **لعلي اتيكم منها**
اي من عندها   اي عن الطريق لانه كان اخطاها **او جذوة** اي قطعة
وشعلة **من النار** وقال قتادة ومقاتل هي العود الذي احترق بعضه
من النار صفة لجذوة ولا يجوز تعلقها باتيكم كما تعلق به منها لان
هذه النار هي النار المذكورة والعرب اذا قدمت نكرة وارادت اعادتها اعادتها
مضمرة او معرفة بال العهدية وقد جمع الامرين وقرا عاصم بفتح الجيم وحمزة
بضمها والباقون بكسرها وكلها لغات وجمعها جذى ثم استانف قوله
لعلكم تصطلون اي لتكونوا على رجا من ان تقتربوا من النار فتعطفوا
عليها لتدفوا وهذا دليل على ان الوقت كان شتاء **فلما اتاها** اي النار
نودي بالبنا للمفعول لان اخر الكلام يدل دلالة واضحة على ان المنادي
هو الله تعالى ولما كان نداوه تعالى لا يشبه نداء غيره بل يكون من جميع الجوانب
وكان مع ذلك قد يكون لبعض المواضع مزيد شرف بوصف من الاوصاف
اما ان يكون اول السماع منه او غير ذلك او يكون باعتبار موسى عليه السلام
قال **من شاطئ الوادي** فمن لابتدا الغاية وقوله تعالى **الايمن**
صفة للشاطئ او للوادي والايمن من البركة او من اليمين المعادل

جميع م

اليمن وهو

للبسار

46

للبسار من العضوين ومعناه على هذا بالنسبة الى موسى اي الذي يلي
يمينك دون يسارك والشاطئ صفة الوادي والنهر اي حافته وطرفه
وكذلك الشط والسيف والساحل كلها بمعنى وجمع الشاطئ اشطا
قال الراغب وشاطات فلانا ماشيته على الشاطئ وقوله تعالى
في البقعة المباركة متعلق بنودي او بمحذوف على انه حال من
الشاطئ ومعنى المباركة جعلها الله تعالى مباركة لان الله تعالى كلم
موسى عليه السلام هنالك وبعثه نبيا وقال عطا يريد المقدسة
وقوله تعالى **من الشجرة** بدل من شاطئ الوادي باعادة الجار بدل
اشتمال لان الشجرة كانت نابتة على الشاطئ قال البقاعي
ولعل الشجرة كانت كبيرة فلما وصل اليها دخل النور من طرفها الى
وسطها فدخلها وراه بحيث توسطها فسمع وهو فيها الكلام
من الله تعالى حقيقة وهو المتكلم سبحانه وتعالى لا الشجرة قال
القشيري وحصل الاجماع انه عليه السلام سمع تلك الليلة كلام
الله تعالى ولو كان ذلك ندا الشجرة لكان المتكلم الشجرة وقال
التفتازاني في شرح المقاصد ان اختيار حجة الاسلام انه سمع
كلامه الازلي بلا صوت ولا حرف كما ترى ذاته في الاخرة بلا كم
ولا كيف واختلف في الشجرة ما هي فقال ابن مسعود كانت سمرة خضرا
وقال قتادة ومقاتل والكلبي كانت عوسجة وقال وهب من
العليق وعن ابن عباس انها العناب ثم ذكر المنادي به بقوله تعالى
ان يا موسى فان هي مفسرة لا مخففة **اني انا الله** اي المستجمع
للاسما الحسنى والصفات العليا وفتح اليا نافع وابن كثير وابو عمرو
وسكنها الباقون ثم وصف سبحانه وتعالى بقوله تعالى **رب العالمين**
اي خالق الخلق اجمعين ومربيهم قال البيضاوي هذا وان
خالف ما في طه والنمل في اللفظ فهو طبقه في المقصود وانتهى
وقال ابن عادل واعلم انه تعالى قال في سورة النمل نودي ان بورك
من في النار ومن حولها وقال ههنا نودي اني انا الله رب العالمين
وقال في سورة طه نودي يا موسى اني انا ربك ولا منافاة بين هذه
الاشيا فهو تعالى ذكر الكل الا انه تعالى حكى في كل سورة بعض ما
اشتمل عليه ذلك النداء ان الله تعالى امره ان يلقي عصاه ليريه اية
بقوله تعالى **وان الق عصاك** اي لا ريب فيها اية خالقها فصارت
في الحال حية عظيمة وهي مع عظمها في غاية الخفة **فلما راها** اي العصا
تهتز اي تتحرك **كانها** اي في سرعتها وخفتها **جان** اي
حية صغيرة **ولى مدبرا** خوفا منها ولم يلتفت الى جهتها وهو معنى

قوله تعالى ولم يعقب اي موسى عليه السلام وذلك كناية عن شدة
التصميم على الهرب والاسراع فيه خوفا من الادراك في الطلب فقيل له
يا موسى اقبل اي التفت وتقدم اليها ولا تخف ثم اكد له الامر لما الادمي
مجبول عليه من النفر وان اعتقد صحة الخبر بقوله تعالى انك من الامنين اي
الغريقين في الامن كعادة اخوانك من المرسلين فانه لا يخاف لدي
المرسلون ثم زاد طمانينته بقوله تعالى اسلك اي ادخل على
الاستقامة مع الخفة والرشاقة يدك في جيبك اي القطع الذي
في ثوبك وهو الذي يخرج منه الراس وهو الكم كما يدخل السلك
وهو الخيط الذي ينظم فيه الدر تخرج بيضا بياضا عظيما يكون له
شان خارق للعادات من غير سوء اي عيب من اثر الحريق الذي عجز
فرعون من مداواته او غيره فخرجت ولها شعاع كشعاع الشمس
يغشي البصر تنبيه قد ذكر هذا المعنى بثلاث عبارات احداها
هذه وثانيها واضمم يدك الى جناحك وثالثها وادخل يدك في
جيبك واضمم اليك جناحك اي يديك المبسوطتين لتتقي بهما
الحية كالخائف الفزع بادخال اليمنى تحت عضد اليسرى وبالعكس
او بادخالهما في الجيب فيكون تكريرا لغرض اخر وهو ان يكون ذلك
في وجه العدو واظهار جراءة ومبدا الظهور معجزة ويجوز ان يراد
بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا حية استعارة من
حال الطائر لانه اذا خاف نشر جناحيه وارخاهما واذا امن واطمان
ضمهما اليه وفيه ما يحكي عن عمر بن عبد العزيز ان كاتبا له كان يكتب
بين يديه فانفلتت منه فلتة ريح فخجل وانكسر فقام وضرب بقلمه
الارض فقال له عمر خذ قلمك واضمم اليك جناحك وليفرخ روعك
فاني ما سمعتها من احد اكثر ما سمعتها من نفسي ومعنى قوله تعالى
من الرهب من اجل الرهب اي اذا اصابك الرهب عند رؤية الحية
فاضمم اليك جناحك تجلدا وضبطا لنفسك جعل الرهب الذي
كان يصيبه سببا وعلة فيما امر به من ضمه جناحه اليه وقال
ابن عباس ومجاهد اراد بالجناح العصا معناه اضمم اليك عصاك قال البغوي وقيل
الرهب الكم بلغة حمير قال الاصمعي سمعت بعض الاعراب
يقول اعطني ما في رهبك اي في كمك معناه اضمم اليك يدك واخرجها
من الكم لانه تناول العصا ويده في كمه اهـ قال الزمخشري
معترضا على قائل هذا القول ومن بدع التفاسير ان الرهب الكم بلغة
حمير وانهم يقولون اعطني ما في رهبك وليت شعري كيف صحته
في اللغة وهل سمع من الثقات الاثبات الذين ترضى عربيتهم

ثم ليت شعري كيف وقعه في الاية وكيف تطبيقه المفصل كسائر كلمات
التنزيل على ان موسى عليه السلام ما كان عليه ليلة المناجاة الا
زرمانقة من صوف لا كمين لها انتهى ويحتمل ان يكون لها كم قصير
فمن نفاه نظر الى قصره ومن اثبته نظر الى اصله وحينئذ لا تعارض
وفي البغوي عن ابن عباس ان الله تعالى امره ان يضم يده الى صدره
فذهب عنه ما ناله من الخوف عند معاينة الحية وقال وما من خائف
بعد موسى عليه السلام الا اذا وضع يده على صدره زال خوفه وقال
مجاهد كل من فزع فضم جناحه اليه ذهب الفزع وقرا نافع وابن كثير
وابو عمرو بفتح الرا والها وحفص بفتح الرا وسكون الها والكل لغات
ولما تم كونه اية بانقلابها الى البياض ثم رجوعها الى لونها قال
فذانك اى العصا واليد البيضا وشدد ابن كثير وابو عمرو النون
وخففها الباقون برهانان اي سلطانان وحجتان قاهرتان مرسلان
من ربك اي المحسن اليك لا يقدر على مثلهما غيره الى فرعون وملائه
او انت مرسل بهما اليهم كلما اردت ذلك وجدتهما الا انهما يكونان لك
هنا في هذه الحضرة فقط فان قيل لم سميت الحجة برهانا اجيب
بان ذلك لبياضها وانارتها من قولهم للمراة البيضا برهرهة بتكرير
العين واللام معا والدليل على زيادة النون قوله ابره الرجل اذا جا بالبرهان
ونظيره تسميتهم اياها سلطانا من السليط وهو الزيت
لانارتها ثم علل الارسال اليهم على وجه اظهار الايات لهم واظهارها
بقوله انهم كانوا اي جبلة وطبعا قوما اي اقويا فاسقين اي
خارجين عن الطاعة فكانوا احقا ان يرسل اليهم ولما قال تعالى فذانك
برهانان الى اخره تضمن ذلك ان يذهب موسى بهذين البرهانين
الى فرعون وقومه فعند ذلك طلب من يعينه عليه بان قال رب اي
ايها المحسن الي اني قتلت منهم نفسا هو القبطي السابق وانت تعلم اني
ما خرجت الا هاربا منهم لاجلها فاخاف ان ابدا لهم بمثل ذلك ان
يقتلون به لوحدتي وغربتي وثقل لساني في اقامة الحجج فاخاف
ان يفوت المقصود بقتلي ولا يحمي من ذلك الا انت وان لساني فيه
عقدة واخي هرون هو افصح مني لسانا اي من جهة اللسان للعقدة التي
كانت حصلت له من وضع الجمرة في فيه وهو طفل في كفالة فرعون وقيل
كانت في اصل الخلقة والفصاحة لغة الخلوص ومنه فصح اللبن خلص
من رغوته وفصح الرجل جادت لغته وافصح تكلم بالعربية فارسله
اي بسبب ذلك معي ردا اي معينا من ردات فلانا بكذا
اي جعلت له قوة وعاضدا وردات الحائط اذا دعمته بخشب

وكيش بدفعه ان يسقط وقرا نافع بنقل حركة الهمزة الى الدال وحذف الهمزة
والباقون بسكون الدال وتنوين الهمزة بعدها ولما كان له عليه من العطف
والشفقة ما يقصر الوصف عنه نبه على ذلك باجابة السوال بقوله
يصدقني اي يخلص بفصاحته ما قلته ويبينه ويقيم الادلة
عليه حتى يصير كالشمس وضوحا فيكون مع تصديقه لي بنفسه سببا
في تصديق غيري لي وقرا عاصم وحمزة بضم القاف على الاستيناف او
الصفة لردا والباقون بسكونها جوابا للامر قال الرازي ليس الغرض
بتصديق هرون ان يقول له صدقت او يقول للناس صدق موسى
وانما هو ان يخلص بلسانه الفصيح وجوب الدلايل ويجيب عن الشبهات
ويجادل به الكفار فهذا هو التصديق المفيد وفايدة الفصاحة
انما يظهر في ذلك لا في مجرد قوله صدقت قال السدي بين لو البينين
اقوى من بين واحد واية واحدة وهذا ظاهر من جهة العادة واما
من جهة الدلالة فلا فرق بين معجز ومعجزين ثم علل سواله هذا بقوله
اني اخاف ان يكذبون اي فرعون وقومه ولساني لا يطاوعني عند المحاجة
قال الله تعالى له مجيبا لسواله **سنشد عضدك** اي امرك **باخيك**
اي سنقويك ونعينك **ونجعل لكما سلطانا** اي ظهورا عليهم وغلبة
لهم بالحجج والهيبة لاجل ما ذكرت من الخوف **فلا** اي فتسبب عن
ذلك انهم **لا يصلون اليكما** بنوع من انواع الغلبة **باياتنا** اي
نجعل ذلك بسبب ما نظهر على ايديكما من الايات العظيمة بسببها
الينا ولذلك كانت النتيجة **انتما ومن اتبعكما** من قومكما وغيرهم **الغالبون**
اي لا غيركم وهذا يدل على ان فرعون لم يصل الى السحرة بشي مما
هددهم به لانهم من اكبر الاتباع الباذلين انفسهم في الله وليس
في القران ما يدل على انه فعل بهم ما وعدهم به قال البقاعي
وكانه حذف امرهم هنا لانه في بيان امر فرعون وجنوده بدليل ما كرر
من ذكرهم وقد كشفت العاقبة عن ان السحرة ليسوا من جنوده
بل من حزب الله تعالى وجنده ومع ذلك فقد اشار اليهم بهذه الاية
والتي بعدها انتهى ولما كان التقدير فاتاهم كما امره الله تعالى
وعاضده اخوه كما اخبره الله تعالى ودعاهم الى الله تعالى واظهر اما امر
به من الايات بنا عليه مبينا بالفاء سرعة امتثاله بقوله **فلما جاءهم**
اي فرعون وقومه ولما كانت رسالة هارون عليه السلام انما هي
تاييد لموسى عليه السلام اشار الى ذلك بالتصريح باسم الجاي
بقوله تعالى **موسى باياتنا** اي التي امرناه بها الدالة على جميع
الايات للتساوي في خرق العادة حال كونها **بينات** اي في غاية

الوضوح

الوضوح **قالوا** اي فرعون وقومه ولما كانت رسالة هرون عليه السلام
انما هي تاييد لموسى عليه السلام اشارة الى ذلك بالتصريح باسم الجاي
بقوله تعالى . . . اي التي امرناه بها الدالة على جميع الايات
للتساوي في خرق العادة حال كونها . . اي في غاية الوضوح
. . . اي فرعون وقومه **ما هذا** اي الذي اظهرته من الايات **الا سحر**
مفترى اي مختلق لا انه معجزة من عند الله ثم ضموا اليه ما يدل على
جهلهم وموقو لهم **وما سمعنا** اي ما حدثنا **بهذا** اي الذي تدعونا
اليه وتقوله من الرسالة عن الله تعالى **في ابائنا** واشاروا الى البدعة
التي اضلت كثيرا من الخلق وهي تحكيم عوايد التقليد لا سيما عند تقادم
على القواطع في قولهم **الاولين** وقد كذبوا وافتروا ولقد سمعوا بذلك
على ايام يوسف عليه السلام وما بالعهد من قدم فقد قال لهم الذي امن
يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب الى قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل
بالبينات **و** لما كذبوه وهم الكاذبون **قال** لهم **موسى ربي** اي المحسن
الي **اعلم** اي عالم **بمن جاء بالهدى** اي الذي اذن الله تعالى فيه وهو حق
في نفسه **من عنده** فيعلم اني محق وانتم مبطلون وقرا ابن كثير بغير واو
قبل القاف لانه قاله جوابا لمقالهم والباقون بالواو لان المراد حكاية
القولين ليوازن الناظر بينهما فيتميز صحيحهما من فاسدهما **ومن تكون**
له لكونه منصورا مويدا **عاقبة الدار** اي الراحة والتمكن والاستقرار
فان قيل العاقبة المحمودة والمذمومة كلتاهما يصح ان تسمى عاقبة
الدار لان الدنيا اما ان تكون خاتمتها بخير او بشر فلم اختصت
خاتمتها بالخير بهذه التسمية دون خاتمتها بالشر اجيب بان الله
تعالى قد وضع الدنيا مجازا الى الاخرة واراد بعباده الا يعملوا فيها
الا الخير وما خلقهم الا لاجله ليتلقوا خاتمة الخير واما عاقبة
السو فلا اعتداد بها لانها من نتايج تخويف الفجار وقرا حمزة والكسائي
بالياء على التذكير والباقون بالتاء على التانيث ثم علل ذلك بما
اجري الله تعالى به عادته فقال معلما بان المخذول هو الكاذب اشارة
الى انه الغالب لكون الله تعالى معه لما استقر في الانفس من ان
التقوي لا يغلبه الضعيف **انه لا يفلح** اي يظفر ويفوز **الظالمون**
اي الكافرون الذين يمشون كما يمشي من هو في الظلام بغير دليل
وقال فرعون جوابا لهذا الترغيب والترهيب **يا ايها الملا** اي
الاشراف معظما لهم استجلابا لقلوبهم **ما علمت لكم من اله غيري** فتضمن
كلامه نفي الهية غيره واثبات الهية نفسه فكانه قال ما لكم من
اله غيري كما قال الله تعالى اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات

ولاني الارض ومالبس فيهن وذلك ان العلم تابع للموجود لايتعلق به الا بما هو
عليه فاذا كان الشي معدوما لم يتعلق به موجود فمن ثم كان انتفا العلم
بوجوده لانتفاء وجوده وعبر عن انتفاء وجوده بانتفا العلم بوجوده ويجوز
ان يكون على ظاهره وان الهاء غيره معلومات له ولكنه مظنون بدليل
قوله واني لاظنه من الكاذبين واذا ظنه كاذبا في اثباته الها غيره ولم يعلمه
كاذبا فقد ظن ان في الوجود الها غيره ولم يكن المخذول ظانا ظنا به
كاليقين بل عالما بصحة قول موسى لقول موسى عليه السلام له لقد علمت
ما انزل هولاء الا رب السموات والارض بصائر ثم تسبب عن جهله
قوله لوزيره معلما له صنعة الاجر لانه اول من عمله قال عمر رضي
الله تعالى عنه حين سافر الى الشام وراى القصور المشيدة بالاجر
ما علمت ان احدا بنا بالاجر غير فرعون **فاوقد لي** واضاف الايقاد اليه
اعلاما بانه لابد منه **ياهامان** وهو وزيره **على الطين** اي المتخذ لبنا ليصير
اجرا ثم تسبب عن الايقاد قوله **فاجعل لي** اي منه **صرحا** اي قصرا
عاليا وقيل منارة وقال الزجاج هو كل بناء متسع مرتفع **لعلي**
اطلع اي اتكلف الطلوع **الى اله موسى** الذي يدعو اليه فانه ليس
في الارض احد بهذا الوصف الذي ذكره فانا اطلبه في السماء موهما
لهم بانه مما يمكن الوصول اليه وهو قاطع بخلاف ذلك ولكنه يقصد
المدافعة من وقت الى وقت قال اهل السير لما امر فرعون وزيره
هامان ببنا الصرح جمع العمال والفعلة حتى اجتمع خمسون الف بنا
ثم الاتباع والاجرا ومن يطبخ الاجر والجص وينجر الخشب ويضرب
المسامير فرفعوه وشيدوه حتى ارتفع ارتفاعا لم يبلغه بنيان احد
من الخلق اراد الله تعالى فتنتهم فيه فلما فرغوا ارتقى فرعون فوقه
فامر بنشابة فضرب نحو السما فردت اليه وهي ملطخة دما فقال قد
قتلت اله السما وكان فرعون يصعد على البراذين فبعث الله جبريل
عليه السلام فضرب الصرح بجناحه فقطعه ثلاث قطع فوقعت منها
قطعة على عسكر فرعون فقتلت منهم الف الف رجل ووقعت
قطعة في البحر وقطعة في الغرب ولم يبق احد ممن عمل فيه بشي الا
هلك ثم زادهم شكا بقوله موكدا لاجل دفع ما استقر في الانفس
من صدق موسى عليه السلام **واني لاظنه** اي موسى عليه السلام
من الكاذبين اي دابه ذلك وقد كذب هو ولبس ووصف اهل ذلك
الزمان بصفة نفسه الزايغة في العدوان **واستكبر** اي واوجد
الكبر بغاية الرغبة فيه **هو** بقوله هذا الذي صدهم به عن السبيل
وجنوده بانصدادهم لشدة رغبتهم في الكبر على الحق والاتباع للباطل

الارض

في الارض اي ارض مصر قال البقاعي ولعله عرفها اشارة الى انه لو قدر على
ذلك في غيرها فعل **بغير الحق** اي بغير استحقاق قال البقاعي
والتعبير بالتعريف يدل على ان المتعظم بنوع من الحق ليس بكبر وان كانت
صورته كذلك واما تكبره سبحانه فهو بالحق كله قال صلى
الله عليه وسلم فيما حكاه عن ربه الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني
واحدا منهما القيته في النار **وظنوا** اي فرعون وجنوده ظنا بنوا
عليه اعتقادهم في اصل الدين الذي لا يكون الا بالقاطع **انهم الينا**
اي الى حكمنا خاصة الذي يظهر عند انقطاع الاسباب **لا يرجعون**
بالنشور وقرا حمزة ونافع والكسائي بفتح اليا وكسر الجيم والباقون
بضم اليا وفتح الجيم ولما تسبب عن ذلك اهلاكهم قال تعالى
فاخذناه وجنوده اي كلهم اخذ قهر ونقمة وذلك علينا هين واشار
تعالى الى احتقارهم بقوله تعالى **فنبذناهم** اي طرحناهم **في اليم** اي
البحر المالح فغرقوا فكانوا على كثرتهم وقوتهم كحصيات صغار قذفها
الرامي لشديد الدرء من يده في البحر ونحو ذلك قوله تعالى والقينا
فيها رواسي شامخات وقوله تعالى وحملت الارض والجبال فدكتا دكة
واحدة ولما تسبب هذه الايات من العلوم ما لا تحيط به الفهوم
قال تعالى **فانظر** اي ايها المتعرف للايات الناظر فيها نظر اعتبار
كيف كان عاقبة اي اخر امر **الظالمين** حين صاروا الى الهلاك
لتحذر قومك عن مثلها وفي هذا اشارة الى ان كل ظالم تكون
تكون عاقبته هكذا ان صابره المظلوم المحق ورابطه حتى يحكم الله
وهو خير الحاكمين ولما كان من سن سنة حسنة كان له اجرها
واجر من عمل بها الى يوم القيمة قال الله تعالى ومن سن سنة سيئة
كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة قال الله تعالى
وجعلناهم اي في الدنيا **ائمة** اي قدوة للضلال بالحمل على
الاضلال وقيل بالتسمية كقوله تعالى وجعلوا الملايكة الذين هم
عباد الرحمن اناثا او بمنع الالطاف الصارفة عنه **يدعون** اي
يوجدون الدعاء لمن اغتر بحالهم فضل بضلالهم **الى النار** اي
الى موجباتها من الكفر والمعاصي واما ايمة الحق فانهم يدعون الى
موجبات الجنة من فعل الطاعات والنهي عن المنكرات جعلنا الله
واحبابنا معهم بمحمد واله ولما كان الغالب من حال الايمة النصرة وكان
قد اخبر عن خذلانهم في الدنيا قال تعالى **ويوم القيمة** الذي هو
يوم التغابن **لا ينصرون** اي لا يكون لهم نوع نصرة تدفع العذاب
عنهم **واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة** اي طردا عن الرحمة ودعا عليهم

بذلك بكل من سمع خبرهم بلسانه ان خالفهم اي بفعله الذي يكون عليهم
مثل وزره ان وافقهم وانما قال تعالى الدنيا ولم يقل الحياة قال البقاعي
لان السياق لتحقير امرهم ودناة شانهم ويوم القيمة هم اي خاصة
ومن شاكلهم من المقبوحين اي المبعدين ايضا المحرقين مع قبح الوجوه
والاشكال والشناعة في الاقوال والافعال والاحوال من القبح الذي
هو ضد الحسن من قولهم قبح الله العدو اي ابعده عن كل خير وقال
ابو عبيدة من المهلكين قال البقاعي فيا ليت شعري اي صراحة بعد هذا
هذا في ان فرعون عدو الله في الاخرة كما كان عدوا في الدنيا فلعنة الله
على من يقول انه مات مومنا وانه لا صراحة في القران انه من اهل النار
وعلى من يشك في كفره بعد ما ارتكبه من جلي امره انتهى وقد قدمت الكلام
في سورة يونس على قول فرعون وانا من المسلمين ثم انه تعالى اخبر عن
اساس عامة بني اسرايل مقسما عليه مع الافتتاح بحرف التوقع بقوله
تعالى ولقد اتينا اي بما لنا من الجلال والجمال موسى الكتاب اي التوراة
الجامعة للهدي والخير في الدارين قال ابو حيان وهو اول كتاب نزلت فيه
الفرايض والاحكام من بعد ما اهلكنا القرون الاولى اي من قوم نوح الى فرعون
وقوله تعالى بصاير للناس حال من الكتاب جمع بصيرة وهي نور القلب اي
انوار القلوب تبصر بها الحقايق وتميز بين الحق والباطل كما ان البصر نور
العين الذي تبصر به وهدى اي العامل بها الى كل خير ورحمة اي نعمة هنية
شريفة لانها قايدة اليها ولما ذكرها لهم بعد انزالها بقوله تعالى
لعلهم يتذكرون اي ليكون حالهم حال من يرجى تذكره ثم ان الله تعالى خاطب
نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى وما كنت اي يا افضل الخلق
بجانب الغربي قال قتادة بجانب الجبل الغربي وقال الكلبي بجانب
الوادي الغربي اي الوادي من الطور الذي راى موسى عليه السلام
فيه النار وهو ما يلي البحر منه من جهة الغرب على يمين المتوجه الى
ناحية مكة المشرفة من ناحية مصر فنادى فيه العزيز الجبار وهو
ذي طوي اذ اي حين قضينا اي اوحينا الى موسى الامر اي امر
الرسالة الى فرعون وقومه وما يريد ان يفعل من ذلك في اوله واثنايه
واخره مجملا فكان كلما اخبرنا به مطابقا تفصيله لاجماله وما كنت اي
بوجه من الوجوه من الشاهدين لتفاصيل ذلك الامر الذي اجملناه لموسى
عليه السلام حتى تخبره به كله على هذا الوجه الذي ابناكه به في هذه
الاساليب المعجزة ولا شك ان معرفتك لذلك من قبيل الاخبار عن
المغيبات التي لا تدرك الا بالوحي ولذلك استدرك عنه بقوله تعالى
ولكنا اي بما لنا من العظمة انشانا بعد ما اهلكنا اهل ذلك الزمان

الذين

الذين علموا هذه الامور بالمشاهدة وهم السبعون المختارون للميقات
وبالاخبار كلهم قرونا اي امما كثيرة بعد موسى عليه السلام فتطاول
اي بمروره وعلوه [struck through] اي ولكنا اوحينا اليك لانا انشانا قرونا
عليهم العمر
مختلفة بعد موسى فتطاولت عليهم المدد فنسوا العهود واندرست
العلوم فانقطع الوحي فحذف المستدرك وهو اوحيناه واقام سببه
وهو الانشاء مقامه وهو عادة الله تعالى في اختصاره فهذا الاستدراك
شبيه بالاستدراك بعده فان قيل ما الفايدة في قوله تعالى وما
كنت من الشاهدين بعد قوله وما كنت بجانب الغربي لانه ثبت بذلك انه
لم يكن شاهدا لان الشاهد لا بد ان يكون حاضرا اجيب بان ابن عباس
قال التقدير لم تحضر ذلك الموضع ولو حضرت ما شاهدت تلك
الوقايع فانه يجوز ان يكون هناك ولا يشهد ولا يرى وقرا ابو عمرو في الوصل
بكسر الهاء والميم وحمزة والكسائي بضم الهاء والميم وحمزة في الوقف بضم
الهاء وسكون الميم والباقون في الوصل بكسر الهاء وضم الميم ولما نفي العلم
عن هذا بطريق الشهود نفي سبب العلم بذلك فقال تعالى بقوله تعالى
وما كنت ثاويا اي مقيما اقامة طويلة مع الملازمة بمدين في اهل
مدين اي قوم شعيب عليه السلام كمقام موسى وشعيب فيهم
تتلوا اي تقرا عليهم تعلما منهم ايتنا العظيمة التي منها
قصتهم لتكون ممن تنبه باموره الوحي ويعرف دقيق اخباره فتكون
خبرهم وخبر موسى عليه السلام معك ولكنا كنا مرسلين اياك
رسولا وانزلنا عليك كتابا فيه هذه الاخبار تتلوها عليهم ولولا
ذلك ما علمتها ولم تخبرهم بها وما كنت بجانب الطور اي بناحية الجبل
الذي كلم الله تعالى عليه موسى اذ اي حين نادينا اي اوقعنا النداء
لموسى عليه السلام فاعطيناه التوراة واخبرناه بما لا يمكن الاطلاع
عليه الا من قبلنا او قبله ومن المشهور انك لم تطلع على شيء من ذلك من
قبله لانك ما خالطت احدا ممن حمل تلك الاخبار عن موسى عليه
السلام ولا احدا حملها ممن حملها عنه ولكن كان ذلك اليك منا وهو
معنى قوله تعالى ولكن اي انزلنا ما اردنا وارسلناك به رحمة من ربك لك
خصوصا وللخلق عموما وقيل اذ نادينا موسى خذ الكتاب بقوة وقال
وهب قال موسى يا رب ارني محمدا قال انك لن تصل الى ذلك وان شئت
ناديت امته واسمعتك صوتهم قال بلى يا رب قال الله تعالى يا امة محمد فاجابوا
من اصلاب ابايهم وقال ابو زرعة نادي يا امة محمد قد اجبتكم قبل
ان تدعوني واعطيتكم قبل ان تسالوني وروي عن ابن عباس ورفعه
بعضهم قال الله تعالى يا امة محمد فاجابوه من اصلاب الاباء وارحام الامهات

لبيك اللهم لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لك لا شريك لك قال الله تعالى
يا امة محمد ان رحمتي سبقت غضبي وعفوي عقابي قد اعطيتكم قبل
ان تسالوني واجبتكم من قبل ان تدعوني وقد غفرت لكم من قبل ان
تستغفروني من جاء يوم القيمة بشهادة ان لا اله الا الله وان محمدا عبدي
ورسولي دخل الجنة وان كانت ذنوبه اكثر من زبد البحر تنبيه
قال البيضاوي لعل المراد به اي بقوله تعالى وما كنت بجانب الطور اذ
نادينا وقت ما اعطاه التوراة وبالاول اي بقوله تعالى وما كنت بجانب
الغربي اذ قضينا حيث استنباه لانهما المذكوران في القصة وقوله تعالى
لتنذر اي لتحذر تحذيرا كثيرا قوما اي اهل تهامة ونجد ليتبين بهم عايق
عن اعمال الخير العظيمة الا الاعراض عنك وهم العرب ومن في ذلك الزمان
من الخلق يتعلق بالفعل المحذوف ما اتاهم وعم النفي بزيادة الجار في
قوله تعالى من نذير وزيادة الجار في قوله تعالى من قبلك يدل على
الزمن القريب وهو زمن الفترة بينه وبين عيسى عليهما الصلاة والسلام
وهو خمسمائة وخمسون سنة ونحو هذا قوله تعالى لتنذر قوما ما انذر
اباوهم وقيل ليس المراد زمن الفترة بل ما بينه وبين اسمعيل عليهما السلام
على ان دعوة موسى وعيسى كانت مختصة ببني اسرايل وما حولهم
لعلهم يتذكرون اي يتعظون ولولا ان تصيبهم اي في كل وقت من
الاوقات مصيبة اي عظيمة بما قدمت ايديهم اي من المعاصي التي
قضينا بانها لا يعفى عنه فيقولوا ربنا اي ايها المحسن الينا لولا
اي هلا ولم لا ارسلت الينا اي على وجه التشريف لنا لنكون على علم
باننا مما يعتني الملك الاعلى به رسولا واجاب التخصيص الذي يشبهونه
بالامر ليكون كلا منهما باعثا على الفعل بقوله تعالى فنتبع اي
فتسبب عن ارسال رسولك ان نتبع اياتك ونكون اي كونا هو في غاية
الرسوخ من المومنين اي المصدقين لك في كل ما اتى به عنك رسولك
تنبيه لولا الاولى امتناعية وجوابها محذوف تقديره كما قال الزجاج
ما ارسلنا اليهم رسولا يعني على ان الحامل على ارسال الرسل ازاحة
عللهم بهذا القول فهو كقوله تعالى لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل
والثانية تخصيصية وتتبع جوابه كالامر نصب باضمار ان فان قيل
كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب لا القول
لدخول حرف الامتناع عليه دونه اجيب بان القول هو المقصود
بان يكون سببا للارسال ولكن العقوبة لما كانت هي السبب للقول
وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كانها للارسال بواسطة
القول فادخلت عليها لولا وجيء بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية

تلذلك ٣ م

معنى

معنى السببية ويؤول معناه الى قولك ولولا قولهم هذا اذا اصابتهم
مصيبة لما ارسلنا ولكن اخترت هذه الطريقة لنكتة وهي انهم لو لم
يعاقبوا مثلا على كفرهم وقد عاينوا ما الجؤا به الى العلم اليقين ببطلان
دينهم لم يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا بل انما يقولون اذا نالهم العقاب
وانما السبب في قولهم هذا هو العقاب لا غير لا التاسف على ما فاتهم من
الايمان بخالقهم وهو كقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ولما كان التقدير
ولكنا ارسلناك بالحق لقطع حجتهم هذه بنا عليه فلما جاءهم اي اهل
مكة الحق اي الذي هو اعم من الكتاب والسنة وما يقاس عليهما وهو في
نفسه جدير بان يقبل لكونه في ذروة العليا من الثبات فكيف وهو
من عندنا على ما لنا من العظمة وهو على لسانك وانت اعظم الخلق
قالوا اي اهل الدعوة من العرب وغيرهم تعنتا وكفرا به لولا اي هلا
ولم لا اوتي اي هذا الاتي بما يزعم انه الحق من الايات مثل ما اوتي موسى من
الايات كاليد البيضاء والعصا وغيرهما من كون الكتاب انزل عليه جملة
واحدة قال الله تعالى اولم يكفروا اي العرب ومن بلغته الدعوة من بني
اسرائيل ومن كان مثلهم في البشرية والعقل في زمن موسى بما اوتي
موسى عليه السلام من قبل اي من قبل مجيء الحق على لسان محمد صلى
الله عليه وسلم ولما كان كانه قد قيل ما كان كفرهم به قيل قالوا اي فرعون
وقومه ومن كفر من بني اسرائيل ساحران اي موسى واخوه عليهما السلام
تظاهرا اي اعان كل منهما صاحبه على سحره حتى صار سحرهما معجزا افعل
جميع السحرة وتظاهر الساحرين من تظاهر السحرين على قراءة الكوفيين
بكسر السين وسكون الحاء وقرا الباقون بفتح السين وكسر الحاء والف
بينهما تنبيه يجوز ان يكون الضمير لمحمد وموسى عليهما الصلاة
والسلام قال البقاعي وهو اقرب وذلك انه روي ان قريشا جاءت
الى يهود فسالوهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فاخبروهم ان نعته في كتابهم
فقالوا هذه المقالة فيكون الكلام استئنافا لجواب من كانه قال ما كان
كفرهم بهما فقيل قالوا اي العرب الرجلان ساحران او الكتابان ساحران
ظاهر احدهما الاخر مع علم كل ذي لب ان هذا القول زيف لانه لو كان شرطا
اعجاز السحر التظاهر لكان سحر فرعون اعجز اعجازا لانه تظاهر عليه جميع
سحرة بلاده مصر وعجزوا عن معارضة ما اظهر موسى عليه السلام من
اياته كالعصا واما محمد صلى الله عليه وسلم فقد دعا اهل الارض من الجن
والانس الى معارضة كتابه واخبرهم انهم عاجزون ولو كان بعضهم لبعض
ظهيرا فعجزوا عن اخرهم ولما تضمن قولهم ذلك الكفر صرحوا به وقالوا اي
كفار قريش انا بكل اي من الساحرين او السحرين اللذين تظاهرا بهما

ومما اتيا به من عند الله كافرون جراءة على الله تعالى وتكبرا على الحق ثم
قال الله تعالى قل اي لهم الزاما ان كنتم صادقين في انه ساحر كما في سحر
وكذلك موسى عليه السلام فاتوا بكتاب من عند الله اي الملك الجلي
الاعلى هو اي الذي تاتوا به اهدى منهما اي من الكتابين وقوله اتبعه اي
وانا كنتما جواب الامر وهو فاتوا ان كنتم اي ايها الكفار صادقين في
انا ساحران فاتوا بما الزمتكم به قال البيضاوي وهذا من الشروط
التي يراد بها الالزام والتبكيت ولعل مجيء حرف الشك للتهكم بهم
فان لم يستجيبوا لك اي دعاك الى الكتاب الاهدى فحذف المفعول للعلم
به ولان فعل الاستجابة يتعدى بنفسه الى الدعا وباللام الى الداعي
فاذا عدي اليه حذف الدعا غالبا كقول القائل . وداع اي ورب داع
دعا يا من يجيب الى الندا . فلم يستجبه عند ذاك مجيب .
الشاهد في يستجبه حيث عداه الى الداعي وحذف الدعا والتقدير
فلم يستجب دعاه فاعلم انما يتبعون اي بغاية جهدهم فيما هم
عليه من الكفر والتكذيب اهواهم اي دايما واكثر الهوى مخالف للهدى
فهم ظالمون غير مهتدين بل هم اضل الناس وذلك معنى قوله تعالى
ومن اضل ممن اتبع اي بغاية جهده هواه اي لا احد اضل منه فهو
استفهام بمعنى النفي وقوله تعالى بغير هدى من الله في موضع الحال
للتوكيد والتقييد فان هوى النفس قد يوافق الهدى ان الله لا يهدي
القوم الظالمين اي وان كانوا اقوى الناس لاتباعهم اهواهم ولقد
وصلنا قال ابن عباس بينا وقال الفرا انزلنا ايات القران
يتبع بعضه بعضا لهم اي خاصة فكان تخصيصهم بذلك منة
عظيمة يجب عليهم شكرها القول اي القران قال مقاتل بينا لكفار
مكة ما في القران من اخبار الامم الخالية كيف عذبوا بتكذيبهم وقال
ابن زيد وصلنا لهم خير الدنيا بخير الاخرة حتى كانهم عاينوا الاخرة في
الدنيا لعلهم يتذكرون اي ليكون حالهم حال من يرجى لهم ان يرجعوا
الى العفو لهم فيجدوا فيما طمع فيها ما يذكرهم بالحق ثم كانه قيل هل يذكر
منهم احد قيل نعم اهل الكتاب الذين هم اهله حقا تذكروا وذلك معنى
قوله تعالى الذين اتيناهم الكتاب من قبله اي القران وقيل محمد صلى الله
عليه وسلم هم به اي بما تقدم يؤمنون ايضا نزل في جماعة اسلموا
من اليهود عبد الله بن سلام واصحابه وقال مقاتل هم اهل الانجيل
الذين قدموا من الحبشة وامنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وقال
سعيد بن جبير هم اربعون رجلا قدموا مع جعفر من الحبشة من
الحبشة على النبي صلى الله عليه وسلم فلما راوا ما بالمسلمين

من الخصاصة

من الخصاصة قالوا يا رسول الله ان لنا اموالا فان اذنت لنا انصرفنا فجئنا
باموالنا فواسينا المسلمين فنزل فيهم ذلك الى قوله تعالى ومما رزقناهم
ينفقون وعن ابن عباس نزلت في ثمانين من اهل الكتاب اربعون من نجران
واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من الشام ثم وصفهم الله تعالى
بقوله تعالى واذا يتلى اي تتجدد تلاوة القران عليهم قالوا اي بادروا
امنا به ثم عللوا ذلك بقولهم انه الحق اي الكامل الذي ليس وراءه
الا الباطل مع كونه من ربنا اي المحسن الينا ثم عللوا مبادرتهم بقولهم
انا كنا من قبله اي القران مسلمين اي منقادين غاية الانقياد
مخلصين لله بالتوحيد مؤمنين بمحمد انه نبي حق اولئك اي العالو
الرتبة يؤتون اجرهم مرتين اي لايمانهم به غيبا وشهادة او بالكتاب
الاول ثم بالكتاب الثاني بما صبروا اي بسبب صبرهم على دينهم وقال
مجاهد نزلت في قوم من اهل الكتاب اسلموا فاوذوا وعن ابي بردة عن ابي موسى
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة يؤتون اجرهم مرتين
رجل كانت له جارية فادبها فاحسن ادبها ثم اعتقها وتزوجها ورجل
كان من اهل الكتاب امن بكتابه وامن بمحمد صلى الله عليه وسلم وعبد
احسن عبادة الله ونصح سيده ولما كان الصبر لا يتم الا بالاتصاف
بالمحاسن والانخلاع من المساوي قال تعالى عاطفا على يؤمنون مشيرا
الى تجدد هذه الافعال كل حين ويدرؤون اي يدفعون بالحسنة
من الاقوال والافعال السيئة اي فيمحونها بها وقال ابن عباس
يدفعون بشهادة ان لا اله الا الله الشرك وقال مقاتل يدفعون بما
سمعوا من الاذى والشتم من المشركين بالصفح والعفو ومما رزقناهم
اي بعظمتنا لا بحول منهم ولا قوة قليلا كان او كثيرا ينفقون
اي يتصدقون معتمدين في الخلف على الذي رزقه ولما ذكر ان السماح بما
تضن النفوس به من فضول الاموال من امارات الايمان اتبعه ان حزت
ما تبذله الانفس من فضول الاموال من علامات العرفان بقوله تعالى
واذا سمعوا اللغو اي ما لا ينفع في دين ولا دنيا من شتم وتكذيب وتعيير
ونحوه اعرضوا عنه تكرما عن الخنا وقيل اللغو القبيح من القول وذلك
ان المشركين كانوا يسبون مؤمني اهل الكتاب ويقولون تبا لكم تركتم
دينكم فيعرضون عنهم ولا يردون عليهم وقالوا وعظا وتسميعا لقا
لنا خاصة اعمالنا لا تثابون على شيء منها ولا تعاقبون ولكم
خاصة اعمالكم لا نطالب بشيء منها فنحن لا نشتغل بالرد عليكم
سلام عليكم متاركة لهم وتوديعا دعا لهم بالسلامة عما هم فيه
لا سلام تحية واكرام ونظير ذلك واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما

يُله

ثم اكد ذلك بقوله تعالى حاكيا عنهم لا نبتغي اي لا نتكلف انفسنا ان
نطلب الجاهلين اي نريد شيا من احوالهم واقوالهم او غير ذلك من
خلو لهم وقيل لا نريد ان نكون من اهل الجهل والسفه قيل نسخ ذلك
بالامر بالقتال وهو بعيد لان ترك المسافهة مندوب وان كان القتال
واجبا ونزل في حرصه صلى الله عليه وسلم على ايمان عمه ابي طالب انك
لا تهدي من احببت اي نفعه او هدايته بخلق الايمان في قلبه روي
سعيد بن المسيب عن ابيه انه قال لما حضرت ابا طالب الوفاة جاءه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده ابا جهل وعبد الله بن ابي
امية ابن المغيرة فقال اي عم قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله
فقال ابو جهل وعبد الله بن ابي امية اترغب عن ملة عبد المطلب فلم
يزل صلى الله عليه وسلم يعرضها ويعيدانه بتلك الكلمة حتى قال
ابو طالب اخر ما كلمهم هو على ملة عبد المطلب وابى ان يقول
لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لاستغفرن
لك ما لم انه عنك فانزل الله تعالى ما كان للنبي والذين امنوا ان
يستغفروا للمشركين وانزل الله تعالى في ابي طالب فقال لرسول
الله صلى الله عليه وسلم انك لا تهدي من احببت الاية وفي مسلم
عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم امره بالتوحيد فقال لولا
ان تعيرني نساء قريش تقول انما حمله على ذلك الجزع لاقررت بها عينك
فانزل الله تعالى الاية وروي ان ابا طالب قال عند موته يا معشر بني
هاشم اطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال النبي صلى
الله عليه وسلم يا عم تامرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك
قال فما تريد يا ابن اخي قال اريد منك كلمة واحدة فانك في اخر
يوم من ايام الدنيا تقول لا اله الا الله اشهد لك بها عند الله قال يا ابن
اخي قد علمت انك صادق ولكني اكره ان يقال جزع عند الموت ولولا
ان يكون عليك وعلى بني ابيك غضاضة وسبة بعدي لقلتها ولاقررت
بها عينك عند الفراق لما ارى من شدة وجدك ونصيحتك ولكن سوف
اموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وعبد مناف فان قيل قال الله
تعالى في هذه الاية انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وقال
تعالى في اية اخرى وانك لتهدي الى صراط مستقيم اجيب بانه لا تنافي
بينهما فان الذي اثبته واضافه اليه الدعوة والذي نفى عنه هداية
التوفيق وشرح الصدر وهو نور يقذف في القلب فيحيى به القلب
كما قال تعالى اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به
في الناس وهو اعلم اي عالم بالمهتدين اي الذين هياهم لطلب

الهدى

الهدى عند خلقه لهم سواء كانوا من اهل الكتاب ام من العرب اقارب كانوا
ام اباعد ثم حكى الله تعالى عن كفار قريش شبهة تتعلق باحوال الدنيا بقوله
تعالى وقالوا ان نتبع الهدى اي الاسلام فنوحد الله تعالى من غير اشراك
معك وانت على ما انت عليه من مخالفة الناس نتخطف اي من
اي خاطف اراد نالا انا نصير قليلا في كثير من غير نصير من ارضنا
كما تتخطف العصافير لمخالفة كافة العرب لنا وليس لنا نسبة
الى كثرتهم ولا قوتهم فيسرعوا الينا فيتخطفونا اي يقصدون خطفنا
واحدا واحدا فانه لا طاقة لنا على ادامة الاجتماع وان لا يبتعد بعضنا
عن بعض قال المبرد والخطف الانتزاع بسرعة نزلت في الحارث بن
نوفل بن عبد مناف قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لنعلم ان الذي
تقوله حق ولكنا ان اتبعناك على دينك وخالفنا العرب بذلك وانما
نحن اكلة راس خفنا ان تخرجنا العرب من ارضنا مكة فرد الله تعالى
عليهم هذه الشبهة والقمهم الحجة بقوله تعالى اولم نمكن اي غاية
التمكين لهم اي في اوطانهم ومحل سكناهم بما لنا من القدرة حرما امنا اي
ذا امن يامن فيه كل خائف حتى الطير من كواسرها والوحش من جوارح
حتى ان سيل الحل لا يدخل الحرم بل اذا وصل اليه عدل عنه وروي ان
مكة كانت في الجاهلية لا تقر فيها ظلما ولا بغيا ولا يبغي فيها احد على
احد الا اخرجته وكان الرجل يلقى قاتل ابيه وابنه فيها فلا يهيجه ولا
يتعرض له بسوء وروى الازرقي في تاريخ مكة عن حويطب بن عبد العزى
قال كان لي في الكعبة حلق يدخل الخائف يده فيها فلا يريبه احد
فجاء خائف ليدخل يده فاجتذبه رجل فشلت يده فلقد رايته في الاسلام
وانه لاشل وعن ابن عباس قال اخذ رجل ذود ابن عم له فاصابه به
في الحرم فقال ذودي فقال اللص كذبت قال فاحلف فحلف عند المقام
فقام رب الذود بين الركن والمقام باسطا يديه يدعو فما برح مقامه
يدعو حتى ذهب عقل اللص وجعل يصيح بمكة ما لي وللذود ما لي
ولفلان رب الذود فبلغ ذلك عبد المطلب فجمع الذود ودفعه الى
المظلوم فخرج به وبقي الاخر حتى وقع من جبل فتردى فاكلته السباع
وعن ابن جريج ان غير قريش من العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة الى
ان اعارتهم قريش ثيابا فجاءت امراة لها جمال فطافت عريانة
فراها رجل فاعجبته فدخل فطاف الى جنبها فادنى عضده من عضدها
فالتزقت عضده بعضدها فخرجا من المسجد هاربين على وجوههما
فزعين لما اصابهما من العقوبة فلقيهما شيخ من قريش فافتاهما
ان يعودا الى المكان الذي اصابهما فيه الذنب فيدعوان ويخلصان

ان لا يعودوا فعادوا ودعوا واخلصا اليه فانزقت اعضاؤهما فذهب كل
منهما في ناحية وعن عبد العزيز بن رواد ان قوما انتهوا الى ذي طوى
واذا ظبي قد دنا منهم فاخذ رجل منهم بقائمة من قوائمه فقال
له اصحابه ويحك ارسله فجعل يضحك وابى ان يرسله فبعر الظبي
وبال ثم ارسله فناموا في القايلة ثم انتبهوا فاذا بحية منطوقة
على بطن الرجل الذي اخذ الظبي فلم تنزل الحية عنه حتى كان منه
من الحدث مثل ما كان من الظبي وعن مجاهد قال دخل قوم مكة
تجارا من الشام في الجاهلية فنزلوا ذا طوى واختبزوا ملة لهم
ولم يكن معهم ادام فرمى رجل منهم ظبية من ظبا الحرم وهي حولهم
ترعى فقاموا اليها فسلخوها وطبخوها ليأتدموا بها فبينما قدرهم
على النار يغلي لحمه اذ خرجت من تحت القدر عنق من النار عظيمة
فاحرقت القوم جميعا ولم تحرق ثيابهم ولا امتعتهم وعن ايوب
بن موسى ان امرأة في الجاهلية كان معها ابن عم لها صغير فقالت له
يا بني اني اغيب عنك واني اخاف ان يظلمك احد فان جاءك ظالم
بعدي فان لله بيتا بمكة سيمنعك فجاءه رجل فذهب به فاسترقه
فلما راى الغلام البيت عرفه بصفته فنزل يشتد حتى تعلق بالبيت فجاءه
سيده ياخذه فمد يده اليه لياخذه فيبست يده فمد الاخرى
فيبست فاستفتى فافتي ان ينحر عن كل واحدة من يديه بدنة
ففعل فاطلقت يداه وترك الغلام وخلى سبيله وعن ابي الربيع
ابن سالم الكلاعي ان رجلا من كنانة بن هذيل ظلم ابن عم له فخوفه
بالدعاء في الحرم فقال هذه ناقتي فلانة اركبها فاذهب اليه واجتهد
في الدعاء فجاء الحرم في الشهر الحرام فقال اللهم اني ادعوك جاهدا
مضطرا على ابن عمي فلان ترميه بداء لا دواء له ثم انصرف فوجد ابن
عمه قد رمي في بطنه فصار مثل الزق فما زال ينتفخ حتى انشق
وعن عمر رضي الله تعالى عنه انه سال رجلا من بني سليم عن ذهاب
بصره فقال يا امير المؤمنين كنا بني ضبعاء عشرة وكان لنا ابن عم
وكنا نظلمه فكان يذكرنا بالله وبالرحم فلما راى ان لا نكف عنه انتهى
الى الحرم في الاشهر الحرم فجعل يرفع يديه ويقول
اللهم ادعوك دعاء جاهدا ٭ اقتل بني الضبعا الا واحدا
ثم اضرب الرجل ودعه قاعدا ٭ اعمى اذا اقتيد يعيي القائدا
قال فمات اخوتي التسعة في تسعة اشهر في كل شهر واحد
وبقيت انا فعميت ورماني الله عز وجل في رجلي فليس يلائمني قائد
فقال عمر جعل الله تعالى هذا في الجاهلية اذ لا دين حرمة حرمها وشرفها

ليرجع

ليرجع الناس عن انتهاك ما حرم مخافة تعجيل العقوبة فلما جاء الدين صار
الموعد للساعة ويستجيب الله تعالى لمن يشاء واتقوا الله وكونوا مع
الصادقين وانما اكثرت من هذه الحكايات ليكون الداخل للحرم على حذر
فان الله تعالى حماه ومكن اهله في الحرم الذي امنه بحرمة البيت وامن
قطانه بحرمته وكانت العرب في الجاهلية حولهم يتغاورون ويتناحرون
وهم امنون في حرمهم لا يخافون وبحرمة البيت هم قارون بواد غير
ذي زرع والثمرات والارزاق تجبى اليهم كما قال تعالى **يجبى** اي
يجمع ويحمل **اليه** اي خاصة دون غيره من جزيرة العرب الذي بارض
من النبات **ثمرات كل شيء** من النبات الذي بارض العرب من ثمر البلاد
الحارة كالبسر والرطب والنبق والباردة كالعنب والتفاح والرمان
والخوخ فاذا خولهم الله تعالى ما خولهم من الامن والرزق بحرمة البيت
وحدها وهم كفرة عبدة اصنام فكيف يستقيم ان يعرضهم للخوف
والتخطف ويسلبهم الامن اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة الاسلام
واسناد الامن الى اهل الحرم حقيقة والى الحرم مجاز تنبيه معنى الكلية
هنا الكثرة كقوله تعالى واوتيت من كل شيء ونكتة في تعبيره بالمضارع
وما بعده اشارة الى الاستمرار وانه ياتي اليه بعد ذلك من كل ما
في الارض من المال ما لم يخطر لاحد منهم في بال وقرا نافع بالتا الفوقية
والباقون بالياء التحتية واماله حمزة والكسائي محضة وورش له
بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح ثم انه تعالى بين ان الرزق من عنده
بقوله تعالى **رزقا من لدنا** اي فلا صنع لاحد فيه بل هو محض تفضل
تنبيه انتصاب رزقا على المصدر من معنى يجبى او الحال من ثمرات
لتخصيصها بالاضافة كما تنصب عن النكرة المخصصة وان جعلته
اسما للمرزوق انتصب على الحال من ثمرات **ولكن اكثرهم** اي اهل مكة وغيرهم
من لا هداية له **لا يعلمون** اي ليس لهم قابلية للعلم حتى يعلموا انا نحن الفاعلون
لذلك بل هم جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا وقيل انه متعلق بقوله
تعالى من لدنا اي قليل منهم يتدبرون فيعلمون ان ذلك رزق من عند الله
اذ لو علموا لما خافوا غيره ثم بين تعالى ان الامر بالعكس فانهم احقا ان يخافوا
من باس الله تعالى على ما هم عليه بقوله تعالى **وكم اهلكنا من قرية** اي من اهل
قرية واشار الى سبب الاهلاك بقوله تعالى **بطرت معيشتها** اي وقع
منها البطر في زمن عيشتها الرخا الواسع فكان حالهم كحالهم في الامن
وادرار الرزق فلما بطروا معيشتهم اهلكناهم ومعنى بطرهم لها فالاعطا
انهم اكلوا رزق الله تعالى وعبدوا غيره وقيل البطر سوء احتمال الغنى وهو
ان لا يحفظ حق الله تعالى فيه تنبيه انتصاب معيشتها اما بحذف الجار

واتصال الفعل كما في قوله تعالى واختار موسى قومه او بتقدير حذف ظرف الزمان
واصله بطرت ايام معيشتها واما بتضمين بطرت معنى كفرت او خسرت او
على التمييز او على التشبيه بالمفعول به وهو قريب من سفه نفسه فتلك
مساكنهم خاوية لم تسكن من بعدهم بعد ان طال ما تنعموا فيها وعمروها
وزخرفوها وزوقوا فيها الابكار وفرحوا بالاعمال الكبار الا سكونا قليلا قال
ابن عباس لم يسكنها الا المسافرون ومارو الطريق يوما او ساعة من ليل
او نهار ثم تصير يبابا موحشة كالقفار بعد ان كانت متنعمة الفنا ببيض
الصفاح وسمر القنا قال الزمخشري ويحتمل ان شوم معاصي المهلكين
بقي اثره في ديارهم فكل من سكنها من اعقابهم لم يبق فيها الا قليلا وكنا نحن
الوارثين منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرف تصرفهم في ديارهم
وساير متصرفاتهم قال القايل تخلف الاثار عن اصحابها حينا ويدركها
الفنا فتتبع وما كان ربك اي المحسن اليك بالاحسان بارسالك الى الناس
مهلك القرى اي هذا الجنس كله بجرم وان عظم حتى يبعث في امها اي اعظمها
واشرفها رسولا لان غيرها تبع لها ولم يشترط كونه من امها فقد كان عيسى
عليه السلام من الناصرة وبعث الى بيت المقدس يتلوا عليهم اي اهل
القرى كلهم اياتنا الدالة على ما ينبغي لنا من الحكمة وبما لها من الاعجاز على نفوذ
الكلمة وبامر العظمة الزاما للحجة وقطعا للمعذرة لئلا يقولوا ربنا لولا ارسلت
الينا رسولا ولذلك لما اردنا عموم الخلق بالرسالة جعلنا الرسول وهو محمد
صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء من ام القرى كلها وهي مكة البلد الحرام وما
كنا مهلكي القرى اي كلها بعد الارسال الا واهلها ظالمون اي عريقون
في الظلم بالعصيان بترك ثمرات الايمان وتكذيب الرسل وما اوتيتم من شيء اي
من اسباب الدنيا فمتاع اي فهو متاع الحياة الدنيا اي تتمتعون به ايام
حياتكم ولبس يعود نفعه الى غيرها فهو الى افساد وان طال زمن التمتع به وزينتها
اي فهو زينة الحياة الدنيا التي كلها فضلا عن زينتها الى الفنا فليست بشيء ولا
شيء بازلي ولا ابدي وما عند الله اي الملك الاعلى وهو ما لا عين رات ولا اذن
سمعت خير على تقدير مشاركة ما في الدنيا له في الخيرية في ظنكم لان الذي
عنده اطيب واكثر واشهى وازهى وهو مع ذلك كله ابقى لانه وان شارك
متاع الدنيا في انه لم يكن ازليا فهو ابدي وهذا جواب عن شبهتهم فانهم قالوا
تركنا الدين لئلا تفوتنا الدنيا فبين ان ذلك خطا عظيم لان ما عند الله خير
وابقى من وجهين الاول ان المنافع هناك اعظم والثاني انها خالصة عن الشوايب
ومنافع الدنيا مشوبة بالمضار بل المضار فيها اكثر واما انها ابقى فلانها
دايمة غير منقطعة ومن قابل المتناهي بغير المتناهي كان عدما فظهر بهذا ان
منافع الدنيا لا نسبة لها الى منافع الاخرة فلا جرم نبه على ذلك بقوله تعالى

افلا تعقلون

افلا تعقلون ان الباقي خير من الفاني فيستبدلون هو ادنى بالذي هو
خير فمن لم يرجح منافع الاخرة على منافع الدنيا كانه يكون خارجا عن حد
العقل قال ابن عادل ورحم الله الشافعي حيث قال من وصى بثلث ماله
لاعقل الناس صرف ذلك الثلث الى المشتغلين بطاعة الله تعالى لان
اعقل الناس من اعطى القليل واخذ الكثير وما هم الا المشتغلين بالطاعة
فكان رحمه الله تعالى انما اخذه من هذه الاية انتهى وقرا ابو عمرو بالياء
وهو ابلغ في الموعظة لاشتماله على الالتفات للاعراض به عن
خطابهم والباقون بالتاء وعلى الخطاب جريا على ما تقدم افمن وعدناه
على عظمتنا في الغنى والقدرة والصدق وعدا حسنا لا شيء احسن
منه في موافقته للامنية وبقائه وهو الجنة فان حسن الوعد
بحسن الموعود ولذلك سمى الله تعالى الجنة بالحسنى فهو لاقيه
اي مدركه لا محالة لامتناع الخلف في وعده ولذلك عطفه
بالفاء المعطية معنى السببية كمن متعناه متاع الحياة الدنيا اي الذي
هو مشوب بالالام مكدر بالمتاعب مستعقب للتحسر على الانقطاع
وعن ابن عباس ان الله خلق الدنيا وجعل اهلها ثلاثة اصناف ع
المومن والمنافق والكافر فالمومن يتزود والمنافق يتزين والكافر
يتمتع ثم هو مع ذلك كله يوم القيمة الذي هو يوم التغابن من
خسر فيه لم يربح اصلا من المحضرين اي المقهورين على الحضور
الى مكان يودلو افتدى منه بملء الارض ذهبا لم يقبل منه
قال قتادة يحضره المومن والكافر قال مجاهد نزلت في
النبي صلى الله عليه وسلم وابي جهل وقال محمد بن كعب نزلت في
حمزة وعلي وابي جهل وقال السدي نزلت في عمار والوليد بن
المغيرة تنبيه ثم للتراخي حال الاحضار عن حال التمتع في الزمان
والرتبة وقرا ثم هو قالون والكسائي بسكون الهاء والباقون بالضم
ويوم اي واذكر يوم يناديهم اي ينادي الله هولاء الذين
يضلون الناس ويصدون عن سبيل الله فيقول اي الله تعالى
اين شركاي اي من الاوثان وغيرهم ثم بين انهم لا يستحقون
هذا الاسم بقوله تعالى الذين كنتم اي كونا غريقين فيه تزعمون
انها تشفع ليدفعوا عنكم او عن انفسهم فتخلصكم من هذا الذي
نزل بكم تنبيه تزعمون مفعولاه محذوفان اي تزعمونهم شركا
قال الذين حق اي ثبت ووجب عليهم القول اي بدخول النار
وهم روس الضلالة وهو قوله تعالى لاملان جهنم من الجنة
والناس اجمعين وغيره من ايات الوعيد وقولهم ربنا هولاء

اشارة للاتباع الذين اغوينا اي اوقعنا الاغواء وهو الاضلال بهم وقولهم
اغويناهم اي فغووا صفته والعايد حذف باختيارهم كما غوينا اي
نحن فهولاء مبتدا والذين اغوينا صفته والراجع الي الموصول محذوف
واغويناهم الخبر والكاف صفة مصدر محذوف تقديره اغويناهم فغووا
غيا مثل ما غوينا يعنون انا لم نغو الا باختيارنا لا ان فوقنا مغوين
اغوونا بقسر منهم والجاء او دعونا الي الغي وسولوه لنا فهولاء كذلك
غووا باختيارهم لان اغواءنا لهم لم يكن الا وسوسة وتسويلا لا قسرا
والجاء فلا فرق اذا بين غينا وغيهم وان كان تسويلنا لهم داعيا الي الكفر
فقد كان في مقابلته دعا الله تعالى لهم الي الايمان بما وضع فيهم من
ادلة العقل وما بعث اليهم من الرسل وانزل اليهم من الكتب
المشحونة بالوعد والوعيد والمواعظ والزواجر وناهيك بذلك
صارفا عن الكفر وداعيا الي الايمان وهذا معنى ما حكاه الله تعالى
عن الشيطان ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي
عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا
انفسكم تنبيه اعترض الزمخشري علي هذا الاعراب بان الخبر
ليس فيه زيادة فايدة علي ما في صفته ثم اعرب هو هولاء مبتدا
والذين اغوينا خبره واغويناهم مستانف واجاب ابو البقا وغيره
عن الاول بان الظروف فلا تلزم كقولك زيد عمرو في الدار ثم اشاروا
بقولهم تبرانا اليك اي من امورهم الي انه لا لوم علينا في الحقيقة
بسببهم فهو للجملة الاولى ولهذا خلت عن العاطف وعلي تقدير اغوينا
لهم ما كانوا ايانا اي خاصة يعبدون بل كانوا يعبدون الاوثان
بما زينت لهم اهواهم وان كان لنا فيه نوع دعا اليه وحث عليه فالعقل
ما تريد ان يوزع العذاب على من كان سببا في ذلك وقيل ما مصدرية
متصلة بتبرانا اي تبرانا من عبادتهم ايانا لم يلتفت الي هذا الكلام
منهم بل عد ما لا نه لا طايل تحته اشير الي الاعراض عنه لانه لا
يستحق جوابا كما قيل رب قول جوابه السكوت بقوله تعالى وقيل اي
ثانيا للاتباع تهكما بهم واظهارا لعجزهم الملزوم لتحيرهم وعظم سفههم
وذكر ذلك بصيغة المجهول للاستهانة بهم وانهم من الذل والصغار
حيث يجيبون كل امر كان من كان ادعوا اي كلكم شركاءكم اي الذين
ادعيتم جهلا شركتهم لينفعوا عنكم فدعوهم تعللا بما لا يغني وتمسكا
بما يتحقق انه لا يجدي بفرط الغلبة واستيلا الحيرة والدهشة
فلم يستجيبوا لهم اي لم يجيبوهم لعجزهم عن الاجابة والنصرة قال
ابن عادل والاقرب الى هذا على سبيل التقريع لانهم يعلمون انه لا فايدة

في جوابهم ورأوا العذاب اي هم عالمين بانه موافيهم لا مانع لهم عنهم
فكان ذلك مقتضيا لان يقال من كل من يهواهم لو انهم كانوا يهتدون اي
يحصل منهم هذا ساعة من الدهر تاسفا علي امرهم وتمنيا لخلاصهم
ولو ان ذلك كان في طبعهم وجواب لو محذوف اي لنجوا من العذاب ولما راوه
اصلا قال الضحاك ومقاتل يعني المتبوع والتابع يرون العذاب ولو انهم
كانوا يهتدون في الدنيا ما ابصروه في الاخرة ويوم يناديهم اي الله ويسمعهم
بحيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر قد برزوا لله جميعا من كان منهم عاصيا
ومن كان منهم مطيعا في صعيد واحد قد اخذت بانفاسهم الزحام
وتراكب الاقدام علي الاقدام والجمهم العرق وغمهم الغرق فيقول ماذا اي
اوضحوا وعينوا جوابكم الذي اجبتم المرسلين اليكم تنبيه ويوم
معطوف على الاول فانه تعالى يسال عن اشراكهم به ثم تكذيبهم الانبيا
ولما لم يكن لهم قدم صدق ولا سابق حق بما اتتهم الرسل به من الحجج لم
يكن جواب الا السكوت وهو المراد بقوله تعالى فعميت اي خفيت
واظلمت عليهم الانبا اي الاخبار المنجية يومئذ التي هي من العظمة
بحيث يحق لها في ذلك اليوم ان يذكر تنبيه الوصل فعموا عن الانبا لكنه
عكس مبالغة ودلالة علي ان ما يحضر الذهن انما يفيض ويرد عليه من
خارج واذا اخطاه لم يكن له حيلة الي استحضاره واذا كان الرسل في
ذلك اليوم يفوضون الي علم الله فما ظنك بالضلال فلذلك قال تعالى
فهم لا يتساءلون اي لا يسال بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة
او العلم بانه مثله هذا حال من اصر علي كفره فاما من تاب عنه وقوله
تعالى وامن تصريح بما علم التزاما فان الكفر والايمان ضدان لا يمكن ترك
احدهما الا باخذ الاخر وقوله تعالى وعمل صالحا لاجل ان يكون مصدقا
لدعواه باللسان فعسى اذا فعل ذلك ان يكون من المفلحين عند الله
وعسى تحقيق علي عادة الكرام او ترجي من التايب بمعنى فليتوقع ان يفلح
ولما كان [illegible] انه قيل ما لاهل القسم الاول بالضعفا كان الجواب
لا يترجون النجاة من ضيق ذلك البلا الي رحب هذا الرجا وكان الجواب
ربك منهم من ذلك اوما له لم يقطع لهذا بالفلاح كما قطع لاهل القسم الاول
بالشقا كان الجواب وربك يخلق ما يشا ويختار لا موجب عليه ولا مانع له
ما كان لهم الخيرة اي ان يفعلوا ويفعل لهم كل ما يختارونه تنبيه
الخيرة بمعنى التخير كالطيرة بمعنى التطير وظاهره نفي الاختيار عنهم
راسا قال البيضاوي والامر كذلك عند التحقيق فان اختيار
العبد مخلوق منوط بدواع لا اختيار لهم فيها وقال الرازي في اللوا
وفيه دليل ان العبد في اختياره غير مختار فلهذا اهل الرضا حطوا الرحال

بين يدي ربهم وسلموا الامور اليه بصفاء التفويض يعني فان امرهم اونهاهم
بادروا وان اصابهم سهام المصايب العظام صابروا وان اعزهم اعزوا ٠٨٠
انفسهم واكرموا وان اذلهم رضوا وسلموا فلا يرضيهم الا ما يرضيه ولا
يريدون الا ما يريده فيمضيه قال القايل

وقف الهوي بي حيث انت فليس لي • متاخر عنه ولا متقدم
اجد الملامة في هواك لذيذة • حبا لذكرك فليلمني اللوم
واهنتني فاهنت نفسي صاغرا • ما من يهون عليك ممن يكرم

وقيل ما موصولة مفعول ليختار والراجع محذوف والمعني ويختار الذي
كان لهم فيه الخيرة اي الخير والصلاح سبحان الله تنزيها له ان ينازعه احد
او ينازع اختياره اختيار وتعالي اي علا علوا لا تبلغ العقول توجيه كنه
مداه عما يشركون اي عن اشراكهم او مشاركة ما يشاركونه بر
ولما كانت القدرة لا تتم الا بالعلم قال تعالي وربك اي المحسن
اليك المتولي امر تربيتك يعلم ما تكن اي تخفي وتستر صدورهم
من كونهم يومنون علي تقدير ان ياتيهم ايات مثل ايات موسي ولا يومنون
ومن كون ما اظهر من اظهر الايمان بلسانه خالصا او مشوبا ومن كونهم
يخفون عداوة الرسول صلي الله عليه وسلم وما يعلنون اي يظهرون من
ذلك كل ذلك لديه سواء فلا يكون لهم مراد الا بخلقه فان قيل هل لا اكتفي
بقوله تعالي ما تكن صدورهم عن قوله وما يعلنون اجيب بان علم الخفي لا يستلزم
علم الجلي اما لبعد او لغلط واختلاط اصوات يمنع تمييز بعضه عن بعض
او غير ذلك ولما كان ما علمه بذلك انما لكونه الها واحدا فردا صمدا وكان غيره
لا يعلم من علمه الا علمه قال تعالي وهو الله اي المستاثر بالالهية الذي
لا سمي له الذي لا يحيط الواصفون بكنه عظمته ثم شرح معني الاسم
الاعظم بقوله تعالي لا اله الا هو وهذا تنبيه علي كونه قادرا علي كل
الممكنات عالما بكل المعلومات منزها عن النقايص والافات ثم علل ذلك
بقوله تعالي له اي وحده الحمد اي الاحاطة باوصاف الكمال في الاولي والاخرة
لانه المولي للنعم كلها عاجلها واجلها يحمده المومنون في الاخرة كما حمدوه
في الدنيا فان قيل الحمد في الدنيا ظاهر فما الحمد في الاخرة اجيب بانهم يحمدونه
بقولهم الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده
واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين والتوحيد هناك علي وجه اللذة لا الكلفة
وفي الحديث يلهمون التسبيح والتقديس وله الحكم اي القضاء النافذ
في كل شي وقال ابن عباس حكم لاهل الطاعة بالمغفرة ولاهل المعصية
بالشقاء واليه لا الي غيره ترجعون اي بايسر امر يوم النفخ في
الصور لبعثرة القبور بالبعث والنشور مع انكم الان راجعون

دجرا

فيجمع احكامكم اليه ومقصورون عليه ان شاء امضاها وان اراد ردها
ولو اها ففي الايات غاية التقوية لقلوب المطيعين ونهاية الزجر والردع
للمتمردين ثم بين سبحانه وتعالي بعض ما يجب ان يحمد عليه بما لا يقدر عليه
سواه بقوله تعالي قل اي يا افضل الخلق لاهل مكة ارايتم اي اخبروني
ان جعل الله اي الملك الاعلي عليكم الليل اي الذي به اعتدال حر النهار
سرمدا اي دايما الي يوم القيمة لا نهار معه من اله غير الله اي العظيم
الشان الذي لا كفو له ياتيكم بضياء اي بنهار تطلبون فيه المعيشة افلا
تسمعون اي ما يقال لكم سماع اصغاء وتدبر قل ارايتم ان جعل الله اي
الذي له الامر كله عليكم النهار اي الذي توازن حرارته رطوبة الليل فيتم بهما
صلاح النبات وغير ذلك من جميع المقدرات سرمدا اي دايما الي يوم القيمة
لا ليل فيه من اله غير الله اي الجليل الذي ليس له مثل ياتيكم بليل اي بجنان
منه ظلام تسكنون فيه استراحة من متاعب الاشغال فان قيل هل لا
قيل تتصرفون فيه كما قيل بليل تسكنون فيه اجيب بانه تعالي ذكر
الضيا وهو ضوء الشمس لان المنافع التي تتعلق به متكاثرة ليس التصرف
في المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة ومن ثم قرن بالضيا افلا
تسمعون لان السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذلك منافعه
ووصف فوايده وقرن بالليل لان غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره
انت من السكون قال البقاعي فالاية من الاحتباك ذكر او لا السكون
الضيا اولا دليلا علي حذف الظلام ثانيا والليل والسكون ثانيا دليلا
علي حذف النهار والانتشار اولا ولما كان التقدير ومن رحمته جعل لكم
السمع والابصار لتتدبروا اياته وتتبصروا في مصنوعاته عطف عليه
اي التي وسعت كل شي لا من غيرها من خوف او رجا او تعلق غرض
من الاغراض جعل لكم الليل والنهار اي نوعين عظيمين دبرتموهما وبهما جميع
مصالحكم فجعل لكم الليل لتسكنوا فيه فلا تسعوا في معاشكم بجهدكم
قال البقاعي فالاية من الاحتباك ذكرا ولا السكون دليلا علي حذف
السعي في المعاش ثانيا والابتغاء ثانيا دليلا علي حذف عدم السعي في المعاش
اولا ولتبتغوا من فضله اي وليكون حالكم حال من يرجي منه الشكر بما يجدد
لكم من تقلبهما من النعم المتوالية التي لا يحصرها الا خالقهما واما الاخرة
فلما كانت غير مبنية علي الاسباب وكانت الجنة لا تعب فيها بوجه كان لا حاجة
بها الي الليل وقوله تعالي ويوم يناديهم فيقول اين شركاي الذين كنتم
تزعمون تقريع بعد تقريع للاشعار بانه لا شي اجلب لغضب الله تعالي
من الاشراك به كما انه لا شي ادخل في مرضاته من توحيده اللهم فكما ادخلتنا
في اهل توحيدك فادخلنا في الناجين من وعيدك ومتعنا بالنظر الي

افلا تبصرون

وجعل النهار مبصرة
لتبتغوا من فضله
ولعلكم تشكرون

وجهك الكريم يا ارحم الراحمين ويحتمل ان يكون الاول لتقرير فساد رايهم
والثاني لبيان انه لم يكن عن سند وانما كان لمحض تشهي وهوي او انه ذكر ثانيا
كما قال الجلال المحلي ليبني عليه **ونزعنا** اي افردنا واخرجنا بقوة وسطوة
من كل امة شهيدا اي وهو رسولهم يشهد عليهم بما قالوه **فقلنا** اي
فتسبب عن ذلك ان قلنا للامم **هاتوا برهانكم** اي دليلكم القطعي الذي
فزعتم في الدنيا اليه وعولتم في شرككم عليه كما هو شان ذوي العقول
انهم لايبنون شيا على غير اساس **فعلموا** اي بسبب هذا السوال بما اضطروا
ولم يجدوا له سندا **ان الحق** في الالهية **لله** اي الملك الذي له الامر كله
لايشاركه فيه احد **وضل** اي غاب عنهم غيبة الضائع **ماكانوا يفترون**
اي يتقولونه قول الكاذب المتعمد للكذب لكونه لادليل عليه ولا شبهة للغلط
فيه **ان قارون** ويسمى في التوراة قورح **كان من قوم موسى** قال اكثر المفسرين
كان ابن عمه لان قارون بن يصهر بن قاهث وقال ابن اسحاق كان قارون
عم موسى كان اخا عمران وهما ابنا يصهر ولم يكن في بني اسرايل اقرا للتوراة من
قارون ولكنه نافق كما نافق السامري وكان يسمى النور لحسن صورته وعن
ابن عباس كان ابن خالته **فبغى عليهم** اي تجاوز الحد في احتقارهم
بما خولناه فيه قيل كان عاملا لفرعون على بني اسرايل وكان يبغي عليهم
ويظلمهم وقال قتادة بغى عليهم بكثرة المال ولم يرع حق الايمان بل
استخف بالفقرا وقال الضحاك بغى عليهم بالشرك وقال شهر بن
حوشب زاد في طول ثيابه شبرا روي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لاينظر الله يوم القيمة الى من جر ثوبه خيلاء وقال
القفال طلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت يده وقال ابن عباس تكبر
عليهم وتجبر وقال الكلبي حسد هارون على الحبورة روي اهل الاخبار
ان قارون كان اعلم بني اسرايل بعد موسى وهرون واجملهم واغناهم
وكان حسن الصوت فبغى وطغى وكان اول طغيانه وعصيانه ان الله
اوحى الى موسى ان يامر قومه ان يعلقوا في ارديتهم خيوطا اربعة في كل
طرف خيطا اخضر بلون السما يذكرون اذا نظروا اليها السما ويعلموا
اني منزل منها كلامي فقال موسى يارب افلا تامرهم ان يجعلوا ارديتهم
كلها خضرا فان بني اسرايل تحقر هذه الخيوط فقال الله تعالى ياموسى
ان الصغير من امري ليس بصغير فاذا لم يطيعوني في الامر الصغير لم
يطيعوني في الامر الكبير فدعاهم موسى وقال ان الله تعالى يامركم ان
تعلقوا في ارديتكم خيوطا خضرا كلون السما لكي تذكروا ربكم اذا رايتموها
ففعل بنو اسرايل ما امرهم به موسى واستكبر قارون فلم يفعله
وقال انما يفعل هذا الارباب بعبيدهم لكي يتميزوا عن غيرهم فكان

هذا بدء عصيانه وبغيه ولما قطع الله تعالى لبني اسرايل البحر واغرق فرعون
جعل الحبورة لهارون فحصلت له النبوة والحبورة وكان له القربان والذبح
وكان لموسى الرسالة فوجد قارون لذلك في نفسه وقال يا موسى لك
الرسالة ولهارون الحبورة ولست في شي لا اصبر انا على هذا فقال موسى
والله ما صنعت ذلك لهرون بل الله تعالى جعلها له فقال قارون والله
لا اصدقك حتى تريني بيانه فجمع موسى روسا بني اسرايل وامرهم ان
يجي كل واحد بعصا فجاوا بها وحزمها والقاها موسى عليه السلام
في قبة له كان يعبد الله تعالى فيها وكان ذلك بامر الله تعالى ودعا موسى
ربه ان يريهم بيان ذلك فباتوا يحرسون عصيهم فاصبحت عصى هرون
وقد اهتز لها ورق اخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى لقارون
الا ترى ما صنع لهارون فقال والله ما هذا باعجب مما تصنع من السحر
فاعتزل قارون ومعه ناس كثير وولي هرون الحبورة وهي رياسة
الذبح والقربان وكانت بنوا اسرايل ياتون بهداياهم الى هرون فيضعها
في المذبح وتنزل نار من السما فتاكلها واعتزل قارون باتباعه وكان
كثير المال والتبع من بني اسرايل فكان لا ياتي موسى ولا يجالسه وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان قارون كان من السبعين
المختارة الذين سمعوا كلام الله تعالى ولما ذكر الله تعالى بغيه
ذكر سببه الحقيقي بقوله تعالى **وآتيناه من الكنوز** اي الاموال
المدفونة المدخورة فضلا عن الظاهرة التي هي بصدد الانفاق
منها لما عساه يعرض من المهمات **ما** اي الذي اوتي شيا كثيرا لايد خل
تحت حصر حتى **ان مفاتحه** اي مفاتح الاغلاق التي هو مدفون
فيما وراء ابوابها **لتنوء** اي تميل بجهد ومشقة لثقلها **بالعصبة**
اي الجماعة الكثيرة التي تعصب اي يقوي بعضهم بعضا **اولي** اي
اصحاب **القوة** اي تميلهم من اثقالها اياهم تنبيه في المبالغة في التعبير
بالكنوز والمفاتح والنوء والعصبة الموصوفة ما يدل على انه اوتي من ذلك
ما لم يوته احد ممن هو في عداده وكل ذلك مما تستبعده العقول فلذلك
وقع التاكيد واختلفوا في عدد العصبة فقال مجاهد ما بين العشرة
الى خمسة عشر وقال الضحاك عن ابن عباس ما بين الثلاثة
الى العشرة وقال قتادة ما بين العشرة الى الاربعين وقيل اربعون
رجلا وقيل سبعون وروي عن ابن عباس قال كان يحمل مفاتحه اربعون
رجلا اقوى ما يكون من الرجال وقال جرير عن منصور عن خيثمة قال
وجدت في الانجيل ان مفاتح خزاين قارون وقر ستين بغلا ما يزيد
منها مفتاح على اصبع لكل مفتاح كنز ويقال كان قارون اينما ذهب

يحمل معه مفاتيح كنوزه وكانت من حديد فلما ثقلت عليه جعلت من خشب
فثقلت فجعلها من جلود البقر على طول الاصابع وكانت تحمل معه اذا ركب
على اربعين بغلا وفي الباء في بالعصبة وجهان احدهما انها للتعدية كالهمزة
ولا قلب في الكلام والمعنى لتنيء المفاتح العصبة القوية كما تقول اجيته
وجيت به واذهبته واذهبت به والثاني قال ابو عبيدة ان في الكلام
قلبا والاصل لتنوء العصبة بالمفاتح اي لتنهض بها كقولهم عرضت الناقة
على الحوض ولما ذكر تعالى بغيه ذكر وقته بقوله تعالى اذ قال له قومه
اي من بني اسرايل لا تفرح اي بكثرة المال فرح بطر فان الفرح بالعرض
الزايل يدل على الركون اليه وذلك يدل على نسيان الاخرة وعلى غاية
الجهل وقلة التامل بالعواقب قال ابن عباس كان فرحه بذلك شركا
لانه ما كان يخاف معه عقوبة الله عز وجل ان الله اي الذي له صفات
الكمال لا يحب اي لا يعامل معاملة المحب الفرحين اي البطرين الاشرين
الراسخين في الفرح بما يفني الذين لا يشكرون الله تعالى على ما اعطاهم
فان فرحهم يدل على سقوطهم كما قال تعالى ولا تفرحوا بما اتاكم قال القايل

ولست بمفراح اذا الدهر سرني ۝ وقال اخر
اشد الغم عندي في سرور ۝ تيقن عنه صاحبه انتقالا ۝

فلا يفرح بالدنيا الا من رضي بها واطمان اليها فاما من قلبه الى الاخرة ويعلم انه
مفارق ما فيه عن قريب لم تحدثه نفسه بالفرح وابتغ اي اطلب طلبا تجتهد
نفسك فيه فيما اتاك الله اي الملك الذي لا ربيبة كله من الغنا والثروة
الدار الاخرة بان تقدم شكر الله فيما انعم الله عليك وتنفقه في رضا الله
تعالى ويجازيك بالجنة ولا تنس اي ولا تترك نصيبك من الدنيا قال
مجاهد لا تترك ان تعمل في الدنيا للاخرة حتى تنجو من العذاب لان حقيقة
نصيب الانسان من الدنيا ان يعمل للاخرة قال السدي بالصدقة
وصلة الرحم وقال علي رضي الله تعالى لا تنس صحتك وقوتك
وشبابك وغناك ان تطلب بها الاخرة روي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال فلياخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لاخرته
ومن الشبيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الموت فو الذي نفس محمد بيده
ما بعد الموت من مستعتب وما بعد الدنيا الا الجنة والنار وعن ميمون
الازدي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل وهو يعظه اغتنم
خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل
فقرك وفراغك قبل شغلك وقال الحسن امر ان يقدم الفضل ويمسك
ما يغنيه وقال منصور بن زادان قال قوتك وقوت اهلك واحسن
اي واوقع الاحسان بدفع المال الى المحاويج والانفاق على جميع الطاعات

ابحن

ومعنى الابتغا طلب ما فقد من الطير فقال ما لي لا ارى الهدهد اي اهو حاضر ام كان من
الغايبين ام منقطعة كانه لما لم يره ظن انه حاضر ولم يره لساتر او غيره فقال
ما لي لا اراه ثم احتاط فلاح له انه غايب فاضرب عن ذلك واخذ يقول اهو غايب
كانه يسال عن صحة ما لاح له وهذا يدل على انه تفقد جماعة من الجند وتحقق غيبتهم
وشك في غيبته وكان سبب غيبة الهدهد على ما ذكره العلماء ان سليمان لما فرغ غ
من بناية بيت المقدس عزم على الخروج الى ارض الحرم فتجهز للمسير فاستصحب
من الانس والجن والشياطين والطيور والوحوش ما بلغ معسكره مائة فرسخ
فحملتهم الريح فلما وافى الحرم اقام به ما شاء الله ان يقيم وكان ينحر في كل يوم
مدة مقامه بمكة خمسة الاف ناقة وخمسة الاف بقرة وعشرين الف شاة
وقال لمن حضره من اشراف قومه ان هذا مكان يخرج منه نبي عربي صفته
كذا وكذا يعطى النصر على جميع من ناواه وتبلغ هيبته مسيرة شهر القريب
والبعيد عنده في الحق سواء لا تاخذه في الله لومة لايم قالوا فباي دين يدين
يا نبي الله قال بدين الحنيفية فطوبى لمن ادركه وامن به قالوا كم بيننا وبين
خروجه يا نبي الله قال مقدار الف عام فليبلغ منكم الشاهد منكم الغايب
فانه سيد الانبيا وخاتم الرسل فاقام بمكة حتى قضى نسكه ثم خرج منها صباحا
وسار نحو اليمن فوافا صنعا وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فراى ارضا
حسنا تزهر خضرتها فاحب النزول ليصلي ويتغدى فلما نزل قال الهدهد
ان سليمان قد اشتغل بالنزول فانظر الى طول الدنيا وعرضها ففعل فنظر يمينا
وشمالا فراى بستانا لبلقيس فمال الى الخضرة فوقع فيه فاذا هو بهدهد
فهبط عليه وكان اسم هدهد سليمان يعفور واسم هدهد اليمن عنفير
فقال عنفير اليمن ليعفور سليمان من اين اقبلت والى اين تريد قال اقبلت
من الشام مع صاحبي سليمان ابن داوود فقال ومن سليمان قال ملك الانس
والجن والشياطين والطير والوحوش والرياح فمن اين انت قال انا من هذه
البلاد قال ومن ملكها قال امراة يقال لها بلقيس وان لصاحبكم ملكا عظيما
ولكن ليس ملك بلقيس دونه فانها ملكت اليمن كلها وتحت يدها اثني عشر
الف قايد تحت كل قايد ماية الف مقاتل فهل انت منطلق معي حتى تنظر الى ملكها
قال اخاف ان يتفقدني سليمان في وقت الصلاة اذا احتاج الى الما قال الهدهد
اليماني ان صاحبك يسره ان تاتيه بخبر هذه الملكة فانطلق معه ونظر
الى بلقيس وملكها وغاب الى وقت العصر وكان نزل سليمان على غير ما قال ابن عباس
وكان الهدهد دليل سليمان على الما وكان يعرف الما ويرى الما تحت الارض
كما يرى في الزجاجة ويعرف قربه وبعده فينقر الارض ثم تجي الشياطين
فيسلخونها كما يسلخ الاهاب ويستخرجون الما قال سعيد بن جبير لما ذكر
ابن عباس هذا قال له نافع ابن الازرق انظر ما تقول ان الصبي منا يضع الفخ

وتحثوا عليه التراب فيجي الهدهد ولا يبصر الفخ حتى يقع في عنقه فقال له ابن عباس ويحك ان القدر اذا جا حال بين البصر وفي رواية اذا نزل القضا والقدر ذهب اللب وعمي البصر قال القايل

مني المقادير فدعني والقدر • ان كنت اخطات فما اخطا القدر
اذا اراد الله امرا بامرئ • وكان ذا عقل وسمع وبصر
يغره الجهل فيعمي قلبه • وعقله وسمعه ثم البصر
حتى اذا انفذ فيه حكمه • رد عليه عقله ليعتبر
لا تقل فيما جرى كيف جرى • كل شي بقضا وقدر

فلما دخل على سليمن وقت الصلاة سال الانس والجن والشياطين عن الما فلم يعلموه فتفقد الهدهد فلم يجده فدعا عريف الطير وهو النسر فقال اصلح الله الملك ما ادري اين هو وما ارسلته مكانا فغضب سليمان عند ذلك وقال **لاعذبنه** اي بسبب غيبته فيما لم اذن فيه **عذابا شديدا** اي مع بقاء روحه ودعا لامثاله **او لاذبحنه** اي بقطع حلقومه تاديبا لغيره **او لياتيني بسلطان مبين** اي حجة واضحة واختلفوا في تعذيبه الذي اوعد به على اقوال قال البغوي اظهرها ان عذابه ان ينتف ريشه وذنبه ويلقيه في الشمس ممعطا لا يمتنع من النمل ولا من هوام الارض شي وقيل تعذيبه ان يوذيه بما يحتمله ليعتبر به ابنا جنسه وقيل كان عذاب سليمان للطيران ينتف ريشه ويشمسه وقيل ان يطلي بالقطران ويشمس وقيل ان يلقي للنمل تاكله وقيل ايداعه القفص وقيل التفريق بينه وبين الفه وقيل لالزمنه صحبة الاضداد قال الزمخشري وعن بعضهم اضيق السجون معاشرة الاضداد وقيل لالزمنه خدمة اضداده ثم دعا العقاب سيد الطير فقال علي بالهدهد الساعة فرفع العقاب نفسه دون السما حتى استطو التزق بالهوا فنظر الى الدنيا كالقصعة بين يدي احدكم فالتفت يمينا وشمالا فاذا بالهدهد مقبلا من نحو اليمن فانقض العقاب نحوه يريده فلما راى الهدهد ذلك علم ان العقاب يقصده بسوء فناشده فقال بحق الذي قواك واقدرك علي الا رحمتني ولم تتعرض لي بسوء فولى عنه العقاب وقال له ويلك ثكلتك امك ان نبي الله قد حلف ان يعذبك او يذبحك قال فما استثنى قال بلى او لياتيني بعذر مبين ثم طارا متوجهين الى سليمان فلما انتهى الى العسكر تلقاه النسر والطير فقالوا له ويلك اين غبت في يومك هذا فقد توعدك نبي الله واخبروه بما قال فقال الهدهد وما استثنى نبي الله عليه السلام قالوا بلى قال او لياتيني بسلطان مبين قال فنجوت اذا ثم طار العقاب والهدهد حتى اتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال العقاب قد اتيتك به يا نبي الله

فمكث

فمكث اي الهدهد وقوله **غير بعيد** صفة للمصدر اي مكثا غير بعيد فلما قرب الهدهد رفع راسه وارخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الارض تواضعا لسليمان فلما دنى منه اخذ براسه فمده اليه وقال له اين كنت لاعذبنك عذابا شديدا فقال له الهدهد يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى فلما سمع سليمان ذلك ارتعد وعفا عنه ثم ساله فقال ما الذي ابطاك عني **فقال احطت** اي علما **بما لم تحط به** اي انت مع اتساع علمك وامتداد ملكك الهمه الله تعالى الهدهد فكافح سليمان بهذا الكلام على ما اوتي من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلا له في علمه وتنبيها على ان في ادنى خلقه واضعفه من احاط علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه نفسه ويتصاغر اليه علمه ويكون لطفا في ترك الاعجاب الذي هو فتنة العلما والاحاطة بالشي علما ان يعلم من جميع جهاته لا يخفى منه معلوم قالوا وفيه دليل على بطلان قول الرافضة ان الامام لا يخفى عليه شي ولا يكون في زمانه احد اعلم منه وقيل الضمير في فمكث لسليمان وقيل غير بعيد صفة للزمان اي زمانا غير بعيد وقرا عاصم بفتح الكاف والباقون بضمها وهما لغتان الا ان الفتح اشهر **وجئتك** اي الان **من سبا** اي **بنبا** اي خبر عظيم **يقين** اي محقق وقرا ابو عمرو والبزي سبا بفتح الهمزة من غير تنوين جعلاه اسما للقبيلة او البقعة فمنعاه من الصرف للعلمية والتانيث والباقون بالجر والتنوين جعلوه اسما للحي او المكان قال البغوي وجا في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم سيل عن سبا فقال كان رجلا له عشرة من البنين تيامن منهم ستة وتشام اربعة فقال سليمان وما ذاك فقال **اني وجدت امراة تملكهم** وهي بلقيس بنت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان وكان ابوها ملكا عظيم الشان قد ولد له اربعون ملكا هو اخرهم وكان يملك ارض اليمن كلها وكان يقول لملوك الاطراف ليس احد منكم كفوا لي وابى ان يتزوج منهم فزوجوه امراة من الجن يقال لها ريحانة بنت السكن فولدت بلقيس ولم يكن له ولد غيرها قال البغوي وجا في الحديث ان احد ابوي بلقيس كان جنيا فلما مات ابو بلقيس طمعت في الملك فطلبت من قومها ان يبايعوها فاطاعها قوم وعصاها اخرون وملكوا عليهم رجلا وافترقوا فرقتين كل فرقة استولت على طرف من ارض اليمن ثم ان الرجل الذي ملكوه اسا السيرة في اهل مملكته حتى كان يمد يده الى حرم رعيته ويفجر بهن فاراد قومه خلعه فلم يقدروا عليه فلما رات بلقيس ذلك ادركتها الغيرة فارسلت اليه تعرض نفسها عليه فاجابها الملك وقال ما منعني ان ابتديك بالخطبة الا الياس منك فقالت لا ارغب عنك انت كفو كريم فاجمع رجال قومي فاخطبني اليهم فجمعهم

وخطبها الهدهد فقالوا لا الا اهل بيتها نفعل ذلك فقال لهم انها قد ابدت في واناجب
ان تسمعوا قولها فجاؤها فقالوا لها فقالت نعم احببت الولد فزوجوها منه
فلما زفت اليه خرجت في اناس كثير من حشمها فلما جاءته اسقته الخمر حتي سكر
ثم حزت راسه وانصرفت الي منزلها فلما اصبح الناس رووا الملك قتيلا وراسه
منصوب علي باب دارها فعلموا ان تلك المناكحة كانت حيلة مكرا وخديعة
منها فاجتمعوا اليها وقالوا انت بهذا الملك احق من غيرك فملكوها وعن
الحسن عن ابي بكرة قال لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل
فارس قد ملكوا عليهم امرأة قال لن يفلح قوم ولوا امرهم امرأة وقوله
واوتيت يجوز ان يكون معطوفا علي تملكهم وجاز عطف الماضي علي
المضارع لان المضارع بمعناه اي ملكتهم ويجوز ان يكون في محل نصب
علي الحال من مرفوع تملكهم وقد معها مضمرة عند من يري ذلك وقوله
من كل شيء عام مخصوص بالعقل لانها لم تؤت ما اوتيه سليمان فالمراد
من كل شي يحتاج اليه الملوك من الالة والعدد ولها عرش اي سرير
عظيم اي ضخم لم اجد لاحد مثله طوله ثمانون ذراعا مضروب
من الذهب والفضة مكلل بالدر والياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر
والزمرد علي سبعة ابواب علي كل باب بيت مغلق فان قيل كيف استعظم
الهدهد عرشها مع ما كان يري من ملك سليمان وايضا كيف سوي
بين عرش بلقيس وعرش الرحمن في الوصف بالعظيم اجيب عن الاول
بانه يجوز ان يستصغرحالها الى حال سليمان واستعظم لها ذلك
العرش ويجوز ان لا يكون لسليمان مثله وان عظمت مملكته في كل شي
كما يكون لبعض امراء الاطراف شي لا يكون للعظيم بالنسبة الى عروش امثالها
جنسها من الملوك ووصف عرش الرحمن بالعظم تعظيم بالنسبة الى ساير
ما المخلوق من السموات والارض فان قيل كيف خفي علي سليمان تلك المملكة
العظيمة مع ان الانس والجن كانوا في طاعته فانه عليه السلام كان ملك
الدنيا كلها مع انه لم يكن بين سليمان وبين بلد بلقيس حال طيران الهدهد
الا مسيرة ثلاثة ايام اجيب بان الله تعالى اخفي عنه ذلك لمصلحة
راها كما اخفي مكان يوسف علي يعقوب ولما كان الهدهد في خدمته اقرب
اهل ذلك الزمان الى الله تعالى فحصل له من النورانية ما اهاله قال
مستانفا وجدتها وقومها اي كلهم علي ضلال كبير وذلك انهم يسجدون
للشمس مبتدئين ذلك من دون الله اي متجاوزين في رتبة الملك الاعظم
الذي لا مثل له وزين لهم الشيطان اعمالهم اي هذه القبيحة التي صاروا يظنونها
حسنة ثم تسبب عن ذلك انه اعماهم عن طريق الحق فلهذا قال فصدهم
عن السبيل اي الذي هو سبيل الى الله تعالى عزه وهو الذي بعث به انبياءه

ورسله

ورسله عليهم الصلاة والسلام ثم تسبب عن ذلك ضلالهم فلهذا قال فهم اي
بحيث لا يهتدون اي لا يوجد لهم هدي بل هم في ضلال وعمي محض الا يسجدوا
لله اي ان يسجدوا له فزيدت لا وادغمت فيها نون ان كما في قوله تعالى لئلا يعلم
اهل الكتاب والجملة في موضع مفعول يهتدون باسقاط الي هذا اذا قرانا
بالتشديد وهي قراءة غير الكسائي واما الكسائي فقرا بتخفيف الا فالا
فيها استفتاح وما بعدها حرف نداء ومناداه محذوف كما حذفه من قال
الا يا اسلمي يا دارمي علي البلا   ولا زال منهلا بجرعائك القطر
ويقف الكسائي علي الا وعلي يا وعلي اسجدوا واذا ابتدا اسجدوا ابتدا بالضم
ثم وصف الله تعالى بما يوجب اختصاصه باستحقاق السجود من التفرد بكمال
القدرة والعلم حثا علي السجود له وردا علي من يسجد لغيره سبحانه وتعالى
بقوله الذي يخرج الخبء وهو مصدر بمعنى المخبوء من المطر والنبات
وغيرهما وخصه بقوله في السموات والارض لان ذلك منتهى مشاهدتنا
فننظر ما يكون فيهما بعد ان لم يكن من سحاب ومطر ونبات وتوابع ذلك
من الرعد والبرق وما يشرق من الكواكب ويغرب الي غير ذلك من الرياح
والحر والبرد ومما لا يحصيه الا الله تعالى ويعلم ما يخفون في قلوبهم فون
وما يعلنون بالسنتهم وقرا الكسائي وحفص بالياء الفوقية فيهما والباقون
بالياء التحتية فالخطاب ظاهر علي قراءة الكسائي لان ما قبله امرهم بالسجود
وخاطبهم به والغيبة علي قراءة الباقين غير حفص ظاهرة ايضا لتقدم
الضماير الغائبة في قوله لهم واعمالهم وصدهم وفهم واما قراءة حفص
فتاويلها انه خرج الي خطاب الحاضرين بعد ان تم قصة اهل سبا ويجوز ان
يكون التفاتا على انه نزل الغائب منزلة الحاضر فخاطبه ملتفتا اليه وقوله
الله لا اله الا هو رب العرش العظيم اي الذي هو اول الاجرام واعظمها
والمحيط بجملتها يحتمل ان يكون من كلام الهدهد استدراكا لما وصف
عرش بلقيس بالعظم وان يكون من كلام الله تعالى ردا عليه في وصفه عرشها
بالعظم فبين العظمين بون عظيم فان قيل من اين للهدهد التهدي
الي معرفة الله ووجوب السجود له وانكار السجود لهم للشمس واضافته الى
الشيطان وتزيينه اجيب بانه لا يبعد ان يلهمه الله تعالى ذلك كما الهمه
وغيره من الطيور وساير الحيوان المعارف اللطيفة التي لا يكاد العقلاء الرجاح
يهتدون اليها خصوصا في زمن نبي سخرت له الطيور وعلم منطقها وجعل
ذلك معجزة له وهذه اية سجدة واختلف في محلها هل هو هذه الاية او عند
قوله قبلها وما يعلنون الجمهور علي الاول ولما فرغ الهدهد من كلامه قال
له سليمان سننظر اي نختبر ما قلته اصدقت فيه فنعذرك ام
كنت من الكاذبين اي معروفا بالانخراط في مسلكهم فانه لا يجترى على الكذب

عندي لانه كان عريقا في الكذب فهو ابلغ من ام كذبت وايضا لمحافظة الفواصل
ثم شرع فيما عثر به فكتب له كتابا على الفور في غاية الوجازة قصدا للاسراع
في ازالة المنكر على تقدير صدق الهدهد بحسب الاستطاعة دل على اسراعه
في كتابه بقوله جوابا له اذهب بكتابي هذا فكانه كان مهيا عنده فدفعه
اليه وامره بالاسراع فطار كالبرق ولهذا اشار بالفا في قوله فالقه اليهم
اي الذين ذكرت انهم يعبدون الشمس وذلك بلا اهمال بامر الدين وقرا ابو عمرو
وشعبة وخلاد بخلاف عنه فالقه بسكون الها واختلس الكسرة قالون
وهشام بخلاف والباقون باشباع الكسرة ثم قال له ان القيته اليهم
تول اي تنح عنهم الى مكان تسمع فيه كلامهم ولا يصلون معه
اليك فانظر ماذا يرجعون اي يردون من الجواب وقال ابن زيد في
الاية تقديم وتاخير مجازها اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم فانظر
ماذا يرجعون ثم تول عنهم اي انصرف الي فاخذ الهدهد الكتاب واتى به
الى بلقيس وكانت بارض يقال لها مارب من صنعا على ثلاثة ايام فقال
قتادة فوافاها في قصرها وقد غلقت الابواب وكانت اذا رقدت غلقت
الابواب واخذت المفاتيح فوضعتها تحت راسها فاتاها الهدهد وهي
نايمة مستلقية على قفاها فالقى الكتاب على نحرها وقيل نقرها فانتبهت
فزعة وقال مقاتل حمل الهدهد الكتاب بمنقاره حتى وقف على راس المراة وحولها
القادة والجنود فرفرف ساعة والناس ينظرون اليه حتى رفعت المراة
راسها فالقى الكتاب في حجرها وقال وهب بن منبه وابن زيد كانت لها
كوة مستقبلة الشمس تقع الشمس فيها حين تطلع فاذا نظرت اليها
سجدت لها فجاء الهدهد الكوة فسدها بجناحيه فارتفعت الشمس
ولم تعلم بها فلما استبطات الشمس قامت تنظر اليها فرمى بالصحيفة
اليها فاخذت بلقيس الكتاب وكانت قارية فلما رات الخاتم ارتعدت
وخضعت لان ملك سليمان كان في خاتمه وعرفت ان الذي ارسل الكتاب
كان اعظم ملكا منها فقرات الكتاب وتاخر الهدهد فجاءت حتى قعدت
على سرير ملكها وجمعت الملا من قومها وهم اثنا عشر الف قايد مع كل قايد
ماية الف مقاتل وعن ابن عباس قال كان مع بلقيس ماية الف قيل
مع كل قيل ماية الف والقيل الملك دون الملك الاعظم وقال قتادة ومقاتل
كان اهل مشورتها ثلثماية وثلاثة عشر رجلا كل رجل منهم على عشرة
الاف فلما جاوا واخذوا مجالسهم قالت لهم بلقيس يا ايها الملا وهم
اشراف الناس وكبراوهم اني القي الي اي بالقاء ملق على وجه غريب
كتاب اي صحيفة مكتوب فيها كلام وجيز جامع قال الزمخشري
وكانت كتب الانبيا جملا لا يطيلون ولا يكثرون ولما حوى هذا الكتاب

من الشرف امرا باهرا لم يعهد مثله وصفته بقولها كريم وقال عطا والضحاك
سمته كريما لانه كان مختوما وروي انه صلى الله عليه وسلم قال كرامة الكتاب
وكان عليه الصلاة والسلام يكتب الى العجم فقيل له انهم لا يقبلون كتابا
الا عليه خاتم فاصطنع له خاتما وعن ابن المقفع من كتب الى اخيه كتابا
ولم يختمه فقد استخف به وقال مقاتل كريم اي حسن وقال
ابن عباس كريم اي شريف لشرف صاحبه وقيل سمته كريما لانه كان مصدرا
ببسم الله الرحمن الرحيم ثم بينت ممن الكتاب فقالت انه من سليمان
ثم بينت المكتوب فيه فقالت وانه بسم الله الرحمن الرحيم ان لا تعلوا علي قال ابن عباس
لا تتكبروا علي وقيل لا تتعظموا ولا تترفعوا علي بمعنى لا تمتنعوا من الاجابة
فان ترك الاجابة من العلو والتكبر واتوني مسلمين اي منقادين خاضعين
فهو من الاستسلام او مومنين فهو من الاسلام فان قيل لم قدم سليمان اسمه
على البسملة اجيب بانه لم يقع منه ذلك وحاشاه عنه بل ابتدا الكتاب
بالبسملة وانما كتب اسمه عنوانا بعد ختمه لان بلقيس انما عرفت كونه
من سليمان بقراءة عنوانه كما هو المعهود ولذلك قالت انه بسم الله الرحمن الرحيم
اي فالتقديم واقع في حكاية الحال واعلم ان قوله بسم الله الرحمن الرحيم
مشتمل على اثبات الصانع واثبات كونه عالما قادرا حيا مريدا حكيما
رحيما قال الطيبي وقال القاضي هذا كلام في غاية الوجازة مع كمال
الدلالة على المقصود لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الاله وصفاته
صريحا او التزاما والنهي عن الترفع الذي هو ام الرذايل والامر بالاسلام
الذي هو جامع لامهات الفضايل ولما سكتوا عن الجواب قالت لهم
يا ايها الملا ثم بينت ما داخلها من الرعب من صاحب هذا الكتاب بقولها
افتوني اي اشيروا علي بالابانة عما افعل في امري هذا الذي اجيب
به هذا الكتاب جعلت المشورة فتوى توسعا لان الفتوى الجواب في
الحادثة وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو في الوصل بابدال الهمزة واوا والباقون
بتحقيقهما وفي الابتدا الجميع بالتحقيق ثم عللت امرها لهم بقولها ما
كنت قاطعة امرا اي فاعلته وفاصلته غير مترددة فيه حتى تشهدون
فافادت بذلك بان شانها دايما مشاورتهم في كل جليل وحقير
فكيف بهذا الامر الخطير وفي ذلك استعطافهم بتعظيمهم واجلالهم وتكريمهم
ودلالة على غزارة عقلها وحسن ادبها ثم انهم اجابوها عند ذلك بان
قالوا مايلين الى الحرب نحن اولوا قوة اي بالمال والرجال واولوا
اي اصحاب عزم في الحرب باس شديد والامر في كل من المصادمة والمسالمة
راجع وموكول اليك فانظري اي بسبب انه لا نزاع معك ماذا تامرين
من ذلك نطعك ونتبع امرك ولما علمت ان من سخر له الطير على هذا الوجه

لا يعجزه شي بريديه قالت جوابا لما احست في جوابهم من ميلهم الى الحرب والحرب
سجال لا يدري عاقبتها ان الملوك اي مطلقا فكيف بهذا النافذ الامر العظيم
القدر اذا دخلوا عنوة بالقهر قرية افسدوها اي بالنهب والتخريب وجعلوا
اعزة اهلها اذلة اي اهانوا اشرافها وكبراءها كي يستقيم لهم الامر ثم اكدت
هذا المعنى بقولها وكذلك اي ومثل هذا الفعل العظيم الشان يفعلون
اي خلق لهم مستمر جبلتهم فكيف بمن تطيعه الوحوش والطيور وغيرهما فتنبيه
هذه الجملة من كلامها وهو كما قال ابن العادل الظاهر ولهذا اجليت عليه
فتكون منصوبة بالقول ويحتمل ان تكون من كلام الله تعالى تصديقا لها
فهي استينافية لا محل لها من الاعراب وهي معترضة بين قولها ولما بينتما
في المصادمة من الخطر انبعثت بما عزمت عليه من المسالمة بقولها واني مرسلة
اليهم اي الى سليمان وقومه بهدية وهي العطية على طريق الملاطفة
وذلك ان بلقيس كانت امراة لبيبة قد سيست وساست فقالت للملا
من قومها اني مرسلة الى سليمان وقومه بهدية اصانعه عن ملكي فاختبره
بها املك هو ام نبي فان يكن ملكا قبل الهدية وانصرف وان يكن نبيا لم يقبل
الهدية ولم يرضه منا الا ان نتبعه على دينه فذلك قولها فناظرة بم اي باي
شي يرجع المرسلون فاهدت اليه وصفا ووصايف قال ابن عباس
البستهم لباسا واحدا لا يعرف ذكر من انثى مجاهد البست الغلمان
لباس الجواري والجواري لباس الغلمان واختلف هم فقال ابن عباس
ماية وصيف وماية وصيفة وقال مقاتل ومجاهد ماية غلام وماية جارية
وقال قتادة ارسلت اليه بلبنة من ذهب في حرير وديباج وقال ثابت
البناني اهدت اليه صفايح الذهب في اوعية الديباج وقيل كانت اربع
لبنات من ذهب وقال وهب وغيره عمدت بلقيس الى خمسماية غلام
وخمسماية جارية فالبست الجواري لباس الغلمان الاقبية والمناطق والبست
الغلمان لباس الجواري وجعلت في سواعدهم اساور من ذهب وفي اعناقهم
اطواق من ذهب وفي اذانهم اقراطا وشنوفا مرصعات بانواع الجواهر
وغواشيها من الديباج الملونة وبعثت اليه خمسماية لبنة من ذهب
وخمسماية من فضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع وارسلت المسك
والعنبر وعمدت الى حقة فجعلت فيها درة ثمينة غير مثقوبة وجزعة
جزعية مثقوبة معوجة الثقب ودعت رجلا من اشراف قومها يقال
له المنذر بن عمرو وضمت اليه رجالا من قومها اصحاب راي وعقل
وكتبت معهم كتابا بنسخة الهدية وقالت ان كنت نبيا فميز بين
بين الوصفاء والوصايف واخبر بما في الحقة قبل ان تفتحها واثقب الدرة
ثقبا مستويا وادخل خيطا في الخرزة المثقوبة من غير علاج انس ولا جن

لبيبة

وامرت

وامرت بلقيس الغلمان اذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام تانيث وتخنث يشبه كلام
النساء وامرت الجواري ان يكلمنه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال ثم قالت
للرجل انظر الى الرجل اذا دخلت عليه فان نظر اليك نظر غضب فاعلم انه ملك
فلا يهولنك منظره فانا اعز منه وان رايت الرجل بشاشا لطيفا فاعلم انه نبي
مرسل فتفهم قوله ورد الجواب فانطلق الرسول بالهدايا واقبل الهدهد مسرعا
الى سليمان فاخبره الخبر كله وامر سليمان الجن ان يضربوا لبنات الذهب ولبنات
الفضة ففعلوا ثم امرهم ان يبسطوا من موضعه الذي هو فيه الى تسعة فراسخ
ميدانا واحدا بلبنات الذهب والفضة وان يجعلوا حول الميدان حايطا شرفها
من الذهب والفضة ففعلوا ثم قال اي الدواب احسن مما رايتم في البر والبحر
قالوا يا نبي الله انا راينا دوابا في بحر كذا وكذا منقطعة مختلفة الوانها
لها اجنحة واعراف ونواصي قال علي بها الساعة فاتوا بها قال شدوها
عن يمين الميدان وعن يساره على لبنات الذهب والفضة والقوا لها علوفتها
فيها ثم قال للجن علي باولادكم فاجتمع خلق كثير فاقامهم عن يمين الميدان ويساره
ثم قعد سليمان في مجلسه على سريره ووضع له اربعة الاف كرسي على يمينه ومثله
على يساره وامر الشياطين ان يصطفوا صفوفا فراسخ وامر الانس فاصطفوا
فراسخ وامر الوحوش والسباع والهوام والطير فاصطفوا فراسخ عن يمينه
وعن يساره فلما دنا القوم من الميدان ونظروا الى ملك سليمان وراوا الدواب
التي لم تر اعينهم مثلها تروث على لبن الذهب والفضة امرهم ان يتركوا على
طريقهم موضعا على موضع اللبنات التي معهم فلما راوا الرسل موضع اللبنات
خاليا وكل الارض مفروشة خافوا ان يتهموا بذلك فطرحوا ما معهم
في ذلك المكان فلما نظروا الشياطين نظروا الى منظر عجيب ففزعوا
فقال لهم الشياطين جوزوا فلا باس عليكم فكانوا يمرون على كردوس
كردوس من الجن والانس والطير والسباع والوحوش حتى وقفوا بين
يدي سليمان فنظر اليهم سليمان نظرا حسنا بوجه طلق وقال ما وراءكم
فاخبره رئيس القوم بما جاؤا له واعطاه كتاب الملكة فنظر فيه
وقال اين الحقة فاتي بها فحركها وجاءه جبريل عليه السلام واخبره بما في
الحقة فقال ان فيها درة ثمينة غير مثقوبة وجزعة مثقوبة معوجة الثقب
فقال الرسول صدقت فاثقب الدرة وادخل الخيط في الخرزة فقال سليمان
من لي بثقبها فسال سليمان الانس ثم الجن فلم يكن عندهم علم ذلك ثم سال
الشياطين فقالوا ارسل الى الارضة فجاءت الارضة فاخذت شعرة في فيها
فدخلت فيها حتى خرجت من الجانب الاخر فقال لها سليمان سلي حاجتك
قالت تصير رزقي في الشجر فقال لك ذلك وروي انها جاءت دودة تكون
في الصفصاف فقالت انا ادخل الخيط في الثقب على ان يكون رزقي في الصفصاف

فجعل لها ذلك فاخذت الخيط بفيها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الاخر
ثم قال من لهذه الخرزة يسلكها الخيط فقالت دودة بيضا انا لها يا رسول
الله فاخذت الدودة الخيط في فيها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب
الاخر فقال سليمان سلي حاجتك فقالت تجعل رزقي في الفواكه
قال لك ذلك ثم ميز بين الجواري والغلمان بان امرهم ان يغسلوا وجوههم
وايديهم فجعلت الجارية تاخذ الما من الانية باحدى يديها ثم تجعله
على اليد الاخرى ثم تضرب به الوجه والغلام ياخذ من الانية يضرب به
وجهه وكانت الجارية الما على باطن ساعدها والغلام على باطن الساعد
وكانت الجارية تصب الما صبا وكان الغلام يحدر الما على ساعده حدرا
فميز بينهن بذلك ثم رد سليمان الهدية كما قال تعالى **فلما جا** اي
الرسول الذي بعثته والمراد به الجنس قال ابو حيان وهو يقع على
الجمع والمفرد والمذكر والمونث **سليمان** مدفع اليه ذلك **قال** اي
سليمان عليه السلام للرسول ولمن في خدمته استصغارا لما معه
اتمدونن اي انت ومن معك ومن ارسلك **بمال** وانما قصدي لكم
لاجل الدين تحقيرا لامر الدنيا واعلاما بانه لا التفات له نحوها بوجه ولا رضيه
شي دون طاعة الله تعالى وقرا نافع وابو عمرو باثبات اليا وصلا لا وقفا وابن
كثير باثبات اليا وقفا ووصلا وحمزة بادغام النون الاولى في الثانية
واثبات اليا وقفا ووصلا والباقون بحذف اليا وقفا ووصلا ثم تسبب
عن ذلك قوله استصغارا لما معهم **فما اتاني الله** اي الملك الاعظم من
الحكمة والنبوة والملك وهو الذي يغني مطيعه عن كل ما سواه فهما
ساله اعطاه وقرا نافع وابو عمرو وحفص بفتح اليا في الوصل واثبتها وصلا
ايضا اثباتها وقفا والباقون بحذف اليا وقفا ووصلا واما لها حمزة
والكسائي محضة وورش بالفتح وبين اللفظين **خير** اي افضل **مما اتاكم**
اي من الملك الذي لا دين ولا نبوة فيه **بل انتم** اي بجهلكم بالدين **بهديتكم**
اي باهدا بعضكم الى بعض **تفرحون** واما انا فلا افرح بها وليست
الدنيا من حاجتي لان الله تعالى قد مكنني فيها واعطاني منها ما لم يعط
احدا ومع ذلك اكرمني بالدين والنبوة ثم قال للمنذر بن عمرو امير الوفد
ارجع بهديتهم وجمع في قوله اليهم اكراما لنفسه وصيانة
لاسمها عن التصريح بضميرها وتعميما لكل من يهتم بامرها ويطيعها
فلناتينهم بجنود لا قبل اي لا طاقة **لهم بها** اي بمقابلتها **ولنخرجنهم منها**
اي من ارضهم وبلادهم وهي سبا **اذلة وهم صاغرون** اي صاغرون
ذليلون لا يملكون شيا من المنعة فان قيل فلناتينهم ولنخرجنهم قسم
فلا بد ان يقع اجيب بانه معلق على شرط محذوف لفهم المعنى

اي ان لم

اي ان لم تاتوني مسلمين قال وهب وغيره من اهل الكتب لما رجعت
رسل بلقيس اليها من عند سليمان قالت قد عرفت والله ما هذا بملك
وما لنا به من طاقة فبعثت الى سليمان اني قادمة اليك بملوك قومي حتى
انظر ما امرك وما تدعو اليه من دينك ثم امرت بعرشها فجعلته داخل سبعة
ابواب داخل قصر وقصرها داخل سبعة قصور واغلقت الابواب
وجعلت عليها حراسا يحفظونه ثم قالت لمن خلفت على سلطانها احفظ ما
قبلك وسرير ملكي لا يخلص اليه احد حتى اتيك ثم امرت مناديا ينادي في
اهل مملكتها تؤذنهم بالرحيل وتجهزت بالمسير الى سليمن فارتحلت في اثني
عشر الف قيل من ملوك اليمن تحت يد كل قيل الوف كثيرة قال ابن عباس
وكان سليمان رجلا مهيبا لا يبتدي بشي حتى يكون هو الذي يسال عنه
فخرج يوما فجلس على سرير ملكه فراى رهجا قريبا منه فقال ما هذا
قالوا بلقيس وقد نزلت منا على مسيرة فرسخ فاقبل سليمن حينيذ على
جنوده بان **قال** لهم **يا ايها الملؤا** اي الاشراف **ايكم** ورتب في الهمزتين ما
تقدم **ياتيني بعرشها قبل ان ياتوني مسلمين** اي مومنين وقال ابن عباس
واختلفوا في السبب الذي لاجله امر سليمن باحضار عرشها فقال اكثرهم
لان سليمن علم انها اذا اسلمت يحرم عليه مالها فاراد ان ياخذ سريرها
قبل ان يحرم عليه اخذه باسلامها وقيل ليريها قدرة الله تعالى بعض ما
خصه به من العجايب الدالة على عظيم القدرة في دعوى النبوة في معجزة
ياتي بها في عرشها وقال قتادة لانه اعجبه صفته لما وصفه الهدهد
فاحب ان يراه وقال ابن زيد اراد ان يامر بتنكيره وتغييره فيختبر
بذلك عقلها **قال عفريت من الجن** هو المارد القوي قال وهب اسمه كودي
وقيل دكوان وقال ابن عباس العفريت الداهية وقال الضحاك
هو الخبيث وقال الربيع الغليظ وقال الفرا القوي الشديد قيل
ان الشياطين اقوى من الجن وان المردة اقوى من الشياطين وان العفريت
اقوى منهما قال بعض المفسرين العفريت من الرجال الخبيث المنكر
وقيل هو صخر الجني وكان بمنزلة جبل يضع قدمه عند منتهى طرفه وقوله
تعا وقوله **انا اتيك به** قوله في الموضعين نافع باثبات الالف من انا وصلا
ووقفا والباقون وقفا لا وصلا ثم بين سرعة اسراعه بقوله **قبل ان تقوم**
من مقامك اي مجلسك فيه للقضا قال ابن عباس كان له كل غداة مجلس
يقضي فيه الى نصف النهار ثم اوثق الامر واكده بقوله **واني عليه** اي على
الاتيان به سالما **لقوي** اي على حمله لا يخطى يجزي عنه **امين** اي على
ما فيه من الجواهر وغيرها قال سليمان اريد اسرع من ذلك **قال**
الذي عنده علم من الكتاب المنزل وهو علم الوحي والشرايع وقيل

وتصديقه

كان سليمن وقيل اللوح المحفوظ والذي عنده علم الكتاب جبريل قال
القاضي ولعله التوراة والزبور اهـ وفي ذلك اشارة الى ان من خدم كتابه
حق الخدمة كان الله تعالى معه كما ورد في شرعنا كنت سمعه الذي يسمع به وبصره
الذي يبصر به ويده الذي يبطش بها ورجله الذي يمشي بها اي انه يفعل
له ما يشا. واختلفوا في تعيينه فقال اكثر المفسرين هو اصف بن برخيا كاتب
سليمان وقيل اسمه اسطوم وكان صديقا عالما يعلم اسم الله الاعظم الذي
اذا دعي به اجاب وقيل ملك ايد الله به تعالى سليمان وعن ابي لهيعة بلغني
انه الخضر عليه السلام ثم بين فضله على العفريت بقوله **قبل**
انا اتيك به **ان يرتد** اي يرجع **اليك طرفك** اي بصرك اذا طرفت اجفانك فارسلته
الى منتهاه ثم رددته فالطرف تحريكك اجفانك اذا نظرت فوضع
موضع النظر ولما كان الناظر موصوفا في ارسال الطرف في نحو قوله •
• وكنت اذا ارسلت طرفك رايدا • لقلبك يوما اتعبتك المناظر •
وصف برد الطرف ووصف الطرف بالارتداد روي ان آصف قال
لسليمان مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد سليمان عينيه فنظر نحو اليمن
ودعا اصف فبعث الله الملائكة فحملوا السرير من تحت الارض يخدون خدا
حتى انخرقت الارض بالسرير بين يدي سليمان وقال الكلبي خر اصف
ساجدا ودعا باسم الله الاعظم فغار عرشها تحت الارض حتى نبع تحت كرسي
سليمان بقدرة الله تعالى وقيل كانت المسافة شهرين وقال سعيد بن
جبير يعني من قبل ان يرجع اليك اقصى من تري وهو ان يصل اليك من كان
منك على مد بصرك وقال قتادة قبل ان ياتيك الشخص من مد البصر
وقال مجاهد يعني ادامة النظر حتى يرد البصر خاسيا قال الزمخشري
ويجوز ان يكون هذا مثلا لاستقصار مدة المجيء به كما تقول لصاحبك
افعل ذلك في لحظة وفي رد طرف والتفت تري وما اشبه ذلك تريد السرعة
اهـ واختلف في الدعاء الذي دعا به اصف فقال مجاهد ومقاتل يا ذا الجلال
والاكرام وقال الكلبي يا حي يا قيوم وروي ذلك عن عائشة
وروي عن الزهري قال دعا الذي عنده علم من الكتاب يا الهنا واله
كل شي الها واحدا لا اله الا انت ائتني بعرشها وعن الحسن الله والرحمن
وقال محمد بن المنكدر انما هو سليمان قال له عالم من بني اسرائيل اتاه الله
تعالى علما وفهما انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك قال سليمان هات
قال انت النبي بن النبي وليس احد عند الله اوجه منك فان دعوت الله
ودعوت اليه كان عندك فقال صدقت ففعل ذلك فجي بالعرش في الوقت
قال الرازي وهذا القول اقرب واستدل لذلك بوجوه منها ان
سليمن كان اعرف بالكتاب من غيره لانه هو النبي فكان صرف اللفظ اليه اولى

ومنها ان احضار العرش في تلك الساعة اللطيفة درجة عالية فلو حصلت
لاصف دون سليمان لاقتضي ذلك قصور حال سليمان في اعين الخلق
ومنها انه قال هذا من فضل ربي فظاهره ان يكون المعجز قد اظهره الله
تعالى به على سليمن **فلما راه** اي راي سليمان العرش **مستقرا عنده** اي
حاصلا بين يديه قال شاكرا لربه لما اتاه الله تعالى من تلك الخوارق
هذا اي الاتيان المحقق **من فضل ربي** اي المحسن الي لا بعمل استحق به
شيا فانه احسن الي باخراجي من العدم وتطريقي للعمل فكل عمل نعمة منه
يستوجب علي بها الشكر ولذلك قال **ليبلوني** اي ليبلوني اي يختبرني
الشكر فاعترف بكونه فضلا **ام اكفر** بظن اني اوتيته باستحقاق
تنبيه هنا همزتان مفتوحتان فنافع يسهل الهمزة الثانية وابن
كثير وابو عمرو وهشام بخلاف عنه وادخل بينهما الفا قالون وابو عمرو وهشام
ولم يدخل ورش وابن كثير ولورش ايضا ابدالها الفا والباقون بالتحقيق
وعدم الادخال ثم زاد في حث نفسه على الشكر بقوله **ومن شكر** اي
اوقع الشكر لربه **فانما يشكر لنفسه** فان نفعه لها وهو ان يستوجب
به تمام النعمة ودوامها فان الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة
المفقودة **ومن كفر** اي النعمة **فان ربي** اي المحسن الي لتوفيقي لما انا
فيه من الشكر **غني** عن شكره لا يضره تركه شيا **كريم** بادرار
الانعام عليه فلا يقطعه عنه بسبب عدم شكره ولما حصل العرش عنده
قال عليه السلام **نكروا** اي غيروا **لها عرشها** اي سريرها الى
حالة تنكره اذا راته قال قتادة ومقاتل هو ان يزاد فيه وينقص وروي
انه جعل اعلاه اسفله واسفله اعلاه وجعل مكان الجوهر الاحمر اخضر
ومكان الاخضر احمر اختبارا لعقلها كما اخبرتنا بالوصفا والوصايف
والدرة وغير ذلك واليه الاشارة بقوله **ننظر اتهتدي** الى معرفته فيكون
ذلك سببا لهدايتها في الدين **ام تكون من الذين** اي شانهم انهم **لا يهتدون**
اي بل هم في غاية الغباوة لا يجد دليلهم اهتدا وقال وهب
ومحمد بن كعب انما حمل سليمان على ذلك ان الشياطين خافت ان يتزوج
سليمان فتفشي له اسرار الجن لان امها كانت جنية واذا ولدت له
ولدا لا ينفكون عن تسخير سليمن وذريته من بعده فاساوا الثنا عليها
ليزهدوه فيها فقالوا ان في عقلها شيا وان رجلها كحافر الحمار وانها
شعرا الساقين فاراد سليمان ان يختبر عقلها وينظر الى قدميها ببنا
الصرح ثم اشار الى سرعة مجيئها اشارة الى خضوعها بالتعبير
بالفا في قوله **فلما جات** وكانت قد وضعت عرشها في بيت خلف سبعة
ابواب ووكلت به حراسا اشدا **قيل** لها وقد رات عرشها بعد تنكيره

اهكذا عرشك اي امثل هذا عرشك قالت كانه هو قال مقاتل عرفته
ولكنها شبهت عليهم كما شبهوا عليها وقال عكرمة كانت حكيمة
لم تقل نعم خوفا من ان تكذب ولم تقل لا خوفا من التكذيب فقالت كانه
هو فعرف سليمان كمال عقلها حيث لم تقر ولم تنكر وقيل اشتبه عليها امر
العرش انها خلفته في بيت خلف سبعة ابواب مغلقة والمفاتيح معها
قيل لها فانه عرشك فما اغنى عنك اغلاق الابواب واوتينا العلم من قبلها
فيه وجهان احدهما انه من كلام بلقيس والضمير في قبلها راجع للمعجزة
والحالة الدالة عليها السياق والمعنى واوتينا العلم بنبوة سليمان من
قبل ظهور هذه المعجزة او من قبل هذه الحالة وذلك لما رات قبل ذلك
من امر الهدهد ورد الهدية والرسل من قبلها من قبل الاية في العرش
وكنا مسلمين اي منقادين طائعين لامر سليمان والثاني انه من كلام
سليمان واتباعه فالضمير في قبلها عائد على بلقيس فكان سليمان
وقومه قالوا انها قد اصابت في جوابها وهي عاقلة وقد رزقت الاسلام
ثم عطفوا على ذلك قولهم واوتينا العلم بالله وبقدرته على ما يشاء من
قبل المرة مثل علمها وغرضهم من ذلك شكر الله تعالى في ان خصهم بمزيد
التقدم في الاسلام قاله مجاهد وقيل معناه واوتينا العلم باسلامها
ومجيئها طائعة من قبل مجيئها وكنا مسلمين طائعين لله عز وجل
واختلف في فاعل قوله تعالى وصدها ما كانت تعبد من دون الله على ثلاثة اوجه
احدها ضمير الباري تعالى والثاني ضمير سليمان اي منعها ما كانت
تعبد من دون الله وهو الشمس وعلى هذا فما كانت تعبد منصوب
على اسقاط الخافض اي وصدها الله تعالى او سليمان عما كانت تعبد
من دون الله قاله الزمخشري مجوزا له قال ابو حيان وفيه نظر
من حيث انه حذف الجار ضرورة كقوله ٭ تمرون الديار فلم تعوجوا ٭
وقد تقدم ايات كثيرة من هذا النوع والثالث ان الفاعل هو ما كانت
اي صدها ما كانت تعبد عن الاسلام اي صدها عبادة الشمس عن
التوحيد وقوله تعالى انها كانت من قوم كافرين استيناف اخبر الله تعالى
انها كانت من قوم يعبدون الشمس فنشات بينهم ولم تعرف الا عبادة
الشمس ولما تم هذا فكانه قيل هل كان بعد ذلك اختبار فقيل نعم
قيل لها اي قائل من جنود سليمن عليه السلام فلم يمكنها المخالفة
ادخلي الصرح وهو سطح من زجاج ابيض شفاف تحته ماء جار
فيه سمك اصطنعه سليمان لما قالت له الشياطين ان رجليها كحافر
الحمار وهي شعراء الساقين فاراد ان ينظر الى ساقيها من غير ان يسالها
كشفها وقيل الصرح صحن الدار واجري تحته الماء والقي فيه كل شيء

من دواب

من دواب البحر السمك والضفادع وغيرهما ثم وضع سريره في صدره وجلس
عليه وعكف عليه الطير والجن والانس وقيل اتخذ صحنا من قوارير وجعل
تحته تماثيل من الحيتان والضفادع فكان الواحد اذا راه ظنه ماء فلما راته
حسبته لجة وهي معظم الماء وكشفت عن ساقيها لتخوضه فنظر اليها سليمان
فراها احسن الناس ساقا وقدما الا انها كانت شعراء الساقين فلما راى
سليمان ذلك صرف نظره عنها وناداها بان قال لها انه اي الذي
ظننته ماء صرح ممرد اي مملس ومنه الامرد لملاسة وجهه من
الشعر من اي كائن من قوارير اي زجاج وليس بماء ثم ان سليمان دعاها الى
الاسلام وكانت قد رات حال العرش والصرح فاجابت بان قالت
رب اي المحسن الي اني ظلمت نفسي اي بما كنت فيه من العمى بعبادة
غيرك عن عبادتك واسلمت مع سليمان لله اي معترفة له بالالوهية
والربوبية على سبيل الوحدانية ثم رجعت اشارة الى العجز عن معرفة الذات
حق المعرفة فقالت رب العالمين فهي بعد ان خصت اشارة الى
الترقي من حضيض دركات العمى الى اوج درجات الهدى وقيل انها بلغت الصرح
وظنته لجة قالت في نفسها ان سليمان يريد ان يغرقني وكان القتل اهون
من هذا فقولها ظلمت نفسي اي بذلك الظن واختلفوا في امرها بعد
اسلامها هل تزوجها سليمان فالذي عليه اكثر المفسرين فيما رايت
انه تزوج بها وكره ما راى من كثرة شعر ساقيها فسال الانس ما يذهب هذا
فقالوا الموسى فقالت المراة لا يمسني حديد قط فسال الجن فقالوا
لا ندري فسال الشياطين فقالوا انا نحتال لك حتى تكون كالفضة
البيضا فاتخذوا النورة والحمام فكانت النورة والحمام من يومئذ فتزوجها
سليمان واحبها حبا شديدا واقرها على ملكها وامر الجن فابتنوا لها بارض
اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعا وحسنا سلحين قال
الطيبي مدينة باليمن وغمدان قال في النهاية هو بضم الغين وسكون
الميم البناء العظيم وبينون وكان يزورها في الشهر مرة فيقيم عندها
ثلاثة ايام وولدت له وقيل انها لما اسلمت قال لها سليمان اختاري
رجلا من قومك ان ازوجك له قالت ومثلي يا نبي الله ينكح الرجال وقد
كان لي في قومي من الملك والسلطان ما كان قال نعم انه لا يكون في الاسلام
الا ذلك ولا ينبغي لك ان تحرمي ما احل الله تعالى فقالت ان كان ولا بد فزوجني
ذا تبع ملك همدان فزوجه بها ثم ردها الى اليمن وسلط زوجها ذا تبع على
اليمن وامر زوبعة امير جن اليمن ان يطيعه فبنى له المصانع ولم يزل اميرا
حتى مات سليمان فلما ان حال الحول وتبينت الجن موت سليمان اقبل
رجل منهم فسلك تهامة حتى اذا كان في جوف اليمن صرخ باعلى صوته

يا معشر الجن ان الملك سليمان قد مات فارفعوا ايديكم فرفعوا ايديهم وتفرقوا
وانقضى ملك ذي تبع وملك بلقيس مع ملك سليمان وقيل ان الملك وصل
الى سليمان وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين
سنة فسبحان من يدوم ملكه وبقاؤه ولما اتم الله سبحانه وتعالى قصة
سليمان وداود عليهما السلام ذكر قصة صالح عليه السلام وهي
القصة الثالثة بقوله تعالى ولقد ارسلنا اي بما لنا من العظمة الى
ثمود اخاهم اي من القبيلة صالحا ثم ذكر المقصود من الرسالة بما لا اعدل
منه ولا احسن بقوله ان اعبدوا الله اي الملك الاعظم وحده ولا تشركوا
به شيئا ثم تعجب منهم بما اشارت اليه الفاء واذا المفاجاة من المبادرة
الى الافتراق بما يدعوا الى الاجتماع بقوله فاذا هم اي ثمود فريقان وبين
بقوله تعالى يختصمون اي منها فرقة افتراق بكفر وايمان لا فرقة اجتماع
في هدي وعرفان ففريق تصدق صالحا واتبعه وفريق استمروا على شركه
وكذبه وكل فريق يقول انا على الحق وخصمي على الباطل ثم استعطف صالح
عليه السلام على المكذبين بان قال لهم يا قوم لم تستعجلون اي تطلبون
العجلة بالاتيان بالسيئة اي الحالة التي يسوءها ثابته وهي العقوبة
التي انذرت بها من كفر قبل الحالة الحسنة من الخيرات التي ابشركم
بها في الدنيا والاخرة ان امنتم والاستعجال طلب الاتيان بالامر قبل الوقت
المضروب واستعجالهم لذلك الاصرار على سببه وقولهم استهزاء ايتنا
بما تعدنا وكانوا يقولون ان العقوبة التي يعدها صالح ان وقعت على زعمه
تبنا حينئذ واستغفرنا فحينئذ يقبل توبتنا ويدفع العذاب فخاطبهم
صالح عليه السلام على حسب عقولهم واعتقادهم فقال لولا اي هلا
ولم لا تستغفرون الله اي تطلبون غفرانه قبل نزول العذاب فان استعجال
الخير اولى من استعجال الشر لعلكم ترحمون تنبيها لهم على الخطا فيما قالوه
فان العذاب اذا نزل بهم لم تقبل توبتهم تنبيه وصف العذاب بانه سيئة
مجازا اما لان العقاب من لوازمه او لانه يشبهه في كونه مكروها واما وصف
الرحمة بانها حسنة فقيل حقيقة وقيل مجاز ثم ان صالحا عليه السلام
لما قرر لهم هذا الكلام الحق اجابوه بكلام فاسد بان قالوا فظاظة وغلظة
اطيرنا اي تشاءمنا بك وبمن معك او بمن امن بك وذلك ان الله تعالى
قد امسك عنهم المطر في ذلك الوقت وقحطوا فقالوا اصابنا هذا الضر
والشدة من شؤمك وشؤم اصحابك قال الزمخشري كان الرجل يخرج مسافرا
فيمر بطائر فيزجره فان مر بسانح تيمن وان مر بارح تشاءم قال الجوهري
ما والاك شقه منه من ظبي او طير او غيرهما وبرح الظبي بروحا اذا ولاك مياسره
يمر من ميامنك الى مياسرك والعرب تتطير بالبارح وتتفاءل بالسانح

فلما

فلما نسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببهما وهو قدر الله تعالى
وقسمته تنبيه اصل اطيرنا تطيرنا ادغمت الطاء في التاء واجتلبت
همزة وصل ثم اجابهم صالح عليه السلام بان قال لهم طائركم اي ما
يصيبكم من الخير والشر عند الله اي الملك الاعظم المحيط بكل شيء علما
وقدرة وقضاؤه وقدره وليس شيء منه بيد غيره وسمي طائرا لسرعة نزوله
بالانسان فانه لا شيء اسرع من قضاء محتوم وقال ابن عباس الشؤم
اتاكم من عند الله بكفركم وقيل طائركم عملكم عند الله سمي طائرا لسرعة
صعوده الى السماء ومنه قوله تعالى وكل انسان الزمناه طائره في عنقه
بل انتم قوم تفتنون قال ابن عباس تختبرون بالخير والشر
كقوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال محمد بن كعب
تعذبون وقيل تفتنكم الشيطان بوسوسته اليكم الطيرة ولما اخبر الله تعالى
عن عامة هذا الفريق بالشر اخبر عن شرهم بقوله تعالى وكان في المدينة
اي مدينة ثمود وهي الحجر تسعة رهط اي رجال وانما جاز تمييز التسعة
بالرهط لانه في معنى الجماعة فكانه قيل تسعة انفس والرجال كما قدرته والفرق
بين الرهط والنفر ان الرهط من الثلاثة الى العشرة او من السبعة الى العشرة
والنفر من الثلاثة الى التسعة واسماؤهم عن وهب الهذيل بن عبد رب
غنم بن غنم • رياب بن مهرج • مصدع • عمير بن كودبة • عاصم
ابن مخرمة • سبيط بن صدقة • سمعان بن صفي • قدار بن سالف • وهم
الذين سعوا في عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من اشرافهم
ورؤسائهم قدار بن سالف وهو الذي تولى عقر الناقة وقوله يفسدون
في الارض اشارة الى عموم فسادهم ودوامه وقوله ولا يصلحون يحتمل
ان يكون مؤكدا للاول ويحتمل ان يكون وهو الاولى لان بعض المفسدين
قد يندر منه بعض الصلاح فنفى عنهم ذلك فليس شانهم الا الفساد
المحض الذي لا يخالطه شيء من الصلاح ولما اقتضى السياق السؤال عن بعض
حالهم قالوا تقاسموا اي قال بعضهم لبعض احلفوا بالله اي الملك
العظيم لنبيتنه اي صالحا واهله اي من امن به لنهلكن الجميع بالافات
البيات مباغتة العدو ليلا تنبيه محل تقاسموا الجزم على الامر ويجوز
ان يكون فعلا ماضيا وحينئذ يجوز ان يكون مفسرا لقالوا كانه قيل ما قالوا
فقيل تقاسموا ويجوز ان يكون حالا على اضمار قد اي قالوا ذلك
متقاسمين واليه ذهب الزمخشري ثم لنقولن اي بعد اهلاك صالح ومن معه
لوليه اي المطالب بدمه ان بقي منهم احد ما شهدنا اي ما حضرنا مهلك
اي اهلاك اهله اي اهل ذلك الولي فضلا عن ان نكون باشرنا او اهل صالح
عليه السلام فضلا عن ان نكون شهدنا مهلكه او باشرنا قتله ولا موضع

الملائكة وقرأ حمزة والكسائي بعد اللام من لنبيتنه بتاء فوقية مضمومة وبعد التاء المفتوحة تاء فوقية مضمومة وبعد اللام من لنقولن بتاء فوقية مفتوحة وضم اللام بعد كواو والباقون بعد اللام من لنقولن بنون مفتوحة ونصب اللام من لنقولن وقرأ عاصم مهلك بفتح الميم والباقون بضمها وكسر اللام حفص وفتحها الباقون ولما صمموا على هذا الامر وطنوا انفسهم على المبالغة في الحلف بقولهم **وانا لصادقون** اي في قولنا ما شهدنا ذلك فان قيل كيف يكونون صادقين وقد جحدوا ما فعلوا فاتوا بالخبر على خلاف المخبر عنه اجيب على التفسير الثاني بانهم اعتقدوا انهم اذا بيتوا صالحا وبيتوا اهله فجمعوا بين البياتين ثم قالوا ما شهدنا مهلك اهله فذكروا احدهما كانوا صادقين لانهم فعلوا البياتين جميعا لا احدهما وفي هذا دليل قاطع على ان الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع ونواهيه ولا يخطر ببالهم الا انهم قصدوا قتل نبي الله ولم يرضوا لانفسهم ان يكونوا كاذبين حتى سووا للصدق في خبرهم حيلة لا يتقصون فيها عن الكذب ولما كان منهم عمل من لم يظن ان الله عالم به قال تعالى محذرا امثالهم عن امثال ذلك **ومكروا مكرا** وهو ما اخفوه من تدبيرهم الفتك بصالح واهله **ومكرنا مكرا** اي جزيناهم على مكرهم بتعجيل العقوبة **وهم لا يشعرون** اي لا يجد لهم شعور بما قدرناه عليهم شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة وقيل ان الله تعالى اخبر صالحا بمكرهم فتحرز عنهم فذلك مكر الله تعالى في حقهم **فانظر كيف كان عاقبة مكرهم** في ذلك **انا دمرناهم** اي اهلكناهم **وقومهم اجمعين** روي انه كان لصالح مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه فقالوا زعم صالح انه يفرغ منا الى ثلاث فنحن نفرغ منه ومن اهله الى الثلاثة فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا الى اهله فقتلناهم فبعث الله تعالى صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم اين هم ولم يدروا ما فعل الله تعالى بقومهم وعذب الله تعالى كلا منهم في مكانه بصيحة جبريل عليه السلام ورمي الملائكة بحجارة يرونها ولا يرونهم وقال ابن عباس ارسل الله تعالى الملائكة تلك الليلة الى دار صالح يحرسونه فاتى التسعة دار صالح شاهرين سيوفهم فرمتهم الملائكة بالحجارة من حيث يرون الحجارة ولا يرون الملائكة فقتلتهم وقال مقاتل نزلوا في سفح جبل ينتظر بعضهم بعضا ليأتوا دار صالح فجثم عليهم الجبل فاهلكهم واهلك الله تعالى قومهم فاهلكهم واهلك الله تعالى قومهم بالصيحة **فتلك بيوتهم** اي ثمود كلهم **خاوية** اي خالية من خوي البطن اذا خلا او ساقطة متهدمة من خوي النجم اذا سقط نجمه خاوية منصوب على الحال والعامل فيها معنى اسم الاشارة وقرأ الكوفيون انا دمرناهم بفتح الهمزة على حذف حرف الجر اي

لانا دمرناهم العاقبة تدميرنا اياهم وقيل غير ذلك والباقون بكسر الهمزة على الاستئناف وهو تفسير للعاقبة وقرأ ورش وابو عمرو وحفص بيوتهم بضم الباء الموحدة وكسرها الباقون ولما ذكر تعالى هلاكهم اتبعه سببه بقوله تعالى **بما ظلموا** اي بسبب ظلمهم وهو عبادتهم من لا يستحق العبادة وتركهم من يستحقها ثم زاد في التهويل بقوله **ان في ذلك** اي هذا الامر الباهر للعقول الذي فعل بثمود **لآية** اي عبرة عظيمة ولكنها **لقوم يعلمون** قدرتنا فيتعظون واما من لا علم عنده فقد نادى على نفسه انه في عداد البهائم ولما ذكر تعالى الذين اهلكهم اتبعه بذكر الذين نجاهم فقال **وانجينا** اي بعظمتنا وقدرتنا **الذين آمنوا** وهم الفريق الذي كانوا مع صالح كلهم **وكانوا يتقون** اي متصفين بالتقوى اتصافا كانهم مجبولون عليه فيجعلون بينهم وبين ما يسخطه ربهم وقاية من الاعمال الصالحة ولما ذكر تعالى قصة صالح اتبعها قصة لوط عليهما السلام وهي القصة الرابعة بقوله تعالى **ولوطا** وهو اما منصوب عطفا على صالحا وارسلنا لوطا واما عطفا على الذين آمنوا اي وانجينا لوطا واما باذكر مضمرة ويبدل منه على هذا **اذ** اي حين **اذ قال لقومه** اي الذين كان سكن فيهم لما فارق عمه ابراهيم الخليل عليهما السلام وصاهرهم وكانوا يأتون الاحداث منكرا موبخا اي الفعلة الفاحشة المتناهية في الفحش **وانتم تبصرون** من بصر القلب اي تعلمون فحشها واقتراف القبائح من العالم بقبحها اقبح او يبصرها بعضكم من بعض لانهم كانوا في ناديهم يرتكبونها معلنين بها لا يستتر بعضهم من بعض خلاعة ومجانة وانهما كافي المعصية قال الزمخشري

وبح باسم ما تاتي وذرني من الكنى ۔ فلا خير في اللذات من دونها ستر

ويتبصرون آثار العصاة قبلكم وما نزل بهم فان قيل اذا فسر تبصرون بالعلم وبعده بل انتم قوم تجهلون فكيف يكونون علماء جهلاء اجيب بانهم يفعلون فعل الجاهلين بانها فاحشة مع علمهم بذلك او يجهلون العاقبة او ان المراد بالجهل السفاهة والمجانة التي كانوا عليها ثم فسر ما ابهمه بقوله **ائنكم لتأتون** وقال **الرجال** اشارة الى ان فعلهم هذا مما يفني الوصف ولا يبلغ كنه قبحه ولا يصدق ذو عقل ان احدا يفعلها ثم علل ذلك بقوله **شهوة** انزالا لهم الى رتبة البهائم التي ليس قصد ولا ولد ولا اعفاف وقال **من دون النساء** اشارة الى انهم اساؤوا من الطرفين في الفعل والترك وقوله **بل انتم قوم تجهلون** وتقدم في جواب تبصرون تفسيره فان قيل تجهلون صفة لقوم والموصوف لفظه لفظ الغائب فهلا طابقت الصفة الموصوف اجيب بانه قد اجتمعت الغيبة والمخاطبة فغلبت المخاطبة لانها اقوى وارسخ اصلا من الغيبة

وقرا ائنكم نافع وابن كثير وابو عمرو بتسهيل الهمزة الثانية المكسورة كالياء وحققها
الباقون وادخل بينهما قالون وابو عمرو الفا وهشام بخلاف عنه ولما بين تعالى
جهلهم بين انهم اجابوا بما لا يصلح ان يكون جوابا بقوله تعالى فما كان جواب قومه
اي لهذا الكلام الحسن لما لم يكن لهم شبهة او حجة في دفعه الا ان قالوا عدولا
الى المغالبة وتماديا في الخبث اخرجوا ال لوط اي اهله وقالوا من قريتكم
منا عليه باسكانه عندهم وعللوا ذلك بقولهم انهم اناس يتطهرون اي يتنزهون
عن القاذورات كلها فينكرون هذا العمل القذر ويغيظنا انكارهم وعن ابن عباس
قالوا استهزاء اي قالوه تهكما بهم ولما وصلوا في الخبث الى هذا الحد سبب
سبحانه عن قولهم وفعلهم قوله تعالى فانجيناه واهله اي كلهم من ان يصلوا
اليهم باذى او يلحقهم من عذابنا الا امراته قدرناها اي قضينا عليها وجعلناها
بتقديرنا من الغابرين اي الباقين في العذاب وقرا شعبة بتخفيف الدال
والباقون بالتشديد وامطرنا عليهم مطرا هو حجارة السجيل اي اهلكتهم ولذلك
سبب عنه قوله فساء اي فبئس مطر المنذرين بالعذاب مطرهم ولما اتم
سبحانه وتعالى هذه القصص الدالة على كمال قدرته وعظيم شانه وما
خص به رسله من الايات والانتصار من العدا امر نبيه صلى الله عليه
وسلم ان يحمده على هلاك كفار الامم الخالية بقوله وقل يا افضل الخلق
الحمد اي الوصف بالاحاطة بصفات الكمال لله على هلاك هولاء البعدا
البغضا وان يسلم على من اصطفاه بالعصمة من الفواحش والنجاة من الهلاك
بقوله تعالى وسلام على عباده الذين اصطفى اي اصطفاهم واختلف فيهم
فقال مقاتل هم الانبيا والمرسلون بدليل قوله تعالى وسلام على المرسلين
وقال ابن عباس في رواية ابي مالك اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل هم كل المومنين من السابقين واللاحقين تنبيه سلام مبتدا
وسوغ الابتداء به كونه دعا لما بين تعالى انه اهلكهم ولم تغن عنهم
الهتهم من الله تعالى شيا قال تعالى آلله اي الذي له الجلال والاكرام
خير اي لعباده الذين اصطفاهم فانجاهم اما يشركون اي يشركونه
اي الكفار من الالهة خير لعابدها فانهم لا يغنون عنهم شيا تنبيه
لكل من القرا السبعة في هاتين الهمزتين وجهان الاول تحقيق همزة
الاستفهام وابدال همزة الوصل الفا مع المد والثاني تحقيق همزة الاستفهام
ايضا وتسهيل همزة الوصل مع القصر وقرا ابو عمرو وعاصم يشركون
بالياء التحتية بالغيبة حملا على ما قبله من قوله تعالى وامطرنا عليهم مطرا
وما بعده من قوله تعالى بل اكثرهم والباقون بالتاء الفوقية على الخطاب وهو
التفات للكفار بعد خطاب نبيه صلى الله عليه وسلم وهذا تبكيت للمشركين
بحالهم لانهم آثروا عبادة الاصنام على عبادة الله تعالى ولا يوثر عاقل شيئا

على

ويدخل في ذلك الاعانة بالجاه وطلاقة الوجه وحسن اللقا وحسن الذكر
كما احسن الله الجامع لصفات الكمال اليك بان تعطي عطا من لا يخاف
الفقر كما اوسع عليك ولا تبغ اي ولا ترد ارادة ما الفساد في الارض
بتقتير ولا تبذير ولا تكبر على عباد الله ولا تحقير ثم اتبع ذلك علته موكدا لان
اكثر المفسدين يبسط لهم في الدنيا واكثر الناس يستبعد ان يبسط
فيها لغير محبوب فقيل ان الله اي العالم بكل شي القدير على كل شي لا يحب
المفسدين اي لا يعاملهم معاملة من يحب فلا يكرمهم وقيل ان القايل
في هذا هو موسى عليه السلام وقيل مومنوا قومه وكيف كان فقد جمع
في هذا الوعظ ما فيه مزيد لكنه ابى ان يقبل بل زاد عليه كفر النعمة
بان قال اي قارون في الجواب انما اوتيته اي هذا المال على علم
حاصل عندي فانه كان اعلم بني اسرايل بالتوراة فراى له اهلا
فضلني بهذا المال عليكم كما فضلني بغيره وقيل هو علم الكيميا فعلم يوشع
ابن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يوقنا ثلثه وعلم قارون ثلثه
فخدعهما قارون حتى اضاف علمهما الى علمه وكان ذلك بسبب امواله
وقيل على علم عندي بالتصرف في التجارات والزراعات والمكاسب ثم اجابه الله
تعالى عن كلامه بقوله اولم يعلم ان الله اي بما له من صفات الجلال
والعظمة والكمال قد اهلك وقوله تعالى من قبله من القرون فيه تنبيه
على انه لم يتعظ مع مشاهدته للمهلكين الموصوفين مع قرب الزمان
وبعده وقوله تعالى من هو اشد منه قوة اي في البدن والمعاني من العلم
وغيره والانصار والخدم واكثر جمعا في المال والرجال اخرهم فرعون
الذي شاهده في ملكه وحقق امره يوم هلكه فيه تعجيب وتوبيخ
على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك لانه قراه في التوراة وكان
اعلمهم بها وسمعه من حفاظ التواريخ واختلف في معنى قوله تعالى
ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون فقال قتادة يدخلون النار بغير سوال
ولا حساب وقال مجاهد لا تسال الملايكة عنهم لانهم يعرفونهم
بسيماهم وقال الحسن لا يسالون سوال استعلام انما يسالون
سوال توبيخ وتقريع وقيل المراد ان الله تعالى اذا عاقب المجرمين فلا حاجة
به الى ان يسالهم عن كيفية ذنوبهم وكميتها لانه تعالى عالم بكل
المعلومات فلا حاجة الى السوال فان قيل كيف الجمع بين هذا وبين
قوله تعالى فوربك لنسالنهم اجمعين عما كانوا يعملون اجيب
بحمل ذلك على وقتين وقال ابو مسلم السوال قد يكون للمحاسبة
وقد يكون للتقريع والتوبيخ وقد يكون للاستعتاب قال ابن عادل
واليق الوجوه بهذه الاية الاستعتاب لقوله تعالى ثم لا يوذن

للذين كفروا ولا هم يستعتبون هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم
فيعتذرون **فخرج** اي فتسبب عن تجبره واغتراره بماله ان خرج **على**
قومه اي الذين نصحوه في الاقتصاد في شانه والاكثار في الجود
على اخوانه وقوله تعالى **في زينته** فيه دليل على انه خرج باظهر زينته
واكملها وليس في القران الا هذا القدر والناس ذكروا وجوها مختلفة
فقال ابراهيم النخعي خرج هو وقومه في ثياب حمر وصفر وقال ابن زيد في
تسعين الفا عليهم المعصفرات وقال مقاتل خرج على بغلة شهبا
عليها سرج من ذهب عليه الارجوان ومعه اربعة الاف فارس عليهم
وعلى دوابهم الارجوان ومعه ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلي والثياب
الحمر على البغال الشهب ولما كان كانه قيل ما قال قومه فقيل **قال**
الذين يريدون الحياة الدنيا منهم لسفول هممهم وقصور نظرهم على الفاني
لكونهم اهل جهل وان كان قولهم من باب الغبطة لا من الحسد الذي هو
تمني زوال المحسود **يا ليت لنا** اي يتمنى تمنيا عظيما ان نوتى من اي
موت كان وعلى اي صفة كان **مثل ما اوتي قارون** اي من هذه الزينة وما
نشيت عنه من العلم حتى لا نزال اصحاب اموال ثم عظموها بقولهم موكدين
لعلمهم ان ثم من يريد ان ينكر عليهم **انه لذو حظ** اي نصيب وبخت
من الدنيا **عظيم** بما اوتيه من العلم الذي كان سببا له الى جمع هذا المال
وهولاء الراغبون يحتمل ان يكونوا من الكفار وان يكونوا من المسلمين
الذين يحبون الدنيا ودل على جهلهم وفضل العلم الرباني وحقارة ما اوتي
قارون من المال العلم الطاهر الذي ادي اليه اتباعه قوله تعالى **وقال**
الذين اوتوا العلم وهم اهل الدين قال ابن عباس يعني الاحبار من بني اسرائيل
وقال مقاتل اولوا العلم بما وعد الله في الاخرة فقالوا للذين تمنوا
ويلكم ويل اصله الدعا بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على
ترك ما يضر وهو منصوب بمحذوف اي الزمكم الله ويلكم **ثواب الله** اي
الجليل العظيم **خير** اي من هذه الحطام الذي اوتيه قارون في الدنيا بل من
الدنيا وما فيها ومن فاته الخير حل به الويل ثم بينوا مستحقه تعظيما له
وترغيبا للسامع في حاله بقولهم **لمن آمن وعمل** تصديقا لايمانه
صالحا ثم بين تعالى عظمة هذه النصيحة التي قالها اهل العلم وهي
الزهد في الدنيا والرغبة فيما عند الله او الجنة المثاب عليها **الا الصابرون**
اي على اداء الطاعات والاحتراز عن المحرمات وعلى الرضا بقضاء الله في
كل ما قسم من المنافع والمضار الذين صار الصبر لهم خلقا ولما تسبب عن
نظره عن هذا الذي اوصله الى الكفر بربه اخذه بالعذاب اشار الى ذلك
سبحانه بقوله تعالى **فخسفنا** اي بما لنا من العظمة **به وبداره الارض**

ولا يلقاها اي هذه ... وعلو قدرها بقوله تعالى صح

روي انه كان يوذي موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه للقرابة
التي بينهما وهو يوذيه كل وقت ولا يزيد الا عتوا وتجبرا ومعاداة لموسى
حتى بنى دارا وجعل بابها من ذهب وضرب على جدرانها صفائح الذهب
وكان الملا من بني اسرائيل يغدون اليه ويروحون فيطعمهم الطعام ويضحكونه
قال ابن عباس نزلت الزكاة على موسى فاتاه قارون فصالحه على كل
الف دينار بدينار وعن كل الف درهم بدرهم وعن كل الف شاة بشاة ففي حسبه
فاستكثره فلم تسمح بذلك نفسه فجمع بني اسرائيل وقال لهم ان موسى
امركم بكل شي فاطعتموه وهو الان يريد ان ياخذ اموالكم قالوا انت كبيرنا فمرنا
بما شئت قال امركم ان تجيئوا بفلانة البغي فتجعل لها جعلا حتى تقذف موسى
بنفسها فاذا فعلت ذلك خرج عليه بنو اسرائيل ورفضوه فدعاها فجعل
لها قارون الف درهم وقيل الف دينار وقيل طستا من ذهب وقيل قال
لها اني امولك واخلطك بنسائي على ان تقذفي موسى بنفسك غدا اذا
حضر بنو اسرائيل فلما كان من الغد وكان يوم عيد لهم قام موسى عليه
السلام خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنا غير محصن جلدناه ومن زنا
محصنا رجمناه فقال له قارون ولو كنت انت قال ولو كنت انا قال ان بني
اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة قال ادعها فان قالت فهو كما قالت
فلما ان جاءت قال لها موسى يا فلانة انا فعلت بك ما يقول هولاء
وعظم عليها وسالها بالذي فلق البحر لبني اسرائيل وانزل التوراة الا صدقت
فتداركها الله تعالى بالتوفيق وقالت في نفسها احدث اليوم توبة افضل
من ان اوذي رسول الله فقالت لا كذبوا ولكن جعل لي قارون جعلا على
ان ارميك بنفسي فخر موسى ساجدا يبكي ويقول اللهم ان كنت رسولك
فاغضب لي فاوحى الله اليه اني امرت الارض ان تطيعك فمرها بما شئت
فقال موسى يا بني اسرائيل ان الله بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون
فمن كان معه فليلبث مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا ولم يبق مع
قارون الا رجلان فقال موسى يا ارض خذيهم فاخذت الارض باقدامهم
وفي رواية كان فراشه وسريره فاخذته حتى غيبت سريره ثم قال
خذيهم فاخذتهم للركب ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم
قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وقارون واصحابه في كل ذلك
يتضرعون الى موسى ويناشده قارون الله والرحم حتى روي انه ناشده
سبعين مرة وموسى في كل ذلك لا يلتفت اليه من شدة غضبه ثم قال
يا ارض خذيهم فانطبقت عليهم الارض فاوحى الله تعالى اليه ما اغلظ
قلبك استغاث بك سبعين مرة فلم ترحمه وعزتي وجلالي لو دعاني
مرة واحدة لاجبته وفي بعض الاثار لا اجعل الارض بيدك طوعا

لاحد قال قتادة خسف به فهو يتجلجل في الارض كل يوم قامة رجل لا يبلغ
قعرها الى يوم القيمة قال واصبح بنو اسرايل يتناجون فيما بينهم ان
موسى انما دعا على قارون ليستبد بداره وكنوزه وامواله فدعى الله تعالى
حتى خسف بداره وباموا له فاياكم يا امة هذا النبي ان تزدروا ما اتاكم من الرحمة
فتهلكوا وان كنتم اقرب الناس فان قارون كان من اقارب موسى عليه السلام
فان الانبياء كما انهم لا يوجدون الهدى في قلوب اعداهم كذلك لا يمنعونهم
من الردى ولا يشفعون الا لمن ارتضى فما اي فتسبب انه كان له اي
لقارون واكد النفي لما استقر في الاذهان ان الاكابر منصورون بزيادة
الجار في قوله تعالى من فئة اي اعوان واصل الفئة الجماعة من الطير
كانها سميت بذلك لكثرة رجوعها وسرعتها الى المكان الذي ذهبت
منه ينصرونه من دون الله اي غيره بان يمنعوا عنه الهلاك وما كان
من المنتصرين اي الممتنعين منه من قولهم نصره من عدوه فانتصر
اذا امنعه منه فامتنع ولما خسف واستبصر الجهال الذين هم كالبهائم
لا يرون الا المحسوسات ذكر حالهم بقوله واصبح اي وصار
ولكنه ذكره لمقابلة الامس الذين تمنوا اي ارادوا ارادة عظيمة
بغاية الشغف ان يكونوا مكانه اي يكون حاله ومنزله في الدنيا لهم
بالامس اي الزمان الماضي القريب وان لم يكن يلي يومهم الذي
هم فيه فالامس قد يذكر ولا يراد به اليوم الذي قبل يومك ولكن الوقت
المستقرب على طريق الاستعارة يقولون ويكان الله يبسط اي يوسع
الرزق لمن يشاء من عباده بحسب مشيئته وحكمته ويقدر اي يضيق
على من يشاء لا لهوان من يضيق عليه بل لحكمته وقضائه ابتلاء
منه وفتنة ووي اسم فعل بمعنى اعجب اي انا والكاف بمعنى اللام
وهذه الكلمة والتي بعدها متصلة باجماع المصاحف واختلف
القراء في الوقف فالكسائي وقف على اليا قبل الكاف ووقف ابو عمرو على
الكاف ووقف الباقون على النون وعلى الها حمزة يسهل الهمزة في الوقف
على اصله واما الوصل فلا خلاف فيه بينهم ولما لاح لهم من وافقه
ان الرزق انما هو بيد الله اتبعوه على ما دل انهم اعتقدوا ايضا ان الله قادر
على ما يريد من غير الرزق كما هو قادر على الرزق من قولهم لولا ان من الله
اي تفضل الملك الاعظم علينا بجوده ولم يعطنا ما تمنيناه من
الكنوز على مثل حاله لخسف بنا مثل ما خسف به ويكانه لا يفلح
الكافرون لنعمة الله كقارون والمكذبون لرسله وبما وعدوا لهم
من ثواب الاخرة وقوله تعالى تلك الدار الاخرة اشارة تعظيم وتفخيم
لشانها اي تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها وتلك مبتد

والدار

والدار صفته والخبر نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا بعمل
المعاصي فلم يعلق تعالى الوعد بترك العلو والفساد ولكن بترك ارادتهما
وميل القلوب اليهما كما قال تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فعلق
الوعيد بالركون وعن علي رضي الله تعالى عنه ان الرجل ليعجبه ان يكون
شراك نعله اجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها وعن الفضيل
انه قراها ثم قال ذهب الاماني ههنا وعن عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى
عنه انه كان يرددها حتى قبض قال الزمخشري ومن الطماع من
يجعل العلو لفرعون والفساد لقارون متعلقا بقوله تعالى ان فرعون
علا في الارض وبقوله تعالى ولا تبغ الفساد في الارض فيقول من لم
يكن مثل فرعون وقارون فله تلك الدار الاخرة ولا يتدبر قوله تعالى
والعاقبة اي المحمودة للمتقين اي عقاب الله تعالى بعمل طاعته كما
تدبره علي والفضيل وعمر رضي الله تعالى عنهم ولما بين تعالى ان الدار
الاخرة ليست لمن يريد علوا في الارض ولا فسادا بل هي للمتقين
بين بعد ذلك ما يحصل فقال تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها من عشر
اضعاف الى سبعين الى سبعمائة ضعف الى ما لا يحيط به الا الله تعالى
ومن جاء بالسيئة وهي ما نهى الله تعالى عنه ومنه اخافة المومنين
فلا يجزى اي من اي جاز واظهر ما في هذا الفعل من الضمير العائد
على من بقوله تعالى الذين عملوا السيئات تصويرا لحالهم تقبيحا لهم وتنفيرا
من عملها الا جزاء ما كانوا يعملون اي مثله وهذا من فضل الله العظيم
وكرمه الواسع ان لا يجزي السيئة الا مثلها ويجزي الحسنة باكثر
منها كما مر فان قيل قال تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان
اساتم فلها كرر ذكر الاحسان واكتفى بذكر الاساءة مرة واحدة
وفي هذه الاية كرر الاساءة واكتفى بذكر الاحسان مرة واحدة
فما السبب في ذلك اجيب بان هذا المقام مقام ترغيب في الدار
الاخرة فكانت المبالغة في النهي عن المعصية مبالغة في الدعوة الى
الاخرة واما الاية الاخرى ففي شرح حالهم فكان المبالغة في ذكر
محاسنهم اولى فان قيل كيف انه تعالى لا يجزي السيئة الا مثلها
مع ان المتكلم بكلمة الكفر اذا مات في الحال عذب ابد الاباد اجيب
بانه كان على عزم انه لو عاش ابدا لقال ذلك فعومل بمقتضى عزمه
ان الذي فرض اي انزل عليك القرآن قاله اكثر المفسرين وقال عطا
اوجب عليك العمل بالقرآن وقال ابو علي فرض عليك احكامه وفرا يضه
لرادك الى معاد اي معاد ليس لغيرك من البشر وهو المقام المحمود
الذي وعدك ان يبعثك فيه وتنكير المعاد لذلك وروي سعيد

ابن جبير عن ابن عباس يعني الى الموت وقال الزهري وعكرمة الى يوم القيمة وقيل
الى الجنة وروى العوفي عن ابن عباس يعني الى مكة وهو قول مجاهد قال
القتيبي معاد الرجل بلده ينصرف ثم يعود الى بلده وذلك ان النبي صلى
الله عليه وسلم لما خرج من الغار مهاجرا الى المدينة سار في غير الطريق
مخافة الطلب فلما امن رجع الى الطريق ونزل الجحفة بين مكة والمدينة
وعرف الطريق الى مكة اشتاق اليها فاتاه جبريل عليه السلام
فقال اتشتاق الى بلدك ومولدك قال نعم قال فان الله تعالى يقول
ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد قال الرازي وهذا اقرب الى
لان ظاهر المعاد انه كان فيه وفارقه وحصل العود وهذا لا يليق الا بمكة
وان كان ساير الوجوه محتملا لكن ذلك اقرب قال اهل التحقيق وهذا
اخر ما يدل على نبوته لانه اخبر عن الغيب ووقع كما اخبر فيكون معجزا او نزلت
جوابا لقول كفار مكة انك لفي ضلال مبين قل اي للمشركين
ربي اعلم من جاء بالهدى ومن يستحقه من الثواب في المعاد يعني نفسه
ومن هو في ضلال مبين يعنيهم وما يستحقونه من العذاب في معادهم
فهو الجائي بالهدى وهم في الضلال تنبيه من جاء منصوب بمضمر اي يعلم
او اعلم ان جعلناها بمعنى عالم واعملناها اعماله وما كنت ترجوا اي في
سالف الدهر بحال من الاحوال ان يلقى اي ينزل عليك وجملة تقدير على
رده ان يلقى اي يوحي اليك القرآن قال البيضاوي سنردك
الى معاد كما القى اليك الكتاب وما كنت ترجوه وهو ظاهر على ان المراد بالمعاد
مكة قوله تعالى الا رحمة استثنا منقطع اي لكن القى الكتاب رحمة
من ربك اي فاعطاك القرآن وقيل متصل قال الزمخشري
هذا كلام محمول على المعنى كانه قيل وما القى اليك الكتاب الا رحمة فيكون
استثنا من الاحوال او من المفعول له فلا تكونن ظهيرا اي معينا
للكافرين على دينهم الذي دعوك اليه قال مقاتل وذلك حين
دعا الى دين ابايه فذكره الله تعالى نعمه ونهاه عن مظاهرتهم على ما هم
عليه ولا يصدنك عن ايات الله اي قراءتها والعمل بها بعد اذ انزلت اليك
اي لا ترجع اليهم في ذلك وادع اي اوجد الدعا الى ربك اي عبادته وتوحيده
ولا تكونن من المشركين اي باعانتهم ولم يؤثر الجازم في الفعل لبنايه بخلاف
في يصدنك فانه حذف منه نون الرفع اذ اصله يصدوننك حذف
نون الرفع للجازم ثم حذف الواو لالتقا الساكنين ولا تدع اي تعبد
مع الله اي الجامع لجميع صفات الكمال الها اخر فان قيل هذا وما قبله
لا يقع منه صلى الله عليه وسلم فما فائدة ذلك النهي اجيب بانه ذكر
للتهييج وقطع اطماع المشركين عن مساعدته لهم او ان الخطاب

وان كان معه لكن المراد غيره كما في قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك
ثم علل ذلك بقوله تعالى لا اله الا هو اي لا نافع ولا ضار ولا معطي
ولا مانع الا هو كقوله تعالى رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه
وكيلا فلا يجوز اتخاذ اله سواه ثم علل وحدانيته بقوله تعالى
كل شيء هالك الا وجهه اي ذاته فان الوجه يعبر به عن الذات
وقال ابو العالية الا ما اريد به وجهه وقيل الا ملكه واختلفوا
في قوله تعالى هالك فمن الناس من فسر الهلاك باخراجه عن كونه منتفعا
به ومنهم من قال معنى كونه هالكا كونه قابلا للهلاك في ذاته فان كل ما
عداه ممكن الوجود قابلا للعدم فكان قابلا للهلاك فاطلق عليه اسم
الهالك نظرا الى هذا الوجه وعلى هذا يحمل قول النسفي في بحر الكلام
سبعة لا تفنى العرش والكرسي والقلم والجنة والنار باهلهما من
ملايكة العذاب والحور العين والازواج له الحكم اي القضا النافذ
في الخلق واليه وحده ترجعون اي بعد في جميع احوالكم في الدنيا وبالنشور
من القبور للجزا في الاخرة فيجزيكم باعمالكم وما رواه البيضاوي
تبعا للزمخشري من قوله صلى الله عليه وسلم من قرا طسم القصص
كان له من الاجر من صدق بموسى وكذب ولم يبق ملك في السموات
والارض الا شهد له يوم القيامة انه كان صادقا حديث موضوع والله اعلم

سورة العنكبوت مكية

الا عشر ايات من اولها الى قوله تعالى وليعلمن المنافقين قال الحسن
فانها مدنية وهي تسع وستون اية والف وتسعماية واحدى وثمانون كلمة واربعة
الاف وخمسماية وخمسة وتسعون حرفا بسم الله الذي احاط بجميع
النبوة فاعجزت الرحمن الذي شمل جميع العباد بنعمه الرحيم بجميع
خلقه وقوله تعالى الم سبق القول فيه في اول البقرة ووقوع الاستفهام
بعدم دليل على استقلاله بنفسه فيكون اسما للسورة او للقران او انه
او انه سر استاثر بعلمه الله تعالى او استقلاله بما يضم معه بتقديره
مبتدا او خبرا او غيره مما مر في اول سورة البقرة وقيل في الم اشارة بالالف
الدالة على القايم الاعلى المحيط ولام الوصلة وميم التمام بطريق الرمز
الى انه تعالى ارسل جبريل الى محمد عليهما الصلاة والسلام ولما قال تعالى
في اخر السورة المتقدمة وادع الى ربك وكان في الدعا اليه الحراب والضراب
والطعان لان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا مامورين بالجهاد
فشق على البعض ذلك فقال تعالى احسب الناس اي كافة ان يتركوا اي
ظنوا انهم يتركون بغير اختبار وابتلا في وقت ما بوجه من الوجوه تنبيه

ان يتركوا سد مسد مفعولي حسب عند الجمهور ان اي بان يقولوا اي بقولهم امنا وهم اي والحال انهم لا يفتنون اي يختبرون بما يتميز به حقيقة ايمانهم بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات وانواع المصايب في الانفس والاموال ليتبين المخلص من المنافق والصادق من الكاذب ولينالوا بالصبر عليها عوالي الدرجات فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضي الخلاص من الخلود في العذاب واختلفوا في سبب نزول هذه الاية قال الشعبي نزلت في اناس كانوا بمكة كانوا قد اقروا بالاسلام ثم هاجروا فاتبعهم الكفار فمنهم من قتل ومنهم من نجا فانزل الله هاتين الايتين وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال انها نزلت في عمار بن ياسر وعياش بن ابي ربيعة والوليد بن الوليد وسلمة بن هشام كانوا يعذبون بمكة وقال ابن جريج نزلت في عمار بن ياسر كان يعذب في الله عز وجل وقال مقاتل نزلت في مهجع بن عبد الله مولى عمر كان اول قتيل قتل من المسلمين يوم بدر فقال صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو اول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة فجزع عليه ابوه وامرأته فانزل الله تعالى فيهم هذه الاية وقيل وهم لا يفتنون بالاوامر والنواهي وذلك ان الله تعالى امرهم في الابتدا بمجرد الايمان ثم فرض عليهم الصلاة والزكاة وساير الشرايع فشق على بعض فانزل الله هذه الاية ثم عزاهم فقال ولقد فتنا الذين من قبلهم اي من الانبيا والمومنين فمنهم من نشر بالمنشار ومنهم من قتل وابتلي بنوا اسرايل بفرعون فكان يسومهم سوء العذاب فذلك سنة قديمة جارية في الامم كلها فلا ينبغي ان يتوقع خلافه فليعلمن الله اي الذي له الكمال كله الذين صدقوا في ايمانهم علم مشاهدة للخلق والا فالله تعالى لا يخفى عليه خافية وليعلمن الكاذبين فيه اي فيظهر الله تعالى منهم الصادقين من الكاذبين في الايمان فايدة قال لبعض المحدثين للهوا ابتلاء اي علامة به يعرف الصادق في عشقه من الكذاب سهر الليالي دايما ونحول الجسم والموت في رضا الاحباب ام حسب اي ظن الذين يعملون السيئات اي الشرك والمعاصي فان العمل يعم افعال القلوب والجوارح ان يسبقونا اي يفوتونا فلا ننتقم منه وهذا ساد مسد مفعولي حسب وام منقطعة والاضراب فيها لان هذا الحساب ابطل من الاول لان صاحب ذلك يقدر ان لا يمتحن لايمانه وصاحب هذا يظن ان لا يجازي بمساويه ولهذا عقبه بقوله تعالى سا ما يحكمون اي بيس الذي يحكمونه او حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم ولما بين بقوله احسب الناس ان يتركوا ان العبد لا يترك في الدنيا سدى وبين في قوله تعالى ام حسب الذين يعملون السيئات ان من ترك ما كلف به يعذب عذابا بين ان من يعترف بالاخرة

ويعمل

ويعمل بها لا يضيع عمله بقوله تعالى من كان يرجو لقا الله اي الملك الاعلى قال ابن عباس ومقاتل من كان يخشى البعث والحساب والرجا بمعنى الخوف وقال سعيد بن جبير من كان يطمع في ثواب الله فان اجل الله اي الوقت المضروب للقاية لآت اي لجاء لا محالة فان لا يجوز عليه اخلاف الوعد فان قيل كيف وقع فان اجل الله لآت جوابا للشرط اجيب بانه اذا كان وقت اللقا اتيا كان اللقا اتيا لا محالة كما تقول من كان يرجو لقا الملك فان يوم الجمعة قريب اذا علم انه يقعد للناس يوم الجمعة وقال مقاتل يعني يوم القيمة لكاين ومعنى الاية ان من يخشى الله ويامله فليستعد له وليعمل لذلك اليوم كما قال تعالى فمن كان يرجو لقا ربه فليعمل عملا صالحا وهو السميع اي لما قالوه العليم يعلم من صدق فيما قال ومن كذب فيثيب ويعاقب على حسب علمه قال الرازي وههنا لطيفة وهي ان للعبد امورا ثلاثة اصناف حسناته عمل قلبه وهو التصديق وهو لا يرى ولا يسمع وانما يعلم وعمل لسانه وهو يسمع وعمل جوارحه وهو يرى فاذا اتى بهذه الاشيا يجعل الله لمسموعه ما لا اذن سمعت ولمرئيه ما لا عين رات ولعمل قلبه ما لا خطر على قلب احد كما وصف في الخبر في وصف الجنة اهـ تنبيه لم يذكر الله تعالى من الصفات غير هذين الصفتين كالعزيز والحكيم وذلك لانه سبق القول في قوله احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا وسبق الفعل بقوله تعالى وهم لا يفتنون وبقوله تعالى فليعلمن الله الذين صدقوا وبقوله تعالى ام حسب الذين يعملون السيئات ولا شك ان القول يدرك بالسمع والعمل منه ما يدرك بالبصر ومنه ما لا يدرك به كما علم عام والعلم يشملهما ولما بين تعالى ان التكليف حسن واقع وان عليه وعدا وايعادا ليس لهما دافع بين ان الله تعالى طلب ذلك من المكلف ليس لنفع يعود اليه بقوله تعالى ومن جاهد اي جهد في جهاد حرب او نفس حتى كانه يسابق اخر في الاعمال الصالحة فانما يجاهد لنفسه لان منفعة جهاده له لا لله تعالى فانه غني مطلق كما قال تعالى ان الله اي المتصرف في عباده بما شاء لغني عن العالمين اي الانس والجن والملائكة وعن عبادتهم ومثل هذا كثير في القران كقوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه وقوله تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم فينبغي للعبد ان يكثر من العمل الصالح ويخلصه لان من عمل فعلا يطلب به ملكا ويعلم ان الملك يراه يحسن العمل ويتقنه واذا علم ان عمله لنفسه لا لاحد يكثر منه نسال الله الكريم الفتاح ان يوفقنا للعمل الصالح وان يفعل ذلك باهلينا وذريتنا ومحبينا بمحمد واله ولما بين تعالى حال المسيء مجملا بقوله تعالى ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا اشارة الى التعذيب مجملا وذكر حال المحسن بقوله تعالى ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه

بيان انطباق الايتين

الصالحات

كان التقدير فالذين جاهدوا وعملوا السيئات لنجزينهما اجمعين ولكنه
طواه لان السيئات لاهل الرجا عطف عليه قوله تعالى والذين امنوا وعملوا
تصديقا لايمانهم اي في الشدة والرخا على حسب طاقتهم وفي ذلك اشارة
الى ان رحمته اتم من غضبه وفضله اتم من عدله واشار بقوله تعالى
لنكفرن عنهم سياتهم الى ان الانسان وان اجتهد لا بد وان يزل لانه
مجبول على النقص فالصلاة الى الصلاة كفارة لما بينهما ما لم تؤت
الكبائر والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان ونحو ذلك
مما وردت به الاخبار عن النبي المختار فالصغائر تكفر بعمل الصالحات
واما الكبائر فتكفر بالتوبة و لما بشرهم بالعفو عن العقاب اتم البشرى
بالامتنان بالثواب فقال عاطفا على ما تقديره ولنثبتن لهم حسناتهم
ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون اي احسن جزا ما عملوه وهو الصالحات
واحسن نصب بنزع الخافض وهو البا ولما كان من جملة العمل الصالح
الاحسان الى الوالدين ذكر ذلك بقوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه اي
وان عليا حسنا اي برا بهما وعطفا عليهما اي وصيناه ايانا والديه
حسنا او بايلا والديه حسنا لانهما سبب وجود الولد وسبب
بقايه بالتربية المعتادة والله تعالى سبب له في الحقيقة بالارادة
وسبب بقايه بالاعادة للسعادة فهو اولى بان يحسن العبد حاله
معه فيطيعهما ما لم يامراه بمعصية الله كما قال تعالى وان جاهداك لتشرك بي
وقوله تعالى ما ليس لك به علم اي لا علم لك بالهيته موافق للواقع
فلا مفهوم له او انه كان لا يجوز ان يتبع فيما لا يعلم صحته فبالاولى
ان لا يتبع فيما علم بطلانه فلا تطعهما في ذلك كما جا في الحديث لا طاعة
لمخلوق في معصية الخالق تعالى ولا بد من اضمار القول ان لم يضمر قبل
ثم علل ذلك بقوله تعالى الي مرجعكم اي من امن منكم ومن كفر ومن
بر والديه ومن عق ثم تسبب عنه قوله تعالى فانبئكم بما كنتم تعملون اي
اخبركم بصالح اعمالكم وسيئها فاجازيكم عليها نزلت هذه الاية في سعد
ابن ابي وقاص الزهري وامه حمنة بنت ابي سفيان بن امية بن عبد
شمس روي انها لما سمعت باسلامه قالت له يا سعد بلغني انك
تدصبات فوالله لا يظلني سقف بيت من الضح وهو بكسر الضاد
المعجمة وبحاء مهملة الشمس والريح وان الطعام والشراب علي حرام
حتى تكفر بمحمد وكان احب اولادها اليها فابى سعد ولبثت ثلاثة
ايام لا تستظل من الضح ولا تاكل ولا تشرب فلم يطعها سعد بل قال
والله لو كانت ماية نفس فخرجت نفسا نفسا ما كفرت بمحمد ثم جا
سعد الى النبي صلى الله عليه وسلم وشكى اليه فنزلت هذه الاية والتي

التي

التي في لقمان والتي في الاحقاف فامره صلى الله عليه وسلم ان يداريها
ويترضاها بالاحسان وروي انها نزلت في عياش بن ربيعة المخزومي وذلك
انه هاجر مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه مترافقين حتى نزلا المدينة فخرج
ابو جهل بن هشام والحارث بن هشام اخواه لامه اسماء بنت مخرمة
امراة من بني تميم ابن حنظلة فنزلا بعياش وقالا له ان من دين محمد صلة
الارحام وبر الوالدين وقد تركت امك لا تاكل ولا تشرب ولا تاوي بيتا
حتى تراك وهي اشد حبا لك منا فاستشار عمر فقال هما يخدعانك ولك
علي ان اقسم مالي بيني وبينك فما زالا به حتى اطاعهما وعصى عمر فقال اما
اذا عصيتني فخذ ناقتي فليس في الدنيا بعير يلحقها فان رابك منهم ريب
فارجع فلما انتهوا الى البيدا قال ابو جهل ان ناقتي قد كلت فاحملني معك
قال نعم فنزل اليه ليوطي لنفسه فاخذاه وشداه واوثقاه وجلداه
كل واحد منهما مائة جلدة وذهبا به الى امه فقالت لا تزال في عذاب
حتى ترجع عن دين محمد فنزلت رضي الله عنه وارضاه ونفعنا به في الدنيا
والاخرة ولما كان التقدير فالذين اشركوا وعملوا السيئات لندخلنهم
في المفسدين ولكنه طواه لدلالة السياق عليه عطف عليه زيادة
في الحث على الاحسان الى الوالدين قوله تعالى والذين آمنوا وعملوا تحقيقا
لايمانهم الصالحات لندخلنهم في الصالحين اي الانبيا والاوليا بان
نحشرهم معهم او مدخلهم وهو الجنة والصلاح منتهى درجات المؤمنين
ومنتهى انبياء الله والمرسلين ولما بين سبحانه وتعالى المؤمن بقوله
تعالى فليعلمن الله الذين صدقوا وبين الكافر بقوله تعالى وليعلمن الله الذين
صدقوا الكاذبين بين ان بقي قسم ثالث مذبذب بقوله تعالى ومن الناس
من يقول امنا بالله فاذا اوذي في الله بان عذبهم الكفرة على الايمان جعل
فتنة الناس اي له بما يصيبه من اذيتهم في منعه عن الكفر كعذاب
الله اي في الصرف عن الكفر الى الايمان ولئن لام قسم جا نصر اي للمؤمنين
من ربك اي بفتح وغنيمة ليقولن حذف منه نون الرفع لتوالي النونات
والواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين انا كنا معكم في الايمان فاشركونا
في الغنيمة واما عند الشدة فيجبنوا كما قال الشاعر
وما اكثر الاصحاب حين تعدهم ۞ ولكنهم في النائبات قليل
قال الله تعالى اوليس الله باعلم اي بعالم بما في صدور اي قلوب العالمين
من الايمان والنفاق وليعلمن الله الذين امنوا اي بقلوبهم وليعلمن المنافقين
فيجازي الفريقين واللام في الفعلين لام قسم ولما بين الفرق الثلاثة واحوالهم
ذكر ان الكافر يدعو من يقول امنت الى الكفر بقوله تعالى وقال الذين كفروا
اي ظاهرا وباطنا للذين امنوا اي ظاهرا وباطنا لم يحملوا الاذى والذل

لم

اتبعوا سبيلنا اي الذي نسلكه في ديننا تدفعوا عن انفسكم ذلك
فقالوا الخائف من عذاب الله تعالى على خطيئة اتباعكم فقالوا لهم اتبعونا ولنحمل
خطاياكم ان كان فذلك خطيئة او ان كان بعث ومؤاخذة قال الجلال
المحلي والامر بمعنى الخبر وهو اولى من قول البيضاوي وانما امروا انفسهم بالحمل
عاطفين على امرهم بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كان تشجيعا
للمومنين على الاتباع وبهذا الاعتبار رد عليهم وكذبهم بقوله وما هم اي
الكفار بحاملين من خطاياهم اي المومنين من شيء انهم لكاذبون في ذلك قال
الزمخشري ونرى في المتسمين بالاسلام من يستن بذلك فيقول لصاحبه
اذا اراد ان يشجعه على ارتكاب بعض العظائم افعل هذا واثمه في عنقي
وكم من مغرور بمثل هذا الضمان من ضعفة العامة وجهلتهم ومنه ما يحكى
ان ابا جعفر المنصور رفع اليه بعض اهل الحشو حوائجه فلما قضاها قال
يا امير المومنين بقيت الحاجة العظمى قال وما هي قال شفاعتك يوم
القيامة فقال له عمرو بن عبيد رحمه الله اياك وهولاء فانهم قطاع الطريق
في المأمن فان قيل كيف سماهم الله تعالى كاذبين وانما ضمنوا شيئا علم الله
تعالى انهم لا يقدرون على الوفاء به وضامن ما لا يعلم اقتداره على الوفاء به
لا يسمى كاذبا لا حين ضمن ولا حين كذب عجز لانه في الحالين لا يدخل تحت
حد الكاذب وهو المخبر عن الشيء لا على ما عليه المضمون بالكاذبين الذين
خبرهم لا على ما هو عليه اجيب بان الله تعالى شبه حالهم حيث علم
ان ما ضمنوه لا طريق لهم الى ان يفوا به فكان ضمانهم عندهم لا على ما عليه
المضمون بالكاذبين الذين خبرهم لا على ما عليه المخبر عنه ويجوز ان يريد انهم
كاذبون لانهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه كالذين يعدون الشيء وفي
قلوبهم نية من الخلف تنبيه من الاولى للتبيين والثانية مزيدة
والتقدير وما هم بحاملين شيئا من خطاياهم فان قيل قال الله وانهم
بحاملين من خطاياهم من شيء قال الله تعالى وليحملن اي الكفرة
اثقالهم اي اثقال ما اقترفته انفسهم واثقالا مع اثقالهم اي
اثقالا بقولهم للمومنين اتبعوا سبيلنا واضلالهم مقلديهم فكيف الجمع
بينهما اجيب بان قول القائل حمل فلان عن فلان يريد ان
حمل فلان حق فان لم يخفف حمله فلا يكون قد حمل منه شيئا بقوله تعالى
وما هم بحاملين من خطاياهم يعني لا يرفعون عنهم خطيئة بل يحملون اوزار
انفسهم واوزارا بسبب اضلالهم كقوله صلى الله عليه وسلم من
سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من غير ان ينقص من وزره
شيء وقال تعالى في اية اخرى ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن
اوزار الذين يضلونهم بغير علم من غير ان ينقص من اوزار من تبعهم شيء

وليسألن يوم القيامة اي سؤال توبيخ وتقريع عما كانوا يفترون اي يختلقون من الاكاذيب
والاباطيل واللام في ليسألن لام القسم وحذف فاعلها الواو ونون الرفع
ولما كان السياق للبلاء والامتحان والصبر على الهوان ذكر من الرسل الكرام
عليهم السلام من طال صبره على البلاء ولم ينثن عزمه عن نصيحة العباد بقوله
تعالى ولقد ارسلنا نوحا اي اول رسل الله الى المخالفين الى العباد وهو معني الى
قومه دعوا اربعون سنة فان الكفر كان قد عم اهل الارض وكان عليه السلام
اطول الانبياء بلاء بهم ولذلك قال تعالى سببا عن ذلك وتعقيبا فلبث فيهم
اي بعد الرسالة الف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى توحيد الله
فكذبوه فاخذهم الطوفان اي الماء الكثير فغرقوا وهم ظالمون قال ابن عباس مشركون
وفي ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ولتابعيه رضي الله تعالى عنهم
وتثبيتا لهم وتهديدا لقريش قال ابن عباس كان عمر نوح عليه السلام
الفا وخمسين سنة بعث على راس اربعين ولبث في قومه تسعمائة وخمسين
سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وفشوا وروي عن
ابن عباس انه بعث وهو ابن اربعمائة وثمانين وعاش بعد الطوفان ثلثمائة وخمسين
سنة فان كان هذا محفوظا عن ابن عباس فيضاف الى لبثه في قومه
وهو تسعمائة وخمسون سنة فيكون قد عاش الف سنة وسبعمائة
وثمانين سنة واما قبره عليه السلام روى ابن جرير والازرقي حديثا
مرسلا ان قبره بالمسجد الحرام وقيل ببلدة البقاع يعرف اليوم بكرك نوح
وهناك جامع قد بني بسبب ذلك وعن وهب انه عاش الفا واربعمائة
سنة والاية تدل على خلاف قول الاطباء العمر الانساني لا يزيد على
مائة وعشرين سنة ويسمونه العمر الطبيعي قال الرازي ونحن
نقول ليس طبيعيا بل هو عطاء الهي واما العمر الطبيعي فلا يدوم عنده
ولا يخرج فصلان عن مائة او اكثر فان قيل هل لا قال تسعمائة سنة وخمسين
ولم جاء المميز اولا بالسنة وثانيا بالعام اجيب عن الاول بان ما اورده
الله تعالى احكم لانه لو قيل كما ذكر لجاز ان يتوهم اطلاق هذا العدد على
اكثره وهذا التوهم زائل مع مجيئه كذلك وكانه قال تسعمائة وخمسين
سنة كاملة وافية العدد الا ان ذلك اخصر واعذب لفظا واملأ بالفائدة
وفيه نكتة اخرى وهي ان القصة مسوقة لذكر ما ابتلي به نوح عليه السلام
من امته وما كابده من طول المصابرة تسلية لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وتثبيتا له فكان ذكر راس العدد الذي لا راس اكبر منه اوقع واوصل
الى الغرض من استطالة السامع مدة صبره وعن الثاني بان تكرير اللفظ
الواحد في الكلام الواحد حقيق بالاجتناب في البلاغة الا اذا وقع
ذلك لاجل غرض ينتحيه المتكلم من تفخيم او تهويل او تنويه ونحو ذلك

والطوفان لغة ما اطاف واحاط بكثرة وغلبة من سيل او ظلام او نحوه
قال الحجاج وغيره طوفان الظلام الا انبا فانجيناه اي نوحا واصحاب السفينة
اي الذين كانوا فيها من الغرق وكانوا ثمانية وسبعين نفسا نصفهم
ذكور ونصفهم اناث منهم اولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم وعن
محمد بن اسحاق كانوا عشرة خمسة رجال وخمسة نسوة وقد روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلاثة وجعلناها
اي السفينة او الحادثة والقصة اية اي عبرة وعلامة على قدرة الله
تعالى وعلمه وانجايه الطايع واهلاكه العاصي للعالمين لمن بعدهم من
الناس ان عصوا رسولهم فانه لم يقع في الدهر حادثة اعظم منها ولا اغرب
ولا اشهر في تطبيق الماء جميع الارض بطولها والعرض واغراق جميع ما عليها من
من حيوان انسان وغيره ولما ذكر تعالى قصة نوح وكان بلاء ابراهيم عليه السلام
عظيما في قذفه في النار واخراجه من بلاده اتبعه به بقوله تعالى وابراهيم
وهو منصوب اما باذكر ويكون اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه اي خافوا عقابه
بدل اشتمال لان الاحيان تشتمل ما فيها واما معطوف على نوحا واذ ظرف
لارسلنا اي ارسلناه حين بلغ من السن والعلم مبلغا صلح فيه لان يعظ
قومه وينصحهم ويعرض عليهم الحق ويامرهم بالعبادة والتقوى ذلكم
اي الامر العظيم الذي هو خلاصكم في عبادتكم له وتقواكم خير لكم اي من كل
شيء ان كنتم تعلمون اي في عداد من يتجدد له علم فينظر في الامور بنظر العلم
دون نظر الجهل ولما امرهم بما تقدم ونفى العلم عن من جهل خيريته
دل عليه بقوله انما تعبدون من دون الله اي غير اوثانا اي اصناما فلا
تستحق العبادة لانها حجارة منحوتة لا شرف لها وتخلقون اي تصورون
بايديكم افكا اي شيئا مصروفا عن وجهه فانه مصنوع وانتم تسمونه
باسم الصانع ومربوبا وانتم تسمونها ربا وتقولون كذبا في تسميتها
الهة وادعاء شفاعتها عند الله ثم ان الله تعالى نفى عنها النفع بقوله تعالى
ان الذين تعبدون ضلالا وعدولا عن الحق الواضح من دون اي غير
الله الذي له الملك كله لا يملكون لكم رزقا اي شيئا من الرزق الذي
لا قوام لكم بدونه وانتم تعبدونها فكيف بغيركم فتسبب عن ذلك قوله تعالى
فابتغوا اي اطلبوا عند الله اي الذي له صفات الكمال الرزق اي
كله فانه لا شيء منه الا وهو بيده فان قيل لم نكر الرزق في قوله تعالى
لا يملكون لكم رزقا وعرفه في قوله تعالى فابتغوا عند الله الرزق اجيب
انه نكره في معرض النفي اي لا رزق عندهم اصلا وعرف عند الاثبات عند الله
تعالى اي كل رزق عنده فاطلبوه منه وايضا الرزق من الله معروف بقوله تعالى
وما من دابة في الارض الا على الله رزقها والرزق من الاوثان غير معلوم

فيكون لعدم حصول العلم به فاعبدوه اي عبادة يقبلها وهو ما كان خالصا
من الشرك واشكروا اي اوقعوا الشكر له خاصة على ما افاض عليكم من
النعم ثم علل ذلك بقوله تعالى اليه وحده ترجعون اي بعين في الدنيا
والاخرة فانه لا حكم في الحقيقة لاحد سواه وحسابا للنشر والحشر
والابرام فيثيب الطايع ويعذب العاصي ولما فرغ من بيان التوحيد
اتى بعده بالتهديد فقال وان تكذبوا اي وان تكذبوني فقد اي
نبكتكم في الوعظ والتهديد بمعرفتكم بانه قد كذب امم اي في الازمان
الكاينة من قبلكم اي من قبلكم قبلي من الرسل فجرى الامر فيهم على
سنن واحد لم يتخلف قط في نجاة المطيع للرسول وهلاك العاصي له ولم
يضر ذلك الرسول شيئا وما اضروا به الا انفسهم وما على الرسول اي ان
يقهركم على التصديق بل ما عليه الا البلاغ المبين الموضح مع ظهوره في
نفسه للامر بحيث لا يبقى فيه شك باظهار المعجز واقامة الوحدانية
على الادلة تنبيه في المخاطب بهذه الاية والايات بعدها الى قوله تعالى
فما كان جواب قومه وجهان الاول انه قوم ابراهيم لان القصة له فكان
ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال لقومه ان تكذبوني فقد كذب امم
من قبلكم وانما اتيت بما علي من التبليغ فان الرسول ليس عليه الا التبليغ
والبيان فان قيل ان ابراهيم لم يسبقه الا قوم نوح وهم امة واحدة
اجيب بان قبل قوم نوح ايضا كان اقوام كقوم ادريس وقوم شيث
وادم وايضا فان نوحا عاش اكثر من الف سنة وكان القرن يموت ويحيي
اولاده والابا يوصون الابنا بالامتناع من الاتباع فكفى بقوم نوح امما
ولقد عاش ادريس الف سنة في قومه الى ان رفع الى السما وامن به الف
انسان منهم على عدد سنيه واعقابهم على التكذيب الثاني ان الاية
مع قوم محمد صلى الله عليه وسلم لان هذه القصص اكثرها المقصود
منه تذكير قومه بحال من مضى حتى يمتنعوا من التكذيب ويرتدعوا
خوفا من التعذيب فقال في اثناء حكاياتهم يا قوم ان تكذبوا فقد كذب
قبلكم اقوام هلكوا فان كذبتم فاني اخاف عليكم ان يقع منكم ما وقع بغيركم
وعلى هذا اقتصر الجلال المحلي والبقاعي وهذه الاية تدل كما قال ابن عادل
على انه لا يجوز تاخير البيان عن وقت الحاجة لان الرسول اذا بلغ شيئا
ولم يبينه فلم يات بالبلاغ المبين اولم يروا اي ينظروا كيف يبدي الله اي الذي
له كل كمال الخلق اي يخلقهم الله تعالى ابتدا نطفة ثم مضغة ثم علقة ثم
هو لا غيره يعيده اي الخلق كما كان ان ذلك اي المذكور من الخلق الاول
والثاني على الله اي الجامع لكل كمال المنزه عن كل شائبة نقص يسير نكيف
ينكرون الثاني فان قيل متى راى الانسان بدا الخلق حتى يقال اولم يروا

كيف يبدؤ الله الخلق اجيب بان المراد بالروية العلم الواضح الذي كالروية
فالعاقل يعلم ان المبدا من الله تعالى لان الخلق الاول لا يكون من مخلوق والا لما
كان الخلق الاول خلقا اول فهو من الله تعالى فان قيل علق الروية بالكيفية لا بالخلق
ولم يقل اولم يروا ان الله خلق او بدا الخلق والكيفية غير معلومة اجيب
بان هذا القدر من الكيفية معلوم وهو انه خلقه ولم يك شيا مذكورا وانه
من نطفة هي من غذا هو من ما وتراب وهذا القدر كاف في حصول العلم بامكان
الاعادة فان قيل لم ابرز اسمه في ان ذلك على الله يسير ولم يقل ان ذلك عليه
كما قال ثم يعيده من غير ابراز اجيب بانه مع اقامة البرهان على انه يسير اكده
باظهار اسمه فانه يوجب المعرفة ايضا بكون ذلك يسيرا فكان فان الانسان
اذا سمع لفظ الله وفهم معناه انه الحي القادر بقدرة كاملة لا يعجزه شي محيط
بذرات كل نافذ الارادة يقطع بجواز الاعادة وقرا حمزة والكسائي وخلق بالتا
على الخطاب على تقدير القول والباقون بالياء على الغيبة ولما ساق هذا الدليل الذي
حاج قومه الخليل قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل اي
لهولا الذين تقيدوا بما تقلدوا وامذاهب ابايهم سيروا اذ لم تقتدوا بابيكم
ابراهيم عليه السلام وتناه ملوا ما اقام من الدليل على القاطع والبرهان الساطع
في الارض ان لم يكفكم النظر في احوال بلادكم فانظروا اي نظر اعتبار كيف
بدا ربكم الذي خلقكم ورزقكم الخلق من الحيوان والنبات والزروع والاشجار
وغير ذلك مما تضمنته الجبال والسهول ثم الله اي الجامع لجميع صفات الكمال
ينشئ النشاة الاخرة بعد النشاة الاولى وقرا ابن كثير وابو عمرو بفتح الشين
والف بعد الشين ممدودة قبل الهمزة والباقون بسكون الشين والهمزة بعد
الشين ثم علل بذلك بقوله تعالى ان الله على كل شي قدير لان نسبة الاشياء كلها
اليه واحدة فان قيل ابرز اسم الله في الاية الاولى عند البدء فقال كيف يبدؤ الله
واضمره عند الاعادة وههنا اضمره عند البدء وابرزه عند الاعادة فقال ثم الله
ينشئ اجيب بانه في الاية الاولى لم يسبق ذكر الله تعالى بفعل حتى يسند
اليه البدء فقال كيف يبدؤ الله الخلق ثم يعيده اكتفا بالاولى وفي الثانية
كان ذكر البدء مسندا الى الله تعالى فاكتفى به ولم يبرزه واما اظهاره عند الانشا
ثانيا فقال ثم الله ينشئ مع انه يكفي ان يقول ثم ينشئ النشاة الاخرة
فلحكمة بالغة وهو انه مع اقامة البرهان على امكان الاعادة اظهر اسمه
حتى يتفهم السامع به صفات كماله وشمول علمه ونفوذ ارادته فيعترف بوقوع
بدئه وجواز اعادته فان قيل قال في الاولى اولم يروا كيف يبدئ الله
الخلق بلفظ المستقبل وههنا فانظروا كيف بدا بلفظ الماضي
فما الحكمة اجيب بان الدليل الاول هو الدليل النفسي الموجب
للعلم وهو موجب العلم ببدء الخلق فانظروا الى الاشيا المخلوقة

يحصل

٧٧

فيحصل لكم العلم بان الله بدا خلقا ويحصل من هذا القدر بانه ينشئ كما
بدا ذلك فان قيل قال في هذه الاية ان الله على كل شي قدير وقال في الاولى
ان ذلك على الله يسير فما فايدته اجيب بان فيه فايدتان الاولى ان
الدليل الاول هو الدليل النفسي وهو وان كان موجبا للعلم التام ولكن
عند انضمام الدليل الافاقي اليه يحصل العلم التام لانه بالنظر الى نفسه
علم حاجته الى غيره ووجوده منه فتم علمه بان كل شي من الله فقال عند
تمام الدليل ان الله على كل شي قدير وقال عند الدليل الواحد
ان ذلك وهو الاعادة على الله يسير الثانية ان العلم الاول اعم وان
كان الثاني اعم وكون الاعم يسيرا على الفاعل اتم من كونه مقدورا له بدليل
قولك لمن يحمل مايه رطل انه قادر عليه فاذا سالت عن حمل عشرة ارطال
تقول ذلك سهل يسير فنقول كان التقدير ان لم يحصل لكم العلم التام بان
هذه الامور عند الله سهلة يسيرة فسيروا في الارض لتعلموا انه مقدور
ونفس كونه مقدورا كاف في امكان الاعادة ولما تم الدليل على الاعادة انتج
لا محالة انه يعذب اي بعدله من يشاء تعذيبه اي منكم ومن غيركم
في الدنيا والاخرة ويرحم اي بفضله ورحمته من يشاء رحمته فلا يمسه
سو فان قيل لم قدم التعذيب في الذكر على الرحمة مع ان رحمته سابقة كما قال
صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى سبقت رحمتي غضبي اجيب
بان السابق ذكر الكفار فذكر العذاب لسبق ذكر مستحقه بحكم الايعاد
وعقبه بالرحمة فذكر الرحمة وقع تبعا لئلا يكون العذاب مذكورا وحده
وهذا تحقيق قوله رحمتي سبقت غضبي واليه وحده تقلبون اي
تردون بعد موتكم بايسر سعي وما انتم بمعجزين ربكم عن ادراككم
في الارض كيفما تقلبتم في ظاهرها وباطنها واختلف في معنى قوله تعالى
ولا في السما لان الخطاب مع الادميين وهم ليسوا في السما فقال الفرا
معناه ولا من في السما بمعجز ان عصى كقول حسان بن ثابت
فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سوا اراد ومن
يمدحه ومن ينصره اراد فاضمر من يريد اي لا يعجزه اهل الارض من في الارض
ولا اهل السما من في السما يعني ان من في السموات عطف بتقدير ان يعص
وقال الفرا وهذا من غوامض العربية وقال قطرب ما انتم بمعجزين
في الارض ولا في السما لو كنتم فيها كقول القايل ما يفوتني فلان ههنا ولا بالـ
البصرة اي ولا بالبصرة لو كان بها كقوله ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات
والارض اي على تقدير ان تكونوا فيها قال ابن عادل وابعد من ذلك من قدر
موصولين محذوفين اي وما انتم بمعجزين من في الارض من الجن والانس
ولا في السما من الملايكة فكيف تعجزون خالقهما وعلى قول الجمهور يكون

اذ استطعتم ٣

المفعول محذوفا اي وما انتم بمعجزين اي فايتين ما يريد الله تعالى وقال البقاعي
ويمكن ان يكون له نظر الى قصة نمرود وبنايه الصرح الذي اراد به التوصل الى
السما لاسيما والايات مكتنفة بقصة ابراهيم عليه السلام من قبلها ومن
بعدها ولما اخبرهم انهم مقدور عليهم وكان ربما توهم ان غيرهم ينصرهم
صرح بنفيه في قوله تعالى وما لكم اي اجمعين واشار الى سفول رتبة كل ما سواه
بقوله تعالى من دون الله اي غيره واكد النفي باثبات الجار بقوله من ولي
اي قريب يحميكم لاجل القرابة ولا نصير ينصركم من عذابه ولما بين الاصلين
التوحيد والاعادة وقررهما بالبرهان وقربهما بالبرهان هدد من خالفه
على سبيل التفصيل بقوله تعالى والذين كفروا اي ستروا ما اظهرت لهم
انوار العقول بايات الله اي بسبب دلايل الملك الاعظم المرئية
والمسموعة التي لا اوضح منها ولقايه بالبعث بعد الموت الذي اخبر به
واقام الدليل عليه اوليك اي البعدا البغضا يئسوا اي تحقق
ياسهم من الان بل من الازل لانهم لم يرجوا لقاء الله يوما ولا قال
قايل منهم رب اغفر لي خطيتي يوم الدين من رحمتي اي من ان افعل
بهم من الاكرام بدخول الجنة وغيرها فعل الراحم واوليك لهم عذاب اليم
اي مولم بالغ المه فان قيل هل اكتفى بقوله تعالى اوليك مرة واحدة
اجيب بان ذلك كرر تنبيها للامر فالياس وصف لهم لان
المومن انما يكون راجيا خاشيا واما الكافر فلا يخطر بباله رجا ولا خوف
وعن قتادة ان الله تعالى ذم قوما هانوا عليه فقال اوليك ييسوا
من رحمتي وقال انه لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون فينبغي
للمومن ان لا يياس من روح الله ولا من رحمته وان لا يامن عذابه
وعقابه فصفة المومن ان يكون راجيا لله خايفا ثم ان الله تعالى
اخبر عن فظاظة قوم ابراهيم وتكبرهم بقوله تعالى فما كان جواب قومه
لما امرهم بالتوحيد وتقوى الله تعالى الا ان قالوا اي قال بعضهم لبعض
او قاله واحد منهم وكان الباقون راضين اقتلوه او حرقوه بالنار فان قيل
كيف سمي قولهم اقتلوه او حرقوه جوابا مع انه ليس بجواب اجيب
عنه من وجهين احدهما انه خرج مخرج كلام المتكبر كما يقول الملك لرسول
خصمه جوابكم السيف مع ان السيف ليس بجواب وانما معناه لا اقابل
بالجواب وانما اقابل بالسيف وثانيهما ان الله تعالى اراد بيان ضلالهم
وانهم ذكروا ما ليس بجواب في معرض الجواب فبين انهم لم يكن لهم جواب
اصلا وذلك ان من لا يجيب غيره وسكت لا يعلم انه قد يقدر على الجواب
ام لا لجواز ان يكون سكوته لعدم الالتفات واما اذا اجاب بجواب
فاسد يعلم انه قصد الجواب وما قدر عليه ثم انهم استقر رايهم

على

على الاحراق فجمعوا له حطبا الى ان ملاوا ما بين الجبال واضرموا فيه النار حتى
احرقت ما دنى منها بعظيم الاشتعال وقذفوه فيها بالمنجنيق فانجاه
الله بما له من كمال العظمة من النار اي من احراقها واذاها وبنفعه
بان احرقت وثاقه ان في ذلك اي ما ذكر من امره وما اشتملت عليه
قصته من الحكم لايات اي براهين قاطعة في الدلالة على
جميع امر الله من تصرفه في الاعيان والمعاني لكون النار لم تحرقه واحرقت
وثاقه وكل ما مر عليها من طاير واخمادها مع عظمها في زمان
يسير وانشاء روض مكانها وروي انه لم ينتفع في ذلك اليوم الذي القي
فيه ابراهيم بالنار وذلك لذهاب حرها لقوم يومنون اي يصدقون
بتوحيد الله وقدرته لانهم المنتفعون بالفحص عنها والتامل فيها وقال
اي ابراهيم عليه السلام غير هايب لتهديدهم بقتل او غيره انما اتخذتم
اي اخذتم باصطناع وتكلف واشار الى عظمة الله وعلو شانه من دون
الله الذي هو كل شيء تحت قهره اوثانا اي اصناما تعبدونها
وما مصدرية مودة بينكم اي تتوادون على محبتها في الحياة الدنيا
بالاجتماع عندها والتواصل في امرها بالتناصر والتعاضد كما يتفق
ناس على مذهب فيكون ذلك سبب تصادقهم وهذا دال على ان جمع
الفسوق لاهل الدنيا هو العادة المستمرة وان الحب في الله والاجتماع
له عزيز جدا لما فيه من قطع علايق الدنيا وشهواتها التي زينت للناس
على ما فيها من الالتباس وعظيم الباس وقرا نافع وابن عامر وشعبة مودة
بالنصب ٣ على انه مفعول له اي لاجل مودة وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي
برفع مودة من غير تنوين وكسر النون وهذا النص على ان مودة خبر مبتدا
محذوف اي هي مودة والباقون بنصب مودة من غير تنوين وكسر النون
وهذا ايضا كاعراب المنونة ولما اشار الى هذا النفع الذي هو في الحقيقة
ضر اتبع ذلك ما يعقبه من الضر البالغ معبرا باداة البعد بقوله ثم
يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ينكر كل منكم محاسن اخيه ويتبرا
منه بلعن الاتباع القادة وبلعن القادة الاتباع كما قال تعالى ويلعن
بعضكم بعضا وتنكرون كلكم عبادة الاوثان تارة اذا تحققتم انها
ضرر لا نفع فيها لها وتقرون بها اخرى طالبين نصرتها راجين منفعتها
وتنكر الاوثان عبادتكم وتجحد سعيكم وماواكم اي جميعا انتم والاوثان
النار وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها ثم بين تعالى اول من امن بابراهيم
بقوله تعالى فامن له اي لاجل دعايه له مع ما راى من الايات لوط
وكان ابن اخيه هاران وهو اول من صدقه من الرجال وقال اي
ابراهيم عليه السلام لما هو جدير بالانكار من الهجرة لصعوبتها اني

٣ [illegible] بنصب [illegible] بينكم [illegible] النون

مهاجر اي من ارضي وعشيرتي علي وجه الهجر لهم فتنقل ومتجاوز الى ربي
اي الى ارض ليس فيها انيس ولاعشير ولامن ترجي نصرته ولاتنفع مودته
فهاجر من كوثي من سواد الكوفة الى حران ثم منها الى الارض المقدسة فكانت
له هجرتان ومن ثم قالوا لكل نبي هجرة ولابراهيم هجرتان وهو اول من هاجر في الله
وكان معه في هجرته لوط وامراته سارة قال مقاتل وكان اذ ذاك ابن خمس
وسبعين سنة فان قيل لم نقل مهاجر الى حيث امرني مع ان المهاجرة الى
الرب توهم الجهة اجيب بان هذا القول ليس في الاخلاص كقوله الى ربي
لان الملك اذا صدر منه امر برواح الاجناد ثم ان واحدا منهم سار الى
ذلك الموضع لغرض نفسه فقد هاجر الى حيث امره الملك ولكن لا مخلصا
لوجهه فلذا قال مهاجر الى ربي يعني توجهي الى الجهة المامور بالهجرة
اليها ليس طلبا للجهة انما هو طلب لله ثم علل ذلك بما يسليه عن فراق
اخيه واهل وده من ذوي رحمه وانسابه بقوله انه هو اي وحده
العزيز اي فهو جدير باعزاز من نقطع اليه الحكيم فهو اذا اعز احدا
منعه في حكمه من التعرض له باذلال بفعل او مقال ولما كان التقدير
فاعززناه كما ظن بنا عطف عليه قوله ووهبنا له اي بعظيم قدرتنا
شكرا على هجرته اسحاق من زوجته سارة رضي الله تعالى عنها التي
جمعت الى العقم في شبابها الياس في كبرها ويعقوب من ولده
اسحاق عليهما السلام فان قيل لم لم يذكر اسمعيل عليه السلام وذكر
اسحق وعقبه اجيب بان هذه السورة لما كان السياق فيها للامتحان
وكان ابراهيم عليه السلام قد ابتلي في اسماعيل بفراقه مع امه ووضعهما
في مضيعة من الارض لا انيس بها لم يذكره تصريحا في سياق الامتنان
وافرد اسحق لانه لم يبتل فيه بشي من ذلك ولان الامتنان به لكون امه
عجوزا عقيما اكبر واعظم لانها اعجب وذكر اسمعيل تلويحا في قوله
تعالى وجعلنا اي بعزتنا وحكمتنا في ذريته من ولد من ولد اسحق
واسمعيل عليهما السلام النبوة فلم يكن بعده نبي اجنبي عنه بل جميع
الانبيا من ذرية اسحق الا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانه من ذرية
اسماعيل قال بعض العلما فان قيل ان الله جعل في ذريته النبوة
اجابة لدعائه والوالد يسوي بين اولاده فكيف صارت النبوة في ولد
اسحق اكثر اجيب بان الله تعالى قسم الزمان من وقت ابراهيم
الى يوم القيمة قسمين والناس اجمعين فالقسم الاول من الزمان بعث الله
فيه انبيا فيهم فضائل جمة وجاوا تترا واحدا بعد واحد ومجتمعين في
عصر واحد كلهم من ذرية اسحق عليه السلام ثم في القسم الثاني من
الزمان اخرج من ذرية ولده اسماعيل عليه السلام واحدا اجتمع فيه

ما كان فيهم

ما كان فيهم وارسله الى كافة الخلق وهو محمد صلى الله عليه وسلم وجعله
خاتم النبيين وقد دام الخلق على دين اولاده اسحق اكثر من اربعة الاف سنة
ولا يبعد ان تبقى الخلق على دين ذرية اسمعيل ذلك المقدار والكتاب فلم
ينزل كتاب الا على اولاده فان قيل لم افرد الكتاب مع انها اربعة التوراة
والانجيل والزبور والفرقان اجيب بانه افرده ليدل مع تناوله الجنسية
الكتب الاربعة لانه لا شي يستحق ان يكتب الا ما انزل فيها او كان راجعا
اليها ولو جمع لم يفد هذا المعنى واتيناه اجره على هجرته اجره بما
خصصناه به مما لا يقدر عليه غيرنا من سعة الرزق ورغد العيش
وكثرة الولد والخدم في الشيخوخة وكثرة النسل والثنا الحسن
والمحبة من جميع الخلق وغير ذلك قال الرازي وفي الاية لطيفة
وهي ان الله تعالى بدل جميع احوال ابراهيم عليه السلام في الدنيا
باضدادها لما اراد القوم تعذيبه بالنار كان وحيدا فريدا فبدل
الله تعالى وحدته بالكثرة حتى ملا الدنيا من ذريته ولما كان اولا قومه
واقاربه القريبة ضالين مضلين من جملتهم ازر بدل الله تعالى اقاربه
باقارب مهتدين هادين من ذريته الذين جعل فيهم النبوة والكتاب
وكان اولا لا جاه له ولا قوله مال وهما غاية اللذة الدنيا واتاه الله من
المال والجاه حتى كان له من المواشي ما علم الله تعالى عدده حتى قيل انه
كان له اثنا عشر الف كلب حارس باطواق الذهب واما الجاه فصار
بحيث تقرن الصلاة عليه بالصلاة على سائر الانبيا الى يوم القيمة فصار
معروفا بشيخ المرسلين بعد ان كان خاملا حتى قال قايلهم سمعنا فتى يذكرهم
يقال له ابراهيم وهذا الكلام لا يقال الا لمجهول الناس في الدنيا وانه في الاخرة
اي التي هي الدار ومحل الاستقرار لمن الصالحين اي الذين خصصناهم
بالسعادة وجعلنا لهم الحسنى وزيادة مثل ادم ونوح وفي اعراب قوله
تعالى ولوطا ما تقدم في اعراب نصب ابراهيم اذ اي حين قال لقومه
اهل سدوم الذين سكن فيهم وصاهرهم وانقطع اليهم فصاروا قومه
حين فارق عمه ابراهيم الخليل عليه السلام منكرا ما راى من حالهم وقبح
فعالهم موكدا له قال لقومه ائنكم لتاتون الفاحشة وهي ادبار الرجال
المجاوزة للحد في القبح فكانها لذلك لا فاحشة غيرها ثم علل كونها فاحشة
استينافا بقوله ما سبقكم بها اي في حال مبينة لعظيم جراتهم على المنكر
اي غير مسبوقين به واغرق في النفي بقوله من احد وزاد بقوله من
العالمين اي كلهم من الانس والجن اي فضلا عن خصوص الناس
ثم كرر الانكار تاكيدا للتجاوز قبحها الذي ينكرونه بقوله ائنكم
لتاتون الرجال اتيان الشهوة وعطف عليها ما ضموه اليها من المناكر

بقوله وتقطعون السبيل اي طريق المارة بالقتل واخذ المال بفعلكم
الفاحشة بمن يمر بكم فترك الناس المرور بكم او تقطعون سبيل النسل
بالاعراض عن الحرث واتيان ما ليس بحرث وتاتون في ناديكم المنكر اي تفعلون
في مجلسكم فعل الفاحشة بعضكم ببعض وهو مما تنكره الشرايع والمروات
والعقول وانتم لا تتحاشون عن شي منه في المجمع الذي يتحاشى فيه الانسان
من عقل خلاف الاولى من غير ان يستحي بعضكم من بعض قال ابن عباس
المنكر هو الحذف بالحصاة والرمي بالبنادق والفرقعة ومضغ العلك
والسواك بين الناس وحل الازرار والسباب والتضارط في مجالسهم
والفحش والمزاح وعن عايشة كانوا يتحابقون وقيل السخرية بمن يمر بهم
وقيل المجاهرة في ناديهم بذلك العمل وكل معصية فاظهارها
اقبح من سترها ولذلك جا من خرق جلباب الحيا فلا غيبة له ولا يقال
للمجلس ناديا الا ما دام فيه اهله فاذا قاموا عنه لم يبق ناديا وعن مكحول
في اخلاق قوم لوط مضغ العلك وتطريف الاصابع بالحنا وحل الازرار
والصفير والخذف واللوطية ودل على عنادهم بقوله تعالى مسببا عن هذه
النصايح بالنهي عن تلك القبايح فما كان جواب قومه اي الذين فيهم
قوة وعندهم بحث يخشى باسهم ويتقى اذاهم لما انكر عليهم ما انكر
الا ان قالوا عنادا وجهلا واستهزاء ايتنا بعذاب الله وعبروا بالاسم
الاسم الاعظم زيادة في الجراة ان كنت من الصادقين اي في استقباح
ذلك وان العذاب نازل بنا عليه فان قيل قال قوم ابراهيم اقتلوه
او حرقوه وقال قوم لوط ايتنا بعذاب الله وما هددوه مع ان
ابراهيم كان اعظم من لوط فان لوطا كان من قومه اجيب بان ابراهيم
كان يقدح في دينهم ويشتم الهتهم ويعدد صفات نقصهم
بقوله لا يبصر ولا يسمع ولا ينفع ولا يغني وابراهيم في الدين صعب
فجعلوا جزاءه القتل والتحريق ولوط كان ينكر عليهم فعلهم
وينسبهم الى ارتكاب المحرم وهم ما كانوا يقولون ان هذا واجب
من الدين فلم يصعب عليهم مثل ما صعب على قوم ابراهيم كلام ابراهيم
فقالوا انك تقول ان هذا حرام والله يعذب عليه فان كنت صادقا
فاتنا بالعذاب فان قيل ان الله تعالى قال في موضع اخر فما كان
جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا ال لوط من قريتكم وقال هنا
فما كان جواب قومه الا ان قالوا ايتنا فكيف الجمع اجيب بان لوطا
كان ثابتا على الارشاد مكررا على النهي والوعيد فقالوا اولا ايتنا
ثم لما كثر ذلك منهم لم يسكت عنهم قالوا اخرجوا ولما ايس منهم
طلب النصرة من الله وذكرهم بما لا يحب الله بان اي لوط عليه السلام

معرضا

اي لوط عليه السلام معرضا عنهم مقبلا بكليته على المحسن اليه رب
صح

معرضا عنهم مقبلا بكليته على المحسن اليه قال اي ايها المحسن الي
انصرني على القوم اي الذين فيهم من القوة ما لا طاقة لي بهم معه المفسدين
اي العاصين باتيان الرجال ووصفهم بذلك مبالغة في استنزال العذاب
واشعارا بانهم احقا بان يجعل لهم العذاب ولما دعا لوط على قومه بقوله
رب الى اخره استجاب الله تعالى دعاه وامر مليكته باهلاكهم وارسلهم
مبشرين ومنذرين كما قال تعالى ولما جاءت واسقط ان لانه لم
يتصل القول باول المجي بل كان عليه السلام والضيافة وعظم
الرسل بقوله تعالى رسلنا اي من المليكة تعظيما لهم في انفسهم ابراهيم
بالبشرى اى باسحاق ولداله ويعقوب ولدا لاسحاق عليهما السلام
اي السلام عليهم السلام لابراهيم عليه السلام قالوا اي الرسل
عليهم السلام لابراهيم عليه السلام بعد ان بشروه وتوجهوا نحو
سدوم انا مهلكوا اهل هذه القرية اي قرية سدوم والاضافة لفظية لان
المعنى الاستقبال ثم عللوا ذلك بقولهم ان اهلها كانوا ظالمين اي غريقين
ح في هذا الوصف فلا حيلة في رجوعهم عنه فان قيل قال تعالى في قوم نوح
فاخذهم الطوفان وهم ظالمون ففي ذلك اشارة الى انهم كانوا ظالمين
على ظلمهم حين اخذهم ولم يقل وهم ظالمون اجيب بانه لا فرق في الموضعين
في كونهما مهلكين وهم مصرون على الظلم لكن هناك الاخبار من الله تعالى
هنا على الماضي حيث قال فاخذهم وهم عند الوقوع في العذاب ظالمون وهنا
الاخبار من المليكة عن المستقبل حيث قالوا انا مهلكوا فذكروا ما امروا
به فان الكلام عن الملك بغير اذنه سو ادب وهم كانوا ظالمين في وقت الامر
وكونهم يبقون كذلك لا علم لهم به ولما قالت المليكة لابراهيم ذلك قال لهم
موكدا انبيها على حالة ابن اخيه ان فيها لوطا ولم يقل عليه السلام
منهم لوط لانه نزيل عندهم تدرجا الى التصريح بالسوال فيه قالوا
اي الرسل لهم له نحن اعلم اي منك بمن فيها اي من لوط وغيره لننجينه
واهله الا امراته كانت من الغابرين اي الباقين في العذاب وهم العجزة ليعم
وجهها معهم الغيرة وقرا حمزة والكسائي بسكون النون الثانية وتخفيف
الجيم بعدها والباقون بفتح النون وتشديد الجيم بعدها ولما ان جاءت
رسلنا لوطا اي المعظمون بنا سي بهم اي حصلت المساة والغم بهم
اي بسببهم مخافة ان يقصدهم قومه بسو لما راي من حسن اشكالهم
وهو يظن انهم من الناس لانهم جاوا من عند ابراهيم اليه على صورة البشر
روي انهم كانوا يجلسون مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصا
فاذا مر بهم عابر سبيل حذفوه فايهم اصابوه اصابه كان اولى به وقيل
انه كان ياخذ معه وينكحه ويغرمه ثلاثة دراهم ولهم قاض بذلك

ولهذا يقال اجور من قاضي سدوم وضاق اي باعمال الحيلة في الدفع
عنهم بهم ذرعا اي ذرعه اي طاقته والاصل في ذلك ان من طال
ذراعه الى ما لا يناله قصيرها يضرب مثلا في العجز والقدرة ولما رواه
على هذه الحالة خفضوا عليه وقالوا له لا تخف انا رسل ربك لاهلاكهم
ولا تحزن اي على تمكنهم منا او على احد ممن يهلك ليس في احد منهم
خير يؤسف عليه بسببه فانهم وصلوا في الخبث الى حد لا مطمع في الرجوع
عنه مع ملازمته لدعائهم من غير ملل ولا ضجر ثم عللوا ذلك بقولهم
مبالغين في التاكيد انا منجوك اي مبالغون في انجائك وقولهم
واهلك منصوب على محل الكاف الا امراتك كانت من الغابرين فان قلت قيل
القوم عذبوا بسبب ما صدر منهم من الفاحشة وامراته لم يصدر منها
ذلك فكيف كانت من الغابرين معهم اجيب بان الدال على الشر كفاعله
كما ان الدال على الخير كفاعله وهي كانت تدل القوم على ضيوف لوط حتى
كانوا يقصدونهم فبالدلالة صارت كاحدهم فان قيل ما مناسبة
قولهم انا منجوك لقولهم لا تخف ولا تحزن فان خوفه ما كان على نفسه
اجيب بان لوطا لما ضاف عليهم وحزن عليهم لاجلهم قالوا له لا تخف
علينا ولا تحزن لاجلنا فانا ملئكة ثم قالوا له يا لوط خفت علينا وحزنت
ففي مقابلة خوفك وقت الخوف نزيل خوفك وننجيك وفي مقابلة
حزنك نزيل حزنك ولا نتركك تفجع في اهلك فقالوا انا
منجوك واهلك وقرا ابن كثير وشعبة وحمزة والكسائي بسكون النون
وتخفيف الجيم والباقون بفتح النون وتشديد الجيم ثم انهم بعد بشارة
لوط بالنجية قالوا له انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا اي
عذابا من السما فهو عظيم وقعه شديد صدعه واختلف في ذلك الرجز
فقيل حجارة وقيل نار وقيل خسف وعلى هذا يكون المراد ان الامر
بالخسف والقضا به من السما وقرا ابن عامر بفتح النون وتشديد
الزاي والباقون بسكون النون وتخفيف الزاي تنبيه كلام الملائكة
مع لوط جرى على نمط كلامهم مع ابراهيم فقدموا البشارة على العذاب
انزال العذاب فقالوا انا منجوك ثم قالوا انا منزلون ولم يعللوا النجية
فلم يقولوا انا منجوك لانك نبي او عابد وعللوا الاهلاك فقالوا بما كانوا
يفسقون اي يخرجون في كل وقت من دائرة العقل والحيا كقولهم
هناك ان اهلها كانوا ظالمين ولما كان التقدير ففعلت رسلنا ما وعدوه
به من انجائه واهلاك جميع قراهم فتركناهم كان لم يسكنها احد عطف عليه
قوله تعالى ولقد تركنا اي بما لنا من العظمة منها اي من تلك القرية
اية اي علامة على قدرتنا على كل ما نريد بينة اي ظاهرة قال

ابن عباس

ابن عباس هي اثار منازلهم الخربة وقال قتادة هي الحجارة التي اهلكوا
بها ابقاها الله تعالى حتى ادركها اوائل هذه الامة وقال مجاهد هو
الماء الاسود على وجه الارض فائدة اتفق القرا على ادغام الدال في التاء
تنبيه في هذه الاية اشارة الى غفلة المخاطبين بهذه القصة الفصحاء
من العرب وغيرهم وانهم ليس بينهم وبين الهدى الا تفكرهم في امرهم مع
الانخلاع مع الهوى وانما يكون ذلك لقوم يعقلون اي يتدبرون
فعدمن لم يستبصر بذلك غير عاقل تنبيه ههنا اسئلة الاول
كيف جعل الاية في نوح وابراهيم بالنجاة فقال وانجيناه واصحاب
السفينة وجعلناها اية وقال فانجاه الله من النار ان في ذلك لايات
وجعل ههنا الهلاك اية الثاني ما الحكمة في قوله تعالى في السفينة
وجعلناها اية ولم يقل بينة وقال هنا بينة الثالث ما الحكمة في
في قوله تعالى هناك للعالمين وقال ههنا لقوم يعقلون اجيب
عن الاول بان الاية في ابراهيم كانت في النجاة لان في ذلك الوقت
لم يكن اهلاك واما نوح فلان الانجاس الطوفان الذي على الجبال بامر
امر عجيب الهي وما به النجاة وهو السفينة كان باقيا والغرق لم
يبق له بعد اثر فجعل الباقي اية واما ههنا فنجاة لوط لم تكن بامر
يبقى اثره للحس والهلاك اثره محسوس في البلاد فجعل الاية الامر
الباقي في ههنا البلاد وهناك السفينة وههنا لطيفة وهي ان الله
تعالى اية قدرته موجودة الانجا والاهلاك فذكر من كل باب اية
وقدم ايات الانجا لانها اثر الرحمة واخر ايات الهلاك لانها اثر
الغضب ورحمته سابقة وعن الثاني بان الانجا بالسفينة لا يفتقر
الى امر اخر واما الاية ههنا الخسف وجعل ديارهم المعمورة عاليها
سافلها وهو ليس بمعتاد وانما ذلك بارادة قادر تخصصه بمكان
دون مكان وزمان دون زمان فهي بينة لا يمكن الجاهل ان يكون كذلك
فيقال له لو دام الماء حتى ينفد زادهم كيف كان يحصل لهم النجاة ولو سلط
الله عليهم الريح العاصفة كيف تكون احوالهم وعن الثالث فتكون
فالسفينة معلومة موجودة في جميع اقطار العالم فعند كل قوم مثال
السفينة يتذكرون بها حالة نوح واذا ركبوها يطلبون من الله النجاة ولا
يثق احد بمجرد السفينة بل يكون دايما بخوف القلب متضرعا الى الله
تعالى طالبا للنجاة واما اثر الهلاك في بلاد لوط ففي موضع مخصوص
لا يطلع بها الا من مر بها ويصل اليها ويكون له عقل يعلم ان ذلك من الله
تعالى وارادته بسبب اختصاصه بمكان دون مكان ووجوده في زمان دون
زمان ولما كان شعيب عليه السلام قد ابتلي بتكذيب قومه اتبع قصته

لقصة لوط بقوله تعالى وإلى مدين اي ولقد ارسلنا او بعثنا الى مدين اخاهم من النسب لا والبلد شعيبا ومدين اسم رجل في الاصل وجعل وله ذرية فاشتهر في القبيلة كتميم وقيس وغيرهما وقيل اسم ما نسب القوم اليه فاشتهر القوم قال الرازي والاول كانه اصح لان الله تعالى اضاف الى مدين بقوله تعالى ولما ورد ماء مدين ولو كان اسم ما لكانت الاضافة غير صحيحة او غير حقيقية والاصل في الاضافة التغاير حقيقة فان قيل قال تعالى في نوح ولقد ارسلنا نوحا الى قومه قدم نوحا في الذكر وعرف القوم بالاضافة اليه وكذلك في ابراهيم ولوط وهاهنا ذكر القوم اولا واضاف اليهم اخاهم شعيبا فما الحكمة في ذلك اجيب في ان الاصل في الجميع ان يذكر القوم ثم يذكر رسولهم لان الرسل لا تبعث الى غير معينين وانما تبعث الرسل الى قوم محتاجين الى الرسل فيرسل الله تعالى اليهم من يختاره غير ان قوم نوح وابراهيم ولوط لم يكن لهم اسم خاص مخصوص ولا نسبة مخصوصة يعرفون بها فعرفوا بالنبي فقيل قوم نوح وقوم لوط فاما قوم شعيب وهود وصالح فكان لهم نسب معلوم اشتهروا به عند الناس فجري الكلام على اصله وقال تعالى والى عاد اخاهم هودا والى مدين اخاهم شعيبا فقال اي فتسبب عن ارساله وتعقبه ان قال يا قوم اعبدوا الله اي الملك الاعلى وحده ولا تشركوا به شيا فان العبادة التي فيها شرك ظاهر او خفي عدم لان الله تعالى اغنى الشركاء فهو لا يقبل الا ما كان له خالصا فان قيل لم يذكر عن لوط انذار قومه بالعبادة والتوحيد وذكر عن شعيب ذلك اجيب بان لوطا كان من قوم لوط ابراهيم وفي زمانه وكان ابراهيم سبقه بذلك واجتهد فيه حتى اشتهر الامر بالتوحيد عند الخلق من ابراهيم فلم يحتج ابراهيم لوطا الى ذكره وانما ذكر ما اختص به من المنع من الفاحشة وغيرها وان كان هو ابدا يامر بالتوحيد اذ ما من رسول الا ويكون اكثر كلامه في التوحيد واما شعيب فكان بعد انقراض ذلك الزمن وذلك القوم فهو هو اصلا في التوحيد فبدا به ولما كان السياق لاقامة الادلة على البعث الذي هو من مقاصد السورة قال وارجوا اليوم الاخر اي وافعلوا ما ترجون به العاقبة فاقيم المسبب مقام السبب او امروا بالرجا والمراد اشتراط ما يسوغه من الايمان كما يومر الكافر بالشرعيات على ارادة الشرط وقيل هو من الرجا بمعنى الخوف ولا تعثوا في الارض حال كونكم مفسدين اي متعمدين الفساد ولما تسبب عن هذا النصح وتعقبه تكذيبهم فتسبب عنه وتعقبه اهلاكهم تخفيفا لان اهل الساب لا يبقون قال تعالى فكذبوه في ذلك فان قيل ما حكاه الله عن شعيب امر ونهي والامر لا يكذب

ولا يصدق

ولا يصدق فان من قال لغيره اعبد الله لا يقال له كذبت اجيب بان شعيبا كان يقول الله واحد فاعبدوه والحشر كائن فارجوه والفساد محرم فلا تقربوه وهذه فيه اخبارات فكذبوه فيما اخبر به فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة الشديدة وعن الضحاك صيحة جبريل لان القلوب رجفت لها فاصبحوا في دارهم اي في بلدهم او دورهم فاكتفى بالواحد ولم يجمع لامن اللبس جاثمين اي باركين على الركب ميتين فان قيل قال تعالى في الاعراف وهاهنا فاخذتهم الرجفة وقال في هود فاخذتهم الصيحة والحكاية يد واحدة اجيب بانه لا تعارض بينهما لان الصيحة كانت سببا للرجفة لان جبريل لما صاح تزلزلت الارض من صيحته فرجفت قلوبهم والاضافة الى السبب لا تنافي الاضافة الى سبب السبب فان قيل ما الحكمة في انه اذا قال فاخذتهم الصيحة قال في ديارهم وحيث قال فاخذتهم الرجفة قال في دارهم اجيب بان المراد من الديار هو الدار والاضافة الى الجمع يجوز ان تكون بلفظ الجمع وان تكون بلفظ الواحد اذا امن اللبس كما مر وانما اختلف اللفظ للطيفة وهي ان الرجفة هائلة في نفسها فلم يحتج الى تهويل بها واما الصيحة فغير هائلة لكن تلك الصيحة لما كانت عظيمة حتى احدثت الزلزلة في الارض ذكر الديار بلفظ الجمع حتى تعلم هيئتها والرجفة بمعنى الزلزلة عظيمة عند كل احد فلم يحتج الى معظم لامرها ولما كان معنى ختام قصة مدين فاهلكناهم عطفا على ذلك المعنى قوله تعالى وعادا اي واهلكنا عادا وثمودا مع ما كانوا فيه من العتو والتكبر والعلو لان من المقاصد العظيمة الدلالة على اتباع بعض هذه الامم بعضا في الخير والشر على نسق والجري بهم في اهلاك المكذبين وانجا المصدقين طبقا عن طبق وقرا حفص وحمزة في الوصل وثمود بغير تنوين على تاويل القبيلة وفي الوقف بسكون الدال والباقون بالتنوين وفي الوقف بالالف وقد تبين لكم اي ما حل بهم من مساكنهم اي ما وصف من هلاكهم وما كانوا فيه من شدة الاجسام وسعة الاحكام وعلو الاهتمام وثقوب الاذهان وعظم الشان عند مروركم بتلك المساكن ونظركم اليها في سفركم في التجارة الى الشام فصرفوا في الاشتغال قبال على الاستمتاع بالعرض الفاني من هذه الدنيا فاملوا بعيدا وبنوا مشيدا ولم يغن عنهم شي من ذلك شيئا من امر الله وزين لهم الشيطان البعيد من الرحمة المحترق باللعنة بقوة احتياله ومحبوب ضلاله ومحاله اعمالهم اي الفاسدة من الكفر والمعاصي فاقبلوا بكليتهم عليها فصدهم اي فتسبب عن ذلك صدهم عن السبيل اي منعهم من سلوك الطريق الذي لا طريق لهم الا هو لكونه يوصل الى النجاة وغيره

يوصل الي الهلاك ولما كان ذلك ربما ظن لفرط عبادتهم قال وكانوا مستبصرين
اي معدودين بين الناس من البصرا العقلا. لما كان فرعون ومن ذكر معه من العتو
بمكان لا يخفي لما اتوا من القوة بالاموال والرجال قال وقارون اي اهلكناه
وقومه لان وقوعه في اسباب الهلاك اعجب لكونه من بني اسرائيل ولانه ابتلي
بالمال والعلم فكان ذلك سبب اعجابه فتكبر علي موسي وهرون عليهما السلام
فكان ذلك سبب هلاكه وفرعون وهامان وزيره الذي اوقد له علي الطين
فباع سعادته بكونه ذنبا لغيره ولقد جاءهم من قبل موسي بالبينات اي
بالحجج الظاهرات التي لم تدع لبسا فاستكبروا اي تطلبوا ان يكونوا اكبر من
كل كبير بان كانت افعالهم افعال من يطلب ذلك في الارض بعد مجي
موسي عليه السلام اليهم اكثر مما كانوا قبله وما كانوا سابقين اي
فايتين بل ادركهم امر الله من سبق طالبه اذا فاته فكلا اخذنا بذنبه اي احذنا
عقوبة ليعلم انه لا احد يعجزنا فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا اي ريحا عاصفا
فيها حصبا كقوم لوط وعاد ومنهم من اخذته الصيحة اي التي تظهر
بشدتها الريح الحاملة لها الموافقة لقصدها فترجف لعظمتها الارض
كمدين وثمود ومنهم من خسفنا به الارض بان غيبناه فيها كقارون
وجماعته ومنهم من اغرقنا بالغمر في الماء كقوم نوح وفرعون وقومه
وعذاب قوم صالح المعد في الاغراق والمعد في الخسف قتادة تهلك
بريح تقذف بالحجارة كقوم لوط او من الارض كعاد وما كان الله
اي الذي لا شي من الجلال والكمال الا له. ليظلمهم
اي فيعذبهم بغير ذنب ولكن كانوا انفسهم اي لا غيرها يظلمون
بارتكاب المعاصي ولم يقبلوا النصح من عجزهم ولا يخافوا العقوبة
علي ضعفهم ولما بين تعالي انه اهلك من اشرك عاجلا وعذب من كذب
اجلا ولم ينفعه معبوده مثل تعالي اتخاذه ذلك معبودا كاتخاذ
العنكبوت بيتا فقال مثل الذين اتخذوا اي تكلفوا اي اتخذوا من
دون الله اي الذي لا كفو له ورضوا بالدون الذي لا ينفع ولا يضر
عمن لا تكتفيه الاوهام والظنون اولياء ينصرونهم بزعمهم من معبودات
وعزها في الضعف والهون كمثل العنكبوت اي الدابة المعروفة
ذات الارجل الكثيرة الطوال اتخذت بيتا اي تكلفت اخذه في صنعها
له ليقيها الرد او يحميها البلا كما تكلف هولاء اصطناع اربابهم
لينفعوهم ويحفظوهم بزعمهم فكان ذلك البيت مع تكلفها في امرها
وتعبها الشديد في شانها به في غاية الوهن وان اي والحال ان
اوهن البيوت اي اضعفها لبيت العنكبوت لا يدفع عنها حرا ولا
بردا كذلك الاصنام لا تنفع عابديها لو كانوا يعلمون اي لو كانوا

اخذنا بذنبه صح

يعلمون

يعلمون انما هذا مثلهم وان امر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن وايضا انه
اذا صح تشبيه ما اعتمدوه في دينهم ببيت العنكبوت فقد تبين
ان دينهم اوهن الاديان لو كانوا يعلمون اي لو كان لهم نوع من العلم
لانتفعوا به فعلموا ان هذا مثلهم فابعدوا عن اعتقاد ما هذا مثله
ولقايل ان يقول مثل المشرك الذي يعبد الوثن بالقياس الي المومن
الذي يعبد الله مثل عنكبوت يتخذ بيتا بالاضافة الي رجل يبني
بيتا باجر وجص او ينحته من صخر كما ان اوهن البيوت اذا استقريتها
بيتا بيتا بيت العنكبوت كذلك الاديان اذا استقريتها دينا دينا
عبادة الاوثان فان قيل لم مثل تعالي باتخاذ العنكبوت ولم يمثل بنسجها
اجيب بان نسجها فيه فايدة ولولاه لما حصلت وهو اصطياد الذباب
من غير ان يفوتها ما هو اعظم منه واتخاذهم الاوثان يفيدهم ما هو اقل
من الذباب من متاع الدنيا ولكن يفوتهم ما هو اعظم منها وهو الدار
الاخرة التي هي خير وابقي فليس اتخاذهم كنسج العنكبوت تنبيه
نون العنكبوت اصلية والواو والتا مزيدتان بدليل جمعه علي عناكب
وتصغيره عنيكب ويذكر ويونث فمن التانيث قوله تعالي اتخذت
ومن التذكير قول القايل
علي مطالهم منهم بيوت ۝ كان العنكبوت لهو ابتناها
وهذا مطرد في اسما الاجناس تذكر وتونث وقرا ورش وابو عمرو وحفص
البيوت بضم البا والباقون بكسرها ولما كان ضرب المثل بالشي لا يصح الا
من العالم بذلك الشي قال تعالي ان الله اي الذي له صفات الكمال
يعلم ما يدعون اي يعبدون من دونه اي غيره من شي اي
سوا كان منها ام انسيا ام جنا وهو العزيز في ملكه الحكيم في
صنعه وقرا ابو عمرو وعاصم يدعون بالبا التحتية والباقون بالفوقية
ولما ذكر مثلهم وما تتوقف صحته عليه كان كانه قيل علي وجه التعظيم
لهذا المثل هذا مثلهم فعطف عليه قوله تعالي اشارة الي امثال القران
كلها تعظيما لها وتنبيها علي جليل قدرها وعلو قدرها وعلو شانها
وتلك الامثال اي العالية عن ان تنال بنوع احتيال ثم استانف
قوله تعالي نضربها اي بما لنا من العظمة بيانا للناس اي تصويرا
للمعاني المعقولات بصور المحسوسات لعلها تقرب من عقولهم فينتفعوا
بها وهكذا حال التشبيهات كلها هي طرق للافهام الي المعاني
المحتجبة في الاستار تبرزها وتكشف عنها وتصورها روي ان الكفار
قالوا كيف يضرب خالق الارض والسموات الامثال بالهوام والحشرات
كالذباب والبعوض والعنكبوت فقال تعالي تجهيلا لهم وما يعقلها

اي حق عقلها الا العالمون اي الذين هيوا للعلم وجعل طبعا لهم بما بث
في قلوبهم من انواره واشرق في صدورهم من اسراره فهم يعقلون
الاشيا مواضعها روي الحارث بن ابي اسامه عن جابر ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال العالم الذي عقل عن الله وعمل بطاعته واجتنب
سخطه قاله البغوي والمثل كلام سائر يتضمن تشبيه الاخر بالاول
يريد امثال القران التي يشبه بعضها احوال كفار هذه الامة باحوال
كفار الامم المتقدمة ولما قدم تعالى انه لا معجز له سبحانه ولا ناصر لمن خذله
استدل على ذلك بقوله تعالى خلق الله اي الذي لا يداني في عظمته السموات
والارض بالحق اي الحق الامر الذي يطابقه الواقع او بسبب اثبات الحق
وابطال الباطل او بسبب انه محق قاصد به باطلا فان المقصود بالذات
من خلقهما افاضة الجود والدلالة على ذاته وصفاته كما اشار اليه بقوله تعالى
ان في ذلك لاية اي دلالة ظاهرة على قدرته تعالى للمومنين واخص
المومنون بذلك لانهم المنتفعون به ثم خاطب تعالى راس اهل الايمان
بقوله تعالى اتل ما اوحي اليك من الكتاب اي القران الجامع لكل خير لتعلم ان
نوحا ولوطا وغيرهما كانوا على ما انت عليه بلغوا الرسالة وقاموا بالغوا
في اقامة الدلالة ولم ينقذوا قومهم من الضلالة وهذا تسلية للنبي
صلى الله عليه وسلم ولما ارشد تعالى الى مفتاح العلم دل على قانون
العمل بقوله تعالى واقم الصلاة اي التي هي احق العبادات ثم علل ذلك
بقوله تعالى ان الصلاة تنهى اي توجد النهي وتجدده للمواظب على
اقامتها بجميع حدودها عن الفحشا اي عن الخصال التي بلغ قبحها والمنكر
وهو ما لم يعلم في الشرع فان قيل كم من مصل يرتكبه اجيب بان
الصلاة التي هي الصلاة عند الله المستحق بها الثواب ان يدخل
فيها للتوبة النصوح متقيا لقوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين ويصليها
خاشعا بالقلب والجوارح فقد روي عن حاتم كان رجلي على الصراط
والجنة عن يميني والنار عن شمالي وملك الموت من فوقي واصلي بين الخوف
والرجا فمحوطها بعد ان يصليها ولا يحبطها فهي الصلاة التي تنهى عن
الفحشا والمنكر قال ابن مسعود وابن عباس في الصلاة منتهى ومزدجر
عن معاصي الله فمن لم تامره صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم يزدد
بصلاته الا بعدا وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلاته عن الفحشا
والمنكر فصلاته عليه وبال وقيل من كان مراعيا للصلاة جره ذلك الى
ان ينتهي عن السيئات يوما فقد روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ان فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال ان صلاته لتردعه
وروي ان فتى من الانصار كان يصلي معه الصلوات ولا يدع شيا من الفواحش

الاركبه

الا ركبه فوصف له فقال ان صلاته ستنهاه فلم يلبث ان تاب وقال ابن
عون معنى الاية ان الصلاة تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر ما دام فيها
وعلى كل حال فان المراعي للصلاة لا بد ان يكون ابعد من الفحشا والمنكر من غيرها
عيها
وايضا فكم من مصلين تنهاهم الصلاة عن الفحشا والمنكر واللفظ لا يقتضي
ان لا يخرج واحد من المصلين عن قضيتها كما تقول ان زيدا ينهى عن المنكر
فليس غرضك انه ينهى عن جميع المناكر وانما تريد ان هذه الخصلة موجودة
فيه وحاصلة منه من غير اقتضا العموم وقيل المراد بالصلاة القران كما قال
تعالى ولا تجهر بصلاتك اي بقراءتك واراد به من يقرا القران في الصلاة ثم
فالقران ينهاه عن الفحشا والمنكر روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ان رجلا يقرا القران كله ويصبح سارقا قال ستنهاه قراءته ولما كانت
الناهية في الحقيقة انما هو ذكر الله اتبع ذلك بقوله تعالى ولذكر الله اكبر اي
لان ذلك المستحق لكل صفات كمال اكبر من كل شي فذكر الله تعالى افضل الطاعات
قال صلى الله عليه وسلم الا انبيكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم
وارفعها في درجاتكم وخير من اعطا الذهب والفضة وان تلقوا عدوكم فتضربوا
اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا وماذاك يا رسول الله قال ذكر الله وسيل
صلى الله عليه وسلم اي العبادة افضل عند الله درجة يوم القيمة قال
الذاكرون الله كثيرا قالوا يا رسول الله ومن الغازي في سبيل الله فقال لو
ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان
الذاكر الله كثيرا افضل منه درجة وروي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم مر على جبل في طريق مكة يقال له جمدان فقال سيروا هذا جمدان
سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا
والذاكرات او والصلاة اكبر من غيرها من الطاعات وسماها بذكر الله
كما قال تعالى فاسعوا الى ذكر الله وانما قال ولذكر الله اكبر ليستقل بالتعليل
كانه قال ولا الصلاة اكبر لانها ذكر وعن ابن عباس ولذكر الله تعالى اياكم
برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته وقال عطا ولذكر الله اكبر من ان تبقى معه
معصية والله اي المحيط علما وقدرة يعلم اي في كل وقت ما تصنعون من
الخير والشر فيجازيكم على ذلك ولما بين تعالى طريقة ارشاد المشركين بين
طريقة ارشاد اهل الكتاب بقوله ولا تجادلوا اهل الكتاب اي اليهود والنصارى
ظنا منكم ان الجدال ينفع او يزيد في اليقين او يرد احدا عن ضلال مبين الا
بالتي اي المجادلة التي هي احسن كمعارضة الخشونة باللين والغضب
بالكظم والدعا الى الله تعالى باياته والتنبيه على حججه كما قال تعالى ادفع
بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم بان حاربوا وابوا ان يقروا بالجزية
فجادلوهم بالسيف بان يسلموا او يعطوا الجزية فجادلوهم بالسيف

وقيل الا الذين اذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الا الذين اثبتوا
الولد والشريك وقالوا يد الله مغلولة وعن قتادة الاية منسوخة
بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا مجادلة اشد
من السيف ولما بين تعالى من موجب الجدال فامر بالانعطاف بقوله تعالى
وقولوا اي لمن قبل الاقرار بالجزية اذا اخبروكم بشيء مما في كتبهم امنا بالذي
انزل الينا اي من هذا الكتاب المعجز وانزل اليكم من كتبكم اي لانه في
اصل حق وان كان قد نسخ منه ما نسخ وان حدثوكم منه بشيء وليس عندكم
ما يصدقه ولا ما يكذبه فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم لما روى ابو داود
انه قال صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا
امنا بالله وكتبه ورسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقا فلا
تكذبوهم اي فان هذا ادعى الى الانصاف وانفى للخلاف ولما لم يكن هذا
جامعا للفريقين اتبعه بما يجمعه بقوله تعالى والهنا والهكم واحد اي لا اله
لنا غيره وان ادعى بعضكم عزيرا والمسيح ونحن اي خاصة
له مسلمون اي خاضعون منقادون اتم انقياد فيما يامرنا به بعد الاصول
من الفروع سواء كانت موافقة لفروعكم كالتوجه بالصلاة الى بيت المقدس
او ناسخة كالتوجه الى الكعبة ولا نتخذ الاحبار والرهبان اربابا
من دون الله لناخذ ما يشرعونه لنا مخالفا لكتابه وسنة نبيه صلى الله
عليه وسلم وكذلك اي ومثل ذلك الانزال الذي انزلناه الى انبيائهم
من التوراة وغيرها انزلنا اليك الكتاب اي القران مصدقا لسائر الكتب
الالهية وهو تحقيق لقوله تعالى فالذين اتيناهم الكتاب اي التوراة كعبد الله
ابن سلام وغيره يؤمنون به اي القران ومن هؤلاء اي من اهل مكة او ومن
في عهده صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب من يؤمن به وهم مؤمنوا
اهل مكة واهل الكتابين وما يجحد اي يؤمن قال قتادة والجحود انما
يكون بعد المعرفة باياتنا اي التي جاوزت اقصى غاية العظمة حتى استحقت
الينا الا الكافرون اي اليهود ظهر لهم ان القران حق وان الجائي به محق
وجحدوا ذلك وهذا تنفير عما هم عليه يعني انكم امنتم بكل شيء وامتزتم
عن المشركين بكل فضيلة الا هذه المسألة الواحدة وبانكارها
تلحقون بهم وتعطلون مزاياكم فان الجاحد باية يصير كافرا وما اي
انزلنا اليك والحال انك ما كنت تتلوا اي تقرا اصلا من
قبله اي هذا الكتاب الذي انزلناه اليك واكد استغراق الكتب
بقوله تعالى من كتاب اصلا ولا تخطه اي تجدد وتلازم خطه وتصوير
الخط واكد بقوله بيمينك فان قيل ما فائدة قولك بيمينك اجيب
بانه ذكر اليمين التي هي اقوى الجارحتين يزاول بها الخط زيادة تصوير

تنفير

لما نفي

لما نفي عنه من كونه كاتبا الا ترى انك اذا قلت في الاثبات رايت الامير يخط
هذا الكتاب بيمينه كان اشد لاثباتك انه تولى كتبه فكذلك النفي وفي
ذلك اشارة لا تحدث الريبة في امره لعاقل الا بالمواظبة القوية التي ينشأ
عنها ملكة فكيف اذا لم يحصل اصل الفعل ولذلك قال تعالى اذا اي لو كنت
ممن يخط ويقرا لارتاب اي لشك المبطلون اي اليهود فيك وقالوا الذي
في التوراة انه امي لا يقرا ولا يكتب او لارتاب مشركوا مكة وقالوا لعله
تعلمه او التقطه من كتب الاقدمين وكتبه بيده فان قيل لم سماهم مبطلين
ولو لم يكن اميا وقالوا ليس بالذي نجده في كتبنا لكانوا صادقين محقين
ولكان اهل مكة ايضا على حق في قولهم لعله تعلمه او كتبه بيده فانه كاتب قارئ
اجيب بانه سماهم مبطلين لانهم كفروا به وهو امي بعيد من الريب فكانه
قال هؤلاء المبطلون في كفرهم به لو لم يكن اميا لارتابوا اشد الريب فحين ليس
بقارئ ولا كاتب فلا وجه لارتيابهم وايضا سائر الانبياء لم يكونوا اميين
ووجب الايمان بهم وبما جاؤوا به لكونهم مصدقين من جهة الحكيم بالمعجزات
فهب انه قارئ كاتب فما لهم لا يؤمنون به من الوجه الذي امنوا به بموسى وعيسى
على ان المنزلين لنبينا معجزين وهذا المنزل معجز فاذن هم مبطلون حيث
لم يؤمنوا وهو امي ومبطلون حيث لم يؤمنوا وهو غير امي ولما كان التقدير
ولكنه لا ريب لهم ولا شبهة لقولهم انه باطل قال تعالى بل هو اي القران
الذي جئت به وارتابوا فيه فكانوا مبطلين كذلك على كل تقدير ايات
اي دلالات بينات اي واضحات جدا في الدلالة على صدقك في
صدور الذين اوتوا العلم اي المؤمنين يحفظونه فلا يقدر احد على تحريف
شيء منه لبيان الحق بينهم وفي ذلك اشارة الى انه خفاه عن غيرهم وقال
ابن عباس وقتادة بل هو يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ذو ايات
بينات في صدور الذين اوتوا العلم في اهل الكتاب لانهم يجدونه بنعته
ووصفه في كتبهم وما يجحد وكان الاصل به ولكنه اشار الى عظمته
بقوله تعالى باياتنا اي ينكرها بعد المعرفة على ما لها من العظمة بانتسابها
الينا والبيان الذي لا يجهله احد الا الظالمون اي المتوغلون في الظلم
المكابرون فان قيل ما الحكمة في قوله تعالى ههنا الا الظالمون
ومن قبل قال الكافرون اجيب انه ما من حرف ولا حركة في القران
الا وفيه فائدة ثم ان العقول البشرية تدرك بعضها ولا تصل
الى اكثرها وما اوتي البشر من العلم الا قليلا ولكن الحكمة ههنا انه
قبل بيان المعجزة قال لهم ان جحدتم هذه الاية لزمكم انكار ارسال
الرسل فتلتحقون في اول الامر بالمشركين حكما وتلتحقون عند
جحد هذه الاية بالمشركين حقيقة فتكونوا ظالمين اي مشركين

كما قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم فهذا اللفظ ههنا ابلغ ولما كان التقدير جحدوها
بما لهم من الرسوخ في الظلم ولم تعدوها ايات فضلا عن كونها عطف عليه قوله تعالى
وقالوا موهمين مكرا اظهارا للصفة بادنى ما يدل على الصدق لولا اي هلا
انزل عليه اي محمد صلى الله عليه وسلم على اي وجه من وجوه الانزال اية
اي تكون بحيث تدل قطعا على صدق الاتي بها من ربه اي الذي يدعي
اليه احسانه كما انزل على الانبيا قبله كناقة صالح وعصى موسى
ومايدة عيسى عليهم السلام لنستدل بها على صدق مقالته وصدقه
وصحة ما يدعيه من حاله وقرا نافع وابو عمرو وابن عامر وحفص ايات بالجمع
لان بعده قل انما الايات بالجمع اجماعا والباقون اية بالافراد لان غالب
ما جاء في القران كذلك ولما كان هذا انكار الشمس بعد شروقها ومكابرة
فيما تحدى به من المعجزات بعد حقوقها اشار اليه بقوله تعالى قل اي لهم
ارخا للعنان حتى كانك ما اتيتهم بشي انما الايات عند الله اي الذي
له الامر كله ينزل اينها شاء فلا يقدر على انزال شي منها غيره فانما الا له
هو لا سواه ولو شاء ان ينزل ما يقترحونه لفعل وانما انا نذير مبين اي
فليس من شاني الا الانذار وابانته بما اعطيته من الايات وليس لي
ان اقترح عليه الايات فاقول انزل علي اية كذا دون اية كذا على ان المقصود
من الايات الدلالة على الصدق وهي كلها في حكم اية واحدة في ذلك ولم يذكر
البشارة لانه ليس من اسلوبها وقوله تعالى اولم يكفهم جواب لقولهم
لولا انزل عليه ايات من ربه اي ان كانوا طالبين للحق غير متعنتين
اية مغنية عن كل اية انا انزلنا اي بما لنا من العظمة عليك الكتاب اي
القران الجامع لسعادة الدارين بحيث صار خلقا لك يتلى عليهم اي تتجدد
متابعة قراءته عليهم شيا بعد شي في كل مكان وفي كل زمان من كل تال
مصدقا لما في الكتب القديمة من نعتك وغيره من الايات الدالة على صدقك
فاعظم بداية باقية لا تزول ولا تضمحل اذ كل اية سواه منقضية
ماضية وتكون في مكان دون مكان فالقران اتم من كل معجزة لوجوه
الاول ان تلك المعجزات وجدت وما دامت فان قلبه العصى ثعبانا
واحيا الميت لم يبق لنا منه اثر تلوا انكره واحد لم يمكن اثباتها معه بدون
الكتاب واما القران فهو باق لو انكره واحد فيقال اية باية من مثله الثاني
ان قلب العصى ثعبانا كان في ان واحد ولم يره من لم يكن في ذلك المكان واما
القران فقد وصل الى المشرق والمغرب وسمعه كل احد وههنا لطيفة
وهي ان ايات النبي صلى الله عليه وسلم كانت اشيا لا تختص بمكان دون مكان
لان من جملتها انشقاق القمر وهو يعم الارض لان الخسوف اذا وقع
عم وذلك لان نبوته كانت عامة بقطر دون قطر وغاض بحر ساوه في قطر

وسقط ايوان كسرى في قطر وانهدت الكنيسة بالروم في قطر اخر اعلاما
بان يكون امرا عاما الثالث ان غير هذه المعجزة يقول الكافر المعاند هذا سحر
وعمل به والقران لا يمكن هذا القول فيه وقد قال ابو العباس المرسي
خشع بعض الصحابة في سماع بعض اليهود يقرا التوراة فعوتبوا اذ تخشعوا
من غير القران وهم انما تخشعوا من التوراة وهي كلام الله تعالى فما ظنك بمن
عرض عن كتاب الله وتخشع بالملاهي والغنا ولما كان هذا اعظم من كل اية
يقترحونها قال تعالى ان في ذلك اي انزال الكتاب على الوجه البعيد المنال
البعيد المثال لرحمة اي نعمة عظيمة في كل لحظة وتطهير لخبث النفوس
في كل لمحة وذكرى اي عظة عظيمة مستمرا ذكرها ولما تم بالقول خص من خص
النفع فقال لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون بذلك ولما كان من المعلوم انهم
يقولون نحن لا نصدق ان هذا الكتاب من عند الله فضلا عن ان يكتفى
به قال تعالى قل اي جوابا لما قد يقولونه من نحو هذا كفى بالله اي
الحائز لجميع العظمة وساير الكمالات بيني وبينكم شهيدا اي قد بلغتكم
ما ارسلت به اليكم ونصحتكم وانذرتكم وانتم قابلتموني بالجحد
والتكذيب وقد صدقني بالمعجزات وروي ان كعب بن الاشرف وغيره
قالوا يا محمد من يشهد لك انك رسول الله فنزلت ثم وصف الشهيد
وعلل كفايته بقوله يعلم ما في السموات اي كلها والارض اي كذلك لا يخفى
عليه شي من ذلك فهو عليم بما تنسبونه الي من التقول عليه وبما انسبه
اليه من هذا القران الذي شهد لي به عجزكم عنه فهو شاهدي والله هو
في الحقيقة هو الشاهد لي فيه بالثناء علي والشهادة لي بالصدق لانه
قد ثبت بالعجز عنه انه كلامه ولما بين تعالى الطريقين في ارشاد الفريقين
المشركين واهل الكتاب عاد الى الكامل الشامل لها والانكار العام
فقال والذين امنوا بالباطل اي وهو ما يعبد من دون الله وكفروا بالله اي
الذي يجب الايمان به والشكر له لان له الكمال كله وكل ما سواه هالك
ليس له من ذاته الا العدم اولئك اي البعدا البغضا هم الخاسرون
اي العريقون في الخسران فانهم خسروا انفسهم ابد الابدين
فان قيل قوله اولئك هم الخاسرون يقتضي الحصر فمن امن بالباطل وكفر
بالله فمن ياتي باحدهما دون لا يكون اجيب بانه يستحيل ان يكون الاتي
باحدهما لا يكون اتيا بالاخر لان المومن بما سوى الله تعالى مشرك لانه جعل غير
الله مثله وغير الله عاجز ممكن باطل فيكون الله تعالى كذلك ومن كفر بالله
تعالى وانكره فيكون قايلا بان العالم واجب الوجود له فيكون قايلا بايات
غير الله اله فيكون اثباتا لغير الله وايمانا به فان قيل اذا كان الايمان بما سواه
كفرا به فيكون كل من امن بالباطل فقد كفر بالله فهل لهذا العطف فايدة

احيب
عنه انا كيد الذي في قول القايل قم ولا تقعد واقرب مني ولا تبعد احيب
بان فيه فايدة غيرها وهو انه ذكر الثاني لبيان قبح الاول كقول القايل اتقول
بالباطل وتترك الحق لبيان ان القول بالباطل قبيح ولما انذرهم صلى الله
عليه وسلم واوعد بالعذاب ان لم يومنوا اخبر الله تعالى عنهم بقوله تعالى
ويستعجلونك بالعذاب نزلت في النضر بن الحارث قال فامطر علينا حجارة من
السما ان كنت من الصادقين ويجعلون تاخيره عنهم شبهة لهم فيما يزعمون
من التكذيب **ولولا اجل مسمى** اي قد ضرب لوقت عذابهم فلا تقدم فيه ولا توخر
لجاءهم العذاب وقت استعجالهم لان القدرة تامة والعلم محيط **وليأتينهم**
بغتة اي فجاءة في الدنيا كوقعة بدر والاخرة عند نزول الموت بهم
وهم لا يشعرون بل هم في غاية الغفلة عنه والاشتغال بما ينسيه ثم
زاد في التعجب من جهلهم بقوله تعالى مبدلا **يستعجلونك بالعذاب** اي
يطلبون منك اتيانه بهم ناجزا ولو كان في غير وقته الاليق به ولو اعلموا
ما هم صايرون لتمنوا انهم لم يخلقوا فضلا عن ان يستعجلوا ولا عملوا
جميع جهدهم في الخلاص منه **وان جهنم** التي هي من عذاب الاخرة
لمحيطة بالكافرين اي ستحيط بهم يوم يأتيهم العذاب بل هي كالمحيطة
بهم الان لاحاطة الكفر والمعاصي التي توجبها بهم واتى بالظاهر موضع
المضمر تنبيها على ما استحقوا به عذابها وتعميما لكل من اتصف به ثم
ذكر تعالى كيفية احاطة جهنم بقوله تعالى **يوم يغشاهم العذاب** فعلم من
ذلك اي يجمعهم ويلصق بهم **من فوقهم ومن تحت ارجلهم** فعلم من ذلك احاطته
من جميع الجوانب فان قيل لم خص الجانبين ولم يذكر اليمين والشمال وخلف
وقدام اجيب بان المقصود ذكر ما تتميز به نار جهنم من نار الدنيا ونار
الدنيا تحيط بالجوانب الاربعة فان من يدخلها تكون الشعلة قدامه وخلفه
ويمينه ويساره واما النار من فوق لا تنزل وانما تصعد من الاسفل في العادة
وتحت الاقدام لا تبقى الشعلة بل تنطفي الشعلة التي تحت القدم ونار جهنم
تنزل من فوق ولا تنطفي بالدوس موضع القدم فان قيل ما الحكمة في قوله تعالى
من فوقهم ومن تحت ارجلهم ولم يقل من فوق رؤسهم ولا قال من فوقهم
ومن تحتهم بل ذكر المضاف عند ذكر تحت ولم يذكره عند ذكر فوق اجيب
بان ذكر نزول النار من فوق سواء اكان من سمت الراس ام من موضع اخر عجب
لان طبع النار الصعود الى فوق فلهذا لم يخصه بالروس واما بقاء النار تحت القدم
فهو عجب والا فمن جواب لقدم في الدنيا تكون الشعلة فذكر العجب وهو ما
تحت الارجل حيث لم تنطفئ بالدوس واما فوق فعلى الاطلاق وقوله تعالى
ونقول قراءة نافع والكوفيين بالياء اي الموكل بالعذاب من ملايكته
بامره والباقون بالنون اي نامر بالعذاب ولما بين عذاب اجسامهم بين عذاب

ارواحهم

٨٧

ارواحهم وهوانهم يقال لهم على سبيل التنكيل والاهانة **ذوقوا ما كنتم تعملون**
جعل ذلك عين ما كانوا يعملون مبالغة بطريق اسم التسبب على المسبب
فان عملهم كان سببا لعذابهم وهذا كثير في الاستعمال ولما ذكر تعالى حالة
المشركين على حدة وحال اهل الكتاب على حدة وجمعهما في الانذار وجعلهما
من اهل النار اشتد عنادهم وزاد فسادهم وسعوا في ايذا المومنين
ومنعهم من العبادة قال تعالى **يا عبادي الذين امنوا** فشرفهم بالاضافة
اليه **ان ارضي واسعة** اي في الذات والرزق وكل ما تريدون من الرفق
ان لم تتمكنوا بسبب هولاء المعاندين الذين يفتنونكم في دينكم قال مقاتل
والكلبي نزلت في ضعفا مسلمي مكة يقول الله تعالى ان كنتم في ضيق بمكة من
اظهار الايمان فاخرجوا منها فان ارض المدينة واسعة وكذا يجب على كل من
كل من كان في بلد يعمل فيها بالمعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك ان يهاجر
الى حيث تتهيا له العبادة ولكن صارت البلدان في زماننا كلها متساوية
فلا حول ولا قوة الا بالله وقرا بفتح اليا ابن عامر والباقون بتسكينها وقيل
نزلت في قوم تخلفوا عن الهجرة بمكة وقالوا نخشى ان هاجرنا من الجوع
وضيق فانزل الله تعالى هذه الاية ولم يعذرهم بترك الخروج وقال
مطرف بن عبد الله ارضي واسعة رزقي لكم واسع فاخرجوا وروى
الثعلبي عن الحسن البصري مرسلا من فر بدينه من ارض الى ارض ولو
كان شبرا استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد صلوات الله
وسلامه عليهما تنبيه قوله تعالى يا عبادي لا يدخل فيه الكافر لوجوه
الاول قوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان والكافر تحت سلطنة
الشيطان فلا يدخل في قوله تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
لا تقنطوا من رحمة الله ان العباد ماخوذة من العبادة والكافر لا يعبد
الله فلا يدخل في قوله تعالى عبادي وانما يختص بالمومنين الذين يعبدونه
الرابع الاضافة بين الله والعبد يقول العبد الهي ويقول الله عبدي فان
قيل اذا كان عباده لا يتناول الا المومنين فما الفايدة في قوله الذين
امنوا مع ان الوصف انما يذكر ليتميز الموصوف كما يقال يا ايها المكلفون المومنون
يا ايها الرجال العقلاء تمييزا بين الكافر والجاهل اجيب بان الوصف
يذكر لا للتمييز بل لمجرد بيان ان فيه الوصف كما يقال الانبيا المكرمون والملا
المطهرون مع ان كل نبي مكرم وكل ملك مطهر وانما يقال لبيان ان فيهم
الاكرام والطهارة ومثله قولنا الله العظيم فههنا ذكر لبيان انهم مومنون
ولما كانت الاقامة بمكة قبل الفتح مودية الى الفتنة قال تعالى **فاياي**
اي خاصة بالهجرة الى ارض تامنون فيها **فاعبدون** اي وحدون وان
كان بالهجرة وكانت هجرة الاهل والاوطان شديدة فان قيل قوله تعالى

بكة

وقال مجاهد ان ارضي واسعة فهاجروا وجاهدوا وقال سعيد بن جبير اذا عمل في ارض بالمعاصي فاخرجوا منها فان ارضي واسعة صح

يا عبادي ينهم منه كونهم عابدين فما الفائدة بالامر بالعبادة اجيب بان فيه
فايدتين احداهما الدوامة اي يا من عبدتموني في الماضي اعبدوني في المستقبل
الثانية الاخلاص اي يا من يعبد بي اخلص لعملك لي ولا تعبد غيري فان قيل
ما معنى الفا في فاعبدون اجيب بان الفا جواب شرط محذوف فالان
المعنى ان ارضي واسعة فان لم تخلصوا العبادة لي في ارض فاخلصوها
في غيرها ولما امر الله تعالى عباده بالحرص على العبادة وصدق الاهتمام بها
حتى تطلبوا لها اوفق البلاد وان شعت وشق عليهم ترك الاوطان
ومفارقة الاخوان خوفهم بالموت لتهون عليهم الهجرة بقوله تعالى كل
نفس ذائقة الموت اي كل نفس مفارقة ما الفته حتى بدنا طال ما
لبسته وانسها وانسته فان اطاعت ربها نجت نفسها ولم تنقصها
الطاعة من الاجل شيا والا اوبقت نفسها ولم تزدها المعصية في اجلها الاجل
شيا فاذا قدر الانسان انه مت سهلت عليه الهجرة فانه ان لم يفارق
بعض ما لوفه بها فارق كل ما لوفه بالموت وقد ورد اكثروا من ذكر هادم
اللذات اي الموت فانه ما ذكر في قليل الا كثره ولا ذكر في كثير اي من امل
الدنيا الا قلله ولما هون امر الهجرة حذر من رضي في دينه بنوع نقص
بشي من الاشيا حثا على الاستعداد بغاية الجهد فالتزود للمعاد بقوله
تعالى ثم الينا ترجعون على ايسر وجه فنجازي كلا منكم بما عمل وقرا ابو
بكر باليا التحتية والباقون بالتا الفوقية والذين امنوا وعملوا اي تصديقا
لايمانهم الصالحات لنبوينهم اي لننزلنهم من الجنة غرفا اي بيوتا عالية
قال البقاعي تحتها قاعات واسعة وقرا حمزة والكسائي بعد النون
بثاء مثلثة ساكنة وبعدها واو مكسورة وبعد الواو يا مفتوحة اي لنقيمنهم
من الثواء وهو الاقامة يقال ثوي الرجل اذا اقام فيكون انتصاب غرفا
لاجرائه مجرى لننزلنهم او بنزع الخافض اتساعا اي في غرف او تشبيه الظرف
المؤقت بالمبهم كقوله لاقعدن لهم صراطك والباقون بعد النون
بباء موحدة وبعدها واو مشددة وبعد الواو همزة مفتوحة وعلى هذه
القراة فانتصابها على انها مفعول ثان لان تبوا يتعدي لاثنين قال الله
تعالى تبوي المؤمنين مقاعد للقتال ويتعدي باللام قال تعالى واذ بوانا
لابراهيم ولما كانت العلالي لا تروق الا بالرياض قال تعالى تجري من
تحتها الانهار ومن المعلوم انه لا يكون في موضع انهار الا يكون فيه بساتين
كبار وزروع ورياض وازهار يشرفون عليها من تلك العلالي ولما كانت
بحالة لا تكدر فيها بوجب هجرة في لحظة ما كني عنه بقوله تعالى خالدين فيها
اي لا يبغون عنها حولا ثم عظم امرها وشرف قدرها بقوله تعالى نعم اجر العاملين
اي هذا القدر الاجر وهذا في مقابلة تعالى للكفار ذوقوا ما كنتم تعملون

اي من العمل

ثم وصفهم

ثم وصفهم بما يرغب في الهجرة بقوله تعالى الذين صبروا اي وجدوا هذه الحقيقة
حتى استقرت عندهم فكانت سجية لهم فاوقعوها على كل شاق من التكاليف
من هجرة وغيرها فان الانسان قل ان ينفك عن امر شاق ينبغي الصبر عليه
ثم رغب في الاستراحة بالتفويض اليه بقوله تعالى وعلى ربهم اي المحسن اليهم
وحده لا على اهل ولا وطن يتوكلون اي يوجدون التوكل ايجادا مستمرا
ليجد بيد كل منهم بعرض لهم ولما اشار بالتوكل الى انه الكافي في امر الرزق
في الوطن والغربة لا بمال ولا اهل قال عاطفا على ما تقديره فكاين من متوكل
عليه كفاه ولم يحوجه الى احد سواه فليبادر من انقذه من الكفر وهداه
الى الهجرة طلبا لرضاه وكاين من دابة اي كثير من الدواب العاقلة وغيرها
لا تحمل اي لا تطيق ان تحمل رزقها اي لا تدخر شيا لساعة اخرى
لانها قد لا تدرك نفع ذلك وقد تدركه وتتوكل وعن الحسن لا تدخر
انما تصبح فيرزقها الله تعالى وعن ابن عيينة ليس شي يخبا الا الانسان
والنملة والفارة وقال بعضهم رايت البلبل يدخر في حضنه ويقال
للعقعق مخابي الا انه ينساها او لا تجده او لا تطيق حمله لضعفها
ثم كانه قيل فمن يرزقها قيل الله اي المحيط علما وقدرة المتصف بكل كمال
يرزقها على ضعفها وهي لا تدخر واياكم مع قوتكم وادخاركم واجتهادكم
لا فرق بين ترزيقه لها على ضعفها وعدم ادخارها وترزيقه لكم على قوتكم
وادخاركم فانه هو المسبب وحده فان الفريقين تارة يجدون وتارة
لا يجدون فصار الادخار وعدمه غير معتد به ولا منظور اليه وقرا ابن
كثير بعد الكاف بالف وبعد الالف همزة مكسورة والباقون بعد الكاف
همزة مفتوحة وبعدها يا مشددة ووقف ابو عمرو على اليا ووقف الباقون
على النون وحمزة في الوقف يسهل الهمزة على اصله تنبيه كاين كلمة مركبة
من كاف التشبيه واي التي تستعمل استعمال من وما ركبتا
وجعل المركب بمعنى كم ثم لم تكتب الا بالنون ليفصل بين المركب وغير
المركب لان كايا تستعمل غير مركبة كما يقول القائل رايت رجلا لا كاي
رجل يكون وحينئذ لا يكون كاين مركبا فاذا كان كاين هنا مركبا كتب بالنون
للتمييز وهو السميع لاقوالكم نخشى الفقر والضيعة العليم بما في ضمائركم
واختلف في سبب نزول هذه الاية فعن ابن عمر انه قال دخلت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم حائطا من حوائط الانصار فجعل رسول الله صلى
الله عليه وسلم يلتقط الرطب بيده وياكل فقال كل يا ابن عمر قلت لا اشتهيه
يا رسول الله قال لكني اشتهيه وهذه صبح رابعة لم اطعم طعاما ولم اجده
فقلت يا رسول الله انا لله الله المستعان فقال يا ابن عمر لو سالت ربي
لاعطاني مثل ملك كسرى وقيصر اضعافا مضاعفة ولكني اجوع يوما

يا رسول الله انا لله
الله المستعان

واشبع يوما فكيف بك يابن عمر اذا عمرت وبقيت في حثالة من الناس يخبؤن رزق
سنتهم ويضعف اليقين فنزلت وكاين من دابة الاية وروي ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال للمؤمنين الذين كانوا بمكة واذاهم المشركون هاجروا
الى المدينة فقالوا كيف نخرج الى المدينة وليس لنا بها دار ولا مال فمن يطعمنا
ويسقينا فنزلت وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يدخر شيئا
وقال صلى الله عليه وسلم لو انكم تتوكلون على الله حق توكله
لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وقال صلى الله
عليه وسلم ايها الناس ليس من شي يقربكم الى الجنة ويباعدكم من النار
الا وقد امرتكم به وليس شي يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة الا وقد
نهيتكم عنه وان الروح الامين نفث في روعي انه ليس من نفس تموت حتى
تستوفي رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء
الرزق ان تطلبوه بمعاصي الله فانه لا يدرك ما عند الله الا بطاعته ولئن
اللام لام القسم سألتهم اي كفار مكة وغيرهم من خلق السموات
والارض وسواها على هذا النظام العظيم وسخر الشمس والقمر لاصلاح
الاقوات ومعرفة الاوقات وغير ذلك من المنافع ليقولن الله اي الذي
له جميع صفات الكمال لما تقرر في فطرهم من ذلك وتلقوه من ابائهم
موافقة للحق في نفس الامر فانى اي فكيف ومن اي وجه يؤفكون اي
يصرفون عن توحيده بعد اقرارهم بذلك فان قيل ذكر في السموات
والارض الخلق وفي الشمس والقمر التسخير اجيب بان مجرد خلق
السموات والارض ابنه ظاهرة بخلاف خلق الشمس والقمر فانهما
لايبحر كان ما حصل الليل والنهار ولا الصيف والشتا فاذا الحكمة
الظاهرة في تحريكهما وتسخيرهما ولما كان قد يشكل على ذلك التفاوت
في الرزق عند من لم يتامل حق التامل فيقول ما بال الخلق متفاوتين
في الرزق قال تعالى الله اي بما له من الاحاطة بصفات الكمال
يبسط الرزق بقدرته التامة امتحانا لمن يشاء من عباده على حسب
ما يعلم من بواطنهم ويقدر اي يضيق له بعد البسط اولمن يشا ابتلا
فيظهر من ذلك قدرته وحكمته وان تنزيل الملوك وغيرهم من الاقويا بتفاوتهم
في الرزق بين عمالهم بحسب ما يعلمون من علمهم الناقص باحوالهم فما
ظنك بملك الملوك العالم علما لا تدنو من ساحته ظنون ولا شكوك كما قال
تعالى ان الله اي الذي له صفات الكمال بكل شي اي من المرزوقين ومن
الارزاق وكيف يمنعه او يساق او غير ذلك عليم يعلم مقادير الحاجات والارزاق
وهو على ذلك كله قدير يعلم ما يصلح العباد من ذلك وما يفسدهم
ويعطيهم بحسب ذلك ان شاكلهم لام بعض لا قويا اغنيا فقيروا فقرا

غني فكشف الحال عن فساد ما راموا من الانتقال فلما قال الله تعالى الله يبسط
الرزق ذكر اعترافهم بذلك بقوله تعالى ولئن اللام لام قسم سألتهم
من نزل من السماء ماء بعد ان كان مضبوطا في جهة العلو فاحيا به الارض الغبر
واشتداد باثبات الجار الى قرب لاثبات من زمان الممات فقال من بعد موتها
فصارت خضرا تهتز بعد ان لم يكن لها شي من ذلك ليقولن الله معترفين
بانه الموجد للممكنات باسرها اصولها وفروعها ثم انهم يشركون به بعض
مخلوقاته الذي لا يقدر على شي من ذلك فلما ثبت انه الخالق بدءا واعادة
كما يشاهد في كل زمان قال منبها على عظمة صفاته اللازم من اثباتها
صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قل يا افضل الخلق متعجبا منهم
في جمودهم يقرون بما يلزمهم التوحيد ثم لا يوحدونه الحمد لله الذي
لا سمي له وليس لغيره احاطة بشي من الاشياء فلزمتهم الحجة بما
اقروا به من احاطته وهم لا يثبتون ذلك باغراضهم بل اكثرهم لا يعقلون
فيناقضون حيث يقرون بانه المبتدي لكل ما عداه ثم انهم يشركون به
غيره مما هم معترفون بانه خلقهم فهم لا يعرفون معنى الحمد حيث لم يعملوا به
ومنهم من امن بعد ذلك فكان في الذروة من كمال العقل في التوحيد
الذي يلزمه سائر الفروع ومنهم من كان ذلك فكان نفي العقل عنه مقيدا
بالكمال ولما تبين بهذه الايات ان الدنيا مبنية على الفنا والزوال
والتقلع والارتحال وصح ان السرور بها في غير موضعه فلذلك قال
مشيرا بعد سلب العقل عنهم الى انهم فيها كالبهائم بها يرجون وما
هذه الحياة الدنيا تحقيرا بالاشارة ولفظ الدناءة مع الاشارة الى
هذا الاعتراف هذا الاسم كاف في الالزام بالاعتراف بالاخرى الا لهو
وهو الاستمتاع بلذات الدنيا ولعب وهو العبث سميت بهما لانها
فانية وقيل اللهو الاعراض عن الحق واللعب الاقبال على الباطل فان قيل
قال تعالى في الانعام وما الحياة الدنيا ولم يقل وما هذه الحياة فما
فائدته اجيب بانه المذكور من قبل هنا امر الدنيا فاحيا به الارض من
بعد موتها فقال هذه والمذكور قبلها هناك الاخرة حيث قال يا حسرتنا
على ما فرطنا فيها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم فلم تكن الدنيا في ذلك الوقت
في خاطرهم فقال تعالى وما الحياة الدنيا فان قيل ما الحكمة في تقديمه
هناك اللعب على اللهو وههنا اخر اللعب عن اللهو اجيب بانه
لما كان المذكور من قبل هناك الاخرة واظهارهم للحسرة ففي ذلك الوقت
يبعد الاستغراق في الدنيا بل نفس الاشتغال بها فاخذ الابعد وههنا
لما كان المذكور من قبل الدنيا وهي خداعة تدعو النفوس الى الاقبال عليها
والاستغراق فيها اللهم الا المانع يمنع من الاستغراق فيشتغل

بها من غير استغراق فيها او لعاصم يعصمه فلا يشتغل بها اصلا فكان الاستغراق في
اقرب من عدمه فتقدم اللهو ولما كانوا ينكرون الحياة بعد الموت اخبر على
سبيل التاكيد انه لا حياة غيرها بقوله تعالى وان الدار الاخرة لهي الحيوان
اي الحياة التامة الباقية فان قيل ما الحكمة في قوله تعالى هناك وللدار الاخرة
خير وقال ههنا وان الدار الاخرة لهي الحيوان اجيب بانه لما كان
الحاصل هناك حال اظهار الحسرة ما كان المكلف يحتاج الى وازع قوي
فقال الاخرة خير ولما كان الحال هنا حال الاشتغال بالدنيا احتاج الى
وازع قوي فقال لا حياة الا حياة الاخرة والمصدر حي وقياسه حييان
فقلبت اليا الثالثة واوا وفي به يسمى ما فيه حياة حيوانا وهو ابلغ من
الحياة لما فيه بنا فعلان من الحركة والاضطراب الملازم للحياة ولذلك
اختير عليها ههنا ولما كانوا قد غلطوا في الدارين كليهما فنزلوا كل واحد
منهما غير منزلتها فعدوا الدنيا وجودا دايما على هذه الحالة وعدوا الاخرة عدما
لا وجود لها بوجه قال تعالى لو كانوا يعلمون اي لم يوثروا عليها الدنيا التي
اصلها عدم الحياة والحياة فيها عارضة سريعة الزوال فان قيل ما الحكمة
في قوله تعالى في الانعام افلا تعقلون وقال ههنا لو كانوا يعلمون اجيب
بان المثبت هناك كون الاخرة خيرا ولانه ظاهر لا يتوقف الا على العقل
والمثبت هنا ان لا حياة الا حياة الاخرة وهذا دقيق لا يعرف الا بعلم نافع
فاذا اي فتسبب عن عدم عقلهم المستلزم لعدم علمهم انهم اذا ركبوا
في الفلك اي السفن دعوا الله اي الملك الاعلى مخلصين له الدين بالتوحيد
معرضين عن الشركا بالقلب واللسان حيث لا يذكرون
الا الله ولا يدعون سواه لعلمهم بانه لا يكشف الشدايد الا هو فلما نجاهم
اي الله سبحانه وتعالى موصلا لهم الى البر اي حين الوصول الى البر
اذا هم يشركون به كما كانوا فهذا اخبار عنهم بانهم عند الشدايد مقرون
ان القادر على كشفها هو الله عز وجل وحده فاذا عادوا زالت عادوا الى
كفرهم قال عكرمة كان اهل الجاهلية اذا ركبوا في البحر حملوا معهم
الاصنام فاذا اشتد عليهم الريح القوها في البحر وقالوا يا رب يا رب
وقال الرازي في اللوامع وهذا دليل على ان معرفة الرب في فطرة كل
انسان وانهم ان غفلوا في السرا فلا شك انهم يلوذون اليه في حال
الضرا انتهى نعم ان الاشتغال بالدنيا هو الصاد عن كل خير وان الانقطاع
عنها معين للفطرة الاولى المستقيمة ولهذا تجد الفقرا اقرب الى كل خير
وفي اللام في قوله تعالى ليكفروا بما اتيناهم وجهان اظهرهما ان اللام فيه لام كي
اي يشركون ليكونوا كافرين بشركهم نعمة النجاة فيكون ذلك فعل من لا
عقل له اصلا وهم يتحاشون عن مثل ذلك والثاني كونها للامر وليتمتعوا

باجتماعهم

باجتماعهم على عبادة الاصنام وتوادهم عليها وقرا ورش وابو عمرو وابن عامر
وعاصم بالكسر وهي محتملة للوجهين المتقدمين والباقون باسكون
وهي ساكنة ظاهرة في الامر فان كانت الاولى للامر فقد عطف امرا على
مثله فان قيل كونها للامر مشكل اذ كيف يامر الله تعالى بالكفر وهو متوعد
عليه اجيب بان ذلك على سبيل التهديد كقوله تعالى اعملوا ما شئتم
فان كانت اللام الاولى للامر فقد عطف امرا على امر مثله وان كانت للعلة
فقد عطف كلاما على كلام فيكون المعنى لا فايدة لهم في الاشراك الا
الكفر والتمتع بما يستمتعون به في العاجلة من غير نصيب في الاخرة
فسوف يعلمون يومئذ ما يحل بهم من العقاب ولما كان الانسان يكون في
البحر على خوف ما يكون وفي بيته يكون على امن ما يكون لا سيما اذا كان بيته
في بلد حصين فلما ذكر الله المشركين عند الخوف الشديد وراوا انفسهم
في تلك الحالة راجعة الى الله ذكرهم حالهم عند الامر العظيم بقوله تعالى
اولم يروا اي اهل مكة بعيون بصايرهم انا جعلنا بعظمتنا لهم حرما
وقال امنا لانه لا خوف على من دخله فلما امن كل من دخله كان كانه
هو نفسه الامن وهو حرم مكة فانها مدينتهم وبلدهم وفيها سكناهم
ص ومولدهم وهي حصينة بحصن الله وامنة موجبة للتوحيد والاخلا
لا نكم في اخوف ما انتم دعوتم الله وفي امن ما حصلتم عليه كفرتم بالله
وهذا متناقض لان دعاكم في ذلك الوقت على سبيل الاخلاص فما كان
الا لقطعكم بان النعمة من الله لا غير وهذه النعمة العظيمة التي حصلتم
وقد اعترفتم بانها لا تكون الا من الله فكيف تكفرون بها والاصنام التي
قلتم في حال الخوف ان لا امن لها كيف امنتم بها في حال الامن والحال انه
يتخطف الناس من حولهم اي من حول من فيه من كل جهة قتلا وسلبا مع
قلة من بمكة وكثرة من حولهم فالذي خرق العادة في فعل ذلك حتى صار
على هذا السنن قادر على ان يعكس الحالة فيجعل على من بالحرم متخطفا
ومن حوله امنا او يجعل الكل في الخوف على منهاج واحد افبالباطل من
الشياطين والاديان وغيرها يومنون والحال انه لا يشك عاقل في
اي من حوله بطلانه وبنعمة الله التي احدثها لهم من الانجا وارسال محمد صلى
الله عليه وسلم يكفرون حيث جعلوا موضع شكرهم له على النجاة وغيرها
شركهم بعبادة غيره ومن اظلم اي اشد وضعا للاشيا في غير مواضعها ممن
افترى اي تعمد على الله كذبا اي اي كذب كان من الشرك وغيره كما
كانوا يقولون اذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها
او كذب بالحق اي النبي صلى الله عليه وسلم او القران المعجز المبين على لسان
هذا الرسول الامين الذي ما اخبر خبرا الا طابقه الواقع لما اي حين

جاءه من غير امهال الى ان ينظر ويتامل بل سارع الى التكذيب اول ما
سمعه وقوله تعالى اليس في جهنم مثوى للكافرين استفهام تقرير لثوابهم
كقوله • الستم خير من ركب المطايا • واندى العالمين بطون راح •
قال بعضهم ولو كان استفهاما ما اعطاه الخليفة مائة من الابل
وحقيقته ان الهمزة همزة الانكار دخلت على النفي فرجع الى معنى التقرير
والمعنى اما لهذا الكافر الكذب ماوي في جهنم حتى اجترا مثل هذه الجراة
والذين جاهدوا اي اوقعوا الجهاد بغاية جهدهم على ما دل عليه بالمفاعلة
فينا اي بسبب حقنا ومراقبتنا خاصة بلزوم الطاعات من جهاد
الكفار وغيرهم من كل ما ينبغي الجهاد فيه بالقول والفعل في الشدة
والرخاء ومخالفة الهوى عند هجوم الفتن وشدائد المحن مستحضرين
لعظمتنا لنهدينهم مما يجعل لهم من النور الذي لا يضل من صحبه هداية
تليق بعظمتنا سبلنا اي طرق السير الينا وهي الطريق المستقيمة
والطريق المستقيمة هي التي توصل الى رضاء الله قال سفيان بن
عيينة اذا اختلف الناس فانظروا ما عليه اهل الثغور فان الله تعالى
قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال الحسن الجهاد مخالفة
الهوى وقال الفضيل بن عياض والذين جاهدوا في طلب العلم
لنهدينهم سبل العمل وقال سهل بن عبد الله والذين جاهدوا
في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا وقال ابو سليمان الداراني والذين
جاهدوا فيما علموا لنهدينهم الى ما لم يعلموا وعن بعضهم من عمل بما يعلم
وفق لما لا يعلم وقيل ان الذي نرى من جهلنا بما لم نعلم انما هو من تقصيرنا
فيما نعلم وقيل المجاهدة هي الصبر على الطاعة وقرا ابو عمرو بسكون الياء
الموحدة والباقون بضمها وان الله اي بعظمته وجلاله وكبريائه
لمع المحسنين اي المومنين بالنصرة والمعونة في دنياهم والمغفرة هو
والثواب في عقباهم وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري من انه
صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر
حسنات بعدد المومنين والمنافقين فهو حديث موضوع ورواه ابن عادل عن ابي امامة عن
ابي بن كعب

سورة الروم مكية وهي ستون اية

وثمانمائة وتسع عشرة كلمة وثلاثة الاف وخمسمائة واربعة وثلاثون حرفا
بسم الله الذي يملك الامر كله الرحمن الذي رحم الخلق كلهم
بنصب الدلائل الرحيم الذي لطف باوليائه وقوله تعالى الم تقدم
الكلام على ذلك في اول سورة البقرة وقال البقاعي لما ختم سبحانه
التي قبلها بانه مع المحسنين قال الم مشيرا بالف القيام والعلو ولام الوصلة

تفسير سورة الروم

تامل قوله بعدد المومنين والمنافقين وهم غير محصورين
وعدد مع قوله عشر حسنات
فانه بالحصر وعدم الحصر
فحصل
وبين لك بيانه اهـ

ومهم التمام

ومهم التمام الى ان الله الملك الاعلى القيوم ارسل جبريل عليه الصلاة
والسلام بينه وبين انبيائه عليهم السلام الى اشرف خلقه محمد صلى الله
عليه وسلم المبعوث لاتمام مكارم الاخلاق يوحي اليه وحيا معلما بالشاهد
والغائب كما نبي الامر على ما اخبر به دليلا على صحة نبوته رسالته وكمال
علم مرسله وشمول قدرته ووجوب وحدانيته غلبت الروم وهم اهل
كتاب غلبتها فارس وليسوا اهل كتاب بل يعبدون الاوثان في ادنى
الارض اي اقرب ارض الروم الى فارس بالجزيرة التقى فيها الجيشان
والبادي بالغزو الفرس وهم اي الروم من بعد غلبهم اضيف المصدر
الى المفعول اي غلبة فارس اياهم سيغلبون فارس في بضع سنين وهو
ما بين الثلاث الى التسع او العشرة فالتقى الجيشان في السنة السابعة
من الالتقاء الاول وغلبت الروم فارس وسبب نزول هذه الاية على ما
ذكره المفسرون انه كان بين فارس والروم قتال وكان المشركون
يودون ان تغلب فارس لان اهل فارس كانوا مجوسا اميين والمسلمون
يودون غلبة الروم على فارس لكونهم اهل كتاب فبعث كسرى جيشا
الى الروم واستعمل عليه رجل يدعى بخنس يقال له شهريار وبعث قيصر
جيشا واستعمل عليه رجل يدعى بخنس فالتقى مع شهريار باذرعات
وبصرى وهي ادنى الشام الى ارض العرب فغلبت فارس الروم وبلغ ذلك
النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وهم بمكة فشق ذلك عليهم وكان
النبي صلى الله عليه وسلم يكره ان تظهر الاميون من المجوس على اهل الكتاب
من الروم وفرح اهل مكة وقالوا للمسلمين انكم اهل الكتاب والنصارى اهل
كتاب ونحن اميون وقد ظهر اخواننا من اهل فارس على اخوانكم من اهل
الروم ولنظهرن عليكم فنزلت هذه الاية فخرج ابو بكر الصديق الى الكفار
فقال فرحتم بظهور اخوانكم فلا تفرحوا فوالله ليظهرن الروم على فارس
اخبرنا بذلك نبينا فقال له امية بن خلف الجمحي كذبت يا ابا فضيل
فقال ابو بكر انت اكذب يا عدو الله فقال اجعل بيننا اجلا اناجبك
عليه والمناحبة المراهنة فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما
فان ظهرت الروم على فارس غرمت وان ظهرت فارس غرمت وجعلا الاجل ثلاث سنين فجاء
ابو بكر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فقال ما هكذا
ذكرت انما البضع ما بين الثلاثة الى التسع فزايده في الخطر وماده
في الاجل فخرج ابو بكر فلقي ابيا فقال لعلك ندمت قال لا فتعال ازايدك
في الخطر وامادك في الاجل فاجعلها مائة قلوص الى تسع سنين وقيل
الى سبع سنين قال قد فعلت فلما خشي ابي بن خلف ان يخرج ابو بكر
من مكة اتاه فلزمه وقال اني اخاف ان تخرج من مكة فاقم لي كفيلا

فتكفله له ابنه عبد الله بن ابي بكر فلما اراد ابي بن خلف ان يخرج الي احد اتاه
عبد الله بن ابي بكر فلزمه وقال والله لا ادعك حتى تعطيني كفيلا فاعطاه
كفيلا ثم خرج الي احد ثم رجع ابي بن خلف فمات بمكة من جراحة التي
جرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بارزه وظهرت الروم على
فارس يوم الحديبية وذلك عند راس سبع سنين من مناجبتهم وقيل
كان يوم بدر فاخذ ابو بكر الخطر من ذرية ابي وجابه الي رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال تصدق به وهذه الاية من الايات البينة الشاهدة
على صحة النبوة وان القران من عند الله لانه انبا عن علم الغيب الذي لا يعلمه
الا الله تعالى فان قيل كيف صحة المناحبة وانما هي قمار اجيب بان قتادة رحمه
الله تعالى قال كان ذلك قبل تحريم القمار قال الزمخشري ومذهب ابي
حنيفة ومحمد ان العقود الفاسدة من عقود الربا جايزة في دار الحرب بين
المسلمين والكفار وقد احتجا على صحة ذلك بما عقده ابو بكر بينه وبين ابي
ابن خلف ولما تغليب ملك على ملك من الامور الهايلة وكان الاخبار قبل
كونه اهول ذكر علة ذلك بقوله تعالى لله اي وحده الامر من قبل اي قبل
جولة فارس علي الروم ثم دولة الروم على فارس ومن بعد اي بعد دولة
الروم عليهم ودولتهم على الروم ولما اخبر تعالى بهذه المعجزة اخبر بمعجزة
اخرى بقوله تعالى ويومئذ اي تغلب الروم على فارس يفرح المومنون اي
العريقون في هذا الوصف من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم بنصر الله اي
اي الذي لا راد لامره الروم على فارس وقد فرحوا بذلك وعلموا به يوم وقوع
يوم بدر بنزول جبريل بذلك فيه مع فرحهم بنصرهم على المشركين في قال
السدي فرح النبي صلى الله عليه وسلم والمومنون بظهورهم على المشركين
يوم بدر وظهور اهل الكتاب على اهل الشرك وعن ابي سعيد الخدري
وافق ذلك يوم بدر وفي هذا اليوم نصر المومنون ينصر من يشا من ضعيف
وقوي لانه لا مانع له ولا يسئل عما يفعل فالغلبة لا تدل على الحق بل الله
قد يزيد ثواب المومن فيبتليه ويسلط عليه الاعادي وقد يختار تعجيل
العذاب الادنى دون العذاب الاكبر قبل يوم المعاد وهو العزيز فلا
يعز من عادى ولا يذل من والى وقرا قالون وابو عمرو والكسائي بسكون
الها والباقون بالضم ولما كان السياق لبشارة المومنين قال الرحيم
فيخصهم بالاعمال الزكية والاخلاق المرضية وعد الله اي الذي
له جميع صفات الكمال مصدر موكد ناصبه مضمر اي وعدهم الله
ذلك وعدا بظهور الروم على فارس لا يخلف الله اي الذي له الامر كله
وعده به وهذا مقرر لمعنى هذا المصدر ويجوز ان يكون قوله تعالى
لا يخلف الله وعده حالا من المصدر فيكون كالمصدر الموصوف فهو مبين

للنوع كانه قيل وعد الله وعدا غير مخلف ولكن اكثر الناس لجهلهم وعدم
تفكرهم لا يعلمون ذلك وقوله تعالى يعلمون بدل من قوله تعالى لا يعلمون
وفي هذا الابدال من النكتة انه ابدله منه وجعله بحيث يقوم مقامه
ويسد مسده ليعلمه انه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل
وبين وجود العلم الذي لا يجاوز الدنيا ظاهرا من الحياة الدنيا ليفيد ان
الدنيا ظاهرا وباطنا فظاهرها ما يعرفه الجهال من امر معايشهم كيف
يكسبون ويتجرون ومتى يغرسون ويزرعون ويحصدون وكيف
يبنون ويعرسون قال الحسن ان احدهم لينقر الدرهم بطرف
ظفره فيذكر وزنه وهو لا يخطي وهو لا يحسن يصلي وهذا الهم كثير
وهو وان كان عند اهل الدنيا عظيما فهو عند الله حقير اذ لك حقره
لانهم ما زادوا فيه على ان ساووا البهايم في ادراكها ما ينفعها فتستجلبه
بضروب من الحيل وما يضرها فتدفعه من الخداع واما علم باطنها وهي
انها مجاز الي الاخرة يتزود منها بالطاعة فهو ممدوح وفي تنكير الظاهر
انهم لا يعلمون الا ظاهرا واحدا من جملة ظواهرها وهم اي هولا
الموصوفون خاصة عن الاخرة اي التي هي المقصودة بالذات وما
خلقت الدنيا الا للتوصل بها اليها ليظهر الحكم بالقسط وجميع صفات
العز والكبر والجلال والاكرام هم غافلون اي في غاية الاستغراق
والاضراب عنها بحيث لا تخطر في خواطرهم تنبيه هم الثانية يجوز
ان يكون مبتدا وغافلون خبره والخبر خبرهم الاولى وان يكون تكريرا
الاولى وغافلون خبرا للاولى وان كانت فذكرها مناد على انهم معدن
الغفلة عن الاخرة ومقرها ومعلمها وانها منهم تتبع واليهم ترجع
اولم يتفكروا اي يجتهدوا في اعمال الفكر وقوله تعالى في انفسهم
يحتمل ان يكون ظرفا كانه قيل اولم يحدثوا الفكر في انفسهم اي في قلوبهم
الفارغة من التفكر والتفكر لا يكون الا في القلوب ولكنه زيادة تصوير
لحال المتفكرين كقولك اعتقده في قلبك واضمره في نفسك وان يكون صلة
اي اولم يتفكروا في احوالها خصوصا فيعلموا ان من كان منهم فادرا كاملا
لا يخلف وعده وهو انسان ناقص فكيف بالاله الحق ويعلموا ان الذي
ساوى بينهم في الايجاد من العدم وطورهم في اطوار الصور وفاوت بينهم
في القوى والقدر وبين احوالهم في الطول والقصر وسلط بعضهم على
بعض بانواع الضرر ومات اكثرهم مظلوما قبل القصاص والظفر لا بد في
حكمته البالغة من جمعه العدل بينهم في جزا من وفى وغدر او شكر او كفر
ففي ذلك دلالة على وحدانية الله تعالى وعلى الحشر ثم ذكر تعالى نتيجة ذلك
وعلله بقوله في اسلوب التاكيد لاجل انكارهم وعلى التقدير الاول

يكون المتفكر فيه ما خلق الله اي بعز جلاله وعلوه في كماله السموات والارض
على ما هما عليه من النظام المحكم والقانون المتقن قال البقاعي وافرد
الارض لعدم دليل حسي او عقلي يدلهم على تعددها بخلاف السما انتهى
وقد يرد هذا بقوله تعالى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن وما بينهما
الا خلقا متلبسا بالحق اي الامر الثابت من المعاني التي بها كمال منافعهما
الذي يطابقه الواقع فاذا ذكر البعث الذي هو مبدء الاخرة التي هذا اسلوبها
وجد الواقع في تصوير النطف ونفخ الروح وتمييز الصالح منها للتصوير
من الفاسد يطابق ذلك واذا اندبر النبات بعد ان كان هشيما قدر اعليه
الماء فزها واهتز وربا وجد مطابقا لامر البعث واذا ذكر القدرة فراى
اختلاف الليل والنهار وسير الكواكب الصغار والكبار وامطار الامطار
واجرا الانهار ونحو ذلك من الاسرار راه مطابقا لكل ما يخطر بالبال
ولما كان عندهم ان هذا الوجود حياة وموت لا الى نفاذ قال تعالى واجل
اي لابد ان ينتهي اليه مسمى اي في العلم من الازل لذلك يعني عند انتهائه
وبعده البعث ولما كانوا ينكرون انهم على كفر اكد قوله تعالى وان كثيرا من الناس
مع ذلك على وضوحه بلقاء ربهم اي الذي ملاهم احسانا برجوعهم في الاخرة
الى العرض عليه للثواب والعقاب لكافرون اي لا يؤمنون بالبعث
بعد الموت فان قيل ما الفائدة في قوله تعالى ههنا وان كثيرا من الناس
وقال من قبل ولكن اكثر الناس اجيب بان فائدته انه من قبل لم يذكر دليلا
على الاصلين وههنا قد ذكر الدلايل الراسخة والبراهين اللايحة ولا شك
في ان الايمان بعد الدليل اكثر من الايمان قبل الدليل فبعد ذلك لا بد ان
يؤمن من ذلك جمع فلا يبقى الاكثر فقال كما هو فقال بعد اقامة الدليل
وان كثيرا وقال قبله ولكن اكثر الناس لانه بعد الدليل لا يمكن الذهول عنه
وهو السموات والارض لان من البعيد ان يذهل الانسان عن السما التي
فوقه والارض التي تحته فلهذا ذكر ما يقع الذهول عنه وهو امثالهم
وحكاية اشكالهم فقال اولم يسيروا في الارض اي سير اعتبار وقوله تعالى
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الامم وهي اهلاكهم بتكذيبهم
رسلهم تقرير لسيرهم في اقطار الارض ونظرهم الى اثار المدمرين كعاد
وثمود كانوا اشد منهم اي العرب قوة اي في ابدانهم وعقولهم واثاروا
الارض وحرثوها وقلبوها للزرع والغرس والمعادن والمياه وغير ذلك
وعمروها اي اولئك السابقون اكثر مما عمروها اي هؤلاء الذين ارسلت
اليهم بل ليس اليهم من اثارة الارض وعمارتها كبير امر فان بلاد
العرب انما هي جبال سود وفيافي فاهموا لا تهكم بهم وبيان لضعف
حالهم في دنياهم التي لا فخر لهم بغيرها وجاءتهم رسلهم بالبينات اي بالحجج الظاهرات

مثل

مثل ما اتاكم به رسولنا من وعودنا الصادقة وامورنا الخارقة كما في الاسرا
وما اظهر فيه من الغرايب كالاخبار بان العير تقدم في يوم كذا يقدمها جمل
صفته كذا او غرايره كذا فظهر كذلك وما امنتم به كما لم يؤمن من كان اشد منكم
قوة فما اي فتسبب انه ما كان الله اي على ما له من اوصاف الكمال مريدا
ليظلمهم بان يفعل معهم فعل من تعدونه انتم ظالما بان يهلكهم في الدنيا
ثم يقتص منهم في القيامة قبل اقامة الحجة عليهم بارسال الرسل بالبينات
ولكن كانوا بغاية جهدهم انفسهم اي خاصة يظلمون اي يجددون
الظلم لها بايقاع الضر موقع جلب النفع ثم كان عاقبة اي اخر امر الذين
اساءوا وقوله تعالى السوأى تانيث الاسوا وهو الاقبح كما ان الاحسن
الحسنى تانيث الاحسن والمعنى انهم عوقبوا في الدنيا بالدمار ثم كانت
عاقبتهم السوأى الا انه وضع المظهر موضع المضمر الى العقوبة التي
هي اسوا العقوبات في الاخرة وهي جهنم التي اعدت للكافرين وقرا نافع
وابن كثير وابو عمرو عاقبة بالرفع على انها اسم كان والسوأى خبرها والباقون
بالنصب على انها خبر كان وقيل السوأى اسم جهنم كما ان الحسنى
اسم الجنة واساءتهم ان بان كذبوا بايات الله اي القران وقيل تفسير
السوأى ما بعده وهو قوله تعالى ان كذبوا اي ثم كان عاقبة المسيئين
التكذيب حملتهم تلك السيئات على ان كذبوا بايات الله وكانوا بها مع كونها
ابعد شيء من الهزء يستهزءون اي يستمرون على ذلك بتجديده في كل حين
ولما كان حاصل ما مضى انه تعالى قادر على الاعادة كما قدر على الابتدا
صرح بذلك في قوله تعالى الله اي المحيط علما وقدرة يبدؤ الخلق اي يبدا
صنعهم مارا هم وهو يجدد في كل وقت ما يريد من ذلك كما تشاهدون
ثم يعيده اي خلقهم بعد موتهم حيا ولم يقل يعيدهم لرده الى الخلق
ثم اليه ترجعون للجزا فيجزيهم باعمالهم وقرا ابو عمرو وشعبة بالياء
على الغيبة على النسق الماضي والباقون بالتا على الخطاب اي اليه ترجعون
يعني في اموركم كلها في الدنيا وان كنتم لقصور النظر تنسبونها للاسباب
وحسابعد قيام الساعة وهي ابلغ من القراة الاولى لانها نص على
المقصود ولما ذكر الرجوع اتبعه ببعض احواله بقوله تعالى ويوم تقوم الساعة
سميت بذلك اشارة الى عظيم القدرة عليها مع كثرة الخلايق على تباينهم
فيه من العظما والكبرا والروسا يبلس المجرمون اي يسكت المشركون
لانقطاع حجتهم فالابلاس ان يبقى ساكتا يائسا متحيرا يقال ناظرته
فابلس ومنه الناقة المبلاس اي التي لا ترغوا وقال مجاهد يفتضحون
وقال قتادة المعنى ييئس المشركون من كل خير ولما كان الساكت
ربما اغناه عن الكلام غيره نفى ذلك بقوله تعالى محققا له بجعله ماضيا

ولم يكن لهم من شركائهم اي ممن اشركوهم بالله وهم الاصنام شفعاء يستنقذونهم مما هم فيه ليتبين لهم غلطهم وجهلهم المفرط في قولهم هولاء شفعاونا عند الله ولما ذكر تعالى حال الشفعا لهم معهم ذكر حالهم مع الشفعا بقوله تعالى وكانوا بشركائهم اي خاصة كافرين اي متبرئين منهم بانهم ليسوا بالهة وقيل كانوا في الدنيا كافرين بسببهم وكتب شفعوا في المصحف بواو وقيل الالف كما كتب علما بني اسرايل وكذلك كتب السوأى بالقصر الياء اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها ويوم تقوم الساعة اي قيامه من يوم وزاد في تهويله بقوله تعالى يومئذ يتفرقون اي المومنون الذين يفرحون بنصر الله والكافرون فرقة لا اجتماع بعدها هولاء في عليين وهولاء في اسفل سافلين كما قال تعالى فاما الذين امنوا اي اقروا بالايمان لانفسهم تصديقا لاقرارهم وعملوا الصالحات فهم خاصة في روضة وهي ارض عظيمة جدا منبسطة واسعة ذات ماء غدق ونبات معجب بهيج هذا اصلها في اللغة قال الطبري ولا تجد احسن منظرا ولا اطيب نشرا من الرياض اهـ والتنكير لابهام امرها وتفخيمه والروضة عند العرب كل ارض ذات نبات وماء ومن امثالهم احسن من بيضة في روضة يريدون بيضة النعامة يحبرون قال ابو بكر بن عياش التيجان على روسهم وقال ابو عبيدة يسرون اي على سبيل التجدد كل وقت سرورا تشرق له الوجوه وتبسم الافواه وتنزه العيون فيظهر حسنها وبهجتها فيظهر النعمة بظهور اثارها على اسهل الوجوه وايسرها وقال ابن عباس يكرمون وقال قتادة ينعمون وقال الاوزاعي عن يحيى بن كثير يحبرون هو السماع في الجنة وقال الاوزاعي اذا اخذ في السماع لم يبق في الجنة شجرة الا وردت وقال ليس احد من خلق الله احسن صوتا من اسرافيل فاذا اخذ في السماع قطع على اهل سبع سموات صلاتهم وتسبيحهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفي اخر القوم اعرابي فقال يا رسول الله هل في الجنة من سماع قال نعم يا اعرابي ان في الجنة نهرا حافتاه الابكار من كل بيضا خوصانية يتغنين باصوات لم تسمع الخلايق بمثلها قط فذلك افضل نعيم الجنة قال الراوي فسالت ابا الدرداء بما يتغنين قال بالتسبيح وروي ان في الجنة لاشجارا عليها اجراس من فضة فاذا اراد اهل الجنة السماع بعث الله ريحا من تحت العرش فتقع في تلك الاجراس باصوات لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا واما الذين كفروا اي غطوا ما كشفته انوار العقول وكذبوا عنادا باياتنا التي لا اصدق منها ولا اضوا من انوارها بما لها من عظمتنا

وهو

وهو القران ولقاء الاخرة اي بالبعث وغيره فاولئك اي البعداء البغضاء في العذاب الكامل للغيرة في العذاب اي مدخلون لا يغيبون عنه محضرون اي سبحوا الله بمعنى صلوا فسبحان الله اي حين تدخلون في المسا وفيه صلاتان المغرب والعشا وحين تصبحون اي تدخلون في الصباح وفيه صلاة الصبح وقوله تعالى وله الحمد في السموات والارض اعتراض بين ومعناه يحمده اهلهما وقوله تعالى وعشيا عطف على حين وفيه صلاة العصر وحين تظهرون اي تدخلون في الظهيرة وفيه صلاة الظهر قال ابن الازرق عن ابن عباس هل تجد الصلوات الخمس في مواقيتها في القران فقرا هاتين الايتين وقال جمعت الايات الصلوات ومواقيتها وانما خص هذه الاوقات مع ان افضل الاعمال ادومها لان الانسان لا يقدر ان يصرف جميع اوقاته الى التسبيح لانه محتاج الى ما يعيشه من ماكول ومشروب وغير ذلك فخفف الله عنه العبادة في غالب الاوقات وامر بها في اول النهار ووسطه واخره وفي اول الليل ووسطه فاذا صلى العبد ركعتي الفجر فكانما سبح قدر ساعتين وكذلك باقي الركعات وهي سبع عشر مع ركعتي الفجر فاذا صلى الانسان الصلوات الخمس في اوقاتها فكانما سبح الله سبع عشر ساعة من الليل والنهار بقي عليه سبع ساعات من جميع الليل والنهار وهي مقدار النوم والنايم مرفوع عنه القلم فيكون قد صرف جميع اوقاته بالتسبيح في العبادة او بمعنى نزهوه من السوء بالثنا عليه بالخير في هذه الاوقات لما يتجدد فيها من نعم الله الظاهرة عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يات احد يوم القيمة بافضل مما جاء به الا احد قال مثل ما قال وزاد وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وعن جويرية بنت الحارث زوج النبي صلى الله عليه وسلم انه خرج ذات غداة من عندها وكان اسمها برة فحوله صلى الله عليه وسلم فسماها جويرية فكره ان يقال خرج من عند برة فخرج وهي في مسجدها اي مصلاها ورجع بعد ما تعالى النهار فقال ما زلت في مجلسك هذا منذ خرجت بعد قالت نعم فقال لقد قلت بعدك اربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بكلماتك لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته وعن سعيد بن ابي وقاص قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم

اي سبحوا الله يعني صلوا حين تمسون

فسأله سائل من
جلسائه كيف يكتسب كل يوم الف حسنة قال يسبح مائة تسبيحة
فيكتب له الف حسنة او يحط عنه الف خطيئة وفي غير رواية مسلم ويحط
بغير الف ولما كان الانسان عند الاصباح يخرج من سنة النوم والنوم الى سنة
الوجود وبين اليقظة وعند العشا يخرج من اليقظة الى النوم اتبعه الاحيا والاماتة
حقيقة بقوله تعالى يخرج الحي من الميت كالانسان والطائر من الميت كالنطفة والبيضة
كالبيضة والنطفة ويخرج الميت من الحي على عكس ذلك او يعقب الحياة
الموت وبالعكس وقيل يخرج المومن من الكافر والكافر من المومن ويحيي
الارض اي بالمطر واخراج النبات بعد موتها اي يبسها وكذلك اي ومثل
هذا الاخراج تخرجون بايسر امر من الارض بعد تفرق اجسامكم فيها احيا
للبعث والحساب وقرا نافع وحفص وحمزة والكسائي الميت بكسرها اي
الياء المشددة والباقون بالسكون وقرا حمزة والكسائي وابن ذكوان
بخلاف عنه بفتح التاء قبل الخاء وضم الراء على البناء للفاعل والباقون بضم التاء
وفتح الراء على البناء للمفعول ومن اياته اي ومن جملة علامات توحيده
وكمال قدرته ان خلقكم اي اصلكم وهو ادم من تراب لم يكن له اصلا
اتصاف ما بحياة او انه خلقكم من نطفة والنطفة من الغذا والغذا انما
يتولد من الما والتراب ثم اي بعد اخراجكم منه اذا انتم بشر تنتشرون
في الارض كقوله تعالى وبث منهما رجالا كثيرا ونبه بثم على الترتيب
والمهلة ثم هنا ظاهر لانهم يصيرون بشرا بعد اطوار كثيرة وتنتشرون
حال واذا هي الفجائية لان الفجائية كثر ما تقع بعد الفا لانها تقتضي
التعقيب ووجه وقوعها مع ثم بالنسبة الى ما يليق بالحالة الخاصة
اي بعد تلك الاصول التي قصها علينا في موضع اخر من كونها نطفة
ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما مجردا ثم عظاما مكسوا لحما فاجا البشرية
والانتشار ومن اياته اي على ذلك ان خلق لكم اي لاجلكم لسبق
نوعكم بالتوالد وفي تقديم الجار وهو قوله تعالى من انفسكم اي جنسكم
بعد ايجادها من ابيكم ادم عليه السلام ازواجا اناثا هن شفع لكم دلالة
ظاهرة على حرمة المزوج من غير الجنس كالجن قال البقاعي والتعبير
بالنفس اظهر في كونها من بدن الرجل اي بخلق حوا من ضلع ادم لتسكنوا
مائلين اليها بالشهوة والالفة من قولهم سكن اليه اذا مال وانقطع واطمان
اليه ولم يجعلها من غير جنسكم لئلا تنفروا منها قال ابن عادل والصحيح
ان المراد من جنسكم كما قال تعالى لقد جاكم رسول من انفسكم ويدل عليه
قوله تعالى لتسكنوا اليها يعني ان الجنسين المختلفين لا يسكن احدهما
الى الاخر اي لا يثبت نفسه معه ولا يميل قلبه اليه ولما كان المقصود بالسكن

لاينقطع

95

لا ينقطع الا بد وام الالفة قال تعالى وجعل اي صير بسبب الخلق على هذه
الصفة بينكم مودة اي معنى من المعاني يوجب ان لا يحب احد من الزوجين
ان يصل الى صاحبه شي يكرهه ورحمة اي معنى يحمل كلا على ان يجتهد للاخر
في جلب الخير ودفع الضر وقيل المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد تمسكا
بقوله تعالى ذكر رحمة ربك عبده زكريا وقوله تعالى ورحمة منا ان في ذلك اي
الذي تقدم من خلق الازواج على الحال المذكور وما يتبعه من المنافع لايات اي
دلالات واضحات على قدرة فاعله وحكمته لقوم يتفكرون اي يستعملون
افكارهم على القوانين المحررة ويجتهدون في ذلك فيعلمون ما في ذلك من الحكم
ولما بين تعالى علامة الانفس ذكر دلايل الافاق بقوله تعالى ومن اياته اي الدالة
على ذلك خلق السموات على علوها واحكامها والارض على اتساعها وتباينها تها
وقدم السما على الارض لان السما كالذكر وهي كالانثى لها ولما اشار الى دلايل الانفس
والافاق ذكر ما هو من صفات الانفس بقوله تعالى واختلاف السنتكم اي
لغاتكم من العربية والعجمية وغيرهما ونغماتكم وهيآتها فلا تكاد تسمع منطقين
متفقين في همس ولا جهارة ولا شدة ولا رخاوة ولا لكنة ولا فصاحة
وغير ذلك من صفات النطق واشكاله وانتم من نفس واحدة واختلاف
الوانكم من ابيض واسود واشقر واسمر وغير ذلك من اختلاف الالوان
وانتم بنو رجل واحد وهو ادم والحكمة في ذلك ان الانسان يحتاج الى التمييز
بين الاشخاص ليعرف صاحب الحق من غيره والعدو من الصديق ليحترز قبل
وصوله للعدو وليقبل على الصديق قبل ان يفوته الاقبال عليه وذلك
قد يكون بالبصر فخلق اختلاف الصور وقد يكون بالسمع فخلق اختلاف
الاصوات واما اللمس والشم والذوق فلا يفيد فايدة في معرفة العدو
والصديق فلا يقع التمييز بل كل واحد بشكله وحليته وصورته ولو
اتفقت الصور والاصوات وتشاكلت وكانت ضربا واحدا لوقع التجاهل
والالتباس ولتعطلت مصالح كثيرة وربما رايت توامين يشتبهان في الحلية
فيعتريك الخطا في التمييز بينهما فسبحان من خلق الخلق على ما اراد وكيف
اراد وفي ذلك اية بينة حيث ولدوا من اب واحد وفرعوا من اصل
قد حوى على الكثرة التي لا يعلمها الا الله تعالى مختلفون صنفا ونوعا
ولما كان هذا مع كونه في غاية الوضوح لا يختص بجنس من الخلق دون
غيره قال ان في ذلك اي الامر العظيم العالي الرتبة في بيانه وظهور
برهانه لايات اي دلالات واضحات جدا على وحدانيته تعالى
للعالمين اي ذوي العقول والعلم ولا يختص به صنف منهم دون
صنف من جن ولا انس ولا غيرهم فهذا هو حكمة قوله تعالى هنا للعالمين
وفيما تقدم بقوله تعالى لقوم يتفكرون وقرا حفص وحده بكسر اللام

ولما ذكر تعالى بعض العرضيات اللازمة وهو الاختلاف ذكر الاعراض المفارقة ومن جملتها النوم بالليل والحركة في النهار طلبا في الرزق كما قال تعالى **ومن اياته** الدالة على القدرة والعلم **منامكم** اي نومكم ومكانه وزمانه الذي يغلبكم بحيث لا تستطيعون له دفعا **بالليل والنهار** قيلولة **وابتغاؤكم من فضله** اي منامكم في الزمانين لاستراحة القوى النفسانية وقوة القوى الطبيعية وطلب معاشكم فيهما فان كثيرا ما يكتسب الانسان بالليل او منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار حذف وضم بين الزمانين والفصلين بعاطفين وهما الواوان اشعارا بان كلا من الزمانين وان اختص باحدهما فهو صالح للاخر عند الحاجة ويؤيده ايات اخر كقوله تعالى وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وقوله تعالى وجعلنا اية النهار مبصرة ويكون التقدير هكذا ومن اياته منامكم وابتغاؤكم بالليل والنهار من فضله واخر الابتغاء وقرنه في اللفظ بالفضل اشارة الى ان العبد ينبغي ان لا يرى الرزق من كسبه وحذقه بل من فضل ربه ولهذا قرنت الابتغاء بالفضل في كثير من المواضع منها قوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله ولقوله تعالى ولتبتغوا من فضله تنبيه قدم تعالى المنام بالليل على الابتغاء بالنهار في الذكر لان الاستراحة مطلوبة لذاتها والطلب لا يكون الا لحاجة فلا يتعب الا محتاج في الحال وخائف من المال **ان في ذلك** اي الامر العظيم العلي الرتبة من ايجاد النوم بعد النشاط والنشاط بعد النوم الذي هو الموت الاصغر وايجاد كل من الملوين بعد اعدامهما والجد في الابتغاء بعد المفارقة في التحصيل **لايات** عديدة على القدرة والعلم لا سيما البعث **لقوم يسمعون** اي من الدعاة والنصاح سماع تفهم واستبصار فان الحكمة فيه ظاهرة تنبيه قال هنا ايات لقوم يسمعون وقال تعالى من قبل لقوم يتفكرون وقال تعالى للعالمين لان المنام بالليل والابتغاء يظن الجاهل او الغافل انهما مما يقتضيه طبع الحيوان فلا يظهر لكل احد كونهما من نعم الله تعالى فلم يقل ايات للعالمين ولان الامرين الاولين وهما اختلاف الالسنة والالوان فانهما لازمان بدوام الانسان فجعلهما ايات عليه واما قوله تعالى لقوم يتفكرون فان من الاشياء ما يعلم من غير تفكر ومنها ما يكفي فيه مجرد الفكر ومنها ما يحتاج الى موقف يوقف عليه ومرشد يرشد اليه فيفهمه اذا سمعه من ذلك المرشد ومنها ما يحتاج بعض الناس في تفهمه الى امثال حسية كالاشكال الهندسية لان خلق الازواج لا يقع لاحد انه بالطبع الا اذا كان جامد الفكر فاذا تفكر علم ذلك الخالق اية واما المنام والابتغاء فلا يقع لكثير انهما من افعال وقد يحتاج الى مرشد

يعين

يعين لفكره فقال لقوم يسمعون ويجعلون بالهم من كلام المرشد ولما ذكر تعالى العرضيات اللازمة للانفس والمفارقة ذكر العرضيات التي للافاق بقوله تعالى **ومن اياته** الدالة على عظيم قدرته **يريكم البرق** اي اراكم له على مسايرت وكيفيات طال ما شاهدتموها تارة تاتي بما يضر وتارة بما ييسر كما قال تعالى **خوفا** اي للاخافة من الصواعق المحرقة **وطمعا** اي وللاطماع في المياه العذبة **وينزل من السماء ماء** اي الذي لا يمكن لاحد غيره دعواه وقرا ابن كثير وابو عمرو بسكون النون وتخفيف الزاي والباقون بفتح النون وتشديد الزاي **فيحيي به** اي بذلك الماء خاصة لان اكثر الارض لا يسقى بغيره **الارض** اي بالنبات الذي هو لها كالروح لجسد الانسان **بعد موتها** اي يبسها **ان في ذلك** اي الامر العظيم العالي القدر **لايات** لا سيما على القدرة على البعث **لقوم يعقلون** اي يتدبرون فيستعملون عقولهم في استنباط اسبابها وكيفية تكونها ليظهر لهم كمال قدرة الصانع تنبيه كما قدم السماء على الارض قدم ما هو من السماء وهو البرق والمطر على ما هو من الارض وهو الانبات والاحياء وكما ان في انزال المطر وانبات الشجر منافع كذلك في تقديم الرعد والبرق على المطر منفعة وهي ان البرق اذا لاح فالذي لا يكون تحت كن يخاف الابتلال فيستعد له والذي له صهريج او مصنع يجمع ماء او زرع سوى مجاري الماء او بض اهل البوادي لا يعلمون البلاد المعشبة ان لم يكونوا قد روا البروق اللائحة من جانب دون جانب واعلم ان دلائل البرق وفوائده وان لم تظهر للمقيمين في البلاد فهي ظاهرة للبادين فلهذا جعل تقديم البرق على تنزيل الماء من السماء نعمة واية فان قيل ما الحكمة في قوله تعالى هنا ايات لقوم يعقلون وفيما تقدم لقوم يتفكرون اجيب لما كان حدوث الولد من الوالد امرا عاديا مطردا قليل الاختلاف كان يتطرق الى الاوهام العامية ان ذلك بالطبيعة لان المطرد اقرب الى الطبيعة من البرق والبرق والمطر ليس امرا مطردا غير مختلف بل يختلف اذ يقع ببلدة دون بلدة وفي وقت دون وقت وتارة يكون قويا وتارة يكون ضعيفا فهو اظهر في العقل دلالة على الفاعل المختار فقال هو اية لمن له عقل وان لم يتفكر تفكرا تاما ثم ذكر تعالى من لوازم السماء والارض فيهما بقوله تعالى **ومن اياته** اي على تمام القدرة وكمال الحكمة **ان تقوم السماء والارض بامره** قال ابن مسعود قامتا على غير عمد وهذا من اللوازم فان الارض لا تخرج عن مكانها الذي هي فيه وانما افرد السماء والارض لان السماء الاولى والارض الاولى لا تقبل النزاع لانها مشاهدة مع صلاحية اللفظ بالكل لانه جنس تنبيه ذكر تعالى من كل باب امرين اما من الانفس فقوله تعالى خلقكم وخلق لكم واستدل بخلق الزوجين

ومن لوازم

ومن الافاق السماء والارض فقال تعالى خلق السموات والارض ومن لوازم
الانسان اختلاف اللسان واختلاف الالوان ومن عوارض الافاق البرق
والمطر ومن لوازمهما قيام السماء والارض لان الواحد يكفي للاقرار بالحق والامطار
والثاني يفيد الاستقرار ومن هذا اعتبر شهادة شاهدين فان قول
احدهما يفيد الظن وقول الاخر يفيد تاكيده ولهذا قال ابراهيم عليه
السلام بلي ولكن ليطمئن قلبي فان قيل ما الفايدة في قوله تعالى هنا
ومن اياته ان تقوم وقال تعالى قبله ومن اياته يريكم ولم يقل ان يريكم
بان القيام لما كان غير معتبر اخرج الفعل ليصير كالمصدر اجيب
بان عن الفعل المستقبل ولم يذكر معه الحروف المصدرية فان قيل ما الحكمة
انه ذكر ست دلايل وذكر في اربع منها ان في ذلك لايات ولم يذكر في الاول
وهو قوله تعالى ومن اياته ان خلقكم من تراب ولا في الاخر وهو قوله
ومن اياته ان تقوم السماء والارض اجيب بان الاول فلان قوله تعالى
ومن اياته ان خلق لكم ابيض دليل الانفس بخلق الانفس وخلق الازواج
من باب واحد على ما تقدم من انه تعالى ذكر من كل باب امرين التقرير
والتوكيد فلما قال في الثانية ان في ذلك لايات كان عايدا اليهما
واما في قيام السماء والارض فلانه ذكر في الايات السماء وبها ايات
للعالمين ولقوم يعقلون ولظهورها فلما كان في اول الامر ظاهرا ففي اخر
الامر بعد سرد الادلة يكون اظهر فلم يميز احدا في ذلك عن الاخر ثم
انه تعالى لما ذكر الدليل على القدرة والتوحيد ذكر مدلوله وهو القدرة على
الاعادة بقوله تعالى ثم اذا دعاكم واشار الى هو ان ذلك القول عنده
بقوله تعالى دعوة اي واحدة من الارض بان ينفخ اسرافيل في الصور
للبعث من القبور فيقول ايها الموتى اخرجوا اذا انتم تخرجون اي منها احياء
بعد اضمحلالكم بالموت والبلا فلا يبقى نسمة من الاولين والاخرين
الا قامت تنظر كما قال تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون
فان قيل بم يتعلق من الارض اما بالفعل بالمصدر اجيب بهما
اذا جاء نهر الله وهو الفعل بطل نهر معقل وثم هو المصدر وثم للتراخي
زمانه او لعظم ما فيه فان قيل ما الفرق بين اذا واذ اجيب بان الاولى
للشرط والثانية للمفاجاة وهي تنوب مناب الفاء في جواب الشرط
ولذلك نابت مناب الفاء في جواب الاولى تنبيه قال ههنا اذا انتم تخرجون
وقال تعالى في خلق الانسان اولا ثم اذا انتم بشر تنتشرون لان هناك
يكون خلق وتقدير وتدريج حتى يصير التراب قابلا للحياة وتراخي بل يكون
نداء خروج فلم يقل ههنا ثم ولما ذكر تعالى الايات التي تدل على القدرة على الحشر
الذي هو على الاصل الاخر والوحدانية التي هي الاصل الاول اشار اليهما

بقوله

97

بقوله تعالى وله من في السموات والارض ملكا وخلقا كل له قانتون قال ابن عباس
كل له مطيعون في الحياة والفناء والموت والبعث وان عصوا في العبادة وقال
الكلبي هذا خاص بمن كان منهم مطيعا ونفس السموات والارضين له وملكه
فكل له منقادون فلا شريك له اصلا ثم ذكر المدلول الاخر بقوله تعالى
وهو الذي يبدأ الخلق اي على سبيل التجديد كما نشاهدون واشار الى تعظيم
الاعادة باداة التراخي فقال ثم يعيده اي بعد البعث وفي قوله تعالى
وهو اهون عليه قول لان احدهما انها للتفضيل على بابها وعلى هذا ايضا لكيف
يتصور التفضيل والاعادة والبداءة بالنسبة الى الله تعالى على حد سوا
وفي ذلك اجوبة احدها ان ذلك بالنسبة الى اعتقاد البشر باعتبار
المشاهدة بان اعادة الشي اهون من اختراعه لاحتياج الى اعمال فكر
غالبا وان كان هذا منتفيا عن الباري تعالى فخوطبوا بحسب ما الفوه
ثانيها ان الضمير في عليه ليس عايدا على الله تعالى انما يعود على الخلق اي
والعود اهون على الخلق اي اسرع لان البداءة فيها تدريج من طور الى طور
الى ان صارت انسانا والاعادة لا تحتاج الى هذه التدريجات فكانه
قيل وهو اقصر عليه وايسر واقل انتقالا والمعنى يقومون بصيحة واحدة
فيكون اهون عليهم من ان يكونوا نطفا ثم مضغا ثم علقا الى ان يصيروا
رجالا ونساء وهي رواية الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس ثالثها ان
الضمير في عليه يعود على المخلوق بمعنى والاعادة اهون على المخلوق اي اعادته
شيئا بعد ما انشاه هذا في عرف المخلوقين فكيف ينكرون ذلك في جانب
الله تعالى والثاني ان اهون ليس للتفضيل بل هي صيغة بمعنى هين
كقولهم الله اكبر اي الكبير وهي رواية العوفي عن ابن عباس وقد يجي افعل
بمعنى افعل الفاعل كقول الفرزدق

ان الذي سمك السما بنا لنا ... بيتا دعايمه اعز واطول

اي عزيزة طويلة وعود الضمير على الباري تعالى اولى ليوافق الضمير
في قوله تعالى وله المثل اي الوصف العجيب الشان كالقدرة العامة
والحكمة الشاملة قال ابن عباس هو انه ليس كمثله شي وقال قتادة
هو انه لا اله الا هو وقال البيضاوي ومن فسره بلا اله الا الله هو
اراد به الوصف بالوحدانية الاعلى الذي ليس لغيره ما يساويه او
يدانيه ولما كان الخلق لقصورهم مقيدين بما لهم به نوع مشاهدة قال
في السموات والارض اللتين خلقهما ولم يستعصيا عليه فكيف يستعصي
عليه شي فيهما وهو اي وحده العزيز اي الذي اذا اراد شيا اتقنه
فلم يقدر غيره الى التوصل الى بعض شي منه ولا انتقض حكمه هذا الكون
على هذه الصورة الا بالبعث بل هو الحكمة الاعظم ليعمل كل ذي حق الى حقه

كان له في غاية الانقياد وكان ما كان الحكيم الذي اذا اراد شيا اتقنه مع

بالتقصي التحرير ولما بان من هذا انه تعالى المنفرد بالملك الشامل للعلم والقدرة التام
وكمال العلم اتصل بحسن امثاله واحكام مقاله وفعاله قوله تعالى ضرب
اي جعل لكم بحكمته ايها المشركون في امر الاصنام وبيان لابطال من يشرك
بها وفساد قوله باجلى ما يكون من التقرير مثلا مبتدا من انفسكم التي هي
اقرب الاشياء اليكم ثم بين المثل بقوله تعالى هل لكم اي يا من عبد مع
الله غيره مما اي من بعض ما ملكت ايمانكم اي من العبيد والاما الذين هم
بشر مثلكم وعم بالنفي الذي هو المراد بالاستفهام بزيادة الجار بقوله تعالى
من شركاء اي في حالة من الحالات ليسوغ لكم بذلك ان
تجعلوا لله شركاء فيما رزقناكم من الاموال وغيرها مع ضعف ملككم
فيه فائدة في مقطوعة عنها فانتم اي معاشر الاحرار والعبيد
فيه اي الشي الذي وقعت فيه الشركة سواء فيكون انتم وهم
شركا يتصرفون فيه كتصرفكم مع انه بشر مثلكم فان قيل اي فرق بين من
الاولى والثانية والثالثة في قوله تعالى من انفسكم اجيب بان الاولى
للابتداء كانه قال اخذ مثلا وانتزعه من اقرب شي منكم وهي من انفسكم
ولم يبعد والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتاكيد الاستفهام الجاري
مجرى النفي ثم بين المساواة بقوله تعالى تخافونهم اي معاشر السادة
كخيفتكم انفسكم اي كما تخافون
في التصرف في ذلك الشي المشترك
بعض من تشاركونه من نساويكم في الحرمة والعظمة ان تتصرفوا في الامر
المشترك بشي لا برضيه وبدون اذنه وظهر ان حالكم في عبيدكم مثل
له فيما اشركتموهم به موضح لبطلانه فاذا لم ترضوا هذا لانفسكم
وهو ان تستوي عبيدكم معكم في الملك فكيف ترضونه لخالقكم في
هذه الشركاء التي زعمتموها فتسوونها به وهي من اضعف خلقه
افلا تستحيون كذلك اي مثل هذا التفصيل العالي نفصل الايات
اي نبينها فان التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها لقوم يعقلون اي
يتدبرون هذه الدلايل بعقولهم والامر لا يخفي بعد ذلك الا على
من لا عقل له بل اتبع الذين ظلموا اي اشركوا فانهم وضعوا
الشي في غير موضعه فعل الماشي في الظلام اهواءهم وهو ما تميل
اليه نفوسهم بغير علم اي جاهلين لا يكفهم شي اذا اتبع هواه ربما
ردعه علمه ثم بين تعالى ان ذلك بارادته بقوله تعالى فمن يهدي من اضل
الله اي الذي له الامر كله اي لا يقدر احد على هدايته وما لهم من ناصرين
اي مخلصين ما نجحين يمنعونهم من عذاب الله لا من الاصنام ولا من غيرها ولما
تحررت الادلة وانتصبت الاعلام اقبل تعالى على خلاصة خلقه
ابدانا بانه لا يفهم ذلك حق فهمه غيره بقوله فاقم وجهك اي قصدك

كله

كله للدين اي اخلص دينك لله قاله سعيد بن جبير وقال غيره سدد عملك
والوجه ما يتوجه اليه وقيل اقبل بكلك على الدين عبر بالوجه عن الذات
كقوله تعالى كل شي هالك الا وجهه اي ذاته بصفاته وقوله تعالى
حنيفا حال من فاعل اقم ومفعوله اي من الدين ومعنى حنيفا اي مائلا
اليه مستقيما عليه ومائلا عن كل شي لا يكون فيقلبك شي اخر وهذا قريب
من معنى قوله تعالى ولا تكونن من المشركين وقوله تعالى فطرة الله اي
خلقته منصوب على الاغرا او المصدر لما دل عليه ما بعدها وهي تا
مجرورة ووقف عليها ابن كثير وابو عمرو والكسائي بالهاء والباقون
بالتاء ثم اكد ذلك بقوله تعالى التي فطر الناس قال ابن عباس خلق الناس
عليها وهي دينه وهو التوحيد قال صلى الله عليه وسلم ما من
مولود الا وهو يولد على الفطرة وانما ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه — نه
فقوله على الفطرة على العهد الذي اخذ عليهم بقوله تعالى الست بربكم
قالوا بلى وكل مولود في العالم على هذا الاقرار وهي الحنيفية التي
وقعت الخلقة عليها وان عبد غيره قال الله تعالى ولئن سالتهم من
خلق السموات والارض ليقولن الله وقالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى
الله زلفى ولكن لا عبرة بالايمان الفطري في احكام الدنيا وانما يعتبر الايمان
الشرعي المامور به وهذا قول ابن عباس وجماعة من المفسرين وقيل الاية
مخصوصة بالمومنين وهم الذين فطرهم الله تعالى على الاسلام روي عن
عبد الله بن المبارك قال معنى الحديث كل مولود يولد على فطرته اي
خلقته التي جبل عليها في علم الله تعالى من السعادة والشقاوة فكل منهم
صائر في العاقبة الى ما فطر عليها وعامل في الدنيا بالعمل المشاكل
لها فمن علامات الشقا ان يولد بين يهوديين ونصرانيين فيحملانه لشقائه — به
على اعتقاد دينهما وقيل معنى الحديث ان كل مولود يولد في مبدا الفطرة
على الخلقة اي الجبلة السليمة والطبع المتهيء لقبول الدين فلو ترك
عليها لاستمر الطبع على لزومها لان هذا الدين موجود حسنه في العقول
وانما يعدل عنه من يعدل الى غيره لانه من النشو والتقليد فمن يسلم
من تلك الافات لا يعتقد غيره ذكر هذه المعاني ابو سليمان الخطابي في كتابه
ولما كانت سلامة الفطرة امرا مستمرا قال تعالى لا تبديل لخلق الله اي — الفطرة
الملك الاعلى الذي لا كفو له لا يقدر احد ان يغيره فمن حمل الفطرة
على الدين قال معناه لا تبديل لدين الله فهو خبر بمعنى النهي اي
لا تبدلوا دين الله قاله مجاهد وابراهيم والمعنى الزموا فطرة الله اي دين — لا تبدلوا دين الله ع
الله واتبعوه ولا تبدلوا التوحيد بالشرك ومن حملها على الخلقة
قال معناه لا تبديل لخلق الله اي ما جبل عليه الانسان من

السعادة والشقاوة فلا يصير السعيد شقيا ولا الشقي سعيدا وقال عكرمة
معناه اخصاء البهايم اي في غير المأكول وفي المأكول الكبير اما المأكول الصغير
فانه يجوز ويلحق بالخصي المحرم كل تغيير محرم كالوشم ذلك اي الشأن
العظيم الدين القيم اي المستقيم الذي لا عوج فيه توحيد الله تعالى
ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان ذلك هو الدين المستقيم لعدم تدبرهم وقوله
تعالى منيبين اي راجعين اليه تعالى فيما امر به ونهى عنه حال من
فاعل اقم قال الزمخشري فان قلت لم وحد الخطاب اولا ثم جمع قلت
خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا وخطاب الرسول خطاب
لامته مع ما فيه من التعظيم للامام ثم جمع بعد ذلك للبيان والتلخيص
واتقوه اي خافوه فانكم وان عبدتموه فلا تأمنوا ان تزيغوا عن سبيله
واقيموا الصلاة اي داوموا عليها وعلى ادابها في اوقاتها ولا تكونوا من المشركين
اي لا تكونوا ممن يدخل في عدادهم بموادة ومعاشرة او عمل تشابهونهم
فيه فانه من تشبه بقوم فهو منهم وهو عام في كل شركة سواء
كان بعبادة صنم او نار او غير ذلك وقوله تعالى من الذين بدل من المشركين
باعادة الجار فرقوا دينهم اي الذي هو الفطرة الاولى فعبد كل قوم منهم
شيئا ودانوا دينا غير دين من سواهم وهو معنى وكانوا شيعا اي فرقا
متخالفين كل واحدة منهم تشايع من دان بدينها على من خالفهم
حتى كفر بعضهم بعضا واستباحوا الدماء والاموال فعلم قطعا انهم
كلهم ليسوا على الحق وقرأ حمزة والكسائي بالف بعد الفاء وتخفيف الراء
والباقون بغير الف وتشديد الراء فعلى القراءة الاولى فارقوا اي تركوا دينهم
الذي امروا به ولما كان هذا امرا يتعجب من وقوعه زاد عجبا بقوله تعالى
استينافا كل حزب اي كل منهم بما لديهم اي عندهم فرحون اي
اي مسرورون ظنا انهم صادفوا الحق وفازوا به دون غيرهم ولما بين
تعالى التوحيد بالدليل وبالمثل بين ان لهم حالة يعرفون بها وان كانوا
ينكرونها في وقت وهي حالة الشدة بقوله تعالى واذا مس الناس ضر اي قحط
وشدة دعوا ربهم اي الذي لم يشركه في الاحسان اليهم احد
منيبين اي راجعين من جميع ضلالاتهم اليه دون غيره علما منهم
بانه لا فرج لهم عند شيء غيره قال الرازي في اللوامع في اواخر العنكبوت
وهذا دليل على ان معرفة الرب في فطرة كل انسان وانهم ان غفلوا في
السراء فلا شك انهم يلوذون اليه في حال الضراء ثم اذا اذاقهم منه رحمة اي
خلاصا من ذلك الضر اذا فريق منهم بربهم اي المحسن اليهم دائما المجدد لهم يشركون
هذا الاحسان من هذا الضر اي فلجأة فريق منهم الاشراك بربهم الذي
عافاهم فاذا الفجائية وقعت جواب الشرط لانها كالفاء في انها للتعقيب

ولا تقع

ولا تقع اول كلام وقد تجامعها الفاء الزائدة وان قيل ما الحكمة في قوله ههنا اذا
فريق منهم وقال في العنكبوت فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ولم
يقل فريق اجيب بان المذكور هناك غير معين وهو ما يكون من هول
البحر والمتخلص منه بالنسبة الى الخلق قليل والذي لا يشرك منهم
بعد الخلاص فرقة منهم فهم في غاية القلة فلم يجعل المشركين فريقا
لقلة من خرج من الشرك واما المذكور ههنا الضر مطلقا فيتناول ضر
البحر والامراض والاهوال والمتخلص من انواع الضر خلق كثير بل جميع الناس
قد يكونون قد وقعوا في ضر ما فتخلصوا منه والذي لا يبقى بعد الخلاص
مشركا من جميع الانواع فهو خلق عظيم وهو جميع المسلمين فانهم تخلصوا
من ضر ولم يبقوا مشركين واما المسلمون فلم يتخلصوا من ضر البحر
باجمعهم فلما كان الناجي من الضر المؤمن جمعا كثيرا سمي الباقي فريقا
وقوله تعالى ليكفروا بما آتيناهم يجوز ان تكون اللام فيه لام كي وان تكون
لام الامر ومعناه التهديد كقوله تعالى اعملوا ما شئتم ثم خاطب هولاء
الذين فعلوا هذا خطاب تهديد بقوله تعالى فتمتعوا فسوف تعلمون عاقبة
تمتعكم في الاخرة وفي هذا التفات من الغيبة ام انزلنا عليهم سلطانا اي
دليلا واضحا قاهرا او ذا سلطان اي ملك معه برهان فقوله تعالى فهو
يتكلم على الاول كلاما مجازيا وعلى الثاني كلاما حقيقيا وعلى كلا الحالين
هو جواب للاستفهام الذي تضمنته ام المنقطعة بما اي بصحة ما كانوا به
يشركون اي فيأمرهم بالاشراك بحيث لا يجدوا بدا من متابعته لتزول
عنهم الملامة وهذا الاستفهام بمعنى الانكار اي ما انزلنا بما يقولون
سلطانا قال ابن عباس حجة وعذرا وقال قتادة كتابا فهو يتكلم بما
كانوا به يشركون اي ينطق بشركهم ولما بين تعالى حال المشرك الظاهر
شركه بين تعالى حال المشرك الذي دونه وهو من تكون عبادته للدنيا بقوله
تعالى واذا معبرا باداة التحقق اشارة الى ان الرحمة اكثر من النقمة واسند
الفعل اليه في مقام العظمة اشارة الى سعة جوده فقال اذقنا الناس
رحمة اي نعمة من خصب وكثرة مطر وغنى ونحوه لا سبب لها الا رحمتنا
فرحوا بها اي فرح بطر مطمئنين من زوالها ناسين شكر من انعم بها ولا
ينبغي ان يكون كذلك فان قيل الفرح بالرحمة مامور به قال تعالى بفضل
الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وههنا ذمهم على الفرح بالرحمة اجيب بانه قال
هناك فرحوا برحمة الله من حيث انها مضافة الى الله وههنا فرحوا بنفس
الرحمة حتى لو كان المطر من غير الله لكان فرحهم به مثل فرحهم اذا كان
من عند الله تعالى وان تصبهم سيئة اي شدة من جدب وقلة مطر وفقر
ونحوه بما قدمت ايديهم من السيئات اذا هم يقنطون اي ييأسون

من رحمة الله وهذا خلاف وصف المؤمنين فانهم يشكرونه عند النعمة ويرجونه
عند الشدة وقرا ابو عمرو والكسائي بكسر النون بعد القاف والباقون بالفتح
أولم يروا اي يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشا اي يوسعه امتحانا
ويقدر اي يضيق لمن يشا ابتلا وهذا شانه دايما مع الشخص الواحد في اوقات
متعاقبة متباعدة ومتقاربة ومع الاشخاص ولو في الوقت الواحد فلو اعتبروا
حال قبضه سبحانه لم يبطروا ولو اعتبروا حال بسطه لم يقنطوا بل كان حالهم
الصبر في البلا والشكر في الرخا والاقلاع عن السيئة التي نزل بسببها القضا
ولما لم تغن عن احد منهم في استجلاب الرزق قوته وغزارة عقله ودقة مكره
وكثرة حيله ولا ضره ضعفه وقلة عقله وعجز حيلته وكان ذلك امرا عظيما
ومن عاين شدة ظهوره وجلالته حقيقا دقيقا قال بعضهم
كم عاقل عاقل اعيت مذاهبه ، وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
اشار سبحانه الى عظمته بقوله مؤكدا لان عملهم في شدة اهتمامهم بالسعي
في الدنيا عمل من يظن ان تحصيله انما هو على قدر الاجتهاد في الاسباب
ان في ذلك اي الامر العظيم من الاقتار في وقت والاغناء في اخر والتوسيع على
والتقتير والتوسيع على اخر والامن من زوال الحاضر من النعم مع تكرر المشاهدة للزوال
في النفس والغنى واليأس من حصولها عند المحنة مع كثرة وجدان الفرج
وغير ذلك من اسرار الآية لآيات اي دلالات واضحات على الوحدانية
لله تعالى وكمال العلم وتمام القدرة وانه لا فاعل في الحقيقة الا هو لكن لقوم
اي ذي همم وكفاية القيام بما يحق لهم ان يقوموا به لقوم يؤمنون اي يوجد
هذا الوصف ويثبتون تجديده كل وقت لما يتواصل عندهم من قيام الادلة
بادامة التامل والامعان والتفكر والاعتماد في الرزق على من قال وتقديرنا
القرآن فهل من مدكر اي من طالب علم فيعان عليه فلا يفرحون بالنعم اذا
حصلت خوفا من زوالها اذا اراد القادر ذلك ولا يقنطون فيها اذا زالت
رجاء في اقبالها فضلا من الرازق لان افضل العبادة انتظار الفرج بل
هم بما عليهم من وظايف العبادة واجبها ومندوبها معرضون عما سوى ذلك
قد وكلوا امر الرزق الى من تولى امره وفرغ عن قسمه وقام بضمانه وهو القدير العليم
ولما افهم ذلك عدم الاكثار بالدنيا لان الاكثار بها لا يزيدها والتهاون
بها لا ينقصها قال تعالى مخاطبا لاعظم المتاهلين لتنفيذ اوامره فآت
يا خير الخلق ذا القربى اي القرابة حقه اي من البر والصلة لان احق الناس
بالبر صلة الرحم جودا وكرما والمسكين سواء كان ذا قرابة ام لا وابن السبيل
وابن السبيل وهو المسافر كذلك من الصدقة وامة النبي صلى الله عليه وسلم
تبع له لذلك تنبيه عدم ذكر بقية الاصناف تدل على ان ذلك في صدقة التطوع
ودخل الفقير من باب اولى لانه اسوا حالا من المسكين فان قيل كيف تعلق قوله تعالى

فائدة القرابة

١٠٠

قوله تعالى فآت ذا القربى حقه بما قبله حتى جي بالفا اجيب بانه لما ذكر ان
السيئة اصابتهم بما قدمت ايديهم اتبعه ذكر ما يجب ان يفعل وما يجب
ان يترك وقد احتج ابو حنيفة بهذه الآية في وجوب النفقة للمحارم اذا كانوا
محتاجين عاجزين عن الكسب وعند الشافعي لا نفقة بالقرابة الا على
الولد والوالدين قاس سائر القرابة على ابن العم لانه لا ولادة بينهم ولما امر بالايتا
رغب فيه بقوله تعالى ذلك اي الايتاء العالي الرتبة خير للذين يريدون
وجه الله اي ذاته او جهته وجانبه اي يقصدون بمعروفهم اياه خالصا
وجهه كقوله تعالى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى اي يقصدون جهة التقرب
الى الله تعالى لا جهة اخرى والمعنيان متقاربان ولكن الطريقة مختلفة
واولئك اي العالو الرتبة لغناهم عن كل فان هم المفلحون اي الفائزون
الذين لا يشوب فلاحهم شيء واما غيرهم فخائب اما من لم ينفق فواضح
واما من انفق على وجه الريا فقد خسر ماله وابقى عليه وباله كما قال تعالى
وما آتيتم من ربا اي مال على وجه الربا المحرم من زيادة في المعاملة او المكروه
بعطية يتوقع بها مزيد مكافاة وكان هذا محرما على النبي صلى الله عليه
وسلم لقوله تعالى ولا تمنن تستكثر اي لا تعط وتطلب اكثر مما اعطيت
تشريفا له وكره لعامة الناس فسمي باسم المطلوب من الزيادة في المعاملة
فالربا ربوان فالحرام كل قرض يؤخذ فيه اكثر منه او يجر منفعة والذي
ليس بحرام ان يستدعي بهديته او يهبه اكثر منها وقرا ابن كثير بقصر
الهمزة بمعنى ما جئتم به من اعطاء ربا والباقون بمدها ليربوا اي يزيد
ويكثر ذلك في اموال الناس اي يحصل فيه زيادة تكون اموال الناس ظرفا
لها فهو كناية عن ان الزيادة التي ياخذ المربي من اموالهم لا يملكها اصلا
وقرا نافع بتا الخطاب بعد اللام مضمومة وسكون الواو والباقون باليا التحتية
مفتوحة وفتح الواو فلا يربوا اي يزكوا وينموا فلا ثواب فيه عند الله اي
الملك الاعلى الذي له الغنى المطلق وصفات الكمال وكل ما لا يربو عند الله
فهو ممحوق لا وجود له فانه الى فنا وان كثر يمحق الله الربا ويربي الصدقات
ولما ذكر ما زيادته نقص اتبعه ما نقصه زيادة بقوله وما آتيتم اي اعطيتم
من زكاة اي صدقة وعبر عنها بذلك ليفيد الطهارة والزيادة اي تطهرون
اموالكم من الشبه وابدانكم من مواد الخبث واخلاقكم من الغل والدنس ولما
كان الاخلاص عزيزا اشار الى عظمته بتكريره بقوله تعالى تريدون اي بها
وجه الله اي عظمة الملك الاعلى فيعرفون من حقه ما يتلاشى عندهم كل
ما سواه فيخلصون له فاولئك هم المضعفون اي ذو الاضعاف الذين ضاعفوا
اموالهم في الدنيا بسبب ذلك بالحفظ والبركة وفي الآخرة بكثرة
الثواب عند الله من عشر امثاله الى ما لا حصر له ونظير المضعف

للقوي والمسر لذي القوة واليسار ولما وضح بهذا انه لا زيادة الا فيما يريد
الله ولا تخير فيما يختاره الله بين ذلك بطريق لا اوضح منه بقوله تعالى الله
اي بعظم جلاله لا غيره الذي خلقكم اي اوجدكم على ما انتم عليه من التقدير
لا تملكون شيأ ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم اي مما اشركتم بالله
من يفعل من ذلكم مشيرا الى علو رتبته باداة البعد وخطاب الكل ولما كان
الاستفهام الانكاري للتوبيخ بمعنى النفي اتى به موكدا له مستغرقا لكل ما يمكن منه
ولو قل جدا من شيء اي يستحق هذا الوصف الذي تطلقونه عليه ولما لزمهم
قطعا ان يقولوا لا وعزتك ما لهم ولا لاحد منهم فعل شيء من ذلك قال
تعالى معرضا عنهم منزها لنفسه الشريفة سبحانه اي تنزه تنزها
لا يحيط به الوصف من ان يكون محتاجا الى شريك وتعالى اي علوا لا يتصل
اليه العقول عما يشركون في ان يفعلوا شيا من ذلك تنبيه يجوز في
خبر الجلالة الكريمة وجهان اظهرهما انه الموصول بعدها والثاني انه
الجملة من قوله تعالى هل من شركائكم والموصول صفة والراجع من
ذلكم لانه بمعنى من افعاله ومن الاولى والثانية يفيدان شيوع
الحكم في جنس الشركاء والافعال والثالثة مزيدة لتعميم النفي فكل منها
مستقلة لتاكيد لتعجيز الشركاء وقرا حمزة والكسائي بتا الخطاب
والباقون باليا التحتية ولما بين لهم تعالى من حقارة شركائهم ما كان فيهم
حقهم به ان يرجعوا فلم يفعلوا اتبعه ما اصابهم به على غير ما كان في اسلافهم
عقوبة لهم على قبيح ما ارتكبوه استعطافا للتوبة بقوله تعالى ظهر
الفساد اي النقص في جميع ما ينفع الخلق في البر بالقحط والخوف وقلة
المطر ونحو ذلك والبحر بالغرق وقلة الفوائد من الصيد ونحوه مما كان
يحصل منه وقلة المطر كما يوثر في البر يوثر في البحر فتخلو الاصداف عن
اللولو وذلك لان الصدف اذا جاء المطر ترتفع على وجه الما وتفتح
فما وقع فيه من المطر صار لولوا وقالوا اذا انقطع المطر عميت دواب البحر
وقيل المراد بالبر البوادي والمفاوز وبالبحر المدائن والقرى التي على المياه
الجارية قال عكرمة العرب تسمي المصر بحرا تقول اجدب البر وانقطعت
مادة البحر بسببه بقوله تعالى بما كسبت ايدي الناس اي بسبب
شوم ذنوبهم ومعاصيهم كقوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت
ايديكم قال ابن عباس الفساد في البر قتل احد ابني ادم اخاه وفي
البحر غصب الملك الجبار السفينة قال الضحاك كانت الارض خضرة
مونقة لا ياتي ابن ادم شجرة الا وجد عليها ثمرة وكان ما البحر عذبا وكان لا
يقصد الاسد البقر والغنم فلما قتل قابيل هابيل اقشعرت الارض وشاكت
الاشجار وصار ما البحر ملحا زعاقا وقصد الحيوان بعضها بعضا وقال

قتادة هذا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم امتلات الارض ظلما فلما بعث
الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم رجع راجعون من الناس وقيل اراد بالناس
كفار مكة ولما ذكر تعالى علة البداية ثنى بعلة الجزائية بقوله تعالى
ليذيقهم بعض الذي عملوا كرما وحلما ويعفو عن كثير اما اصلا وراسا واما عن
المعاجلة به ويوخره الى وقت ما في الدنيا او الاخرة وقرا قنبل بالنون بعد
اللام والباقون باليا التحتية ثم ثلث بالعلة الغائية بقوله تعالى لعلهم
يرجعون عما هم عليه ولما بين تعالى حالهم بظهور الفساد في احوالهم
بسبب فساد اقوالهم بين لهم ضلال امثالهم واشكالهم الذين كانت
افعالهم كافعالهم بقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل اي لهولاء
الذين لا هم لهم سوى الدنيا سيروا في الارض فان سيركم الماضي لكونه لم
تصحبه عبرة عدم فانظروا نظر اعتبار كيف كان عاقبة الذين من قبل اي من
قبل ايامكم لتروا منازلهم ومساكنهم خالية فتعلموا ان الله تعالى اذاقهم
وبال امرهم واوقعهم في حفائر مكرهم كان اكثرهم مشركين اي فلذلك اهلكناهم
ولم تغن عنهم كثرتهم وانجينا المومنين وما ضرهم قلتهم ولما نهى تعالى الكفار
عما هم عليه امر المومنين بما هم عليه امر المومنين بما هم عليه وخاطب النبي صلى
الله عليه وسلم ليعلم المومن فضيلة ما هو مكلف به فانه امر به اشرف الانبيا
بقوله تعالى فاقم وجهك للدين القيم اي المستقيم وهو دين الاسلام من
قبل ان ياتي يوم اي عظيم لا مرد له اي لا يقدر ان يرده احد وقوله تعالى
من الله يجوز ان يتعلق بياتي او بمحذوف يدل عليه المصدر اي لا يرده من الله
احد والمراد يوم القيمة لا يقدر احد على رده من الله وغيره عاجز عن رده فلا
بد من وقوعه يومئذ اي اذ ياتي يصدعون اي يتفرقون فريق في الجنة
وفريق في السعير ثم اشار الى التفرق بقوله تعالى من كفر اي منهم فعليه
كفره اي وبال كفره ومن عمل صالحا اي بالايمان وما يترتب عليه فلانفسهم
يمهدون اي يوطئون منازلهم في القبور والجنة بل وفي الدنيا فان الله
تعالى يعزهم بعز طاعته تنبيه اظهر قوله تعالى صالحا ولم يضمر لئلا
يتوهم عود الضمير على من كفر وبشارة بان اهل الجنة كثير وان كانوا قليلا
لان الله تعالى هو مولاهم فهو مزكيهم وافرد الشرط وجمع الجزا في قوله تعالى
فلانفسهم يمهدون اشارة الى ان الرحمة اعم من الغضب فتشمله واهله
وذريته وفيه ترغيب في العمل من غير نظر الى مساعد وبانه ينفع نفسه وغيره
لان المومن للمومن كالبنيان يشد بعضه بعضا واقل ما ينفع والديه وبنيه
في ذلك العمل وقوله تعالى ليجزي اي الله سبحانه وتعالى الذي انزل هذه السورة
لبيان انه ينصر اولياه لاحسانه لانه يحب المحسنين ولذلك اقتصر هنا على
ذكرهم بقوله تعالى الذين امنوا وعملوا الصالحات اي تصديقا لايمانهم من فضله عليه

يهتدون او يصدعون والاقتصار على جزا الموصوفين للاشعار بانه المقصود
بالذات والاكتفاء بنحو قوله تعالى انه لا يحب الكافرين فان فيه اثبات
البغض لهم فيعذبهم والمحبة للمومنين فيثيبهم وتاكيدا اختصاص الصلاح
المفهوم من ترك ضميرهم الى التصريح بهم تعليل له وقوله تعالى من فضله دال
على ان الاثابة بفضل محض ولما ذكر تعالى ظهور الفساد والهلاك بسبب
الشرك ذكر ظهور الصلاح ولم يذكر انه بسبب العمل الصالح لان الكريم لا يذكر
لاحسانه عوضا ويذكر لاضداده سببا لئلا يتوهم به الظلم فقال تعالى
ومن اياته اي دلائله الواضحة ان يرسل الرياح مبشرات اي بالمطر
كما قال تعالى بين يدي رحمته اي قبل المطر وقيل مبشرات بصلاح الاهوية
والاحوال فان الرياح لو لم تهب لظهر الوبا والفساد وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي
الريح بالافراد على ارادة الجنس والباقون بالجمع وهي الجنوب والشمال والصبا
لانها رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقوله تعالى وليذيقكم اي بها من رحمته اي
نعمه من المياه العذبة والاشجار الرطبة وصحة الابدان وما يتبع ذلك
من امور لا يحصيها الا خالقها معطوف على مبشرات على المعنى كانه قيل
ليبشركم وليذيقكم او على علة محذوف دل عليها مبشرات او على يرسل باضمار
فعل معلل دل عليه اي وليذيقكم ارسلها ولتجري الفلك اي السفن في جميع
البحار وما جرى مجراها عند هبوبها وانما زاد بامره لان الريح قد تهب ولا تكون
موافقة فلا بد من ارسال السفن والاحتيال لحبسها وربما عصفت واغرقتها
ولتبتغوا اي تطلبوا من فضله من رزقه بالتجارة في البحر ولعلكم اي
ولتكونوا اذا فعل بكم ذلك على رجاء من ان تشكرون ما انعم عليكم من نعمه ودفع
عنكم من نقمه تنبيه قال تعالى في ظهر الفساد ليذيقهم بعض الذي عملوا
وقال ههنا وليذيقكم من رحمته فخاطبهم ههنا تشريفا ولان
رحمته قريب من المحسنين والمحسن قريب فيخاطب والمسيء بعيد فلم
يخاطب وقال هناك بعض الذي عملوا فاصابهم فاضاف ما اصابهم الى
انفسهم واضاف ما اصاب المومن الى رحمته فقال تعالى من رحمته لان الكريم
لا يذكر لرحمته واحسانه عوضا فلا يقول اعطيتك لانك فعلت كذا بل
يقول هذا لك مني واما ما فعلت من الحسنة فجزاوه بعد عندي وايضا
فلو قال ارسلت بسبب فعلكم لا يكون بشارة عظيمة واما اذا قال من رحمته
كان غاية البشارة وايضا فلو قال ارسلت بسبب فعلكم لا يكون بشارة
عظيمة واما اذا قال من رحمته كان غاية البشارة وايضا فلو قال بما فعلتم
لكان ذلك موهما لنقصان ثوابهم في الاخرة واما في حق الكفار فاذا قال
بما فعلتم انبا عن نقصان عقابهم وهو كذلك وقال هناك لعلهم يرجعون

وقال

بياه اي بهما لنا

وقال هنا ولعلكم تشكرون قالوا اشارة الى توفيقهم للشكر في النعم وعطف على
النعم قوله تعالى ولقد ارسلنا اي بما لنا من القوة وقال تعالى من قبلك رسلا
تنبيها على انه خاتم النبيين بتخصيص ارسال غيره بما قبل زمانه وقال الى قومهم
اعلاما بان امر الله اذا جاء لا ينفع فيه قريب ولا بعيد فجاوهم بالبينات فانقسم
قومهم الى مسلمين ومجرمين فانتقمنا اي فكانت معادات المسلمين للمجرمين
فينا سببا لانا انتقمنا بما لنا من العظمة من الذين اجرموا اي اهلكنا الذين كذبوهم
لاجرامهم وهو قطع ما امرناهم بوصله ولما كان محط الفائدة الزامه سبحانه
لنفسه بما تفضل به قدمه تعجيلا للسرور وتطييبا للنفوس فقال
تعالى وكان اي على سبيل الثبات والدوام حقا علينا اي بما اوجبناه بوعدنا
الذي لا خلف فيه نصر المومنين اي الغريقين في ذلك الوصف في الدنيا والاخرة
ولم يزل ذا دابنا في كل ملة على مدا الدهر فليعتقدها ولا لمثل هذا وليأخذوا الا
هبة لينظروا من المغلوب ولم ينفعهم شي روى الترمذي وحسنه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه
الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيمة ثم تلى قوله تعالى وكان
حقا علينا نصر المومنين قال البقاعي فالاية من الاحتباك اي وهو ان
يوتى بكلامين يحذف من كل منهما شي يكون نظيرهما بحشد بدل ما اثبت
في كل على ما حذف من الاخر فحذف اولا الخذلان الذي هو اثر الانتقام اولا
الخذلان لدلالة النصر عليه وثانيا الانعام لدلالة الانتقام عليه ثم نبه تعالى
على كمال قدرته فهو الناصر للمومنين بقوله تعالى الله اي وحده الذي
يرسل الرياح مضطربة هائجة بعد ان كانت ساكنة مرة بعد اخرى
فتثير سحابا اي تزعجه وتنشره فيبسطه بعد اجتماعه في
السما اي جهة العلو كيف يشا في اي ناحية شاء قليلا تارة كمسير
ساعة وكثيرا اخرى كمسير ايام على حسب ارادته واختياره لا مدخل
فيه لطبيعة ولا غيرها ويجعله اذا اراد كسفا اي قطعا غير متصل
بعضها ببعض اتصالا يمنع نزول الما وقرا ابن عامر بسكون السين بخلاف
عن هشام والباقون بفتحها فترى بسبب ارسال الله له او بسبب
جعله ذا امسام وفرج فيا من فيه اهلية الروية او يا اشرف خلقنا الذي
لا يعرف هذا حق معرفته سواه الودق اي المطر يخرج من خلاله اي السحاب
الذي هو اسم جنس في حالتي الاتصال والانفصال فاذا اصاب اي الله
به اي بالودق من اي ارض من يشا ونبه على ان ذلك فضل منه لا يجب
عليه شي لاحد اصلا بقوله تعالى من عباده اي الذين لم تزل عبادته واجبة
عليهم جديرون بملازمة شكره والخضوع لامره اذا هم يستبشرون اي
يظهر عليهم البشر وهو السرور الذي تشرق له البشرة حال الاصابة

لك

ظهورًا بالغا عظيما بما يرجونه مما يحدث عنه من الاثر النافع من الخصب والرطوبة
واللين ثم بين تعالى عجزهم بقوله تعالى وان اي والحال انهم كانوا في الزمن الماضي
من قبل ان ينزل عليهم اي المطر وقرا ابو عمرو وابن كثير بسكون النون وتخفيف
الزاي والباقون بفتح النون وتشديد الزاي وقوله تعالى من قبله من باب التكرير
والتاكيد كقوله تعالى فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها ومعنى التوكيد فيه
الدلالة على ان عهدهم بالمطر قد تطاول بعدما استحكم باسهم وقوله تعالى
لمبلسين اشارة انه تمادي الابلاسهم فكان الاستبشار على قدر اهتمامهم
بذلك وقيل الاولى ترجع الى المطر والثانية انشاء السحاب فلا تاكيد
فانظر الى اثار رحمت الله والرحمة هي الغيث واثرها النبات وقرا ابن عامر وحفص
وحمزة والكسائي بالف بعد الثا المثلثة والباقون بغير الف ورسمت رحمت هنا
مجرورة فوقف ابن كثير وابو عمرو والكسائي بالها والباقون بالتا كيف يحيي اي
الله الارض باخراج النبات بعد موتها اي يبسها ان ذلك اي الامر العظيم
الشان الذي قدر على احيا الارض لمحيي الموتى كلها من الحيوانات والنباتات
اي ما زال قادرا على ذلك كما قال تعالى وهو على كل شي من ذلك وغيره قدير
لان نسبة القدرة منه سبحانه وتعالى الى كل ممكن على حد سوا ولما بين انهم عند
توقف الخير يكونون ابلسين وعند ظهوره يكونون مستبشرين بين ان تلك
الحالة ايضا لا بد وموا عليها بقوله تعالى ولئن ارسلنا اي بعد وجود هذا الاثر
الحسن ريحا عقيما فراوه اي الاثر لان الرحمة هي الغيث واثرها هو النبات
او الزرع لدلالة السياق عليه مصفرا قد بدل واخذ في التلف من شدة يبس
الريح اما بالحر او البرد وقيل راو السحاب لانه اذا كان مصفرا لم يمطر ويجوز ان
يكون الضمير للريح من التعبير بالسبب عن المسبب تنبيه اللام موطئة
للقسم دخلت على حرف الشرط وقوله تعالى لظلوا اي لصاروا من بعده اي
اصفراره يكفرون اي باسهم من روح الله جواب سد مسد الجزا وكذلك
فسر بالاستقبال تنبيه سمي النافعة رياحا والضارة ريحا لوجوه احدها
ان النافعة كثيرة الانواع كثيرة الافراد فجمعها لان في كل يوم وليلة
تهب نفحات من الرياح النافعة ولا تهب الريح الضارة في اعوام بل الضارة
لا تهب في الدهور ثانيها ان النافعة لا تكون الا رياحا واما الضارة فنفخة
واحدة تقتل كريح السموم ثالثها في الحديث ان ريحا هبت فقال عليه الصلاة
والسلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا اشارة الى قوله تعالى فارسلنا
عليهم الريح العقيم وقوله تعالى ريحا صرصرا تنزع الناس ولما علم الله تعالى
نبيه صلى الله عليه وسلم وجوه الادلة ووعد واوعد ولم يزدهم دعاؤه الا
فرارا وكفرا واصرارا قال تعالى فانك لا تسمع الموتى اي ليس في قدرتك
اسماع الذين لا حياة لهم فلا نظر ولا سمع او موتى القلوب اسماعا ينفعهم

لانه ما

لانه مما اختص به تعالى وهولا منهم مثل الاموات لان الله تعالى قد ختم
على مشاعرهم ولا تسمع الصم اي الذين لا سماع لهم الدعا اذا دعوتهم ولما
كان الاصم قد يحس بدعائك اذا كان مقبلا بحاسة بصره فقال تعالى
اذا ولوا وذكر الفعل ولم يقل ولت اشارة الى قوة التولي لئلا يظن انه
اطلق على المجانبة مثلا ولهذا قال تعالى مدبرين وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو
بتسهيل الهمزة الثانية في الوصل والباقون بالتحقيق واذا وقف حمزة وهشام
على الدعا ابدلا الهمزة الفا بعد المد والتوسط والقصر وما انت بهادي العمي
اي بموجد لهم هداية عن ضلالتهم اذا ضلوا عن الطريق وقرا حمزة بتا
الخطاب مفتوحة وسكون الها والعمي بنصب اليا والباقون بالبا الموحدة
مكسورة وفتح الها والعمي بالخفض تنبيه قد جعل الله تعالى الكافر
بهذه الصفات وهو انه شبهه اولا بالميت وارشاد الميت محال
والمحال ابعد من الممكن ثم بالاصم وارشاد الاصم صعب فانه لا يسمع الكلام
وانما يفهم بالاشارة والافهام بالاشارة صعب ثم بالاعمي وارشاد
الاعمي ايضا صعب فانك اذا قلت له مثلا الطريق عن يمينك يدور
الى يمينه لكنه لا يبقى عليه بل يحير عن قريب فارشاد الاصم اصعب ولهذا
تكون المعاشرة مع الاعمى اسهل من المعاشرة مع الاصم الذي لا يسمع
لان غاية الافهام وليس كل ما يفهم بالكلام يفهم بالاشارة فان المعدوم
والغائب لا اشارة اليه فبدا اولا بالميت لانه اعلى ثم بالادون منه وهو الاصم
وقيد بقوله تعالى اذا ولوا مدبرين ليكون ادخل في الامتناع لان الاصم
وان كان يفهم فانما يفهم بالاشارة فاذا ولي لا يكون نظره الى المشير
فامتنع افهامه بالاشارة ايضا ثم بالادنى منه وهو الاعمى لما مر ثم قال تعالى
ان اي ما تسمع اي سماع افهام وقبول الا من يومن باياتنا اي القران
فاستمع للمومن اسماع الايات فلزم ان يكون المومن حيا سميعا بصيرا
لان المومن ينظر في البراهين ويسمع زواجر الوعظ فتظهر منه الافعال
الحسنة ويفعل ما يجب عليه فهم مسلمون اي مطيعون كما قال تعالى عنهم
قالوا سمعنا واطعنا ولما قال تعالى دليل الافاق بقوله تعالى الله الذي يرسل
الرياح اعاد دليلا من دلايل الانفس وهو خلق الادمي وذكر احواله
بقوله تعالى الله اي الجامع لصفات الكمال الذي خلقكم من ضعف اي ما
ذا ضعف لقوله تعالى الم نخلقكم من ما مهين ثم جعل من بعد ضعف قوة اخر
وهو ضعف الطفولية قوة اي قوة الشباب ثم جعل من بعد قوة اي
ضعف الكبر وشيبة اي شيب الهرم وهو بياض في الشعر يحصل اوله
في السنة الثالثة والاربعين وهو اول سن الاكتهال والاخذ في النقص
بالفعل بعد الخمسين الى ان يزيد النقص في الثالثة والستين وهو هو

اول سن الشيخوخة ويقوي الضعف الي ماشاء الله تعالى وقرا حمزة وعاصم بخلاف عن حفص بفتح الضاد في الثلاثة وهو لغة تميم والباقون بالضم وهو لغة قريش ولما كانت هذه في العادة الغالبة وكان الناس متفاوتين فيها وكان الناس من يطعن في السن وهو قوي وانتج ذلك كله انه لابد ان يكون المتصرف بالاختيار مع شمول العلم وتمام القدرة قال تعالى يخلق ما يشاء اي من هذا وغيره وهو العليم بتدبير خلقه القدير على ما يشا فان قيل ما الحكمة في قوله تعالى هنا وهو العليم القدير وهو تعالى من قبل وهو العزيز الحكيم والعزة اشارة الي كمال القدرة والحكمة اشارة الي كمال العلم فقدم القدرة هناك على العلم اجيب بان المذكور هناك الاعادة بقوله تعالى وهو اهون عليه وله المثل الاعلى في السموات والارض وهو العزيز الحكيم لان الاعادة بقوله تعالى كن فيكون فالقدرة هنا اظهر وههنا المذكور الابداء وهو اطوار واحوال والعلم بكل حال حاصل فالعلم ههنا اظهر ثم ان قوله تعالى وهو العليم القدير فيه تبشير وانذار لانه اذا كان عالما باحوال الخلق يكون عالما باحوال المخلوق فان عملوا خيرا علمه وان عملوا شرا علمه ثم اذا كان قادرا وعلم الخير اثاب واذا علم الشر عاقب ولما كان العلم بالاحوال قبل الاثابة والعقاب الذين هما بالقدرة والعلم قدم العلم واما الاية الاخرى فالعلم بتلك الاحوال قبل العقاب فقال وهو العزيز الحكيم ولما ثبتت قدرته على البعث وغيره عطف على قوله اول السورة ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ويوم تقوم الساعة اي القيمة سميت بذلك لانها تقوم في اخر ساعة من ساعات الدنيا ولانها تقع بغتة او اعلاما بيسيرها على الله تعالى وصارت علما بالغلبة عليها بالغلبة كالكواكب للزهرة يقسم اي يحلف المجرمون اي الكافرون وقوله تعالى ما لبثوا جواب قوله تعالى يقسم وهو على المعنى اذ لو حكى قولهم بعينه لقيل ما لبثنا اي في الدنيا غير ساعة استقلوا اجل الدنيا لما عاينوا الاخرة وقال مقاتل والكلبي كذبوا في قولهم غير ساعة ما لبثوا في قبورهم غير ساعة كما قال تعالى كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقيل فيما بين فنا الدنيا والبعث وفي حديث رواه الشيخان ما بين النفختين اربعون وهو محتمل للساعات والايام والاعوام كذلك اي مثل ذلك الصرف عن حقايق الامور الي شكوكها كانوا في الدنيا كونا هو كالجبلة لهم يؤفكون اي يصرفون عن الحق في الدنيا وقال مقاتل والكلبي كذبوا في قولهم غير ساعة كما كذبوا في الدنيا ان لا بعث والمعنى ان الله تعالى اراد ان يفضحهم فحلفوا على شي تبين لاهل الجمع انهم كاذبون ثم ذكر انكار المومنين عليهم بقوله تعالى وقال الذين اوتوا العلم والايمان وهم الملايكة والانبيا والمومنون لقد لبثتم في كتاب الله

اي فيما كتب الله لكم في سابق علمه وقضايه او في اللوح المحفوظ او فيما وعد به في كتابه من الحشر والبعث فيكون في كتاب الله متعلق بلبثتم وقال مقاتل وقتادة فيه تقديم وتاخير معناه وقال الذين اوتوا العلم بكتاب الله والايمان لقد لبثتم وفي ترد بمعنى البا فردوا ما قال هولا الكفار وحلفوا عليه واطلعوهم على الحقيقة ثم وصلوا ذلك بتقريعهم على انكار البعث بقولهم الى يوم البعث الذي انكرتموه وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو وحفص باظهار الثا المثلثة عند التا المثناة والباقون بالادغام تنبيه سبب اختلاف الفريقين ان الموعود بوعد اذا ضرب له اجل ان علم ان مصيره الي النار وهو الكافر يستقل مدة اللبث ويختار تاخير الحشر والابقا في القبر وان علم ان مصيره الي الجنة وهو المومن فيستكثر المدة ولا يريد تاخيرها فيختلف الفريقان وفي هذه الفا قولان اظهرهما انها عاطفة لهذه الجملة على لبثتم وقال الزمخشري هي جواب شرط مقدر اي ان كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث اي فقد تبين بطلان ما قلتم ولما كان التقدير فذا اي كما كنا به عالمين فلم كان لكم نوع من العلم لصدقتمونا في اخبارنا به فنفعكم ذلك الان عطف عليه قوله ولكنكم كنتم اي كونا هو كالجبلة لكم في انكاركم له لا تعلمون اي ليس لكم علم اصلا لتفريطكم في طلب العلم من ابوابه والتوصل اليه باسبابه فلذلك كذبتم به فاستوجبتم جزا ذلك التكذيب اليوم ولما كانت الاية دالة على ان هذه الدار دار عمل وان الاخرة دار جزا وان البرزخ حايل بينهما فلا يكون في واحدة منهما ما للاخرى تسبب عن ذلك قوله تعالى فيومئذ اي اذ يقع ذلك ويقول الذين اوتوا العلم تلك المقالة لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم في انكارهم له ولا هم يستعتبون اي لا يطلب منهم اي الرجوع الي ما يرضي الله تعالى كما دعوا اليه في الدنيا من قولهم استعتبني فلان فاعتبته اي استرضاني فارضيته وقرا الكوفيون بالياء التحتية لان المعذرة بمعنى العذر ولان تانيثها غير حقيقي وقد فصل بينهما والباقون بالتا الفوقية ثم اشار تعالى الي ازالة الاعذار والاتيان بما فوق الكفاية من الانذار وانه لم يبق من جانب الرسول صلى الله عليه وسلم تقصير بقوله تعالى ولقد ضربنا اي جعلنا للناس في هذا القران اي في هذه السورة وغيرها من كل مثل اي معنى غريب هو اوضح واثبت من اعلام الجبال في عبارة هي ارشق من ساير الامثال فان طلبوا شيا اخر غير ذلك فهو عناد محض لان من كذب دليلا لا يصعب عليه تكذيب الدلايل بل لا يجوز للمستدل ان يشرع في دليل اخر بعد ذكره دليلا جيدا مستقيما ظاهرا لا اشكال عليه وعانده الخصم وهذا من العلم فكيف بالنبي صلى الله عليه وسلم فان قيل الانبيا عليهم الصلاة والسلام ذكروا انواعا من

الدلايل اجيب بانهم سردوها سردا ثم قرروا فردا كمن يقول الدليل
عليه من وجوه الاول كذا والثاني كذا والثالث هذا وفي مثل هذا عدم الالتفات
الى عناد المعاند لانه يريد تضييع الوقت كي لا يتمكن المستدل من الاتيان بجميع
ما وعد من الدليل فتنحط درجته والى هذا اشار بقوله تعالى ولئن اللام
لام قسم جئتهم يا افضل الخلق باية مثل العصا واليد لموسى ليقولن
الذين كفروا منهم ان اي ما انتم الا مبطلون اي اصحاب اباطيل
فان قيل لم وحد في قوله تعالى جئتهم وجمع في قوله تعالى ان انتم اجيب
بان ذلك لنكتة وهي ان الله تعالى اخبر في موضع اخر ولئن جئتهم بكل اية
اي جاءت بها الرسل فقال الكفار ما انتم ايها المدعون الرسالة كلكم
الا كذا وقال الجلال المحلي ان انتم اي محمد واصحابه واما الذين
فيقولون نحن بهذه الاية مؤمنون كذلك اي مثل هذا الطبع العظيم
يطبع الله اي الذي له العظمة والكمال على قلوب الذين لا يعلمون توحيد الله
فان قيل من لا يعلم شيئا اي فائدة في الاخبار عن الطبع على قلبه اجيب
بان معناه ان من لا يعلم الان فقد طبع على قلبه من قبل ثم انه تعالى سلى
نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى فاصبر اي على انذارهم مع هذا الجفا
والرد بالباطل والاذى فان الكل فعلنا لم يخرج منه شي عن ارادتنا
ان وعد الله اي الذي له الكمال كله بنصرك واظهار دينك على الدين كله
وفي كل ما وعد به حق اي ثابت جدا يطابقه الواقع كما يكشف عنه الزمان
وتاتي به مطايا الحدثان ولما كان التقدير فلا تعجل عطف عليه قوله تعالى
ولا يستخفنك اي يحملنك على الخفة ويطلب ان تخف باستعجال النصر
خوفا من عواقب تاخيره او بتفتيرك عن التبليغ الذين لا يوقنون اي الذي
الذين لا يصدقون بوعدنا من البعث والحشر وغير ذلك وتصديقا ثابتا
في القلب بل هم اما شاكون وادنى شي يزلزلهم كمن يعبد الله على حرف او مكذبون
فهم بالغون في العداوة والتكذيب حتى انهم لا يصدقون في وعد الله بنصر
الروم على فارس كانهم على ثقة وبصيرة من امرهم في ان ذلك لا يكون فاذا
صدق الله وعده في ذلك باظهارهم عن قريب علموا كذبهم وعلموا ان كان
لهم علم ان الوعد بالساعة لاقامة العدل على الظالم والعود بالفضل
على المحسن كذلك ياتي وهم صاغرون ويحشرون وهم داخرون وسيعلم
الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون فقد انعطف اخر السورة على اولها واتصل
به اتصال القريب بالقريب وها انا اسال الله تعالى القريب المجيب ان
يغفر ذنوب من كتب هذا وهو محمد الشربيني الخطيب ويفعل ذلك
بوالديه واولاده ومشايخه وكل محب له وحبيب وقول البيضاوي
تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الروم

كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله بين السماء والارض
وادرك ما ضيع في يومه وليلته حديث موضوع رواه الثعلبي

سورة لقمان مكية

الا ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام الايتان وهي اربع او ثلاث وثلاثون
اية وخمسمائة وثمان واربعون كلمة والفان ومائة وعشرة احرف بسم
الله اي الذي وسع كل شي رحمة وعلما الرحمن الذي شملت نعمته سائر
بريته الرحيم باوليائه بخصهم بمعرفته قوله تعالى الم تقدم الكلام
عليه في اول سورة البقرة وقيل انه اشار بذلك الى ان الله الملك الاعلى
ارسل جبريل عليه السلام الى محمد صلى الله عليه وسلم بوحي ناطق من الحكم
والاحكام بما لم ينطق به من قبله امام ولا يلحقه في ذلك نبي مدى الايام
فهو المبدا وهو الختام ولذلك او ما نعبره باداة البعد في قوله تعالى تلك
اي الايات التي هي من العلو والعظمة بمكان ايات الكتاب اي الجامع لجميع
انواع الخير الحكيم بموضع الاشياء في مواقعها فلا يستطاع نقض شي
من ابرامه ولا معارضة شي من كلامه الدال ذلك على تمام علم منزله
وشمول عظمته وقدرته والاضافة بمعنى من وقوله تعالى هدى ورحمة
بالرفع وهي قراءة حمزة خبر مبتدا مضمر اي هي او هو وقرا الباقون بالنصب
على الحال منه ايات والعامل ما في اسم الاشارة من معنى الفعل وقال تعالى
ما ثم في البقرة ذلك الكتاب ولم يقل الحكيم وههنا قال الحكيم لانه لما زاد
ذكر وصف في الكتاب زاد ذكرا من احواله فقال هدى ورحمة قال هنالك
هدى للمتقين فقوله هنا هدى في مقابلة قوله تعالى الحكيم ووصف
الكتاب بالحكيم على معنى ذي الحكمة كقوله تعالى في عيشة راضية اي ذات
رضى وقوله تعالى هناك للمتقين وقال تعالى هنا للمحسنين لانه لما ذكر
انه هدى ولم يذكر شيئا اخر قال للمتقين اي يهدي به من يتقي الشرك
والفساد وههنا زاد قوله تعالى ورحمة فقال للمحسنين كما قال تعالى
للذين احسنوا الحسنى وزيادة فناسب زيادة قوله تعالى ورحمة
فقال للمحسنين ولان المحسن متق وزيادة ثم وصف المحسنين بقوله
تعالى الذين يقيمون الصلاة اي يجعلونها كانها قائمة بسبب اتقان جميع ما
امر به فيها وندب اليه ودخل فيها الحج لانه لا يعظم البيت في كل يوم خمس
مرات الا المعظم له بالحج فعلا او قوة ويؤتون الزكاة اي كلها فدخل فيها
الصوم لانه لا يؤدي زكاة الفطر الا من صامه فعلا او قوة ولما كان
الايمان اساس هذه الاركان وكان الايمان بالبعث جامعا لجميع انواعه
وما يلاحظ سائر وجوه الاحسان قال تعالى وهم بالاخرة اي التي تقدم

انا لهم مبين عنها غافلون **هم يوقنون** اي يومنون بها ايمان موقن فهو لا يغفل
شيانا ثابتا في الايمان ولا يغفل عنه طرفة عين فهو في الذروة العليا من ذلك فهو
يعبد الله تعالى كانه يراه فاية البقرة بداية وهذه نهاية ولما كانت هذه الخلال
امهات الافعال الموجبة للكمال وكانت مساوية من وجه لاية البقرة ختمها بختامها
بعد ان زمها بزمامها فقال **اولئك** اي العالو الرتبة الحايزون من منازل القرب
اعظم رتبة **على هدى** اي متمكنون منه تمكن المستعلي على الشي وقال **من ربهم**
تذكيرا لهم بانه لولا احسانه ما وصلوا الى الشي ليلزموا تمريغ الجباه على الاعتاب
خوفا من الاعجاب **واولئك هم المفلحون** اي الظافرون بكل مراد ولما بين
سبحانه وتعالى حال من تحلى بهذا الحال فرقي الى حلية اهل الكمال بين حال
اضدادهم بقوله تعالى **ومن الناس من يشتري لهو الحديث** اي ما يلهي عن ما يعني
كالاحاديث التي لا اصل لها والاساطير التي لا اعتبار فيها والمضاحك وفضول
الكلام فان قيل ما معنى اضافة اللهو الى الحديث اجيب بان معناها
التبيين وهي الاضافة بمعنى من وهو ان يضاف الشي الى ما هو منه كقوله
صفة خز وباب ساج ومعنى من يشتري اللهو من الحديث لان اللهو يكون
من الحديث ومن غيره فبين بالحديث والمراد بالحديث الحديث المنكر كما جاء في الحديث
الحديث في المسجد ياكل الحسنات كما تاكل البهيمة الحشيش ويجوز ان
تكون الاضافة بمعنى من التبعيضية كانه قيل ومن الناس من يشتري بعض
الحديث الذي هو اللهو وقال الكلبي ومقاتل نزلت في النضر بن الحارث
ابن كلدة كان يتجر فياتي الحيرة ويشتري اخبار العجم ويحدث بها قريشا
ويقول ان محمدا يحدثكم بحديث عاد وثمود وانا احدثكم بحديث رستم
واسفنديار واخبار الاكاسرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع
القران فانزل الله تعالى هذه الاية وقال مجاهد يعني شرا القيان
والمغنين ووجه الكلام على هذا التاويل من يشتري ذات او ذا لهو
وقيل كان النضر يشتري المغنيات فلا يظفر باحد يريد الاسلام
الا انطلق به الى قينته فيقول اطعميه واسقيه وغنيه ويقول هذا خير
لك مما يدعوك اليه محمد من الصلاة والصيام وان تقاتل بين يديه وعن
ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل تعليم المغنيات
ولا بيعهن واثمانهن حرام وفي مثل هذا نزلت الاية وما من رجل يرفع صوته بالغنا
الا بعث الله عليه شيطانين احدهما على هذا المنكب والاخر على هذا المنكب
فلا يزالان يضربان حتى يكون هو الذي يسكت وعن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم نهى عن ثمن الكلب وكسب الزمارة وقال مكحول
من اشترى جارية ضرابة ليمسكها لغناها وضربها مقيما عليه حتى يموت
لم اصل عليه ان الله يقول ومن الناس من يشتري لهو الحديث الاية

وعن الحسن وغيره قالوا لهو الحديث هو الغنا والاية نزلت فيه ومعنى يشتري لهو
الحديث يستبدل ويختار الغنا والمزامير على القران وقال ابو الصهبا
سالت ابن مسعود عن هذه الاية فقال هو الغنا والذي لا اله الا هو يرددها
ثلاث مرات وقال ابراهيم النخعي الغنا ينبت النفاق في القلب قال وكان اصحابنا
ياخذون بافواه السكك يخرقون الدفوف وقال ابن جريج هو الحديث
هو الطبل وقال الضحاك هو الشرك وقال قتادة كل لهو ولعب وقيل
الغنا منفدة للمال مسخطة للرب مفسدة للقلب ليضل عن سبيل الله اي الطريق
الواضح الموصل للملك الاعلى المستجمع لصفات الكمال ضد ما كان عليه المحسنون
من الهدى وقرا ابن كثير وابو عمرو بفتح اليا قبل الضاد من الضلالة بمعنى
ليثبت على ضلاله والباقون بضمها ونكر قوله تعالى **بغير علم** ليفيد السلب
العام لكل نوع من انواع العلم اي لانه لا علم بشي من حال السبيل ولا حال غيرها
علما يستحق عليه اطلاق العلم عليه فان قيل ما معنى قوله تعالى بغير علم اجيب
بانه تعالى لما جعله مشتريا لهو الحديث بالقران قال يشتري بغير علم
بالتجارة وبغير بصيرة بها حيث يستبدل الضلال بالهدى والباطل بالحق
ونحوه قوله تعالى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين اي بالتجارة وبصرا بها
ويتخذها اي السبيل التي لا اشرف منها مع ما ثبت له من الجهل المطلق
هزوا اي مهزوا بها وقرا حمزة والكسائي وحفص بنصب الذال عطفا
على يضل والباقون بالرفع على يشتري وسكن حمزة زاي هزوا وضمها الباقون
ولما افتضح هذا الشقا الدائم بينه بقوله تعالى **اولئك** اي هولا البعدا
البغضا **لهم عذاب مهين** اي لاهانتهم الحق باستيثار الباطل عليه ولما كان
الانسان قد يكون غافلا فاذا انبه انتبه بينه سبحانه وتعالى على ان هذا المنهمك الإنسان
في اسباب الخسران لا يزداد على ممر الزمان الا مفاجاة لكل ما يرد عليه من
البيان بقوله تعالى **واذا تتلى عليه اياتنا** اي تجدد عليه تلاوة القران من كل تال
كان **ولى** اي بعد السماع مطلق التولية سوا كان على المجانبة او مدبرا
مستكبرا اي طالبا الكبر موجدا له بالاعراض عن الطاعة **كان** اي كانه
لم يسمعها فهو لم يزل على حالة الكبر **كان في اذنيه وقرا** اي صمما يستوي
معه تكلم غيره له وسكوته تنبيه جملتا التشبيه حالان من ضمير ولى
او الثانية بيان للاولى وقرا نافع بسكون الذال والباقون بضمها ولما تسبب
عن ذلك استخفافه لما يزيل كبره وعظمته قال تعالى **فبشره**
اي اعلمه **بعذاب اليم** اي مولم وذكر البشارة تهكم به وهو النضر بن الحارث
كما مرت الاشارة اليه ولما بين تعالى حال المعرض عن سماع الايات بين
تعالى حال من يقبل على تلك الايات بقوله تعالى **ان الذين امنوا** اي
اوجدوا الايمان **وعملوا** اي تصديقا له **الصالحات لهم جنات** اي بساتين **النعيم**

اي نعيم جنات فعكس للمبالغة كما ان لهول العذاب المهين ووحد العذاب وجمع [illegible]
اشارة الي ان الرحمة واسعة اكثر من الغضب ولما كان ذلك قد لا يكون دايما
وكان لا سرور بشي ينقطع قال تعالي **خالدين فيها** اي دايما وقوله تعالي
وعد الله اي الذي لا شي اجل منه مصدر موكد لنفسه لان قوله تعا جنات في
معني وعدهم الله تعا ذلك وقوله تعا **حقا** مصدر موكد لغيره اي لمضمون
الجملة الاولي وعاملهما مختلف فتقدير الاولي وعد الله ذلك وعدا وتقدير
الثاني احق ذلك حقا فاكد نعيم الجنان ولم يوكد العذاب المهين **وهو العزيز** فلا
يغلبه شي **الحكيم** اي الذي لا يضع شيا الا في محله ولما ختم بصفتي العزة
وهي غاية القدرة والحكمة وهي ثمرة العلم دل عليهما اتقان افعاله
بقوله تعالي **خلق السموات** اي علي علوها وكبرها وضخامتها **بغير عمد** وقوله
تعا **ترونها** فيه وجهان احدهما انه راجع الي السموات اذ ليست بعمد
ومعناه بغير عمد مرئية وانتم ترونها كذلك بغير عمد الثاني انه راجع
الي العمد ومعناه بغير عمد مرئية وعلي كلا الوجهين ثابتة لا تزول وليس
ذلك الا بقدرة قادر مختار تنبيه اكثر المفسرين ان السموات مبسوطة
كصحف مستوية لقوله تعا يوم نطوي السما كطي السجل للكتاب وقال بعضهم
انها مستديرة وهو قول جميع المهندسين والغزالي رحمه الله تعالي قال
ونحن نوافقهم في ذلك فان لهم عليها دليلا من المحسوسات ومخالفة الحس
لا يجوز وان كان في الباب خبر يوول بما يحتمله فضلا من ان ليس في القران
والخبر ما يدل علي ذلك صريحا بل فيه ما يدل علي الاستدارة كقوله تعالي
كل في فلك يسبحون والفلك اسم لشي مستدير بل لو جاز ان السموات
سواكانت مستديرة او مستقيمة في مخلوقة لله تعا باختيار لا بايجاب
وطبع ولما ذكر تعا العمد المقلة ذكر الاوتاد المقرة بقوله تعا **والقي في**
الارض اي التي انتم عليها جبالا **رواسي** والعجب انها من فوقها وجميع
الرواسي التي تعرفونها تكون من تحت تثبتها عن **ان تميد** اي تتحرك **بكم**
كما هو شان ما هو علي ظهر الما **وبث** اي فرق **فيها من كل دابة** وقوله تعالي
وانزلنا اي بما لنا من القوة **من السما** فيه التفات عن الغيبة ولما
تسبب عن ذلك تدبير الاقوات وكان من تاثير الحكمة التابعة للعلم
دل عليه بقوله تعا اي بما لنا من العلو في الحكمة **فيها** اي الارض بخلط [فانبتنا]
الما بترابها **من كل زوج** اي صنف من النبات متشابه **كريم** بما له من
البهجة والنضرة الجالبة للسرور في هذا دليل علي عزته التي هي كمال القدرة
وحكمته التي هي تمام العلم وتهدية قاعدة التوحيد وقررها بقوله تعا
هذا اي الذي تشاهدون كل **خلق الله** اي الذي له جميع الكمال
فلا كفوله فان ادعيتم ذلك **فاروني ماذا خلق الذين من دونه** اي غيره بكبتهم

بان بهذه الاشيا العظيمة مما خلقه الله تعالي وانشاه فاروني ماذا خلقه
المتكم حتي استوجبوا عندكم العبادة تنبيه ما استفهام انكاري مبتدا
وذا بمعني الذي بصلته خبره واروني معلق عن العمل وما بعده سد مسد
المفعولين ثم اضرب علي تبكيتهم بقوله تعالي **بل** منبها علي ان الجواب ليس
لهم خلق هكذا كان الاصل ولكنه قال تعالي **الظالمون** اي العريقون
في الظلم تنبيها وتعميما علي الوصف الذي اوجب لهم كونهم **في ضلال** عظيم
جدا محيط بهم **مبين** اي في غاية الوضوح وهو كونهم يضعون الاشيا في
غير مواضعها لانهم في مثل الظلام لا نور لهم لا نحجاب شمس الانوار عنهم
بحجب الهوي فلا حكمة لهم ثم انه تعا لما نفاها عنهم اثبتها لبعض اوليايه
بقوله تعا **ولقد اتينا** بما لنا من العظمة والحكمة **لقمان** وهو عبد من
عبيدنا المطيعين لنا **الحكمة** وهو العلم المويد بالعمل والعمل المحكم بالعلم
قال ابن قتيبة لا يقال لشخص حكيم حتي تجتمع له الحكمة في القول
والفعل قال ولا يسمي المتكلم بالحكمة حكيما حتي يكون عاملا بها وعن
ابن عباس رضي الله عنه هي العقل والفهم والفطنة واختلف في نسبه
وفي نسب حكمته فقيل هو لقمان بن باعورا ابن اخت ايوب او ابن
خالته وقيل كان من اولاد ازر وعاش الف سنة وادرك داوود عليه
السلام واخذ عنه العلم وكان يفتي قبل مبعث داوود عليه السلام
فلما بعث قطع الفتوي فقيل له فقال الا اكتفي اذ اكفيته وقيل كان
قاضيا في بني اسرايل واكثر الاقاويل انه كان حكيما ولم يكن نبيا اخرج ابن ابي
حاتم عن وهب بن منبه انه سال اكان لقمان نبيا قال لا لم يوح اليه وكان
رجلا حكيما وعن ابن عباس لقمان لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان راعيا اسود
فرزقه الله تعا العتق ورضي قوله ووصيته فقص امره في القران لتمسكوا
بوصيته وقال ابن المسيب كان اسود من سودان مصر خياطا وقال
مجاهد كان عبدا اسود غليظ الشفتين مشقق القدمين وقيل كان
نجارا وقيل كان راعيا وقيل كان يحطب لمولاه كل يوم حزمة حطب
وقال عكرمة والشعبي كان نبيا وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار
الحكمة وعنه انه قال لرجل نظر اليه ان كنت تراني اسود فقلبي
ابيض وعن عكرمة قال كان لقمان من اهون مملوك علي سيده واول ما
روي من حكمته انه بينما هو مع مولاه اذ دخل المخرج واطال الجلوس
فيه فنادي لقمان ان طول الجلوس علي الحاجة يتجع منه الكبد ويكون منه
الباسور ويصعد الحر الي الراس فخرج وكتب حكمته علي الخشب قال
وسكر مولاه فخاطر يوما علي ان يشرب ما بحيرة فلما افاق عرف ما وقع
منه فدعا لقمان فقال لمثل هذا كنت اخباوك قال اجمعهم فلما اجتمعوا

قال على اي شي خاطرتموه قالوا على ان يشرب ما هذه البحيرة قال فان لها موارد
فاحبسوا مواردها قالوا كيف يستطيع ان يشربها موادها ولها مواد
واخرج الحكيم الترمذي في نوادر الاصول عن ابي مسلم الخولاني قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لقمان كان عبدا كثير التفكر حسن الظن
كثير الصمت احب الله فاحبه الله فمن عليه بالحكمة ونودي بالخلافة قبل
داود فقيل له يا لقمان هل لك ان يجعلك الله خليفة في الارض تحكم بين
الناس قال لقمان ان اخبرني ربي قبلت فانه اعلم ان فعل ذلك اعانني
وعلمني وعصمني وان خيرني اخترت العافية ولم اسال البلا فقالت
الملئكة يا لقمان لم قال لان الحاكم باشد المنازل واكدرها يغشاه
الظلم من كل مكان فيخذل او يعان فان اصاب فالحري ان ينجو وان اخطا اخطا
طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلا خير من ان يكون شريفا ضايعا ومن يختر
الدنيا على الاخرة تفته الدنيا ولا يصيب الاخرة فعجبت الملئكة من حسن
منطقه فنام نومة فاعطي الحكمة فانتبه وهو يتكلم بها ثم نودي داود بعده
بالخلافة فقبلها ولم يشترط ما اشترط لقمان فاهوي في الخطيئة فصفح الله
عنه وتجاوز وكان لقمان يوازره بعلمه وحكمته فقال داود طوبى لك
يا لقمان اوتيت الحكمة فصرفت عنك البلية واوتي داود الخلافة فابتلي
بالذنب والفتنة واخرج ابن ابي حاتم عن قتادة قال خير الله تعالى لقمان
بين الحكمة والنبوة فاتاه جبريل وهو نائم فذر عليه الحكمة فاصبح ينطق
بها فقيل له كيف اخترت الحكمة على النبوة وقد خيرك ربك فقال انه لو ارسل
الي بالنبوة عزمة لرجوت فيها الفوز منه ولكنت ارجو ان اقوم بها ولكنه
خيرني فخفت ان اضعف عن النبوة فكانت الحكمة احب الي وروي انه دخل
على داود وهو يسرد الدرع وقد لين الله له الحديد كالطين فاراد ان
يساله فادركته الحكمة فسكت فلما اتمها لبسها وقال نعم
لبوس الحرب انت فقال الصمت حكمة وقليل فاعله فقال له داود بحق
ما سميت حكيما وروي ان مولاه امره بذبح شاة وبان يخرج منها اطيب
مضغتين فاخرج اللسان والقلب ثم امره بمثل ذلك وان يخرج له اخبث
مضغتين فاخرج اللسان والقلب فساله عن ذلك فقال هما اطيب
ما فيها اذا طابا واخبث ما فيها اذا خبثا وروي انه لقيه رجل وهو
يتكلم بالحكمة فقال الست فلان الراعي فبما بلغت ما بلغت قال بصدق
الحديث واداء الامانة وترك ما لا يعنيني وعن ابن المسيب انه قال
لاسود لا تحزن فانه كان من خير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع
مولى عمر ولقمان كان اسود نوبيا ذا مشافر وروي سادات السودان
اربعة لقمان الحبشي والنجاشي وبلال ومهجع وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله

عليه وسلم قال الحكمة عشرة اجزا تسعة منها في العزلة وواحد في الصمت
وقال لقمان لا مال كصحة ولا نعيم كطيب نفس وقال ضرب الوالد لولده
كالسماد للزرع ولما كانت الحكمة الاقبال على الله قال تعالى ان اشكر الله اي
وقلنا له ان اشكر لله على ما اعطاك من الحكمة ومن يشكر اي يجدد الشكر
ويتعاهده لنفسه كائنا من كان فانما يشكر لنفسه اي لان ثواب شكره له
ومن كفر اي النعمة فان الله غني عن الشكر وغيره حميد اي له جميع المحامد
وان كفره جميع الخلق واذكر اذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني تصغير
اشفاق وقرا حفص بفتح اليا وسكنها ابن كثير وكسرها الباقون لا تشرك
بالله اي الملك الاعظم ان الشرك اي بالله لظلم عظيم فرجع اليه
واسلم ثم قال له ايضا يا بني اتخذ تقوى الله تعالى تجارة ياتك الفرج من
غير بضاعة يا بني احضر الجنائز ولا تحضر العرس فان الجنائز تذكر الاخرة
والعرس يشهيك الدنيا يا بني لا تاكل شبعا من شبع فانك ان تلقه
للكلب خير من ان تاكله يا بني لا تكونن اعجز من هذا الديك الذي يصوت
بالاسحار وانت نائم على فراشك يا بني لا تؤخر التوبة فان الموت ياتي بغتة
يا بني لا ترغب في ود الجاهل فيرى انك ترضى عمله يا بني اتق الله ولا تري
الناس انك تخشى ليكرموك بذلك وقلبك فاجر يا بني ما ندمت على الصمت
قط فان الكلام اذا كان من فضة كان السكوت من ذهب يا بني اعتزل الشر
كما يعتزلك فان الشر للشر خلق يا بني اياك وشدة الغضب فان شدة
الغضب ممحقة لفؤاد الحكيم يا بني عليك بمجالس العلماء واستمع كلام الحكما
فان الله تعالى يحيي القلب الميت بنور الحكمة كما يحيي الارض بنور المطر فان من كذب
ذهب ماء وجهه ومن ساء خلقه كثر غمه ونقل الصخور من مواضعها ايسر
من افهام من لا يفهم يا بني لا ترسل رسولك جاهلا فان لم تجد حكيما فكن
رسول نفسك يا بني لا تنكح امة غيرك فتورث بنيك حزنا طويلا يا بني
ياتي على الناس زمان لا تقر فيه عين حليم يا بني اختر المجالس على عينك فاذا
رايت المجلس يذكر فيه الله عز وجل فاجلس معهم فانك ان تك عالما ينفعك
علمك وان تك غبيا يزيدوك علما وان يطلع الله تعالى عليهم بعد ذلك
بسخط يصبك معهم يا بني لا ياكل طعامك الا الاتقيا وشاور في امرك
العلماء يا بني ان الدنيا بحر عميق وقد غرق فيها ناس كثير فاجعل سفينتك
فيها تقوى الله وحشوها الايمان بالله وشراعها التوكل على الله لعلك
ان تنجو ولا اراك ناجيا يا بني اني حملت الجندل والحديد فلم احمل شيا
اثقل من جار السوء وذقت المرارة كلها فلم اذق اشد من الفقر يا بني كن كمن
لا يبتغي محمدة الناس ولا يكسب مذمتهم فنفسه منه في عنا والناس منه
في راحة يا بني ان الحكمة اجلست المساكين مجالس الملوك يا بني جالس العلماء

وزاحمهم بركبتيك فان القلوب الله ليحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الارض
الميتة بوابل السما يا بني لا تتعلم ما لم تعلم حتى تعمل بما تعلم يا بني ان اردت
ان تواخي رجلا فاغضبه قبل ذلك فان انصفك عند غضبه والا فاحذره
يا بني انك منذ نزلت الي الدنيا استدبرتها واستقبلت الي الاخرة فدار انت
عليها تسير اقرب من دار انت عنها تباعد يا بني عود لسانك ان تقول
اللهم اغفر لي فان لله ساعات لا ترد يا بني اياك والدين فانه ذل النهار وهم
الليل يا بني ارج الله رجاء لا يجريك على معصيته وخف الله خوفا
لا يويسك من رحمته وانما اكثرت من ذلك لعل الله ينفعني ومن طالعه
بذلك وسيأتي في كلام الله تعالى زيادة على ذلك واقتصرت على هذا القدر
والا فموعظته لابنه لو اراد شخص الاكثار منها لجعل منها مجلدات
فقد اخرج ابن ابي الدنيا عن حفص بن عمر الكندي قال وضع لقمان جرابا
من خردل الي جنبه وجعل يعظ ابنه موعظة ويخرج خردلة فنفد
الخردل فقال يا بني وعظتك موعظة لو وعظتها جبلا تفطر فتفطر ابنه
فسبحان من يعز ويذل ويغني ويفقر ويشفي ويمرض ويرفع من يشاء
وان كان عبدا فلا بدع ان يخص محمدا صلى الله عليه وسلم ذا النسب
العالي والمنصب المنيف بالرسالة من بين قريش وان لم يكن من اهل الدنيا
المتعظمين بها ولما ذكر سبحانه ما اوصى به ولده من شكر النعم الاول
الذي لم يشركه في ايجاده احد وذكر ما عليه الشرك من الفظاعة
والشناعة اتبعه وصيته سبحانه وتعالى الولد بالوالد لكونه المنعم
الثاني بالسببية في وجوده بقوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه
اي امرناه ان يبرهما ويطيعهما ويقوم بهما ثم بين تعالى السبب في ذلك بقوله
تعالى حملته امه وهنا اي حال كونها ذات وهن تحمله وبالغ بجعلها
نفس الفعل دلالة على شدة ذلك الضعف على وهن اي ضعف الحمل
وضعف الطلق وضعف الولادة ثم اشار الي ما لها عليه من المنة بعد ذلك
من الشفقة وحسن الكفالة وهو لا يملك لنفسه شيئا بقوله تعالى
وفصاله اي فطامه من الرضاعة بعد وضعه في عامين تقاسي فيهما
في منامه وقيامه مما لا يعلم حق علمه الا الله تعالى فان قيل وصى الله تعالى
بالوالدين وذكر السبب في حق الام مع ان الاب وجد منه اكثر من الام
لان حمله في صلبه سنين ورباه بكسبه سنين فهو ابلغ اجيب
بان الشفقة الحاصلة للام اعظم فان الاب حمله خفيفا لكونه من جملة
جسده والام حملته ثقيلا آدميا مودعا فيها وبعد وضعه وتربيته
ليلا ونهارا وبينهما ما لا يخفى من المشقة ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم
لمن قال له من ابر امك ثم امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك

وقوله

وقوله تعالى ان اشكر لي لاني المنعم في الحقيقة ولوالديك اي لكونهما جعلتهما سببا
لوجودك والاحسان بتربيتك تفسير لوصينا او علة له ثم الامر بالشكر مجددا
بقوله تعالى الي لا الي غيري المصير فاحاسبك على شكرك ومعاصيك
وعن القيام بحقوقهما قال سفيان بن عيينة في هذه الاية من صلى الصلوات
الخمس فقد شكر الله تعالى ومن دعا للوالدين في ادبار الصلوات
الخمس فقد شكر للوالدين ولما ذكر تعالى وصيته بهما واكد حقهما اتبعه
الدليل على ما ذكر لقمان من قباحة الشرك بقوله تعالى وان جاهداك اي مع ما
امرتك به من طاعتهما على ان تشرك بي وقوله تعالى ما ليس لك به علم
موافقة للواقع لانه لا يمكن ان يدل علم من انواع على شيء من الشرك بل العلوم
كلها دالة على الوحدانية ولما قرر ذلك على هذا المنوال البديع قال مسببا
عنه فلا تطعهما اي في ذلك ولو اجتمعا على المجاهدة لك عليه بل خالفهما
وان ادى الامر الي السيف فجاهدهما به لان امرهما بذلك مناف للحكمة حامل
على محض الجور والسفه ففيه تنبيه لقريش على محض الغلط في التقليد
لابائهم في ذلك وربما افهم ذلك الاعراض عنهما بالكلية فلهذا قال
تعالى وصاحبهما في الدنيا اي في امورها التي لا تتعلق بالدين ما دمت حيا
صحابا معروفا ببرهما ان كانا على دين يقران عليه ومعاشرتهما بالحلم والاحتمال
وما يقتضيه مكارم الاخلاق ومعالي الشيم ولما كان ذلك قد يجر الي نوع وهن
في الدين ببعض محاباة نفي ذلك بقوله واتبع اي بالغ في ان تتبع سبيل اي
دين وطريق من اناب اي اقبل خاضعا الي لم يلتفت الي عبادة غيري
وهم المخلصون فان ذلك لا يخرجك عن برهما ولا عن توحيد الله تعالى والاخلاص
له تنبيه في هذا حث على معرفة الرجال بالحق وامر بعرض المشايخ وغيرهم
على محك الكتاب والسنة فمن كان عمله موافقا لهما اتبع ومن كان عمله مخالفا
لهما اجتنب واذا كان مرجع امورهم كلها اليه في الدنيا ففي الاخرة كذلك كما
قال تعالى ثم الي اي في الاخرة مرجعكم فانبئكم اي افعل فعل من يعاقب
بالغ في التعقيب والاخبار عقب ذلك وسببه لان ذلك انسب شيء
للحكمة وتعقب كل شيء بحسب ما يليق به بما كنتم تعملون اي تجددون
عمله من صغير وكبير وجليل وحقير فاجازي من اريد واغفر لمن اريد فاعد
لذلك عدته ولا تعمل عمل من ليس له مرجع يحاسب فيه ويجازى على
مثاقيل الذر من اعماله والايتان معترضتان في تضاعيف وصية لقمان
تاكيدا لما فيها من النهي عن الشرك كانه قال تعالى وصينا بمثل ما وصى به وذكر
الوالدين للمبالغة في ذلك فانهما مع انهما تلو الباري في استحقاق التعظيم
والطاعة لا يجوز ان يستحقا في الاشراك فما ظنكم بغيرهما ونزولهما في سعد
ابن ابي وقاص وامه مكثت لاجله ثلاثا لم تطعم فيها شيئا وكذلك

قيل من اناب الي ابو بكر فان سعدا اسلم بدعوة ابي بكر له ثم ان ابن لقمان قال
لابيه يا ابت ان عملت الخطيئة حيث لا يراني احد كيف يعلمها الله تعالى
فقال يا بني مجيبا له مستعظما مصغرا له بالنسبة الي حمل شي من غضب
الله تعالى انها اي الخطيئة ان تك واسقط النون لغرض الايجاز في الايصا
مثقال اي وزن ثم حقرها بقوله حبة وزاد في ذلك بقوله من خردل
اي ان تكن في الصغر كحبة الخردل وقرا نافع مثقال بالرفع على ان الها ضمير الخطيئة
كما مر او القصة وكان تامة وتانيثها لاضافة المثقال الي الحبة كقول الاعشى
وتشرق بالقول الذي ذكرته * كما شرقت صدر القناة من الدم *
والشرق الغصة يقال شرق بريقه اي غص والشاهد في شرقت حيث
انثه لاضافة الصدر الي القناة وصدرها ما فوق نصفها ثم اثبت النون في
قوله مبينا عن صغرها فتكن اشارة الي ثباتها في مكانها ولتزداد شوق
النفس الي محط الفائدة ويذهب الوهم كل مذهب معبرا عن اعظم
الخفا واتم الاحوال في صخرة اي صخرة كانت ولو انها اشد الصخور واخف
ولما اخفي وضيق اظهر ووسع ورفع وخفض ليكون اعظم لضياعها لحقارتها
بقوله او في السموات اي في اي مكان منها على سعة ارجائها وتباعد
نجائها واعادا ونصا على اراه كل منهما على حدته بقوله او في الارض
اي كذلك وهكذا كما ترى لا ينفي ان تكون الصخرة فيهما او في احدهما
واخرج ابن ابي حاتم عن علي بن رباح انه لما وعظ لقمان ابنه وقال انها ان
تك الاية اخذ حبة من خردل فاتى بها اليرموك فالقاها في عرضه ثم
مكث ما شاء الله تعالى ثم ذكرها وبسط يده فاقبل بها ذباب حتى وضعها
في راحته وقال بعض المفسرين المراد بالصخرة صخرة عليها الثور
وهي لا في الارض ولا في السما وقال الزمخشري فيه اضمار تقديره ان تكن في
صخرة او في موضع اخر في السموات او في الارض وقيل هذا من تقديم الخاص وتاخير العام
وهو جائز في مثل هذا التفسير وقيل خفا الشي يكون بطرق منها ان يكون في
غاية الصغر ومنها ان يكون بعيدا ومنها ان يكون في ظلمة ومنها ان يكون وراء حجاب
فاذا انتفت هذه الامور فلا يخفى في العادة فاثبت لله الرؤية والعلم مع
انتفا الشرايط بقوله انها ان تك مثقال حبة من خردل اشارة الي الصغر
وقوله فتكن في صخرة اشارة الي الحجاب وقوله او في السموات اشارة الي البعد
وانها ابعد الابعاد وقوله او في الارض اشارة الي الظلمات فان جوف الارض
اظلم الاماكن وقوله ياتي بها الله ابلغ من قول القايل يعلمه الله لان من
يظهر له شي ولا يقدر على اظهاره بغيره يكون حاله في العلم دون حال من يظهر
له الشي ويظهره لغيره فقوله ياتي بها الله اي يظهرها للاشهاد يوم القيمة
فيحاسب بها عاملها يوم القيمة ان الله اي الملك العظيم لطيف اي

نافذ

نافذ القدرة يتوصل علمه الي كل خفي عالم بكنهه وعن قتادة لطيف باستخراجها
خبير اي عالم ببواطن الامور فيعلم مستقرها وروي في بعض الكتب ان
هذه اخر كلمة تكلم بها لقمان فانشقت مرارته من هيبتها فمات قال الحسن
معنى الاية هو الاحاطة بالاشيا صغيرها وكبيرها ولما نبهه على احاطة علمه سبحانه
س واقامته للحساب امره بما يدخره لذلك توسلا اليه وتخشعا لديه وهو اول
ما يصلح به العمل ويصحح التوحيد ويصدقه بقوله يا بني مكررا للنداء تنبيها
على فرط النصيحة لفرط الشفقة اقم الصلاة اي بجميع حدودها وشروطها
ولا تغفل عنها سببا في نجاة نفسك وتصفية سرك فان اقامتها وهو لابد
على النحو المرضي مانعة من الخلل في العمل ان الصلاة تنهى عن الفحشا والمنكر
لانها الاقبال على من وحدته واعرضت عن كل ما سواه لانه في التحقيق عدم
ولهذا الاقبال والاعراض كانت ثابتة للتوحيد وبهذا يعلم ان الصلاة
كانت في سائر الملل لعزائمها وانها اختلفت وترك ذكر الصلاة تنبيها على
انه من حكمته والحكمة تحلية وتخلي ولده من الدنيا حتى ما يكفيهم لعقوتهم ولا امر
بتكميله غيره بقوله وامر بالمعروف اي كل من تقدر على امره تهذيبا لغيرك
وشفقة على نفسك لتخليص ابناء جنسك وانه اي كل من قدرت على نهيه
عن المنكر حبا لاخيك ما تحب لنفسك تحقيقا لنصيحتك وتكميلا
لعبادتك ومن هذا الطراز قول ابي الاسود رحمه الله تعالى ابدا بنفسك
فانهها عن غيها * فان انتهت عنه فانت حكيم * لانه امره اولا بالمعروف ولو
الصلاة الناهية عن الفحشا والمنكر فاذا امر نفسه ونهاها ناسب ان
يامر غيره وينهاه وهذا وان كان من قول لقمان الا انه لما كان من سياق المدح
له كنا مخاطبين به فان قيل كيف قدم وصيته لابنه الامر بالمعروف على
النهي عن المنكر وحين امر ابيه قدم النهي عن المنكر على الامر بالمعروف فقال
لا تشرك بالله ثم قال اقم الصلاة اجيب بانه كان يعلم ان ابنه معترف
بوجود الاله فما امره بهذا المعروف بل نهاه عن المنكر الذي ترتب على هذا
المعروف واما ابنه فامره امرا مطلقا والمعروف يقدم على المنكر ولما كان القابض
على دينه في غالب الازمان كالقابض على الجمر قال له واصبر صبرا عظيما بحيث
تكون مستعليا على ما اي الذي اصابك اي في عبادتك وغيرها من الامر
بالمعروف وغيره سواء اكان بواسطة العباد ام لا كالمرض وقد بدا هذه الوصية
بالصلاة وختمها بالصبر لانهما ملاك الاستعانة قال تعالى واستعينوا
بالصبر والصلاة واخرج احمد عن هشام بن عروة عن ابيه قال مكتوب في
الحكمة يعني حكمة لقمان لتكن كلمتك طيبة وليكن وجهك بسيطا تكن احب
الناس ممن يعطيهم العطايا وقال مكتوب في الحكمة او في التوراة الرفق راس الحكمة
وقال مكتوب في التوراة كما ترحمون ترحمون وقال مكتوب في الحكمة

كما تزرعون تحصدون وقال مكتوب في الحكمة احبب خليلك وخليل ابيك وقيل
للقمان اي الناس شر قال الذي لا يبالي ان يراه الناس مسيا ومن حكمته انه قال اقصر
عن المجاجة ولا اقصر فيما لا يعنيني ولا اكون مضحكا من غير عجب ولا مشا الى غير ارب
ومنها من كان له من نفسه واعظ كان له من الله حافظ ومن انصف الناس من
نفسه زاده الله بذلك عزا والذل في طاعة الله اقرب من التعزز بالمعصية
ومنها انه كان يقول ثلاثة لا يعرفون الا في ثلاثة مواطن الحليم عند الغضب والشجاع
عند الحرب واخوك عند حاجتك اليه ولما كان ما حكاه لابنه عظيم الجدوى
وجعل خاتمه الصبر الذي هو ملاك الاعمال نبه بذلك بقوله على سبيل
الاستيناف او التعليل **ان ذلك** اي الامر العظيم الذي اوصيتك به لا سيما
الصبر على المصائب **من عزم الامور** اي معزوماتها تسمية لاسم المفعول
او الفاعل بالمصدر اي الامور المقطوع بها المفروضة او القاطعة الجازمة
بجزم فاعلها ثم حذره عن الكبر معبرا عنه بلازمه لان نفي الاعم نفي
للاخص بقوله **ولا تصعر خدك** اي لا تمله متعمدا امالته بامالة العنق متكلفا
لها صارفا عن الحالة القاصدة قال ابو عبيدة واصل الصعر داء يصيب البعير
يلوي منه عنقه وقرا ابن كثير وابن عامر وعاصم بغير الف بعد الصاد وتشديد
العين والباقون بالف بعد الصاد وتخفيف العين والرسم يحتملها فانه رسم
بغير الف وهما لغتان لغة الحجاز التخفيف وتميم التثقيل ولما كان ذلك قد
يكون لغرض من الاغراض التي لا تدوم اشار الى المقصود بقوله **للناس** بلام
العلة اي لا تفعل ذلك لاجل الامالة عنهم وذلك لا يكون الا تهاونا بهم من
الكبر بل اقبل عليهم بوجهك كله مستبشرا منبسطا من غير كبر ولا
عتو وعن ابن عباس لا تتكبر فتحقر الناس وتعرض عنهم بوجهك اذا كلموك
وقيل هو الرجل يكون بينك وبينه الحسنة فيلقاك فتعرض عنه وقيل هو
الذي اذا سلم عليه لوى عنقه تكبرا وقيل معناه لا تحتقر الفقير ليكن الفقير
والغني عندك سواء ثم اتبع ذلك بما يلزمه بقوله **ولا تمش** واشار بقوله
في الارض الى ان اصله تراب وهو لا يقدر ان يعدوه وسيصير اليه واوقع
المصدر موقع الحال والعلة في قوله **مرحا** اي اختيالا وتبخترا اي لا تكن منك
هذه الحقيقة لان ذلك مشي اشر وبطر متكبر فهو جدير بان يظلم صاحبه
ويفحش ويبغي بل امش هونا فان ذلك يفضي بك الى التواضع فتصل الى كل خير
فترفق بك الارض اذا صرت فيها في بطنها **ان الله** اي الذي له الكبرياء والعظمة
لا يحب اي يعذب **كل مختال** اي مراي للناس في مشيه متبختر يرى
له فضلا على الناس **فخور** على الناس بنفسه يطلق اذا اسبغ النعم الدنيوية
من محبة الله تعالى له وذلك من جهله فان الله يسبغ نعمه على الكافر الجاحد فينبغي
للعارف ان لا يتكبر على عباده فان الكبر هو الذي يردي صاحبه ونقل في

نازعه فيه قصمته ولما كان النهي عن ذلك امرا باضداده قال **واقصد** اي
اقتصد واسلك الطريق الوسطى **في مشيك** بين ذلك قواما اي ليكن
مشيك قصدا لا تخيلا ولا اسراعا اي بين شيئين لا تدب دبيب
المتماوتين ولا تثب وثب الشطار قال صلى الله عليه وسلم سرعة
المشي تذهب بهاء المومن واما قول عايشة في عمر رضي الله تعالى عنهما كان اذا
مشى اسرع فانما ارادت السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت وقال
عطا امش بالوقار والسكينة لقوله تعالى يمشون على الارض هونا وعن ابن
مسعود كانوا ينهون عن خبب اليهود ودبيب النصارى والقصد في
الافعال كالقسط في الاوزان قاله الرازي في اللوامع وهو المشي الهون
الذي ليس فيه تصنع للخلق لا بتواضع ولا بتكبر **واغضض** اي انقص
من صوتك لئلا يكون صوتك منكرا او تكون برفع الصوت فوق الحاجة
كالاذان فهو مامور به وكانت الجاهلية يتمدحون برفع الصوت قال قائل
جهير الكلام ٭ جهير العطاس ٭ جهير الرواء ٭ جهير النعم ٭ وقال مقاتل اخفض
من صوتك فان قيل لم ذكر المانع من رفع الصوت ولم يذكر المانع من سرعة
المشي اجيب بان رفع الصوت يوذي السامع ويقرع الصماخ بقوته وربما
يخرق الغشاء الذي داخل الاذن واما سرعة المشي فلا تؤذي غير من في طريقه
والصوت يبلغ من على اليمين وعلى اليسار ولان المشي يوذي آلة المشي والصوت
يوذي آلة السمع وآلة السمع على باب القلب فان الكلام ينقل من السمع
الى القلب ولا كذلك المشي وايضا فلان قبح القول اقبح من قبح الفعل
وحسنه احسن لان اللسان ترجمان القلب ولما كان رفع الصوت فوق الحاجة
منكرا كما ان خفضه دونها تماوتا وتكبرا وكان قد اشار الى النهي عن هذا بمن فافهم
ان الطرفين مذمومان علل النهي عن الاول بقوله **ان انكر** اي افظع
واشنع واوحش **الاصوات** كلها المشتركة في المكاره برفعها فوق الحاجة
واخلى الكلام عن لفظ التشبيه واخرجه مخرج الاستعارة تصويرا للصوت
الرافع صوته فوق الحاجة بصورة النهاق وجعل الصوت كذلك حمارا مبالغة
في التهجين وتنبيها على انه من كراهة بمكان فقال **لصوت الحمير** اي هذا
الجنس لما له من العلو المفرط من غير حاجة فان كل حيوان قد يفهم من صوته
انه يصيح من ثقل او تعب كالبعير او لغير ذلك والحمار لو مات تحت
الحمل لا يصيح ولو قتل لا يصيح وفي بعض اوقات عدم الحاجة يصيح
وينهق بصوت اوله زفير وآخره شهيق وهما فعل اهل النار وافرد الصوت
ليكون نصا على ارادة الجنس لئلا يظن ان الاجتماع شرط في ذلك ولذكر
الحمار مع ذلك من بلاغة الشتم والذم ما ليس لغيره ولذلك يستهجن
التصريح باسمه بل يكنون عنه ويرغبون عن التصريح به فيقولون الطويل

لاذين كانكي الاشيا المستقذرة وقد عد في مساوي الاداب ان يجري ذكر
الحمار في مجلس قوم من ذوي المروة ومن العرب من لا يركب الحمار استنكافا وان
بلغت منه الرحلة واما ركبه صلى الله عليه وسلم لمخالفته عادتهم واظهار
التواضع من نفسه واما الرفع مع الحاجة فغير مذموم فانه ليس بمستنكر
ولا مستبشع فان قيل كيف يفهم كونه انكر الاصوات مع ان حز المنشار
بالمبرد ودق النحاس بالحديد اشد صوتا اجيب من وجهين الاول ان المراد
انكر اصوات الحيوانات صوت الحمير قال موسى بن اعين سمعت سفيان
الثوري يقول في قوله تعالى ان انكر الاصوات لصوت الحمير قال صياح كل شي به
تسبيح لله تعالى الا الحمار وقال جعفر الصادق في ذلك هي العطسة
الكبيرة المنكرة قال وهب تكلم لقمان باثني عشر الف كلمة من الحكمة
ادخلها الناس في كلامهم ومن حكمته قال خالد الربعي كان لقمان عبدا
حبشيا فدفع اليه مولاه شاة فقال اذبحها وايتني باطيب مضغتين
منها فاتاه باللسان والقلب فسأله مولاه فقال ليس شي اطيب منهما
اذا طابا ولا اخبث منهما اذا خبثا وقدمت الاشارة الى ذلك ومن حكمته
انه قال لابنه يا بني لا ينزلن بك امر رضيته او كرهته الا جعلت في الضمير
منك ان ذلك خير لك ثم قال لابنه يا بني ان الله قد بعث نبيا هلم حتى
ناتيه فنصدقه فخرج على حمار وابنه على حمار وتزودا ثم سارا اياما
وليالي حتى لقيتهما مفازة فاخذا اهبتهما لها فدخلا فسارا ما شا الله
تعالى حتى ظهرا وقد تعالى النهار واشتد الحر ونفذ الماء والزاد واستبطا
حماريهما فنزلا وجعلا يشتدان على سوقهما فبينما هما كذلك اذ نظر لقمان
امامه فاذا هو بسواد ودخان فقال في نفسه السواد الشجر والدخان
العمران والناس فبينما هما يشتدان اذ وطي ابن لقمان على عظم ناتي على الطريق
فخر مغشيا عليه فوثب اليه لقمان وضمه الى صدره واستخرج العظم
باسنانه ثم نظر اليه فذرفت عيناه فقال يا ابت انت تبكي وانت تقول
هذا خير لي وقد نفذ الطعام والماء وبقيت انا وانت في هذا المكان
فان ذهبت وتركتني على حالي ذهبت بهم وغم ما بقيت وان اقمت معي
متنا جميعا فقال يا بني اما بكائي فرقة الوالدين واما ما قلت كيف
يكون هذا خيرا فلعل ما صرف عنك اعظم مما ابتليت به ايسر مما صرف
عنك ثم نظر لقمان امامه فلم ير ذلك الدخان والسواد واذا بشخص
اقبل على فرس ابلق عليه ثياب بياض وعمامة بيضا يمسح الهوا مسحا
فلم يزل يرمقه بعينه حتى كان منه قريبا فتوارى عنه ثم صاح به انت
لقمان قال نعم قال انت الحكيم قال كذلك يقال قال ما قال لك ابنك
قال يا عبد الله من انت اسمع كلامك ولا ارى وجهك قال انا جبريل

امرني ربي بخسف هذه المدينة ومن فيها فاخبرت انكما تريدانها فدعوت
ربي ان يحبسكما عني بما شاء فحبسكما بما ابتلي به ابنك ولولا ذلك
لخسفت بكما مع من خسفت ثم مسح جبريل بيده على قدم ابنه فاستوى
قايما ومسح بيده على الذي كان فيه الطعام فامتلا طعاما وعلى الذي
كان فيه الما فامتلا ماء ثم حملهما وحماريهما فزحل بهما كما يزحل الطير
فاذا هما في الدار الذي خرجا بعد ايام وليالي وعن عبد الله بن دينار ان لقمان
قدم من سفر فلقي غلامه في الطريق فقال ما فعل ابي قال مات قال
الحمد لله ملكت امري قال ما فعلت امي قال ماتت قال ذهب همي
قال ما فعلت امراتي قال ماتت قال جدد فراشي قال ما فعلت اختي
قال ماتت قال سترت عورتي قال ما فعل اخي قال مات
قال انقطع ظهري وعن ابي قلابة قال قيل للقمان اي الناس اصبر
قال صبر لا معه اذى قيل فاي الناس اعلم قال من ازداد من علم الناس
الى علمه قيل فاي الناس خير قال الغني قيل الغني من المال قال لا ولكن
الغني من اذا التمس عنده خير وجد والا اغنى نفسه عن الناس وعن
سفيان قيل للقمان اي الناس شر قال الذي لا يبالي ان يراه الناس
مسيا وعن عبد الله بن زيد قال قال لقمان الا ان يد الله على افواه الحكما
لا يتكلم احدهم الا ما هيا الله تعالى له ولما استدل سبحانه بقوله
تعالى خلق السموات بغير عمد على الوحدانية وبين بحكمة لقمان ان معرفة
ذلك غير مختصة بالنبوة استدل ثانيا على الوحدانية بالنعم بقوله
تعالى الم تروا اي تعلموا علما هو في ظهوره كالمشاهدة ان الله اي
الحايز لكل كمال سخر لكم اي لاجلكم ما في السموات من الانارة والاظلال
والشمس والقمر والنجوم والسحاب والمطر والبرد وغير ذلك من الانعام
مما لا يحصى قال والقمر والنجوم مسخرات بامره وسخر لكم ما في الارض
من البحار والثمار والابار والانهار والدواب والمعادن وغير ذلك مما لا
يحصى واسبغ اي اوسع واتم عليكم وقوله تعالى نعمه قراه نافع
وابو عمرو وحفص بفتح العين وبعد الميم ها مضمومة والباقون بسكون
العين وبعد الميم تا منصوبة منونة ومعناها الجمع ايضا كقوله تعالى
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها واختلف في قوله تعالى ظاهرة وباطنة
على اقوال فقال عكرمة عن ابن عباس النعمة الظاهرة القران والاسلام
والباطنة ما ستر عليك من الذنوب ولم يعجل عليك بالنقمة وقال
الضحاك الظاهرة حسن الصورة وتسوية الاعضا والباطنة المعرفة
وقال مقاتل الظاهرة تسوية الخلق والرزق والاسلام والباطنة
ما ستر من الذنوب وقال الربيع الظاهرة الجوارح والباطنة القلب

وقال الربيع عطا الظاهرة الشرايع والباطنة الشفاعة وقال مجاهد
الظاهرة ظهور الاسلام والنصر على الاعداء والباطنة الامداد بالملائكة
وقال سهل بن عبد الله الظاهرة اتباع والباطنة محبة وقيل الظاهرة
تمام الرزق والباطنة حسن الخلق وقيل الظاهرة الامداد بالملائكة والباطنة
القاء الرعب في قلوب الكفار وقيل الظاهرة الاقرار باللسان والباطنة
الاعتقاد بالقلب وقيل الظاهرة البصر والسمع واللسان وساير الجوارح
الظاهرة والباطنة القلب والعقل والفهم وما اشبه ذلك ويروي عن دعا
موسى عليه السلام الهي دلني على اخفا نعمتك على عبادك فقال
اخفى نعمتي عليهم النفس ويروي ان ايسر ما يعذب به اهل النار الاخذ
بالانفاس ونزل في النضر بن الحارث وابي بن خلف واشباههم كانوا يجادلون
النبي صلى الله عليه وسلم في الله وفي صفاته **ومن الناس** اي اهل مكة **من**
يجادل اي يحاج فلا اهو اعظم من جداله ولا اكبر مثل كبره ولا اضلال مثل
ضلاله واظهر زيادة التشنيع على هذا المجادل بقوله تعالى **في الله** اي
المحيط علما وقدرة ثم بين تعالى مجادلته انها **بغير علم** اي مستفاد من
دليل بل بالفاظ فركاكة معانيها لعدم اسنادها الى حس والى
عقل يلحقه باصوات الحيوانات العجم فكان بذلك حمارا تابعا للهوى **ولا هدى**
اي من رسول عهد منه سداد الاقوال والافعال بما ابدى من المعجزات والايات
البينات فوجب اخذ قوله مسلما وان لم يظهر معناها **ولا كتاب** اي من الله
تعالى ثم وصفه بما هو لازم له بقوله **منير** اي بين غاية البيان بل انما يجادل
بالتقليد كما قال تعالى **واذا قيل** اي من اي قايل كان **لهم** اي المجادلين هذا
الجدال **اتبعوا ما انزل الله** اي الذي خلقكم وخلق اباكم الاولين **قالوا** جمودا
لا نفعل **بل نتبع** وان اتيتنا بكل دليل **ما وجدنا عليه اباءنا** لانهم اثبت
منا عقولا واقوم قيلا واهدى سبيلا فهذه المجالة في غاية القبح فان النبي
صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى كلام الله وهم ياخذون بكلام ابائهم وبين
كلام الله تعالى وبين كلام العلماء بون عظيم فكيف ما بين كلام الله تعالى وكلام
الجهال **اولو** اي اتتبعونهم ولو **كان الشيطان** اي البعيد من الرحمة
المحترق باللعنة **يدعوهم** الى الضلال فيوبقهم فيما يسخط الرحمن
فيوديهم ذلك **الى عذاب السعير** وجواب لو محذوف مثل لاتبعوهم والاستفهام
للانكار والتعجب والمعنى ان الله تعالى يدعوهم الى الثواب والشيطان
يدعوهم الى العذاب وهم مع هذا يتبعون الشيطان ولما بين
تعالى حال المشرك والمجادل في الله بين تعالى حال المسلم المستسلم
لامر الله تعالى بقوله تعالى **ومن يسلم** اي في الحال والاستقبال **وجهه**
اي قصده وتوجهه وذاته كلها **الى الله** اي الذي له صفات الكمال بان فوض

امره اليه فلم يبق لنفسه امر اصلا فهو لا يتحرك الا بامر من وامره سبحانه **وهو**
اي والحال انه **محسن** اي مخلص بباطنه كما اخلص بظاهره فهو دايما في حال
الشهود **فقد استمسك** اي اوجد الامساك بغاية ما يقدر عليه من القوة
في نادية الامور **بالعروة الوثقى** اي اعتصم بالعهد الاوثق الذي لا يخاف
انفطامه لان اوثق العرى جانب الله تعالى فان كل ما عداه هالك منقطع وهو
باق لا انقطاع له وهذا من باب التمثيل مثلت حال المتمسك المتوكل
بحال من اراد ان يتدلى من شاهق فاحتاط لنفسه بان استمسك باوثق
عروة من حبل متين مامون انقطاعه فان قيل كيف قال ههنا ومن يسلم وجهه
الى الله فعداه بالى وقال في البقرة بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن
فعداه باللام اجيب بان اسلم تارة يتعدى باللام وتارة بالى كما يتعدى ارسل
تارة باللام وتارة بالى قال تعالى وارسلناك للناس رسولا وقال تعالى كما ارسلنا
الى فرعون رسولا **والى الله** اي الملك الاعلى **عاقبة الامور** اي مصير جميع الاشيا
اليه كما ان منه بادئتها وانما خص العاقبة لانهم مقرون بالبادية ولما بين تعالى حال
المسلم رجع الى بيان حال الكافر فقال تعالى **ومن كفر** اي ستر ما اداه اليه
عقله من انه تعالى لا شريك له وان لا قدرة اصلا لاحد سواه ولم يسلم
وجهه اليه **فلا يحزنك** اي يهمك ويوجعك **كفره** كائنا من كان فانه لم يفتك
شيء فيه ولا معجز لنا ليحزنك ولا تبعة عليك بسببه في الدنيا وفي الاخرة وافرد
الضمير في كفره اعتبارا بلفظ من لارادة التنصيص على كل فرد وفي التعبير هنا
بالماضي وفي الاول بالمضارع بشارة بدخول كثير في هذا الدين وانهم لا يرتدون
بعد اسلامهم وترغيبا في الاسلام لكل من كان خارجا عنه فالاية من الاحتباك
ذكر الحزن ثانيا دليلا على حذف ضده ثانيا **الينا** اي في الدارين **مرجعهم**
فننبئهم اي بسبب احاطتنا بامرهم وعقب رجوعهم **بما عملوا** اي
ونجازيهم عليه ان اردنا **ان الله** اي الذي لا كفو له **عليم** اي محيط العلم
بماله من الاحاطة باوصاف الكمال **بذات الصدور** اي لا يخفى عليه سرهم
وعلانيتهم فينبئهم بما اسرت صدورهم **نمتعهم** اي نمهلهم ليتمتعوا
بنعيم الدنيا **قليلا** اي الى انقضاء اجالهم فان كل ات قريب وان ما يزول
بالنسبة الى ما يدوم قليل **ثم نضطرهم** اي نلجيهم ونردهم في الاخرة
الى عذاب غليظ اي شديد ثقيل لا ينقطع عنهم اصلا ولا يجدون لهم
منه محيصا من جهة من جهاته فكانه في شدته وثقله جرم غليظ جدا اذا برك
على شيء لا يقدر على الخلاص منه ثم انه تعالى سلى قلب النبي صلى الله عليه وسلم
بقوله تعالى فلا يحزنك كفره اي لا تحزن على تكذيبهم فان صدقك وكذبهم
يتبين عن قريب وبمرجوعهم الينا على انه لا يتاخر الى ذلك اليوم بل يتبين
قبل يوم القيامة كما قال تعالى **ولئن** اللام لام قسم **سالتهم من خلق السموات**

اي باسرها ومن فيها والارض كذلك وقوله تعالى ليقولن الله اي المسمي بهذا الاسم
حذف منه نون الرفع لتوالي الامثال وواو الضمير لالتقا الساكنين فقد اقروا بان
كل ما اشركوا به بعض خلقه ومصنوع من مصنوعاته ولما تبين بذلك صدقه صلى
الله عليه وسلم وكذبهم قال الله تعالى مستانفا قل الحمد اي الاضافة
بجميع اوصاف الكمال لله اي الذي له الاحاطة الشاملة من غير تقييد بخلق
الخافقين ولا غيره على ظهور الحجة عليهم بالتوحيد بل اكثرهم لا يعلمون اي ليس
لهم علم يمنعهم من تكذيبك مع اعترافهم بما يوجب تصديقك ولما ثبت
لنفسه سبحانه الاحاطة باوصاف الكمال استدل على ذلك بقوله تعالى لله
اي الملك الاعظم ما في السموات كلها والارض كذلك ملكا وخلقا فلا يستحق
العبادة فيهما غيره ولما ثبت ذلك انتج قطعا قوله تعالى ان الله اي الذي
لا كفو له هو اي وحده الغني مطلقا لان جميع الاشيا له ويحتاج اليه
وليس محتاجا الي شي اصلا الحميد اي المستحق لجميع المحامد لانه
المنعم على الاطلاق المحمود بكل لسان من السنة الاحوال والاقوال
لانه هو الذي انطقها ومن فيد الخرس اطلقها ولما قال تعالى لله ما في السموات
وما في الارض اوهم تناهي ملكه لانحصار ما في السموات والارض فيهما
وحكم العقل الصريح بتناهيهما بين تعالى انه لا حد ولا ضبط لمعلوماته
ومقدوراته الموجبة لحمده بقوله تعالى ولو ان ما في الارض اي كلها ودل
على الاستغراق وتقصي كل فرد فرد من الجنس بقوله تعالى
من شجرة حيث وحدها اقلام اي والشجر تمدها من بعدها على
سبيل المبالغة سبع شجرات وان ما في الارض من البحر مداد لتلك الاقلام
والبحر اي والحال ان البحر يمده او يكون مدادا له وزيادة فيه
من بعده اي من ورائه سبعة ابحر تكتب بتلك الاقلام وذلك
المداد الذي الارض كلها له دواة ما نفدت كلمات الله وفنيت الاقلام
والمداد قال المفسرون نزل بمكة قوله تعالى ويسئلونك عن الروح الاية فلما
هاجر صلى الله عليه وسلم اتاه احبار اليهود فقالوا يا محمد بلغنا انك تقول
وما اوتيتم من العلم الا قليلا افعنيتنا ام قومك فقال صلى الله عليه وسلم كلا
قد عنيت فقالوا الست تتلوا فيما جاءك انا اوتينا التوراة وفيها علم كل شي
فقال صلى الله عليه وسلم هي في علم الله قليل وقد اتاكم ما ان عملتم به انتفعتم
قالوا يا محمد كيف تزعم هذا وانت تقول ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا
فكيف يجتمع هذا علم قليل وخير كثير فانزل الله هذه الاية وقال قتادة ان
المشركين قالوا ان القران وما ياتي به محمد يوشك ان ينفد فينقطع
فنزلت فان قيل كان مقتضى الكلام ان يقال ولو ان الشجر اقلام والبحر مداد
اجيب بانه اغنى عن ذكر المداد قوله تعالى يمده لانه من مد الدواة وامدها

جعل البحر الاعظم

جعل البحر الاعظم بمنزلة الدواة وجعل الابحر السبعة مملوءة مدادا فهي تصب فيها
مدادها ابدا صبا لا ينقطع والمعنى ولو ان اشجار الارض اقلام والبحر ممدود بسبعة
ابحر وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله ما نفدت كلماته ونفدت
الاقلام والمداد كقوله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان
تنفد كلمات ربي لان المحصور لا يفي بما ليس بمحصور فيا لها من عظمة لا تتناهى ومن
كبريا لا تجازى ولا تضاهى فان قيل لم قيل من شجرة على التوحيد دون اسم الجنس
اجيب بانه اريد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة حتى لا يبقى
من جنس الشجر ولا واحدة الا وقد بريت اقلاما فان قيل الكلمات
جمع قلة والموضع موضع التكثير لا التقليل فهلا قيل كلم الله اجيب
بان معناه ان كلماته لا تفي بها البحار فكيف بكلمه وقرا ابو عمرو والبحر بنصب الراء
وذلك من وجهين احدهما العطف على اسم ان اي ولو ان البحر ويمده الخبر
والثاني النصب بفعل مضمر تفسيره يمده والواو حينئذ للحال والجملة
حالية ولم يحتج الي الضمير رابط بين الحال وصاحبها للاستغنا عنه بالواو
والتقدير ولو ان الذي في الارض حال كون البحر ممدودا كذا وقرا الباقون
برفع الرا وذلك من وجهين ايضا احدهما العطف على ان وما في خبرها والثاني
انه مبتدا ويمده الخبر والجملة حالية والرابط الواو تنبيه قوله تعالى
سبعة ليس لانحصارها في سبعة وانما الاشارة في المدد والكثرة
ولو بالف بحر وانما خصصت السبعة بالذكر من بين الاعداد لانها عدد
كثير يحصر المعدودات في العادة ويدل على ذلك وجهان الاول ان
العلوم عند كل احد لحاجة اليه هو الزمان والمكان فالزمان منحصر في
سبعة ايام والمكان منحصر في سبعة اقاليم لان الكواكب السيارة
سبعة والمنجمون ينسبون اليها امورا فصارت السبعة كالعدد الحاصر
للمكثرات الواقعة في العادة فاستعملت في كل كثير ومنه قوله صلى
الله عليه وسلم المومن ياكل في معا واحد والكافر ياكل في سبعة امعا
الثاني ان في السبعة معنى يخصها ولذلك كانت السموات سبعا والارض
سبعا وابواب جهنم سبعا وابواب الجنة ثمانية لانها الحسنى وزيادة
فالزيادة هي الثامن لان العرب عند الثامن يزيدون واوا يقول القايل
واو الزيادة وليس ذلك الا للاستيناف لان العدد تم بالسبعة ثم بين
نتيجة ذلك بقوله تعالى ان الله اي المحيط بكل شي قدرة وعلما عزيز
اي كامل القدرة لا نهاية لمقدوراته حكيم اي كامل العلم لا نهاية لمعلوماته
تنبيه قد علم مما تقرر ان الاية من الاحتباك ذكر الاقلام دليلا على
حذف مدادها وذكر السبعة في مبالغة الابحر دليلا على حذفها في الاشجار
ولما ختم تعالى بها بين الصفتين بعد اثبات القدرة على الابداع من غرايبها

ذكر بعض اثارها في البعث بقوله تعالى ما خلقكم اي كلكم في عزته وحكمته الا كخلق نفس واحدة واعاد الثاني نصا على كل واحد من الخلق والبعث على حدته بقوله تعالى ولا بعثكم اي كلكم الا كنفس اي كبعث نفس وبين الافراد تحقيقا للمراد تاكيد للسهولة بقوله تعالى واحدة فان كلماته مع كونها غير نافدة وقدرته مع كونها باقية بالغة فنسبة القليل والكثير الى قدرته على حد سوا لانه لا يشغله شان عن شان ثم دل على ذلك بقوله تعالى موكدا ان الله اي الملك الاعلى سميع اي بالغ السمع لسمع كل مسموع بصير اي بليغ البصر يبصر كل مبصر لا يشغله شي عن شي ولما قرر تعالى هذه الاية الخارقة دل عليها بامر محسوس يشاهد كل يوم مرتين بقوله تعالى الم تر وهو محتمل وجهين احدهما ان يكون الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه الاكثر وكانه تعالى ترك الخطاب مع غيره لان من هو غيره من الكفار لا فايدة في الخطاب معهم ومن هو غيره من المومنين فهو تبع له والوجه الثاني المراد منه الوعظ والمواعظ يخاطب ولا يعين احدا فيقول لجمع عظيم يا مسكين الى الله مصيرك فمن يبصرك ولماذا تقصيرك ان الله اي بجلاله وعز كماله يولج اي يدخل ادخالا لا مرية فيه الليل في النهار فيغيب فيه بحيث لا يرى شي منه فان النهار قد عم الارض كلها اسرع من اللمح ويولج النهار اي يدخله كذلك في الليل فيخفي حتى لا يبقى له اثر فاذا الليل قد طبق الافاق مشارقها ومغاربها في مثل الطرف فيميز سبحانه كلا منهما من الاخر بعد اضمحلاله فكذلك الخلق والبعث في قدرته بعزته وحكمته لبلوغ سمعه ونفوذ بصره وسخر الشمس اية للنهار يدخل الليل فيه والقمر اية لليل كذلك ثم استانف ما سخر فيه بقوله تعالى كل اي منهما يجري اي في فلكه سائرا متماديا وبالغا ومنتهيا الى اجل مسمى لا يتعداه في منازل معروفة في جميع الفلك لا يزيد ولا ينقص هذا في الشهر مرة وتلك في السنة مرة لا يقدر واحد منهما ان يتعدى طوره ولا ان ينقص دوره ولا ان يغير سيره تنبيه قال تعالى يولج بصيغة المستقبل وقال في الشمس والقمر وسخر بصيغة الماضي لان ايلاج الليل في النهار امر يتجدد كل يوم وتسخير الشمس والقمر امر مستمر كما قال تعالى حتى عاد كالعرجون القديم وقال ههنا الى اجل وفي الزمر لاجل لان المعنيين لايقان بالحرفين فلا عليك في ايهما وقع قال الاكثرون هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمومنين وقيل عام ولما كان الليل والنهار محل الافعال بين ان ما يقع في هذين الزمانين اللذين هما بتصرف الله لا يخفى عليه بقوله تعالى وان الله اي بما له من صفات الكمال بما تعملون اي في كل وقت على سبيل التجدد خبير اي

لايخفى

ابيه اي الاعظم سواه هو وحده الحق صح

لا يخفى عليه شي منه لانه الخالق له كله دقه وجله ولما ثبت في هذه الاوصاف الحسنى والافعال العلى انه لا موجد بالحقيقة الا الله تعالى قال الله تعالى ذلك اي المذكور بان الله اي بسبب ان الله الثابت في ذاته الواجب من جميع جهاته المستحق للعبادة وان ما يدعون اي هولاء المختوم على مداركهم واشار الى سفول رتبتهم بقوله تعالى من دونه اي غيره الباطل اي المعدم في حد ذاته لا يستحق ان يضاف اليه الالهية بوجه من الوجوه وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي وحفص يدعون بالياء على الغيبة والباقون بالياء على الخطا وان مقطوعة من ما في الرسم وان الله اي الملك الاعظم وحده هو العلي على خلقه بالقهر فله الصفات العلى والاسماء الحسنى الكبير اي العظيم في ذاته وصفاته ولما قال تعالى الم تر ان الله يولج الليل في النهار وسخر الشمس والقمر ذكر اية سماوية واشار الى السبب والمسبب ذكر بعدها اية ارضية تدل على باهر قدرته وكمال نعمته وشمول نعمه انعامه واشار الى السبب والمسبب بقوله تعالى الم تر ر في المخاطب بذلك ما تقدم ان الفلك اي السفن كبارا وصغارا تجري اي بكم حاملة ما تعجزون عن نقل مثله في البر في البحر اي على وجه اللطيف الماء بنعمة الله اي بانعام الملك الاعلى المحيط علما وقدرة المحسن الحكم بتعليم صفتها حتى تهيات لذلك على يد ابيكم نوح العبد الشكور عليه السلام وقيل نعمة الله هنا هي الريح التي بامر الله ليريكم من اياته اي عجايب قدرته ودلايله التي تدلكم على انه الحق الذي اثبت بوجود وجوده ما ترون من الاحمال الثقال على وجه الماء الذي ترسب فيه الابرة فما دونها ان في ذلك اي الامر الهائل البديع الرفيع لايات اي دلالات واضحات على ما له من صفات الكمال لكل صبار على المشاق فيبعث نفسه في التفكر في عدم غرقه وفي مسيره الى البلاد الشاسعة والاقطار البعيدة وفي كون سيره ذهابا وايابا تارة بريحين وتارة بريح واحدة وفي انجاء ابيه نوح عليه السلام ومن اراد الله تعالى من خلقه به واغراق غيرهم من جميع اهل الارض وفي غير ذلك من شؤونه واموره شكور اي مبالغ في كل من الصبر والشكر لانهما الايمان كما ورد الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وعلم من صيغة المبالغة في كل منهما انه لا يعرف في الرخاء من عظمة الله ما كان يعرفه في الشدة الا من طبعهم الله تعالى على ذلك ووفقهم له واعانهم عليه ولهذا قال تعالى وقليل من عبادي الشكور وها انا اسال الله الحنان المنان من فضله ان يجعلني منهم ويفعل ذلك باهلي واحبابي فانه كريم جواد ولما ذكر تعالى ان في ذلك لايات ذكر ان الكل معترفون بذلك البصير يدركه اولا ومن في بصيرته ضعف لا يدركه اولا كما قال تعالى واذا غشيهم اي علاهم وهم

في الفلك حتى صار كالمغطي لهم موج اي هذا الجنس وافرده لسرعة اضطرابه
واتيانه شيا في اثر شي متنابعا يركب بعضه بعضا كانه شي واحد واصله
من الحركة والازدحام واختلف في قوله تعالى كالظلل فقال مقاتل كالجبال
وقال الكلبي كالسحاب والظلل جمع ظلة شبه بها الموج في كثرتها وارتفاعها
فان قيل كيف جعل الموج وهو واحد كالظلل وهو جمع اجيب بان
الموج ياتي منه شي بعد شي فلما صاروا الي هذه الحالة دعوا الله اي مستحضرين
لما يقدر عليه الانسان من كماله بجلاله وجماله عالمين بجميع مضمون الاية
السابقة من حقيقته وعلوه وكبريائه وبطلان ما يدعونه من دونه مخلصين
له الدين اي الدعا بان يخيهم لا يدعون شيا سواه بانفسهم ولا قلوبهم
لما اضطرهم الي ذلك فلما نجاهم اي خلصهم من تلك الاهوال الي البر نزلوا
عن تلك المرتبة التي اخلصوا فيها الدين وانقسموا قسمين فمنهم اي
تسبب عن نعمة الانجا انه كان منهم مقتصد اي عدل موف في البر بما
عاهد الله عليه في البحر من التوحيد له بمعنى ثبت على ذلك وهم قليل ودل عليه
التصريح بالتبعيض قيل نزلت في عكرمة بن ابي جهل هرب في عام الفتح الي البحر
فجاءهم ريح عاصف فقال عكرمة لين نجاني الله من هذا لارجعن الي محمد صلى
الله عليه وسلم ولاضعن يدي في يده فسكنت الريح فرجع عكرمة الي مكة فاسلم
وحسن اسلامه وقال مجاهد مقتصد في القول مضمر للكفر
وقال الكلبي مقتصد في القول اي من الكفار لان بعضهم كان اشد
قولا واعلى في الافترا من بعض ومنهم من جاحد للنعمة مثل لجلباب الحيا
في التصريح بذلك وهو الاكثر كما دل عليه ترك التصريح فيه بالتبعيض فان
قيل ما الحكمة في قوله تعالى في العنكبوت فلما نجاهم الي البر اذا هم يشركون
وقال هنا فلما نجاهم الي البر فمنهم مقتصد اجيب بانه لما ذكر
هنا امرا عظيما وهو الموج الذي كالجبال بقي اثر ذلك في قلوبهم فخرج منهم
مقتصد وهناك لم يذكر مع ركوب البحر معاينة مثل ذلك الامر فذكر اشراكهم
حيث لم يبق عندهم اثر وقوله تعالى وما يجحد باياتنا الا كل ختار اي غدار
فانه نقض للعهد الفطري اي لما كان في البحر والختر اشد الغدر كفور اي
للنعم في مقابلة قوله تعالى ان في ذلك لايات اي يعترف بها الصبار الشكور
ويجحدها الختار الكفور فالصبار في موازنة الختار لفظا ومعني والكفور
في موازنة الشكور كذلك اما لفظا فيهما فظاهر واما كون الختار في موازنة
بمعنى فلان الختار هو الغدار الكثير الغدر مثال مبالغة من الختر وهو اشد
الغدر ولا يكون الا من قلة الصبر لان الصبور لا يعهد منه الاضرار فانه
يصبر ويفوض الامر الي الله واما الغدار فيعاهد ولا يصبر على العهد
فينقضه واما ان الكفور في مقابلة الشكور معنى فظاهر ولما ذكر تعالى

والختر

الدلايل من اول السورة الي هنا وعظ بالتقوي بقوله تعالى يا ايها الناس اي
عامة وقيل اهل مكة اتقوا ربكم اي الذي لا محسن اليكم غيره واخشوا اي
خافوا يوما لا يشبه الايام ولا يعد هول البحر ولا غيره لا يجزي اي لا يغني
لا يقضي ولا يغني والد عن ولده والراجع الي الموصوف محذوف اي لا يجزي
فيه وفي التعبير بالمضارع اشارة الي ان الوالد لا يزال تدعوه الوالدية
الي الشفقة على الولد ويتجدد عنده العطف والرقة والمفعول اما محذوف
لانه اشد في النفي واما مدلول عليه بما في النسق الذي بعده وقوله تعالى
ولا مولود عطف على والد او مبتدا خبره هو جاز عن والده اي فيه شيا من
الجزا وتغيير النظم للدلالة على ان المولود اولى بان لا يجزي وقطع طمع من توقع
من المومنين ان ينفع اباه الكافر في الاخرة ان وعد الله اي الذي له معاقد العز
والجلال حق اي ان هذا اليوم الذي هذا شانه هو كاين لان الله تعالى وعد
به ووعده حق وقيل ان وعد الله حق بان لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو
جاز عن والده شيا لانه وعد بان لا تزر وازرة وزر اخرى ووعد الله حق
فلا تغرنكم الحياة الدنيا بزخرفها ورونقها فانها زايلة لوقوع اليوم المذكور
بالوعد الحق ولا يغرنكم بالله اي الذي لا اعظم منه ولا مكافي مع ولاينه معكم
الغرور اي الكثير الغرور المبالغ فيه وهو الشيطان الذي لا احقر منه لما جمع
من البعد والطرد والاحتراق مع عداوته بما يزين لكم من امرها ويلهيكم به من تعظيم
قدرها ويبين لكم كيدها وغدرها وتبعها واذاها فيوجب ذلك لكم الاعراض
عن ذلك اليوم فلا تعدونه معادا فلا تتخذون له زادا اما افتتن بغروره من
حلم الله تعالى وامهاله قال سعيد بن جبير الغرة بالله ان يعمل المعصية ويتمنى
المغفرة وروي ان الحارث بن عمرو اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال متى
قيام الساعة واني قد القيت حبا في الارض فمتى السما تمطر وحمل امراتي
اذكر ام انثى وما اعمل غدا واين اموت فنزل قوله تعالى ان الله اي بما له من
العظمة وجميع اوصاف الكمال عنده اي خاصة علم الساعة اي وقت
قيامها لا علم غيره بذلك اصلا وينزل الغيث اي في اوانه المقدر له والمحل
المعين له في علمه وقرا نافع وابن عامر وعاصم بفتح النون وتشديد الزاي
والباقون بسكون النون وتخفيف الزاي ويعلم ما في الارحام اي من ذكر
او انثى حي ام ميت تام ام ناقص وما تدري نفس اي من الانفس البشرية
وغيرها ماذا تكسب غدا اي من خير او شر وربما تعزم على شي وتفعل
خلافه وما تدري نفس باي ارض تموت اي كما لا تدري في اي وقت تموت
ويعلمه الله تعالى وروي ان ابي حاتم عن مجاهد قال جاء رجل من اهل
البادية فقال يا رسول الله ان امراتي حبلى فاخبرني ما تلد وبلادنا مجدبة
فاخبرني متى ينزل الغيث وقد علمت متى ولدت فاخبرني متى اموت

فانزل الله تعالى هذه الاية وعن عكرمة ان رجلا يقال له الوارث من بني مازن جاء الى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد متى قيام الساعة وقد اجدبت بلادنا فمتى تخصب
وقد تركت امرأتي حبلى فمتى تلد وقد علمت ما كسبت اليوم فماذا اكسب غدا وقد
علمت باي ارض ولدت فباي ارض اموت فنزلت هذه الاية وعن قتادة قال خمس من
الغيب استاثر الله بهن فلم يطلع عليهن ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ان الله عنده
علم الساعة ولا يدري احد متى تقوم الساعة في اي سنة ولا في اي شهر ام
ليلا ام نهارا او ينزل الغيث فلا يعلم احد متى ينزل ليلا ام نهارا ويعلم ما في الارحام
فلا يعلم احد ما في الارحام اذكر ام انثى احمر ام اسود ولا تدري نفس ماذا
تكسب غدا اخير ام شر وما تدري نفس باي ارض تموت ليس احد من الناس
يدري اين مضجعه من الارض اني بحر ام في بر ام سهل ام جبل وعن احمد وابن
ابي شيبة موقوفا على شهر بن حوشب ان ملك الموت مر على سليمان فجعل
ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فقال الرجل من هذا فقال ملك
الموت فقال فكانه يريدني فمر الريح ان تحملني وتلقيني بالهند ففعل
فقال ملك الموت كان دوام نظري اليه تعجبا منه اذ امرت ان اقبض روحه بالهند
وهو عندك وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مفاتيح
الغيب خمس لا يعلمهن الا الله لا يعلم ما في غد الا الله ولا متى تقوم الساعة
الا الله ولا ما في الارحام الا الله ولا متى ينزل الغيث الا الله وما تدري
نفس باي ارض تموت الا الله وعن ابي هريرة ان رجلا قال يا رسول الله متى
الساعة قال ما المسؤول عنها باعلم من السائل ولكن ساحدثكم باشراطها اذا
ولدت الامة ربها فذاك من اشراطها واذا كانت الحفاة الرعاة رؤس الناس
فذاك من اشراطها واذا تطاول رعاء الغنم في البنيان فذاك من اشراطها في خمس من
الغيب لا يعلمهن الا الله ثم تلى ان الله عنده علم الساعة الى اخر الاية وعن ابي
امامة ان اعرابيا وقف على النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر على ناقة له عشرا
فقال يا محمد ما في بطن ناقتي هذه فقال له رجل من الانصار دع عنك رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهلم الي حتى اخبرك وقعت انت عليها وفي بطنها
ولد منك فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ان الله يحب
كل حيي كريم ويبغض كل فاحش لئيم متفحش ثم اقبل على الاعرابي
فقال خمس لا يعلمهن الا الله ان الله عنده علم الساعة الاية وعن سلمة
ابن الاكوع قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبة حمراء اذ جاءه
رجل على فرس فقال له من انت قال انا رسول الله قال متى الساعة قال غيب
وما يعلم الغيب الا الله قال ما في بطن فرسي قال غيب وما يعلم الغيب الا الله
قال فمتى تمطر قال غيب وما يعلم الغيب الا الله وعن ابن عمر ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال اوتيت مفاتيح كل شيء الا الخمس ان الله عنده

علم الساعة الاية وعن ابن مسعود قال اوتي نبيكم صلى الله عليه وسلم مفاتيح
كل شيء غير خمس ان الله عنده علم الساعة الاية وعن علي بن ابي طالب رضي الله
عنه لم يعم على نبيكم الا الخمس من سرائر الغيب هذه الاية من اخر لقمان
ان الله عنده علم الساعة الى اخر السورة وعن ربعي قال حدثني رجل من بني
عامر انه قال يا رسول الله هل بقي من العلم شيء لا تعلمه فقال قد علمني الله خيرا
وان من العلم ما لا يعلمه الا الله الخمس ان الله عنده علم الساعة الاية وعن بنت معوذ
قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة عرسي وعندي جاريتان
تغنيان وتقولان وفينا نبي يعلم ما في غد فقال اما هذا فلا تقولاه ما يعلم ما في
غد الا الله وعن ابن عزة الهذلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا اراد الله قبض عبد بارض جعل الله له اليها حاجة فلم ينته حتى يقدمها
ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تدري نفس باي ارض تموت وعن ابي
ان النبي صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس في مجلس مع اصحابه جاءه جبريل في
غير صورته يحسبه رجلا من المسلمين فسلم فرد عليه السلام ثم وضع يده
على ركبتي النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله ما الاسلام قال ان
تسلم وجهك لله وتشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وتقيم
الصلاة وتؤتي الزكاة قال فاذا فعلت ذلك فقد اسلمت قال نعم ثم قال
ما الايمان قال ان تؤمن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين والموت
والحياة بعد الموت والجنة والنار والحساب والميزان والقدر خيره وشره
قال فاذا فعلت ذلك فقد امنت قال نعم ثم قال ما الاحسان قال ان تعبد
الله كانك تراه فان كنت لا تراه فانه يراك قال فاذا فعلت ذلك فقد احسنت
قال نعم ثم قال فمتى الساعة يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم سبحان الله خمس من الغيب لا يعلمها الا الله ان الله عنده علم الساعة
وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري
نفس باي ارض تموت **ان الله** اي المختص باوصاف الكمال **عليم** اي شامل
علمه للامور كلها كلياتها وجزئياتها فاثبت العلم المطلق لنفسه سبحانه
بعد ان نفاه عن الغير في هذه الخمس **خبير** اي يعلم خبايا الامور وخفايا
الصدور كما يعلم ظواهرها وجلاياها كل عنده على حد سواء هو الحكيم في ذاته
وصفاته ولذلك اخفى هذه المفاتيح عن عباده لانه لو اطلعهم عليها لفات كثير
من الحكم باختلال هذا النظام على ما فيه من الاحكام فقد انطبق اخر السورة
على اثبات الحكمة باثبات العلم والخبر مع تقدير امر الساعة التي هي مقام الساعة
الدار الاخرة على اولها المخبر بحكمة صفته التي من علمها حق علمها وتخلق بما دعت
اليه وحثت عليه لا سيما الايقان بالاخرة كان حكيما فسبحان من هذا كلامه
وتعالى كبرياؤه وعز مرامه وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري من ان

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيامة
واعطي من الحسنات عشرا بعدد من عمل المعروف ونهى عن المنكر حديث موضوع

سورة السجدة مكية وهي ثلاثون آية

وستمائة وثمانون كلمة والف وخمسمائة وثمانية عشر حرفا بسم الله
ذي الجلال والاكرام الرحمن بعموم البشارة والنذارة الرحيم الذي
اسكن في قلوب احبابه الشوق اليه والخشوع بين يديه وتقدم في البقرة وغيرها
الكلام على الم ومما ربما يسبق بها اشارة الى ان الله تعالى ارسل جبريل عليه
السلام الى محمد الفاتح الخاتم صلى الله عليه وسلم بكتاب معجز دال باعجازه على
صحة رسالته ووحدانية من ارسله وسرد سبحانه هذه الاحرف في اوائل
اربع من هذه السور فزادت على الطواسين بواحدة اشارة الى ان هذه
المعاني في غاية الثبات لا انقطاع لها ولما كان المقصود في التي قبلها اثبات
الحكمة لمنزل هذا الكتاب الذي فيه تبيان لكل شيء اخبر سبحانه وتعالى
عن هذا بانه من عنده بقوله تعالى تنزيل الكتاب اي الجامع لكل هدي على
ما ترون من التدريج من السما لا ريب اي لا شك فيه لان نافي الشك
هو الاعجاز معه لا ينفك عنه فكل ما تقولونه مما خالف ذلك تعنت او جهل
من غير ريب حال كونه من رب العالمين اي الخالق لهم المدبر لمصالحهم فلا يجوز
في عقل ولا يخطر في بال ولا يقع في وهم ولا يتصور في خيال انه يصل بشيء من
كتابه تعالى الى هذا النبي الكريم بغير امره ولا يتخيل ان شيا منه ليس
بقول الله تعالى لا يتخيل انه من كلامه ولكنه اخذه من بعض اهل
الكتاب لان هذا لا يفعل مع بعض الملوك فكيف بملك الملوك فكيف بمن هو
عالم بالسر والجهر محيط علمه بالخفي والجلي تنبيه في تنزيل الكتاب
اعرابات مختلفة واظهرها ما جرى عليه الجلال المحلي من ان تنزيل الكتاب
مبتدا ولا ريب فيه خبر اول ومن رب العالمين خبر ثان وقوله تعالى ام
يقولون افتراه اي محمد ذلك الذي لا يمتري فيه عاقل افتراه اي تعمد كذبه
ام فيه هي المنقطعة والاضراب للانتقال لا للابطال وقيل الميم صلة
اي ايقولون افتراه وقوله تعالى بل هو الحق اي الثابت ثباتا لا يضاهيه
ثبات شيء من الكتب قبله اضراب ثان ولو قيل بانه اضراب ابطال لنفس
افتراه وحده لكان صوابا وعلى هذا يقال كل ما في القرآن اضراب فهو اضراب
انتقال الا هذا فانه يجوز ان يكون ابطالا لانه ابطال لقولهم اي ليس هو كما
قالوا مفترى بل هو الحق وفي كلام الزمخشري ما يرشد الى هذا فانه قال
والضمير في فيه راجع الى مضمون الجملة كانه قيل لا ريب في ذلك اي في
كونه من رب العالمين قال ابن عادل ويشهد لوجاهته ام يقولون افتراه

لان قولهم هذا مفترى انكار لان يكون من رب العالمين وكذلك قوله بل هو الحق
من ربك وما فيه من تقرير انه من عند الله وهذا اسلوب صحيح محكم انتهى
وقوله تعالى من ربك اي المحسن اليك بانزاله واحكامه حال من الحق والعامل
فيه محذوف على القاعدة وهو العامل ايضا في لتنذر ويجوز ان يكون العامل
في لتنذر غيره اي انزله لتنذر قوما اي ذوي قوة وجلد ومنعة ما اتاهم
من نذير اي رسول في هذه الازمان القريبة لقول ابن عباس ان المراد الفترة
ويؤيده اثبات الجار في قوله تعالى من قبلك ولما ذكر تعالى علة الانزال اتبعه
علة الانذار بقوله تعالى لعلهم يهتدون اي ليكون حالهم في مجاري العادات
حال من ترجى هدايته الى كمال الشريعة واما التوحيد فلا عذر لاحد فيه
مع اقامة الله تعالى من حجة العقل مع ما ابقته الرسل عليهم الصلاة
والسلام ادم فمن بعده من واضح النقل باثار دعواتهم وبقايا دلالاتهم
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لمن ساله عن ابيه ابي وابوك في النار
وغير ذلك من الادلة الدالة على ان من مات قبل دعوته على الشرك فهو في
النار لكن ذكر بعض العلماء ان من خصائصه صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى
احيا له ابويه واسلما على يديه ولا بدع في ذلك فان الله تعالى اكرمه باشيا
لا تحصر ولما ذكر تعالى الرسالة وبين ما على الرسول من الدعا الى
التوحيد واقامة الدليل قال الله اي الحاوي لصفات الكمال وحده
الذي خلق السموات كلها والارض باسرها وما بينهما من المنافع الحسية
والمعنوية في ستة ايام كما ياتي تفصيله في فصلت ان شاء الله تعالى
ثم استوى على العرش وهو في اللغة سرير الملك استوا يليق به لم تعهدوا
مثله وهو انه تعالى اخذ في تدبيره وتدبيره ما حواه بنفسه لا شريك له
ولا نائب فيه ولا وزير كما تعهدون من ملوك الدنيا اذا اتسعت ممالكهم
وتباعدت اطرافها وتنائت اقطارها ما لكم من دونه لان كل ما سواه دونه
وتحت قهره ودل على عموم النفي بقوله تعالى من ولي اي يلي اموركم ويقوم
بمصالحكم وينصركم اذا حل بكم شيء مما تنذرون به ولا شفيع يشفع عنده
في تدبيركم او في احد منكم بغير اذنه افلا تتذكرون هذا فتؤمنون ولما
نفى ان يكون له وزير او شريك في الخلق ذكر كيف يفعل في هذا الملك العظيم
الذي ابدعه فقال مستانفا مفسرا للمراد بالاستوا يدبر الامر اي كل امر
هذا العالم بان يفعل في ذلك فعل الناظر في ادبار الامر لاتقان خواتمه ولوازمه
كما نظر في مقابله لاحكام فواتحه وعوازمه لا يكل شيئا منه الى احد من
خلقه قال الرازي في اللوامع وهذا دليل على ان استواه على العرش بمعنى
اظهار القدرة والعرش مظهر التدبير لا مقر لمدبر ولما كان المقصود
للقرب انما هو تدبير ما يمكن شهادتهم له من العالم قال تعالى مفردا من

السماء اي فينزل ذلك الامر الذي اتقنه كما يتقن من ينظر في ادبار ما يعمله
الى الارض اي غير متعرض لما فوق ذلك على ان السما تشمل كل عال فيدخل
جميع العالم العلوي والارض تشمل كل ما سفل فيشمل ذلك العالم
السفلي تنبيه ههنا همزتان مكسورتان فقالون وابن كثير يسهل الاولى
كالياء مع المد والقصر وورش وقيل يسهل الثانية ولهما ابدالها من غير مد
واسقط ابو عمرو الاولى مع المد والقصر والباقون بتحقيقهما ولما الصعود
اشق من النزول على ما جرت به العوايد فكان بذلك مستبعدا اشار الى
ذلك بقوله تعالى **ثم يعرج** اي يصعد **اليه** اي بصعود الملك الى الله تعالى
اي الى الموضع الذي شرفه او امره بالكون فيه كقوله تعالى اني ذاهب الى
ربي ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ونحو ذلك او الى الموضع
الذي ابتدا منه نزول التدابير الى السماء كانه صاعد في معارج وهي
الدرج على ما تتعارفون بينكم في اسرع من لمح البصر **في يوم** اي من ايام الدنيا
كان مقداره لو كان الصاعد واحدا منكم على ما تعهدون **الف سنة**
مما تعدون من سنينكم التي تعهدون قال البقاعي والذي دل على
هذا التقدير شي من العرف وشي من اللفظ اما اللفظ فالتعبير بكان مع
انتظام الكلام بدونها لو اريد غير ذلك واما العرف فهو ان الانسان
المتمكن يبني البيت العظيم العالي في سنة مثلا فاذا فرغ صعد اليه
خادمه الى اعلاه في اقل من درجتين من درج الرمل فلا يكون نسبة ذلك
من زمن بنايه الاجزا ولا بعد هذا وهو خلق محتاج فما ظنك بمن خلق
الخلق في ستة ايام ولو شاء لخلقهم في لمحة وهو غني عن كل شي قادر
على كل شي انتهى فنزول الامر وعروج العمل في مسافة الف سنة مما
تعدون وهي ما بين السما والارض فان مسافة خمسماية عام فينزل
في مسيرة خمسماية عام ويعرج في خمسماية سنة فهو مقدار الف سنة
كانه تعالى يقول لو سار احد من بني ادم لم يقطعه الا في الف سنة والملايكة
يقطعونه في يوم واحد هذا في وصف عروج الملك من الارض الى السماء
واما قوله تعالى تعرج الملايكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف
سنة اراد مدة المسافة من الارض الى سدرة المنتهى التي هي مقام جبريل
عليه السلام فيسير جبريل والملايكة الذين معه من اهل مقامه مسيرة
خمسين الف سنة في يوم واحد من ايام الدنيا قاله مجاهد والضحاك وورد
انه صلى الله عليه وسلم قال بين السما والارض خمسماية عام ثم قال اتدرون
ما الذي فوقها قلنا الله ورسوله اعلم قال سما اخرى اتدرون كم بينها وبينها
قلنا الله ورسوله اعلم قال خمسماية عام حتى عد سبع سموات ثم قال
هل تدرون ما فوق ذلك قلنا الله ورسوله اعلم قال العرش ثم قال اتدرو

ما بينه

ما بينه وبين السما السابعة قلنا الله ورسوله اعلم قال خمسماية عام ثم قال
ما هذه تحتكم قلنا الله ورسوله اعلم قال ارض تدرون ما تحتها قلنا الله ورسوله
اعلم قال مسيرة سبعماية عام حتى عد سبع ارضين ثم قال ايم الله لو
دليتم بحبل لهبط على علم الله وقدرته وروي مثل السموات والارض
في الكرسي كحلقة ملقاة في فلاة وان فضل الكرسي على السموات والارض
كفضل الفلاة على تلك الحلقة وقوله تعالى وسع كرسيه السموات
والارض يدل على ان الكرسي محيط بالكل وقيل مقدار الف سنة وخمسين
الف سنة كلها في القيمة ومعناه حينيذ يدبر الامر من السما الى الارض
مدة ايام الدنيا ثم يعرج اي يرجع الامر والتدبير اليه بعد فنا الدنيا في يوم
كان مقداره ذلك وذلك اليوم يتفاوت فهو على الكافر كخمسين الف سنة
وعلى المومن دون ذلك بل جا في الحديث انه يكون على المومن كمثل صلاة مكتوبة
صلاها في الدنيا وقيل ان ذلك اشارة الى امتداد نفاذ الامر وذلك لان
من نفذ امره غاية النفاذ في يوم او يومين وانقطع لا يكون مثل من ينفذ امره في
سنين متطاولة فقوله في يوم كان مقداره الف سنة يعني يدبر
الامر في زمان يوم منه الف سنة فكم يكون شهر منه وكم يكون سنة منه
وكم يكون دهر منه وعلى هذا فلا يكون فرق بين هذا وبين قوله مقداره خمسين
الف سنة لان ذلك اذا كان اشارة الى دوام نفاذ الامر فسوا يعبر
بالف سنة او بخمسين الف سنة لا يتفاوت الا ان المبالغة بالخمسين
اكثر وسياتي بيان فايدتها في موضعها ان شاء الله تعالى ولما تقرر من هذا
من عالم الاشباح والخلق ثم عالم الارواح والامر بين انه تعالى عالم بما كان وما
يكون بقوله تعالى **ذلك** اي الاله الواحد القهار **عالم الغيب والشهادة** اي
ما غاب عن الخلق ومنه الذي تقدمت مفاتيحه وما حضر وظهر فيدبر امرهما
العزيز اي الغالب على امره **الرحيم** على العباد في تدبيره وفيه ايما بانه
تعالى يراعي المصالح تفضلا واحسانا ولما ذكر تعالى الدليل على الوحدانية
من الافاق بقوله تعالى خلق السموات وما بينهما يذكر الدليل عليها من الانفس
بقوله تعالى **الذي احسن كل شي خلقه** قال ابن عباس اتقنه واحكمه فجميع المخلوقات
حسنة وان تفاوتت الى حسن واحسن كما قال تعالى لقد خلقنا الانسان
في احسن تقويم وقال مقاتل علم كيف يخلق كل شي من قول القايل
فلان يحسن كذا اذا كان يتقنه وقيل خلق كل حيوان على صورة لم يخلق البعض
على صورة البعض وقيل معناه احسن الى كل خلقه وقرا نافع والكوفيون
بفتح اللام فعلا ماضيا والجملة صفة للمضاف او المضاف اليه والباقون
بسكونها على انه بدل من كل شي بدل اشتمال والضمير عايد على كل شي
ولما كان الحيوان اشرف الاجناس وكان الانسان اشرفه خصه بالذكر

ليقوم دليل الوحدانية بالانفس كما قام بالافاق فقال د الاعلي البعث **وبدا خلق الانسان**
اي ادم عليه السلام **من طين** قال الرازي ويمكن ان يقال الطين ما وتراب مجتمعان
فالادمي اصله مني والمني اصله غذا والاغذية اما حيوانية واما نباتية والحيوانية
ترجع الي النباتية والنبات وجوده بالما والتراب الذي هو الطين **ثم جعل نسله**
اي ذريته **من سلالة** اي نطفة سميت سلالة لانها تسلّ من الانسان
اي تنفصل منه وتخرج من صلبه ونحوه قولهم للولد سليل هذا علي التفسير
الاول لان ادم كان من طين ونسله من سلالة **من ما مهين** اي ضعيف
وعلي التفسير الثاني هو ان اصله من طين ثم يوجد من ذلك الاصل
سلالة هي ما مهين هي نطفة الرجل واشار الي عظمة ما بعد ذلك
من خلقه وتطويره بقوله تعالى **ثم سواه** قومه بتصويرا عضائه وابداع
المعاني علي ما ينبغي **ونفخ فيه** اي ادم **من روحه** اي جعله حيا حساسا بعد
اذ كان جمادا واضافة الروح الي الله تعالى اضافة تشريف كبيت الله
وناقة الله فياله من شرف ما اعلاه ففيه اشعار بانه خلق عجيب وان له
شانا له مناسبة ما الي الحضرة الربوبية قال البيضاوي ولاجله
اي ولاجل كون ان له شانا الي اخره روي من عرف نفسه فقد عرف ربه
هنا الحديث هذا الحديث لا اصل له وبتقدير ان له اصلا ليس معناه
ما ذكر بل معناه من عرف نفسه وتامل في حقيقتها عرف ان له صانعا
موجدا له واليه اشار بقوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون ثم ذكر ما يترتب
علي نفخ الروح في الجسد مخاطبا للذرية بقوله تعالى **وجعل لكم** بعد ان كنتم
نطفا امواتا **السمع** اي لتدركوا به ما يقال لكم **والابصار** اي لتدركوا
بها الاشياء علي ما هي عليه **والافئدة** اي القلوب المودعة غرائز العقول
فان قيل ما الحكمة في تقديم السمع والبصر علي الافئدة اجيب بان
الانسان يسمع اولا كلاما فينظر الي قايله ليعرفه ثم يتفكر في قلبه في
ذلك الكلام ليفهم معناه فان قيل ما الحكمة في ذكر المصدر في السمع
وفي البصر والفؤاد الاسم ولهذا جمع الابصار والافئدة ولم يجمع السمع
لان المصدر لا يجمع اجيب بان السمع قوة واحدة ولها محل واحد وهو
الاذن ولا اختيار لها فيه وان الصوت من اي جانب كان واصل اليه
ولا قدرة للاذن علي تخصيص السمع بادراك البعض دون البعض واما
البصر فمحله العين ولها فيه اختيار فانها تتحرك الي جانب المري دون غيره
وكذلك الفؤاد محله الادراك وله نوع اختيار يلتفت الي ما يريد دون
غيره فالسمع اصل دون محله لعدم الاختيار له والعين كالاصل وقوة الابصار
الة لها والفؤاد كذلك وقوة الفهم الة له فذكر في السمع المصدر الذي هو
القوة وفي الابصار والافئدة الاسم الذي هو محل القوة ولان السمع قوة واحدة لها

محل

محل واحد ولهذا لا يسمع الانسان في زمان واحد كلامين علي وجه يضبطهما
ويري في زمان واحد صورتين فاكثر ويتبينهما فان قيل لم قدم السمع ههنا
وقدم القلب في قوله تعالى في البقرة ختم الله علي قلوبهم وعلي سمعهم وعلي ابصارهم
اجيب بانه تعالى عند الاعطا ذكر الادني ثم ارتقي الي الاعلي فكانه قال
اعطاكم السمع ثم اعطاكم ما هو اشرف منه وهو القلب وعند السلب قال
ليس لهم قلب يدركون به ولا ما هو دونه وهو السمع الذي يسمعون به
ممن له قلب يفهم الحقايق ويستخرجها ولما لم يبادروا الي الايمان عند تذكيرهم
بهذه النعم الجسام قال تعالى **قليلا ما تشكرون** اي تشكرون شكرا قليلا
فما مزيدة موكدة للقلة وقوله تعالى **وقالوا** معطوف علي ما سبق منهم
فانهم قالوا محمد ليس برسول والاله ليس بواحد والبعث ليس بممكن
فدل علي صحة الرسالة بنفي الريب عن الكتاب ثم علي الوحدانية بشمول
القدرة واحاطة العلم بابداع الخلق علي وجه هو نعمة لهم وختم بالتعجب
من كفرهم وكان استبعادهم للبعث الذي هو الثالث الاصل من اعظم
كفرهم وهو قولهم **ائذا** اي انبعث اذا **ضللنا** اي غبنا **في الارض**
اي صرنا ترابا مخلوطا بتراب الارض لا نتميز منه واصله من ضل
الما في اللبن اذا ذهب فيه وقولهم **ائنا لفي خلق جديد** اي يجدد خلقنا
استفهام انكاري زيادة في الاستبعاد فان قيل انه تعالى ذكر الرسالة من
قبل وذكر دليلها وهو التنزيل الذي لا ريب فيه وذكر الوحدانية وذكر
دليلها وهو خلق السموات والارض وخلق الانسان من طين ولما ذكر انكار
الحشر لم يذكر الدليل اجيب بانه ذكر دليله وهو ان خلقه الانسان
ابتداء دليل علي قدرته علي الاعادة ولهذا استدل تعالى علي انكار الحشر
بالخلق الاول ثم يبعث وهو الموت عليه وقوله تعالى الذي انشاها اول مرة وبقوله
خلق السموات والارض كما قال اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر
علي ان يخلق مثلهم بلي وقرا نافع والكسائي ايذا ضللنا ائنا الاول بالاستفهام
والثاني بالخبر وقرا ابن عامر الاول بالخبر والثاني بالاستفهام والباقون
بالاستفهام فيهما وهم علي مذاهبهم فقالون وابو عمرو في الاستفهام بتسهيل الثانية
وادخال الالف بينهما وبين همزة الاستفهام وورش وابن كثير بتسهيل الثانية
من غير ادخال وهشام بتسهيل الثانية وتحقيقها مع الادخال والباقون
بتحقيقهما من غير ادخال وقوله تعالى **بل هم بلقاء ربهم كافرون** اي جاحدون
اضراب عن الاول اي ليس انكارهم لمجرد الخلق ثانيا بل يكفرون بجميع احوال
الاخرة حتى لو صدقوا بالخلق الثاني لما اعترفوا بالعذاب والثواب او
يكون المعني لم ينكروا البعث لنفسه بل كفرهم بلقاء الله فانهم كرهوه فانكروا
المفضي اليه ثم بين لهم ما يكون من الموت الي العذاب بقوله تعالى **قل** اي

يا أفضل الخلق لهم **ملك الموت** اي يقبض ارواحكم **الذي وكل بكم**
اي بقبض ارواحكم وهو عزرائيل عليه السلام والتوفي استيفا العدد
معناه ان يقبض ارواحهم حتى لا يبقى احد من العدد الذي كتب عليه الموت
روي ان ملك الموت جعلت له الدنيا مثل راحة اليد يأخذ منها صاحبها
ما احب من غير مشقة فهو يقبض انفس الخلق من مشارق الارض ومغاربها
وله اعوان من ملائكة الرحمة واعوان من ملائكة العذاب وقال ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب وقال مجاهد
جعلت الارض مثل الطست يتناول منها حيث يشا وفي بعض الاخبار
ان ملك الموت على معراج بين السما والارض فتنزع اعوانه روح الانسان
فاذا بلغ ثغرة نحره قبضه ملك الموت وعن معاذ بن جبل ان لملك الموت حربة
تبلغ ما بين المشرق والمغرب وهو يتصفح وجوه الناس فما من اهل بيت
الا وملك يتصفحهم في كل يوم مرتين فاذا راى انسانا قد انقضى اجله ضرب
راسه بتلك الحربة وقال الان يزار بك عسكر الموتى فيصير ملقى لا روح
في شي منه وهو على حاله كاملا لا ينقص في شي منه يدعي الخلل بسببه فاذا كان
هذا فعل عبد من عبيده تعالى صرفه في ذلك فقام به عماز ونه مع ان ممازجة
الروح للبدن اشد من ممازجة تراب البدن لبقية التراب لانه ربما يستدل بعض
الحذاق على بعض ذلك بنوع دليل من شم ونحوه فكيف يستبعد شي من الاشيا
على رب العالمين ومدبر الخلائق اجمعين نسال الله تعالى ان يقبضنا على التوحيد
وان يستعملنا في طاعته ما احيانا وبفعل ذلك باهلنا واحبابنا ولما قام
هذا البرهان القطعي على قدرته التامة علم ان التقدير ثم يعيدكم خلقا جديدا
كما كنتم اول مرة فحذف كما هو عادة القرآن في حذف كل ما دل عليه السياق ولم
يدع داع الى ذكره عطف عليه قوله تعالى **ثم الى ربكم** اي الذي ابتدا خلقكم
وتربيتكم واحسن اليكم غاية الاحسان **ترجعون** اي تصيرون اليه احيا
فيجزيكم باعمالكم ولما تقرر دليل البعث بما لا خفا فيه ولا لبس شرع في
بعض احواله بقوله تعالى **ولو ترى** اي تبصر **اذ المجرمون** اي الكافرون
ناكسوا رؤسهم اي مطاطئوها خوفا وخجلا وحزنا وذلا **عند ربهم** المحسن
اليهم المتوحد بتدبيرهم قائلين بغاية الذل والرقة **ربنا** اي المحسن الينا
ابصرنا اي ما كنا نكذب به **وسمعنا** منك تصديق الرسل فيما
كذبناهم فيه **فارجعنا** عالا من هذه الصفة المقتضية للاحسان
الى الدنيا دار العمل **نعمل صالحا** فيها **انا موقنون** اي ثابت لنا الان
الايقان بجميع ما اخبرنا به عنك فلا ينفعهم ذلك ولا يرجعون وجواب لو
محذوف تقديره لرايت امرا فظيعا والمخاطب يحتمل ان يكون للنبي صلى الله
عليه وسلم شفا لصدره فانهم كانوا يؤذونه بالتكذيب ويحتمل ان يكون عاما

واذ على بابها من المضي لان لو تصرف المضارع للمضي وانما جي هنا ماضيا لتحقق
وقوعه نحو اتى امر الله وجعله ابو البقا مما وقعت فيه اذ موضع اذا ولا حاجة اليه
وقوله تعالى **ولو شئنا** اي بما لنا من العظمة **لاتينا كل نفس** اي مكلفة لان
الكلام فيها **هداها** فتهتدي بالايمان والطاعة باختيار منها جواب عن قولهم
ربنا ابصرنا وسمعنا وذلك ان الله تعالى قال اي لو رجعتكم الى الايمان
لهديتكم في الدنيا ولما لم اهدكم تبين اني ما اردت ولا شئت ايمانكم فلا اردكم
وهذا صريح في الدلالة على صحة مذهب اهل السنة حيث قالوا ان الله تعالى
ما اراد الايمان من الكافر وما شا منه الا الكفر **ولكن** لم اشا ذلك لانه **حق
القول مني** وانا ممن لا يخلف الميعاد لان الاخلاف اما لعجز او نسيان او
حاجة ولا شيا من ذلك يليق بجانبي ولا يحل بساحتي واكد لاجل انكارهم
فقال **لاملان جهنم** اي التي هي محل اهانتي **من الجنة** اي الجن طائفة
ابليس وكانه تعالى انثهم تحقيرا لهم عند من يستعظم امرهم ويدابهم
لاستعظامهم لهم ولانهم الذين اضلوهم **والناس اجمعين** حيث قلت لابليس
لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين فلذلك شئت كفر الكافرين وعصيان
العاصي بعد ان جعلت لهم اختيارا وغيبت العاقبة عنهم فصار الكسب
ينسب اليهم ظاهرا والخلق في الحقيقة والمشيئة لي ولما تسبب عن هذا
القول الصادق فانه لا محيص لهم عن عذابهم قال لهم الخزنة اذا دخلوا
جهنم **فذوقوا** العذاب **بما** اي بسبب ما **نسيتم لقاء يومكم** وحققه
وبين ذلهم بقوله تعالى **هذا** اي بترككم الايمان به **انا نسيناكم** اي عاملناكم
بما لنا من العظمة ولكن من الحقارة معاملة الناس لكم فتركناكم في العذاب
وذوقوا عذاب الخلد اي المختص بانه لا اخر له **بما** اي بسبب ما **كنتم تعملون**
اي من الكفر والتكذيب وانكار البعث ولما ذكر تعالى علامة اهل الكفر ان ذكر
علامة اهل الايمان بقوله تعالى **انما يؤمن باياتنا** اي الدالة على عظمتنا **الذين
اذا ذكروا بها** اي من اي مذكر كان في اي وقت كان **خروا سجدا** اي بادروا
الى السجود مبادرة من كانه سقط من غير قصد خضوعا لله من شدة تواضعهم
وخشيتهم واخباتهم خضوعا ثابتا دائما **وسبحوا** اي اوقعوا التسبيح
عن كل شائبة نقص متلبسين **بحمد ربهم** اي قالوا سبحان الله وبحمده
وقيل صلوا بامر ربهم ولما تضمن هذا تواضعهم صرح به في قوله تعالى **وهم
لا يستكبرون** اي عن الايمان والطاعة كما يفعل من يصير مستكبرا وعن
ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا السورة التي فيها السجدة
فيسجد ونسجد حتى ما يجد احدنا مكانا لموضع جبهته في غير وقت الصلاة
وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرا ابن ادم السجدة
فسجد اعتزل ابليس يبكي يقول يا ويلتي امر ابن ادم بالسجود فسجد فله الجنة

السجدة

وامرت بالسجود فابيت فلي النار وهذه من عزايم سجود القران فتسن للقاري
والسامع والمستمع ولما كان المواضع ربما ينسب الى الكسل نفي ذلك عنهم
مبينا لما تضمنته الاية السالفة من تخوفهم بقوله تعالى **تتجافى** اي
ترتفع وتنبو **جنوبهم عن المضاجع** عبر عن ترك النوم قال ابن رواحة
يبيت يجافي جنبه عن فراشه • اذا استثقلت بالمشركين المضاجع
والمضاجع جمع المضجع وهو الموضع الذي يضجع عليه يعني الفراش وهم المتهجدون
بالليل الذين يقيمون الصلاة قال انس نزلت فينا معاشر الانصار كنا نصلي
المغرب فلا نرجع الى رحالنا حتى نصلي العشاء مع النبي صلى الله عليه وسلم
وعن انس ايضا قال نزلت في اناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
كانوا يصلون صلاة المغرب الى صلاة العشاء وعن عطا هم الذين لا ينامون
حتى يصلوا العشا الاخرة والفجر في جماعة وعنه صلى الله عليه وسلم
من صلى العشاء في جماعة كان كمن قام نصف ليلة ومن صلى الفجر في جماعة
كان كقيام نصف ليلة وعن انس كنا نجتنب الفرش قبل صلاة العشاء وعنه
ايضا قال ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم راقدا قبل العشاء ولا
متحدثا بعدها فان هذه الاية نزلت في ذلك وعن ابن عباس ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال هم الذين لا ينامون قبل العشا فاثني عليهم فلما ذكر
ذلك جعل الرجل يعتزل فراشه مخافة ان تغلبه عينه فوقه قبل ان ينام
الصغير ويكسل الكبير وعن مالك بن دينار قال سالت انسا عن هذه
الاية فقال كان قوم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين
الاولين يصلون المغرب ويصلون بعدها الى العشا الاخيرة فنزلت
هذه الاية فيهم وعن ابن ابي حازم قال هي ما بين المغرب والعشا صلاة
الاوابين وعن معاذ بن جبل قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في سفر فاصبحت يوما قريبا منه وهو يسير فقلت يا رسول الله اخبرني بعمل
يدخلني الجنة ويباعدني من النار قال لقد سالت عن عظيم وانه ليسير على
من يسره الله عليه تعبد الله ولا تشرك به شيا وتقيم الصلاة وتؤتي
الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال الا ادلك على ابواب الخير
الصوم جنة والصدقة تطفي الخطيئة وصلاة الرجل في جوف الليل
ثم قرا تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ يعملون ثم قال الا اخبرك براس
الامر وعموده وذروة سنامه الجهاد ثم قال الا اخبرك بملاك ذلك كله فقلت
بلى يا نبي الله فاخذ بلسانه فقال كف عنك هذا فقلت يا رسول الله وانا
لمواخذون بما نتكلم به فقال ثكلتك امك يا معاذ وهل يكب الناس على
وجوههم الا حصايد السنتهم وعن كعب قال اذا حشر الناس نادى مناد
هذا يوم الفصل اين الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع اين الذين يذكرون

الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ثم يخرج عنق من النار فيقول امرت بثلاث بمن
جعل مع الله الها اخر وبكل جبار عنيد وبكل معتدي لانا اعرف بالرجل من
الوالد بولده والمولود بوالده ويوم يفقر المسلمين الى الجنة فيحبسون
فيقولون تحبسونا ما كان لنا اسوال ولا كنا امرا وعن ابي امامة الباهلي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليكم بقيام الليل فانه داب
الصالحين قبلكم وقربة الى ربكم وتكفير السيات ومنهاة عن الاثام ومطردة
الداء وعن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عجب ربنا
من رجلين رجل ثار عن وطايه ولحافه بين حبه واهله الى صلاته رغبة فيما
عندي وشفقا مما عندي ورجل غزا في سبيل الله فانهزم مع اصحابه فعلم
ما عليه من الانهزام وما عليه في الرجوع فرجع حتى هريق دمه وعن عايشة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم الليل حتى تنفطر قدماه
فقلت لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما
تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا وعن علي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من
ظاهرها اعدها الله لمن الان الكلام واطعم الطعام وتابع الصيام
وصلى بالليل والناس نيام واخرج البيهقي في شعب الايمان عن ربيعة
الجرشي قال يجمع الله الخلايق يوم القيمة في صعيد واحد فيكونون ما شا
الله ان يكونوا ثم ينادي مناد سيعلم اهل الجمع لمن يكون العز اليوم والكرم
ليقم الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا فيقومون
وفيهم قلة ثم يلبث ما شاء الله ان يلبث ثم يعود فينادي ليعلم اهل الجمع
لمن يكون العز اليوم والكرم ليقم الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله
فيقومون وهم اكثر من الاولين ثم يلبث ما شاء الله ان يلبث ثم يعود وينادي
سيعلم اهل الجمع لمن يكون العز اليوم والكرم ليقم الحامدون على كل حال
فيقومون وهم اكثر من الاولين واخرج ابن جرير عن ابن عباس تتجافى
جنوبهم عن المضاجع يقول تتجافى لذكر الله اما في الصلاة واما في قياما و
قعودا او على جنوبهم لا يزالون يذكرون الله ولما كان هجران المضجع قد
يكون لغير العبادة بين انه لها بقوله تعالى مبينا لحالهم **يدعون** اي
داعين **ربهم** الذي عودهم باحسانه ثم علله بقوله تعالى **خوفا** اي
من سخطه وعقابه فان اسباب الخوف من نقايصهم كثيرة سوا عرفوا سببا
يوجب خوفا او لا لانهم لا يامنوا مكر الله لانه يفعل ما يشا **وطمعا** في
رضاه الموجب لثوابه وقال ابن عباس خوفا من النار وطمعا في الجنة وعبر
به دون الرجا اشارة الى انهم لشدة معرفتهم بنقايصهم لا يعدون اعمالهم
شيا بل يطلبون فضله بغير سبب وان كانوا مجتهدين في طاعته

ولما كانت العبادة تقطع غالبا عن التوسع في الدنيا رعاية نفس العابد
الى التمسك بما في يده خوفا من نقص العبادة عند الحاجة وصفهم الله بقوله
تعالى **ومما رزقناهم** اي بعظمتنا لا بحول منهم ولا قوة **ينفقون** من غير
اسراف ولا تقتير في جميع وجوه القرب التي شرعناها لهم فلا يبخلون
بما عندهم اعتمادا على الخلاق الرزاق الذي ضمن الخلق فهم بما ضمن لهم
اوثق منهم بما عندهم ولما ذكر تعالى جزا المستكبرين ذكر جزا المتواضعين
بقوله تعالى **فلا تعلم نفس** اي من جميع النفوس مقربة ولا غيرها **ما**
اخفي اي خبا **لهم** اي لهولاء المذكورين من مفاتيح الغيوب وخزائنها
كما كانوا يخفون اعمالهم في الصلاة في جوف الليل وبالصدقة وبغير
ذلك وقرأ حمزة بسكون اليا والباقون بالفتح ولما كانت العين
لا تقر فتهجع الا عند الامن والسرور قال تعالى **من قرة اعين** اي
اي من شي نفيس تقر به اعينهم لاجل ما اقلقوها عن قرارها بالنوم ثم
صرح بما افهمته فا السبب بقوله تعالى **جزاء** اي اخفاه لهم لجزائهم
بما اي بسبب ما **كانوا يعملون** اي من الطاعات في دار الدنيا روى
البخاري في التفسير عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال قال الله تعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا
اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال ابو هريرة اقروا ان
شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم الاية وعن ابن مسعود قال انه لمكتوب
في التوراة لقد اعد الله تعالى للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع
ما لم تر عين ولم تسمع اذن ولم يخطر على قلب بشر ولا يعلم ملك مقرب
ولا نبي مرسل وانه لفي القران فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين
وعن ابن عمر قال ان الرجل من اهل الجنة ليجي فتشرف عليه
النسا فيقلن يا فلان بن فلان ما انت بمن خرجت من عندها باولى
بك منا فيقول ومن انتن فيقلن نحن من اللاتي قال الله تعالى فلا تعلم
نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وعن عامر بن عبد الواحد قال
بلغني ان الرجل من اهل الجنة يمكث في مكان سبعين سنة ثم
يلتفت فاذا هو بامراة احسن مما كان فيه فتقول له قد آن لك ان
يكون لنا منك نصيب فيقول من انت فتقول انا الذي قال الله تعالى
فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وعن سعيد بن جبير قال
يدخلون عليهم على مقدار كل يوم من ايام الدنيا ثلاث مرات معهم
التحف من الله من جنات عدن ما ليس في جناتهم وذلك قوله تعالى
فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وعن كعب قال
سأصف لكم منزل رجل من اهل الجنة كان يطلب حلالا وياكل حلالا

حتى لقي الله على ذلك فانه يعطى يوم القيمة قصرا من لولوة واحدة ليس
فيها صدع ولا وصل فيها سبعون الف غرفة واسفل الغرف سبعون
الف بيت كل بيت سقفه صفايح الذهب والفضة ليس بموصول ولولا
ان الله تعالى سخر له النظر لذهب بصره من نوره غلظ الحايط خمسة
عشر ميلا وطوله في السما سبعون ميلا في كل بيت سبعون الف
باب يدخل عليه في كل بيت من كل باب سبعون الف خادم لا يراهم
من في هذا البيت ولا يراهم من في هذا البيت فاذا خرج من قصره سار في
ملكه مثل عمر الدنيا يسير في ملكه عن يمينه وعن يساره ومن ورايه
وازواجه معه وليس معه ذكر غيره ومن بين يديه ملايكة قد سخروا
له وبين ازواجه ستر وبين يديه ستر ووصاف ووصايف قد فهموا
ما يشتهي وما تشتهي ازواجه ولا يموت هو ولا ازواجه ولا خدامه
ابدا نعيمهم يزداد كل يوم من غير ان يبلى الاول وقرة عين
لا تنقطع ابد الابد لا يدخل عليه فيه روع ابدا وعن ابي هريرة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لو ان احد
اهل الجنة رجلا اضاف ادم فمن دونه فوضع لهم طعاما وشرابا
حتى خرجوا من عنده لا ينقصه ذلك شيا مما اعطاه وعن سعد بن سهل
قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصف الجنة
حتى انتهى ثم قال فيها ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر ثم قال تتجافى جنوبهم عن المضاجع الايتين قال القرطبي انهم
اخفوا اعمالا واخفي لهم ثوابا فقدموا على الله فقرت تلك الاعين
وعن ابي اليمان قال الجنة مائة درجة اولها درجة فضة وارضها
فضة ومساكنها فضة وانيتها فضة وترابها المسك والثانية لولو
وارضها لولو ومساكنها لولو وانيتها لولو وترابها المسك وسبع
وتسعون سنة بعد ذلك ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر وتلى هذه الاية تتجافى جنوبهم عن المضاجع الاية
وعن المغيرة بن شعبة يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم ان موسى عليه
السلام سال ربه فقال اي رب اي اهل الجنة ادنى منزلة فقال رجل
يجي بعد ما دخل اهل الجنة الجنة فيقال له ادخل فيقول كيف ادخل وقد
نزلوا منازلهم واخذوا اخذاتهم فيقال له اترضى ان يكون لك مثل ما كان
لملك من ملوك الدنيا فيقول نعم اي رب قد رضيت فيقال له فان لك هذا
وعشرة امثاله معه فيقول قد رضيت اي رب فيقال له فان لك هذا وعشرة
ما اشتهت نفسك ولذت عينك فقال موسى اي رب فاي اهل الجنة
ارفع منزلة قال اياها اردت وساحدثك عنهم اني غرست كرامتهم

بيدي وختمت عليها فلا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
قال ومصداق ذلك في كتاب الله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين
ونزل في علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه والوليد بن عقبة بن ابي معيط
اخي عثمان لامه حين تنازعا فقال الوليد بن عقبة لعلي اسكت فانا صبي
وانا شيخ وانا والله ابسط منك لسانا واحد منك سنانا واشجع جنانا
واملا منك حشوا في الكتيبة فقال له علي اسكت فانك فاسق …
افمن كان مؤمنا اي راسخا في التصديق بجميع ما اخبرت به الرسل
كمن كان فاسقا اي راسخا في الفسق خارجا عن دايرة الاذعان وقال
تعالى لا يستوون ولم يقل تعالى لا يستويان لانه لم يرد مومنا واحدا
ولا فاسقا واحدا بل اراد جميع المومنين وجميع الفاسقين فلا يستوي
جمع من هولاء بجمع من اوليك ولا فرد بفرد قال قتادة لا يستوون
لا في الدنيا ولا عند الموت ولا في الاخرة ولما نفي استواءهم اتبعه حال
كل على سبيل التفصيل وبدا بحال المومن بقوله تعالى اما الذين امنوا وعملوا
اي تصديقا لايمانهم الصالحات اي الطاعات فلهم جنات الماوى اي التي
ياوي اليها المومنون فانها الماوى الحقيقي والدنيا منزل مرتحل عنها لا محالة
وهي نوع من الجنان قال الله تعالى ولقد راه نزلة اخري عند سدرة
المنتهى عندها جنة الماوى سميت بذلك لما روي عن ابن عباس
قال تاوي اليها ارواح الشهدا وقيل هي عن يمين العرش نزلا اي عدادا
لهم اول قدومهم قال البقاعي كما يهدي للضيف على ما لاح اي عند قدومه
بما اي بسبب ما كانوا يعملون من الطاعات فان اعمالهم من رحمة ربهم
واذا كانت هذه الجنات نزلا فما ظنك بعد ذلك هو لعمري ما اشار اليه
قوله صلى الله عليه وسلم ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر وهم كل لحظة في زيادة لان قدرة الله تعالى لا نهاية لها فاياك
ان تخادع او يغرنك ملحد ثم ثنى بحال الكافر بقوله تعالى واما الذين فسقوا
اي خرجوا عن دايرة الايمان الذي هو معدن التواضع واهل المصاحبة
والملازمة فماواهم النار اي التي لا صلاحية فيها للابوا بوجه من الوجوه
ملجاهم ومنزلهم اي فالنار لهم مكان جنة الماوى للمومنين كلما ارادوا اي
وهم مجتمعون فكيف اذا اراد بعضهم ان يخرجوا منها بان يخيل اليهم
ما يظنون به القدرة على الخروج منها كما كانوا يخرجون نفوسهم من
محيط الادلة ومن دايرة الطاعات الي ميدان المعاصي والزلات
فيعالجون الخروج فاذا ظنوا انه تيسر لهم وهم بعد في غمراتها اعيدوا فيها
فهو عبارة عن خلودهم فيها وقيل لهم اي من اي قايل وكل بهم ذوقوا عذاب
النار اهانة لهم وزيادة في تغيظهم وقوله تعالى الذي كنتم به تكذبون

صفة

صفة لعذاب وجوز ابو البقا ان يكون صفة للنار قال وذكر على معنى الجحيم والحريق
ولما كان المومنون الان يتمنون اصابتهم بشي من الهوان قال تعالى ولنذيقنهم
من العذاب الادنى اي عذاب الدنيا قال الحسن هو مصايب الدنيا واسقامها
وقال عكرمة الجوع بمكة سبع سنين اكلوا فيها الجيف والعظام والكلاب
وقال ابن مسعود هو القتل بالسيف يوم بدر دون العذاب الاكبر وهو
عذاب الاخرة فان عذاب الدنيا لا نسبة له الى عذاب الاخرة فان قيل ما الحكمة
في مقابلة الادنى بالاكبر والادنى انما هو في مقابلة الاقصى والاكبر انما هو
في مقابلة الاصغر اجيب بانه حصل في عذاب الدنيا امران احدهما
انه قريب والاخر انه قليل صغير وحصل في عذاب الاخرة ايضا امران احدهما
انه بعيد والاخر انه عظيم كبير لكن العرف في عذاب الدنيا هو انه الذي يصلح
للتخويف فان العذاب الاجل وان كان قليلا قد لا يحترز عنه اكثر مما يحترز
من العذاب الشديد اذا كان اجلا وكذا الثواب العاجل قد يرغب
فيه بعض الناس ويستبعد الثواب العظيم الاجل واما في عذاب الاخرة
فالذي يصلح للتخويف به هو العظيم والكبير لا البعيد لما ذكر فقال في عذاب
الدنيا العذاب الادنى ليحترز العاقل ولو قال تعالى ولنذيقنهم من العذاب
الاصغر ما كان يحترز عنه لصغره وعدم فهم كونه عاجلا وقال
في عذاب الاكبر لذلك المعنى ولو قال من العذاب الابعد الاقصى لما حصل
التخويف به مثل ما يحصل بوصفه من الكبر لعلهم يرجعون الى الايمان
اي من بقي منهم بعد بدر فان قيل ما الحكمة في هذا الترجي وهو على الله تعالى
محال اجيب بوجهين احدهما معناه لنذيقنهم اذاقة الراجين كقوله
تعالى انا نسيناكم يعني تركناكم كما يترك الناسي حيث لا يلتفت اليه اصلا
كذلك ههنا والثاني نذيقهم العذاب اذاقة يقول القايل لعلهم يرجعون
بسببه ومن اي لا احد اظلم ممن ذكر بايات ربه اي القران ثم اعرض
عنها فلم يتفكر فيها وثم لاستبعاد الاعراض عنها مع فرط وضوحها
وارشادها الى اسباب السعادة بعد التذكر بها عقلا كما في بيت الحماسة
ولا يكشف الغما الا ابن حرة ٭ يرى غمرات الموت ثم يزورها ٭
اي لا يكشف الامر العظيم الا رجل كريم موصوف بما ذكر والغما بتشديد الميم
والمد اي في مدة اقتحام الحرب والشاهد في قوله ثم يزورها اذ المعنى انه
استبعد انه يزور غمرات الموت بعد ان راها واستيقنها واطلع على شدتها
انا من المجرمين اي الكافرين منتقمون وعبر بصيغة العظمة تنبيها على ان
الذي يحصل لهم من العذاب لا يدخل تحت الوصف على مجرد العد في الظالمين
فكيف اذا كانوا اظلم الظالمين والجملة الاسمية تدل على دوام ذلك عليهم
في الدنيا اما باطنا بالاستدراج بالنعم واما ظاهرا باحلال النقم وفي الاخرة

بدوام العذاب على مر الاباد ولما قرر الاصول الثلاثة عاد الى الاصل الذي بدا به
وهو الرسالة المذكورة في قوله تعالى لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك فبين انه
ليس بدعا من الرسل بقوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب اي الجامع للاحكام
وهو التوراة فكان قبلك رسل مثلك وذكر موسى عليه السلام لقربه من
النبي صلى الله عليه وسلم وهو اول من انزل عليه كتابا من انبيا بني اسرايل
بل فترة كثير الانبيا بينه وبين يوسف عليهما السلام ولم يختر عيسى عليه السلام
للذكر والاستدلال لان اليهود ما كانوا يوافقون على نبوته واما النصارى
فكانوا يعترفون بنبوة موسى عليه السلام فذكر المجمع عليه فلا تكن في مرية
واختلف في الهاء في قوله تعالى من لقائه على اقوال احدها انها عايدة على
موسى والمصدر مضاف لمفعوله اي من لقائك موسى ليلة الاسرا وامتحن
المبرد الزجاج في هذه المسالة فاجاب بما ذكر قال ابن عباس وغيره هو
المعنى فلا تكن في شك من لقا موسى فانك تراه وتلقاه روى ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رايت ليلة اسري بي موسى
رجل ادم طوالا جعدا كانه من رجال شنوة ورايت عيسى رجلا مربوعا
الى الحمرة والبياض سبط الراس ورايت مالكا خازن النار والدجال في
ايات اراهن الله اياه وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اتيت على موسى ليلة اسري بي عند الكثيب الاحمر وهو يصلي في
في قبره فان قيل قد صح في حديث المعراج انه راه في السما السادسة
ومراجعته في امر الصلاة كيف الجمع بين هذين الحديثين اجيب بانه يحتمل
ان تكون رويته في قبره عند الكثيب الاحمر قبل صعوده الى السما وذلك
في طريقه الى بيت المقدس وذلك في طريقه الى بيت المقدس ثم صعد الى
السما السادسة وجده هناك قد سبقه لما يريد الله تعالى وهو على
كل شي قدير فان قيل كيف تصح منه الصلاة في قبره وهو ميت وقد
سقط عنه التكليف وهو في الدار الاخرة وهي ليست دار عمل وكذلك
راى النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من الانبيا وهم يحجون اجيب عن ذلك
باجوبة الاول ان الانبيا افضل من الشهدا والشهدا احيا عند ربهم فلا
يبعد ان يحجوا ويصلوا كما صح في الحديث وان يتقربوا الى الله تعالى بما استطاعوا
لانهم وان كانوا قد توفوا لكنهم بمنزلة الاحيا في هذه الدار التي هي دار العمل
الى ان تفنى وينقضوا الى دار الجزا التي هي دار الجنة الجواب الثاني انه صلى
الله عليه وسلم راى حالهم التي كانوا عليها في حياتهم ومثلوا له كيف كانوا
وكيف كان حجهم وصلاتهم الجواب الثالث ان التكليف وان ارتفع عنهم
في الاخرة لكن الذكر والشكر والدعا لا يرتفع قال الله تعالى دعواهم فيها سبحانك
اللهم وقال صلى الله عليه وسلم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس فالعبد

يعبد ربه في الجنة اكثر ما كان يعبد في الدنيا وكيف لا يكون ذلك وقد صار مثل
حال الملئكة الذين قال الله تعالى في حقهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون
غاية ما في الباب ان العبادة ليست عليهم بتكليف بل هي مقتضى الطبع ثانيها
ان الضمير يعود الى الكتاب وحينئذ يجوز ان تكون الاضافة للفاعل اي من لقا
الكتاب لموسى او المفعول اي من لقا موسى الكتاب لان اللقا يصح نسبته
الى كل منهما لان من لقيك فقد لقيته قال السدي المعنى فلا تكن في
مرية من لقايه اي يلقى موسى كتاب الله تعالى بالرضا والقبول ثالثها انه يعود
على الكتاب على حذف مضاف اي من لقا مثل كتاب موسى رابعها انه عايد
على ملك الموت لتقدم ذكره خامسها عوده على الرجوع المفهوم من قوله الى
ربكم ترجعون لانك في مرية من لقا الرجوع سادسها انه يعود على ما يفهم
من سياق الكلام مما ابتلي به موسى من الابتلا والامتحان قاله الحسن قال
اي لا بد ان يلقى ما لقي موسى من قومه فاختار موسى عليه السلام الحكمة
وهي ان احدا من الانبيا لم يوذه من قومه الا الذين لم يومنوا واما الذين
امنوا فلم يخالفوه غير قوم موسى عليه السلام فان من لا امن به اذاه ومن
كفر عون ومن امن به من بني اسرايل اذاه ايضا بالمخالفة فطلب اشيا
مثل رؤية الله جهرة وكقولهم اذهب انت وربك فقاتلا واظهر هذه الاقوال
ان الضمير اما لموسى واما للكتاب واختلف في الضمير ايضا في قوله تعالى
وجعلناه على قولين احدهما يرجع الى موسى اي وجعلنا موسى هدى
اي هاديا كما جعلنا كتابك كذلك وجعلنا منهم اي من انبيايهم
اي من انبيايهم واحبارهم ايمة يهدون اي يرفعون البيان ويحملون على
حسبه بامرنا اي بما انزلنا فيه من الاوامر كذلك جعلنا من امتك صحابة
يهدون كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم
اهتديتم وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو بتسهيل الهمزة قبل الميم ولهم ايضا
ابدالها يا وحققها الباقون ومد هشام بين الهمزتين بخلاف عنه وقوله
تعالى لما صبروا قرا حمزة والكسائي بكسر اللام وتخفيف الميم اي بسبب
صبرهم على دينهم وعلى البلا من عدوهم ولاجله وقرا الباقون بفتح اللام
وتشديد الميم اي حين صبرهم على ذلك وان كان الصبر ايضا انما هو بتوفيق
الله تعالى وكانوا باياتنا الدالة على قدرتنا ووحدانيتنا لما لها من العظمة
يوقنون اي لا يرتابون في شي منها ولا يعملون فعل الشاك عنها بالاعراض
ولما افهم قوله تعالى منهم انه كان منهم من يضل عن امر الله قال الله تعالى
ان ربك اي المحسن اليك بارسالك ليعظم ثوابك هو اي وحده يفصل
بينهم اي الهادين والمهديين والضالين والمضلين يوم القيمة
بالقضا الحق فيما كانوا فيه يختلفون اي من امر الدين لا يخفى عليه

لبني اسرائيل الثاني انه يرجع الى الكتاب اي وجعلنا الكتاب هاديا
لانه اقرب ... وجعلنا الكتاب
هو هاديا

شيء منه واما غير ما اختلفوا فيه فالحكم فيه لهم او عليهم وما اختلفوا فيه لا على وجه
القصد فيقع في محل العفو ولما اعاد ذكر الرسالة اعاد ذكر التوحيد بقوله تعالى
اولم يهد اي يبين كما رواه البخاري عن ابن عباس لهم كم اهلكنا اي كثرة
من اهلكنا من قبلهم من القرون الماضين من المعرضين عن الايات وبخيانة
من بهما وقوله تعالى يمشون حال من ضمير لهم في مساكنهم اي في اسفارهم
الى الشام وغيرها كمساكن عاد وثمود وقوم لوط فيعتبروا ان في ذلك اي
الامر العظيم لايات اي دلالات على قدرتنا افلا يسمعون سماع تدبر
واتعاظ فيتعظوا بها اولم اي ايتغفلون في انكار البعث ابتداء ضلالتهم في
الارض ولم يروا مما لنا من العظمة انا نسوق الماء اي من السماء او الارض
الى الارض الجرز اي التي جرز نباتها اي قطع باليبس والتهشيم او بايدي الناس
فصارت ملساء لا نبت فيها وفي البخاري عن ابن عباس انها لا تمطر مطرا
لا يغني عنها شيئا ولا يقال للتي لا تنبت كالسباخ جرز ويدل عليه
قوله تعالى فنخرج به من اعماق الارض بذلك الماء زرعا اي نباتا لا ساق
له باختلاط الماء بالتراب وقيل الجرز موضع باليمن تاكل منه انعامهم اي
من حبه وورقه وتبنه وحشيشه وانفسهم اي من الحبوب والاقوات
وقدم الانعام لوقوع الامتنان بها لان بها قوامهم في معايشهم وابدانهم
ولان الزرع غذا للدواب لا بد منه واما غذا الانسان فقد يصلح للحيوان فكان
الحيوان ياكل الزرع ثم الحيوان الانسان ياكل من الحيوان فان قيل في سورة
عبس ما للانسان اولا فما الحكمة اجيب بان السياق فيها للطعام
الانساني الذي هو نهاية الزرع حيث قال فلينظر الانسان الى طعامه
قال فانبتنا فيها حبا وذكر من طعامه من العنب وغيره ما لا يصلح للانعام
فقدمه وهذا السياق لمطلق اخراج الزرع واول صلاحه انما هو لاكل
الانعام ولا يصلح للانسان ولما كانت هذه الاية مبصرة قال
افلا يبصرون هذا فيعلمون انا نقدر على اعادتهم بخلاف الاية الماضية
فانها كانت مسموعة فقال افلا يسمعون ثم لما بين الرسالة والتوحيد بين
الحشر بقوله تعالى ويقولون اي مع هذا البيان الذي ليس معه اشتباه
متى هذا الفتح اي يوم القيمة وهو يوم الفصل بين المومنين واعدائهم
ويوم نصرهم عليهم وقيل هو يوم بدر وعن مجاهد والحسن يوم فتح مكة
ان كنتم صادقين اي عريقين في الصدق بالاخبار بانه لا بد من وقوعه
حتى نومن اذا رايناه قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل اي لهولاء الجهلة يوم
الفتح اي الذي تستهزون به وهو يوم القيمة لا ينفع الذين كفروا اي غطوا
ايات ربهم التي لا خفاء بها سوا في ذلك انتم وغيركم ممن اتصف بهذا الوصف ايمانهم
لانه ليس ايمانا بالغيب ولا هم ينظرون اي يمهلون في ايقاع العذاب لحظة ما

بيان جرز نباتها

من منتظر

١٢٥

من منتظر ما فان قيل قد سالوا عن وقت الفتح فكيف ينطبق هذا الكلام جوابا
على سوالهم اجيب بانه كان غرضهم في السوال عن وقت الفتح استعجالا
منهم على وجه التكذيب والاستهزا فاجيبوا على حسب ما علم من غرضهم
في سوالهم فقيل لهم لا تستعجلوا به ولا تستهزوا فكاني بكم وقد حصلتم
في ذلك اليوم وامنتم فلم ينفعكم الايمان واستنظرتم في ادراك العذاب فلم
تنظروا فان قيل من فسره بيوم الفتح او بيوم بدر فكيف يستقيم على تفسيره
اذ لا ينفعهم الايمان وقد نفع الطلقاء يوم فتح مكة وناسا يوم بدر اجيب
بان المراد ان المقتولين منهم لا ينفعهم ايمانهم في حال القتل كما لم ينفع فرعون
ايمانه حال ادراك الغرق وقوله تعالى فاعرض عنهم اي ولا تبال بتكذيبهم
وانتظر اي انزال العذاب بهم انهم منتظرون اي بك حادث موت او
قتل فيستريحون منك كان ذلك قبل الامر بقتالهم وقيل انتظر عذابهم
بيقينك انهم منتظرونه بلفظهم استهزاء كما قالوا فاتنا بما تعدنا وعن
ابي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا في الفجر يوم الجمعة
الم تنزيل اي في الركعة الاولى وهل اتى على الانسان اي في الركعة الثانية
وعن جابر قال كان النبي صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرا تبارك والم
تنزيل هما يفضلان على كل سورة في القران بسبعين حسنة ومن قراها
كتب له سبعون حسنة ورفع له سبعون درجة وعن ابي بن كعب
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرا الم تنزيل اعطي من الاجر كمن احيا
ليلة القدر وقول البيضاوي تبعا للزمخشري من قرا الم تنزيل في بيته
لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة ايام قال شيخ شيخنا ابن حجر لم اجده

سورة الاحزاب مدنية وهي ثلاث وسبعون

وماياتان وثمانون كلمة وخمسة الاف وتسعماية وتسعون حرفا وعن زر
قال قال ابي بن كعب كم يقرون سورة الاحزاب قال ثلاثا وسبعين
اية قال والذي يحلف به ابي بن كعب ان كانت لتعدل سورة البقرة
او اطول ولقد قرانا منها اية الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما
البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم اراد ابي ان ذلك من جملة ما نسخ من
القران واما ما حكي ان تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عايشة فاكلها
الداجن فمن تاليفات الملاحدة والروافض بسم الله الذي بهما اراد كان
الرحمن الذي رحمته شملت كل موجود بالكرم والجود الرحيم لمن توكل
عليه بالعطف عليه ونزل في ابي سفيان وعكرمة بن ابي جهل وابي الاعور
عمرو بن ابي سفيان السلمي لما قدموا المدينة ونزلوا على عبد الله بن ابي
راس المنافقين بعد قتال احد وقد اعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم

لا

اية

الامان على ان يكلموه فقام معهم عبد الله بن سعد بن ابي سرح وطعمة بن ابيرق
فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وعنده عمر بن الخطاب ارفض ذكر الهتنا اللات
والعزى ومناة وقل ان لها شفاعة لمن عبدها وندعك وربك فشق على النبي
صلى الله عليه وسلم قولهم فقال عمر يا رسول الله ائذن لي في قتلهم فقال اني قد
اعطيتهم الامان فقال عمر اخرجوا من لعنة الله وغضبه وامر النبي صلى الله عليه
وسلم ان يخرجهم من المدينة يا ايها النبي اتق الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما
قال ان اهل مكة منهم الوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة دعوا النبي
صلى الله عليه وسلم الى ان يرجع عن قوله على ان يعطوه شطر اموالهم وخوفه
المنافقون من اليهود بالمدينة ان لم يرجع قتلوه فانزل الله تعالى يا ايها النبي
اتق الله اي دم على التقوى كما يقول الرجل لغيره وهو قائم قم قائما اي اثبت فائما
نسقط بذلك ما يقال الامر بالشي لا يكون الا عند استقبال المامور
بغير المامور به اذ لا يصح ان يقال للجالس اجلس وللساكت اسكت والنبي
صلى الله عليه وسلم كان متقيا لان الامر بالمداومة يصح في ذلك فيقال
للجالس اجلس ههنا حتى اتيك ويقال للساكت قد احسنت فاسكت تسلم
اي دم على ما انت عليه وايضا من جهة العقل ان الملك يتقي منه عبادة
على ثلاثة اوجه بعضهم يخاف من عقابه وبعضهم يخاف من قطع ثوابه
وثالث يخاف من احتجابه فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بالتقوى
بالاول ولا بالثاني واما الثالث فالمخلص لا يامنه ما دام في الدنيا فكيف
والامور البدنية شاغلة فالادمي في الدنيا تارة مع الله والاخرى مقبل
على ما لا بد منه وان كان معه الله ولهذا اشار بقوله عليه الصلاة والسلام
انما انا بشر مثلكم يوحي الي يعني برفع الحجاب عني وقت الوحي ثم اعود اليكم كاني
منكم فامر بتقوى توجب ادامة الحضور وقال الضحاك معناه اتق الله
ولا تنقض الذي بيني وبينهم وقيل الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم
والمراد الامة تنبيه جعل الله تعالى نداء نبيه صلى الله عليه وسلم
بالنبي والرسول في قوله تعالى يا ايها النبي اتق الله يا ايها النبي لم تحرم
يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك وترك نداءه باسمه كما قال تعالى يا ادم
يا موسى يا عيسى يا داود كرامة وتشريفا وتنويها بفضله فان قيل
ان لم يوقع اسمه في النداء فقد اوقعه في الاخبار في قوله تعالى محمد
رسول الله وما محمد الا رسول اجيب بان ذلك لتعليم الناس
انه رسول الله وتلقين لهم ان يسموه بذلك ويدعوه به فلا تفاوت
بين النداء والاخبار الا ترى الى ما لم يقصد به التعليم والتلقين من
الاخبار كيف ذكره بنحو ما ذكر في النداء لقد جاءكم رسول من انفسكم
وقال الرسول يا رب لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة

والله ورسوله

١٢٦

والله ورسوله احق ان يرضوه النبي اولى بالمومنين من انفسهم ولو كانوا يؤمنون
بالله والنبي ان الله وملائكته يصلون على النبي وقرا نافع النبي بالهمز والباقون
بغير همز ولما وجه اليه صلى الله عليه وسلم الامر بخشية الولي الودود واتبعه
النهي عن الالتفات نحو العدو والحسود بقوله تعالى ولا تطع الكافرين والمنافقين
في شي من الاشيا لم يتقدم اليك من الخلق فيه امر وان لاح لاح خوف او برق
رجا فجانبهم واحترس منهم فانهم اعدا الله واعدا المومنين لا يريدون الا
المضارة والمضادة قال ابو حيان سبب نزولها انه روي انه صلى الله
عليه وسلم لما قدم المدينة كان يحب اسلام اليهود فتابعه ناس على النفاق
وكان يلين لهم جانبه وكانوا يظهرون النصائح من طريق المخادعة فنزلت تحذيرا
له منهم وتنبيها على عداوتهم انتهى ولهذا اسقط ما قيل لم خص الكافر والمنافق
بالذكر ولان ذكر غيرهما لا حاجة اليه لانه لا يكون عنده الا مطاعا ولان كل من
طلب من النبي صلى الله عليه وسلم طاعته فهو كافر ومنافق لان ما يامر
النبي صلى الله عليه وسلم بامر ايجاب معتقدا انه لم يفعله يعاقبه يحق يكون
كافرا وقرا ابو عمرو والدوري عن الكسائي الكافرين بالامالة محضة وورش بين بين
والباقون بالفتح ثم علل تعالى الامر والنهي بما يزيل الهموم ويوجب الاقبال عليهما
والزوم بقوله تعالى ان الله اي بعظيم كماله كان ازلا وابدا عليما اي شامل
العلم بالغ حكيما اي كامل الحكمة فهو تعالى لم يامرك بامر الا وقد علم ما يترتب عليه
واحكم الصلاح الحال فيه ولما كان ذلك مفهما المخالفة كل ما يدعوا اليه كافر
وكان الكافر ربما دعا الى شي من مكارم الاخلاق قيده بقوله تعالى واتبع اي
بغاية جهدك ما يوحى اي يلقى القاء خفيا كما يفعل المحب مع حبيبه اليك
من ربك اي المحسن اليك بصلاح جميع امرك والى موضع الضمير الظاهر
ليدل على الاحسان في التربية لتقوى على امتثال ما امرت به الاية
السالفة ولما امره باتباع الوحي رغبة فيه بالتعليل باوضح من التعليل
الاول في ان مكرهم خفي بقوله تعالى مذكرا بالاسم الاعظم لجميع ما يدل
عليه من الاسما الحسنى زيادة في التقوي على الامتثال موكدا
للترغيب ان الله بعظمته وكماله كان ازلا وابدا بما تعملون اي
الفريقان من المكايد وان دق خبيرا اي فلا تهتم بشانهم فانه سبحانه
كافيكه وان تعاظم وقرا ابو عمرو بما يعملون خبيرا وبما يعملون بصيرا
بالياء على الغيبة على ان الواو ضمير الكفرة والمنافقين والباقون بالتاء على
الخطاب فيهما ولما كان الادمي موضع الحاجة قال تعالى وتوكل اي دع
الاعتماد على التدبير في امورك واعتمد فيها على الله اي المحيط علما
وقدرة فانه يكفيك في جميع امورك وكفى بالله اي الذي له الامر كله
على الاطلاق وكيلا اي موكولا اليه الامور كلها فلا تلتفت في شي

من امرك غيره لانه ليس لك قلبان تصدق كل واحد منهما الي واحد كما قال تعالى
ماجعل الله اي الذي له الحكمة البالغة والعظمة الباهرة لرجل اي لاحد من بني
ادم ولا غيره وعبر بالرجل لانه اقوي جسما وفهما فيفهم غيره من باب اولي واشار
الي التاكيد بقوله تعالى من قلبين واكد الحقيقة وقررها وجلاها وصورها
بقوله تعالى في جوفه اي ماجمع الله تعالى قلبين في جوف لان القلب معدن
الروح الحيواني المتعلق النفس الانساني اولا ومنبع القوي باسرها
ومدبر البدن باذن الله تعالى وذلك يمنع التعدد وماجعل ازواجكم اللاي
ابلح لكم التمتع بهن تظهرون منهن كما يقول الانسان للواحدة
منهن انت علي كظهر امي امهاتكم بما حرم عليكم من الاستمتاع بهن
حتي تجعلوا ذلك علي التابيد ورتبوا علي ذلك احكام الامهات كلها وما
جعل ادعياكم جمع دعي وهو من يدعي لغير ابيه ابناءكم حقيقة ليحل لكم
ارثكم ويحرم عليكم حلايلهم وغير ذلك من احكام الابناء والمعني ان الله
سبحانه وتعالى كما لم يرى في حكمته ان يجعل للانسان قلبين لانه لا يخلو
ان يفعل باحدهما مثل ما يفعل بالاخر من افعال القلوب فاحدهما فضلة
غير محتاج اليهما واما ان يفعل بهذا غير ما يفعل بذاك فذلك يودي
الي اتصاف الجملة بكونه مريدا كارها عالما ظانا موقنا شاكا في حالة
واحدة ولم يرايضا ان تكون المراة الواحدة اما لرجل زوجا له لان الام مخدومة
مخفوض لها الجناح والمراة مستخدمة متصرف فيها بالاستفراش وغيره
كالمملوكة وهما حالتان متنافيتان ولم يرايضا ان يكون الرجل الواحد
دعيا لرجل وابنا له لان البنوة اصالة في النسب وعراقة فيه والدعوة
الصاق عارض بالتسمية لا غير ولا يجتمع في الشي الواحد ان يكون اصلا
غير اصيل وهذا مثل ضربه الله تعالى في زيد بن حارثة وهو رجل من
كلب سبي صغيرا وكانت العرب في جاهليتها يتغاورون ويتسابون
فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة فلما تزوجها النبي صلى
الله عليه وسلم وهبته له وطلبه ابوه وعمه فخير فاختار النبي صلى
الله عليه وسلم فقال له ابوه وعمه ابازيد تختار العبودية علي الربوبية
قال ما انا بمفارق هذا الرجل فلما راي رسول الله صلى الله عليه وسلم
حرصه عليه اعتقه وتبناه قبل الوحي واخا بينه وبين حمزة بن عبد
المطلب فلما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش
وكانت تحت زيد بن حارثة قال المنافقون تزوج امراة ابنه وهو ينهي
الناس عن ذلك فانزل الله تعالى هذه الاية فيه وقوله تعالى ما كان محمد
ابا احد من رجالكم وروي ان رجلا كان يسمي ابا معمر حميد بن
معمر الفهري وكان رجلا لبيبا حافظا لما يسمع فقالت قريش

ماحفظ

ماحفظه ابا معمر هذه الاشياء الا وله قلبان وكان يقول لي قلبان اعقل
بكل واحد منهما افضل من عقل محمد فلما هزم الله تعالى المشركين
يوم بدر انهزم ابا معمر فيهم فلقيه ابو سفيان وهو معلق احدي نعليه
بيده والاخري في رجله فقال له ما فعل الناس فقال له هم بين مقتول وهارب
فقال له فما بالك احدي نعليك في رجلك والاخري في يدك فقال ماظننت
الا انهما في رجلي فاكذب الله قوله وقولهم وضربه مثلا في الظهار والتبني
وعن ابن عباس كان المنافقون يقولون لمحمد قلبان فاكذبهم الله تعالى وقيل
سهي في صلاته فقالت اليهود له قلبان قلب مع اصحابه وقلب معكم وعن الحسن
نزلت في ان الواحد يقول لي نفسان نفس تامرني ونفس تنهاني فان قيل مامعني
وجه تعدية الظهار واخواته بمن اجيب بان الظهار كان طلاقا في
الجاهلية فكانوا يتجنبون المطلقة فكان قولهم تظاهر منها تباعد منها
جهة الظهار فلما تضمن معني التباعد منها عدي بمن فان قيل مامعني
قولهم انت علي كظهر امي اجيب بانهم ارادوا ان يقولوا انت علي حرام
كبطن امي فكنوا عن البطن بالظهر لئلا يذكروا البطن الذي ذكره
يقارب ذكر الفرج لانه عمود البطن ومنه حديث عمر يجيء به احدهم
علي عمود بطنه اراد علي ظهره ووجه اخر وهو ان اتيان المراة وظهرها الي
السما كان محرما عندهم محظورا وكان اهل المدينة يقولون اذا اتيت
المراة ووجهها الي الارض جا الولد احول فالقصد المطلق منه الي التغليظ
تحريم امراته عليه شبهها بالظهر ثم لم يقنع بذلك حتي جعله كظهر امه
وهو منكر وزور وفيه كفارة كما سياتي ان شا الله تعالى في سورة
المجادلة وقرا ابن عامر والكوفيون اللاي بالهمزة المكسورة واليا بعدها في
الوصل وسهل الهمزة كاليا ورش اليا كالهمزة ورش والبزي وابو عمرو
مع المد والقصر وعن ابي عمرو والبزي ايضا ابدالها يا ساكنة مع المد لا غير
وقالون وقنبل بالهمزة ولا يا بعدها وقرا تظهرون عاصم بضم التا وتخفيف
الظا والف بعدها وكسر الها مخففة وقرا حمزة والكسائي بفتح التا
والظا مخففتين والف بعد الظا وفتح الها مخففة وابن عامر كذلك الا انه
يشدد الظا والباقون بفتح اليا والظا والها مع تشديد الظا والها ولا
الف بعد الظا وقوله تعالى ذلكم اشارة الي كل ما ذكر او الي الاخير قولكم
بافواهكم اي مجرد قولكم قول لسان من غير حقيقة كالهذيان والله اي
المحيط علما وقدرة وله صفات جميع الكمال يقول الحق اي ماله حقيقة
الثابت الذي يوافق باطنه ظاهره فلا قدرة لاحد علي نقضه فان اخبر
عن شي فانه كما قال وهو اي وحده يهدي السبيل اي يرشد الي
سبيل الحق ولما كان كانه قيل فما نقول اهدنا الي سبيل الحق قال تعالى

ادعوهم اي الادعيا **لآبائهم** اي الذين ولدوهم ان علموا ولدًا قال زيد بن حارثة
قال صلى الله عليه وسلم من دعي الى غير ابيه وهو يعلم فالجنة عليه حرام
اخرجه الشيخان عن سعد بن ابي وقاص ثم علل تعالى ذلك بقوله تعالى **هو** اي
هذا الدعا **اقسط** اي اقرب الى العدل من التبني وان كان انما هو لمزيد الشفقة
على التبني والاحسان اليه **عند الله** اي الجامع لصفات الكمال وعن ابن عمر ان زيد
ابن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا ندعوه الا زيد بن محمد
حتى نزل القران ادعوهم لآبائهم الاية وقيل كان الرجل في الجاهلية اذا اعجبه
جلد الرجل وظن به ضمه الى نفسه وجعل له مثل نصيب الذكر من اولاده
من ميراثه وكان ينسب اليه فيقال فلان بن فلان اما اذا جهلوا فهو ما ذكر
بقوله تعالى **فان لم تعلموا اباءهم** لجهل اصل او طاري **فاخوانكم** اي فهم اخوانكم
في الدين ان كانوا دخلوا في دينكم اي قولوا لهم اخواننا **ومواليكم** ان كانوا
محررين اي قولوا موالي فلان وعن مقاتل ان لم تعلموا لهم ابا فانسبوهم اخوانكم
في الدين اي تقول عبد الله وعبد الرحمن وعبيد الله واشباههم من الاسما
وان يدعى الى اسم مولاه وقيل مواليكم اي اولياؤكم في الدين ولما
كان عادتهم الخوف مما سبق من احوالهم على النهي لشدة ورعهم اخبرهم انه
تعالى اسقط عنهم ذلك لكونه خطاء وسافه على وجه يعم ما بعد النهي
ايضا بقوله تعالى **وليس عليكم جناح** اي اثم وميل واعوجاج وعبر بالظرف
ليفيد ان الخطا لا اثم فيه بوجه ولو عبر بالظن اي فيه اثما ولكن يعفى عنه فقال
تعالى **فيما اخطاتم به** اي من الدعا بالبنوة والمظاهرة او في شي قبل النهي
او بعده ودل قوله تعالى **ولكن ما** اي الاثم فيما **تعمدت قلوبكم** على زوال الحرج
ايضا فيما وقع بعد النهي على سبيل النسيان او سبق اللسان ودل تانيث
الفعل على انه لا يتعمد بعد البيان الشافي الا قلب فيه رخاوة الانوثة
ودل جمع الكثرة على عموم الاثم ان لم يتب منه المتعمد تنبيه يجوز في ما
هذه وجهان احدهما ان تكون مجرورة المحل عطف على ما المجرورة فيما بفي
التقدير ولكن الجناح فيما تعمدت كما مرت الاشارة اليه والثاني انها مرفوعة
المحل بالابتدا والخبر محذوف تقديره تواخذون به او عليكم فيه الجناح
ونحوه ولما كان هذا الكرم خاصا بما تقدم عمم تعالى بقوله **وكان** ازلا وابدا
الله غفورا اي من صفته الستر البليغ على المذنب التائب **رحيما** به ولما
نهى تعالى عن التبني وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد تبنى زيد بن حارثة
مولاه لما اختاره على ابيه وعمه كما مر علل تعالى النهي فيه بالخصوص بقوله
تعالى دالا على ان الامر اعظم من ذلك **النبي** الذي ينبئه الله تعالى
بدقائق الاحوال في بدايع الاقوال ويرفعه دايما في مراقي الكمال ولا يريد
ان يشغله بولد ولا مال **اولى بالمومنين** اي الراسخين في الايمان فغيرهم

اولي

اولى في كل شي من امور الدين والدنيا لما حازه من الحضرة الربانية **من انفسهم**
فضلا عن ابائهم في نفوذ حكمه فيهم ووجوب طاعته عليهم روى ابو هريرة رضي
تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مومن الا وانا اولى الناس به
في الدنيا والاخرة اقرؤا ان شئتم النبي اولى بالمومنين من انفسهم فاي
مومن ترك مالا فليرثه عصبته من كانوا فان ترك دينا او ضياعا فلياتني
فانا مولاه وعن جابر انه صلى الله عليه وسلم كان يقول انا اولى بكل مومن من
نفسه فايما رجل مات وترك دينا فالي ومن ترك مالا فهو لورثته وعن ابي
هريرة كان المومن اذا توفي في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يسال
هل عليه دين فان قالوا نعم قال هل ترك وفا لدينه فان قالوا نعم صلى عليه
وان قالوا لا قال صلوا على صاحبكم وانما لم يصل عليه صلى الله عليه وسلم
اولا فيما اذا لم يترك وفا لانه شفاعته صلى الله عليه وسلم لا ترد وقد
ورد ان نفس المومن محبوسة عن مقامها الكريم ما لم يوف دينه وهو
محمول على من قصر في وفائه في حال حياته اما من لم يقصر لفقره مثلا فلا
كما اوضحت ذلك في شرح المنهاج في باب الرهن وانما كان صلى الله عليه
وسلم اولى بهم من انفسهم لانه لا يدعوهم الا الى العقل والحكمة ولا يامرهم
الا بما ينجيهم وانفسهم تدعوهم الى الهوى والفتنة فتامرهم بما يرديهم فهو
يتصرف فيهم تصرف الاباء بل اعظم بهذا السبب الرباني فاي حاجة الى السبب
الجسماني **وازواجه امهاتهم** اي المومنين اي مثلهن في تحريم نكاحهن ووجوب
احترامهن وطاعتهن اكراما له صلى الله عليه وسلم لا في احكام الخلوة والنظر
والظهار والمسافرة والنفقة والميراث وهو صلى الله عليه وسلم اب للرجال
والنسا واما قوله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولد صلبه وسياتي
ذلك وتحريم سوالهن الا من ورا حجاب وما يتعلق بذلك ان شاء الله تعالى
في محله وروي ان عمر بن الخطاب مر بغلام وهو يقرا في المصحف النبي اولى
بالمومنين من انفسهم وازواجه امهاتهم وهو اب لهم فقال حكها فقال
هذا مصحف ابي فذهب اليه فساله فقال انه كان يلهيني القران ويلهيك
الصفق بالاسواق ومعنى ذلك ان هذا كان يقرا اولا ونسخ لما روي عن
عكرمة انه قال كان في الحرف الاول النبي اولى بالمومنين من انفسهم وهو
ابوهم وعن الحسن قال في القراءة الاولى النبي اولى بالمومنين من انفسهم
وهو اب لهم وقوله تعالى **واولوا الارحام** اي القرابات بانواع النسب من النبوة
وغيرها **بعضهم اولى** بحق القرابة **ببعض** اي في التوارث نسخ لما كان في
صدر الاسلام فانهم كانوا فيه يتوارثون بالحلف والنصرة فيقول ذمتي
ذمتك وترثني وارثك ثم نسخ بالاسلام والهجرة ثم نسخ باية المواريث
وبالاية التي في اخر الانفال واعادها تاكيدا فان اية المواريث متقدمة

ترتيبا ونزولا على آية الانفال وآية الانفال على هذه كذلك وقوله تعالى في
كتاب الله يحتمل ان ذلك في اللوح المحفوظ او فيما انزل وهو هذه الآيات المذكورة
او فيما فرض الله ولما بين انهم اولى بسبب القرابة بين المفضل عليه بقوله تعالى
من اي هم اولى بسبب القرابة من المومنين الانصار من غير قرابة اثر حجة
والمهاجرين اي ومن المهاجرين المومنين من غير قرابة كذلك وقوله تعالى
الا ان تفعلوا استثنا منقطع كما جرى عليه الجلال المحلي اي لكن ان تفعلوا
الى اوليائكم معروفا معروفا بوصية فجائز ويجوز ان يكون استثنا من اعم العام
كما قاله الزمخشري في معنى النفع والاحسان كما تقول القريب اولى من الاجنبي
الا في الوصية تريد انه احق منه في كل نفع من ميراث وهبة وهدية وصدقة
وغير ذلك الا في الوصية والمراد بفعل المعروف التوصية لانه لا وصية لوارث
وعدي تفعلوا بالى في معنى تسدوا والمراد بالاوليا المومنون والمهاجرون
للولاية في الدين كان ذلك اي ما ذكر من آيتي ادعوهم والنبي اولى وقيل اول من
نسخ الارث بالايمان والهجرة ثانيا في الكتاب اي اللوح المحفوظ والقرآن
مسطورا قاله الاصبهاني وقيل في التوراة قال البقاعي لان في
التوراة اذا نزل رجل بقوم من اهل دينه فعليهم ان يكرموه ويواسوه وميراثه
لذوي قرابته فلا بد من الاجتناب اثبت وصف الايمان اولا دليلا على حذفه
ثانيا ووصف الهجرة ثانيا دليلا على حذفه لنصرة اولا واذ اي واذكر حين
اخذنا بعظمتنا من النبيين ميثاقهم اي عهودهم في تبليغ الرسالة والدعا
الى الدين القيم في المنشط والمكره وفي تصديق بعضهم لبعض وفي اتباعك
فيما اخبرنا به في قولنا لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم
لتومنن به ولتنصرنه وقولهم اقررنا ولما ذكر ما اخذ على جميع الانبيا من العهد
في ابلاغ ما يوحى اليهم والعمل بمقتضاه ذكر ما اخذ عليه من العهد في
التبليغ بقوله تعالى ومنك اي في قولنا في هذه السورة اتق الله واتبع
ما يوحى اليك وفي المائدة يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم
تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس فلا تهتم بمراعاة عدو
ولا خليل حقير ولا جليل ولما ان المراد اجماعا وعموما وخصه صلى الله
عليه وسلم من ذلك العموم مبتدا به لقوله صلى الله عليه وسلم كنت اول النبيين
في الخلق وآخرهم في البعث بيانا لتشريفه ولانه المقصود بالذات اتبعه
بقية اولي العزم الذين هم اصحاب الكتب ومشاهير ارباب الشرائع
ورتبهم على ترتيبهم في الزمان لانه لم يقصد المفاضلة بينهم بالنسبة
بالمتقدمين والمتاخرين فقال ومن نوح اول الرسل الى المخالفين وابراهيم
ابي الانبيا وموسى اول اصحاب الكتب من بني اسرائيل وعيسى بن مريم خاتم
انبيا بني اسرائيل ونسبه الى امه مناداة على من ضل فيه بدعوى الالوهية

وبالتوبيخ والتسجيل بالفضيحة تنبيه ذكر هذه الخمسة من عطف الخاص
على العام كما علم مما تقرر وقوله تعالى واخذنا اي بعظمتنا في ذلك منهم ميثاقا
غليظا اي شديدا بالوفا بما حملوه وهو الميثاق الاول وانما كرر لزيادة
وصفه بالغلظ وهو استعارة من وصف الاجرام والمراد عظم الميثاق
وجلالة شانه في بابه وقيل الميثاق الغليظ اليمين بالله على الوفا بما حملوه
ثم اخذ الميثاق ليسال اي الله تعالى يوم القيامة الصادقين اي الانبيا الذين
صدقوا عهدهم عن صدقهم اي عما قالوه لقومهم تبكيتا للكافرين بهم وقيل
ليسال المصدقين للانبيا عن تصديقهم لان من قال للصادق صدقت
كان صادقا في قوله وقيل ليسال الصادقين بافواههم عن صدقهم في قلوبهم
وقوله تعالى واعد للكافرين عذابا اليما اي مولما معطوف على اخذنا من النبيين
لان المعنى ان الله تعالى اكد على الانبيا الدعوة الى دينه لاجل اثابة المومنين
واعد للكافرين عذابا اليما ويجوز ان يعطف على ما دل عليه [لاجل اثابة المومنين]
ليسال الصادقين كانه قال فاثاب المومنين واعد للكافرين وقيل انه
قد حذف من الثاني ما اثبت مقابله في الاول ومن الاول ما اثبت مقابله في الثاني
والتقدير ليسال الصادقين فاثابهم وليسال الكافرين عما كذبوا به رسلهم
واعد لهم عذابا اليما ثم حقق الله تعالى ما سبق لهم من الامر بتقوى الله تعالى
بحيث لا يبقى معه الخوف من احد بقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذكروا ورغبهم
في الشكر بذكر الاحسان والتصريح بالاسم الاعظم بقوله تعالى نعمة الله اي
الملك الاعلى الذي لا كفو له عليكم اي لتشكروه عليها بالعود لامره
وعبر بالنعمة لانها المقصودة بالذات والمراد انعامه يوم الاحزاب وهو
يوم الخندق ثم ذكرها وقت تلك النعمة زيادة في تصورها ليذكر لهم ما كان فيه
منها بقوله تعالى اذ اي حين جاءتكم جنود اي الاحزاب وهم قريش وغطفان
ويهود قريظة والنضير وقرا نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم بالاظهار
والباقون بالادغام فارسلنا اي تسبب عن ذلك انا لما راينا عجزكم عن
مقابلتهم وضعفا ومقتهم ارسلنا عليهم ريحا وهو ريح الصبا قال عكرمة قالت
الجنوب للشمال ليلة الاحزاب انطلقي لنصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت الشمال ان الحرة لا تسري بالليل فكانت الريح التي ارسلت لهم
الصبا لما روى ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالصبا
واهلكت عاد بالدبور لان الصبا ريح فيها روح ما هبت على محزون
الا زال حزنه وجنودا اي وارسلنا جنودا من الملائكة لم تروها وكانوا
الفا ولم تقاتل يومئذ فبعث الله عليهم تلك الليلة ريحا باردة فقلعت
الاوتاد وقطعت اطناب الفساطيط واطفات النيران واكفات
القدور وجالت الخيل بعضها على بعض وكثر تكبير الملائكة في جوانب

عسكوهم حتى كان سيد كل حي يقول يا بني فلان هلم الي واذا اجتمعوا اليه
قالوا النجا النجا فانهزموا من غير قتال لما بعث الله تعالى عليهم من الرعب
وكان الله اي الذي جميع صفات الجلال والجمال بما تعملون اي الاحزاب
من التحزب والتجمع والمكر وغير ذلك بصيرا اي بالغ الابصار والعلم تنبيه
قال البخاري قال موسى بن عقبة كانت غزوة الخندق وهي الاحزاب
في شوال سنة اربع روى محمد بن اسحق عن مشايخه قال دخل حديث
بعضهم في بعض ان نفرا من اليهود منهم سلام ابن ابي الحقيق وحيي
ابن اخطب وكنانة بن الربيع بن ابي الحقيق وهوذة بن قيس وابو عمار الوايلي
في نفر من بني النضير ونفر من بني وايل وهم الذين حزبوا الاحزاب على
رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم
الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انا سنكون معكم عليه
حتى نستاصله فقالت لهم قريش يا معشر يهود انكم اهل الكتاب
الاول والعلم بما اصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد قد بيننا خيرا ام دينه
فقالوا دينكم خير من دينه وانتم بالحق منه فهم الذين قال الله تعالى فيهم
الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يومنون بالجبت والطاغوت
الى قوله تعالى وكفى بجهنم سعيرا فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ما قالوا
ونشطوا لما دعوهم اليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
واجمعوا على ذلك ثم خرج اولئك النفر من اليهود حتى جاؤا غطفان
فدعوهم الى ذلك واخبروهم انهم سيكونون معهم عليه وان قريشا قد
تابعوهم على ذلك فاجابوهم فخرجت قريش وقايدهم ابو سفيان بن
حرب وخرجت غطفان وقايدهم عيينة بن حصن فلما سمع بهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جمعوا له من الامر ضرب الخندق
على المدينة وكان الذي اشار به على النبي صلى الله عليه وسلم سلمان الفارسي
وكان اول مشهد شهده سلمان مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ حر
فقال يا رسول الله انا كنا بفارس اذا حوصرنا خندقنا علينا فعمل فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى احكموه قال انس خرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى الخندق فاذا المسلمون في غداة باردة ولم يكن
لهم عبيد يعملون ذلك لهم فلما راى ما بهم من النصب والجوع قال اللهم ان
العيش عيش الاخرة فاغفر للانصار والمهاجرة فقالوا مجيبين له نحن
الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما بقينا ابدا ، قال البرا كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ينقل التراب يوم الخندق حتى اغبر بطنه وهو يقول
، والله لولا الله ما اهتدينا ، ولا تصدقنا ولا صلينا ،
، فانزل سكينة علينا ، وثبت الاقدام ان لاقينا ،

ان الاولى

، ان الاولى قد بغوا علينا ، اذا ارادوا فتنة ابينا ، ،
ورفع بها صوته ابينا ابينا فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق
اقبلت قريش في عشرة الاف من الاحابيش وبني كنانة واهل تهامة وقايدهم
ابو سفيان حتى نزلت بمجمع الاسيال من دومة من الجرف والغابة واقبلت
غطفان في الف ومن تابعهم من اهل نجد وقايدهم عيينة بن حصن وعامر
ابن طفيل في هوازن وضامنهم اليهود من قريظة والنضير حتى نزلوا الى
جانب احد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا
ظهورهم الى سلع في ثلاثة الاف من المسلمين فضرب هناك عسكره
والخندق بينه وبين القوم وامر بالذراري والنسا فرفعوا في الاطام
ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا الترامي بالنبل
والحجارة وكانوا بني غطفان من اعلى الوادي من قبل المشرق وقريش من
اسفل الوادي من قبل المشرق كما قال تعالى اذ جاوكم وهو بدل من
اذ جاتكم من فوقكم اي من اعلى الوادي ومن اسفل منكم اي من اسفل
الوادي واذ اي واذكر حين زاغت الابصار اي مالت عن سداد القصد
فعل الواله الجزع بما حصل من الغفلة الحاصلة من الرعب وقوله تعالى
وبلغت القلوب الحناجر جمع حنجرة وهي منتهى الحلقوم كناية عن شدة
الرعب والخفقان قال البقاعي ويجوز وهو الاقرب ان يكون ذلك
حقيقة بجذب الطحال والرية لها عند ذلك بانتفاخهما الى اعلى
الصدر ولهذا يقال للجبان انتفخ سحره اي رئته فلما اشتد البلا على
الناس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عيينة بن حصن والى
الحارث ابن عمرو وهما قايدا غطفان فاعطاهما ثلث ثمار المدينة على
ان يرجعا بمن معهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فجرى
بينه وبينهما الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة فذكر ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن معاذ وسعد بن عبادة ه
واستشارهما فيه فقالا يا رسول الله اشي انزل الله به لا بد لنا من
عمل ام امر تحبه فتصنعه ام شي تصنعه لنا قال لا والله ما اصنع
ذلك الا لاني رايت العرب قد رمتكم عن قوس واحد وكالبوكم من كل
جانب فاردت ان اكسر عنكم شوكتهم فقال له سعد بن معاذ ه
يا رسول الله قد كنا نحن وهولا القوم على شرك بالله وعبادة الاوثان
لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطعمون منا ثمرة الا قرى او بيعا فحين اكرمنا
الله بالاسلام واعزنا الله تعالى بك نعطيهم اموالنا ما لنا بهذا من حاجة
والله لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فقال صلى الله
عليه وسلم انت وذلك فتناول سعد رضي الله عنه الصحيفة فمحى

ما فيها من الكتابة ثم قال المجاهد واعلبنا فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعدوهم يحاصروهم ولم يكن بينهم قتال الا فوارس من قريش عمرو بن عبد
ود اخو بني عامر بن لوي وعكرمة بن ابي جهل وهبيرة بن ابي وهب المخزوميان
ونوفل بن عبد الله وضرار بن الخطاب ومرداس اخو محارب بن فهر فقد
تلبسوا للقتال وخرجوا على خيلهم ومروا على بني كنانة فقال تهيؤا للحرب
يا بني كنانة فستعلمون اليوم من الفرسان ثم اقبلوا نحو الخندق حتى
وقفوا عليه فلما راوه قالوا والله ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها
ثم تيمموا مكانا من الخندق ضيقا فضربوا خيولهم فاقتحمت فيه فجالت بهم
في السبخة بين الخندق وسلع وخرج علي رضي الله عنه في نفر من المسلمين
حتى اخذوا عليهم الثغرة التي اقتحموا منها خيلهم واقبلت الفرسان
تعنق نحوهم وكان عمرو بن ود قاتل يوم بدر حتى اثبتته الجراحة فلم يشهد
احدا فلما كان يوم الخندق خرج معلما ليري مكانه فلما وقف هو وخيله
قال له علي يا عمرو انك كنت تعاهد الله تعالى لا يدعوك رجل من قريش الى
خلتين الا اخذت منه احداهما قال له اجل قال له علي اني ادعوك الى
الله تعالى والى رسوله صلى الله عليه وسلم والى الاسلام قال لا حاجة لي
بذلك قال فاني ادعوك الى البراز قال ولم يا ابن اخي فوالله ما احب
ان اقتلك قال علي ولكني والله احب ان اقتلك فحمي عمرو عند ذلك
فاقتحم عن فرسه فعقره او ضرب وجهه ثم اقبل على علي فتنازلا وتجاولا
فقتله علي وخرجت خيله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربا
وقتل مع عمرو رجلان منبه بن عثمان اصابه سهم فمات بمكة ونوفل بن
عبد الله المخزومي وكان اقتحم الخندق فتورط فيه فرموه بالحجارة فقال
يا معشر العرب قتلة احسن من هذه فنزل اليه علي فقتله فغلب
المسلمون على جسده فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيعهم
جسده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حاجة لنا في جسده
وثمنه فشانكم به فخلى بينهم وبينه ولما نشا عن هذا تقلب
القلوب وذهاب الافكار وتجدد كل مذهب عبر بالمضارع الدال
على دوام التجدد بقوله تعالى **وتظنون بالله** الذي له صفات الكمال
الظنونا اي انواع الظن فظن المخلصون الثبت للقلوب ان الله تعالى
منجز وعده في اعلاء دينه او ممتحنهم فخافوا الزلل وروي ان المسلمين
قالوا بلغت القلوب الحناجر فهل من شيء نقول فقال صلى الله عليه وسلم
قولوا اللهم استر عوراتنا وامن روعاتنا واما الضعاف القلوب والمنافقون
فما حكى الله عنهم كما سياتي وقرا نافع وابن عامر الظنونا هنا والرسولا
والسبيلا في اخر السورة باثبات الالف في الثلاثة وقفا ووصلا

وابو عمرو

وابو عمرو وحمزة بحذف الالف وقفا ووصلا قال الزمخشري وهو
القياس والباقون بالالف في الوقف دون الوصل زادوها في الفاصلة
كما زادوها في القافية ❊ اقلي اللوم عاذل والعتابا ❊ ورسم الثلاثة بالالف
ولما كانت الشدة في الحقيقة انما هي للثابت لانه ما عنده الا الهلاك
او النصرة قال تعالى **هنالك** اي في ذلك الوقت العظيم البعيد الرتبة
ابتلي المؤمنون اختبروا فظهر المخلص من المنافق والثابت من المتزلزل
وزلزلوا اي حركوا وازعجوا بما يرون من الاهوال بتظافر الاعداء الكثيرة
وتطاير الاراجيف **زلزالا شديدا** فثبتوا بتثبيت الله تعالى لهم على عدوهم
وعن صفية قالت مر بنا رجل من يهود فجعل يطوف بالحصن وقد حاربت
بني قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس
بيننا وبينهم احد يدفع عنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
في نحو عدوهم لا يستطيعون ان ينصرفوا الينا عنهم اذ اتانا آت
قالت فقلت يا حسان ان هذا اليهودي يطوف بنا كما ترى بالحصن واني
والله ما امنه ان يدل على عوراتنا من وراءنا من يهود وقد شغل عنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فانزل اليه فاقتله فقال يغفر الله لك
يا ابنة عبد المطلب والله لقد عرفت ما انا بصاحب هذا قالت فلما قال
ذلك ولم ار عنده شيئا احتجزت ثم اخذت عمودا ثم نزلت من الحصن
اليه فضربته بالعمود حتى قتلته فلما فرغت منه رجعت الى الحصن فقلت
يا حسان انزل اليه فاسلبه فانه لم يمنعني من سلبه الا انه رجل قال
ما لي بسلبه من حاجة يا ابنة عبد المطلب واقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم واصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة لتظاهر عدوهم
واتيانهم من فوقهم ومن اسفل منهم ثم ان نعيم بن مسعود بن عامر بن
غطفان اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني قد اسلمت
وان قومي لم يعلموا باسلامي فمرني بما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انما انت فينا رجل واحد فخذل عنا ان استطعت فانما الحرب خدعة
فخرج نعيم بن مسعود حتى اتى قريظة وكان لهم نديما في الجاهلية فقال
لهم يا بني قريظة قد عرفتم ودي اياكم وخاصة ما بيني وبينكم قالوا
صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم ان قريشا وغطفان جاؤوا لحرب
محمد وقد ظاهرتموهم عليه وان قريشا وغطفان ليسوا كهيئتكم البلد
بلدكم به اولادكم واموالكم ونساؤكم لا تقدرون ان تحولوا منه الى
غيره وان قريشا وغطفان اموالهم وابناؤهم ونساؤهم بغيره ان راوا
نهزة وغنيمة اصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم
وبين الرجل والرجل ببلدكم لا طاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوهم

القوم حتى تاخذوا منهم رهنا من اشرافهم يكونون بايديكم ثقة لكم على ان
يقاتلوا معكم محمدا حتى تناجزوه قالوا لقد اشرت براى وانصح ثم خرج حتى اتى
قريشا فقال لابي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش فقال قد عرفتم
ودي اياكم وفراقي محمدا وقد بلغني امر رايت ان حقا علي ان ابلغكم نصحا لكم
فاكتموا علي قالوا نفعل قال تعلموا ان معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا
بينهم وبين محمد وقد ارسلوا اليه انا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك عنا ان
ناخذ من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من اشرافهم فنعطيكهم
فتضرب اعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم فارسل اليهم ان نعم فان بعثت
اليكم يهود يلتمسون رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم رجلا واحدا ثم خرج
حتى اتى غطفان فقال يا غطفان انتم اصلي وعشيرتي واحب الناس
الي ولا اراكم تتهموني قالوا صدقت قال فاكتموا علي قالوا نفعل ثم قال لهم
مثل ما قال لقريش وحذرهم مثل ما حذرهم فلما كانت ليلة السبت في
شوال سنة خمس وكان مما صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم ارسل
ابو سفيان ورؤس غطفان الى بني قريظة عكرمة بن ابي جهل في نفر من قريش
وغطفان فقالوا انا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاعدوا للقتال
حتى نناجز محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه فارسلوا اليهم ان اليوم السبت
وهو يوم لا نعمل فيه شيئا وقد كان احدث فيه بعضنا حدثا فاصابه
ما لم يخف عليكم ولسنا مع ذلك بالذي نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من
رجالكم يكونون بايدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا فانا نخشى ان ضرستكم
الحرب واشتدت ان تشمروا الى بلادكم وتتركونا والرجل في بلادنا
ولا طاقة لنا بذلك من محمد فلما رجعت اليهم الرسل بالذي قالت بنو قريظة
قالت قريش وغطفان تعلمن والله ان الذي حدثكم به نعيم بن مسعود لحق
فارسلوا الى بني قريظة انا والله لا ندفع اليكم رجلا واحدا من رجالنا فان
كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت
الرسل اليهم بهذا ان الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ما يريد القوم
الا ان يقاتلوا فان وجدوا فرصة انتهزوها وان يكن غير ذلك انشمروا
الى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل في بلادكم فارسلوا الى قريش وغطفان
انا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فابوا عليهم وخذل الله بينهم
وبعث الله تعالى عليهم الريح في ليال شاتية شديدة البرد فجعلت تكفاء
قدورهم وتطرح ابنيتهم فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما اختلف من امرهم قال من يقوم فيذهب الى هؤلاء القوم فياتينا بخبرهم
ادخله الله تعالى الجنة قال حذيفة فما قام منا رجل ثم صلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم هويا من الليل ثم التفت الينا فقال مثله فسكت القوم

ثم صلى

ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويا من الليل ثم التفت الينا وقال من رجل
يقوم فينظر لنا ما فعل القوم على ان يكون رفيقي في الجنة فما قام رجل من شدة
الخوف وشدة البرد فلما لم يقم احد دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا حذيفة فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني فقلت لبيك يا رسول الله
فقمت حتى اتيته وان جنبي ليضطربان فمسح راسي ووجهي ثم قال ائت
هؤلاء القوم حتى تاتيني بخبرهم ولا تحدثن شيئا حتى ترجع الي ثم قال
اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه
ومن تحته فاخذت سهمي وشددت على اسلابي ثم انطلقت امشي نحوهم
كاني امشي في حمام فذهبت فدخلت في القوم وقد ارسل عليهم ريحا
وجنود الله تفعل فيهم ما تفعل وابو سفيان قاعد يصطلي فاخذت
سهما فوضعته في كبد قوسي فاردت ان ارميه ولو رميته لاصبته
فذكرت قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تحدثن شيئا حتى ترجع فرددت
سهمي في كنانتي فلما راى ابو سفيان ما تفعل الريح وجنود الله تعالى
لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء قام فقال يا معشر قريش لياخذ كل منكم
بيد جليسه فلينظر من هو فاخذت بيد جليسي فقال من انت فقلت
فقال سبحان الله اما تعرفني انا فلان فاذا رجل من هوازن فقال
ابو سفيان يا معشر قريش انكم والله ما اصبحتم بدار مقام لقد هلك
الكراع والخف واخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من
هذه الريح ما ترون فارتحلوا فاني مرتحل ثم قام الى جمله وهو معقول
فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث فما اطلق عقاله الا وهو قائم
وسمعت غطفان بما فعلت قريش فاستمروا راجعين الى بلادهم فرجعت
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كاني امشي في حمام فاتيته وهو يصلي
فلما اخبرته الخبر ضحك حتى بدت انيابه في سواد الليل قال فلما اخبرته
الخبر وفرغت قررت وذهب عني الدفاء فادناني رسول الله صلى الله
عليه وسلم فانامني عند رجليه والقى علي طرف ثوبه والصق صدري
ببطن قدميه فلم ازل نائما حتى اصبحت قال قم يا نومان ثم انه تعالى
بين حال غير الثابتين بقوله تعالى واذ يقول المنافقون معتب بن قشير
وقيل عبد الله بن ابي واصحابه والذين في قلوبهم مرض اي ضعف اعتقاد
ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا اي باطلا اسند رجاءهم في الانسلاخ خ
عما كنا عليه من دين ابائنا والى الثبات على ما صرنا اليه بعد ذلك
الانسلاخ بما وعدنا به من ظهور هذا الدين كله والتمكين في
البلاد حتى في حفر الخندق فقال انه ابصر فيما برق له في ضوئه من صخرة سلمان
مدينة صنعاء من اليمن وقصور كسرى من الحيرة من ارض فارس

وقصور الشام من ارض الروم وان تابعيه ليظهرون على ذلك كله وقد صدق
الله وعده في جميع ذلك حتى في لبس سراقة بن مالك بن جعشم سواري كسرى
ابن هرمز كما هو مذكور في دلائل النبوة للبيهقي وكذبوا في شكهم فقال المصدقون
وخاب الذين هم في ريبهم يترددون واذ قالت طائفة منهم اي وكهم من المنافقين
وهم اوس بن قيظي واصحابه يا اهل يثرب اي المدينة وقال ابو عبيدة يثرب
اسم ومدينة الرسول في ناحية منها وفي بعض الاخبار نهى النبي صلى الله
عليه وسلم ان تسمى المدينة يثرب وقال هي طابة كانه كره تلك اللفظة
فعدلوا عن هذا الاسم الذي وسمها به النبي صلى الله عليه وسلم الى الاسم
الذي كانت تدعى به قديما مع نهيه عنه واحتمال قبحه باشتقاقه من التثريب
الذي هو اللوم والتعنيف وقال اهل اللغة يثرب اسم المدينة
وقيل اسم البقعة التي فيها المدينة وامتنع صرفها اما للعلمية والوزن
او العلمية والتانيث واما يترب بالمثناة وفتح الرا فموضع آخر باليمن
قال الشاعر
وعدت وكان الخلف منك سجية * مواعيد عرقوب اخاه بيثرب
وقال آخر
وقد وعدتك موعدا لوقت * مواعيد عرقوب اخاه بيترب
وقرا لا مقام حفص بضم الميم اي لا اقامة لكم في مكان القتال ومصارعة
الابطال والباقون بفتحها اي لا مكان لكم تنزلون وتقيمون فيه فارجعوا
الى منازلكم عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وقيل عن القتال
الى منازلكم ولما بين تعالى هؤلاء الذين هتكوا الستر وبينوا ما فيه من
سفول الامر اتبعهم آخرين تستروا ببعض الستر تمسكا باذيال النفاق
خوفا من اهوال الشقاق بقوله تعالى ويستاذن اي يجدد كل وقت
طلب الاذن لاجل الرجوع الى البيوت والكون مع النسا فريق منهم اي
طائفة شانها الفرقة النبي في الرجوع وقدر وامن علو المقدار بما له من
حسن الخلق والخلق وما له من جلالة الشمائل وكرم الخصائل وهم بنو
حارثة وبنو سلمة يقولون اي في كل قليل موكدين لعلمهم بكذبهم وتكذيب
المومنين قولهم ان بيوتنا اي جمع الكثرة اشارة الى كثرة اصحابهم من
المنافقين عورة اي حصينة بها خلل كبير يمكن كل من اراد من
الاحزاب ان يدخلها بدخلها منه وقيل قصيرة الجدران فاذا ذهبنا
اليها حفظناها منهم دكنا من ياتي الينا مفسد بهم حماية للدين
وذبا عن الاهلين وقرا ورش وابو عمرو وحفص بضم البا والباقون بكسرها
ثم اكذبهم الله تعالى بقوله تعالى وما اي والحال انها ما هي بعورة في ذلك
الوقت الذي قالوا هذا فيه ولا يريدون بذهابهم حمايتها ان اي ما

يريدون باستئذانهم الا فرارا من القتال ولما كانت عنايتهم مشتدة
بملازمة دورهم فاظهروا اشتداد العناية بحمايتها زورا بين ذلك
بقوله تعالى ولو دخلت اي بيوتهم او المدينة وانث الفعل نصا على المراد واشارة
الى ما ينسب اليهم جدير بالضعف واتى باداة الاستعلا بقوله تعالى عليهم
اشارة الى انه دخول غلبة من اقطارها اي جوانبها كلها بحيث لا يكون لهم
مكان للهرب وحذف الفاعل للايما بان دخول هولاء الاحزاب ودخول غيرهم
من العساكر سيان في اقتضا الحكم المرتب عليه ثم سئلوا اي من اي سائل
كان الفتنة اي الشرك ومقاتلة المسلمين وقرا لاتوها نافع وابن كثير
بقصر الهمزة لجاوها وفعلوها والباقون بالمد اي لاعطوها اجابة لسوال
من سالهم وما تلبثوا اي وما لبثوا اي ما احتبسوا من الفتنة بها
الا يسيرا اي لاسرعوا الى الاجابة للشرك طيبة بها نفوسهم نعلم بها
بذلك انهم لا يقصدون الا الفرار لا حفظ البيوت من المضار وهذا قول
اكثر المفسرين وقال الحسن المراد بالفتنة الخروج من البيوت سمي
بذلك لان الانسان لا يخرج من بيته الا الموت او ما هو يقاربه فكانت
فتنة وعلى هذا يكون الضمير في بها راجع الى البيوت او المدينة اي ما لبثوا
بالبيوت او بالمدينة بعد اعطا الكفر الا يسيرا حتى هلكوا ولقد كانوا
اي هولاء الذين اسرعوا الاجابة الى الفرار عاهدوا الله الذي لا اجل منه
من قبل اي من قبل غزوة الخندق لا يولون الادبار اي لا ينهزمون وقال
يزيد بن رومان هم بنو حارثة هموا يوم احد ان يفشلوا مع بني سلمة فلما
نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله تعالى ان لا يعودوا لمثلها وقال قتادة هم
اناس كانوا قد غابوا عن وقعة بدر فروا ما اعطى الله اهل بدر من
الكرامة والفضيلة قالوا لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن فساق
الله تعالى اليهم ذلك وقال مقاتل والكلبي هم سبعون رجلا بايعوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وقالوا اشترط لربك
ولنفسك ما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترط لربي
ان تعبدوه ولا تشركوا به شيا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون
منه انفسكم وازواجكم واولادكم قالوا فاذا فعلنا ذلك فما لنا يا رسول الله
قال لكم النصر في الدنيا والجنة في الاخرة قالوا قد فعلنا فذلك عهدهم قال
البغوي وهذا القول ليس بمرضي لان الذين بايعوا ليلة العقبة كانوا
سبعين نفرا ليس فيهم شاك ولا من يقول مثل هذا القول وانما الاية في
قوم عاهدوا الله تعالى ان يقاتلوا ولا يفروا فنقضوا العهد انتهى ولما كان
الانسان قد يتهاون بالعهد لا عراض المعاهد عنه قال تعالى وكان عهد الله
المحيط بصفات الكمال مسئولا اي عن الوفاء به ثم امر الله تعالى نبيه صلى الله

عليه وسلم بقوله تعالى **قل** اي لهم واكد لظنهم نفع الفرار **لن ينفعكم الفرار** في تاخير
اجالكم في وقت من الاوقات الذي ماكان انكم الابسببه **ان فررتم**
من الموت او القتل الذي كتب لكم لان الاجل ان كان قد حضر لم يتاخر بالفرار
والا لم يقصره الثبات كما كان علي رضي الله تعالى عنه يقول •
دهم الامر وتوقد الجمر • واشتد من الحرب الحر • اي يومي من الموت افر •
يوم لا يقدر او يوم قدر • وذلك اجل الله الذي جعله محيطا بالانسان
لا يقدر ان يتعداه اصلا **واذا** اي ان فررتم **لا تمتعون** في الدنيا بعد
فراركم **الا قليلا** اي مدة اجالكم وهي قليل فالعاقل لا يرغب في شي قليل
يفوت عليه شيا كثيرا ولما كان ربما يقولون بل ينفعنا طالما من هرب
فسلم ومن سلم فاصطلم امره الله تعالى بالجواب عن هذا بقوله تعالى **قل** اي
لهم منكرا عليهم **من ذا الذي يعصمكم** اي يجيركم ويمنعكم **من الله** المحيط بكل شي
قدرة وعلما في حال الفرار وقبله وبعده **ان اراد بكم سوءا** اي هلاكا او
هزيمة فيرد ذلك عنكم **او** يصيبكم بسوء ان **اراد** اي الله **بكم**
رحمة اي خيرا سماه بها لانه اثرها والمعنى هل احد يرد عنكم في جميع اعماركم
عن سوء اراده فنفعكم الاحتراز او اجتهد غيره في منعكم رحمة منه فتم له
امره او اوقع الله بكم شيا من ذلك فقدر احد مع بذل الجهد على كشفه
بدون اذنه ويمكن ان تكون الاية من الاحتباك ذكر السوء اولا دليلا على
حذف ضده ثانيا وذكر الرحمة ثانيا دليلا على حذف ضدها اولا وهذا
بيان لقوله تعالى لن ينفعكم الفرار وقوله تعالى **ولا يجدون لهم** اي في وقت من
الاوقات **من دون الله** اي غيره **وليا** اي يواليهم فينفعهم بنوع نفع **ولا نصيرا**
اي ينصرهم من امره فيرد ما اراد بهم من السوء عنهم تقرير لقوله تعالى
من ذا الذي يعصمكم من الله الاية ولما اخبرهم تعالى بما علم مما اوقعوه من
اسرارهم وامره صلى الله عليه وسلم بوعظهم حذرهم بدوام علمه من يخونه منهم
بقوله تعالى **قد يعلم الله** اي الذي له الاحاطة بالجلال والجمال **المعوقين منكم**
اي المثبطين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون **والقائلين**
لاخوانهم اي ساكني المدينة **هلم** اي ائتوا واقبلوا **الينا** موهمين
انه ناحيتهم مما يقام فيه القتال ويواظب عليه فيه على صالح الاعمال قال
قتادة هؤلاء اناس من المنافقين كانوا يثبطون انصار رسول الله صلى الله
عليه وسلم ويقولون لاخوانهم ما محمد واصحابه الا اكلة راس
ولو كانوا لحما لالتقمهم ابو سفيان واصحابه دعوا الرجل فانه هالك
وقال مقاتل نزلت في المنافقين وذلك ان اليهود ارسلت الى المنافقين
وقالوا ما الذي يحملكم على قتل انفسكم بيد ابي سفيان ومن معه
فانهم ان قدروا عليكم في هذه لم يستبقوا منكم احدا فانا اشفق عليكم

انتم

انتم اخواننا وجيراننا فهلم الينا فاقبل عبد الله بن ابي واصحابه على المؤمنين
يعوقونهم ويخوفونهم بابي سفيان ومن معه وقالوا ما ترجون من محمد فما عنده
خير ما هو الا ان يقتلنا هنا انطلقوا بنا الى اخواننا يعني اليهود فلم يزدد المؤمنون
بقول المنافقين الا ايمانا واحتسابا تنبيه هلم اسم صوت سمي به
فعل متعدي مثل احضر وقرب واهل الحجاز تسوي فيه بين الواحد والجماعة
وبلغتهم جاء القران العزيز واما بنو تميم فتقول هلم يا رجل هلما يا رجلان
هلموا يا رجال **ولا** اي والحال انهم لا **ياتون البأس** اي الحرب او مكانها **الا**
قليلا اي للرياء والسمعة بقدر ما يراهم المخلصون فاذا اشتغلوا
بالمعاركة وكفى كل منهم ما اليه تسللوا عنه لواذا او عاذوا بمن لا ينفعهم
من الخلق حياذا **اشحة** اي يفعلون ما تقدم والحال ان كلا منهم شحيح
عليكم اي بحصول نفع منهم او من غيرهم بنفس ومال تنبيه اشحة
جمع شحيح وهو جمع لا ينقاس اذ قياس فعيل الوصف الذي عينه ولامه من
واد واحد ان يجمع على افعلاء نحو خليل واخلاء وضنين واضناء وقد سمع
اشحاء وهو القياس والشح البخل وصفهم الله تعالى بالبخل ثم بالجبن بقوله
تعالى **فاذا جاء الخوف** اي لمجيء اسبابه من الحرب ومقدماتها **رايتهم** اي
ايها المخاطب وقوله تعالى **ينظرون** في محل نصب حال من مفعول رايتهم
لان الرؤية بصرية وبين تعديهم حسا ومعنى بحرف الغاية بقوله تعالى
اليك اي حال كونهم **تدور** فهي اما حال ثانية واما حال من ينظرون
يمينا وشمالا بادارة الطرف **اعينهم** اي زائغا رعبا ثم شبهها في سرعة
تقلبها لغير قصد صحيح بقوله تعالى **كالذي** اي كدوران عين الذي
يغشى عليه مبتدا غشيانه **من الموت** اي من معالجة سكراته خوفا
ولوذا بك وذلك لان قرب الموت وغشية اسبابه يذهب عقله
ويشخص بصره فلا يطرف **فاذا ذهب الخوف** وحيزت الغنائم **سلقوكم**
اي تناولوكم تناولا صعبا بانواع الاذى ناسين ما وقع منهم عن قرب
من الجبن والخوف واصل السلق البسط بقهر اليد او اللسان ومنه
سلق امراته اي بسطها وجامعها قال القائل •
ولاهي لنا المنجم فان شئت سلقنا له • وان شئت على اربع •
والسليقة الطبيعة المباينة والسليق المطمئن في الارض **بالسنة**
حداد ذربة قاطعة فصيحة بعد ان كانت عند الخوف في غاية اللجلجة
لا تقدر على الحركة من قلة الريق ويبس الشفاه وهذا لطلب العرض
الفاني من الغنيمة وغيرها يقال للخطيب الذرب اللسان الفصيح مسلق
وقال ابن عباس سلقوكم اي عضهوكم وتناولوكم بالنقص والغيبة
وقال قتادة بسطوا السنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة

الغنيمة

ويقولون اعطونا فانا شهدنا معكم القتال ولستم باحق بالغنيمة منا ثم بين
المراد بقوله تعالى اشحة اي شحاحا مستعليا على الخير اي المال الذي عندهم
ذا اعتقادهم انه لا خير غيره لا يريدون ان يصل شي منكم منه اليكم ولا يفوتهم
شي منه فهم عند الغنيمة اشح قوم وعند الباس اجبن قوم ولما وصفهم
تعالى بهذه الصفات الدنية اخبر تعالى ان اساسها الذي نشات عليه
عدم الوثوق بالله تعالى لعدم الايمان فقال اولئك اي البعدا البغضا
لم يومنوا اي لم يوجد منهم ايمان بقلوبهم وان اقرت به السنتهم فاحبط
الله اي بجلاله وتفرده في كبريائه وكمال كماله اعمالهم التي كانوا يأتونها
مع المسلمين اي فاظهر بطلانها اذ لم تثبت لهم الاعمال فبطل وقال قتادة
ابطل الله تعالى جهادهم وكان ذلك اي الاحباط على الله بما له من صفات
العظمة يسيرا اي هينا لتعلق الارادة به وعدم ما يمنعه عنه وقوله
تعالى يحسبون الاحزاب لم يذهبوا يجوز ان يكون مستانفا اي هم من
الخوف بحيث انهم لا يصدقون ان الاحزاب قد ذهبوا عنهم ويجوز ان
يكون حالا اه من احد الضماير المتقدمة اذ اصح المعنى بذلك ولو بعد
العامل قاله ابو البقا والمعنى ان هولا المنافقين يحسبون الاحزاب
يعني قريشا وغطفان واليهود لم ينفروا عن قتالهم من غاية الجبن
عند ذهابهم كانهم غايبون حيث لا يقاتلون كقوله تعالى ولو كانوا فيكم
ما قاتلوا الا قليلا وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين والباقون
بالكسر وان يات الاحزاب بعد ما ذهبوا كرة اخرى يودوا اي يتمنوا
لو انهم بادون في الاعراب اي كاينون في البادية بين الاعراب الذين هم
عندهم في محل نقص وممن تكره مخالطته ثم ذكر حال فاعل بادون بقوله
تعالى يسالون كل وقت عن انبايكم اي اخباركم العظيمة مع الكفار
ومال اليه امركم جريا على ما هم عليه من النفاق ليقولوا لم عندكم رجما كانهم
مهتمون بكم يظهرون بذلك تحزنا على غيبتهم من هذه الحرب
ولو اي والحال انهم لو كانوا هولا المنافقون فيكم هذه الكرة ولم يرجعوا
الى المدينة وكان قتال ما قاتلوا معكم الا قليلا نفاقا كما فعلوا قبل
ذهاب الاحزاب من حضوركم معكم تارة واستيذانهم في الرجوع الى منازلهم
اخرى ولما اخبر تعالى عنهم بهذه الاحوال التي هي غاية في الدين اقبل
عليهم اقبالا يدلهم على تناهي الغضب بقوله تعالى موكدا محققا لقد
كان لكم ايها الناس كافة الذين المنافقون في غمارهم في رسول الله الذي
جلاله من جلاله وكماله من كماله اسوة اي قدوة حسنة اي صالحة
وهو المتاسى به اي المقتدى به كما تقول في البيضة عشرون منا حديدا
اي في نفسها لهذا المبلغ من الحديد او ان فيه خصلة حسنة من حقها

ان تؤتسي

ان تؤتسي كالثبات في الحرب ومقاساة الشدايد اذ كسرت رباعيته وجرح وجهه
وقتل عمه واوذي بضروب لاذى فواساكم مع ذلك بنفسه فافعلوا انتم
كذلك واستنوا بسنته تنبيه الاسوة اسم وضع موضع المصدر
وهو الايتسا فالاسوة من الايتسا كالاقتدا من القدوة وايتسا فلان
بفلان اي اقتدا به وقرا عاصم بضم الهمزة والباقون بكسرها وهما لغتان كالعدوة
والعدوة والقدوة والقدوة وقوله تعالى لمن كان اي كونا كانه جبلة
له يرجو الله اي في جبلته اي يجدد الرجا مستمرا للذي لا اعظم في الحقيقة
سواه فيومل اسعاده ويخشى ابعاده تخصيص بعد التعميم للمومنين اي
ان الاسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان يرجو الله قال
ابن عباس يرجو ثواب الله وقال مقاتل يخشى الله واليوم الاخر اي
يخشى يوم البعث الذي فيه جزا الاعمال وذكر الله الذي له صفات الكمال
وقرنه بقوله تعالى وذكر ~~تعقيبا لما ذكر بمعنى الرجا الذي به الفلاح وانه~~
~~المراد به الدايم في حالتي السرا والضرا ولما بين تعالى حال المنافقين~~
~~ذكر حال المومنين عند لقا الاحزاب بقوله تعالى~~ الله كثيرا اي

تعقيبا لما ذكر بمعنى الرجا الذي به الفلاح وانه المراد به الدايم في حال السرا والضرا ولما بين تعالى حال المنافقين ذكر حال المومنين عند لقا الاحزاب بقوله تعالى ولما راى المومنون اي الكاملون

الكاملون في الايمان الاحزاب اي الذين ادهشت رويتهم القلوب
قالوا اي مع ما حصل لهم من الزلزال وتعاظم الاهوال هذا اي الذي
نراه من الهول ما وعدنا الله اي الذي له الامر كله من تصديق دعوانا
الايمان بالبلا والامتحان ورسوله المبلغ بنحو قوله تعالى ام حسبتم
ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم احسب الناس
ان يتركوا وامثال ذلك ثم قالوا في مقابلة قول المنافقين ما وعدنا
الله ورسوله الا غرورا وصدق الله اي الذي له صفات الكمال
ورسوله اي الذي كماله من كماله اي ظهر صدقهما في عالم الشهادة
في كل وعد به من السرا والضرا كما رايناه وهما صادقان فيما غاب عنا مما وعدا
به من نصر وغيره واظهار الاسمين للتعظيم والتنصيص بذكرهما قال بعض المفسرين
ولو اعيدا مضمرين لجمع بين اسم الباري تعالى واسم رسوله صلى الله عليه وسلم
فكان يقال وصدقا وقد رد صلى الله عليه وسلم على من جمعهما بقوله
من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى وانكر عليه بقوله
بيس خطيب القوم انت قل ومن يعص الله ورسوله قصدا الى تعظيم
الله تعالى وقيل انما رد عليه لانه وقف على يعصهما واستشكل بعضهم الاول
بقوله حتى يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما فقد جمع بينهما في ضمير
واحد واجيب بانه صلى الله عليه وسلم اعرف بقدر الله تعالى منا فليس
لنا ان نقول كما يقول وقد يقال اذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ذلك فالله تعالى اولى جل وعلا اولى ولما كان هذا قولا يمكن

ان يكون لسانيا فقط كقول المنافقين اكثر لظن المنافقين ذلك بقوله تعالى
شاهدا لهم وما زادهم اي ما راوه من امرهم والرعب الا ايمانا بالله ورسوله
وتسليما بجميع جوارحهم في جميع القضا والقدر ثم وصف الله تعالى
بعض المومنين بقوله تعالى من المومنين اي المذكورين سابقا وغيرهم رجال
اي في غاية العظمة عند الله وصفهم بقوله تعالى صدقوا ما عاهدوا الله المحيط علما وقدرة
عليه اي اتموا بما عاهدوا الله عليه ووفوا به فمنهم من قضى نحبه اي نذره
بان قاتل حتى استشهد كحمزة ومصعب بن عمير وانس بن النضر والنحب
استعير للموت لانه كنذر لازم في رقبة كل حيوان وقيل النحب الموت
ايضا قال قتادة قضى نحبه اي اجله وقيل قضى نحبه اي بذل جهده في الوفا
بالعهد من قول العرب نحب فلان في سيره يومه وليلته اي اجتهد وقيل قضى
نحبه قتل يوم بدر او يوم احد روي ان انسا قال غاب عمي انس بن النضر
عن قتال بدر فقال يا رسول الله غبت عن اول قتال قاتلت المشركين
لئن اشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما اصنع فلما كان يوم احد
وانكشف المسلمون قال اللهم اني اعتذر اليك مما صنع هولاء يعني
اصحابه وابرا اليك مما صنع هولاء يعني المشركين ثم تقدم فاستقبله
سعد بن معاذ فقال يا ابا عمرو الى اين فقال واها لريح الجنة اجدها دون
احد فقاتل حتى قتل قال انس بن مالك فوجدنا في جسده بضعا وثمانين
ضربة بالسيف او طعنة بالرمح او رمية بسهم فوجدناه قد قتل وقد
مثل به المشركون فما عرفه احد الا اخته ببنانه قال انس كنا نرى او
نظن ان هذه الاية نزلت فيه وفي اشباهه ومنهم اي الصادقين من
ينتظر اي الشهادة كعثمان وطلحة وما بدلوا اي العهد ولا غيروه
تبديلا اي شيئا من التبديل روي ان ممن لم يقتل في عهد النبي صلى الله عليه
وسلم طلحة بن عبيد الله احد العشرة المشهود لهم بالجنة ثبت مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم وفعل ما لم يفعله غيره لزم النبي صلى الله عليه وسلم
فلم يفارقه وذب عنه ووقاه بيده حتى شلت اصبعه قال اسماعيل بن قيس
رايت يد طلحة شلا وقى النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد وعن معاوية
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول طلحة ممن قضى نحبه وعن طلحة لما
رجع النبي صلى الله عليه وسلم من احد صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قرا
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية كلها فقام اليه رجل فقال يا رسول
الله من هولاء فقال ايها السايل هذا منهم وعنه ايضا ان النبي صلى الله
عليه وسلم قالوا الاعرابي جاهل سله عن من قضى نحبه من هو وكانوا لا يجترون
على مسالته يهابونه ويوقرونه فساله الاعرابي فاعرض عنه ثم ساله
فاعرض عنه ثم ساله فاعرض عنه ثم اني اطلعت من باب المسجد فقال اين

السايل

السايل عمن قضى نحبه قال الاعرابي انا فقال هذا ممن قضى نحبه وهذا يقوي
القول بان المراد بالنحب بذل الجهد في الوفا بالعهد وعن خباب بن الارت قال
هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله نبتغي وجه الله
فوجب اجرنا على الله فمنا من مضى لم ياكل من اجره شيئا منهم مصعب بن عمير
قتل يوم احد فلم يوجد له شي يكفن فيه الا نمرة فكنا اذا وضعناها على راسه
خرجت رجلاه منها واذا وضعناها على رجليه خرج راسه منها فقال صلى
الله عليه وسلم مما يلي راسه واجعلوا على رجليه من الاذخر قال ومنا من
اينعت له ثمرته فهو يهدبها اينعت اي انضجت ادركت ونضجت له ثمرتها
ويهدبها اي يجنيها وهذا كناية عما فتح الله تعالى لهم من الدنيا
وعن زيد بن ثابت قال لما نسخنا المصحف من المصاحف فقدت اية من
سورة الاحزاب كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقراها لم اجدها
مع احد الا مع خزيمة بن ثابت الانصاري الذي جعل الله رسول الله صلى
الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه فالحقتها في سورتها في المصحف ليجزي الله اي الذي يريد اظهار
جميع صفاته يوم البعث للخاص والعام ظهورا تاما الصادقين اي في الوفا
بالعهد وادعا انهم امنوا به بصدقهم اي فيعلي درجتهم وينعمهم في الاخرة
فالصدق سبب وان كان فضلا منه لانه الموفق له تنبيه في لام ليجزي
وجهان احدهما انها لام العلة والثاني انها لام الصيرورة وفيما يتعلق
به اوجه اما بصدقوا واما بما زادهم واما بما بدلوا وعلى هذا جعل المنافقين
كانهم قصدوا عاقبة السو وارادوها بتبديلهم كما قصد الصادقون
عاقبة الصدق بوفائهم لان كلا الفريقين مسوق الى عاقبة من الثواب
والعقاب فكانهما استويا في طلبهما والسعي لتحصيلهما ويعذب المنافقين
اي الذين اخفوا الكفر واظهروا الاسلام في الدارين بكذبهم في دعواهم
الايمان المقتضي لبيع النفس والمال ان شا بان يميتهم على نفاقهم او يتوب
عليهم ان شا بان يهديهم الى التقوى فيتوبوا فالكل بارادته تنبيه
جواب ان شا مقدر وكذا مفعول شا اي ان شا تعذيبهم عذبهم
وقرا قالون والبزي وابو عمرو باسقاط الهمزة الاولى مع المد والقصر وسهل
ورش وقنبل الثانية وابدلاها ايضا حرف مد وحققها الباقون وفي الابتدا
بالثانية الجميع بالتحقيق ولما كانت توبة المنافقين مستبعدة لما يرون
من صلابتهم في الخداع وخبث سرائرهم قال مبطلا ذلك كله على وجه
التاكيد ان الله اي بماله من الجلال والجمال كان ازلا وابدا غفورا لمن
تاب رحيما به ثم بين تعالى بعد ما جزاهم تعالى بصدقهم بقوله تعالى
ورد الله اي بماله من صفات الكمال الذين كفروا وهم من تحزب من العرب

وغيرهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بلادهم عن المدينة ومضايقة المومنين
حال كونهم **بغيظهم** اي متغيظين لم يتشف صدورهم بنيل ما ارادوا بل
تفرقوا عن غيظ ابل حال كونهم **لم ينالوا خيرا** لا من الدين ولا من الدنيا بل ذلا وندامة
فهو حال ثانية او حال من الحال الاولى فهي متداخلة **وكفى الله** اي الذي له
العزة والكبريا **المومنين القتال** بما ايقع في قلوبهم من الداعية للانصراف
بالريح والجنود من الملايكة وغيرهم منهم نعيم بن مسعود لما تقدم من الحيلة
التي فعلها قال سعيد بن المسيب لما كان يوم الاحزاب حصر النبي صلى
الله عليه وسلم بضع عشرة ليلة حتى خلص الي كل منهم الكرب وحتى
قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اني انشدك عهدك ووعدك اللهم
انك ان تشا لا تعبد فبينما هم كذلك على ذلك اذ جا نعيم بن مسعود الاشجعي
وكان يامنه الفريقان جميعا فخذل بين الناس فانطلق الاحزاب منهزمين
من غير قتال فذلك قوله تعالى وكفى الله المومنين القتال **وكان الله** اي الذي له
صفات الكمال ازلا وابدا **قويا** على احداث ما يريده **عزيزا** غالبا على كل شي
ولما اتم الله تعالى حال الاحزاب اتبعه حال من عاونهم بقوله تعالى
وانزل الذين ظاهروهم اي عاونوا الاحزاب **من اهل الكتاب** وهم بنو قريظة
ومن دخل معهم في حصنهم من بني النضير **من صياصيهم** اي حصونهم
متعلق بانزل ومن لابتدا الغاية والصياصي جمع صيصة وهي الحصون
والقلاع والمعاقل ويقال لكل ما يمتنع به ويتحصن صيصيه ومنها قيل
لقرن الثور والظبي وشوكة الديك صيصية عن سعيد بن جبير
قال كان يوم الخندق بالمدينة فجا ابو سفيان بن حرب ومن تبعه من
قريش ومن تبعه من كنانة وعيينة بن حصن ومن تبعه من غطفان
وطليحة ومن تبعه من بني اسد وابو الاعور ومن تبعه من بني سليم وقريظة
كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فنقضوا ذلك وظاهروا
المشركين فانزل الله فيهم وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم
وكانت غزوة بني قريظة في اخر ذي القعدة سنة خمس من الهجرة وعن موسى
ابن عقبة انها في سنة اربع قال العلما بالسير ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما اصبح في الليلة التي انصرف الاحزاب راجعين الى بلادهم
انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنون عن الخندق الى المدينة
ووضعوا السلاح فلما كان الظهر اتى جبريل عليه السلام الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم على فرسه الحيزوم والغبار على وجه الفرس والسرج فقال ما هذا
يا جبريل قال من متابعة قريش فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
يمسح الغبار عن وجه الفرس وعن سرجه فقال يا رسول الله ان الملايكة لم تضع
السلاح ان الله تعالى يامرك بالسير الى بني قريظة وانا عامد اليهم فان الله

دفعهم

دافعهم دق البيض على الصفا وانهم لك طعمة فاذن في الناس الا من كان سامعا مطيعا
فلا يصلين العصر الا في بني قريظة وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم علي ابن ابي
طالب برايته اليهم وابتدرها الناس فسار علي حتى اذا دنا من الحصون سمع
منها مقالة قبيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع حتى لقي رسول الله صلى
الله عليه وسلم بالطريق فقال يا رسول الله لا عليك ان لا تدنو من هولا الاخابث
قال اظنك سمعت لي منهم اذى قال نعم يا رسول الله قال لو قد راوني لم
يقولوا من ذلك شيا فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصنهم قال
يا اخوان القردة هل اخزاكم الله وانزل بكم نقمته قالوا يا ابا القاسم ما كنت جهولا
ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه قبل ان يصل الى بني قريظة قال
هل مر بكم احد قالوا مر بنا دحية بن خليفة على بغلة شهبا عليها قطيفة من
ديباج قال صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل بعث الى بني قريظة يزلزل
بهم حصونهم ويقذف في قلوبهم الرعب ولما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بني قريظة نزل على بير من ابارها فتلاحق به الناس فاتاه رجال من بعد صلاة
العشا الاخيرة ولم يصلوا العصر لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يصلين احد العصر الا في بني قريظة فصلوا العصر بها بعد العشا الاخرة
فما عابهم الله تعالى بذلك ولا عنفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان حيي
ابن اخطب دخل على بني قريظة في حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان
وفا لكعب بن اسد بما كان عاهده فلما ايقنوا ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن اسد يا معشر يهود
انه قد نزل بكم من الامر ما نزل واني عارض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا ايها شيتم
قالوا وما هي قال ان نبايع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم
انه نبي مرسل وانه الذي تجدونه في كتابكم فتامنوا على دياركم وابنايكم
واموالكم ونسايكم قالوا لا نفارق حكم التوراة ابدا ولا نستبدل به غيره
قال فاذا ابيتم هذه فهلم فلنقتل ابناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد واصحابه
رجالا مصلتين بالسيوف ولم نترك ورانا ثقلا حتى يحكم الله بيننا
وبين محمد واصحابه فان نهلك نهلك ولم نترك ورانا احدا ولا شيا نخشى عليه
وان نظهر فلعمري لنتخذن النسا والابنا قالوا انقتل هولا المساكين
فما خير العيش بعدهم قال فان ابيتم هذه فان الليلة ليلة السبت
فعسى ان يكون محمد واصحابه قد امنوا فانزلوا لعلنا ان نصيب منهم غرة
قالوا نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يكن احدث فيه من كان قبلنا
قال علما السير وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين
ليلة حتى اجهدهم الحصار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزلون
على حكمي فابوا وكانوا قد طلبوا ابو لبابة بن عبد المنذر اخا بني عمرو بن عوف

وكانوا حلفاء الاوس يستشيرونه في امرهم فارسله رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما راوه قاموا اليه الرجال والنساء والصبيان يبكون في وجهه فرق لهم فقالوا يا ابا لبابة اترى ان ننزل على حكم محمد قال نعم واشار بيده الى حلقه يعني انه يقتلكم قال ابو لبابة فوالله ما زالت قدماي حتى قد عرفت اني خنت الله ورسوله ثم انطلق ابو لبابة على وجهه ولم يات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط في المسجد الى عمود من عمده وقال لا ابرح من مكاني حتى يتوب الله علي مما صنعت وعاهد الله تعالى لا يطا بني قريظة ابدا ولا يراني الله تعالى في بلد خنت فيه الله ورسوله فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وابطاه عليه قال اما لو جاءني لاستغفرت له فاما اذ فعل فما انا بالذي اطلقه من مكانه حتى يتوب الله تعالى عليه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزلون على حكم سعد بن معاذ فرضوا به قال سعد فحكمت فيهم ان تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة ارقعة ثم استنزلهم وخندق في سوق المدينة خندقا وقدمهم فضرب اعناقهم وهم من ثمانمائة الى تسعمائة وقيل كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة اسير **وقذف** اي الله تعالى **في قلوبهم الرعب** حتى سلموا انفسهم للقتل واولادهم ونساءهم للسبي كما قال الله تعالى **فريقا تقتلون** وهم الرجال يقال كانوا ستمائة **وتاسرون فريقا** وهم النساء والذراري يقال كانوا سبعمائة وخمسين ويقال تسعمائة فان قيل ما فائدة تقديم المفعول في الاول حيث قال فريقا تقتلون وتاخيره في الثاني حيث قال وتاسرون فريقا اجيب بان الرازي قال ما من شيء من القران الا وله فائدة منها ما يظهر ومنها ما لا يظهر والذي يظهر من هذا والله اعلم ان القائل يبدو بالاهم فالاهم والاقرب فالاقرب والرجال كانوا مشهورين والسبي والاسر اظهر من القتل لانه يبقى فيظهر لكل احد انه اسير فقدم من المحلين ما اشتهر على الفعل القائم به ومن الفعلين ما هو اشهر قدمه على المحل الخفي انتهى وقرا ابن عامر والكسائي الرعب بضم العين والباقون بسكونها ولما ذكر الناطق بقسميه ذكر الصامت بقوله تعالى **واورثكم ارضهم** من الحدائق والمزارع **وديارهم** اي حصونهم لانه يحامي عليها ما لم يحامي على غيرها **واموالهم** من النقد والماشية والسلاح والاثاث وغيرها فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم للفارس ثلاثة اسهم للفرس سهمان ولفارسه سهم كما للراجل ممن ليس له فرس سهم واخرج منها الخمس وكانت الخيل ستة وثلاثين فرسا وكان هذا اول فيء وضع فيه السهمان وجرى على سنته في المغازي واصطفى

رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبايا هم ريحانة بنت عمرو بن قريظة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص عليها ان يتزوجها ويضرب عليها الحجاب فقالت يا رسول الله تتركني في ملكك فهو اخف علي وعليك فتركها وكانت حين سباها كرهت الاسلام وابت الا اليهودية فعزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجد في نفسه من امرها فبينما هو مع اصحابه اذ سمع وقع نعلين خلفه فقال ان هذا لثعلبة بن سعية يبشرني باسلام ريحانة فجاء فقال يا رسول الله قد اسلمت ريحانه فسره ذلك وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين دون الانصار فقالت الانصار في ذلك فقال انكم في منازلكم وقال عمر اما تخمس كما خمست يوم بدر قال لا انما جعلت هذه لي دون الناس قال رضينا بما صنع الله ورسوله وانزل الله تعالى توبة ابي لبابة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيت ام سلمة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقالت مم ضحكت يا رسول الله اضحك الله سنك فقال تيب على ابي لبابة فقالت الا ابشره بذلك يا رسول الله قال بلى ان شئت فقامت على باب حجرتها وذلك قبل ان يضرب عليهن الحجاب فقالت يا ابا لبابة ابشر فقد تاب الله عليك فثار الناس اليه ليطلقوه فقال لا والله حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقني بيده فلما مر عليه خارجا الى الصبح اطلقه ومات سعد بن معاذ بعد غزوة قريظة قالت عائشة فحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر فوالذي نفس محمد بيده اني لاعرف بكاء عمر من بكاء ابي بكر واني لفي حجرتي قالت وكانوا كما قال الله تعالى رحماء بينهم واختلف في تفسير قوله تعالى **وارضا** اي واورثكم ارضا **لم تطؤها** فعن مقاتل انها خيبر وعليها اكثر المفسرين وعن الحسن فارس والروم وعن قتادة كنا نحدث انها مكة وعن عكرمة كل ارض تفتح الى يوم القيامة ومن بدع التفسير انه اراد نساءهم انتهى ولما كان ذلك امرا باهرا سهله **وكان الله** اي ازلا وابدا بما له من صفات الكمال **على كل شيء** هذا وغيره **قديرا** اي شامل القدرة روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لا اله الا الله وحده اعز جنده ونصر عبده وغلب الاحزاب وحده فلا شيء بعده ولما ارشد الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم الى جانب ما يتعلق بجانب التعظيم لله تعالى بقوله تعالى يا ايها النبي اتق الله ذكر ما يتعلق بجانب الشفقة وبدا بالزوجات فانهن اولى الناس بالشفقة ولهذا قدمهن في النفقة فقال **يا ايها النبي قل لازواجك** اي نسائك **ان كنتن** اي كونا راسخا **تردن** اي اختيارا على **الحياة** ووصفها بما يزهد فيها وهي الحيوة الدنيا وبذكر من لا عمل بالاخرة بقوله تعالى

الدنيا اي ما فيها من السعة والرفاهية والنعمة وزينتها اي الغاية لما امرني ربي
من الاعراض عنه واحتقاره من امرها لانها ابغض خلقه اليه لانها قاطعة عنه
فتعالين اصله ان الامر يكون اعلى من المامور فيدعوه ان يرفع نفسه اليه ثم كثر حتى
صار معناه اقبل وهو كناية عن الاختيار والارادة بعلاقة ان المخبر يريد توالي
من يخبره امتعكن اي بما احسن به اليكن من متعة الطلاق وهي واجبة للزوجة
لم يجب لها نصف مهر فقط بان وجب لها جميع المهر او كانت مفوضة لم
توطا ولم يفرض لها شي صحيح اما في الاولى فلان المهر وقع في مقابلة منفعة
بضعها وقد استوفاها الزوج فتجب للايحاش متعة واما في الثانية فلان المفوضة
لم يحصل لها شي فيجب لها متعة للايحاش بخلاف من وجب لها النصف
فلا متعة لها لانه لم يستوف منفعة بضعها فيكفي نصف مهرها للايحاش
هذا اذا كان الفراق لا بسببها وسن ان لا ينقص عن ثلاثين درهما او ما
قيمته ذلك وان لا تبلغ نصف المهر فان تراضيا بشي فذاك والا قدرها
قاض باجتهاده بقدر حالهما من يسار واعسار ونسبها وصفاتها قال
تعالى ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره واسرحكن اي من حبالة
عصمتي سراحا جميلا اي طلاقا من غير مضارة ولا نوع حقد ولا مقاهرة
وان كنتن اي بما لكن من الجبلة تردن الله اي الامر بالاعراض
عن الدنيا ورسوله اي المومن بما امره به من الانسلاخ عنها المبلغ للعباد جميع
ما ارسله به من امر الدنيا والدين لا يدع منه شيا لما له عليكن وعلى سائر
الناس من الحق بما يبلغهم عن الله تعالى والدار الاخرة التي هي الحيوان بما لها
من البقا والعلو والارتقا فان الله اي بما له من جميع صفات الكمال اعد اي
في الدنيا والاخرة للمحسنات منكن اي اللاتي يفعلن ذلك اجرا عظيما
دونه الدنيا وزينتها ومن للتبعيض لانهن كلهن محسنات قال المفسرون للتبيين
سبب نزول هذه الاية ان نسا النبي صلى الله عليه وسلم سالنه من عرض
الدنيا شيا وطلبن زيادة في النفقة واذينه بغيرة بعضهن على بعض
فهجرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآلى ان لا يقربهن شهرا ولم يخرج الى
اصحابه فقالوا ما شانه وكانوا يقولون طلق رسول الله صلى الله
عليه وسلم نساءه فقال عمر لاعلمن لكم شانه
قال فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله
اطلقتهن قال لا فقلت يا رسول الله اني دخلت المسجد والمسلمون يقولون
طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه افانزل فاخبرهم انك لم تطلقهن
قال نعم ان شئت فقمت على باب المسجد فناديت باعلى صوتي لم يطلق رسول
الله صلى الله عليه وسلم نساءه ونزل قوله تعالى واذا جاءهم امر من الامن
او الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه

الذين

الذين يستنبطونه منهم فكنت انا الذي استنبط ذلك الامر وانزل الله تعالى
اية التخيير وكان تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع نسوة خمس من
قريش عايشة بنت ابي بكر • وحفصة بنت عمر • وام حبيبة بنت ابي
سفيان • وام سلمة بنت ابي امية • وسودة بنت زمعة • واربع من غير القرشيات
زينب بنت جحش الاسدية • وميمونة بنت الحارث الهلالية • وصفية
بنت حيي بن اخطب الخيبرية • وجويرية بنت الحارث المصطلقية
فلما نزلت اية التخيير اعرض عليهن رضي الله عنهن ذلك وبدا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعايشة راس المحسنات اذ ذاك وكانت احب اليه
فخيرها وقرا عليها القران فاختارت الله ورسوله والدار الاخرة
فرئي الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتابعنها على ذلك
قال قتادة فلما اخترن الله ورسوله شكرهن الله على ذلك وقصره
عليهن فقال تعالى لا يحل لك النسا من بعد وعن جابر بن عبد الله قال
دخل ابو بكر يستاذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس
جلوسا ببابه لم يوذن لاحد منهم فاذن لابي بكر فدخل ثم اقبل عمر
ثم استاذن فاذن له فوجد النبي صلى الله عليه وسلم جالسا حوله نساؤه
واجما ساكتا قال فقال لاقولن شيا اضحك النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله لو رايت بنت خارجة سالتني النفقة فقمت اليها
فوجات عنقها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وقال هن حولي كما
ترى يسالنني النفقة فقام ابو بكر الى عايشة يجا عنقها وقام عمر الى حفصة
يجا عنقها كلاهما يقول تسالن رسول الله صلى الله عليه وسلم تسالن
رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا ابدا ليس عنده ثم اعتزلهن شهرا
او تسعا وعشرين يوما ثم نزلت هذه الاية يا ايها النبي قل لازواجك
حتى بلغ للمحسنات منكن اجرا عظيما قال فبدا بعايشة فقال
يا عايشة اني اعرض عليك امرا لا احب ان تعجلي فيه حتى تستشيري
ابويك قالت وما هو يا رسول الله فتلا عليها الاية فقالت افيك يا رسول
الله استشير ابوي بل اختار الله ورسوله والدار الاخرة واسالك
ان لا تخبر امراة من نسائك بالذي قلت قال لا تسالني منهن الا اخبرتها
ان الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا ولكن بعثني معلما ميسرا قوله
واجما اي مهتما والواجم الذي اسكته الهم وعلته الكابة وقيل الحزن
قوله فوجات عنقها اي دفعته قوله لم يبعثني معنتا العنت المشقة
والصعوبة وروي الزهري ان النبي صلى الله عليه وسلم اقسم ان لا يدخل
على ازواجه شهرا قال الزهري فاخبرني عروة عن عايشة قالت فلما
مضت تسع وعشرون اعدهن فقال ان الشهر تسع وعشرون

تنبيه اختلف العلماء في هذا الخيار هل كان هذا تفويض الطلاق اليهن حتى
يقع بنفس الاختيار او لا فذهب الحسن وقتادة واكثر اهل العلم الى انه لم
يكن تفويض الطلاق وانما خيرهن على انهن اذا اخترن الدنيا فارقهن لقوله
تعالى فتعالين امتعكن واسرحكن ويدل على انه لم يكن جوابهن على الفور
فانه قال لعائشة لا تعجلي حتى تستشيري ابويك وفي تفويض الطلاق
يكون الجواب على الفور وذهب الاخرون الى انه كان تفويض طلاق
ولو اخترن كان طلاقا واختلف العلماء في حكم التخيير فقال عمر
وابن مسعود وابن عباس اذا خير الرجل امرأته فاختارت زوجها لا يقع شي
ولو اختارت نفسها وقع طلقة واحدة وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن ابي
ليلى وسفيان والشافعي واصحاب الراي الا انه عند اصحاب الراي يقع
طلقة بائنة ان اختارت نفسها وعند اخرين رجعية وقال زيد بن
ثابت اذا اختارت الزوج تقع طلقة واحدة وان اختارت نفسها فثلاث
وهو قول الحسن ورواية عن مالك وروي عن علي انها اذا اختارت زوجها تقع
طلقة واحدة رجعية وان اختارت نفسها فطلقة بائنة واكثر العلماء على انها
اذا اختارت زوجها لا يقع شي وعن مسروق قال ما ابالي خيرت امرأتي
واحدة او مائة او الفا بعد ان تختارني قال الرازي وهاهنا مسائل منها
هل كان هذا التخيير واجبا على النبي صلى الله عليه وسلم ام لا والواجب ان التخيير
كان امرا واجبا من غير شك لانه ابلاغ للرسالة لان الله تعالى لما قال له قل
لهن صار من الرسالة فاما التخيير بمعنى فهو مبني على ان الامر للوجوب ام لا والظاهر
انه للوجوب ومنها ان واحدة منهن لو اختارت نفسها وقلنا انها لا تبين
الا بابانة النبي صلى الله عليه وسلم فهل كان يجب على النبي صلى الله عليه
وسلم الطلاق ام لا الظاهر نظرا الى منصب النبي صلى الله عليه وسلم
انه كان يجب لان الخلف في الوعد من النبي غير جائز بخلاف احدنا فانه
لا يلزمه شرعا الوفاء بما يعد ومنها ان المختارة بعد البينونة هل
كانت تحرم على غيره ام لا الظاهر انها لا تحرم والا لم يكن التخيير ممكنا لها
من التمتع بزينة الدنيا ومنها ان من اختارت الله ورسوله هل كان يحرم
على النبي صلى الله عليه وسلم طلاقها ام لا الظاهر الحرمة نظرا الى منصب
الرسول صلى الله عليه وسلم على معنى ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يباشره
اصلا لا بمعنى انه لو اتى به لعوقب او عوتب انتهى ولما خيرهن واخترن
الله ورسوله هددهن الله للتوقي عما يسوء النبي صلى الله عليه وسلم
واوعدهن بتضعيف العذاب بقوله تعالى يا نساء النبي اي المختارات
له لا بينه وبين الله تعالى مما يظهر شرفه من يأت منكن بفاحشة اي
سيئة من قول او فعل كالنشوز وسوء الخلق واختيار الحياة الدنيا

وزينتها على الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم او غير ذلك وقال ابن عباس
المراد هنا بالفاحشة النشوز وسوء الخلق وقيل هو كقوله تعالى لئن اشركت
ليحبطن عملك وقرا ابن كثير وشعبة مبينة بفتح اليا التحتية اي ظاهر فحشها
والباقون بكسرها اي واضحة ظاهرة في نفسها والباقون بكسرها اي
واضحة ظاهرة في نفسها يضاعف لها العذاب بسبب ذلك ضعفين اي
ضعفي عذاب غيرهن اي مثليه وانما ضوعف عذابهن لان ما قبح من سائر
كان اقبح منهن واقبح لان زيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل
والمرتبة ولذلك كان ذم العقلاء للعاصي العالم اشد منه للعاصي الجاهل
لان المعصية من العالم اقبح ولذلك جعل حد الحر ضعفي حد العبد وعوتب
الانبيا بما لم يعاتب غيرهم وقرا نافع وعاصم وحمزة والكسائي بالياء التحتية
والف بعد الضاد وتخفيف العين مفتوحة العذاب بالرفع وابن كثير وابن
عامر بالنون ولا الف بعد الضاد وتشديد العين مكسورة العذاب
بالنصب وابو عمرو بالياء وتشديد العين مفتوحة العذاب بالرفع وقوله
تعالى وكان ذلك على الله يسيرا فيه بان كونهن نساء النبي صلى الله عليه وسلم
ليس بمغن عنهن شيا وكيف يغني عنهن وهو سبب مضاعفة العذاب
فكان داعيا الى تشديد الامر عليهن غير صارف عنه ولما بين تعالى زيادة
عقابهن اتبعه زيادة ثوابهن بقوله تعالى ومن يقنت اي يطع منكن
لله الذي هو اهل لئلا يلتفت الى غيره ورسوله الذي لا ينطق عن الهوى
فلا تخالفه فيما امر به ولا تختار عيشا غير عيشه وتعمل اي تعمل ذلك
بجوارحها صالحا اي في جميع ما امر به سبحانه او نهى عنه ولا تقتصر على
عمل القلب نؤتها اجرها مرتين اي مثلي ثواب غيرهن من النسا قال مقاتل
مكان كل حسنة عشرين حسنة فمرة على الطاعة ومرة لطلبهن
رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسن الخلق وطيب المعاشرة
والقناعة تنبيه قوله تعالى نؤتها اجرها مرتين في مقابلة قوله تعالى
يضاعف لها العذاب ضعفين وفيه لطيفة وهي ان عند ايتاء الاجر ذكر المؤتي
وهو الله تعالى وعند العذاب لم يصرح بالمعذب فقال يضاعف وهذا اشارة
الى كمال الرحمة والكرم وقرا حمزة والكسائي بالياء التحتية في يعمل ويؤتها حملا على
لفظ من وهو الاصل والباقون بالتاء الفوقية في تعمل على معنى من والنون
في نؤتها على ان فيه ضمير اسم الله تعالى واعتدنا اي هيأنا بما لنا من العظمة
لها اي بسبب قناعتها مع النبي صلى الله عليه وسلم المريد للتخلي من
الدنيا التي يبغضها الله تعالى مع ما في ذلك من توفير الحظ في الاخرة رزقا
كريما اي في الدنيا والاخرة زيادة على اجرها اما في الدنيا فلان ما رزقت
منه يوفقن لصرفه على وجه يكون فيه اعظم الثواب ولا يخشى من اجله

نوع عتاب واما في الاخرة فلا يوصف ولا يجد ولا نكد فيه اصلا ولا كد ولهذا
ما جري عليه البقاعي وهو اولى مما جري عليه كثير من المفسرين من الاقتصار
على رزق الجنة وعلله الرازي بقوله ووصف رزقا بكونه كريما مع ان الكريم
لا يكون الا وصفا للرازق وذلك اشارة الى ان الرزق في الدنيا مقدر على ايدي
الناس التاجر يسترزق من السوقة والعاملين والصناع من المستعملين
والملوك من الرعية والرعية منهم فالرزق في الدنيا لا ياتي بنفسه انما
هو مسخر للغير يكتسبه ويرسله الى الاعيان واما في الاخرة فلا يكون له
مرسل وممسك في الظاهر فهو الذي ياتي بنفسه فلاجل هذا لا يوصف
في الدنيا بالكريم الا الرازق وفي الاخرة يوصف بالكريم نفس الرزق انتهي
ولما ذكر تعالى ان عذابهن ضعف غيرهن واجرهن مثلي اجر غيرهن صرن كالحراير بالنسبة الى الاماء قال تعالى **يا نساء النبي لستن كاحد**
قال البغوي ولم يقل كواحدة لان الاحد عام يصلح للواحد والاثنين
والجمع والمذكر والمونث والمعني لستن كالجماعة كجماعة واحدة **من** جماعات
اذا تقصيت جماعة النسا واحدة واحدة لم يوجد منهن جماعة واحدة
تساويكن في الفضل والسابقة ومنه قوله تعالى والذين امنوا بالله
ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم يريد بين جماعة واحدة منهم بل
مستوية بين جميعهم في انهم على الحق المبين وقوله تعالى لا نفرق بين احد
من رسله وقوله تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين والحمل على
الافراد بان يقال ليست كل واحدة منكن كواحدة من احاد النسا
صحيح بل اولى ليلزم تفضيل الجماعة بخلاف الحمل على الجمع وعن ابن عباس
معني لستن كاحد من النسا يريد ليس قدركن عندي
مثل قدر غيركن من النسا الصالحات انتن اكرم علي وثوابكن اعظم لدي ولما كان المعني بل انتن اعلا النسا ذكر شرط ذلك بقوله تعالى
ان اتقيتن الله اي جعلتن بينكن وبين غضب الله تعالى وغضب رسوله
صلى الله عليه وسلم وقاية ثم سبب عن هذا النهي بقوله تعالى **فلا تخضعن بالقول**
اذا تكلمتن بحضرة اجنبي **فيطمع** اي بان يكون لينا عذبا رخيما
والخضوع التطامن والتواضع واللين ثم تسبب عن الخضوع قوله تعالى
فيطمع اي في الخيانة **الذي في قلبه مرض** اي فساد وريبة من فسق
ونفاق او نحو ذلك وعن زيد بن علي قال المرض مرضان فمرض زنا ومرض
نفاق وعن ابن عباس ان نافع بن الازرق قال له اخبرني عن قوله تعالى
فيطمع الذي في قلبه مرض قال الفجور والزنا قال هل تعرف العرب ذلك
قال نعم اما سمعت الاعشى وهو يقول
حافظ للفرج راض بالتقى ۔ ليس ممن قلبه فيه مرض

والتعبير

والتعبير بالطمع للدلالة على ان امنيته لا سبب لها في الحقيقة لان اللين في كلام النسا
خلق لهن لا تكلف فيه واريد من نسا النبي صلى الله عليه وسلم التكلف للاتيان
بضده بل المراة مندوبة الى الغلظة في المقالة اذا خاطبت الاجانب لقطع الاطماع
ولما نهاهن عن الاسترسال مع سجية النسا في رخاوة الصوت امرهن بضده
في قوله تعالى **وقلن قولا معروفا** اي يعرف بانه بعيد عن محل الطمع من ذكر الله
وما تحتجن اليه من الكلام مما يوجب الدين والاسلام بتصريح وبيان من
غير خضوع ولما امرهن في القول وقدمه لعمومه اتبعه الفعل بقوله تعالى
وقرن اي اسكن وامكثن دايما **في بيوتكن** فمن كسر القاف وهم غير نافع
وعاصم جعله الماضي قرر بفتح العين ومن فتحه وهو نافع وعاصم فهو عنده
قرر بكسرها وهما لغتان ومن فتح القاف فخم الرا ومن كسرها رقق الرا
وعن محمد بن سيرين نبيت انه قيل لسودة زوج النبي صلى الله عليه وسلم
مالك لا تحجين ولا تعتمرين كما تفعل اخواتك فقالت قد حججت واعتمرت
وامرني الله ان اقر في بيتي فوالله لا اخرج من بيتي حتى اموت قال فوالله
ما خرجت من باب حجرتها حتى اخرجتها بجنازتها واختلف في معنى
التبرج في قوله تعالى **ولا تبرجن** فقال مجاهد وقتادة هو التكسر والتغنج
وقال ابن جريج هو التبختر وقيل هو ابراز الزينة وابراز المحاسن للرجال
وقرا البزي بتشديد التا في الوصل والباقون بالتخفيف واختلف ايضا
في قوله تعالى **تبرج الجاهلية الاولى** فقال الشعبي هي ما بين عيسى ومحمد
صلى الله عليه وسلم وقال ابو العالية هي زمن داود عليه السلام
كانت المراة تتخذ قميصا من الدر غير مخيط الجانبين فترى خلقها فيه
وقال الكلبي كان ذلك في زمن نمرود الجبار كانت المراة تتخذ الدرع
من اللولو فتلبسه وتمشي وسط الطريق ليس عليها شي غيره وتعرض
نفسها على الرجل وروي عكرمة عن ابن عباس انه قال الجاهلية الاولى
فيما بين نوح وادريس عليهما السلام وكانت الف سنة وان بطنين
من ولد ادم كان احدهما يسكن السهل والاخر يسكن الجبل وكان رجال
الجبل صباحا وفي النسا دمامة وكان نسا السهل صباحا وفي الرجال
وان ابليس اتى رجلا من اهل السهل واجر نفسه منه فكان يخدمه واتخذ
شيا مثل الذي يزمر به الرعا فجا بصوت لم يسمع مثله فبلغ ذلك
من حوله فاتوه وهم يستمعون له واتخذوا عيدا يجتمعون اليه في السنة
فيتبرج النسا للرجال ويتزين الرجال لهن وان رجلا من اهل الجبل هجم
عليهم في عيدهم ذلك فراي النسا وصباحتهن فاتى اصحابه فاخبرهم
بذلك فتحولوا اليهم فنزلوا معهم وظهرت الفاحشة بينهم فذلك قوله
تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وقال قتادة ما قبل الاسلام

وقيل الجاهلية ما ذكرنا والجاهلية الاخرى يفعلون مثل فعلهم في اخر الزمان
وقيل الجاهلية الاولى ما عليه الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية
الفسوق في الاسلام يعضده قوله صلى الله عليه وسلم لابي ذر كما في الصحيحين
ان فيك جاهلية كفرا واسلاما وقول البيضاوي عن ابي الدرداء قال ابن حجر
لم اجده عن ابي الدرداء او قيل قد تذكر الاولى وان لم تكن لها اخرى كقوله تعالى
وانه اهلك عادا الاولى ولم تكن لها اخرى ولما امرهن بلزوم البيوت للتخلية
عن الشوايب ارشدهن الى التحلية بالرغايب بقوله تعالى واقمن الصلاة اي
فرضا ونفلا صلة لما بينكن وبين الخالق ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر
وآتين الزكاة احسانا الى الخلايق وفي هذا ابشارة بالفتوح وتوسيع
الدنيا عليهن فان العيش وقت نزولها كان ضيقا عن القوت فضلا عن
الزكاة ولما امرهن بخصوص ما تقدم انهما اصل الطاعات البدنية
والدينية ومن اعتنا بهما حق الاعتنا جرتاه الى ما وراهما ثم وجمع في قوله
تعالى واطعن الله اي الذي له صفات الكمال ورسوله اي الذي لا ينطق
عن الهوى فيما امرا به ونهيا عنه انما يريد الله اي الذي هو ذو الجلال
والاكرام بما امركن به ونهاكن عنه من الاعراض عن الزينة
وما يتبعها والاقبال عليه ليذهب اي لاجل ان يذهب عنكم الرجس اي
اي الاثم الذي نهى الله تعالى عنه النسا قال له مقاتل وقال ابن عباس
يعني عمل الشيطان وما ليس فيه رضى الرحمن وقال قتادة يعني السوء
وقال مجاهد الرجس الشك وقوله تعالى اهل البيت في نصبه
اوجه احدها النداء اي يا اهل البيت او المدح اي امدح اهل البيت او
الاختصاص اي اخص اهل البيت كما قال صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبيا
لا نورث والاختصاص في المخاطب اقل منه في المتكلم وسمع بك الله نرجو
الفضل والاكثر انما هو في المتكلم كقولها نحن بنات طارق نمشي على النمارق
وقولهم نحن العرب بني ضبة اصحاب الجمل الموت عندنا احلى من العسل
وقولهم نحن العرب اقرى الناس للضيف واختلف في اهل البيت
والاولى فيهم ما قال البقاعي انهم كل من يكون من الزام النبي صلى الله عليه
وسلم من الرجال والنسا والازواج والاما والاقارب وكل ما كان
الانسان منهم اقرب وبالنبي صلى الله عليه وسلم اخص والزم كان بالارادة
احق واجدر ويويده قول البيضاوي وتخصيص الشيعة اهل البيت
بفاطمة وعلي وابنيهما رضي الله تعالى عنهم لما روي انه عليه الصلاة والسلام
خرج ذات غدوة وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجلس فاتت فاطمة
فادخلها فيه ثم جاء علي فادخله فيه ثم جاء الحسن والحسين فادخلهما فيه
ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت والاحتجاج

بذلك

بذلك على عصمتهم وكون اجماعهم حجة ضعيف وعن ابن عباس انهم نسا النبي
صلى الله عليه وسلم لانهن في بيته ونزل قوله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن
من آيات الله وعن ام سلمة في بيتي انزل انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
اهل البيت قالت فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى فاطمة وعلي
والحسن والحسين فقال هولا اهل بيتي فقلت يا رسول الله اما انا من اهل
البيت فقال بلى ان شاء الله وقال زيد بن ارقم اهل بيته من حرم الصدقة
بعده آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس قال الرازي والاولى ان
يقال هم اولاده وازواجه والحسن والحسين وعلي منهم لانه كان من اهل
بيته لمعاشرته بنت النبي صلى الله عليه وسلم وملازمته له ولما استعار
للمعصية الرجس استعار للطاعة الطهر ترغيبا لاصحاب الطباع السليمة
والعقول المستقيمة في الطاعة وتنفيرا لهم عن المعصية بقوله تعالى ويطهركم
اي يفعل في طهركم الصيانة عن جميع القاذورات الحسية والمعنوية فعل
المبالغ فيه وزاد ذلك عظما بالمصدر بقوله تعالى تطهيرا وعن ابن عباس
قال شهدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة اشهر ياتي كل يوم
باب علي بن ابي طالب عند وقت كل صلاة فيقول السلام عليكم ورحمة الله
وبركاته انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا
الصلاة رحمكم الله تعالى كل يوم خمس مرات ثم بين تعالى ما انعم به عليهن
من ان بيوتهن مهبط الوحي بقوله تعالى واذكرن اي في انفسكن ذكرا دايما
واذكرنه لغيركن على جهة الوعظ والتعليم ما يتلى اي يتتابع ويوالي ذكره
في بيوتكن اي بواسطة النبي صلى الله عليه وسلم الذي خيركن وقوله
تعالى من آيات الله اي القرآن بيان للموصول فيتعلق باعني ويجوز
ان يكون حالا اما من الموصول واما من عايده المقدر فيتعلق بمحذوف
ايضا واختلف في قوله تعالى والحكمة فقال قتادة يعني السنة
وقال مقاتل احكام القرآن ومواعظه ان الله اي الذي له جميع العظمة
كان اي لم يزل لطيفا اي يوصل الى المقاصد بلطايف الاضداد خبيرا
اي بجميع خلقه يعلم ما يسرون وما يعلنون لا يخفى عليه خافية فيعلم من يصلح
لبيت النبي صلى الله عليه وسلم ومن لا وما يصلح الناس دينا ودنيا وما لا
يصلحهم والطرق الموصلة لكل ما قضاه وقدره وان كانت على غير ما يالفه
الناس من انقطع الى الله كفاه الله تعالى كل موته ورزقه من حيث لا يحتسب
ومن انقطع الى الدنيا وكله اليها ولقد صدق الله وعده في لطفه وحقق
بره في خبره بان فتح على نبيه صلى الله عليه وسلم لبيعه من زهرة الدنيا
فتح الفتوحات الكبار من بلاد فارس والروم ومصر وبلاد اليمن فعم الفتح
جميع الاقطار الشرق والغرب والجنوب والشمال ومكن اصحاب نبيه

وما يبقى من

صلى الله عليه وسلم من كنوز تلك البلاد وذخاير اوليك الملوك حتى صار من
الصحابة رضوان الله عليهم يكيلون المال كيلا وزاد الامر حتى دون عمر الدواوين
وفرض للناس عامة ارزاقهم حتى للرضعا وكان اولا لا يفرض للمولود حتى يفطم
فكان يستعجلون بالفطام فنادي مناديه لا تعجلوا اولادكم بالفطام فانا
نفرض لكل مولود في الاسلام وفاوت بين الناس في العطا بحسب
القرب من النبي صلى الله عليه وسلم والبعد منه وبحسب السابقة في
الاسلام والهجرة ونزل الناس منازلهم بحيث ارضى جميع الناس حتى
قدم عليه خالد بن عرفطة فساله عما وراءه فقال تركتهم يسالون
الله تعالى ان يزيد في عمرك من اعمارهم فقال عمر انما هو حقهم وانا اسعد
باداية اليهم واني لازعم بنصيحتي كل من طوقني الله امره فان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من مات غاشا لرعيته لم يرح رايحة
الجنة فكان فرضه لازواج النبي صلى الله عليه وسلم اثني عشر الفا
لكل واحدة وهي نحو الف دينار في كل سنة واعطى لعايشة خمسة
وعشرين الفا لحب النبي صلى الله عليه وسلم اياها فابت ان تاخذ
الا ما تاخذ صواحباتها وروي عن برزة بنت رافع لما اخرج العطا ارسل
عمر الى زينب بنت جحش بالذي لها فلما دخل اليها قالت غفر الله لعمر
غيري اقوى مني على قسم هذا مني قالوا هذا كله لك فقالت سبحان
الله ثم قالت صبوه واطرحوا عليه ثوبا ثم قالت لي ادخلي يدك واقبضي
منه قبضة فاذهبي بها الى بني فلان وبني فلان من ذوي رحمها وايتام
لها فقسمته حتى بقيت منه بقية تحت الثوب قالت برزة بنت
رافع غفر الله لك يا ام المومنين والله لقد كان لنا في هذا المال حق
قالت فلكم ما تحت الثوب قالت فوجدنا تحته خمسماية
وثمانين درهما ثم رفعت يديها الى السما وقالت اللهم لا تدركني
عطا عمر بعد عامي هذا فماتت قال البقاعي ذكر ذلك البلاذري
في كتاب فتوح البلاد انتهى وعن مقاتل قال قالت ام سلمة بنت
ابي امية ونسيبة بنت كعب الانصارية للنبي صلى الله عليه وسلم
ما بال ربنا يذكر الرجال ولا يذكر النسا في شي من كتابه نخشى
ان لا يكون فيهن خير فانزل الله تعالى **ان المسلمين والمسلمات** اي الداخلين
في الاسلام المنقادين لحكم الله في القول والعمل ولما كان الاسلام
مع كونه اكمل الاوصاف واعلاها يمكن ان يكون بالظاهر فقط اتبعه
المحقق له وهو اسلام الباطن بالتصديق التام بغاية الاذعان
فقال عاطفا له ولما بعده من الاوصاف التي يمكن اجتماعها بالواو للدلالة
على تمكن الجامعين لهذه الاوصاف في كل وصف منها **والمؤمنين**

والمومنات

والمؤمنات اي المصدقين بما يجب ان يصدق به ولما كان المومن المسلم
قد لا يكون في اعماله مخلصا قال **والقانتين والقانتات** اي المخلصين
في ايمانهم واسلامهم المداومين على الطاعة ولما كان القنوت قد يطلق
على الاخلاص المقتضي للمداومة وقد يطلق على مطلق الطاعة قال
والصادقين والصادقات اي في ذلك كله من عمل وقول ولما كان الصدق
وهو اخلاص القول والعمل عن شوب يلحقه او شي يدنسه قد لا يكون
دايما قال مشيرا الى ان ما لا يكون دايما لا يكون صدقا في الواقع
والصابرين والصابرات اي على الطاعات وعن المعاصي ولما كان الصبر
قد يكون سجية دل على صرفه الى الله بقوله تعالى **والخاشعين والخاشعات**
اي المتواضعين لله تعالى بقلوبهم وجوارحهم ولما كان الخشوع والخضوع ع
والاخبات والسكون لا يكون يصح مع توفر المال فانه سكون اليه
قال معلما انه اذ ذاك لا يكون على حقيقته **والمتصدقين والمتصدقات**
بما وجب في اموالهم وبما استحب سرا وعلانية تصديقا للخشوع
ولما كان بذل المال قد لا يكون مع الايثار اتبعه ما يعين عليه بقوله
تعالى **والصايمين والصايمات** اي فرضا ونفلا للايثار بالقوت وغير
ذلك ولما كان الصوم يكسر شهوة الفرج وقد يثيرها قال تعالى
والحافظين فروجهم والحافظات اي عما لا يحل لهم وحذف مفعول
الحافظات لتقدم ما يدل عليه والتقدير والحافظاتها وكذلك
والذاكرات وحسن الحذف رووس الفواصل ولما كان حفظ الفرج
وساير الاعمال لا تكاد توجد الا بالذكر وهو الذي يكون عنه المرا فقد
الموصلة الى المحاضرة المحققة للمشاهدة المحبة بالفنا قال تعالى
والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اي بقلوبهم والسنتهم في كل حالة
ومن علامات الاكثار من الذكر اللهج به عند الاستيقاظ من النوم
وقال مجاهد لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرا حتى يذكر الله تعالى
قايما وقاعدا ومضطجعا وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
سبق المفردون قالوا وما المفردون قال الذاكرون الله تعالى كثيرا
والذاكرات قال عطا بن ابي رباح من فوض امره الى الله عز وجل صلى الله عليه وسلم
فهو داخل في قوله تعالى ان المسلمين والمسلمات ومن اقر بان الله تعالى
ربه ومحمدا رسوله ولم يخالف قلبه لسانه فهو داخل في قوله تعالى
والمومنين والمومنات ومن اطاع الله تعالى في الفرض والرسول صلى
الله عليه وسلم في السنة فهو داخل في قوله تعالى والقانتين والقانتات
ومن صان قوله عن الكذب فهو داخل في قوله تعالى والصادقين
والصادقات ومن صبر على الطاعات وعن المعصية وعلى الرزية

فهو داخل في قوله تعالى والصابرين والصابرات ومن صلى ولم يعرف من عن يمينه
وعن يساره فهو داخل في قوله تعالى والخاشعين والخاشعات ومن تصدق في
كل اسبوع بدرهم فهو داخل في قوله تعالى والمتصدقين والمتصدقات ومن
صام في كل شهر ايام البيض الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر فهو داخل
في قوله تعالى والصائمين والصائمات ومن حفظ فرجه عن الحرام فهو داخل في
قوله تعالى والحافظين فروجهم والحافظات ومن صلى الصلوات الخمس
بحقوقها فهو داخل في قوله تعالى والذاكرين الله كثيرا والذاكرات **اعد الله** اي
الذي لا يقدر احد ان يقدره حق قدره مع انه لا يتعاظمه شي **لهم مغفرة**
لما اقترفوا من الصغائر لانها مكفرات بفعل الطاعات والاية عامة وفضل الله
واسع ولما ذكر تعالى الفضل بالتجاوز اتبعه الفضل بالكرم والرحمة بقوله
تعالى **واجرا عظيما** اي على طاعتهم والاية وعد لهن ولامثالهن بالاثابة على الطاعة
والتدرع بهذه الخصال وروي ان سبب نزول هذه الاية ان ازواج النبي
صلى الله عليه وسلم قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القران ولم
يذكر النسا بخير فما فينا خير نذكر به انا نخاف ان لا يقبل منا طاعة
فانزل الله تعالى هذه الاية وروي ان اسما بنت عميس رجعت من الحبشة
مع زوجها جعفر بن ابي طالب فدخلت على نسا النبي صلى الله عليه وسلم
فقالت هل نزل فينا شي من القران قلن لا فاتت النبي صلى الله عليه وسلم
فقالت يا رسول الله ان النسا لفي خيبة وخسار قال ومم ذاك قالت لانهن
لا يذكرن بخير كما تذكر الرجال فانزل الله عز وجل هذه الاية وقيل لما نزل
في نسا النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل قال نسا المسلمين فما نزل فينا
شي فنزلت تنبيه عطف الاناث على الذكور لاختلاف جنسهما والعطف
فيه ضروري لاختلافهما ذاتا وعطف الزوجين وهو مجموع المومنين
والمومنات على الزوجين وهو مجموع المسلمين والمسلمات لتغاير وصفيهما
وليس العطف فيه بضروري بخلافه في الاول لان اختلاف الجنس
اشد من اختلاف الصفة وفائدة العطف عند تغاير الاوصاف
الدلالة على ان اعداد المعد من المغفرة والاجر العظيم اي تهيئته للمذكورين
للجمع بين هذه الصفات فصار ان الجامعين والجامعات لهذه الطاعات
العشر اعد الله تعالى لهم مغفرة واجرا عظيما وقوله تعالى **وما كان** اي وما صح
لمومن ولا مومنة اذا قضى الله ورسوله امرا اي اذا قضى رسول الله وذكر الله
لتعظيم امره والاشعار بانه قضى الله تعالى نزل في زينب بنت جحش
وامها امية بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم واخيها
عبد الله بن جحش لما خطب النبي صلى الله عليه وسلم زينب على مولاه
زيد بن حارثة وكان اشتري زيدا في الجاهلية بعكاظ فاعتقه

وتبناه

وتبناه فلما خطب النبي صلى الله عليه وسلم زينب رضيت وظنت انه يخطبها
لنفسه فلما علمت انه يخطبها لزيد بن حارثة ابت وقالت انا ابنة عمتك
يا رسول الله فلا ارضاه لنفسي وكانت بيضا جميلة فيها حدة وكذلك
كره اخوها ذلك رواه الدارقطني بسند ضعيف وقيل في ام كلثوم بنت
عقبة وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فزوجها من زيد **ان يكون
لهم الخيرة من امرهم** اي ان يختاروا من امرهم شيا بل يجب عليهم ان
يجعلوا اختيارهم تبعا لاختيار الله ولرسوله صلى الله عليه وسلم
تنبيه الخيرة مصدر من تخير كالطيرة من تطير على غير قياس وجمع
الضمير في قوله تعالى لهم وفي قوله تعالى من امرهم لعموم مومن ومومنة
من حيث انهما في سياق النفي ويجوز ان يكون الضمير في من امرهم لله تعالى
ولرسوله وجمع للتعظيم كما جرى عليه البيضاوي وقرا ان يكون الكوفيون
وهشام باليا التحتية والباقون بالفوقية ولانه صلى الله عليه وسلم
لا ينطق عن الهوى ومن عصاه فقد عصى الله تعالى كما قال تعالى **ومن يعص
الله** اي الذي لا امر لاحد معه **ورسوله** اي الذي معصيته معصية
الله تعالى لكونه بينه وبين الخلق في بيان ما ارسل اليهم وقوله تعالى
فقد ضل قرا قالون وابن كثير وعاصم بالاظهار والباقون بالادغام
وزاد ذلك بقوله تعالى **ضلالا مبينا** اي لقد اخطا خطا ظاهر الاخفا
فالواجب على كل احد ان يكون معه صلى الله عليه وسلم في كل ما
يختاره وان كان فيه اعظم المشقات عليه تخلقا بقول الشاعر

وقف الهوى بي حيث انت فليس لي ● متاخر عنه ولا متقدم ●
واهنتني فاهنت نفسي عامدا ● ما من يهون عليك ممن يكرم ●

فلما نزلت هذه الاية رضيت بذلك زينب وجعلت امرها بيد النبي
صلى الله عليه وسلم وكذلك اخوها فانكحها النبي صلى الله عليه وسلم زيدا
فدخل بها وساق اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة دنانير وستين
درهما وخمارا ودرعا وازارا وملحفة وخمسين مدا من الطعام وثلاثين
صاعا من تمر ومكثت عنده حينا ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى
يوما الى زيد ذات يوم لحاجة فابصر زينب قائمة في درع وخمار
وكانت بيضا جميلة ذات خلق اتم من نسا قريش فوقعت في نفسه واعجبه
حسنها فقال سبحان الله مقلب القلوب وانصرف فلما جا زيد ذكرت
ذلك له ففطن زيد فالقي في نفس زيد كراهتها في الوقت فاتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال اني اريد ان افارق صاحبتي قال ما لك
ارابك منها شي قال لا والله يا رسول الله ما رايت منها الا خيرا ولكنها
تتعاظم على لشرفها وتوذيني بلسانها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم

امسك عليك زوجك زينب بنت جحش واتق الله في امرها فانزل الله تعالى
واذ تقول للذي انعم الله اي الملك الذي له جميع العظمة كل الكمال وتولي نبيه
عليه بالاسلام وتولي نبيه عليه الصلاة والسلام اياه وقرا نافع وابن
كثير وابن ذكوان وعاصم بالاظهار والباقون بالادغام ثم بين تعالى
منزلته من النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى عليه وانعمت عليه اي
بالعتق والتبني حيث استشارك بفراق زوجته التي اخبرك الله تعالى
انه يفارقها وتصير زوجتك امسك عليك زوجك اي زينب واتق الله الذي
له جميع العظمة في جميع امرك وتخفي اي والحال انك تخفي اي تقول
قولا تخفيا ما في نفسك اي ما اخبرك الله من انها ستصير احدى
زوجاتك عند طلاق زيد ما الله مبديه اي مظهره بحمل زيد على
تطليقها وان امرته بامساكها وتزويجك بها وامرك بالدخول عليها
وهذا دليل على انه ما اخفى غير ما اعلمه الله تعالى من انها ستصير زوجته
عند طلاق زيد لان الله تعالى ما ابدا غير ذلك ولو اخفى غيره لابداه سبحانه
لانه لا يبدل له وقول ابن عباس كان في قلبه حبها بعيد وكذا قول قتادة
ودانه لو طلقها زيد وكذا قول غيرهما كان في قلبه لو فارقها زيد تزوجها
ولما ذكر تعالى اخفاه ذلك ذكر علته بقوله تعالى عاطفا على تخفي وتخشى
الناس اي من ان تخبر بما اخبر الله تعالى به فيصوبوا اليك مرجمات الظنون
لا سيما اليهود والمنافقون وقال ابن عباس والحسن تستحييهم
وقيل تخاف لائمة الناس ان يقولوا امر رجلا بطلاق امراته ثم نكحها والله
اي والحال ان الذي لا شيء اعظم منه احق ان تخشاه اي وحده ولا تجمع خشية
الناس مع خشيته في ان تؤخر شيئا امر خبرك به حتى يأتيك فيه
امر قال عمر وابن مسعود وعائشة ما نزل على رسول الله صلى الله عليه
وسلم اية هي اشد عليه من هذه وروي عن مسروق قال قالت
عائشة لو كتم النبي صلى الله عليه وسلم مما اوحي اليه لكتم هذه الاية
وتخفي في نفسك ما الله مبديه ويؤيد ما مر ما روي سفيان بن عيينة
عن علي عن زيد بن جدعان قال سالت علي بن الحسين زين العابدين
ما يقول الحسن في قوله تعالى وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى
الناس والله احق ان تخشاه قال قلت لما جاء زيد الى النبي صلى الله عليه
وسلم قال يا رسول الله اريد ان اطلقها فقال له امسك عليك
زوجك فقال علي بن الحسين ليس كذلك كان الله تعالى قد اعلمه انها
ستكون من ازواجه وان زيدا سيطلقها فلما جاء زيد وقال اني اريد ان اطلقها
قال له امسك عليك زوجك وقد اعلمك انها ستكون من ازواجك
وهذا هو اللائق والاليق بحال الانبيا وهو مطابق للتلاوة لان الله تعالى

ان يبدي ما اخفاه ولم يظهر غير تزويجها منه فقال تعالى فلما قضى زيد منها وطرا اي
حاجة من زواجها والدخول بها وذلك بانقضاء عدتها منه لانه بدا بعرف انه لا حاجة
له فيها وانه قد تقاصرت عنه همته والا راجعها زوجناكها اي ولم نحوجك الى ولي
من الخلق يعقد لك عليها تشريفا لك ولها بما لنا من العظمة التي خرقنا بها عوائد
الخلق حتى اذعن بذلك كل من علم به وسرت به جميع النفوس ولم يقدر منافق ولا
غيره على الخوض في ذلك ببنت شفة مما يوهنه ويؤثر فيه فلو كان الذي اضمره
رسول الله صلى الله عليه وسلم محبتها وارادة طلاقها لكان يظهر ذلك
لانه لا يجوز ان يظهره ثم يكتمه فلا يظهره فدل على انه انما عوتب على اخفاء
ما اعلمه الله تعالى من انها ستكون زوجة له وانما اخفاه استحياء ان يقول لزيد
ان التي تحتك في نكاحك ستكون زوجة لي قال البغوي وهذا هو الاولى
والاليق وان كان الاخر وهو انه اخفى محبتها ونكاحها لو طلقها لا يقدح في حال
الانبيا لان العبد غير ملوم على ما يقع من قلبه من مثل هذه الاشيا ما لم يقصد
فيه المأثم لان الود وميل النفس من طبع البشر وقوله امسك عليك زوجك
واتق الله امر بالمعروف وهو خشية الاثم فيه وقوله والله احق ان تخشاه لم
يرد به انه لم يكن يخشى الله فيما سبق فانه عليه الصلاة والسلام قال
انا اخشاكم لله واتقاكم له ولكن المعنى الله احق ان تخشاه وحده ولا
تخشى احدا معه فانت تخشاه وتخشى الناس ايضا ولكنه لما ذكر الخشية من الناس
ذكر ان الله احق بالخشية في عموم الاحوال وفي جميع الاشيا انتهى وذكر قضاء
الوطر ليعلم ان زوجة المتبنى تحل بعد الدخول بها اذا طلقت وانقضت عدتها
روى مسلم في صحيحه عن انس قال لما انقضت عدة زينب قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لزيد اذهب فاذكرها علي قال فانطلق زيد
حتى اتاها وهي تخمر عجينها قال فلما رايتها عظمت في صدري حتى
ما استطيع ان انظر اليها لان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها
فوليتها ظهري ونكصت على عقبي فقلت يا زينب ارسل رسول الله صلى
الله عليه وسلم يذكرك قالت ما انا بصانعة شيئا حتى اوامر ربي فقامت
الى مسجدها ونزل القران وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل
عليها بغير اذن قال ولقد رايتنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اطعمنا الخبز واللحم حتى امتد النهار فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في
البيت بعد الطعام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعته
فجعل يتتبع حجر نسائه يسلم عليهن ويقلن يا رسول الله كيف وجدت
اهلك قال فما ادري انا اخبرته ان القوم خرجوا او اخبرني قال فانطلق
حتى دخل البيت فذهبت ادخل معه فالقى الستر بيني وبينه ونزل الحجاب
وعن انس ما اولم النبي صلى الله عليه وسلم على شيء من نسائه ما اولم على زينب اولم بشاة

وفي رواية اكثر وافضل ما اولم على زينب قال ثابت فما اولم قال اطعمهم خبزا ولحما
حتى تركوه قال انس كانت زينب تفخر على ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
تقول زوجكن اهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات وقال
الشعبي كانت زينب تقول للنبي صلى الله عليه وسلم اني لادل عليك بثلاث
ما من نسائك امراة تدل بهن جدي وجدك واحد وانكحنيك الله في السما
وان السفير لجبريل عليه السلام واخرج ابن سعيد والحاكم عن محمد بن يحيى
ابن حبان قال جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت زيد بن حارثة
يطلبه وكان زيد انما يقال له زيد بن محمد فربما فقده رسول الله صلى
الله عليه وسلم الساعة فيقول اين زيد فجا منزله يطلبه فلم يجده
وتقوم اليه زينب بنت جحش فضلا فاعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت ليس هو ههنا يا رسول الله فادخل فابى ان يدخل فاعجبت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فولى وهو يهمهم بشي لا يكاد يفهم منه الا ربما اعلن
سبحان الله العظيم سبحان مصرف القلوب فجاء زيد حتى الى منزله
فاخبرته امراته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى منزله فقال زيد
الا قلت له ان يدخل قالت قد عرضت عليه ذلك فابى قال فسمعت شيا
قالت سمعته حين ولي وتكلم بكلام ولا افهمه وسمعته يقول سبحان
الله العظيم سبحان مصرف القلوب فجاء زيد حتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله بلغني انك جيت منزلي فهل لا دخلت يا رسول
الله لعل زينب اعجبتك فافارقها فيقول رسول الله صلى الله عليه
وسلم امسك عليك زوجك فما استطاع زيد اليها سبيلا بعد
ذلك اليوم فياتي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره فيقول
له امسك عليك زوجك ففارقها زيد واعتزلها وانقضت عدتها
فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس يتحدث مع عايشة
اذ اخذته غشية فسري عنه وهو يتبسم ويقول من يذهب
الى زينب يبشرها ان الله زوجنيها من السما واذ تقول للذي الاية
قالت عايشة فاخذني ما قرب وما بعد لما يبلغنا من جمالها واخرى
هي اعظم الامور واشرفها زوجها الله من السما وقلت هي تفخر علينا
بهذا ولما ذكر التزويج على ماله من العظمة ذكر علته بقوله تعالى
لكيلا يكون على المومنين حرج اي ضيق واثم في ازواج ادعيائهم اي الذي تبنوا
بهم واجروهم في تحريم ازواجهن مجرى ازواج البنين على الحقيقة
اذا قضوا منهن وطرا اي حاجة بالدخول بهن ثم الطلاق وانقضاء العدة
فانه لا مقطوعة في الرسم من لكي تنبيه الادعيا جمع الدعي
وهو المتبني او مروجا للزينب وهي امراة زيد الذي تبنيته ليعلم

ان زوجة

ان زوجة المتبني حلال للمتبني وان كان قد دخل بخلاف امراة ابن الصلب لا تحل
للاب وكان امر الله من الحكم بتزويجها وان كرهت وتركت اظهار ما اخبرك الله تعالى
به كراهية لسو المقالة واستحياء من ذلك وكذا كل امر يريده سبحانه مفعولا
اي قضاء الله تعالى ماضيا وحكمه نافذ في كل ما اراده لا معقب لحكمه ما كان على
النبي اي الذي منزلته من الله الاطلاع على ما لا يطلع عليه غيره من الخلق من
حرج اي قدر فيما فرض الله له بما له من صفات الكمال واوجبه له لانه لم يكن على المومنين
مطلقا حرج في ذلك فكيف براس المومنين وقوله تعالى سنة الله منصوب بنزع
الخافض اي كسنة الله في الذين خلوا من قبل من الانبيا انه لا حرج عليهم فيما
ابيح لهم قال الكلبي ومقاتل اراد داوود حين جمع بينه وبين المراة التي هويها
فكذلك جمع بين محمد وبين زينب وقيل اراد بالسنة النكاح فكان من سنة الانبيا
عليهم السلام فكان من كان من الانبيا هذا سنتهم فقد كان لسليمان
ابن داوود الف امراة وكان لداوود ماة امراة وكان امر الله اي قضاء
الملك الاعظم في ذلك وغيره قدرا واكده بقوله تعالى مقدورا اي لا خلف
فيه ولا بد من وقوعه في حينه الذي حكم بكونه فيه وقوله تعالى الذين نعت
للذين قبله يبلغون اي الى اممهم رسالات الله اي الملك الاعظم سواء
كانت في نكاح ام غيره ويخشونه اي فيخبرون بكل ما اخبرهم به ولا يخشون احدا
قل او جل الا الله اي المحيط بجميع صفات الكمال حسيبا اي حافظا لاعمال
خلقه ومحاسبهم ولما افاد هذا كله ان الدعي ليس ابنا وكانوا قد قالوا
لما تزوج زينب كما رواه الترمذي عن عايشة تزوج حليلة ابنه قال تعالى
ما كان اي بوجه من الوجوه محمد اي على كثرة نسائه واولاده ابا احد
من رجالكم لا مجازا بالتبني ولا حقيقة بالولادة فثبت بذلك انه
يحرم عليه زوجة الابن ولم يقل تعالى من بنيكم فانه لم يكن له في ذلك الوقت
سن وما دانا ها ابن ذكر لعلمه تعالى انه سيولد له ابنه ابراهيم عليه
السلام مع ما كان معه قبله من البنين الطاهر والطيب والقاسم
وانه لم يبلغ احد منهم الحلم عليهم السلام قال البيضاوي ولو بلغوا
لكانوا رجاله لا رجالهم انتهى وهذا انما ياتي على ان المراد النبي وقال
البغوي والصحيح انه اراد باحد من رجالكم الذين لم يلدهم انتهى ومع هذا
الاول له وجه كما جرى عليه البقاعي ثم لما نفى تعالى ابوته عنهم قال ولكن
كان في علم الله غيبا وشهادة رسول الله اي الملك الاعظم الذي كل من
سواه عبده وخاتم النبيين اي اخرهم الذين ختمهم لان رسالته عامة
ومعها اعجاز القران فلا حاجة مع ذلك الى استنباء ولا ارسال وذلك
مقتض لانه لا يبلغ له ولد اذ لو بلغ له ولد لاق منصبه ان يكون منبيا
اكراما له لانه اعلى النبيين رتبة واعظمهم شرفا وليس لاحد من

اي لا يخشون قالة الناس فيما احل الله لهم

لانبيا كرامة الاوله مثلها واعظم منها ولو صار منها احد من ولده رجلا لكان نبيا
بعد ظهور نبوته وقد قضى الله تعالى ان لا يكون بعده نبيا اكراما له روى احمد
وابن ماجه عن انس وابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في ابنه ابراهيم
عليه السلام لو عاش لكان صديقا نبيا وللبخاري نحوه عن البرا ابن عازب
وللبخاري من حديث بن ابي اوفى لو قضى ان يكون بعد محمد نبي لعاش ابنه ولكن
لا نبي بعده وقال ابن عباس يريد لو لم اختم به النبيين لجعلت من بعده
ابنا يكون نبيا من بعده وروى عطا عن ابن عباس لما حكم انه لا نبي بعده لم يعطه ولدا ذكرا
يصير رجلا وقيل من لا نبي بعده يكون اشفق على امته واهدى لهم اذ هو
كالوالد لولد ليس له غيره والحاصل انه لا ياتي بعده نبي مطلقا بشرع جديد
ولا يجدد بعده مطلقا استنبا وهذه الاية مثبتة لكونه خاتما على ابلغ
وجه واعظمه وذلك انها في سياق الانكار بان يكون بينه وبين احد من رجالكم
نبوة حقيقية او مجازية ولو كانت بعده لاحد لم يكن ذلك الا لولده
ولان فائدة اثبات النبي تتميم شي لم يات به من قبله وقد حصل به صلى الله عليه
وسلم التمام فلم يبق بعد ذلك مرام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق واما تجديد ما
وهي مما احد بعض الفسقة فالعلما كافون به لوجود ما خص به صلى الله عليه وسلم
من هذا القرآن المعجز الذي من سمعه فكانما سمعه من الله عز وجل لو قوع
التحقق والقطع بانه لا يقدر غيره ان يقول شيا منه فمهما حصل ذهول عن
ذلك قيض من يريد الله تعالى من العلما فيعود الاستبصار كما روي في بعض
الاثار علماء امتي كانبيا بني اسرائيل واما اتيان عيسى عليه السلام
بعد تجديدا لهدي لجميع ما وهي من اركان المكارم فلاجل فتنة الدجال
ثم طامة ياجوج وماجوج ونحو ذلك مما لا يستقل باعبائه غير نبي
وما احسن قول حسان بن ثابت في مرثية ابراهيم بن النبي صلى
الله عليه وسلم

مضى ابنك محمود العواقب لم يشب ٭ بعيب ولم يذمم بقول ولا فعل
رأى انه ان عاش ساواك في العلا ٭ فاثر ان يبقى وحيدا بلا مثل

وقال الغزالي في اخر كتابه الاقتصاد ان الامة فهمت من هذا اللفظ
ومن قراين احواله صلى الله عليه وسلم انه افهم عدم نبي بعده ابدا
وانه ليس فيه تاويل ولا تخصيص وقال ان من اوله بتخصيص النبيين
باولي العزم من الرسل ونحو هذا فكلامهم من انواع الهذيان لا يمنع
الحكم بتكفيره لانه مكذب لهذا النص الذي اجمع الامة على انه غير مؤول
ولا مخصوص اهـ وقد بان بهذا ان اتيان النبي صلى الله عليه وسلم
عيسى عليه السلام غير قادح في هذا النص فانه من امته صلى الله عليه
وسلم المقرر لشريعته وهو قد كان نبيا قبله لم يتجدد له شي لم يكن ذلك

فادحا في الختم وهو مثبت لشرف نبينا صلى الله عليه وسلم اذ لولاه لما وجد وذلك
انه لم يكن لنبي من الانبيا شرف الاوله صلى الله عليه وسلم مثله او اعلى منه وقد كانت
الانبيا في مقررة لشريعة موسى عليه السلام مجددة لها فكان المقرر
لشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم المتبع لملته من كان ناسخا لشريعة موسى
صلى الله عليه وسلم وقرا عاصم بفتح التاء والباقون بكسرها فالفتح اسم
للالة التي يختم بها كالطابع والقالب لما يطبع به ويقلب فيه والكسر
على انه اسم فاعل وقال بعضهم هو بمعنى المفتوح يعني بمعنى اخرهم
لانه ختم النبيين فهو خاتمهم وكان الله اي الذي له كل صفة كمال
ازلا وابدا بكل شيء من ذلك وغيره عليما فيعلم من يليق بالختم ومن يليق
بالبدء قال الاستاذ ولي الدين الملوي في كتابه حصن النفوس
في سؤال القبر واختصاصه صلى الله عليه وسلم بالاحمدية والمحمدية علما
وصفة برهان على ختمه اذ الحمد مقرون بانقضا الامور مشروع عنده واخر
دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال مثلي ومثل الانبيا كمثل قصر احكم بنيانه ترك منه موضع
لبنة فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنائه الا موضع تلك اللبنة لا يعيبون
بسواها فكنت انا موضع تلك اللبنة ختم بي البنيان وختم بي الرسل وقال
عليه الصلاة والسلام ان لي اسما انا محمد وانا احمد وانا الماحي يمحو الله
تعالى بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الله تعالى الناس على قدمي وانا العاقب
والعاقب الذي ليس بعده نبي ولما كان ما اثبته لنفسه سبحانه وتعالى
من احاطة العلم مستلزما بالاحاطة باوصاف الكمال قال تعالى
يا ايها الذين امنوا اي ادعوا ذلك بالسنتهم اذكروا الله الذي هو اعظم
من كل شي تصديقا لدعواكم ذلك ذكرا كثيرا قال ابن عباس لم يفرض
الله تعالى على عباده فريضة الا جعل لها حدا معلوما ثم عذر اهلها في
حال العذر غير الذكر فانه لم يجعل له حدا ينتهي اليه ولم يعذر اهله في تركه
الا مغلوبا على عقله وامرهم به في الاحوال فقال تعالى فاذكروا الله
قياما وقعودا وعلى جنوبكم وقال تعالى واذكروا الله ذكرا كثيرا اي
بالليل والنهار والبحر والبر والصحة والسقم في السر والعلانية
وقال مجاهد الذكر الكثير ان لا ينساه ابدا فيعم ذلك سائر الاوقات وسائر
ما هو اهله من التقديس والتهليل والتمجيد وسبحوه بكرة واصيلا اي اول النهار
واخره خصوصا وتخصيصهما بالذكر للدلالة على فضلهما على سائر الاوقات
لكونهما مشهودين كل فراد التسبيح من جملة الاذكار لانه العمدة فيها وقال
البغوي وسبحوه اي صلوا له بكرة اي صلاة الصبح واصيلا يعني صلاة العصر
وقال الكلبي واصيلا يعني صلاة الظهر والعصر والعشا اين وقال مجاهد

في

معناه قولوا سبحان الله والحمد لله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله فعبر بالتسبيح
عن اخوانه وقيل المراد من قوله تعالى ذكرا كثيرا هذه الكلمات يقولها الطاهر والجنب
والمحدث وعن انس لما نزل قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي
قال ابو بكر يا رسول الله ما انزل الله تعالى عليك خيرا الا اشركنا فيه
انزل الله تعالى هو الذي يصلي عليكم اي يرحمكم وملائكته اي يستغفرون لكم
فالصلاة من الله رحمة ومن الملائكة استغفار للمؤمنين فذكر صلاته
تحريضا للمؤمنين على الذكر والتسبيح قال السدي قالت بنو اسرائيل
لموسى عليه السلام ايصلي ربنا فكبر هذا الكلام على موسى فاوحى الله تعالى
قل لهم اني اصلي وان صلاتي رحمتي وقد وسعت رحمتي كل شيء وقيل الصلاة
من الله هي اشاعة الذكر الجميل له في عباده وقيل الثناء عليه واستغفار
الملائكة ودعاؤهم للمؤمنين ترحم عليهم وهو سبب الرحمة من حيث
انهم مجابو الدعوة فقد اشترك الصلاتان واللفظ المشترك يجوز
استعماله في معنييه معا وكذلك الجمع بين الحقيقة والمجاز في لفظ جائز
قال الرازي ويجب هذا القول للشافعي رحمه الله تعالى وهو غير بعيد
وذلك لان الرحمة والاستغفار مشتركان في العناية بحال المرحوم والمستغفر
له والمراد هو القدر المشترك فتكون الدلالة تضمينية ولما كان فعل الملائكة
منسوبا اليه قال تعالى ليخرجكم اي ليديم اخراجه اياكم بذلك من
الظلمات اي الكفر والمعصية الى النور الى الايمان والطاعة او ليخرجكم
من الجهل الموجب للضلال الى العلم المثمر للهدى وكان اي ازلا وابدا ....
بالمؤمنين اي الذين صار الايمان وصفا لهم رحيما اي بليغ الرحمة
بتوفيقهم حيث اعتنى بصلاح امرهم واستعمل في ذلك ملائكته المقربين
فحملهم ذلك على الاخلاص في الطاعات فرفع لهم الدرجات في روضات
الجنات تحيتهم اي المؤمنين يوم يلقونه اي يرون الله سلام اي
يسلم الله تعالى عليهم ويسلمهم من جميع الآفات وروي عن البراء بن عازب
قال تحيتهم يوم يلقونه سلام يعني يلقون ملك الموت لا يقبض روح مؤمن
الا يسلم عليه وعن ابن مسعود قال اذا جاء ملك ليقبض روح المؤمن قال
ربك يقرئك السلام وقيل تسلم عليهم الملائكة وتبشرهم حين يخرجون
من قبورهم واعد اي والحال انه اعد لهم اي بعد السلامة الدائمة اجرا
كريما هو الجنة وتقدم ذكر الكريم في الرزق فان قيل الاعداد
انما يكون ممن لا يقدر عند الحاجة الى الشيء عليه واما الله تعالى فغير محتاج ولا
عاجز بحيث يلقاه يوتيه ما يرضى به وزيادة فما معنى الاعداد من قبل
اجيب بان الاعداد للاكرام لا للحاجة قال البيضاوي ولعل اختلاف
النظم لمحافظة الفواصل والمبالغة فيما هو اهم يا ايها النبي اي الذي نخبره

بما اطلع عليه عزه انا ارسلناك اي بعظمتنا الى سائر خلقنا شاهدا اي عليهم
بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم او شاهدا للرسل بالتبليغ وهو حال
مقدرة او مقارنة لقرب الزمان ومبشرا اي لمن آمن بالجنة ونذيرا اي لمن كذب
بالنار وداعيا اي الى توحيده وطاعته وقوله تعالى الى الله باذنه حال اي متلبسا
بتسهيله ولا يريد حقيقة الاذن لانه مستفاد من ارسلناك باذنه اي
بتيسيره وسراجا منيرا اي يستضاء به يمد البصائر فيجلي ظلمات الجهل بالعلم المبصر لمواقع الزلل
كما يمد النور الحسي نور الابصار اي نيرا على من اتبعه فيصير في اعظم
ضياء ومن تخلف عنه كان في اشد ظلام وعبر به دون الشمس مع ان الشمس
اشد اضاءة من السراج لان نور الشمس لا يؤخذ منه شيء والسراج يؤخذ
منه انوار كثيرة اذا انطفى الاول يبقى الذي اخذ منه وكذلك ان غاب
النبي صلى الله عليه وسلم كان كل صحابي سراجا يؤخذ منه نور الهداية
كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم
قال ابن عادل وفي هذا الخبر لطيفة وهي ان النبي صلى الله عليه وسلم
لم يجعل اصحابه كالسرج وجعلهم كالنجوم لان النجم لا يؤخذ منه نور
بل له في نفسه نور اذا غرب لا يبقى نور يستفاد منه فكذلك الصحابي
اذا مات فالتابعي يستنير بنور النبي صلى الله عليه وسلم فلا ياخذ الا قول
النبي صلى الله عليه وسلم وفعله فانوار المجتهدين كلهم من النبي صلى الله عليه
وسلم ولو جعلهم كالسرج والنبي صلى الله عليه وسلم كان سراجا كان للمجتهد
ان يستنير بمن اراد منهم ويحتاج ياخذ النور ممن اختار وليس كذلك فان
مع نص النبي صلى الله عليه وسلم لا يعمل بقول الصحابي بل يؤخذ النور من النبي
صلى الله عليه وسلم ولا يؤخذ من الصحابي فلم يجعله سراجا وتنبيه جوز
الفراء ان يكون الاصل وتاليا سراجا ويعني بالسراج القرآن وعلى هذا فيكون
من عطف الصفات وهي لذات واحدة لان التالي هو المرسل وقوله تعالى
وبشر المؤمنين عطف على محذوف مثل فراقب احوال امتك ولم يقل النذير
المعرضين اشارة للكرم وقوله تعالى بان لهم من الله فضلا كبيرا كقوله تعالى واعد
لهم اجرا عظيما والعظيم والكبير متقاربان ولما امره سبحانه بما يسر
نهاه عما يضر بقوله تعالى ولا تطع الكافرين والمنافقين اي لا تترك ابلاغ شيء مما
انزلته اليك من الانذار وغيره كراهة لشيء من مقالهم وافعالهم في امر زينب
وغيرها فانك نذير لهم وزاد على ما في اول السورة محط الفائدة في قوله تعالى
مصرحا لما اقتضاه ما قبله ودع اي اترك على حالة حسنة لك وامر جميل بك
اذاهم فلا تخش لهم حسابا اصلا واصبر عليه فان الله دافع عنك لانك
داع باذنه وتوكل على الله اي الملك الاعلى وكفى بالله اي الذي له الاحاطة
الكاملة وكيلا اي حافظا قال البغوي وهذا منسوخ باية القتال

قديم

ولما بدا الله تعالى بتاديب النبي صلى الله عليه وسلم بذكر ما يتعلق بجانب الله تعالى بقوله
تعالى يايها النبي اتق الله وثنى بما يتعلق بجانب من هو تحت يده من ازواجه بقوله
تعالى بعده يايها النبي قل لازواجك وثلث بما يتعلق بذكر العامة بقوله تعالى يايها
النبي انا ارسلناك شاهدا وكان تعالى كلما ذكر لنبيه مكرمة وعلمه ادبا ذكر للمومنين
ما يناسبه فلذلك بدا في ارشاد المومنين بجانب الله تعالى قال يايها الذين
امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا ثم ثنى بما يتعلق بجانب ما يتعلق بجانب من تحت ايديهم
بقوله تعالى يايها الذين امنوا اذا نكحتم المومنات اي عقدتم على الموصوفات بهذا
الوصف الشريف المقتضي لغاية الرغبة فيهن واتم الوصلة بينكم وبينهن
ثم كما ثلث في تاديب النبي بجانب الامة ثلث في حق المومنين بما يتعلق بهم فقال
بعد هذا يايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي يايها الذين امنوا صلوا
عليه فان قيل اذا كان هذا ارشادا بما يتعلق بجانب من هو من خواص
المراة فلم خص المطلقات اللاتي طلقن قبل المسيس بقوله تعالى ثم
طلقتموهن من قبل ان تمسوهن اي تجامعوهن اطلق المس على الجماع لانه طريق له كما
سمي الخمر اثما لانها سببه اجيب بان هذا ارشاد الى اعلا درجات
المكرمات ليعلم منها ما دونها وبيانه ان المراة اذا طلقت قبل المسيس لم
يحصل بينهما تاكيد العهد ولهذا قال تعالى في حق الممسوسة وكيف
تاخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا
فاذا امر الله بالتمتع والاحسان مع من لا مودة بينه وبينها فما ظنك بما
حصلت المودة بالنسبة اليها بالافضاء او حصل تاكدها بحصول الولد
بينهما وهذا كقوله تعالى ولا تقل لهما اف ولو قال لا تضربهما ولا
تشتمهما حتى ظن انه حرام لمعنى يختص بالضرب او الشتم فاما اذا قال لا
تقل لهما اف علم منه معان كثيرة فكذلك ههنا امر بالاحسان مع من لا
مودة معها علم منه الاحسان مع الممسوسة ومن لم تطلق بعد ومن ولدت
عنده منه وقرا حمزة والكسائي والنخعي بضم التا والف بعد الميم والباقون
بفتح التا والف بعد الميم ولما كانت العدة حقا للرجال وان كانت لا تسقط
باسقاطهم لما فيها من حق الله تعالى قال تعالى فما لكم عليهن من عدة
اي ايام يتربصن فيها بانفسهن تعتدونها اي تحصونها وتستوفونها
بالاقرا وغيرها فتعتدونها صفة لعدة وتعتدونها تفتعلونها اما من
العدد واما من الاعتداد اي تحتسبونها او تستوفون عددها من قولك
عد الدراهم فاعتدها اي استوفى عددها نحو كلته فاكتاله ووزنته
فاتزنه فان قيل ما الفائدة في الاتيان وحكم من طلقت على الفور بعد
العقد كذلك اجيب بان ذلك ازاحة لما قد يتوهم ان تراخي الطلاق ربما
يمكن الاصابة كما يوثر في النسب فيوثر في العدة وظاهره يقتضي عدم

وجوب

وجوب العدة بمجرد الخلوة وتخصيص المومنات والحكم عام للتنبيه على ان شان
المومن ان لا ينكح الا مومنة تخيرا لنطفة المومن وفي هذه دليل على ان تعليق الطلاق
قبل النكاح لا يصح لان الله تعالى رتب الطلاق بكلمة ثم وهي للتراخي حتى لو قال
لاجنبية اذا نكحتك فانت طالق او كل امراة اتزوجها فهي طالق فنكح لا يقع
الطلاق وهو قول علي وابن مسعود وجابر ومعاذ وعائشة وبه قال اكثر اهل
العلم منهم الشافعي واحمد واصحاب مالك وقال ربيعة ومالك والاوزاعي
ان عين امراة يقع وان عم فلا يقع وروي عكرمة عن ابن عباس انه قال كذبوا على ابن
مسعود كذب انه كان قالها فوله من عالم في الرجل يقول ان تزوجت فلانة فهي
طالق يقول الله اذا نكحتم المومنات ثم طلقتموهن ولم يقل اذا طلقتموهن
ثم نكحتموهن وروي عطا عن جابر لا طلاق قبل النكاح وقوله تعالى فمتعوهن
اي اعطوهن ما يستمتعن به محله كما قال ابن عباس اذا لم يكن سمي لها صداقا
والا فلها نصف الصداق ولا متعة لها وقال قتادة هذه الاية منسوخة
بقوله تعالى فنصف ما فرضتم اي فلا متعة لها مع وجوب نصف المفروض
واختلف في المتعة هل هي واجبة او مندوبة وهي عندنا واجبة بشروط
وقد قدمت الكلام عليها عند قوله فتعالين امتعكن وعند بعض الائمة انها
مندوبة وقال بعضهم هي مندوبة عند استحقاقها نصف المهر
واجبة عند عدمه وذهب بعضهم الى انها تستحق المتعة بكل حال
لظاهر الاية وسرحوهن سراحا جميلا اي خلوا سبيلهن بالمعروف من غير ضرار
وليس لكم عليهن عدة وقيل السراح الجميل ان يطالبه بما دفعه اليها بان
يخلي لها جميع المهر وقوله تعالى يايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن
اي مهورهن لان المهر اجر على البضع بيان لا ثار الافضل له لا لتوقف الحل
عليه وليفيد احلال المملوكة بكونه مسبية بقوله تعالى وما ملكت يمينك
مما افاء الله اي الذي له الامر كله عليك مثل صفية بنت حيي النضرية وريحانة
القرظية وجويرية بنت الحارث الخزاعية مما كان في ايدي الكفار وتقييد
الاقارب بكونهن مهاجرات معه في قوله تعالى وبنات عمك اي الشقيق
وغيره وبنات عماتك اي نسا قريش ولما بدا بالعمومة لشرفها اتبعه قوله
تعالى وبنات خالك وبنات خالاتك جارية في الافراد والجمع على ذلك النحو
من نسا بني زهرة قال البقاعي ويمكن في ذلك احتمال عجيب وهو
وبنات عمك وبنات اعمامك وبنات عماتك وبنات عمك وبنات خالك
وبنات اخوالك وبنات خالاتك وبنات خالتك انتهى وقوله تعالى اللاتي
هاجرن معك يحتمل تقييد الحل بذلك في حقه خاصة ويعضده ما روي
الترمذي والحاكم عن ام هاني بنت ابي طالب انها قالت خطبني رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله انا احللنا لك ازواجك

وروي عن ابن مسعود انه قال يقع الطلاق وهو قول ابي حنيفة واصحابه انتهى

الاية فلم اكن احل له لاني لم اهاجر كنت من الطلقا اي من الاحرار الذين اطلقوا من الاسر وخلي سبيلهم قال ابن عادل ثم نسخ شرط الهجرة في التحليل انتهى ثم ان الله تعالى ذكر ما خص به نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى **وامراة** اي حرة **مومنة ان وهبت نفسها للنبي** اي الذي اعلينا قدره بما خصصنا به **ان يستنكحها** ان يوجد نكاحه لها يجعلها من منكوحاته فتصير له بمجرد ذلك بلا مهر ولا ولي ولا شهود وخرج بالمومنة الكتابية فلا تحل له لانها تكره صحبته ولانه اشرف ان يضع ماءه في رحم كافرة ولقوله تعالى وازواجه امهاتهم ولا يجوز ان تكون المشركة ام المومنين ولخبر سالت ربي ان لا ازوج الا من كان معي في الجنة فاعطاني رواه الحاكم وصحح اسناده واما التسري بالكتابية فلا يحرم عليه قال الماوردي لانه صلى الله عليه وسلم تسرى بريحانة وكانت يهودية من بني قريظة واستشكل بهذا تعليلهم السابق بانه اشرف من ان يضع ماءه في رحم كافرة واجيب بان القصد بالنكاح اصالة التوالد فاحتيط له وبانه يلزم فيه ان تكون الزوجة المشركة ام المومنين بخلاف الملك فيهما وخرج بالحرة الرقيقة وان كانت مومنة لان نكاحها معتبر بخوف العنت وهو معصوم وبفقدان مهر حرة ونكاح غني عن المهر ابتداء وانتهاء وبرق الولد ومنصبه صلى الله عليه وسلم منزه عن ذلك تنبيه في نصب امراة وجهان احدهما انها عطف على مفعول احللنا اي واحللنا لك امراة موصوفة بهذين الشرطين قال ابو البقا وقد رد هذا قوم وقالوا احللنا ماض وان وهبت وهو صفة المراة مستقبل فاحللنا في موضع جوابه وجواب الشرط لا يكون ماضيا في المعنى قال وهذا ليس بصحيح لان معنى الاحلال هنا الاعلام بالحل اذا وقع الفعل على ذلك كما تقول ابحت لك ان تكلم فلانا ان سلم عليك والثاني انه نصب بمقدر تقديره ويحل لك امراة وفي قول الله تعالى ان وهبت ان اراد اعتراض الشرط على الشرط والثاني هو قيد في الاول ولذلك تعربه حالا لان الحال قيد ولهذا اشترط الفقها ان يتقدم الثاني على الاول في الوجود فلو قال لزوجته ان اكلت ان ركبت فانت طالق فلا بد ان يتقدم الركوب على الاكل وهذا التحقيق الحالية والتقييد كما ذكرنا اذ لو لم يتقدم لخلا جزء من الاكل غير مقيد بركوب فلهذا اشترط تقدم الثاني ولكن يشترط ان لا يكون ثم قرينة تمنع من تقدم الثاني على الاول كقوله لامراة ان تزوجتك ان طلقتك فعبدي حر لا يتصور هنا تقدم الطلاق على التزويج قال بعض المفسرين وقد عرض لي اشكال على ما قاله الفقها بهذه الاية وذلك ان الشرط الثاني هنا لا يمكن تقدمه في الوجود بالنسبة الى الحكم بالنبي صلى الله عليه وسلم لانه يمكن عقلا وذلك ان المفسرين فسروا قوله تعالى

ان اراد النبي

ان اراد

ان اراد بمعنى قبل الهبة لان بالقبول منه صلى الله عليه وسلم يتم نكاحه وهذا لا يتصور تقدمه على الهبة اذ القبول متاخر فان القصة كانت في تاخر ارادته عن هبتها ولما جاء ابو حيان الى هنا جعل الشرط الثاني متقدما على الاول على القاعدة العامة ولم يستشكل شيا مما ذكر قال ذلك البعض وقد عرضت هذا الاشكال على جماعة من اعيان زماننا فاعترفوا به ولم يظهر عنه جواب الا ما قدمته من انه ثم قرينة مانعة من ذلك كما مثلته آنفا ولما كان ربما فهم ان غير النبي صلى الله عليه وسلم يشاركه في هذا المعنى قال الله منبها للخصوصية **خالصة لك** وزاد المعنى بيانا بقوله تعالى **من دون المومنين** اي من الانبياء وغيرهم تنبيهات الاعراب الاول في اعراب خالصة وفيه اوجه احدها انه منصوب على الحال من فاعل وهبت اي حالة كونها خالصة لك دون غيرك ثانيها انها نعت مصدر مقدر اي هبة خالصة فنصبها بوهبت ثالثها انها حال من امراة لانها وصفت فتخصصت وهو بمعنى الاول وهو ما ذهب اليه الزجاج وقيل غير ذلك والمعنى انا احللنا لك امراة مومنة وهبت نفسها لك بغير صداق التنبيه الثاني في انعقاد النكاح بلفظ الهبة في حق الامة وفيه خلاف فقال سعيد بن المسيب والزهري ومجاهد وعطا لا ينعقد الا بلفظ الانكاح والتزويج وبه قال مالك وربيعة والشافعي ومعنى الاية ان اباحة الوطي بالهبة وحصول التزويج بلفظها من خواصه صلى الله عليه وسلم قال النخعي وابو حنيفة واهل الكوفة ينعقد بلفظ الهبة والتمليك وان معنى الاية ان تلك المراة صارت خالصة زوجة من امهات المومنين لا تحل لغيرك ابدا بالتزويج واجيب بان هذا التخصيص بالواهبة لا فائدة فيه فان ازواجه صلى الله عليه وسلم كلهن خالصات له وما للتخصيص فائدة التنبيه الثالث في التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم هل كانت عنده امراة منهن فقال عبد الله بن عباس ومجاهد لم يكن عند النبي صلى الله عليه وسلم امراة وهبت نفسها منه ولم يكن عنده امراة الا بعقد نكاح او ملك يمين وقوله تعالى ان وهبت نفسها على طريق الشرط والجزا وقال غيرهما بل كانت موهوبة وهو ظاهر الاية واختلفوا فيها فقال الشعبي هي زينب بنت خزيمة الهلالية يقال لها ام المساكين وقال قتادة هي ميمونة بنت الحارث وقال علي بن الحسين والضحاك ومقاتل هي ام شريك بنت جابر من بني اسد وقال عروة بن الزبير هي خولة بنت حكيم من بني سليم التنبيه الرابع في ذكر شيء من خصائصه صلى الله عليه وسلم وقد ذكرت منها اشيا كثيرة بشرح الصدر بها في شرح

يج

بة

النبيه فلا اطيل بذكرها هنا ولكن اذكر منها طرفا يسيرا تبركا ببركة صاحبها عليه افضل الصلاة والسلام فان ذكرها مستحب قال النووي في روضته ولا يبعد القول بوجوبها لئلا يرى الجاهل بعض الخصايص في الخبر الصحيح فيعمل به اخذا باصل التاسي فوجب بيانها لتعرف وهي اربعة انواع احدها الواجبات وهي اشيا كثيرة منها الضحى والوتر والاضحية وفي الحديث ما يدل على ان الواجب اقل الضحى وقياسه ان الوتر كذلك ومنها السواك لكل صلاة والمشاورة لذوي الاحلام في الامر وتخيير نسايه بين مفارقته طلبا للدنيا واختياره طلبا للاخرة ولا يشترط الجواب له منهن فورا فلو اختارته واحدة لم يحرم عليه طلاقها او كرهته توقفت الفرقة على الطلاق وليس قولها اخترت نفسي بطلاق كما مر الاشارة اليه وله تزوجها بعد الفراق النوع الثاني المحرمات وهي اشيا كثيرة منها الزكاة والصدقة وتعليم الخط والشعر ومد العين الى متاع الدنيا وخاينة الاعين وهي الايما بما يظهر خلافه دون الخديعة في الحرب وامساك من كرهت نكاحه ومنها نكاح كتابية لا التسري بها كما مر ولا يحرم عليه اكل الثوم ونحوه ولا الاكل متكيا النوع الثالث التخفيفات والمباحات وهي كثيرة جدا منها تزويج من شاء من النسا لمن شاء ولو لنفسه بغير اذن من المراة ووليها متوليا للطرفين وزوجه الله تعالى وابيح له الوصال وصفي المغنم ويحكم ويشهد لولده ولنفسه وابيح له نكاح تسع نسوة وقد تزوج صلى الله عليه وسلم بضعة عشر ومات عن تسع فالحكمة وكثرة الزوجات في حقه صلى الله عليه وسلم في تبليغ الاحكام عنه الواقعة سرا مما لا يطلع عليه الرجال ونقل محاسنه الباطنة فانه صلى الله عليه وسلم تكمل له الظاهر والباطن وحرم الزيادة عليهن ثم نسخ وسياتي ذلك ان شاء الله تعالى وينعقد نكاحه محرما وبلفظ الهبة ايجابا لا قبولا بل يجب لفظ النكاح والتزويج لظاهر قوله تعالى ان اراد النبي ان يستنكحها ولا مهر للواهبة له وان دخل بها ويجب اجابته على امراة رغب فيها ويجب على زوجها طلاقها لينكحها النوع الرابع الفضايل وهي كثيرة لا تدخل تحت الحصر منها تحريم منكوحاته على غيره سواء كن موطوآت ام لا مطلقات باختيارهن ام لا وتحريم سراريه وهن اماوه الموطوآت بخلاف غير الموطوآت وتقدم ان نساه امهات المومنين لا المومنات بخلافه صلى الله عليه وسلم فانه ابو الرجال والنسا وتقدم الكلام على قوله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم وان ثوابهن وعقابهن يضاعف ومنها انه يحرم سوالهن الا من ورا حجاب

والفضلى

وافضلهن خديجة ثم عايشة وافضل نسا العالمين مريم بنت عمران اذ قيل بنبوتها ثم فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خديجة ثم عايشة ثم اسية امراة فرعون واما خبر الطبراني خير نسا العالمين مريم بنت عمران ثم خديجة بنت خويلد ثم فاطمة بنت محمد ثم اسية امراة فرعون فاجيب عنه بان خديجة انما فضلت فاطمة باعتبار الامومة لا باعتبار السيادة وتقدم انه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ومنها انه اول النبيين خلقا وافضل الخلق على الاطلاق وخص بتقديم نبوته فكان نبيا وادم منجدل في طينته وبتقديم اخذ الميثاق عليه وبانه اول من قال بلى وقت الست بربكم وبخلق ادم وجميع المخلوقات من اجله ولكتابة اسمه الشريف على العرش والسموات والجنات وساير ما في الملكوت وشق صدره الشريف وبجعل خاتم النبوة بظهره بازا قلبه وبحراسة السما من استراق السمع والرمي بالشهب وباحياء ابويه حتى امنا به وبانه اول من تنشق عنه الارض يوم القيمة واول من يقرع باب الجنة واول شافع واول مشفع واكرم بالشفاعات الخمس يوم القيمة اولها العظمى في الفصل بين اهل الموقف حين يفزعون اليه بعد الانبياء الثانية في ادخال خلق الجنة بغير حساب جعلنا الله واحبابنا منهم الثالثة في ناس استحقوا دخول النار فلا يدخلونها الرابعة في ناس دخلوا النار يخرجون منها الخامسة في رفع درجات ناس في الجنة وكلها ثبتت بالاخبار وخص منها بالعظمى ودخول خلق من امته الجنة بغير حساب وهي الثانية قال النووي في روضته ويجوز ان يكون خص بالثالثة والخامسة ايضا ونصر بالرعب مسيرة شهر وجعلت له الارض مسجدا وترابها طهورا له واحلت له الغنايم وارسل الى الكافة ورسالة غيره خاصة واما عموم رسالة نوح بعد الطوفان فلانحصار الباقين فيمن كان معه في السفينة وهو اكثر الانبيا اتباعا وامته خير الامم وافضلها الصحابة وافضلهم الخلفا الاربعة على ترتيبهم في الخلافة ثم باقي العشرة وهي معصومة لا تجتمع على ضلالة وصفوفهم كصفوف الملايكة ولها فضايل كثيرة على ساير الامم منها انها اول من يدخل الجنة بعد الانبيا ومنها وضع الاصر وليلة القدر والجمعة ورمضان على احد قولين ونظر الله تعالى لهم ومغفرته لهم اول ليلة منه وطيب خلوف فم صايمه عنده تعالى واستغفار الملايكة في ليله ونهاره وامر الله تعالى الجنة ان تتزين لهم ورصد فانهم في فقرايهم والغرة والتحجيل من اثر الوضو وسلسلة الاسناد والحفظ عن ظهر قلب واخذ العلم عن الاحداث والمشايخ وكتابه صلى الله عليه وسلم معجز محفوظ عن التغيير والتبديل واقيم بعده حجة على الناس ومعجزات

سائر الانبيا انقرضت وشريعته موبدة ناسخة لغيرها من الشرايع وتطوعه
قاعدا كقايم ويحرم رفع الصوت فوق صوته قال القرطبي وكره بعضهم
رفعه عند قبره صلى الله عليه وسلم ولا تبطل صلاة من خاطبه بالسلام
وتجب اجابته في الصلاة ولو بالفعل ولا تبطل ويحرم نداوه من ورا الحجرات
ويحرم نداوه باسمه كيا محمد لا بكنيته كيا ابا القاسم ويحرم التكني
بكنيته مطلقا وقيل تختص بزمنه وقيل عن اسمه محمد وكان يتبرك
ويستشفى ببوله ودمه وفضلاته النازلة من الدبر لا ترى بخلافها من
القبل والذي صوبه بعض المتاخرين طهارتها وهو الصواب والادبانية
ينسبون اليه واعطي جوامع الكلم وكان يوخذ عن الدنيا عند تلقي الوحي
ولا يسقط عنه التكليف ورويته في النوم حق ولا يعمل بها فيما يتعلق
بالاحكام لعدم ضبط النايم والكذب عمدا عليه كبيرة ولا يجوز الجنون
على الانبيا ولا الاحتلام ولا تاكل الارض لحومهم وفي هذا القدر
كفاية ومن اراد الزيادة على ذلك فعليه بكتب الخصايص فان العلما
قد صنفوا في ذلك تصانيف وانا اسيل الله تعالى من فضله وكرمه ان
يشفعه فينا ويدخلنا معه الجنة ويفعل ذلك باهلينا ومشايخنا
ومحبينا ولا يحرمنا زيارته ولا رويته قبل الممات ولما كان التخصيص
لا يصح ولا يتصور الا من محيط العلم بان هذا الامر ما كان لغير المخصوص
تام لقدرة ليمنع غيره من ذلك قال تعالى **قد** اي اخبرناك بان هذا
ام يخصك غيرهم لانا قد **علمنا ما فرضنا عليهم** اي قدرنا بعظمتنا **عليهم**
اي المومنين **في ازواجهم** اي من شرايط العقد وانهم لا تحل لهم امراة بلفظ
الهبة منها ولا بدون مهر ولا بدون ولي ولا شهود وهذا عام لجميع المومنين
والمتاخرين **و** في **ما ملكت ايمانهم** من الاما بشرا وغيره بان تكون الامة
ممن تحل لمالكها كالكتابية بخلاف المجوسية والوثنية وان تستبري
قبل الوطي وقيل المراد ان احدا غيرك لا يملك رقبة بهبتها نفسها منه
فيكون لحق من سيدها ولما فرغ من تعليل الدونية على التخصيص
لفا ونشرا مشوشا بقوله تعالى **لكيلا يكون عليك حرج** اي ضيق
في شي من امر النسا حيث احللنا لك انواع المنكوحات وزدناك الواهبة
نفسها متعلق بخالصة وما بينهما اعتراض ومن دون متعلق بخالصة
كما تقول خلص من كذا **وكان الله** اي المتصف بصفة الكمال ازلا وابدا **غفورا**
رحيما اي بليغ الستر على عباده ولما ذكر تعالى ما فرض في الازواج والاما
الشامل للعدل والاحسان في عشرتهن وكان صلى الله عليه وسلم اعلى
الناس قدرا وفهما واشدهم لله خشية وكان يعدل بينهن ويعتذر
مع ذلك عن ميل القلب الذي هو خارج عن طوق البشر بقوله اللهم هذا

قسمي

قسمي فيما املك فلا تلمني فيما لا املك خفف عنه سبحانه بقوله تعالى
ترجي اي توخر وتترك مضاجعتها **من تشاء منهن وتووي** اي تضم **اليك**
من تشاء وتضاجعها وقرا نافع وحفص وحمزة والكسائي بيا ساكنة بعد
الجيم من الرجا اي توخرها مع افعال تكون بها راجية لعطفك والباقون
بهمزة مضمومة وهو مطلق التاخير **ومن ابتغيت** اي طلبت **ممن عزلت** اي
اي من القسمة **فلا جناح عليك** اي في وطيها وضمها اليك تنبيه اختلف
المفسرون في معنى هذه الاية فاشهر الاقوال انها في القسم بينهن
وذلك ان التسوية بينهن في القسم كانت واجبة عليه فلما نزلت هذه
الاية سقط عنه وصار الاختيار اليه فيهن وقال ابن زيد نزلت
هذه الاية حين غار بعض امهات المومنين على النبي صلى الله عليه وسلم
وطلب بعضهن زيادة في النفقة فهجرهن صلى الله عليه وسلم شهرا حتى
نزلت اية التخيير فامره الله عز وجل ان يخيرهن بين الدنيا والاخرة وان يخلي
سبيل من اختارت الدنيا ويمسك من اختارت الله ورسوله على انهن امهات
المومنين وان لا ينكحن ابدا وعلى ان يووي اليه من يشا ويرجي من يشا
فرضين قسم لهن او لم يقسم قسم لبعضهن دون بعض او فضل
بعضهن في النفقة والقسمة فيكون الامر في ذلك اليه يفعل كيف يشاء
وكان ذلك من خصايصه فرضين بذلك واخترنه على هذا الشرط وذلك
لان النبي صلى الله عليه وسلم بالنسبة الى امته نسبة السيد المطاع
والرجل وان لم يكن نبيا فالزوجة في ملك نكاحه والنكاح عليهن رق فكيف
زوجات النبي صلى الله عليه وسلم بالنسبة اليه فاذن هن كالمملوكات
له ولا يجب القسم كالمملوكات واختلفوا هل اخرج احدا منهن عن
القسم فقال بعضهم لم يخرج احدا منهن عن القسم بل كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم مع ما جعل الله له من ذلك يسوي بينهن في القسم الا سودة
فانها رضيت بترك حقها من القسم وجعلت يومها لعايشة وقيل اخرج
بعضهن روى جرير عن منصور عن ابي رزين قال لما نزلت اية التخيير
اشفقن ان يطلقهن فقلن يا رسول الله اجعل لنا من مالك ونفسك
ما شيت ودعنا على حالنا فنزلت هذه الاية فارجا رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعضهن وآوى اليه بعضهن فكان ممن آوى عايشة وحفصة
وزينب وام سلمة وكان يقسم بينهن سوا وارجا منهن خمسا ام حبيبة
وميمونة وسودة وصفية وجويرية فكان لا يقسم لهن ما شا وقال
مجاهد ترجي من تشا منهن اي تعزل من تشا منهن بغير طلاق وترد
اليك من تشاء بعد العزل بلا تجديد عقد وقال ابن عباس تطلق من
تشا منهن وتمسك من تشا وقال الحسن تترك نكاح من شيت

من نساء امتك قال وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب امراة لم يكن لغيره
خطبتها حتى يتركها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل تقبل من تشا من
المومنات اللاتي يهبن انفسهن لك فتؤويها اليك وتترك من تشا فلا تقبلها
روي هشام عن ابيه قال كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن انفسهن
للنبي صلى الله عليه وسلم فقالت عايشة اما تستحيي المراة ان تهب نفسها
للرجل فلما نزلت ترجي من تشاء منهن قلت يا رسول الله ما اري ربك الا
يسارع في هواك ذلك اي التفويض الي مشيتك ادني اي اقرب الي
ان تقر اعينهن اي بما حصل لهن من عشرتك الكريمة وهو
كناية عن السرور والطمانينة ببلوغ المراد لان من كان كذلك كانت
عينه فارغة ومن كان مهموما كانت عينه التقلب هذا اذا كان من القرار
بمعنى السكون ويجوز ان يكون من القر الذي هو ضد الحر لان المسرور تكون
عينه باردة والمهموم تكون عينه حارة فلذلك يقال للصديق اقر الله تعالى
عينك وللعدو اسخن الله عينك ولا يحزن اي بالفراق وغيره مما يحزن
من ذلك ويرضين لعلمهن ان ذلك من الله تعالى بما اتيتهن اي من الاجور
وغيرها من نفقة وحسم وايثار وغيرها ثم اكد ذلك بقوله تعالى
كلهن اي ليس منهن واحدة الا هي كذلك لان حكم كلهن فيه سواء ثم ان
سويت بينهن وجدت ذلك تفضلا منك وان رجحت بعضهن علمن انه
بحكم الله تعالى فتطمين نفوسهن وزاد لذلك تاكيدا لما دلت من القرابة
بقوله تعالى والله اي لما له من الاحاطة بصفات الكمال يعلم ما في قلوبكم
اي الخلايق كلهم فلا بدع ان يعلم ما في قلوب هولاء وكان الله اي ازلا وابدا
عليما اي بكل شي من يطيعه ومن يعصيه حليما لا يعاجل من عصاه بل يديم
احسانه اليه في الدنيا فيجب ان يتقي لعلمه وحلمه فعلمه موجب للخوف
منه وحلمه مقتض للاستحيا منه واخذ الحليم شديد فينبغي لعبد المجد
له ان يحلم عن من يعلم تقصيره في حقه فانه سبحانه ياجره على ذلك بان
يحلم عنه فيما علم منه ويرفع قدره ويعلي ذكره روي البخاري في التفسير
عن معاذ عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستاذن في
يوم المراة منا بعد ان انزلت هذه الاية ترجي من تشا منهن الاية قلت
لها ما كنت تقولين قالت كنت اقول له ان كان ذاك الي فاني لا اريد يا رسول الله
ان اوثر عليك احدا ولما امر الله تعالى بالتخيير وخيرهن واخترن الله ورسوله
زاد الله تعالى سرورهن بقوله تعالى لا يحل لك النسا من بعد اي بعد
من معك من هولا التسع اللاتي اخترنك شكرا من الله لهن لكونهن لما نزلت
اية التخيير اخترن الله ورسوله فحرم عليه النسا سواهن ونهاه عن
تطليقهن وعن الاستبدال بهن بقوله تعالى ولا ان تبدل بهن اي هولا

التسع

التسع واغرق في النفي بقوله تعالى من اي شي من ازواج اي بان تطلقهن اي
هولا المعينات او بعضهن وتاخذ بدلها من غيرهن ولو اعجبك حسنهن
اي النسا المغايرات لمن معك قال ابن عباس يعني اسما بنت عميس
الخثعمية امراة جعفر بن ابي طالب فلما استشهد اراد رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان يخطبها فنهي عن ذلك وقرا ابو عمرو لا تحل لك بالتا الفوقية
والباقون باليا التحتية وشذ الزي التا من ان تبدل تحتية في الاية دليل على
اباحة النظر الي من يريد نكاحها لكن من غير العورة في الصلاة فينظر الرجل من الحرة
الوجه والكفين ومن الامة ما عدا ما بين السرة والركبة واحتج لذلك بقوله
صلى الله عليه وسلم للمغيرة وقد خطب امراة انظر اليها فانه احري ان يودم
بينكما اي تدوم المودة والالفة رواه الحاكم وصححه وقوله تعالى الا ما ملكت
يمينك استثنا من النسا لانه يتناول الازواج والاما اي فيحل لك وقد
ملك بعدهن مارية وولدت له ابراهيم ومات واختلفوا هل ابيح له النسا
من بعد قالت عايشة ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل له النسا
اي فنسخ ذلك وابيح له ان ينكح اكثر منهن باية انا احللنا لك ازواجك
فانه قيل هذه الاية متقدمة وشرط الناسخ ان يكون متاخرا اجيب
بانها موخرة في النزول متقدمة في التلاوة وهذا اصح الاقوال وقال انس
مات على التحريم وقال عكرمة والضحاك معنى الاية لا تحل لك النسا
بعد التي احللنا لك بالصفة التي تقدم ذكرها وقيل لابي بن كعب لو مات نسا
النبي صلى الله عليه وسلم اكان يحل له ان يتزوج قال وما يمنعه من ذلك
قال قوله تعالى لا يحل لك النسا من بعد قال انما احل الله تعالى له ضربا من النسا
فقال يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك ثم قال لا يحل لك النسا من
بعد قال ابو صالح امر ان لا يتزوج اعرابية ولا غريبة ويتزوج من نسا قومه
من بنات العم والعمة والخال والخالة ان شا ثلثماية وقال مجاهد لا يحل
لك اليهوديات ولا النصرانيات بعد المسلمات ولا ان تبدل بهن يقول
ولا ان تبدل بالمسلمات غيرهن من اليهود والنصارى وقال ابن زيد في
قوله تعالى ولا ان تبدل بهن من ازواج كانت العرب في الجاهلية يتبادلون
بازواجهم يقول الرجل للرجل بادلني بامراتك وابادلك بامراتي تنزل لي عن
امراتك وانزل لك عن امراتي فانزل الله تعالى ولا ان تبدل بهن من ازواج يعني
تبادل بازواجك غيرك بان تعطيه زوجتك وتاخذ زوجته الا ما ملكت
يمينك لا باس ان تبادل بجاريتك ما شئت فاما الحراير فلا روي عطا بن
يسار عن ابي هريرة قال دخل عيينة بن حصن على رسول الله صلى
الله عليه وسلم بغير اذن ومعه عايشة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
يا عيينة اين الاستيذان قال يا رسول الله ما استاذنت على رجل من مضر

مذا دركت ثم قالت من هذه الحميرا الي جنبك فقال هذه عايشة ام المومنين فقال
عيينة الا انزل لك عن احسن الخلق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الله قد حرم ذلك فلما خرج قالت عايشة من هذا يا رسول الله قال هذا احمق
مطاع وانه على ما ترين لسيد قومه ولما امر تعالى في هذه الايات باشياء ونهى عن
اشياء وحد حدودا احذر من التهاون بشي منها ولو بنوع من تاويل بقوله تعالى
وكان الله اي الذي لا شي اعظم منه وهو المحيط بجميع صفات الكمال على كل شي
رقيبا اي حافظا عالما بكل شي قادرا عليه فتحفظوا امركم ولا تتخطوا ما اخذ
لكم وهذا من اشد الاسما وعيدا ولما ذكر تعالى حالة النبي صلى الله عليه وسلم
مع امته في قوله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ذكر حالهم معه من
الاحترام له صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اي ادعوا
الايمان صدقوا دعواكم فيه بان لا تدخلوا بيوت النبي اي الذي ياتيه الاخبار
من علام الغيوب بما فيه رفعته في حال من الاحوال اصلا الا في حال
ان يؤذن لكم اي ممن له الاذن في بيوته صلى الله عليه وسلم منه او ممن
ياذن له في الدعاء الى طعام اي اكله حال كونكم غير ناظرين اي منتظرين اناه
اي نضجه وهو مصدر انى ياني وقرا هشام وحمزة والكسائي بالامالة وورش
بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح ولما كان هذا الدخول بالاذن مطلقا
وكان يراد تقييده قال تعالى ولكن اذا دعيتم اي ممن له الدعوة فادخلوا
اي لاجل ما دعاكم له ثم سبب عنه قوله تعالى فاذا طعمتم اي اكلتم طعاما او
شربتم شرابا فانتشروا اي اذهبوا حيث شئتم في الحال ولا تمكثوا
بعد الاكل او الشرب لا مستريحين لقرار الطعام ولا مستانسين
لحديث اي طالبين الانس لاجله فانه قال الحسن حسبك
بالثقلاء ان الله لم يتجوز في امورهم وعن عايشة انها قالت حسبك
بالثقلاء ان الله لم يحتملهم ثم علل ذلك تعالى مصوبا الخطاب الى جميعهم
معظما له باداة البعد ان ذلكم اي الامر الشديد وهو المكث بعد الفراغ
كان يؤذي النبي الذي هيأناه لسماع ما ننبئه به مما يكون سببه شرفكم
وعلوكم في الدارين فاحذروا ان تشغلوه عن شي منه ثم سبب عن ذلك المانع
له من مواجهتهم له بما يزيل اذاه بقوله تعالى فيستحيي منكم اي ان يامركم
بالانصراف والله اي الذي له جميع الامر لا يستحيي من الحق اي لا يفعل
فعل المستحيي فيؤديه ذلك الى ترك الامر به تنبيه قال اكثر المفسرين
نزلت هذه الاية في شان وليمة زينب حين بنا بها رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما روي ابن شهاب قال اخبرني انس بن مالك انه كان
ابن عشر سنين فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال
وكانت امهاتي تواظبني على خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم

فخدمته

فخدمته عشر سنين وتوفي وانا ابن عشرين سنة فكنت اعلم الناس بشان الحجاب
حين انزل وكان اول ما انزل في مبتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب
بنت جحش اصبح النبي صلى الله عليه وسلم بها عروسا فدعى القوم واصابوا
من الطعام ثم خرجوا وبقي رهط منهم عند النبي صلى الله عليه وسلم فاطالوا
المكث فقام النبي صلى الله عليه وسلم فخرج وخرجت معه لكي يخرجوا فمشى
النبي صلى الله عليه وسلم ومشيت حتى جا عتبة حجرة عايشة ثم ظن انهم
قد خرجوا فرجع ورجعت معه حتى اذا دخل على زينب فاذا هم جلوس لم
يخرجوا فرجع النبي صلى الله عليه وسلم ورجعت معه فاذا هم قد خرجوا
فضرب النبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينه الستر ونزلت اية الحجاب
وقال ابو عثمان واسمه الجعد عن انس قال فدخل يعني رسول الله
صلى الله عليه وسلم البيت وارخى الستر واني لفي الحجرة وهو يقول
يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى
قوله تعالى والله لا يستحيي من الحق وروي عن ابن عباس انها نزلت في ناس
من المسلمين كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيدخلون عليه قبل الطعام الى ان يدرك ثم ياكلون ولا يخرجون وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يتاذى بهم فنزلت الاية يا ايها الذين
امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الاية روي ابو يعلى الموصلي عن انس
قال بعثتني ام سليم برطب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فوضعته بين يديه فاصاب منه ثم اخذ بيدي وخرجنا وكان حديث
عهد بعرس زينب بنت جحش قال فمر بنسا من نسائه وعندهن
رجال يتحدثون فهنيته وهناه الناس فقالوا الحمد لله اقر بعينك
يا رسول الله فمضى حتى اتى عايشة فاذا عندها رجال قال فكره ذلك
وكان اذا كره الشي عرف في وجهه قال فاتيت ام سليم فاخبرتها فقال
ابو طلحة لين كان ما قلت ابنك ليحدثن امر فلما كان من العشي خرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم فصعد المنبر ثم تلى هذه الاية يا ايها الذين امنوا
لا تدخلوا الاية وروي البخاري وغيره عنه قال كان النبي صلى
الله عليه وسلم عروسا بزينب فقالت لي ام سليم لو اهديت للنبي صلى
الله عليه وسلم هدية فقلت لها افعلي فعمدت الى تمر واقط وسمن
فاتخذت حيسة في برمة وارسلت بها معي اليه فقال لي ضعها ثم امرني
فقال ادع لي رجالا سماهم وادع لي من لقيت ففعلت الذي امرني فعد
فرجعت فاذا البيت غاص باهله وفي رواية الترمذي ان الراوي قال
قلت لانس كم كانوا قال زهاء ثلثماية فرايت النبي صلى الله عليه
وسلم وضع يده على تلك الحيسة وتكلم بما شاء الله تعالى ثم يدعو عشرة عشرة

ياكلون منه ويقول لهم اذكروا اسم الله تعالى وليأكل كل رجل مما يليه حتى تصدعوا
كلهم عنها قال الترمذي فقال لي يا انس ارفع فرفعت فما ادري حين وضعت
كان اكثر او حين رفعت فخرج مني من خرج وبقي قوم يتحدثون فنزلت ولما كان
البيت قد يطلق على المراة لملازمتها له عادة اعاد الضمير عليه مرادا به النسا
استخداما فقال تعالى واذا سالتموهن اي الازواج متاعا اي شيا من الات
البيت فاسئلوهن اي ذلك المتاع كائنين وكائنات من ورا حجاب اي ستر
يسترهن عنكم ويستركم عنهن وقرا ابن كثير والكسائي بفتح السين ولا همزة
بعدها والباقون بسكون السين وهمزة مفتوحة بعدها ذلكم اي الامر
العالي الرتبة اطهر لقلوبكم وقلوبهن اي من وساوس الشيطان والريب لان
المعنى العين وزيرة القلب فاذا لم تنظر العين لم يشته القلب فاما اذا رات
العين فقد يشتهي القلب وقد لا يشتهي فالقلب عند عدم الروية
اطهر وعدم الفتنة حينئذ اظهر روي ابن شهاب عن عروة عن عائشة
ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل اذا تبرزن
الى المناصع وهو صعيد افيح فكان عمر يقول للنبي صلى الله عليه وسلم
احجب نساءك فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل فخرجت
سودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالي عشا
وكانت امراة طويلة فناداها عمر الا قد عرفناك يا سودة حرصا على ان
ينزل الحجاب فانزل الله عز وجل الحجاب وعن انس قال قال عمر وافقت
ربي في ثلاثة قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى
وقلت يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المومنين
بالحجاب فانزل الله تعالى اية الحجاب قال وبلغني ما اذى رسول
الله صلى الله عليه وسلم نساه قال فدخلت عليهن فجعلت استقريهن
واحدة واحدة قلت والله لتنتهن او ليبدلنه الله ازواجا خيرا منكن
حتى اتيت على زينب فقالت يا عمر ما كان في رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما يعظ نساءه حتى تعظهن انت قال فخرجت فانزل الله هو
عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن الاية ولما بين
تعالى للمومنين الادب اكدهم بما يحملهم على ملاطفة نبيه صلى
الله عليه وسلم بقوله تعالى وما كان اي وما صح وما استقام لكم في حال
من الاحوال ان توذوا رسول الله فلا يكون لكم من الاحسان ما يستوجب
به منكم غاية الاكرام والاجلال فضلا عن الكف عن الاذى فلا توذوه
بالدخول الى شي من بيوته بغير اذنه او المكث بعد فراغ الحاجة ولا بغير
ذلك ولما كان قد قصر صلى الله عليه وسلم عليهن ثم احل له غيرهن
فصرهن الله عليه بقوله تعالى ولا ان تنكحوا اي فيما يستقبل من الزمان

بيان المناصع

ازواجه

ازواجه من بعده اي فراقه بموت او طلاق سواء دخل بها ام لا ابدا زيادة
لشرفه واظهارا لمزيته ولانهن امهات المومنين ولانهن ازواجه في الجنة ولان
المراة في الجنة مع اخر ازواجها كما قاله ابن القشيري روي ان هذه الاية نزلت في
رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لئن قبض رسول
الله صلى الله عليه وسلم لانكحن عائشة قال مقاتل بن سليمان هو طلحة
ابن عبيد الله فاخبر الله تعالى ان ذلك محرم وقال ان ذلكم اي الايذا بالنكاح ح
وغيره كان عند الله اي القادر على كل شي عظيما اي ذنبا عظيما فان قيل
روي معمر عن الزهري ان العالية بنت ظبيان التي طلقها النبي صلى الله عليه
وسلم تزوجت رجلا وولدت له اجيب بان ذلك كان قبل تحريم ازواج
النبي صلى الله عليه وسلم على الناس وقيل لا تحرم الموطوة لما روي
ان اشعث بن قيس تزوج المستعيذة في ايام عمر فهم برجمهما فاخبر بانه
صلى الله عليه وسلم فارقها من قبل ان يمسها فترك من غير نكير فاما
اما وصلى الله عليه وسلم فيحرم منهن الموطوات على غيره اكراما له
بخلاف غير الموطوات وقيل لا تحرم الموطوات ايضا ونزل في من اضمر
نكاح عائشة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تبدوا اي
بالسنتكم وغيرها شيا اي من ذلك وغيره او تخفوه في صدوركم
فان الله اي الذي له جميع صفات الكمالات كان اي ازلا وابدا به
هكذا كان الاصل ولكنه اتى بما يعمه وغيره فقال بكل شي اي من ذلك
وغيره عليما فهو يعلم ما اسررتم وما اعلنتم وان بالغتم في كتمه
فيجازي عليه من ثواب وعقاب وفي هذا التعميم مع البرهان على
المقصود مزيد تهويل ومبالغة في الوعيد ولما نزلت اية الحجاب
قال الابا والابنا والاقارب ونحن ايضا نكلمهن من ورا حجاب سوا كان
فنزل قوله تعالى لا جناح اي لا اثم عليهن في ابائهن دخولا وخلوة من غير
حجاب ولا ابنائهن اي من البطن او الرضاعة ولا اخوانهن اي لان عارهن
عارهم فلا فرق ان يكونوا من النسب او الرضاع ولا ابنا اخوانهن فانهن بمنزلة
ابائهن ولا ابنا اخواتهن فانهم بمنزلة اخوانهم وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو
بابدال الهمزة الثانية يا خالصة في الوصل وحققها الباقون وفي الابتدا
بالثانية الجميع بالتحقيق ولا نسائهن اي المسلمات القربى منهن والبعدى
بمنزلة واحدة واما الكافرات فهن بمنزلة الاجانب من الرجال لكن رجح
النووي انه يجوز ان تنظر منها ما يبدو عند المهنة ولا ما ملكت ايمانهن
من العبيد لانهم لما لهن عليهم من السلطان يبعد منهم الريبة مهابة
لهن مع مشقة الاحتجاب عنهم وتنبيه قدم تعالى الاب لان اطلاعهم
على بناتهم اكثر وكيف وهم قد راوا بدن جميع بناتهم في حال صغرهم

ثم الابا ثم الاخوة وذلك ظاهر وانما الكلام في بني الاخوة حيث قدمهم الله تعالى على
بني الاخوات لان بني الاخوات اباوهم ليسوا بمحارم وخالات ابنائهم وبني
الاخوة اباوهم محارم ايضا ففي بني الاخوة مفسدة ما وهي ان الابن يحكي خالته
عند ابيه لمحرم ولا كذلك في بني الاخوة فان قيل لم يذكر الله تعالى من المحارم الاعمام
والاخوال فلم يقل ولا اعمامهن ولا اخوالهن اجيب عن ذلك بوجهين
احدهما ان ذلك معلوم من بني الاخوة وبني الاخوات لان من علم ان بني الاخ
للعمات محارم علم ان بنات الاخ للاعمام محارم وكذلك الحال في ام الخالة وثانيهما
ان الاعمام ربما يذكرون بنات الاخ عند ابنايهم وهم غير محارم وكذلك الحال
في ابن الخالة وذكر ملك اليمين بعد هذا كله لان المفسدة في التكشف لهن
ظاهرة وقوله تعالى **واتقين** عطف على محذوف اي امتثلن ما امرتن به
واتقين **الله** اي الذي لا شي اعظم منه فلا تقربن شيا مما يكرهه
وانما امرهن لان الريبة من جهة النسا اكثر لانه لا يكاد الرجل يتعرض الا لمن
ظن بها الاجابة لما يري من مخايلها او مخايل اشكالها ولما كان الخوف لا
يعظم الا ممن كان حاضرا مطلعا قال **ان الله** اي العظيم الشان **كان**
اي ازلا وابدا **على كل شي** من افعالكم وغيرها **شهيدا** اي لا يغيب عنه
شي وان دق فهو مطلع عليكن حال الخلوة فلا تخفى عليه خافية ولما امر
تعالى بالاستيذان وعدم النظر الى نسايه احتراما له كمل بيان حرمته
بقوله تعالى **ان الله وملايكته يصلون على النبي** اي محمد صلى الله عليه وسلم قال
ابن عباس اراد ان الله تعالى يرحم النبي والملايكة يدعون له وعن ابن عباس
ايضا يصلون يبركون والصلاة من الله الرحمة ومن الملايكة استغفار
وقال ابو العالية صلاة الله ثناوه عليه عند الملايكة وصلاة الملايكة
الدعا تنبيه بيان كمال حرمته في ذلك ان حالاته منحصرة في حالتين حالة
خلوة فذكر ما يدل على احترامه في تلك الحالة بقوله تعالى لا تدخلوا بيوت
النبي وحالة تكون في ملا والملا اما الملا الاعلى واما الملا الادنى اما احترامه
في الملا الاعلى فان الله وملايكته يصلون على النبي واما احترامه
في الملا الادنى فقوله تعالى **يا ايها الذين امنوا صلوا عليه** اي ادعوا له بالرحمة
وسلموا تسليما اي حيوه بتحية الاسلام واظهروا شرفه بكل ما تصل
قدرتكم اليه من حسن متابعته وكثرة الثنا عليه والانقياد لامره
في كل ما يامر به ومنه الصلاة والسلام عليه بالسنتكم روي عبد الرحمن
ابن ابي ليلى لقيني كعب بن عجرة فقال الا اهدي لك هدية
سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت بلى فاهدها قال قلنا
يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك قال قولوا
اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم
انك حميد مجيد وروي ابو حميد الساعدي انهم قالوا يا رسول الله

كيف

كيف نصلي عليك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد
وازواجه وذريته كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وازواجه وذريته
كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد وروي ابن مسعود قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان اولى الناس بي يوم القيمة اكثرهم على صلاة وروي
ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى على واحدة صلى
الله عليه عشرا وروي عبد الله بن ابي طلحة عن ابيه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه جاء ذات يوم والبشرى ترى في وجهه فقلنا انا لنرى البشرى
في وجهك فقال جاني جبريل فقال يا محمد ان ربك يقول اما يرضيك ان لا يصلي
عليك احد من امتك الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك احد من امتك الا
سلمت عليه عشرا وروي عامر بن ربيعة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم
يقول من صلى علي صلت عليه الملايكة ما صلى علي فليقلل عند ذلك او ليكثر
وروي انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي صلاة واحدة صلى الله
عليه وسلم عشر صلوات وحطت عنه عشر خطيات ورفعت له عشر درجات
وروي ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله
ملايكة سياحين في الارض يبلغوني عن امتي السلام تنبيه دلت الاية
على وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لان الامر للوجوب قالوا وقد
اجمع العلما انها لا تجب في غير الصلاة فتعين وجوبها فيها والمناسب لها
من الصلاة التشهد اخرها فتجب في التشهد اخر الصلاة اي بعده وهو
مذهب الشافعي واحد الروايتين عن احمد والقايل بوجوبها في العمر
مرة في غيرها محجوج باجماع من قبله والحديث كيف نصلي عليك في صلاتنا
فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم الخ وقيل
يجب كلما ذكر واختاره الطحاوي من الحنفية والحليمي من الشافعية
لقول جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم رقي المنبر فلما رقي الدرجة الاولى
قال امين ثم رقي الثانية فقال امين ثم رقي الثالثة فقال امين
فقالوا يا رسول الله سمعناك تقول امين ثلاث مرات فقال لما رقيت
الدرجة الاولى جاني جبريل فقال شقي عبد ادرك رمضان فانسلخ منه
ولم يغفر له فقلت امين ثم قال شقي عبد ادرك والديه او احدهما فلم يدخلاه
الجنة فقلت امين ثم قال شقي عبد ذكرت عنده ولم يصل علي فقلت امين
وفي رواية رقي المنبر فقال امين امين امين قيل يا رسول الله ما كنت
تصنع هذا فقال قال لي جبريل رغم انف رجل ادرك ابويه او احدهما لم يدخلاه
الجنة فقلت امين ثم قال رغم انف عبد دخل عليه رمضان لم يغفر له فقلت
امين ثم قال رغم انف امري ذكرت عنده فلم يصل علي فقلت امين وكذا قوله
وسلموا امر فيجب السلام ولم يجب في غير الصلاة فيجب فيها وهو قولنا

في التشهد سلام عليك ايها النبي وذكر في السلام المصدر للتاكيد ولم يوكد الصلاة
لانها كانت موكدة بقوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي واهل الصلاة
عليه اللهم صل على محمد واكملها اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على
ابراهيم وعلى ال ابراهيم وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم وعلى
ال ابراهيم انك حميد مجيد وال ابراهيم اسمعيل واسحق واولادهما فائدة
كل الانبيا من بعد ابراهيم عليه السلام من ولد اسحق الا نبينا محمد صلى
الله عليه وسلم فانه من نسل اسمعيل لم يكن من نسله نبي غيره وخص
ابراهيم بالذكر لان الرحمة والبركة لم يجتمعا في نبي غيره فقال تعالى
رحمت الله وبركاته عليكم اهل البيت فان قيل اذا صلى الله وملائكته
عليه فاي حاجة به الى صلاتنا اجيب بان الصلاة عليه ليس لحاجته
اليها والا فلا حاجة الى صلاة الملائكة مع صلاة الله عليه وانما هو اظهار
وتعظيمه منا شفقة علينا ليثيبنا عليه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم
من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشرا وفي رواية وملائكته سبعون ويجوز الصلاة
على غيره تبعا وتكره استقلالا لانه صار في العرف شعارا لذكر الرسل
ولذلك كره ان يقال محمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا ولما امر الله تعالى
باحترام نبيه صلى الله عليه وسلم نهى ايذايه عن ايذا نفسه وايذا رسوله
بقوله تعالى ان الذين يؤذون الله اي لا اعظم منه ولا نعمة عندهم الا من
فضله ورسوله اي الذي استحق عليهم بما يخبرهم به عن الله تعالى ما لا يقدرو
على القيام بشكره لعنهم الله اي ابعدهم وابغضهم في الدنيا بالحمل على
ما يوجب السخط والاخرة بادخال دار الاهانة كما قال تعالى واعد لهم
عذابا مهينا اي ذا اهانة وهو النار ومعنى يؤذون الله يقولون فيه
ما صورته اذى وان كان تعالى لا يلحقه ضرر ذلك حيث وصفوه بما لا يليق
بجلاله من اتخاذ الانداد ونسبة الولد والزوجة اليه قال ابن عباس
هم اليهود والنصارى والمشركون فاما اليهود فقالوا عزير ابن الله وقالوا
يد الله مغلولة وقالوا ان الله فقير ونحن اغنيا واما النصارى فقالوا
المسيح ابن الله وثالث ثلاثة واما المشركون فقالوا الملائكة بنات
الله والاصنام شركاوه وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول الله عز وجل كذبني ابن ادم ولم يكن له ذلك وشتمني
ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي فقوله لن يعيدني كما بداني وليس اول
الخلق باهون علي من اعادته واما شتمه اياي فقوله اتخذ الله ولدا وانا
الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد وعن ابي هريرة
ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى يوذيني ابن ادم
يسب الدهر وانا الدهر بيدي الامر اقلب الليل والنهار ومعنى الحديث

انه كان من عادة العرب في الجاهلية ان يسبوا الدهر ويذموه عند النوازل
لاعتقادهم ان الذي يصيبهم من افعال الدهر فقال تعالى انا الدهر انا الذي
احل بهم النوازل وانا فاعل لذلك الذي تنسبونه للدهر في زعمكم وقيل
معنى يؤذون الله يلحدون في اسمائه وصفاته وقيل هم اصحاب التصاوير
وعن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
قال الله عز وجل ومن اظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة وليخلقوا
حبة او شعيرة ويحتمل ان يكون ذلك على حذف مضاف اي اوليا الله كقوله
تعالى واسئل القرية قال صلى الله عليه وسلم من عادى لي وليا فقد
اذنته بالحرب وقال من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ومعنى
الاذى هو مخالفة امر الله تعالى وارتكاب معاصيه ذكره على ما يتعارفه الناس
بينهم والله عز وجل منزه عن ان يلحقه اذى من احد وقال بعضهم اي بالجلال
تعظيما والمراد يؤذون رسول الله كقوله تعالى انما يبايعون الله واما ايذا الرسول
صلى الله عليه وسلم فقال ابن عباس انه شج في وجهه وكسرت رباعيته وقيل
ساحر شاعر مجنون ولما كان من اعظم اذاه اذى من تابعه وكان الاتباع
لكونهم غير معصومين يتصور ان يؤذوا بالحق قال تعالى مقيدا للكلام
والذين يؤذون المومنين والمومنات اي الراسخين في صفة الايمان
بغير ما اكتسبوا اي كلفوا انفسهم ان حملوا بهتانا اي كذبا
وفجورا زايدا على الحد موجبا للجزا في الدنيا والاخرة واثما مبينا اي ذنبا
ظاهرا جدا موجبا للعقاب في الاخرة تنبيه اختلفوا في سبب نزول هذه
الاية فقال مقاتل نزلت في علي بن ابي طالب كانوا يؤذونه ويسمعونه وقيل
نزلت في شان عائشة وقال الضحاك والكلبي نزلت في الزناة الذين كانوا
يمشون في طرق المدينة يتبعون النسا اذا برزن بالليل لقضا حوائجهن
فيغمزن المراة فان سكتت اتبعوها وان زجرتهم انتهوا عنها ولم يكونوا يطلبون
الا الاما ولكن كانوا لا يعرفون الحرة من الامة فشكوا ذلك لازواجهن فذكروا
ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية والذين يؤذون المومنين
والمومنات الاية ثم نهى الحراير ان يتشبهن بالاما لقوله تعالى يا ايها النبي ذكره
بالوصف بالذي هو منبع المعرفة والحكمة قل لازواجك بدا بهن لما لهن به من
الوصلة بالنكاح وبناتك ثنى بهن لما لهن من الوصلة ولهن في انفسهن من
الشرف واخرهن عن الازواج لان ازواجه يكفون نداء بهن ونسا المومنين
يدنين اي يقربن عليهن اي على وجوههن وجميع ابدانهن فلا يدعن شيئا
منها مكشوفا من جلابيبهن ولا يتشبهن بالاما في لباسهن اذا خرجن لحاجتهن
بكشف الشعور ونحوها ظنا ان ذلك اخفى لهن واستر والجلباب القميص
وثوب واسع دون الملحفة تلبسه المراة والملحفة ما ستر اللباس والخمار

وهو كل ما غطى الراس وقال البغوي الجلباب الملاءة التي تشتمل بها المراة فوق الدرع له
والخمار وقال حمزة الكرماني قال الخليل كل ما يتستر به من دثار وشعار وكسا
فهو جلباب والكل تصح ارادته هنا فان كان القميص فادناوه اسباغه حتى
يغطي بدنها ورجليها وان كان ما يغطي الراس فادناوه ستر وجهها وعنقها وان
كان المراد ما يغطي الثياب فادناوه تطويله وتوسيعه بحيث يستر جميع بدنها
وثيابها وان كان المراد ما دون الملحفة فالمراد ستر الوجه واليدين وقال ابن عباس
وعبيدة امر نسا المومنين ان يغطين روسهن ووجوههن بالجلابيب الا عينا
واحدة ليعلم انهن حرائر ولما امر تعالى بذلك علله بقوله تعالى ذلك اي الستر
ادنى اي اقرب من تركه في ان يعرفن انهن حرائر بما يميزهن عن الاماء فلا
يوذين اي فتسبب عن معرفتهن ان لا يوذين ممن يتعرض للاماء فلا يشتغل قلبك
عن تلقي ما يرد عليك من الانباء الالهية قال ابن عادل ويمكن ان يقال يعرفن انهن
لا يزنين لان من تستر وجهها مع انه ليس بعورة اي في الصلاة لا يطمع فيها انها
تكشف عورتها فيعرضن انهن مستورات لا يمكن طلب الزنا منهن انتهى ولما رفاهن
تعالى لهذا الامر خفف عاقبة ما كن فيه من التشبه بالاماء فاخبرهن تعالى
بوسع كرمه وجوده بقوله تعالى وكان الله اي الذي له الكمال المطلق ازلا وابدا
غفورا اي لما سلف منهن من ترك الستر فهو محا للذنوب عينا واثرا رحيما
بهن ان سترهن وبمن يمتثل اوامره ويجتنب مناهيه قال البغوي قال
انس مرت بعمر جارية متقنعة فعلاها بالدرة وقال يا لكاع اتتشبهين
بالحرائر الق القناع ويظهر ان عمر انما فعل ذلك خوفا من ان تلتبس الاماء
بالحرائر فلا تعرف الحرائر فيعود الامر كما كان ولما كان الماذون بما مضى وغيره
اهل النفاق ومن داناهم حذرهم بقوله تعالى موكدا دفعا لظنهم دوام الحلم عنهم
لئن لم ينته عن الاذى المنافقون اي الذين يبطنون الكفر ويظهرون
الاسلام والذين في قلوبهم مرض اي على مقرب من النفاق حامل على المعاصي
والمرجفون في المدينة المومنين اي بالكذب وذلك ان ناسا منهم كانوا اذا
خرجت سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوقعون في الناس انهم قد قتلوا
او هزموا ويقولوا قد اتاكم العدو ونحو ذلك واصل الرجفة التحريك من
الرجفة وهي الزلزلة سمي به الاخبار الكاذبة لكونها متزلزلة غير ثابتة
لنغرينك بهم اي لنسلطنك عليهم بالقتل والجلاء او بما يضطرهم الى
طلب الجلاء وقوله تعالى ثم لا يجاورونك اي يساكنونك فيها اي المدينة
عطف على لنغرينك وثم للدلالة على ان الجلاء ومفارقة رسول الله صلى الله
عليه وسلم اعظم ما يصيبهم الا قليلا اي زمانا او جوارا قليلا ثم يخرجون
منها وقيل نسلط عليهم حتى نقتلهم ونخلي منهم المدينة وقوله تعالى
ملعونين اي مبعودين عن الرحمة حال من فاعل يجاورونك قاله ابن عطية

والزمخشري وابو البقا اينما ثقفوا اي وجدوا اخذوا وقتلوا ثم اكده
بالمصدر بغضا لهم وارهابا لهم بقوله تعالى تقتيلا اي الحكم فيهم
هذا على وجه الامر به وقوله تعالى سنة الله اي المحيط بجميع العظمة
مصدر موكد اي سن الله ذلك في الذين خلوا من قبل اي في الامم
الماضية وهو ان يقتل الذين نافقوا الانبيا وسعوا في وهنهم بالارجاف
ونحوه اينما ثقفوا ولن تجد لسنة الله اي الملك الاعظم تبديلا اي
لست هذه مثل الحكم الذي يبدل وينسخ فان النسخ يكون في
الاقوال اما الافعال اذا وقعت والاخبار لا تنسخ ولما بين تعالى فالهم
في الدنيا انهم ملعونون ومهانون ويقتلون اراد ان يبين حالهم في
الاخرة فذكرهم بالقيامة وذكر ما يكون لهم فيها بقوله تعالى يسئلك
يا اشرف الخلق الناس اي المشركون استهزاء منهم وتعنتا
وامتحانا عن الساعة اي متى تكون في اي وقت قل اي لهم في
جوابهم انما علمها عند الله الذي احاط علما بجميع الاشيا وما يدريك
اي اي شي يعلمك امر الساعة ومتى يكون قيامها انت لا تعرفه
لعل الساعة اي التي لا ساعة في الحقيقة غيرها لما لها من العجائب
تكون اي توجد وتحدث على وجه مهول عجيب قريبا اي في زمن
قريب قال البقاعي ويجوز ان يكون التذكير لاجل الوقت
لان السوال عنها انما هو عن تعيين وقتها قال في البخاري في
الصحيح اذا وصفت صفة المونث قلت قريبة واذا جعلته ظرفا
وبدلا ولم ترد الصفة نزعت الهاء من المونث وكذلك لفظها في
الاثنين والجمع للذكر والانثى ثم استانف الاخبار بحال السائلين
عنها بقوله تعالى ان الله اي الملك الاعلى لعن اي ابعد ابعادا
عظيما من رحمته الكافرين اي الساترين لما من شانه ان يظهر
مما دلت عليه العقول السليمة من امرها واعد اي اوجد وهيا
لهم من الان سعيرا اي نارا شديدة الاضطرام والتوقد تتقد بهم
بها وبغيرها ومما اوضح لهم ادلته خالدين اي مقدرا خلودهم
فيها اي السعير واعاد عليها الضمير مونثا لانها مونثة او لانه
في معنى جهنم وقوله تعالى ابدا بيان لارادة الحقيقة لئلا يتوهم
بالخلود المكث الطويل لا يجدون وليا اي يتولى امرا ما يصيبهم
بشفاعة او غيرها ولا نصيرا ينصرهم وقوله تعالى يوم معمول لخالدين
اي مقدرا خلودهم فيها على تلك الحال يوم تقلب اي تقليبا كثيرا
وجوههم في النار اي ظهرا لبطن كاللحم يشوى بالنار حالة كونهم
يقولون وهم في محل الجزا وقد فات المحل القابل للعمل متمنين

يا ليتنا أطعنا اي في الدنيا الله اي الذي لا امر لاحد معه لما لا بد ركون
تلافيه لانهم لا يجدون ما يقدرون انه يرد عليهم من ولي ولا نصير ولا
غيرهما سوى هذا التمني ولما كان المقام للمبالغة في الاذعان والخضوع
اعادوا العامل بقولهم واطعنا الرسولا اي الذي بلغنا عنه حتى لا نبتلي
بهذا العذاب تنبيه تقدم الكلام على القراءة في الرسولا والسبيلا اول
السورة عند الظنونا وقالوا اي الاتباع منهم لما لم ينفعهم شيء متبرئين
بالدعاء على من اضلهم بما لا يبري عليلا ولا يشفي غليلا ربنا اي المحسن
الينا واسقطوا اداة النداء على عادة اهل الخصوص بالحضرة زيادة في
الترقق باظهار انه لا واسطة لهم الا ذلهم وانكسارهم انا اطعنا
سادتنا وكبراءنا يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرأ ابن عامر
بالف بعد الدال وكسر التاء على جمع الجمع للدلالة على الكثرة والباقون
بغير الف بعد الدال وفتح التاء على انه جمع تكسير غير مجموع بالف وتاء
فاضلونا اي فتسبب عن ذلك انهم اضلونا بما كان لهم من نفوذ
الكلمة السبيلا اي طريق الهدى فما لوا ذلك على غيرهم كما هي حالة المخطئ
في الاحالة على غيره مما لا ينفعه ثم كانه قيل فما تريدون لهم قالوا مبالغين
في الرقة للاستعطاف باعادة الرب ربنا اي ايها المحسن الينا آتهم
ضعفين من العذاب اي مثلي عذابنا لانهم ضلوا واضلوا والعنهم لعنا كبيرا
اي اطردهم عن محال الرحمة طردا متناهيا وقرأ عاصم بالباء الموحدة اي لعنا
هو اشد اللعن واعظمه والباقون بالثاء المثلثة اي كثير العدد ولما بين
تعالى ان من يؤذي الله ورسوله يلعن ويعذب الى الابد اتبع من الايذاء ما يؤلمه
تعالى يا ايها الذين آمنوا اي صدقوا فيما يتلى عليهم لا تكونوا بايذائكم الرسول
صلى الله عليه وسلم بامر زينب وغيره كونا هو كالطبع لكم كالذين آذوا موسى
من قومه بني اسرائيل اذوه بانواع الاذى كما قال نبينا صلى الله
عليه وسلم حين قسم قسما فتكلم فيه بعضهم فقال لقد اوذي موسى
باكثر من هذا فصبر واختلفوا فيما اوذي به موسى فروى ابو هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى كان رجلا حييا ستيرا لا
يرى من جلده شيء استحياء منه فآذاه من آذاه من بني اسرائيل فقالوا ما يستتر
هذا التستر الا من عيب بجلده واما ادرة واما آفة وان الله تعالى
اراد ان يبرئه مما قالوا كما قال تعالى فبرأه اي فتسبب عن اذاهم ان برأه
الله الذي له صفات الجلال والجمال مما قالوا فخلا يوما وحده ليغتسل
فوضع ثيابه على حجر ثم اغتسل فلما فرغ اقبل الى ثيابه ليأخذها
ففر الحجر بثوبه فجمح موسى واخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل
يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى الى ملأ من بني اسرائيل فرأوه

عريانا احسن ما خلق الله وابرأه مما يقولون وقام الحجر فاخذ ثوبه واستتر
به وطفق بالحجر يضربه بعصاه فوالله ان بالحجر لندبا من اثر ضربه ثلاثا او
اربعا او خمسا والادرة عظم الخصية لنفخة فيها وقوله فجمح اي
اسرع وقوله ندبا هو بفتح النون والدال واصله اثر الجرح اذا لم يرتفع
عن الجلد فشبه به اثر الضرب بالحجر وقال قوم ايذاؤهم اياه لما مات
هارون في التيه ادعوا على موسى انه قتله فامر الله الملائكة حتى مروا
به على بني اسرائيل فعرفوا انه لم يقتله فبرأه الله مما قالوا وقال ابو العالية
هو ان قارون استأجر مومسة اي زانية لتقذف موسى بنفسها على
رأس الملأ فعصمها الله تعالى وبرأ موسى من ذلك وكان ذلك سبب
الخسف بقارون ومن معه وقال عبد الله بن مسعود لما كان يوم حنين
آثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا في القسمة فاعطى الاقرع بن
حابس من الابل واعطى فلانا كذا من العرب وآثرهم في القسمة فقال
رجل والله ما عدل فيها وما اريد بها وجه الله فقلت والله لاخبرن بها
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاتيته فاخبرته بما قال فقال
فتغير وجهه حتى كان كالصرف ثم قال فمن يعدل اذا لم يعدل الله ورسوله
ثم قال يرحم الله موسى قد اوذي باكثر من هذا فصبر الصرف بكسر
الصاد صبغ احمر يصبغ به الاديم ولما كان قصدهم بهذا الاذى اسقاط
وجاهته قال تعالى وكان اي موسى عليه السلام كونا راسخا
عند الله اي الذي لا يذل من والى وجيها اي معظما رفيع القدر
ذا وجاهة يقال وجه الرجل يوجه فهو وجيه اذا كان ذا جاه وقدر
قال ابن عباس كان حظيا عند الله تعالى لا يسأل الا اعطاه وقال
الحسن كان مستجاب الدعوة وقيل كان محببا مقبولا ولما نهاهم
عن الاذى امرهم بالنفع ليصيروا اذوي وجاهة عنده مكررا للنداء
استعطافا واظهارا للاهتمام يا ايها الذين آمنوا اي ادعوا الايمان
اتقوا الله اي صدقوا دعواكم بمخافة من له جميع العظمة فاجعلوا لكم
وقاية من سخطه بان تبذلوا له جميع ما اودعكم من الامانة وقولوا
في حق النبي صلى الله عليه وسلم في امر زينب وغيرها وفي حق نسائه
وبناته وفي حق المؤمنين ونسائهم وغير ذلك قولا سديدا قال
ابن عباس صوابا وقال قتادة عدلا وقال الحسن صدقا وقال عكرمة
هو قول لا اله الا الله وقيل مستقيما يصلح لكم اعمالكم قال ابن
عباس يتقبل حسناتكم وقال مقاتل يزكي اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم
اي يمحها عينا واثرا فلا يعاقب عليها ولا يعاتب ومن يطع الله اي الذي
لا اعظم منه ورسوله اي الذي عظمته من عظمته في الاوامر والنواهي

فقد فاز واكد ذلك بقوله تعالى **فوزا عظيما** اي ظفر بجميع مراده انه يعيش في
الدنيا حميدا وفي الاخرة سعيدا ولما ارشد الله تعالى المومنين الى مكارم
الاخلاق وادب النبي صلى الله عليه وسلم باحسن التكليف الاداب
بين ان التكليف الذي وجهه الله تعالى الى الانسان امر عظيم بقوله تعالى
انا عرضنا الامانة واختلف في هذه الامانة المعروضة فقال ابن عباس
اراد بالامانة الطاعة من الفرايض التي فرضها الله تعالى على عباده عرضها
على السموات والارض والجبال على انهم ان ادوها اثابهم وان ضيعوها عذبهم
وقال ابن مسعود الامانة ادا الصلوات وايتا الزكوات وصوم
رمضان وحج البيت وصدق الحديث وقضاء الدين والعدل في المكيال
والميزان واشد من هذا كله الودايع وقال مجاهد الامانة الفرايض
وحدود الدين وقال ابو العالية ما امروا به ونهوا عنه وقال
زيد بن اسلم هو الصوم والغسل من الجنابة وما يخفى من الشرايع
وقال عبد الله بن عمرو بن العاص اول ما خلق الله من الانسان
فرجه وقال هذه امانتي استودعتكها فالفرج امانة والاذن
امانة والعين امانة واليد امانة والرجل امانة ولا ايمان لمن لا امانة
له وقال بعضهم هي امانة الناس والوفا بالعهود فحق على كل مومن
ان لا يغش مومنا ولا معاهدا في شي قليل ولا كثير وهي رواية
الضحاك عن ابن عباس وجماعة من التابعين واكثر السلف ان الله تعالى
عرض هذه الامانة على السموات والارض والجبال فقال لهن اتحملن
هذه الامانة بما فيها قلن وما فيها فقال ان احسنتن جوزيتن
وان عصيتن عوقبتن **فابين** على عظيم اجرامها وقوة اركانها وسعة
ارجايها **ان يحملنها** اي وقلن يا رب نحن مسخرات بامرك لا نريد ثوابا
ولا عقابا **واشفقن منها** اي وقلن ذلك خوفا وخشية وتعظيما
لله تعالى ان لا يقوموا بها لا معصية ولا مخالفة وكان العرض عليهم
تخييرا لا الزاما ولو الزمهن لم يمتنعن من حملها فالجمادات كلها خاضعة
لله عز وجل مطيعة ساجدة له كما قال تعالى للسموات والارض ايتيا
طوعا او كرها قالتا اتينا طايعين وقال في الحجارة وان منها لما يهبط من
خشية الله وقال تعالى الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم
والجبال والشجر والدواب الاية وقال بعض اهل العلم ركب الله تعالى فيهن
العقل والفهم حين عرض عليهن الامانة حتى عقلن الخطاب واجبن بما اجبن
وقال بعضهم المراد بالعرض على السموات والارض هو العرض على اهل
السموات والارض عرضها على من فيهما من الملايكة لقوله تعالى واسيل القرية
اي اهلها وقيل المراد المقابلة اي قابلنا الامانة مع السموات والارض

والجبال

والجبال فرجحت الامانة قال البغوي والاول اصح وهو قول اكثر العلماء
تنبيه قوله تعالى فابين اي بضمير هذه كضمير الاناث لان جمع التكسير
غير العاقل يجوز فيه ذلك وانما ذكر ذلك لئلا يتوهم انه قد غلب المونث
على المذكر وهو الجبال فان قيل ما الفرق بين اباهن وابا ابليس في قوله ابى
ان يكون مع الساجدين اجيب بان الابا هناك كان استكبارا لان
السجود كان فرضا وههنا استصغارا لان الامانة كانت فرضا وانما
امتنعن خوفا كما قال تعالى واشفقن منها اي خفن من الامانة ان لا
يودينها فيلحقهن العقاب **وحملها الانسان** اي ادم قال تعالى لادم
اني عرضت الامانة على السموات والارض والجبال فلم تطقها فهل انت
اخذها بما فيها قال يا رب وما فيها قال ان احسنت جوزيت
وان اسات عوقبت فتحملها ادم عليه السلام وقال بين اذني وعاتقي
فقال تعالى اما اذا تحملت فسا عينك اجعل لبصرك حجابا فاذا خشيت
ان تنظر الى ما لا يحل فارخ عليه حجابه واجعل للسانك لحيين وغلقا فاذا
خشيت فاغلق واجعل لفرجك سترا فاذا خشيت فلا تكشفه على
ما حرمت عليك قال مجاهد فما كان بين ان تحملها وبين ما اخرج
من الجنة الا مقدار ما بين الظهر والعصر وحكى النقاش عن ابن مسعود
انه قال مثلت الامانة بصخرة ملقاة ودعيت السموات والارض
والجبال اليها فلم يقربوا منها وقالوا لا نطيق حملها وجاء ادم من غير
ان دعي وحرك الصخرة وقال لو امرت بحملها لحملتها فقلن احمل
فحملها الى ركبتيه ثم وضعها وقال لو اردت ان ازداد لزدت
فقلن له احمل فحملها حتى وضعها على عاتقه فاراد ان يضعها فقال له الله
تعالى مكانك فانها في عنقك وعنق ذريتك الى يوم القيمة **انه كان ظلوما**
جهولا قال ابن عباس ظلوما لنفسه جهولا بامر الله تعالى وما احتمل
من الامانة وقال الكلبي ظلوما حين عصى ربه جهولا لا يدري
ما العقاب في ترك الامانة وقال مقاتل ظلوما لنفسه جهولا بعاقبة
ما تحمل وذكر الزجاج وغيره من اهل المعاني في قوله تعالى وحملها الانسان قولا
اخر فقال لو ان الله تعالى ايتمن ادم واولاده على شي وايتمن السموات والارض
صح
والجبال على شي فالحق بني ادم ما ذكرنا من الطاعة والقيام بالفرايض
والامانة في حق السموات والارض والجبال هي الخضوع والطاعة
لما خلقن له وقوله تعالى فابين ان يحملنها اي ابين ان يحملن الامانة يقال
فلان حمل الامانة اي اثم فيها بالخيانة قال تعالى وليحملن اثقالهم
انه كان ظلوما جهولا حكي عن الحسن على هذا التاويل انه قال وحملها
الانسان يعني الكافر والمنافق حملا الامانة اي خانا والاول قول السلف

وهو الاولى وقيل المراد بالامانة العقل وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن وبابائهن الاباء الطبيعي الذي هو عدم اللياقة والاستعداد وبحمل الانسان قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة الغضبية ولهذا يحسن ان يكون علة للحمل عليه فان من فوائد العقل ان يكون مهيمنا على القوتين حافظا لهما عن التعدي ومجاوزة الحد ومعظم مقصود التكليف تعديلهما وكسر سورتهما وعن ابي هريرة قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم فجاء اعرابي فقال متى الساعة فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال وقال بعضهم بل لم يسمع حتى اذا قضى حديثه قال اين السائل عن الساعة قال ها انا يا رسول الله قال اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من اعظم الامانة عند الله يوم القيمة الرجل يفضي الى امرأته وتفضي اليه ثم ينشر سرها وقوله تعالى **ليعذب الله** اي الملك الاعظم متعلق بعرضنا للترتب عليه حمل ادم **المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات** اي المضيعين الامانة تنبيه لم يعد اسمه تعالى فلم يقل ويعذب الله المشركين واعاده في قوله تعالى **ويتوب الله** اي بما له من العظمة **على المؤمنين والمؤمنات** اي المؤدين الامانة ولو قال تعالى ويتوب على المؤمنين والمؤمنات لكان المعنى حاصلا ولكنه اراد تفضيل المؤمن على المنافق فجعله كالكلام المستانف ولما ذكر تعالى في الانسان وصفين بقوله تعالى **وكان الله** اي على ما له من الكبرياء والعظمة **غفورا** للمؤمنين حيث عفى عن فرطاتهم **رحيما** بهم حيث اثابهم بالعفو على طاعتهم مكرما لهم بانواع الكرم وما رواه البيضاوي من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر حديث موضوع رواه الثعلبي

سورة سبأ مكية

الا ويرى الذين اوتوا العلم الاية وهي اربع او خمس وخمسون اية وثمانمائة وثلاث وثمانون كلمة واربعة الاف وخمسمائة واثنى عشر حرفا

بسم الله اي الذي من شمول قدرته اقامة الحساب **الرحمن** اي الذي من عموم رحمته ترتيب الثواب والعقاب **الرحيم** الذي من على اهل كرامته بطاعته حتى لا عقاب يلحقهم ولا عتاب ولما ختم السورة التي قبل هذه بصفتي المغفرة والرحمة بدأ هذه بقوله **الحمد لله** اي ذي الجلال

والجمال

والجمال على هذه النعمة فائدة السور المفتتحة بالحمد خمس سورتان في النصف الاول وهما الانعام والكهف وسورتان في النصف الاخير وهما هذه وسورة الملائكة والخامسة هي فاتحة الكتاب تقرأ مع النصف الاول ومع النصف الاخير والحكمة فيها ان نعم الله مع كثرتها وعدم قدرتنا على احصائها منحصرة في قسمين نعمة الايجاد ونعمة الابقاء فان الله تعالى خلقنا اولا برحمته وخلق لنا ما نقوم به وهذه النعمة توجد مرة اخرى بالاعادة فانه يخلقنا مرة اخرى ويخلق لنا ما ندوم به فلنا حالتان الابداء والاعادة وفي كل حالة له تعالى نعمة الايجاد ونعمة الابقاء فقال في النصف الاول الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور اشارة الى ان الشكر على نعمة الايجاد ويدل عليه قوله تعالى هو الذي خلقكم من طين فاشار الى الايجاد الاول وقال في السورة الثانية الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر فاشار الى الشكر على نعمة الابقاء فان الشرائع بها البقاء ولولا الشرع لانقاد له لاتبع كل واحد هواه ووقعت المنازعات وادت الى التقاتل والتفاني وقال ههنا الحمد لله **الذي له ما في السموات وما في الارض** ملكا وخلقا اشارة الى نعمة الايجاد الثاني بدليل قوله تعالى **وله** اي وحده **الحمد** اي الاحاطة بالكمال **في الاخرة** اي ظاهرا لكل من يجمعه الحشر وله كل ما فيها لا يدعي احد ذلك في شيء منه ظاهرا ولا باطنا وقال في سورة الملائكة الحمد لله فاطر السموات والارض اشارة الى الابقاء بدليل قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا اي يوم القيمة يرسلهم الله تعالى يسلمون على المسلمين كما قال تعالى وتتلقاهم الملائكة وقال تعالى عنهم سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وفاتحة الكتاب لما اشتملت على ذكر نعمتين اشار بقوله تعالى الحمد لله رب العالمين الى النعمة العاجلة واشار بقوله تعالى مالك يوم الدين الى النعمة الاجلة فرتب الافتتاح والاختتام عليهما فان قيل قد ذكرتم ان الحمد ههنا اشارة الى النعم التي في الاخرة ثم ذكر الله تعالى السموات والارض اجيب بان نعم الاخرة غير مرئية فذكر الله تعالى النعم المرئية وهي ما في السموات وما في الارض ثم قال وله الحمد في الاخرة ليقاس نعم الدنيا بنعم الاخرة ويعلم فضلها بدوامها وقيل الحمد في الاخرة هو حمد اهل الجنة كما قال تعالى وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن والحمد لله الذي صدقنا وعده وتقدم الكلام على الحمد لغة واصطلاحا والشكر كذلك في اول الفاتحة فتح الله علينا بكل خير وفعل ذلك باحبابنا ولما تقرر ان الحكمة لا تتم الا بايجاد الاخرة قال تعالى **وهو الحكيم** اي الذي بلغت حكمته النهاية التي لا مزيد عليها والحكمة هي العلم بالامور

على وجه الصواب متصلا بالعمل على وفقه **الخبير** اي البليغ الخبرة وهو العلم بظواهر
الامور وبواطنها حالا ومآلا ثم بين كمال خبرته بقوله تعالى **يعلم ما يلج** اي
يدخل **في الارض** اي هذا الجنس من المياه والاموال والاموات وغيرها
وما يخرج منها من المياه والمعادن والنبات وغيرها **وما ينزل من السما** اي
من هذا الجنس من قران وملايكة وما وحرارة وبرودة وغير ذلك **وما يعرج**
فيها من الكلم الطيب قال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب قال تعالى
والملايكة والاعمال الصالحة قال تعالى والعمل الصالح يرفعه تنبيه قدم ما
يلج في الارض على ما ينزل من السماء لان الحبة تبذر اولا ثم تسقى ثانيا وقال
تعالى ما يعرج فيها ولم يقل وما يعرج اليها اشارة اشارة الى الاعمال
الصالحة لان كلمة الى للغاية فلو قال وما يعرج اليها لفهم الوقوف
عند السموات وما يعرج فيها لفهم نفوذه فيها وصعوده منها ولهذا
قال في الكلم الطيب اليه يصعد الكلم الطيب لان الله تعالى هو المنتهى
ولا مرتبة فوق الوصول اليه **وهو** اي والحال انه وحده مع كثرة نعمه
المقيمة للابدان **الرحيم** اي المنعم بانزال الكتب وارسال الرسل لاقامة
الاديان وغير ذلك **الغفور** اي المحا للذنوب للمفرطين في شكر نعمته
مع كثرتها او في الاخرة مع ماله من سوابق هذه النعم الفايتة للحصر
تنبيه قدم تعالى صفة الرحمة على صفة العفو ليعلم ان رحمته سبقت
غضبه ثم بين تعالى ان هذه النعمة التي يستحق الله تعالى بها الحمد وهي
نعم الاخرة انكرها قوم فقال **وقال الذين كفروا** اي ستروا ما دلتهم
عليه عقولهم من براهينها الظاهرة **لا تاتينا الساعة** اي انكروا مجيئها
او استبطاوها استهزا بالوعد به قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم
قل اي لهم **بلى** رد لكلامهم واثبات لما نفوه **وربي** اي المحسن
الي بما عمني به معكم وبما خصني به من تنبيي وارسالي اليكم
الي غير ذلك من امور لا يحصيها الا هو **لتاتينكم** اي الساعة لتظهر فيها
ظهورا تاما الحكمة بالعدل والفضل وغير ذلك من عجايب الحكم
والفضل وقوله تعالى **عالم الغيب** قراه نافع وابن عامر برفع الميم على هو
عالم او مبتدا وخبره ما بعده وابن كثير وابو عمرو وعاصم بجرها نعتا
لربي وقرا حمزة والكسايي بعد العين بلام الف مشددة وخفض
الميم **لا يعزب** اي لا يغيب **عنه مثقال** وزن **ذرة** اي من ذات
ولا معنى والذرة نملة حمرا صغيرة جدا صارت مثلا في اقل القليل
فهي كناية عنه وقرا حمزة والكسايي بكسر الزاي لا يعزب والباقون
بضمها وقوله تعالى **في السموات ولا في الارض** فيه لطيفة وهي ان الانسان
له جسم وروح فالاجسام اجزاوها في الارض والارواح في السما

فقوله في السموات اشارة الى علمه بالارواح وما فيهما من الملايكة وغيرهم
وقوله تعالى ولا في الارض اشارة الى علمه بالاجسام وما في الارض من غيرها
فاذا علم الارواح والاجسام قدر على جمعهما فلا استبعاد في الاعادة ثم
وقوله تعالى **ولا اصغر** اي ولا يكون شي اصغر **من ذلك** اي المثقال **ولا اكبر**
اي منه **الا في كتاب مبين** اي بين هو اللوح المحفوظ جملة موكدة لنفي
العزوب فان قيل فاي حاجة الى ذكر الاكبر فان من علم الاصغر من
الذرة لا بد وان يعلم الاكبر اجيب بانه تعالى اراد بيان اثبات
الامور في الكتاب فلو اقتصر على الاصغر لتوهم متوهم انه يثبت الصغار
لكونها محل النسيان واما الاكبر فلا ينسى فلا حاجة الى اثباته فقال
الاثبات في الكتاب ليس كذلك فان الاكبر ايضا مكتوب ثم بين علة ذلك
كله بقوله تعالى **ليجزي الذين امنوا وعملوا** تصديقا لايمانهم **الصالحات**
اي وانه ما خلق الاكوان الا لاجل الانسان فلا بد عنه بعد جزائهم بين
تعالى جزاءهم بقوله تعالى **اوليك** اي العالوا الرتبة **لهم مغفرة** اي لزلاتهم
وهفواتهم لان الانسان المبني على النقصان لا يقدر ان يقدر العظيم
السلطان حق قدره **ورزق كريم** اي جليل عزيز دايم لذيذ نافع شهي
لا كدر فيه وهو رزق الجنة تنبيه ذكر تعالى الذين امنوا وعملوا الصالحات لحاب
امرين الايمان والعمل الصالح وذكر لهم امرين المغفرة والرزق الكريم
فالمغفرة جزا الايمان فكل مومن مغفور له لقوله تعالى ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا وقوله صلى الله عليه وسلم
يخرج من النار من قال لا اله الا الله ومن في قلبه وزن ذرة من ايمان
والرزق الكريم على العمل الصالح وهذا مناسب فان من عمل لسيد كريم
عملا فعند فراغه لا بد وان ينعم عليه وقوله تعالى كريم بمعنى ذا كرم او مكرم
او لانه ياتي من غير طلب بخلاف رزق الدنيا ان لم يطلب ويتسبب اليه
لا ياتي غالبا فان قيل ما الحكمة في تمييز الرزق فانه كريم ولم يصف المغفرة
اجيب بان المغفرة واحدة وهي للمومنين واما الرزق فمنه شجرة الزقوم
والحميم ومنه الفواكه والشراب الطهور فميز الرزق لحصول
الانقسام فيه ولم يميز المغفرة لعدم الانقسام فيها ولما بين تعالى
حال المومنين يوم القيمة بين حال الكافرين في ذلك اليوم بقوله
سبحانه **والذين سعوا** اي فعلوا فعل الساعي **في اياتنا** اي القران
بالابطال وتزهيد الناس فيها وقوله تعالى **معاجزين** قراه ابن كثير وابو
عمرو بغير الف بعد العين وتشديد الجيم وكذا في اخر السورة اي سا بقين
كي يفوتونا **اوليك** الكافرون على ان يبلغوا مرادا بمعاجزتهم **لهم عذاب**
من رجز اليم اي سي العذاب **اليم وبرفع** اي مولم وقرا ابن كثير

وحفص اليم بالرفع على انه صفة لعذاب والباقون بالجر على انه صفة لرجز قال الرازي قال هنا لك لهم رزق كريم ولم يقل من التبعيضية فلم يقل لهم نصيب من رزق ولا رزق من جنس كريم وقال ههنا لهم عذاب من رجز اليم بلفظة صالحة للتبعيض وذلك اشارة الى سعة الرحمة وقلة الغضب وقوله تعالى ويرى الذين اوتوا العلم اي قذفه الله تعالى في قلوبهم سواء كانوا ممن اسلم من العرب او من اهل الكتاب وقيل مؤمنوا اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه وقيل الصحابة ومن شايعهم فيه وجهان احدهما انه عطف على ليجزي اي وليعلم الذين اوتوا العلم والثاني انه مستانف اخبر عنهم بذلك الذي انزل اليك من ربك اي المحسن اليك بانزاله هو الحق اي من عند الله تعالى تنبيه الذي انزل هو المفعول الاول وهو ضمير والحق مفعول ثان لان الرؤية علمية وقوله تعالى ويهدي الى صراط اي طريق العزيز الحميد في فاعله وجهان اظهرهما انه ضمير الذي انزل وهو القرآن والثاني ضمير اسم الله تعالى وهاتان الصفتان يفيدان الرغبة والرهبة العزيز يفيد التخويف والانتقام من المكذب والحميد يفيد الترغيب في الرحمة للمصدق وقال الذين كفروا اي قال بعضهم على وجه التعجب لبعض هل ندلكم على رجل يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم ينبئكم اخبارا لا اعظم منه بما حواه من العجب الخارج عما تعقله اذا مزقتم اي قطعتم وفرقتم بعد موتكم وقوله تعالى كل ممزق يحتمل ان يكون اسم مفعول اي كل تمزيق فلم يبق شي من اجسادكم مع شي بل صار الكل بحيث لا يميز ترابه وتراب الارض ويحتمل ان يكون ظرف مكان بمعنى اذا مزقتم وذهبت بكم الرياح والسيول كل مذهب انكم لفي خلق جديد اي تنشئون خلقا جديدا بعد ان تكونوا رفاتا وترابا وبالهمز في قوله افترى اي تعمد على الله اي الذي لا اعلم منه كذبا اي بالاخبار بخلاف الواقع وهو عاقل يصح منه القصد همزة استفهام فالقراء الجميع يحققونها واستغنى بها عن همزة الوصل فانها تحذف لاجلها فلذلك تثبت هذه الهمزة ابتداء ووصلا قال البغوي هذه الف استفهام دخلت على همزة الوصل فلذلك نصبت ام به جنة اي جنون يخيل به بذلك واستدل الجاحظ بهذه الاية على ان الكلام ثلاثة اقسام صدق وكذب ولا صدق ولا كذب ووجه الدلالة على القسم الثالث ان قولهم ام به جنة لا جائز ان يكون كذبا لانه قسيم الكذب وقسيم الشي غيره ولا جائز ان يكون صدقا لانهم لم يعتقدوه فثبت قسم ثالث واجيب عنه بان المعنى ام لم يفتر ولكن عبر عن هذا بقولهم ام به جنة لان المجنون لا افتراء له تنبيه قوله افترى يحتمل ان يكون من تمام قول

الكافرين

الكافرين اولا اي من كلام القائلين هل ندلكم ويحتمل ان يكون من كلام السامع المجيب للقائل هل ندلكم كان القائل لما قيل له هل ندلكم على رجل قال له هو يفتري على الله كذبا ان كان يعتقد خلافه ام به جنة مجنون ان كان لا يعتقد خلافه ولما كان الجواب ليس به شي من ذلك عطف عليه قوله تعالى بل الذين لا يؤمنون اي لا يجدون الايمان لانهم طبعوا على الكفر بالاخرة اي المشتملة على البعث والعذاب في العذاب اي في الاخرة والضلال البعيد اي عن الصواب في الدنيا فرد الله تعالى ترديدهم واثبت لهم سبحانه ما هو افظع من القسمين بقوله تعالى بل الذين كفروا في العذاب في مقابلة قولهم افترى على الله كذبا وقوله تعالى والضلال البعيد في مقابلة قولهم به جنة وكلاهما مناسب اما العذاب فلان نسبة الكذب الى الصادق مؤد الى انه شهادة عليه بانه يستحق العذاب فجعل العذاب حيث نسبوا الكذب الى البري واما الجنون فلان نسبة الجنون الى العاقل دونه في الاذى فانه لا يشهد عليه بانه يعذب وانما ينسبه الى عدم الهداية فبين تعالى انهم هم الضالون ثم وصف ضلالهم بالبعد ووصف الاضلال به للاسناد المجازي لان من يسمى الهدي ضالا لا يجوز اضل والنبي صلى الله عليه وسلم هادي كل مهتدي ولما ذكر تعالى الدليل على كونه عالم الغيب وكونه مجازيا على السيئات والحسنات ذكر دليلا اخر فيه التهديد والتوحيد بقوله تعالى افلم يروا اي ينظروا الى ما بين ايديهم اي امامهم وما خلفهم وما خلفهم وذلك اشارة الى جميع الجوانب من كل الخافقين فقوله تعالى من السماء والارض دليل التوحيد فانهما يدلان على الوحدانية ويدلان على الحشر والاعادة لانهما يدلان على كمال القدرة بقوله تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم واما دليل التهديد فقوله تعالى ان نشأ اي بما لنا من العظمة نخسف بهم الارض اي كما فعلنا بقارون وذويه لانه ليس نفوذ بعض افعالنا فيها باولى من غيره او نسقط عليهم كسفا اي قطعة من السماء فتهلكهم بها وقرا حفص بفتح السين والباقون بسكونها تنبيه في قوله تعالى افلم يروا الروايتان المشهورتان قدره الزمخشري اعموا فلم يروا وغيره يدعي ان الهمزة مقدمة على حرف العطف وقوله من السماء بيان للموصول فيتعلق بمحذوف ويجوز ان يكون حالا فيتعلق به ايضا قيل وثم حال محذوفة تقديره افلم يروا الى كذا مقهورا تحت قدرتنا او محيطا بهم فيعلموا انهم حيث كانوا فان ارضي وسمائي محيطة بهم لا يخرجون من اقطارها وانا القادر عليهم وقرا حمزة والكسائي ان يشا يخسف بهم الارض او يسقط بالياء في الثلاثة كقوله تعالى افترى على الله كذبا والباقون بالنون وادغم الكسائي الفاء في الباء واظهرها الباقون ان في ذلك اي فيما ترون من السماء والارض لاية اي علامة بينة



تدل على قدرتنا على البعث **لكل عبد** اي متحقق انه مربوب ضعيف مسخر لما يراد منه
منيب اي فيه قابلية الرجوع الى ربه بقلبه ولما ذكر تعالى من ينيب من عباده وكان من جملتهم داود
كما قال ربه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب ذكره بقوله تعالى **ولقد آتينا** اي اعطينا
عطاء عظيما والاعلى نهاية المكنة بما لنا من العظمة **داود منا فضلا** اي النبوة
والكتاب او الملك او جميع ما اوتي من حسن الصوت وتليين الحديد وغير
ذلك مما خص به وهذا الاخير اولى تنبيه قوله تعالى منا فيه اشارة الى
بيان فضل داود عليه السلام لان قوله ولقد آتينا داود منا فضلا
مستقل بالمفهوم وتام كما يقول القائل آتى الملك زيدا خلعة فاذا
قال القائل آتاه منه خلعة يفيد انه كان من خاص ما يكون له فكذلك
ايتاء الله تعالى الفضل عام لكن النبوة من عنده خاص بالبعض ونظيره قوله
تعالى يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان فان رحمة الله تعالى واسعة
تصل الى كل احد لكن رحمته في الاخرة على المؤمنين رحمة من عنده وخواصه
وقوله تعالى **يا جبال** محكي بقول مضمر ثم ان شئت قدرته مصدرا ويكون
بدلا من فضلا على جهة تفسيره به كانه قيل آتيناه فضلا
قولنا يا جبال وان شئت قدرته فعلا وحينئذ لك وجهان ان شئت
جعلته بدلا من آتينا معناه آتينا قلنا يا جبال وان شئت جعلته
مستأنفا تعالى **اوبي** اي رجعي **معه** بالتسبيح اذا سبح امر من
التاويب وهو من الترجيع وقيل التسبيح بلغة الحبشة وقال
العتبي اصله من التاويب في السير وهو ان يسير النهار كله وينزل
ليلا كانه يقول اوبي النهار كله بالتسبيح معه وقال وهب
نوحي معه وقيل سيري معه **والطير** منصوب بالجماع القراء السبعة
واختلف في وجه نصبه على اوجه احدها انه عطف على محل جبال
لانه منصوب تقديرا لان كل منادى في موضع نصب الثاني انه عطف
على فضلا قاله الكسائي ولا بد من حذف مضاف تقديره آتيناه فضلا
وتسبيح الطير الثالث انه منصوب باضمار فعل اي وسخرنا له الطير
قاله ابو عمرو تنبيه لم يكن الموافق له في التاويب منحصرا في الطير
والجبال ولكن ذكر الجبال لان الصخور للجمود والطير للنفور وكلاهما
تستبعد منه الموافقة فاذا وافقته هذه الاشياء فغيرها اولى ثم من
الناس من لم يوافقه وهم القاسية قلوبهم التي هي اشد قسوة قال
المفسرون كان داود اذا نادى بالنياحة اجابته الجبال بصداها وعكفت
عليه الطير من فوقه فصدى الجبال الذي يسمعه الناس اليوم من ذلك
وقيل كان داود اذا لحقه فتور اسمعه الله تسبيح الجبال تنشيطا له
وقال وهب بن منبه كان يقول للجبال سبحي وللطير اجيبي

وقيل كان داود اذا [illegible] تسبيح الله جعلت الجبال تجاوبه بالتسبيح نحو ما يسبح مع

ثم يأخذ

١٦٤

في تلاوة الزبور بين ذلك بقوله بصوته الحسن فلا يرى الناس المنظر احسن من ذلك
ولا يسمعون شيئا اطيب منه وذلك كما كان الحصى يسبح في كف النبي صلى الله
عليه وسلم وكف ابي بكر وعمر وكما كان الطعام يسبح في حضرته الشريفة
وهو يؤكل وكما كان الحجر يسلم عليه واسكفة الباب وحوائط البيت
تؤمن على دعائه وحنين الجذع مشهور وكما كان الضب يشهد له والجمل
يشكو اليه ويسجد له بين يديه ونحو ذلك وكما جاء الطير الذي يسمى الحمرة
تشكو الذي اخذ بيضها فامره النبي صلى الله عليه وسلم برده رحمة لها
ولما ذكر تعالى اكثف الارض والطف الحيوان الذي انشاه الله تعالى منها ذكر
سبحانه وتعالى ما انشاه من ذلك الاكثف وهو اصلب الاشياء بقوله
تعالى **والنا له الحديد** اي الذي ولدناه من الجبال جعلناه في يده كالشمع
والعجين يعمل منه ما يشاء من غير نار ولا ضرب مطرقة وذلك في
قدرة الله تعالى يسير وكان سبب ذلك ما روي في الاخبار ان داود
لما ملك بني اسرائيل كان من عادته ان يخرج للناس متنكرا فاذا راى رجلا
لا يعرفه تقدم اليه يساله عن داود فيقول ما تقول في داود واليكم
هذا اي رجل هو فيثنون عليه ويقولون خيرا فقيض الله تعالى له ملكا
في صورة آدمي فلما راه داود تقدم اليه على عادته يساله فقال الملك
نعم الرجل هو لولا خصلة فيه فراع داود ذلك وقال ما هي قال انه
ياكل ويطعم عياله من بيت المال قال فتنبه لذلك وسال الله
ان يسبب له سببا يستغني به عن بيت المال يتقوت منه ويطعم
عياله فالان الله تعالى له الحديد وعلمه صنع الدرع وانه اول من اتخذها ويقال
انه كان يبيع كل درع باربعة آلاف فياكل ويطعم عياله ويتصدق
منها على الفقراء والمساكين ويقال انه كان يعمل كل يوم درعا يبيعه بستة
آلاف درهم فينفق منها الفين على نفسه وعياله ويتصدق باربعة آلاف
على فقراء بني اسرائيل وانما اختار الله تعالى له ذلك لانه وقاية للروح التي
من امره وحفظ الآدمي المكرم عند الله تعالى من القتل فالزراد خير من
القواس والسياف وغيرهما لان القوس والسيف وغيرهما من السلاح ربما
يستعمل في قتل النفس المحرمة بخلاف الدرع قال صلى الله عليه وسلم
كان داود لا ياكل الا من عمل يده ثم ذكر سبحانه وتعالى علة الالانة بقوله
ان اعمل سابغات اي دروعا طوالا واسعات يجرها لابسها على الارض
وذكر الصفة يعلم منها الموصوف واختلف في قوله تعالى **وقدر في السرد**
اي نسج الدروع يقال لصانعه الزراد والسراد فقيل قدر المسامير
في حلق الدروع اي لا تجعل المسامير غلاظا فتكسر الحلق ولا دقاقا
فتقلقل فيها ويقال السرد المسمار في الحلقة يقال درع مسرودة

طاعة

من صنعة الآدميين اشارة الى ان عمله كان [illegible] بقوله تعالى

اي مسمورة الحلق وقدر في السرد اي اجعله على القصد وقدر الحاجة
وقيل اجعل كل حلقة مساوية لاختها مع كونها ضيقة لئلا ينفذ منها
سهم ولتكن في تخنها بحيث لا يقطعها سيف ولا تثقل على الذراع فتمنعه
خفة التصرف وسرعة الانتقال في الكر والفر والطعن في الحر والبرد منه
والظاهر كما قال البقاعي انه لم يكن في حلقها مسامير لعدم الحاجة بلانة
الحديد اليها والا لم يكن بينه وبين غيره فرق ولا كان للاية لانه كبير فايدة
وقد اخبر بعض من راي من نسب اليه بغير مسامير وقال الرازي يحتمل
ان يقال السرد هو عمل الزرد وقوله تعالى وقدر في السرد اي انك غير
مامور به امر ايجاب انما هو اكتساب والكسب يكون بقدر الحاجة وباقي
الايام والليالي للعبادة فقدر في ذلك العمل ولا تشتغل جميع اوقاتك
بالكسب بل حصل به القوت فحسب ويدل عليه قوله تعالى **واعملوا صالحا**
اي لستم مخلوقين الا للعمل الصالح فاعملوا ذلك واكثروا منه واما
الكسب فقدروا فيه ثم اكد طلب العمل الصالح بقوله تعالى
اني بما تعملون بصير اي مبصر فاجازيكم به ثم ديد بهذا داوود واله تنبيه
كما الان الله تعالى لداوود الحديد الان لنبينا صلى الله عليه وسلم في
الخندق ثلاث الكدية وذلك بعد ان لم تكن المعاول تعمل فيها وبلغت غاية
الجهد منهم فضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربة واحدة
وفي رواية رش عليها ماء فعادت كثيبا اهيل لا ترد فاسا وتلك الصخرة
التي اخبر سلمان عنها انها كسرت فوسهم ومعاولهم وعجزوا عنها
فضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث ضربات في كل ضربة
ثلث منها وبرقت مع كل برقة كبر معها تكبيرة واضات للصحابة
رضي الله تعالى عنهم ما بين لابتي المدينة بحيث كانت في النهار كانها مصباح
في جوف بيت مظلم فسالوه عن ذلك فاخبرهم صلى الله عليه وسلم
ان احدى الضربات اضات له صنعا من ارض اليمن حتى راي ابوابها
من مكانه ذلك واخبره جبريل عليه السلام انها ستفتح على امته واضات
له الاخرى قصور الشام الحمر البيض كانها انياب الكلاب واخبر انها مفتوحة
لهم واضات له الاخرى قصور الشام الحمر كانها انياب الكلاب واخبر
بفتحها عليهم فصدقه الله تعالى في جميع ما قال واعظم من ذلك تصليب
الخشب له حتى يصير سيفا قوي المتن جيد الحديدة وذلك ان سيف
عبد الله بن جحش انقطع يوم احد فاعطاه رسول الله صلى الله عليه
وسلم عرجونا فصار في يده سيفا قايمه منه فقاتل به فكان يسمى
العون ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبعده حتى قتل وهو عنده وعن الواقدي انه انكسر سيف سلمة

بيان على القصد

ابن اسلم

ابن اسلم يوم بدر فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قضيبا كان في يده
من عراجين رطاب فقال اضرب به فاذا هو سيف جيد فلم يزل عنده حتى قتل
والان داوود للحديد ليس باعجب من الحام النبي صلى الله عليه وسلم يد معوذ بن
عفرا لما قطعها ابو جهل يوم بدر فاتي بها يحملها في يده الاخرى فبصق عليها
رسول الله صلى الله عليه وسلم والصقها فلصقت وصحت مثل اختها
كما نقله البيهقي وغيره ومعجزاته صلى الله عليه وسلم لا تنحصر وانما اذكر
بعضها تبركا برسول الله صلى الله عليه وسلم واسل الله ان يحشرنا
في زمرته ويفعل ذلك بمحبينا واهلينا ولما اتم الله تعالى المراد من ايات
داوود عليه السلام اتبعها بعض ايات ابنه سليمان عليه السلام لمشاركته
في الانابة بقوله تعالى **ولسليمان** اي عوضا عن الخيل التي عقرها لله تعالى
الريح وقراشعبة الريح بالرفع على الابتدا والخبر في الجار قبله او محذوف
والباقون بالنصب باضمار فعل وسخرنا **غدوها** اي سيرها من الغدو بمعنى
الصباح الى الزوال **شهر** اي تحمله وتذهب به وبجميع عسكره من الصباح
الى نصف النهار مسيرة شهر **ورواحها** اي من الزوال الى الغروب **شهر** اي
مسيرته فكانت تسير به في يوم واحد مسيرة شهرين قال الحسن كان
يغدو من دمشق فيقيل باصطخر وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع
وهذا كما سخر الله تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم في غزوة الاحزاب فكانت تهد
خيامهم وتضرب وجوههم بالتراب والحجارة وهي لا تجاوز عسكرهم
الى ان هزمهم الله تعالى بها وكما حملت شخصين من الصحابة في غزوة تبوك
فالقتهما في جبل طي وتحمل من اراد الله تعالى من اولياء امته كما هو في غاية
الشهرة ونهاية الكثرة واما امر الاسرا والمعراج فهو من الجلالة والعظم
بحيث لا يعلمه الا الله تعالى مع ان الله تعالى صرفه في ايات السما بحبس المطر تارة
وارساله اخرى ولما ذكر تعالى الريح اتبعها ما هو من اسباب تكونه بقوله
تعالى **واسلنا** اي اذبنا بما لنا من العظمة **له عين القطر** اي النحاس حتى صار كانه
عين ما فاجريت ثلاثة بليا ليهن كجري الما وعمل الناس الى اليوم مما اعطي
سليمان **ومن الجن** اي الذي سترناهم عن العيون من الشياطين وغيرهم
عطف على الريح اي وسخرنا له من الجن **من يعمل بين يديه** اي قد امكنه
الله تعالى منهم غاية الامكان في غيبته وحضوره **باذن** اي بامر **ربه**
اي بتمكين المحسن اليه **ومن يزغ** اي يمل **منهم عن امرنا** اي امره الذي
هو من امرنا **نذقه من عذاب السعير** اي النار في الاخرة وقيل في الدنيا بانه
يضربه ملك بسوط منها ضربة يحرقه وهكذا كما امكن نبينا صلى
الله عليه وسلم من ذلك العفريت فخنقه وهم بربطه حتى تلعب به
صبيان المدينة ثم تركه تادبا مع اخيه سليمان عليه السلام فيما

ساله الله تعالى فيه واما الاعمال التي يد ورعليها الدين فاغناه الله تعالى
بها عن الجن بالملائكة الكرام وسلط جمعا من صحابته على جماعة من مردة الجان
منهم ابو هريرة لما وكله النبي صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان
ومنهم ابي بن كعب قبض على شخص منهم كان يسرق من تمره وقال لقد
علمت الجن ما فيهم اشد مني ومنهم معاذ بن جبل لما جعله النبي صلى الله
عليه وسلم على صدقة المسلمين فاتاه شيطان يسرق وتصور له بصور
منها صورة فيل فضبطه والتفت يداه عليه وقال له يا عدو الله فشكى له
الفقر واخبره انه من جن نصيبين وانهم كانت لهم المدينة فلما بعث
النبي صلى الله عليه وسلم اخرجهم منها وساله ان يخلي عنه على ان لا يعود
ومنهم بريدة ومنهم ابو ايوب الانصاري ومنهم زيد بن ثابت
ومنهم عمر بن الخطاب صارع الشيطان فصرعه عمر ومنهم عمار بن
ياسر قاتل الشيطان وادمى فصرعه عمار وادمى انفه الشيطان بحجر
ذلك البيهقي في الدلائل واما غير القطر فهي مما تضمنه قول النبي صلى
الله عليه وسلم اعطيت مفاتيح خزائن الارض والملك في الدنيا
والخلد فيها ثم الجنة فاخترت ان اكون عبدا نبيا اجوع يوما واشبع
يوما الحديث فتمثل ذلك اللولو الرطب الى عين الذهب المصفى الى
ما دون ذلك وروى الترمذي وقال حسن عن ابي امامة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا
قلت لا يا رب ولكن اجوع يوما واشبع يوما فاذا جعت تضرعت
اليك وشكرتك واذا شبعت ذكرتك وحمدتك وللطبراني باسناد
حسن عن ابن عباس ان اسرافيل اتى النبي صلى الله عليه وسلم بمفاتيح
خزائن الارض وقال ان الله امرني ان اعرض عليك ان اسير معك
جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فان شئت نبيا ملكا نبيا عبدا
فاومى اليه جبريل عليه السلام ان تواضع فقال نبيا عبدا ورواه ابن
حبان في صحيحه مختصرا من حديث ابي هريرة وله في الصحيح عن جابر
ابن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتيت بمقاليد
الدنيا على فرس ابلق عليه قطيفة من سندس وفي البخاري في غزوة احد
عن عقبة بن عامر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اعطيت مفاتيح
خزائن الارض او مفاتيح الارض هذا ما يتعلق بالارض وقد يد صلى
الله عليه وسلم على ذلك بان ايده ربه سبحانه بالنصر في خزائن
في خزائن السما تارة بشق القمر وتارة برجم النجوم وتارة باختراق
السموات وتارة بحبس المطر وتارة بارساله الى غير ذلك مما
اكرمه الله تعالى به مما لا يحيط به الا الله عز وجل صلى الله عليه وعلى

اله وازواجه وذريته واصحابه واحشرنا وايانا معهم في دار كرامته
ولما اخبر تعالى انه سخر لسليمان الجن ذكر عملهم في اعمالهم بقوله تعالى يعملون
له اي في اي وقت شا ما يشا اي عمله من محاريب اي ابنية مرتفعة
ب غير مساجد يصعد اليها بدرج سميت بذلك لانها يذب عنها ويحار
عليها ومساجد والمحراب مقدم كل مسجد ومجلس وبيت وكانوا مما
عملوه له بيت المقدس ابتداه داوود عليه السلام ورفعه قامة رجل
فاوحى الله تعالى اليه اني لم اقض ذلك على يديك ولكن ابن لك اسمه سليمان
اقضي تمامه على يديه فلما توفاه الله تعالى استخلف سليمان عليه
السلام فاحب اتمام بناء بيت المقدس فجمع الجن والشياطين وقسم
عليهم الاعمال فخص كل طائفة منهم بعمل يستصلحه له فارسل
الجن والشياطين في تحصيل الرخام والمها الابيض من معادنه وامر ببنا
المدينة بالرخام والصفائح وجعلها اثني عشر ربضا وانزل على كل ربض
سبطا من الاسباط وكانوا اثني عشر سبطا فلما فرغ من بنا المدينة
ابتدا في بناء المسجد فوجه الشياطين فرقا يستخرجون الذهب والفضة
والياقوت من معادنها والدر الصافي من البحر وفرقا يقتلعون الجواهر
والحجارة من اماكنها وفرقا ياتونه بالمسك والعنبر وسائر الطيب
من اماكنها فاتي من ذلك بشي لا يحصيه الا الله تعالى ثم احضر
ح الصناع وامرهم بنحت تلك الحجارة المرتفعة وتصييرها الواحا واصلاح
تلك الجواهر وثقب اليواقيت واللالي فبنى المسجد بالرخام الابيض
هر والاصفر والاخضر وعمده باساطين المها الصافي وسقفه بالواح الجواهر
الثمينة وفصص سقفه وحيطانه باللالي والياقوت وسائر الجواهر
وبسط ارضه بالواح الفيروزج فلم يكن يومئذ في الارض بيت ابهى
ولا انور من ذلك المسجد وكان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر فلما
فرغ منه جمع احبار بني اسرائيل فاعلمهم انه بناه لله تعالى وان كل شي
خالص فيه لله تعالى واتخذ ذلك اليوم الذي فرغ منه عيدا روى عبد الله
ابن عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما فرغ سليمان
من بناء بيت المقدس سال ربه ثلاثا فاعطاه وانا ارجو ان يكون
اعطاه الثالثة ساله حكما يوافق حكمه فاعطاه اياه وساله ان لا ياتي
هذا البيت احد يصلي فيه ركعتين الا خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه
وانا ارجو ان يكون قد اعطاه ذلك قالوا فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمان
حتى غزاه بخت نصر فخرب المدينة وهدمها ونقض المسجد واخذ ما كان
في سقوفه وحيطانه من الذهب والفضة والدر والياقوت وسائر الجواهر
الى دار ملكه بارض العراق وبنا الشياطين باليمن لسليمان حصونا

كثيرة عجيبة من الصخر **وتماثيل** جمع تمثال وهو كل شي مثلته بشي اي كانوا
يعملون له تماثيل اي صورا من النحاس وزجاج ورخام ونحو ذلك فان
قيل كيف استجاز سليمن عليه السلام عمل التصاوير اجيب بان
هذا مما يجوز ان يختلف فيه الشرايع لانه ليس من مقبحات العقل
كالظلم والكذب وعن ابي العالية لم يكن اتخاذ التصاوير اذ ذاك محرما
ويجوز ان يكون غير صور الحيوان كصور الاشجار وغيرها لان التمثال
كلما صور على مثل صورة غيره من حيوان وغير حيوان او بصور محذوفة
الروس روي انهم عملوا له اسدين في اسفل كرسيه ونسرين
في اعلاه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد
اظله النسران باجنحتهما وقيل كانوا يتخذون صور الانبيا والملكة
والصالحين في المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة قيل ان هذا
كان اول الامر فلما تقادم الزمن قال لهم ابليس ان اباكم كانوا يعبدون
هذه الصور فعبدوا الاصنام ولم تكن التصاوير ممنوعة في شريعتهم
كما ان عيسى كان يتخذ صورا من الطين فينفخ فيها فتكون طيرا **وجفان**
اي قصاع وصحاف يوكل فيها واحدتها جفنة **كالجواب** جمع جابية
وهي الحوض الكبير يجيي اليه الما اي يجتمع يقال كان يجلس على الجفنة
الواحدة الف رجل ياكلون منها وقرا ابو عمرو وورش باثبات اليا
بعد الموحدة في الوصل دون الوقف وابن كثير باثباتها وقفا ووصلا
والباقون بالحذف وقفا ووصلا ولما ذكر القصاع على وجه تتعجب منه
ذكر ما يطبخ فيه طعام تلك الجفان بقوله تعالى **وقدور راسيات**
اي ثابتات ثباتا عظيما لانها لكبرها كالجبال لها قوايم لا يحركها عن
اماكنها لعظمهن ولا يبدلن ولا يعطلن وكان يصعد عليها بالسلالم
وكانت باليمن ولما ذكر المساكن وما يتبعها اتبعها الامر بالعمل بقوله تعالى
اعملوا اي وقلنا تمتعوا واعملوا ودل على مزيد قربهم بحذف اداة الندا
وعلى شرفهم بالتعبير بالال بقوله تعالى **ال داوود** وقوله تعالى **شكرا**
يجوز فيه اوجه احدها انه مفعول به اي اعملوا الطاعة سميت الصلاة ونحوها
شكرا لسدها مسده ثانيها انه مصدر من معنى اعملوا كانه قال اشكروا
شكرا بعملكم او اعملوا عمل شكر ثالثها انه مفعول لاجله اي لاجل الشكر
واقتصر على هذا البقاعي رابعها انه مصدر واقع موقع الحال اي شاكرين
خامسها انه منصوب بفعل مقدر من لفظه تقديره واشكروا شكرا سادسها
انه صفة لمصدر اعملوا تقديره اعملوا عملا شكرا اي ذا شكر تنبيه
الى انه كما قال تعالى عقب قوله سبحانه ان اعمل سابغات اعملوا صالحا
قال عقب ما تعمله الجن له اعملوا ال داوود شكرا اشارة الى انه لا ينبغي

لا يجعل الانسان نفسه مستغرقة في هذه الاشيا وانما الاكثار من العمل الصالح
الذي يكون شكرا وقوله تعالى **وقليل** خبر مقدم وقوله تعالى **من عبادي**
صفة له وقوله تعالى **الشكور** مبتدا والمعنى ان العامل بطاعتي المتوفر الدواعي
بظاهره وباطنه من قلبه ولسانه ويديه على الشكر بان يصرف جميع ما انعم
الله تعالى عليه فيما يرضيه قليل ومع ذلك لا يوفي حقه لان توفيقه الشكر
نعمة لان توفيقه للشكر تستدعي شكرا اخر لا الى نهاية ولذلك قيل الشكور
من يرى عجزه عن الشكر وعبر بصيغة فعول اشارة الى ان من يقع منه
مطلق الشكر كثير واقل ذلك حال الاضطرار وقيل المراد من آل داوود هو
داوود نفسه وقيل داوود وسليمان واهل بيته قال جعفر بن
سليمان سمعت ثابتا يقول كان داوود عليه السلام قد جزا ساعات
الليل والنهار على اهله فلم تك تاتي ساعة من ساعات الليل الا وانسان
من ال داوود قايما يصلي وقال صلى الله عليه وسلم في صلاة النافلة افضل
الصلاة صلاة داوود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه
وقال في صوم التطوع افضل الصيام صوم داوود كان يصوم يوما
ويفطر يوما وروي عن عمر انه سمع رجلا يقول اللهم اجعلني من القليل
فقال عمر ما هذا الدعا فقال اني سمعت الله يقول وقليل من عبادي
الشكور فانا ادعوه ان يجعلني من ذلك القليل فقال عمر كل الناس اعلم
من عمر ولما كان الموت مكتوبا على كل احد قال تعالى **فلما قضينا** وحق
صفة القدرة باداة الاستعلا بقوله تعالى **عليه** اي سليمان عليه
السلام **الموت** قال اهل العلم كان سليمان يتجرد في بيت المقدس
السنة والسنتين والشهر والشهرين واقل من ذلك واكثر فيدخل فيه
ومعه طعامه وشرابه فلما دنى اجله لم يصبح الا راى في محرابه شجرة نابتة
قد انطقها الله تعالى فسالها ما اسمك فتقول كذا وكذا فيقول لاي شي خلقت
فتقول لكذا وكذا فيومر بها فتقطع فان كانت تنبت لغرس غرسها وان
كانت تنبت لدوا كتب ذلك حتى نبتت الخروبة فقال لها ما انت قالت
الخروبة قال لاي شي نبت قالت لخراب مسجدك قال داوود عليه السلام
ما كان الله ليخربه وانا حي انت الذي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس
فنزعها وغرسها في حايط له ثم قال اللهم عم على الجن موتي حتى تعلم الانس
ان الجن لا يعلمون الغيب لانهم كانوا يسترقون السمع ويموهون على الناس
انهم كانوا يعلمون الغيب وقال لملك الموت اذا امرت بي فاعلمني فقال
قد امرت بك وقد بقي من عمرك ساعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا
من قوارير ليس له باب فقام يصلي متكيا على عصاه فقبض الله روحه وهو
متكي عليها وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه اينما صلى وكان للمحراب

كوي بين يديه وخلفه فكانت الجن تعمل الاعمال الشاقة التي كانوا يعملونها في
حياته وينظرون الي سليمان فيرونه قايما متكيا على عصاه فيحسبونه حيا فلا
ينكرون خروجه الي الناس لطول صلاته فمكثوا يدابون له بعد موته حولا كاملا
حتى اكلت الارضة عصا سليمان فخر ميتا فعلموا بموته كما قال تعالى **ما دلهم على
موته الا دابة الارض** اي الارضة لانا جعلنا له من سعة العلم ووفور الهيبة
ونفوذ الامر ما تمكن به من اخفاء موته عنهم **تاكل منساته** قال البخاري
يعني عصاه فالمنساة اسم العصا اسم له من نسا واخره كالمكنسة
والمكنسة من نسات الغنم اي زجرتها وسقتها ومنه نسا الله في اجله
اي اخره وقرا نافع وابو عمرو بعد السين بالف وابن ذكوان بعد السين بهمزة
ساكنة والباقون بهمزة مفتوحة بعد السين فاذا وقف حمزة سهل الهمزة
وقيل لم يكن شيطان ينظر اليه في صلاته الا احترق فمر به شيطان فلم يسمع
صوته ثم رجع فلم يسمع فنظر سليمان قد خر ميتا ففتحوا عنه فاذا العصا
قد اكلتها الارضة **فلما خر** اي سقط على الارض بعد ان قصمت الارضة
عصاه **تبينت الجن** اي علمت علما بينا لا يقدرون معه على تدبيج
وتلبيس واتضح امرهم وظهر ظهورا تاما **ان** اي انهم **لو كانوا** اي الجن
يعلمون الغيب اي علمه **ما لبثوا** اي اقاموا حولا **في العذاب المهين** من ذلك
العمل الذي كانوا مسخرين فيه ويجوز ان تكون ان تعليلية ويكون المقدر
تبين حال الجن فيما يظن بهم من انهم يعلمون الغيب لانهم الي اخره وسبب
علمهم مدة كونه ميتا قبل ذلك انهم وضعوا الارضة على موضع من
العصا فاكلت منها يوما وليلة مقدارا وحسبوا على ذلك النحو فوجد
المدة سنة فشكر الجن الارضة فهم ياتونها بالماء والطين في جوف الخشب
تنبيه قد تقدم ان كل شيء اثبت لمن قبل نبينا صلى الله عليه
وسلم من الانبياء من الخوارق ثبت له مثله او اعظم منه اما له م
نفسه او لاحد من امته وهذا الذي ذكر لسليمان عليه السلام
من حفظه بعد موته سنة لا يميل قد ثبت مثله لشخص من هذه الامة
من غير شيء يعتمد عليه قال القشيري في رسالته في باب احوالهم عند
الخروج من الدنيا وقال ابو عمران الاصطخري رايت ابا تراب في البادية
قايما ميتا لا يمسكه شي انتهى فايدة روي ان سليمان كان عمره
ثلاثا وخمسين سنة ومدة ملكه اربعون سنة وملك يوم ملكه وهو
ابن ثلاث عشرة سنة وابتدا في بنا بيت المقدس لاربع سنين مضين
من ملكه وروي ان داود اسس بنا بيت المقدس في موضع فسطاط
موسى عليه السلام فمات قبل ان يتم فوصى به الي سليمان فامر الشياطين
باتمامه ولما بقي من عمله سنة سال الله تعالى ان يعمي عليهم موته حتى يفرغوا

منه

منه وليبطل دعواهم علم الغيب وروي ان افريدون جاء ليصعد كرسيه فلما دنا
ضرب الاسدان رجله فكسراها فلم يجسر احد بعد يدنو منه ولما بين تعالى
حال الشاكرين لنعمه بذكر داود وسليمان بين حال الكافرين لانعمه بحكاية
اهل سبا فقال تعالى **لقد كان لسبا** اي القبيلة المشهورة روى ابو سبرة
النخعي عن ابي فروة بن مسيك القطيعي قال قال رجل يا رسول الله
اخبرني عن سبا اكان رجلا او امراة او ارضا قال كان رجلا من العرب وله
عشرة من الولد تيامن منهم ستة وتشاءم منهم اربعة فاما الذين
تيامنوا فكندة والاشعريون ومذحج وانمار وحمير فقال رجل وما
انمار قال الذين منهم خثعم وبجيلة واما الذين تشاءموا فلخم وجذام
وعاملة وغسان وسبا يجمع هذه القبائل كلها والجمهور على ان
جميع العرب ينقسمون على قسمين قحطانية وعدنانية فالقحطانية
شعبان سبا وحضرموت والعدنانية شعبان ربيعة ومضر واما
قضاعة فمختلف فيها فبعضهم نسبها الي قحطان وبعضهم الى
عدنان قيل ان قحطان اول من قيل له انعم صباحا وابيت اللعن
قال بعضهم وجميع العرب منسوب الى اسماعيل بن ابراهيم
وليس بصحيح فان اسماعيل نشا بين جرهم بمكة وكانوا عربا
والصحيح ان العرب العاربة كانوا قبل اسماعيل عاد وثمود وطسم
وجديس واميم وجرهم يقال ان اميم كان ملكا يقال انه اول من سقف
البيوت بالخشب المنشور وكانت الفرس تسميه ادم الاصغر
وبنوه قبيلة يقال لها وبار هلكوا بالرمل اساله الله عليهم واهلكهم
وطم مناهلهم وفي ذلك يقول بعض الشعراء

وكر دهر على وبار ۞ فهلكت عنوة وبار

واسم سبا عبد شمس بن يشجب بن قحطان وسمي سبا قيل لانه اول
من سبا في العرب قاله السهيلي ويقال انه اول من تتوج وذكر بعضهم
انه كان مسلما وله شعر بشر فيه بوجود النبي صلى الله عليه وسلم قال
في سليمان

سيملك بعدنا ملك عظيم ۞ نبي لا يرخص في الحرام
ويملك بعده منهم ملوك ۞ يدينوه القيام بكل رام
ويملك بعدهم منا ملوك ۞ يصير الملك فينا باقتسام
ويملك بعد قحطان نبي ۞ تقي مخبت خير الانام
يسمى احمدا يا ليت اني ۞ اعمر بعد مبعثه بعام
فاعضده واحبوه بنصري ۞ بكل مدجج وبكل رام
متى يظهر فكونوا ناصريه ۞ ومن يلقاه يبلغه سلامي

وقرا البزي وابو عمرو بعد البا الموحدة بهمزة مفتوحة من غير تنوين لانه صار اسم
قبيلة وقنبل بهمزة ساكنة والباقون بهمزة مكسورة منونة واذا وقف حمزة
وهشام ابدلا الهمزة الفا ولهما ايضا الروم مع التسهيل وقرا في مسكنهم
اي التي هي في غاية الكثرة حمزة وحفص بسكون السين وفتح الكاف ولا الف
بينهما اشارة الى انها لشدة اتصال المنافع والمرافق كالمسكن الواحد
وقرا الكسائي كذلك الا انه بكسر الكاف والباقون بفتح السين والف
بعدها وكسر الكاف اشارة الى انها في غير الملاءمة لهم والليق وكانت
بارض مارب من بلاد اليمن قال حمزة الكرماني قال ابن عباس على ثلاث
فراسخ من صنعا آية اي علامة ظاهرة على قدرتنا ثم فسر الاية بقوله
تعالى جنتان عن يمين وشمال اي عن يمين الوادي وشماله قد احاطت
الجنتان بذلك الوادي وقيل على يمين من اتاهما وشماله فان قيل كيف
عظم الله جنتي اهل سبا وجعلهما اية ورب قرية من قريات العراق يحتف بها
من الجنات ما شئت اجيب بانه لم يرد بستانين اثنين فحسب
وانما اراد جماعة من البساتين جماعة عن يمين بلدهم واخرى عن
شمالها وكل واحدة من الجماعتين في تقاربها وتضامها كانها
جنة واحدة كما تكون بلاد الريف وبساتينه او اراد بستاني كل رجل منهم
عن يمين مسكنه وشماله كما قال تعالى جعلنا لاحدهما جنتين
من اعناب فكانت اخصب البلاد واطيبها واطيبها ثمارا حتى كانت
المراة تضع على راسها مكتلا فتطوف بها بين الاشجار فيمتلي المكتل
من جميع انواع الفواكه من غير ان تمس شيا بيدها مما يتساقط
فيه من الثمر وقوله تعالى كلوا من رزق ربكم اي المحسن الكريم الذي
اخرج لكم منها ما تشتهون واشكروا له اي خصوه بالشكر بالعمل في
كل ما يرضيه ليديم لكم النعمة حكاية لما قالت لهم نبيهم او لسان
الحال او دلالة بانهم كانوا احقاء بان يقال لهم ذلك ثم استانف تعظيم
ذلك بقوله بلدة طيبة اي حسنة التربة ليس بها سباخ حسنة
الهوا سليمة من الهوام ليس فيها بعوضة ولا ذبابة ولا برغوث ولا
عقرب ولا حية يمر الغريب بها وفي ثيابه القمل فيموت
من طيب هوائها واشار الى انه لا يقدر احد ان يقدره حق قدره بقوله
تعالى ورب غفور اي لذنب من شكره وتقصيره فلا يعاقب عليه
ولا يعاتب قال البقاعي واخبرني بعض اهل اليمن انها اليوم مفازة
قرب صنعا قال وفي بعضها عنب يعمل منه زبيب كبار جدا
في مقدار درهم ببلاد الشام وهو في غاية الصفا كانه قطع المصطكي
وليس له نوى اصلا اهـ ولما تسبب عن هذا الانعام بطرهم الواجب

العام

لاعراضهم

لاعراضهم عن الشكر دل على ذلك بقوله تعالى فاعرضوا عن شكره فكفروا
قال وهب ارسل الله تعالى الى سبا ثلاثة عشر نبيا فدعوهم الى الله
وذكروهم نعم الله تعالى عليهم وانذروهم عقابه فكذبوهم وقالوا
ما نعرف لله تعالى علينا من نعمة فقولوا لربكم فليحبس هذه النعمة عنا
ان استطاع ولما تسبب عن اعراضهم مقتهم بينه بقوله تعالى فارسلنا
عليهم سيل العرم جمع عرمة وهو ما يمسك الماء من بناء وغيره الى وقت
حاجته اي سيل واديهم فاغرق جنتهم واموالهم قال ابن عباس
ووهب وغيرهما كان ذلك السد بنته بلقيس وذلك انهم كانوا يقتتلون
على ماء واديهم فسد بالعرم وهو المسناة بلغة حمير فسدت ما بين
الجبلين وجعلت له ابوابا ثلاثة بعضها فوق بعض وبنت منه دونها بركة
ضخمة وجعلت فيها اثني عشر مخرجا على عدة انهارهم يفتحونها اذا احتاجوا
الى الماء واذا استغنوا سدوها فاذا جاء المطر اجتمع اليه ماء اودية اليمن
فاحتبس السيل من وراء السد فامرت بالباب الاعلى ففتح فجرى ماؤه في
البركة فكانوا يسقون من الباب الاعلى ثم من الثاني ثم من الثالث
الاسفل فلا ينفد الماء حتى يثوب الماء من السنة المقبلة فكانت تقسمه
بينهم على ذلك فبقوا على ذلك بعدها مدة فلما طغوا وكفروا اسلط
الله تعالى عليهم جرذا يسمى الخلد فنقب السد من اسفله فاغرق الماء
جنتهم واموالهم وخرب ارضهم قال وهب وكانوا فيما يزعمون يجدون
في علمهم وكهانتهم انه يخرب سدهم فارة فلم يتركوا فرجة بين حجرين
الا ربطوا عندها هرة فلما جاء زمانه وما اراد الله تعالى بهم من
التغريق اقبلت فيما يذكرون فارة حمراء كبيرة الى هرة من تلك الهرر
فساورتها حتى استاخرت عنها الهرة فدخلت في الفرجة التي كانت
عندها فتغلغلت في السد فنقبت وحفرت حتى وهنته للسيل
وهم لا يدرون ذلك فلما جاء السيل وجد خللا فدخل فيه حتى اقتلع
السد وفاض على اموالهم فغرقها ودفن بيوتهم الرمل ففرقوا ومزقوا كل
ممزق حتى صاروا مثلا عند العرب يقولون مثل بنوا فلان ايدي سبا
وتفرقوا ايادي سبا اي تفرقوا وتبددوا وقيل والاوس والخزرج منهم
قال البقاعي وكان ذلك في الفترة التي بين عيسى ونبينا صلى الله عليه
وسلم عليهما تنبيه في العرم اقوال غير ما ذكر احدها انه من باب
الموصوف لصفته في الاصل اذ الاصل السيل العرم والعرم الشديد
واصله من العرامة وهي الشراسة والصعوبة الثاني انه من باب حذف
الموصوف واقامة صفته مكانه مقامه تقديره فارسلنا عليهم سيل
المطر العرم اي الشديد الكثير الثالث ان العرم اسم للوادي الذي

جوا

كان فيه المانعة قال ابن الاعرابي العرم المسيل الذي لا يطاق وقيل كان ماء
احمر كان ارسله الله تعالى عليهم من حيث شاء الرابع انه اسم للجرذ وهو الفار
قيل هو الخلد وانما اضيف اليه لانه نقب عليهم وبدلناهم بجنتيهم اي
جعلنا لهم بدلهما جنتين هما في غاية ما يكون من مضادة جنتيهم ولذلك
فسرهما بقوله تعالى اعلاما بان اطلاق الجنتين عليهما مشاكلة لفظية
للتهكم بهم ذواتي اكل خمط اي ثمر بشع والخمط الاراك وثمره يقال
له البرير هذا قول اكثر المفسرين وقال المبرد والزجاج كل نبت قد اخذ
طعما من المرارة حتى لا يمكن اكله فهو خمط وقال ابن الاعرابي الخمط
ثمر شجر يقال له فسوة الضبع على صورة الخشخاش لا ينتفع به وعن ابي
عبيدة كل شجر ذي شوك وقرا ابو عمرو اكل بغير تنوين والباقون
بالتنوين وسكن الكاف نافع وابن كثير وضمها الباقون قال البغوي
فمن جعل الخمط اسما للماكول فالتنوين في اكل حسن ومن جعله اصلا
وجعل الاكل ثمره فالاضافة فيه ظاهرة والتنوين سائغ تقول العرب
في بستان فلان اعناب كرم واعناب كرم تترجم الاعناب
بالكرم لانها منه وقوله تعالى واثل اي وذوات اثل وشيء من سدر قليل
معطوفان على اكل لا على خمط فان الاثل هو الطرفا ولا ثمر له وقيل
هو شجر يشبه الطرفا اعظم منه واجود عودا وقيل هو نوع من الطرفا
ولا يكون عليه ثمر الا في بعض الاوقات يكون شيء كالعفص او اصغر في
طعمه وطبعه والسدر شجر معروف وهو شجر النبق وينتفع بورقه
لغسل اليد ويغرس في البساتين ولا يكون هذا من ذاك بل سدرا
بريا لا ينتفع به ولا يصلح ورقه لشيء ولهذا قال بعضهم السدر
سدران سدر له ثمر عفصة لا يوكل ولا ينتفع به في الاغتسال
وهو الضال وسدر له ثمرة توكل وهو النبق ويغتسل بورقه والمراد
بالاية الاول وقال قتادة كان شجرهم خير الشجر فصيره الله من
شر الشجر باعمالهم تنبيه قد بينت في شرح المنهاج على
ان الباء في الابدال والتبديل والتبدل والاستبدال هل تدخل على
المتروك او على الماخوذ عند قول المنهاج ولو ابدل ضادا بظاء
ذلك اي الجزاء العظيم بالتبديل جزيناهم بما لنا من العظمة بما كفروا
اي غطوا الدليل الواضح وهو ما جاء به الرسل اذ روي انه بعث اليهم
ثلاثة عشر نبيا فكذبوهم وقيل بكفرانهم النعم وهل نجازي مثل
هذا الجزاء الذي هو على وجه العذاب الا الكفور اي الا البليغ في الكفر
وقال مجاهد يجازي اي يعاقب ويقال في العقوبة يجازى
وفي المثوبة يجزى قال الفراء المومن يجزى ولا يجازى اي يجزى الثواب

بعمله

بعمله ولا يكافأ بسيئاته وقال بعضهم المجازاة تقال في النقمة والجزاء في النعمة
قال ابن عادل ولعل من قال ذلك اخذه من المجازاة مفاعلة وهي في الخير لا
تكون ما بين اثنين يوجد من كل واحد جزاء في حق الاخر وفي النعمة لا تكون
مجازاة لان الله تعالى مبتدي بالنعم وقيل المومن تكفر سيئاته بحسناته
والكافر يحبط عمله فيجازى بجميع ما يفعله من السوء ولقائل ان يقول لم قيل
وهل يجازى الا الكفور على اختصاص الكفر بالجزاء والجزاء عام للمومن
والكافر لانه لم يرد الجزاء العام انما اراد الخاص وهو العقاب بل لا يجوز ان يراد
العموم وليس بموضعه الا انك لو قلت جزيناهم بما كفروا وهل يجازى
الا الكافر والمومن لم يصح ولم يسد كلاما فتبين انما يتخيل من السؤال
مضمحل وان الصحيح الذي لا يجوز غيره ما جاء عليه كلام الله تعالى الذي
لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقرا حمزة والكسائي وحفص بالنون
مضمومة وكسر الزاي الكفور بالنصب والباقون بالياء المضمومة ونصب
الزاي الكفور بالرفع ولما تم الخبر عن الجنان التي بها القوام متعة ونقمة اتبعه
مواضع السكان بقوله تعالى وجعلنا اي بما لنا من العظمة بينهم اي بين
سبا وهم باليمن وبين القرى التي باركنا فيها اي بالتوسعة على اهلها بالماء
والشجر وغيرهما وهي قرى الشام التي يسيرون اليها للتجارة قرى ظاهرة
اي متواصلة من اليمن الى الشام وقدرنا فيها السير اي بحيث يسيرون
يقيلون في واحدة ويبيتون في اخرى الى انتهاء سفرهم ولا يحتاجون فيه
الى حمل زاد وماء من سبا الى الشام وقيل كانت قراهم اربعة الاف وسبعمائة
قرية متصلين من سبا الى الشام فلا يحملون شيئا مما جرت به عوائد الاسفار
فكان سيرهم في الغدو والاصال والرواح على قدر نصف يوم فاذا ساروا
نصف يوم وصلوا الى قرية ذات مياه واشجار وقال قتادة كانت المراة
تخرج ومعها مغزلها وعلى راسها مكتلها فتمتهن بمغزلها فلا تاتي بيتها
حتى يمتلي مكتلها من الثمار فكان ما بين اليمن والشام كذلك فهي حقيقة
بان يقال لاهلها والناس لهم بها على سبيل الامتنان بلسان الحال او المقال
سيروا ودل على تقاربها جدا قوله تعالى فيها ودل على كثرتها وطول
مسافتها وصلاحيتها للسير وقت اريد مقدما بما هو ادل على الامن
واعدل للسير في البلاد الحارة بقوله تعالى ليالي واشار الى كثرة
الظلال والرطوبة والاعتدال الذي يمكن فيه معه السير في جميع النهار
بقوله تعالى واياما اي في اي وقت شئتم وعلى عظيم امانها في كل وقت
بالنسبة الى كل ملم امنين اي لا تخافون في ليل او نهار وان طالت
مدة سفركم فيها او سيروا الليالي اعماركم واياما لا تلقون فيها الا
الامن فلا تخافون عدوا ولا جوعا ولا عطشا وقيل تسيرون فيه

ان شئتم ليالي وان شئتم اياما لعدم الخوف بخلاف المواضع المخوفة فان بعضها
يسلك ليلا لئلا يعلم العدو بهم وبعضها يسلك نهارا لئلا يقصدهم العدو
اذا كان العدو غير مجاهر بالقصد والعداوة ولما انقضى الخبر عن هذه الاوصاف
التي تستدعي غاية الشكر لما فيها من الالطاف دل على بطرهم للنعمة بها بانهم
جعلوها سببا للضجر والملال بقوله تعالى فقالوا اي على وجه الدعاء ربنا
باعد بين اسفارنا اي الى الشام اي اجعلها مفاوز ليتطاولوا فيها على الفقراء
بركوب الرواحل وتزود الازواد والماء فبطروا النعمة وملوا العافية كبني
اسرائيل لما طلبوا الثوم والبصل فاجابهم الله تعالى بتخريب القرى المتوسطة
وقرا ابن كثير وابو عمرو وهشام بتشديد العين ولا الف قبلها فعل طلب
والباقون بالف قبل العين وتخفيف العين وقرئ بلفظ الخبر على انه شكوى
منهم لبعد اسفارهم افراطا في الترفه وعدم الاعتداد بما انعم الله تعالى عليهم فيه
وظلموا حيث عدوا النعمة نقمة والاحسان اساءة انفسهم بالكفر فجعلناهم
اي بما لنا من العظمة احاديث اي عبرة لمن بعدهم يتحدث الناس بهم تعجبا
وضرب مثل فيقولون ، ذهبوا ايدي سبا ، وتفرقوا ايادي سبا ،
قال كثير ، ايادي سبا يا عز ما كنت بعدكم ، فلم يحل للعينين بعدك منظر ،
ومزقناهم كل ممزق اي وفرقناهم في كل جهة من البلاد كل التفريق قال
الشعبي لما غرقت قراهم تفرقوا في البلاد اما غسان فلحقوا بالشام
ومر الازد الى عمان وخزاعة الى تهامة ومر خزيمة الى العراق والاوس والخزرج
الى يثرب وكان الذي قدم منهم المدينة عمرو بن عامر جد الاوس والخزرج ان في
ذلك اي المذكور لآيات اي عبرا ودلالات بينة جدا على قدرة الله تعالى
على التصرف فيما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض بالايجاد والاعدام
للذوات والصفات بالخسف والمسخ فانه لا فرق بين خارق وخارق وعلى ان
بطرهم لتلك النعمة حتى ملوها ودعوا بازالتها دليل على ان الانسان ما دام
حيا فهو في نعمة يجب عليه شكرها كائنة ما كانت وان كان يراها بلية
لانه لما طبع عليه من القلق كثيرا ما يرى النعم نقما واللذة الما ولذلك ختم
الآية بالصبر بصيغة المبالغة بقوله تعالى لكل صبار على طاعة الله وعن
معصيته شكور لنعمه قال مقاتل يعني المومن من هذه الامة صبور
على البلاء شكور على النعمة قال مطرف المومن اذا اعطي شكر واذا ابتلي صبر
وقرا قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس اي الذي هو من البلس وهو ما لا
خير عنده والابلاس وهو الياس من كل خير لكون ذلك ابلغ في التبكيت والتوبيخ
ظنه الكوفيون بتشديد الدال بعد الصاد اي ظن فيهم ظنا حيث
قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك ولا تجد اكثرهم شاكرين فصدق
ظنه وحققه بفعله ذلك بهم وباتباعهم اياه والباقون بالتخفيف

اي صدق

اي صدق عليهم في ظنه بهم اي على اهل سبا كما قاله اكثر المفسرين حين
راى انهماكهم في الشهوات او الناس كلهم كما قاله مجاهد اي حين راى
اباهم ادم ضعيف العزم او ما ركب فيهم من الشهوة والغضب او سمع من
الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها فقال لاضلنهم ولاغوينهم
او الكفار ومنهم سبا كما قاله الجلال المحلي فاتبعوه اي بغاية الجهد
بميل الطبع الا فريقا من المومنين استثناء متصل على قول مجاهد ومنقطع
على قول غيره قال السدي عن ابن عباس يعني المومنين كلهم لان المومنين
لم يتبعوه في اصل الدين وتقليلهم بالاضافة الى الكفار او الا فريقا من
فرق المومنين لم يتبعوه في العصيان وهم المخلصون قال ابن قتيبة
ان ابليس لما سال النظرة فانظره الله تعالى قال لاغوينهم ولاضلنهم
لم يكن مستيقنا وقت هذه المقالة ان ما قاله فيهم يتم وانما قاله ظنا
فلما اتبعوه واطاعوه صدق عليهم ما ظنه فيهم ولما كان ذلك ربما اوهم
ان ابليس امر بنفسه نفاه بقوله تعالى وما كان اي والحال ما كان اصلا
له عليهم اي الذين اتبعوه ولا غيرهم واغرق فيما هو الحق من النفي
بقوله تعالى من سلطان اي تسلط قاهر بشيء من الاشياء بوجه من
الوجوه لانه مثلهم في كونه عبدا عاجزا مقهورا ذليلا خاسئا مدحورا
قال القشيري هو مسلط ولو امكنه ان يضل غيره امكنه
ان يمسك على الهداية نفسه الا اي لكن نحن سلطناه عليهم
بسلطاننا وملكناه قيادهم بقهرنا وغيرنا عن التمييز الذي هو سبب
العلم بالعلم فقال لنعلم اي بما لنا من العظمة من يومن اي يوجد الايمان
لله بالآخرة ليتعلق علمنا بذلك في عالم الشهادة في حال تميزه تعلقا
تقوم به الحجة في مجاري عادة البشر كما كان متعلقا به في عالم الغيب
ممن هو منها اي الآخرة في شك فهو لا يجد لها ايمانا اصلا
لان الشك ظرف له محيط به وانما استعار الا موضع لكن اشارة
الى انه مكنه تمكينا تاما صار به كمن له سلطان حقيقي تشبيه
قال الرازي ان علم الله من الازل الى الابد محيط بكل معلوم
وعلمه لا يتغير وهو في كونه عالما لا يتغير ولكن يتغير تعلق علمه فان العلم
صفة كاشفة يظهر فيها كل ما في نفس الامر فعلم الله تعالى ما في الازل
ان العالم سيوجد فاذا وجد علمه موجودا بذلك العلم واذا عدم علمه
معدوما كذلك المراة المصقولة الصافية يظهر فيها صورة زيد ان
قابلها ثم ان قابلها عمرو تظهر فيها صورته والمراة لم تتغير في ذاتها ولا
تبدلت في صفاتها وانما التغير في الخارجات وكذلك ههنا قوله الا لنعلم
اي ليقع في العلم صدور الكفر من الكافر والايمان من المومن وكان علمه قبل

انه سيكفر زيد ويومن عمرو وقال البغوي المعنى الا لنميز المومن من الكافر
واراد علم الوقوع والظهور وقد كان معلوما عنده بالغيب وقوله تعالى
وربك اي المحسن اليك باخزاء الشيطان بنبوتك واجتنابه عن
امتك **على كل شيء** من المكلفين وغيرهم **حفيظ** اي حافظ اتم حفظ
تحقيق ذلك ان الله تعالى قادر على منع ابليس منهم عالم بما سيقع.
فالحفظ يدخل في مفهومه العلم والقدرة اذ الجاهل بالشيء لا يمكنه
حفظه ولا العاجز ولما بين تعالى حال الشاكرين وحال الكافرين وذكرهم
بمن مضى عاد الى خطابهم فقال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم **قل** اي
يا اعلم الخلق باقامة الحجة لهولاء الذين اشركوا من لا يشك في حقارته من له ادنى
مسكة **ادعوا الذين زعمتم** اي انهم الهة كما تدعون الله تعالى لا سيما
في وقت الشدائد وحذف مفعولي زعم وهما ضميرهم والهة تنبيها على
استهجان ذلك واستبشاعه وليس المذكور في الاية مفعولي زعم
ولا قائما مقام المفعول لفساد المعنى وبين حقارتهم بقوله تعالى
من دون الله اي الذي حاز جميع العظمة والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من
جلب نفع او دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم اجاب عنهم
اشعارا بتعين الجواب وانه لا يقبل المكابرة فقال **لا يملكون مثقال ذرة**
من خير او شر **في السموات ولا في الارض** اي في امر ما وذكرهما للعموم العرفي
او لان الهتهم سماوية كالملئكة والكواكب وبعضها ارضية كالاصنام
او لان الاسباب القريبة للخير والشر سماوية وارضية والجملة استيناف
لبيان حالهم ولما كان هذا ظاهرا في نفي الملك الخالص عن ثبوت المشاركة
نفي المشاركة ايضا بقوله تعالى مؤكدا تكذيبا لهم فيما يدعونه **وما لهم**
اي الالهة **فيهما** اي في السموات والارض ولا فيما بينهما واغرق في
النفي بقوله تعالى **من شرك** اي شركة لا خلقا ولا ملكا **وما له**
اي الله **منهم** واكد النفي باثبات الجار فقال **من ظهير** اي معين على
شيء مما يريد من تدبير امرهما وغيرهم فكيف يصح مع هذا العجز ان يدعوا كما
يدعى ويرجى كما يرجى ويعبد كما يعبد ولما كان قد بقي من اقسام النفع
الشفاعة وكان المقصود منها اثرها لا عينها نفاه بقوله تعالى **ولا تنفع
الشفاعة عنده** اي فلا تنفعهم شفاعة كما يزعمون اذ لا تنفع الشفاعة
الا لمن اذن له اي وقع منه اذن له على لسان من شاء من جنوده بواسطة
واحدة او اكثر في ان يشفع في غيره وفي ان يشفع فيه غيره وقرا ابو عمرو
وحمزة والكسائي بضم الهمزة والباقون بفتحها وقوله تعالى **حتى اذا فزع
عن قلوبهم** غاية لمفهوم الكلام من ان ثم انتظارا للاذن وتوقفا
وتمهلا وفزعا من الراجين للشفاعة والشفعاء هل يوذن لهم او لا يوذن

الادلة

وانه لا يطلق الاذن الا بعد ملي من الزمان وطول من التربص ومثل هذه الحالة
دل عليه قوله عز من قائل رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون
منه خطابا يوم يقوم الروح والملئكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن
وقال صوابا كانه قيل يتوقعون ويتربصون مليا فزعين ذاهلين حتى اذا فزع
عن قلوبهم اي كشف الفزع عن قلوبهم اي كشف الفزع عن قلوبهم اي كشف
الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في اطلاق
الاذن **قالوا** اي قال بعضهم لبعض **ماذا قال ربكم** اي في الشفاعة
ذاكرين صفة الاحسان ليرجع اليهم رجاؤهم فتسكن لذلك قلوبهم
قالوا قال القول **الحق** اي الثابت الذي لا يمكن ان يبدل بل يطابق
الواقع فلا يكون شيء يخالفه وهو الاذن في الشفاعة لمن ارتضى منهم
وهم المومنون **وهو العلي الكبير** اي ذو العلو فلا رتبة الا دون رتبته
والكبر فليس لملك ولا نبي ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه روى
البخاري عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله
الامر في السماء ضربت الملئكة باجنحتها خضعانا لقوله كانه سلسلة
على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي
الكبير فيسمعها مسترق السمع ومسترق السمع هكذا بعضه
فوق بعض ووصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد بين اصابعه فيسمع الكلمة
فيلقيها الى من تحته ثم يلقيها الاخر الى من تحته حتى يلقيها على لسان
الساحر او الكاهن فربما ادركه الشهاب قبل ان يلقيها وربما القاها
قبل ان يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال اليس قد قال لنا يوم كذا وكذا
كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي في السماء وعن ابن مسعود قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله ان يوحي بالامر تكلم بالوحي اخذت
السماء رجفة او قال رعدة شديدة خوفا من الله تعالى فاذا سمعوا بذلك
اهل السموات صعقوا وخروا لله سجدا فيكون اول من يرفع راسه جبريل
فيكلمه الله من وحيه بما اراد ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مر بسماء ساله
ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل فيقول جبريل قال الحق وهو العلي
العظيم فيقولون كلهم مثل ما يقول جبريل فينتهي جبريل بالوحي حيث
امره الله تعالى وقال مقاتل والكلبي والسدي كانت الفترة بين عيسى
ومحمد صلى الله عليهما وسلم خمسمائة وخمسين وخمسين وقيل ستمائة
سنة لم تسمع الملئكة فيها وحيا فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه
وسلم كلم جبريل عليه وسلم بالرسالة الى محمد صلى الله عليه وسلم فلما سمعت
الملئكة ظنوا انها الساعة لان محمدا صلى الله عليه وسلم عند اهل السموات
من اشراط الساعة فصعقوا مما سمعوا خوفا من قيام الساعة فلما انحدر

جبريل جعل يمر بكل سماء فيكشف عنهم فيرفعون رؤسهم ويقول بعضهم لبعض
ماذا قال ربكم قالوا الحق يعني الوحي وهو العلي الكبير وقال الحسن وابن زيد
حتى اذا كشف الفزع عن قلوب المشركين عند نزول الموت اقامة للحجة عليهم
قالت لهم الملئكة ماذا قال ربكم في الدنيا قالوا الحق فاقروا به حين لم ينفعهم
الاقرار ولما سلب تعالى عن شركائهم ان يملكوا شيئا من الاكوان واثبت
جميع الاكوان لهم الملك له وحده امر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان
يقررهم بما يلزم منه ذلك بقوله تعالى قل من يرزقكم من السموات اي بالمطر
والارض اي بالنبات واقرار الارض لانهم لا يعلمون غيرها ثم امره تعالى ان
يتولى الاجابة بقوله تعالى قل الله اي ان لم يقولوا رازقنا الله تعالى
فقل انت ان رازقكم الله وذلك للاشعار بانهم يقرون به بقلوبهم الا انهم ربما
ابوا ان يتكلموا به لان الذي تمكن من صدورهم من العناد وحب الشرك قد
الجم افواههم عن النطق بالحق مع علمهم بصحته ولانهم ان لم يتفوهوا بان
الله تعالى رازقهم لزمهم ان يقال لهم فما لكم لا تعبدون من يرزقكم وتؤثرون
عليه من لا يقدر على الرزق الا ترى الى قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض
ام من يملك السمع والابصار حتى قال فسيقولون الله ثم قال تعالى فماذا
بعد الحق الا الضلال فكانهم كانوا يقرون بالسنتهم مرة ومرة كانوا
يتلعثمون عنادا او فرارا وحذارا من الزام الحجة ونحوه قوله عز وجل قل
من رب السموات والارض قل الله قل افاتخذتم من دونه اولياء لا يملكون
لانفسهم نفعا ولا ضرا وامره ان يقول لهم بعد الالزام والالجام الذي
اذا لم يزد على اقرارهم بالسنتهم لم يتقاصر عنه وانا او اياكم اي
احد الفريقين من الذين يوحدون الرازق من السموات والارض بالعبادة
ومن الذين يشركون به الجماد الذي لا يوصف بالقدرة لعلى هدى اي في
متابعة ما ينبغي ان يعمل مستعلين عليه او في ضلال عن الحق مبين
اي بين في نفسه داع لكل احد الى معرفة انه ضلال وهذا ليس هو على طريق
الشك لانه صلى الله عليه وسلم لم يشك انه على هدى ويقين وان الكفار
على ضلال وانما هذا الكلام جار على ما يخاطب به العرب من استعمال الانصاف
في محاوراتهم على سبيل الفرض والتقدير وتسميه اهل البيان الاستدراج
وهو ان يذكر للمخاطب امرا يسلمه وان كان بخلاف ما يذكر حتى يصغي الى ما
يلقيه اذ لو بداه بما يكره لم يصغ ونظيره قولهم اخزى الله الكاذب مني
ومنك ومثله قول حسان يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو سفيان

اتهجوه ولست له بكفؤ * فشركما لخيركما الفداء
فان ابي ووالده وعرضي * لعرض محمد منكم وقاء

مع العلم لكل احد انه صلى الله عليه وسلم خير خلق الله كلهم تنبيه

ذكر تعالى في الهدى كلمة على وفي الضلال كلمة في لان المهتدي كانه مرتفع مطلع فذكر
بكلمة الاستعلاء فكانه مستعل على فرس جواد يركضه حيث شاء والضال كانه
منغمس في الظلمة غريق فاتى بكلمة في فكانه منغمس في ظلام مرتبك فيه لا يدري
اين يتوجه قال البغوي وقال بعضهم او بمعنى الواو والالف فيه صلة
كانه يقول وانا واياكم لعلى هدى او في ضلال مبين يعني نحن على الهدى وانتم
في الضلال قل اي لهم لا تسألون اي من سائل ما عما اجرمنا اي
لا تؤاخذون به ولا نسأل اي في وقت من الاوقات من سائل ما عما تعملون
اي من الكفر والتكذيب وهذا ادخل في الانصاف وابلغ في التواضع حيث
اسند الاجرام الى انفسهم والعمل الى المخاطبين وقيل المراد بالاجرام
الصغائر والزلات التي لا يخلو منها مؤمن وبالعمل الكفر والمعاصي العظام
قل اي لهم يجمع بيننا ربنا اي يوم القيمة ثم يفتح اي يحكم بيننا
بالحق اي الامر الثابت الذي لا يقدر احد منا ولا منكم التخلف عنه وهو
العدل والفصل من غير ظلم ولا ميل فيدخل المحقين الجنة والمبطلين
النار وهو الفتاح اي الحاكم الفاصل في القضايا المنغلقة البليغ الفتح لما
انغلق فلا يقدر احد على فتحه العليم اي البالغ العلم بكل دقيق وجليل
فلا يخفى عليه خافية قل اي لهم اروني اي اعلموني الذين الحقتم به
اي بالله شركاء اي في العبادة هل يخلقون وهل يرزقون وقوله تعالى
كلا اي لا يخلقون ولا يرزقون ردع لهم عن مذهبهم بعد ما كسره
بابطال المقايسة كما قال ابراهيم عليه السلام اف لكم ولما تعبدون
من دون الله بعد ما حجهم وقد نبه على تفاحش غلطهم بقوله بل هو الله
العزيز اي الغالب على امره الذي لا مثل له وكل شيء يحتاج اليه فلا
يستطيع احد نقض شيء منه فكيف يكون له شريك وانتم ترون ما نزوله
منها بين الصفتين المتنافيتين لذلك تنبيه في هذا الضمير وهو
هو قولان احدهما انه ضمير عائد الى الله تعالى اي ذلك الذي الحقتم به شركاء
هو العزيز الحكيم صفتان والثاني انه ضمير الامر والشان والله مبتدا
والعزيز الحكيم خبران والجملة خبر هو فان قيل ما معنى قوله اروني وكان
يراهم ويعرفهم اجيب بانه اراد بذلك ان يريهم الخطا العظيم في الحاق
الشركاء بالله وان يقايس على اعينهم بينه وبين اصنامهم ليطلعهم
على احالة القياس اليه والاشراك به ولما بين تعالى مسالة التوحيد شرع
لا في الرسالة بقوله وما ارسلناك اي بعظمتنا الا كافة للناس اي ارسالا
عاما شاملا لكل ما شمله ايجادنا فكانه حال من الناس كانه قدم للاهتمام
وقول البيضاوي ولا يجوز جعلها حالا من الناس لان تقديم حال المجرور عليه
كتقدم المجرور على الجار رده ابو حيان هذا ما ذهب اليه الجمهور وذهب

ابو علي وابن كيسان وابن برهان وابن ملكون الى جوازه وهو الصحيح انتهى وهذا هو الذي ينبغي اعتماده ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم كان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة ومن امثلته اي على زيد خير ما يكون خير منك التقدير زيد خيرا منك خير ما يكون وانشد

اذا المرء اعيته المطالب ناشئا ... فمطلبها كهلا عليه شديد

اي فمطلبها عليه كهلا وانشد ايضا

تسليت طرا عنكم بعد بينكم ... بذكراكم حتى كانكم عندي

اي عنكم وقيل انه حال من كاف ارسلناك والمعنى الا جامعا للناس في الابلاغ والكافة بمعنى الجامع والهاء فيه للمبالغة كهي في علامة وراوية قاله الزجاج وقيل انه كافة صفة لمصدر محذوف تقديره الا ارسالة كافة قال الزمخشري الا ارسالة عامة لهم محيطة بهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم قال ابو حيان اما كافة بمعنى عامة فالمنقول عن النحويين انها لا تكون الا حالا ولم يتصرف فيها بغير ذلك فجعلها صفة لمصدر محذوف خروج عما نقلوا ولا يحفظ ايضا استعمالها لموصوف محذوف قال البقاعي واما الجن فالمشهور انه ارسل اليهم واما الملائكة فالدلائل على الارسال اليهم في غاية الظهور انتهى وهذا هو اللائق بعموم رسالته وان خالف في ذلك الجلال المحلي في شرحه على جمع الجوامع وفي عموم رسالته صلى الله عليه وسلم فضيلته على جميع الانبياء فلئن كان داود عليه السلام فضل بطاعة الجبال له والطير والحديد وسليمان عليه السلام بما ذكر فقد فضل محمد صلى الله عليه وسلم نبينا بارساله الى الناس كافة والحصا سبح في كفه والجبال ارت بالسير معه ذهبا وفضة والحمرة شكت اليه اخذ فراخها او بيضها والضب شهد له بالرسالة والجمل شكى اليه وسجد له والاشجار اطاعته والاحجار سلمت عليه واهتزت بامره وغير ذلك مما لا يدخل تحت الحصر وانما ذكرت ذلك تبركا بذكره وانا اسال الله تعالى ان يشفعه في وفي والدي وجميع احبابي وبقية المسلمين ولما كانت البشارة هي الخبر الاول الصدق السار وكان في ذكرها رد قولهم في الكذب والجنون قال تعالى **بشيرا** اي مبشرا للمؤمنين بالجنة **ونذيرا** اي منذرا للكافرين بالعذاب **ولكن اكثر الناس** اي كفار مكة **لا يعلمون** فيحملهم جهلهم على مخالفتك ولما سلب عنهم العلم اتبعه دليله بقوله تعالى معبرا بصيغة المضارع الدالة على ملازمة التكرير للاعلام بانه على سبيل الاستهزاء لا الاسترشاد **ويقولون** من فرط جهلهم بعاقبتها يوعدون **متى هذا الوعد** اي البشارة والنذارة في يوم الجمع وغيره فسموه وعدا زيادة في الاستهزاء

ولما كان

ولما كان قول الجماعة اجدر بالقبول وابعد عن الرد من قول الواحد اشار الى زيادة جهلهم بقوله تعالى **ان كنتم** اي ايها النبي واتباعه **صادقين** اي متمكنين في الصدق **قل لهم** اي ايها الجامد ون الاخلاق الذين لا يجوزون الممكنات ولا يتدبرون ما وضح لهم من الدلالات **ميعاد يوم** اي لا يحتمل القول وصف عظمه لما يأتي فيه لكم من العقاب سواء كان يوم الموت كما قاله الضحاك او البعث كما قاله اكثر المفسرين **لا تستاخرون** اي لا يوجد تاخركم **عنه ساعة** لان الاتي به عظيم القدرة محيط العلم ولذلك قال **ولا تستقدمون** اي لا يوجد تقدمكم لحظة فما دونها ولا يتمكنون من طلب ذلك فان قيل كيف انطبق هذا جوابا على سؤالهم اجيب بانهم ما سالوا عن ذلك وهم منكرون له الا تعنتا لا استرشادا فجاء الجواب على طريق التهديد مطابقا لمجيء السؤال على سبيل الانكار والتعنت وانهم مرصدون بيوم يفاجيهم فلا يستطيعون تاخرا عنه ولا تقدما عليه **وقال الذين كفروا** موكدين قطعا للاطماع عن دعائهم **لن نؤمن** اي لن نصدق ابدا وصرحوا بالمنزل عليه صلى الله عليه وسلم بالاشارة فقالوا **بهذا القران** اي وان جمع جميع الحكم والمقاصد المتضمنة لبقية الكتب **ولا بالذي بين يديه** اي قبله من الكتب التوراة والانجيل والزبور وغيرها بل نحن قانعون بما وجدنا عليه اباءنا وذلك لما روي ان كفار مكة سالوا بعض اهل الكتاب فاخبروهم ان صفة هذا النبي عندهم في كتبهم فاغضبهم ذلك وقرنوا بالقران جميع ما تقدمه من كتب الله في الكفر فكفروا بها جميعا وقيل الذي بين يديه يوم القيمة والمعنى انهم جحدوا ان يكون القران من الله وان يكون ما دل عليه من الاعادة للجزاء حقيقة ثم اخبر عن عاقبة امرهم وما لهم في الاخراج فقال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم او للمخاطب **ولو** اي والحال انهم لو **ترى** اي يوجد منك رؤيا لحالهم **اذ الظالمون** اي الذين يضعون الاشياء في غير محالها فيصدقون اباءهم لاحسان ظن مكدر من غير دليل ولا يصدقون ربهم الذي لا نعمة عندهم ولا عند ابائهم الا منه **موقوفون** اي بعد البعث بايدي جنوده او غيرها باسرار منه **عند ربهم** اي في موضع المحاسبة **يرجع بعضهم** اي على وجه الخصام عداوة كان سببها موادة في الدنيا بطاعة بعضهم لبعض في معاصي الله تعالى **الى بعض القول** اي بالملازمة والمساكتة والمخاصمة تنبيه مفعول ترى وجواب لو محذوفان للفهم اي لو ترى حال الظالمين وقت وقوفهم راجعا بعضهم الى بعض القول لرايت حالا فظيعة وامرا منكرا

ويرجع حال من ضمير موقوفون والقول مفعول يرجع لانه يتعدي قال الله تعالى
يقول الذين استضعفوا اي وقع استضعافهم ممن هو فوقهم في الدنيا وهم
الاتباع في تلك الحال على سبيل اللوم للذين استكبروا اي اوجدوا الكبر
وطلبوه مما وجد وامن اسبابه التي ادت الى استضعافهم للاولين وهم
الرؤس المتبوعون لولا انتم اي لولا اضلالكم وصدكم ايانا عن
الايمان لكنا مؤمنين اي باتباع الرسول تفسير لقوله تعالى يرجع فلا
محل له قال ابن عادل وانتم بعد لولا مبتدا على اصح المذاهب ولهذا
هو الافصح اعني وقوع ضماير الرفع بعد لولا اي وغيره فصيح خلافا للمبرد
حيث جعل خلاف هذا لحنا وانه لم يرد الا في قول زياد وكم موطن لولاي
والاخفش جعل انه ضمير نصب او جر قام مقام ضمير الرفع وسيبويه جعله
ضمير جر ولما لم يتضمن كلامهم سوى قصة واحدة ذكر الجواب
عنها بقوله قال الذين استكبروا على سبيل الاستيناف للذين استضعفوا طريق
ردا عليهم وانكارا لقولهم انهم هم الذين صدوهم انحن خاصة صددناكم
اي منعناكم وصدفناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم اي على السنة الرسل لم نفعل
ذلك لان المانع ينبغي ان يكون ارجح من المقتضي حتى يعمل عمله والذي جاء به
الرسل هو الهدى والذي صدر من المستكبرين لم يكن شيا يوجب الامتناع
من قبول ما جاء به فلم يصح تعلقكم بالمانع وقرا نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم
باظهار الدال عند الجيم والباقون بالادغام وامال الالف بعد الجيم حمزة
وابن ذكوان وفتحها الباقون وكذا الاظهار والادغام في اذ تامروننا واما وقف
حمزة على جاءكم مع المد والقصر وله ايضا ابدالها الفا مع المد والقصر
بل كنتم اي جبلة وخلقا مجرمين اي كافرين لاختياركم لا لقولنا وتسويلنا
فان قيل اذ واذا من الظروف اللازمة للظرفية فلم وقعت اذ مضافا
اليها اجيب بانه قد اتسع في الزمان ما لم يتسع في غيره فاضيف
اليها الزمان كما اضيف الى الجمل في قولك جيتك بعد اذ جا زيد وحينئذ
ويومئذ ولما انكر المستكبرون بقولهم انحن صددناكم ان يكونوا هم السبب
في كفر المستضعفين واثبتوا بقولهم بل كنتم مجرمين ان ذلك بكسبهم
واختيارهم كر عليهم المستضعفون كما قال تعالى وقال الذين استضعفوا
للذين استكبروا ردا لانكارهم صدهم بل اي الصاد لنا مكر الليل
والنهار اي الواقع فيهما من مكركم اينا ليلا ونهارا اذ تامروننا ان نكفر بالله اي
الملك الاعظم بالاستمرار على ما كنا عليه قبل اتيان الرسل ونجعل له
اندادا اي شركاء نعبدهم من دونه فان قيل لم قيل قال الذين
استكبروا بغير عاطف وقال الذين استضعفوا اجيب بان الذين
استضعفوا مر اولا كلامهم فجيء بالجواب محذوف العاطف على طريق

بان يبطلوا اضرابهم باضرابهم كانهم قالوا ما كان الاجرام من جهتنا بل من جهتكم صح

الاستيناف

الاستيناف ثم جيء بكلام اخر للمستضعفين فعطف على كلامهم الاول تنبيه
يجوز رفع مكر من ثلاثة اوجه احدها الفاعلية تقديره بل صدنا مكركم
في هذين الوقتين كما مر الثاني ان يكون مبتدا خبره محذوف اي مكر الليل صدنا الثالث
العكس اي سبب كفرهم مكركم واضافة المكر الى الليل والنهار اما على الاسناد
المجازي كقولهم ليل ماكر والعبيد تضيف الفعل المكر الى الليل والنهار على توسع الكلام
كقول الشاعر ونمت وما ليل المطي بنائم فيكون مصدرا مضافا
لمرفوعه واما على الاتساع في الظرف فجعل كالمفعول به فيكون مفعولا مضافا
لمفعوله قال ابن عادل وهذا احسن قول من قال ان الاضافة بمعنى في
الليل لان ذلك لم يثبت في محل النزاع وقيل مكر الليل والنهار طول السلامة
وطول الامل فيهما كقوله تعالى فقست قلوبهم تنبيه قوله تعالى ولا يرجع
بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا بلفظ المستقبل
وقوله تعالى في الايتين الاخيرتين وقال الذين استكبروا وقال
الذين استضعفوا بلفظ الماضي مع ان السؤال والمراجعة في القول لم يقع
اشارة بذلك الى ان ذلك لابد من وقوعه فان الامر الواجب الوقوع كانه
وقع كقوله تعالى انك ميت وانهم ميتون واما الاستقبال فعلى الاصل
واسروا اي الفريقان الندامة من المستكبرين والمستضعفين
وهم الظالمون في قوله تعالى اذ الظالمون موقوفون يندم المستكبرون على
اضلالهم وضلالهم والمستضعفون على ضلالهم واتباعهم المضلين
لما اي حين راوا العذاب اي اخفاها كل عن رفيقه مخافة التعيير
وقيل معنى الاسرار الاظهار وهو من الاضداد اي اظهروا الندامة قال
ابن عادل ويحتمل ان يقال انهم لما تراجعوا في القول رجعوا الى الله تعالى
بقولهم ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا واجيبوا بان لا مرد لكم فاسروا
ذلك القول وقوله تعالى وجعلنا الاغلال اي الجوامع التي تغل اليد الى
العنق في اعناق الذين كفروا يعم الاتباع والمتبوعين جميعا وكان الاصل في
اعناقهم ولكن جاء بالظاهر تنويها بذمهم وللدلالة على ما استحقوا به الاغلال
وهذا اشارة الى كيفية عذابهم هل يجزون اي بهذه الاغلال
الا ما اي جزاء ما كانوا يعملون اي على سبيل التجديد والاستمرار ولما كان
في هذا تسلية اخروية للنبي صلى الله عليه وسلم اتبعه التسلية الدنيوية
بقوله تعالى وما ارسلنا اي بعظمتنا في قرية واكد النفي بقوله تعالى
من نذير الا قال مترفوها اي رؤساها الذين لا شغل لهم الا التنعم بالفاني
حتى اكسبهم البغي والطغيان ولذلك قالوا لرسلهم انا بما ارسلتم
به اي ايها المنذرون كافرون اي واذا قال المترفون ذلك تبعهم
المستضعفون وقالوا اي المترفون ايضا مفتخرين نحن اكثر اموالا

وادع ولدًا اي في هذه الدنيا ولو لم يرض منا ما نحن عليه ما رزقنا ذلك فاعتقدوا انهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم الله ولولا ان المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم ذلك فعلى قياسهم ذلك قالوا وما نحن بمعذبين اي ان الله تعالى قد احسن الينا في الدنيا بالمال والولد فلا يعذبنا في الآخرة ثم ان الله سبحانه بين خطاهم بقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل اي لهم ان ربي اي المحسن الي بالانعام بالسعادة الباقية يبسط الرزق اي يوسعه في كل وقت اراده بالاموال والاولاد وغيرها لمن يشاء امتحانا ويقدر اي يضيقه لمن يشاء ابتلا بدليل مقابلته لبسط وهذا هو الطباق البديعي فالرزق لا يدل سعته على رضى الله تعالى ولا ضيقه على سخطه فربما وسع على العاصي وضيق على المطيع وربما عكس وربما وسع عليهما وضيق عليهما وكم من موسر شقي وكم من معسر تقي ولكن اكثر الناس اي كفار مكة لا يعلمون اي ليس لهم علم ليتدبروا به ما ذكرنا من الامر فيعلمون انه ليس كل موسع عليه في دنياه سعيدا في عقباه ولا كل مضيق عليه في دنياه شقيا ثم بين تعالى فساد اعتقادهم بقوله سبحانه وما اموالكم اي ايها الخلق الذين انتم من جملتهم وان كثرت وكبرت في نفسها بابطال كل على حياله فقال ولا اولادكم كذلك بالتي اي بالاموال والاولاد التي تقربكم عندنا اي على ما لنا من العظمة زلفى اي درجة علية وقربة مكينة تنبيه قوله تعالى بالتي تقربكم صفة للاموال والاولاد كما تقرر ولان جمع التكسير غير العاقل يعامل معاملة المؤنثة الواحدة وقال الفرا والزجاج انه حذف من الاول لدلالة الثاني عليه قالا والتقدير وما اموالكم بالتي تقربكم عندنا زلفى ولا اولادكم بالتي تقربكم ولا حاجة الى هذا ونقل عن الفرا ما تقدم من ان التي صفة للاموال والاولاد معا وهو الصحيح وجعل الزمخشري التي صفة لمحذوف قال ويجوز ان تكون هي التقوى وهي المقربة عند الله زلفى وحدها اي ليست اموالكم واولادكم بتلك الموصوفة عند الله بالتقريب قال ابو حيان ولا حاجة الى هذا الموصوف انتهى وزلفى مصدر من معنى الاول اذ التقدير تقربكم قربى وقال الاخفش زلفى اسم مصدر كانه قال بالتي تقربكم عندنا تقريبا واما الهاء فحمزة والكسائي محضة وابو عمرو بين بين وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح وقوله تعالى الا من آمن اي نفذ في الايمانه على ذلك الاساس وعمل صالحا استثنا من مفعول تقربكم اي الاموال والاولاد لا تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذي ينفق ماله في سبيل الله ويعلم ولده الخير ويربيه على الصلاح او من اموالكم واولادكم على حذف المضاف اي الا اموال واولاد من آمن وعمل صالحا فاولئك اي العالو الرتبة لهم جزاء الضعف اي ان ياخذوا اجزاهم مضاعفا في نفسه من عشرة امثال الى ما لا نهاية له

بما عملوا فان اعمالهم ثابتة محفوظة باساس الايمان ثم زاد وقال تعالى وهم في الغرفات اي العلالي المبنية فوق البيوت في الجنات زيادة على ذلك آمنون اي ثابت ايمانهم دائما لا خوف عليهم من شيء من الاشياء اصلا واما غيرهم وهم المرادون بما بعده فاموالهم واولادهم وبال عليهم وقرا حمزة بسكون الرا ولا الف بعدها لفاعل التوحيد على ارادة الجنس ولعدم اللبس لانه معلوم ان لكل احد غرفة تخصه وقد اجمع على التوحيد في قوله تعالى يجزون الغرفة ولان لفظ الواحد اخف فوضع موضع الجمع مع امن اللبس والباقون بضم الرا والف بعدها على الجمع جمع سلامة وقد اجمع على الجمع في قوله تعالى لنبوئنهم من الجنة غرفا ثم بين حال المسيء ولو من يبعد ماله وولده من الله تعالى بقوله تعالى والذين يسعون اي يجدون السعي من غير توبة باموالهم واولادهم في ابطال آياتنا اي حججنا على ما لها من عظمة الانتساب الينا معاجزين اي طالبين تعجيزنا اي تعجيز الآيتين بها عن انفاذ ما اردناه بها بما يلقون من الشبه فيضلون غيرهم بما اوسعنا عليهم واعززناهم به من الاموال والاولاد اولئك اي هؤلاء البعداء البغضاء اي المزيل للعذوبة في العذاب اي المزيل للعذوبة بهم محضرون اي تحضرهم فيه الموكلون بهم من جندنا على اهون وجه واسهله قل اي يا اشرف الخلق لجميع الخلائق ومنهم هؤلاء ان ربي اي المحسن الي بهذا البيان وغيره يبسط الرزق اي يوسعه لمن يشاء متى شاء من عباده اي امتحانا ويقدر له اي يضيقه له بعد البسط ابتلاء قال البيضاوي فهذا في شخص واحد باعتبار وقتين وما سبق في شخصين فلا تكرار ولما بين بهذا التبسط ان فعله بالاختيار بعد ان بين بالاول كذبهم في انه سبب السلامة من النار دل على انه الفاعل لا غيره بقوله تعالى وما انفقتم من شيء فهو يخلفه اي يعوضه لا معوض سواه اما عاجلا بالمال او بالقناعة التي هي كنز لا ينفد واما آجلا بالثواب الذي كل هو خلف دونه وعن سعيد بن جبير ما كان في غير اسراف ولا تقتير فهو يخلفه وعن الكلبي ما تصدقتم من صدقة وانفقتم في خير من نفقة فهو يخلفه على المنفق اما ان يعجل له في الدنيا واما ان يدخره له في الآخرة وعن مجاهد من كان عنده من هذا المال ما يقيمه فليقتصد فان الرزق مقسوم ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع ما في يده ثم يبقى طول عمره في فقر ولا يتاول وما انفقتم من شيء فهو يخلفه فان هذا في الآخرة ومعنى الآية وما كان من خلف فهو منه ودل ذلك على انه مختص بالاخلاف لانه ضمن الاخلاف لكل ما ينفق على اي وجه كان وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى انفق ينفق عليك ولمسلم يا ابن آدم انفق انفق عليك وعن

عن ابي هريرة ايضاً ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم يصبح العباد فيه
الا ملكان ينزلان يقول احدهما اللهم اعط منفقاً خلفاً ويقول الاخر اللهم اعط ممسكاً
تلفاً وعنه ايضاً ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نقصت احد صدقة
من مال وما زاد الله رجلاً بعفو الا عزاً وما تواضع احد لله الا رفعه الله عز
وجل وعن عبد الحميد بن الحسن الهلالي قال انبانا محمد بن المنكدر
عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل
معروف صدقة وكل ما انفق الرجل على نفسه واهله كتب له صدقة
وما وقى الرجل به عرضه كتب له بها صدقة قلت ما معنى وقى به قال ما اعطى
الشاعر وذا اللسان المتقي وما انفق المومن من نفقة فعلى الله خلفها
ضامناً الا ما كان من نفقة في بنيان او في معصية الله عز وجل قوله
قلت ما معنى يقول عبد الحميد لمحمد بن المنكدر **وهو خير الرازقين** فان
قيل قوله تعالى خير الرازقين ينبئ عن كثرة الرازقين ولا رازق
الا الله تعالى اجيب بان الله تعالى هو خير الرازقين الذين يظن بهم هذا
الغنا ممن يقيمهم الله تعالى يضيفون الرزق اليهم لان كل من يرزق غيره
من سلطان يرزق جنده او سيد يرزق عبده او رجل يرزق عياله فهو
واسطة لا يقدر الا على ما قدره واما هو سبحانه فهو يوجد المعدوم
ويرزق من يطيعه ومن يعصيه ولا يضيق رزقه باحد ولا يشغله فيه
احد عن احد وعن بعضهم الحمد لله الذي اوجدني وجعلني ممن يشتهي
نكم من مشتهٍ لا يجد وواجد لا يشتهي وقرا ابو عمرو وقالون والكسائي
فهو يخلفه وهو بسكون الهاء والباقون بالضم ولما بين تعالى ان حال
النبي صلى الله عليه وسلم كحال من تقدمه من الانبياء وحال قومه كحال
من تقدم من الكفار وبين بطلان استدلالهم بكثرة اموالهم واولادهم
بين ما يكون عاقبة حالهم بقوله تعالى **ويوم يحشرهم** اي يجمعهم جمعاً
بكرة بعد البعث وعم التابع والمتبوع بقوله تعالى **جميعاً** فلم نغادر
منهم احداً وقرا حفص يحشرهم ثم يقول بالياء والباقون بالنون ولما
كانت مواقف الحشر طويلة ومنازله مهولة قال تعالى **ثم نقول للملائكة**
اي توبيخاً للكافرين واقناطاً مما يرجون منهم من الشفاعة **اهؤلاء** اي
الضالون واشار الى انه لا ينفع من العبادة الا ما كان خالصاً بقوله تعالى
اياكم اي خاصة **كانوا يعبدون** فهذا الكلام خطاب للملائكة وتقريع
للكفار وارد على المثل السائر اعني واسمعي يا جاره ونحوه قوله عز
وعلا أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وقد علم
سبحانه وتعالى كون الملائكة وعيسى منزهين برآء مما وجه عليهم
من السؤال الوارد عليهم على طريق التقرير والغرض ان يقول

وبال ويجيبوا فيكون تقريعهم اشد وتعييرهم ابلغ وخجلهم اعظم ولذلك
قالوا اي الملائكة متبرئين منهم مفتتحين بالتنزيه تخضعاً بين
يدي البراءة خوفاً **سبحانك** اي ننزهك تنزيهاً يليق بجلالك عن ان يستحق
احد غيرك ان يعبد **انت ولينا** اي معبودنا الذي لا وصلة بيننا وبين احد
الا بامره **من دونهم** اي ليس بيننا وبينهم ولاية بل
عداوة وكذا كل من تقرب الى شخص بمعصية الله تعالى فانه يقيض الله تعالى
له عليه ويبغضه فيه فيجافيه ويعاديه ثم اضربوا عن ذلك ونفوا انهم
عبدوهم على الحقيقة بقولهم **بل كانوا يعبدون الجن** اي ابليس وذريته الذين
زينوا لهم عبادتنا من غير رضاً منا بذلك وكانوا يدخلون في اجواف الاصنام
ويخاطبونهم ويستخبرون بهم في الاماكن المخوفة ومن هذا نفس عبد
الدينار وعبد الدرهم وعبد القطيفة وقيل صورت الشياطين
لهم صور قوم من الجن وقالوا هذه صور الجن فاعبدوها ثم استانفوا
قولهم **اكثرهم** اي الانس **بهم** اي الجن **مؤمنون** اي راسخون في الاشراك
لا يقصدون بعبادتهم غيرهم وقيل الضمير الاول للمشركين والاكثر
بمعنى الكل وقيل منهم من يقصد بعبادته بتزيين الجن غيرهم وهم مع ذلك
يصدقون ما يرد عليهم من اخبارات الجن على السنة الكهان وغيرها مع ما يرون
فيها من الكذب في كثير من الاوقات ولما بطلت تمسكاتهم وانقطعت
تعلقاتهم تسبب عن ذلك تقريعهم الناشئ عن تنديمهم بقوله تعالى
بلسان العظمة **فاليوم** اي يوم نخاطبهم بهذا التبكيت وهو يوم
الحشر **لا يملك** اي شيئاً من الملك **بعضكم لبعض** اي من المقربين
والمبعدين **نفعاً ولا ضراً** اي بل تنقطع الاسباب التي كانت في دار
التكليف من دار الجزاء التي المقصود فيها تمام اظهار العظمة لله وحده
على اتم الوجوه فان قيل قوله تعالى نفعاً مفيد للحسرة فما فائدة ذكر
الضر مع انهم لو كانوا يملكون الضر لما نفع الكافرين ذلك اجيب بان العبادة
لما كانت تقع لدفع ضرر المعبود كما يعبد الجبار ويخدم مخافة من انه
ليس فيهم ذلك الوجه الذي يحسن لاجله عبادتهم وقوله تعالى **ونقول**
اي في ذلك الحال من غير امهال **للذين ظلموا** اي بوضع العبادة في غير
موضعها عند ايقاع حالهم النار **ذوقوا عذاب النار التي كنتم** اي جبلة وطبعاً
بها تكذبون عطف على لا يملك يبين المقصود من تمهيده فان قيل قوله تعالى
هاهنا التي كنتم صفة للنار وفي السجدة وصف العذاب فجعل المكذب
هنا النار وجعل المكذب في السجدة العذاب وهم كانوا يكذبون
بالكل فما فائدته اجيب بانهم كانوا ملتبسين بالعذاب
مترددين فيه بدليل قوله تعالى كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها

وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون فوصف لهم ما لا يسوءه ومنا
لم يلابسوه بعد لانه عقب حشرهم وسوالهم فهو اول ما رووا النار
فقيل لهم هذه النار التي كنتم بها تكذبون واذا تتلى عليهم اي في وقت من
الاوقات من اي قائل كان آياتنا من القرآن حال كونها بينات اي
واضحات بلسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قالوا ما هذا يعنون محمدا
محمدا صلى الله عليه وسلم الا رجل مع كونه واحدا هو مثل واحد من رجالكم
وتزيدون انتم عليه بالكثرة يريد ان يصدكم بهذا الذي يتلوه عما
كان يعبد آباؤكم من الاصنام اي لا نفسه الا ذلك لتكونوا له اتباعا
فعارضوا البرهان بالتقليد وقالوا ما هذا اي القرآن وقيل القول
بالوحدانية الا افك اي كذب مصروف عن وجهه مفترى باضافته
الى الله تعالى في حقهم أإفكا آلهة دون الله تريدون وكقولهم للرسول
اجئتنا لتافكنا عن آلهتنا وقال الذين كفروا اي ستروا ما دلت عليه العقول
من جهة القرآن للحق اي الذي لا امر اثبت منه باعتبار كمال الحقية فيه
لما جاءهم من غير نظر ولا تامل ان اي ما هذا اي الثابت اي الذي
لا شيء اثبت منه الا سحر اي خيال لا حقيقة له مبين اي ظاهر
قال ابن عادل وهذا انكار للتوحيد وكان مختصا بالمشركين
واما انكار القرآن والمعجزة فكان متفقا عليه بين المشركين واهل الكتاب
فقال تعالى وقال الذين كفروا على العموم انتهى ولم يحملهم على ذلك
الا الحظوظ النفسانية والعلق الشهوانية قال الطفيل بن
عمرو الدوسي ذو النور لقد اكثروا علي في امره صلى الله عليه وسلم
حتى حشوت في اذني ما الكرسف خوفا من ان يخلص الي شيء من كلامهم
فيفتنني ثم اراد الله لي الخير فقلت واثكل امي اني والله لبيب عاقل
شاعر ولي معرفة بنقد الكلام من يمنعني ان اسمع منه فان كان حقا
تبعته وان كان باطلا كنت منه على بصيرة او كما قال فقصدت النبي
صلى الله عليه وسلم فقلت اعرض علي ما جئت به فلما عرضه علي بابي هو
وامي ما سمعت قولا قط هو احسن منه ولا امرا اعدل منه فما توقفت
في ان اسلمت ثم سال النبي صلى الله عليه وسلم في ان يدعو له الله ان
يعطيه آية يعينه بها على قومه فلما اشرف على حاضر قومه كان له نور في
جبهته فخشي ان يظنوا انها مثلة فدعا بتحويله فتحول في طرف سوطه
فاعانه الله تعالى على قومه فاسلموا تنبيه في تكرير الفعل وهو قال
والتصريح في ذكر الكفرة وما في لامي الذين والحق من الاشارة الى القائلين
والمقول فيه وما في لما من المفاجاة الى البت ثم تمهيد للقول انكار عظيم
للقول وتعجب بليغ منه ولما بادروا بهذا القول من غير اشارة من علم

ولا خبر من سمع بين ذلك بقوله تعالى وما اي قالوا ذلك والحال انا ما
آتيناهم اي هؤلاء العرب من كتب اصلا لانهم لم ينزل عليهم قط قبل
القرآن كتاب واتى بصيغة الجمع مع تاكيد النفي قبل كتابك الجامع
يدرسونها اي يجددون دراستها كل حين فيها دليل على صحة الاشراك
وما ارسلنا اي ارسالا لا شبهة فيه لمناسبته لما لنا من العظمة
اليهم اي خاصة بمعنى ان ذلك الرسول مامور بهم باعيانهم
فهم مقصودون بالذات لانهم داخلون في عمومها ومقصودون من باب
الامر بالمعروف في جميع الزمان الذي قبلك اي قبل رسالتك الجامعة
لكل رسالة من نذير اي ليكون عندهم قول منه يدعوهم الى الاشراك
او ينذرهم على تركه وهذا في غاية التجهيل لهم والتسفيه لرايهم ثم
هددهم بقوله تعالى وكذب الذين من قبلهم اي من قوم نوح ومن بعدهم
بادروا الى ما بادر اليه هؤلاء من التكذيب كان في طباعهم لما عندهم من
الجلادة والكبر وما بلغوا اي هؤلاء معشار ما آتيناهم اي عشرا صغيرا
مما آتيناهم اولئك من القوة في الابدان والاموال والمكنة في كل شيء من العقول
وطول الاعمار والخلو من الشواغل فكذبوا رسلي اي بسبب ما طبعوا عليه
من العناد رسلي اليهم فكيف كان نكير اي انكاري على المكذبين
لرسلي بالعقوبة والاهلاك اي هو واقع موقعه فليحذر هؤلاء من
مثل ولا تكرير في كذب لان الاول للتكثير اي فعلوا التكذيب
كثيرا فكان سببا لتكذيب الرسل والثاني للتكذيب او الاول
مطلق والثاني مقيد ولذلك عطف عليه قل انما اعظكم اي ارشدكم
وانصح لكم بواحدة اي بخصلة واحدة هي ان تقوموا اي توجهوا نفوسكم
الى تعرف الحق وعبر بالقيام اشارة الى الاجتهاد لله اي الذي لا اعظم
منه على وجه الاخلاص واستحضار ما له من العظمة بما له لديكم من الاحسان
لا لارادة المغالبة حال كونكم مثنى اي اثنين اثنين قال البقاعي وقدمه
اشارة الى ان اغلب الناس ناقص العقل وفرادى اي واحدا واحدا من وثق
بنفسه في رصانة عقله واصابة رايه قام وحده ليكون اصفى لسره واعون
على خلوص فكره ومن خاف عليها ضم اليه آخر ليذكره اذا نسي ويقومه
اذا زاغ ولم يذكر غيرهما من الاقسام لان الازدحام يشوش الخاطر
ويخلط القول ولما كان ما طلب منهم هذا لاجله عظيما جديرا بان يهتم له هذا
الاهتمام اشار اليه باداة التراخي بقوله تعالى ثم تتفكروا اي في امر محمد
صلى الله عليه وسلم وما جاء به لتعلموا حقيقته ما بصاحبكم اي رسولكم
الذي ارسل اليكم وهو محمد صلى الله عليه وسلم من جنة اي جنون يحمله على ذلك
ان اي ما هو الا اي المحدث عنه بعينه نذير لكم اي خالصا انذاره

لكم بين يدي اي قبل حلول عذاب شديد اي في الاخرة ان عصيتموه روى
البخاري عن ابن عباس انه قال صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا ذات
يوم فقال يا صباحاه فاجتمعت اليه قريش فقالوا ما لك فقال ارايتم لو اخبرتكم
ان العدو يصبحكم او يمسيكم اما كنتم تصدقوني قالوا بلى قال فاني نذير لكم بين
يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك الهذا جمعتنا فانزل الله تعالى تبت
يدي ابي لهب وتب ولما انتفى عنه بهذا ما نحلوا به بقي امكان ان يكون لامر عرض
دنيوي فنفاه بقوله تعالى قل اي لهم يا اشرف الخلق ما اي مهما سالتكم
من اجر اي على دعاي لكم من الانذار والتبليغ فهو لكم اي لا اريد منه شيا
وهو كناية عن اني لا اسالكم على دعاي لكم الى الله تعالى اجرا اصلا بوجه من الوجوه
فانه اثبت ان الدعا ليس لغرض دنيوي وان الداعي ارجح الناس عقلا ثبت ان الذي
حمله على تعريض نفسه لتلك الاخطار العظيمة انما هو امر الله الذي له الامر كله
ان اي ما اجري اي ثوابي الا على الله اي الذي لا اعظم منه فلا ينبغي لذي
همة ان يطلب شيا الا من عنده وهو اي والحال انه على كل شي شهيد اي حفيظ
مهيمن بالغ العلم باحوالي فيعلم صدقي وخلوص نيتي وقرا نافع وابو عمرو وابن عامر
وحفص اجري في الوصل بفتح اليا والباقون بالسكون قل اي لمن انكر التوحيد
والرسالة والحشر ان ربي اي المحسن الي بانواع الاحسان يقذف بالحق اي
يلقيه الى انبيائه او يرمي به الباطل الى اقطار الافاق فيكون وعدا باظهار الاسلام
وافشائه علام الغيوب اي ما غاب عن الخلائق في السموات والارض ل
تنبيه في رفع علام اوجه اظهرها انه خبر ثان لان او خبر مبتدا مضمر او بد
ل من الضمير في يقذف وقال الزمخشري رفع محمول على محل ان واسمها او على
المستكن في يقذف يعني بقوله محمول على محل ان واسمها النعت الا ان ذلك
ليس مذهب البصريين لانهم لم يعتبروا المحل الا في العطف بالحرف بشروط عند
بعضهم ويريد بالحمل على الضمير في يقذف انه بدل منه لا انه نعت له لان ذلك
انفرد به الكسائي وقرا حمزة وشعبة بكسر الغين والباقون بالضم قل لهولاء جا
الحق اي الاسلام وقيل القران وقيل كلما ظهر على لسان النبي صلى الله عليه وسلم
وقيل المعجزات الدالة على لسان النبي صلى الله عليه وسلم وقيل المراد من جاء الحق
اي ظهر الحق لان كل ما جاء فقد ظهر واكد تكذيبا لهم في ظنهم انهم يبطلونه بقوله تعالى
وما اي والحال انه ما يبدي الباطل اي الذي انتم عليه من الكفر وما يعيد اي
ذهب فلم تبق منه بقية ماخوذ من هلاك الحي فانه اذا اهلك لم يبق له ابدا ولا
اعادة فجعلوا قولهم لا يبدي ولا يعيد مثلا في الهلاك ومنه قول عبيد

اقفر من اهله عبيد ... اصبح لا يبدي ولا يعيد

والمعنى جا الحق وهلك الباطل كقوله تعالى جا الحق وزهق الباطل وعن ابن
مسعود دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول البيت ثلثماية وستون صنما

فجعل

فجعل يطعنها بعود ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جا الحق
وما يبدي الباطل وما يعيد وقيل الباطل ابليس اي ما ينشي خلقا ولا يبعث
المنشي والباعث هو الله تعالى وعن الحسن لا يبدي لاهله خيرا ولا يعيد
اي لا ينفعهم في الدنيا والاخرة وقال الزجاج اي شي ينشيه ابليس
ويعيده فجعله للاستفهام وقيل الشيطان الباطل لانه صاحب الباطل ولانه
هالك كما قيل له الشيطان من شاط اذا هلك ويكون حينئذ غير منصرف
وان جعلته من شطن كان منصرفا ولما لم يبق بعد هذا الا ان يقولوا
عنادا انت ضال ليس بك جنون ولا كذب ولكنك قد عرض لك ما
اضلك عن المحجة قال الله تعالى قل اي لهولاء المعاندين على سبيل الاستعطاف
بما في قولك بهم من الانصاف وتعليم الادب ان ضللت اي عن الطريق
على سبيل الفرض فانما اضل على نفسي اي اثم ضلالي على نفسي عليها وان
اهتديت فبما اي فاهتدي اي انما هو بما يوحي الي ربي اي المنزل الي
من القران والحكمة لا بغيره فلا يمكن في ضلال لانه لاحظ للنفس فيه اصلا
فان قيل اين التقابل بين قوله تعالى فانما اضل على نفسي وقوله تعالى فبما
يوحي الي ربي وانما كان يقال فانما اضل على نفسي وان اهتديت فانما اهتدي
لها كقوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن اسا فعليها وقوله تعالى من
اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها او يقال فانما اضل بنفسي
اجيب بانهما متقابلان من جهة المعنى لان النفس كلما عليها فهو بسببها
لانها الامارة بالسوء وما لها مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه وهذا حكم عام
لكل مكلف وانما امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يسنده الى نفسه لان الرسول
صلى الله عليه وسلم اذا دخل تحته مع جلاله محله وسداد طريقته كان
غيره اولى به وفتح اليا من ربي عند الوصل نافع وابو عمرو والباقون بالسكون
وهم على مراتبهم في المدغم على الضلال والهداية بقوله تعالى انه اي ربي
سميع اي لكل ما يقال قريب اي يدرك قول كل ضال ومهتد و
فعله وان اخفاه ولما ابطل شبههم وختم من صفاته بما يقتضي البطش
بمن خالفه عطف على ولو ترى اذ الظالمون ولو ترى اي تبصر يا اشرف الخلق
اذ فزعوا اي عند الموت او البعث او يوم بدر وجواب لو محذوف
لرايت امرا عظيما فلا اي فتسبب عن ذلك الفزع انه فوت اي
لهم منا لانهم في قبضتنا ثم حقق امرهم بالبنا للمفعول بقوله تعالى واخذوا
اي عند الفزع من كل من نامره باخذهم سوا كان قبل الموت ام بعده من
مكان قريب اي القبور او من الموقف الى النار او من صحرا بدر الى القليب
وقال الكلبي من تحت اقدامهم وقيل اخذوا من ظهر الارض الى بطنها
وحيث ما كانوا فهم من الله تعالى قريب لا يفوتونه والعطف على فزعوا اي

ارلافوت وقالوا اي عند الاخذ ومعاينة الثواب والعقاب آمنا به اي القرآن الذي قالوا الا انه افك مفترى او محمد صلى الله عليه وسلم الذي قالوا انه ساحر وانى اي وكيف ومن كيف لهم التناوش اي تناول الايمان تناولا سهلا من مكان بعيد اي محله اذ هم في الاخرة ومحله الدنيا ولا يمكن الا برجوعهم الى الدنيا التي هي دار العمل وهذا تمثيل لحالهم في طلبهم ان ينفعهم ايمانهم في ذلك الوقت كما تنفع المومنين ايمانهم في الدنيا بحال من اراد ان يتناول شيا من علوه كما يتناوله الاخر من قدر ذراع تناولا سهلا لا تعب فيه فان قيل كيف قال تعالى من مكان بعيد وقد نص في كثير من المواضع ان الاخرة من الدنيا قريب وسمى الله تعالى الساعة قريبة فقال اقتربت الساعة اقترب للناس حسابهم لعل الساعة قريب اجيب بان الماضي كالامس الدابر وهو من ابعد ما يكون والمستقبل وان كان بينه وبين الحاضر سنين فانه ات فيوم القيمة الدنيا بعيد منها لمضيها ويوم القيمة في الدنيا قريب لاتيانه وقرا ابو عمرو وابو بكر وحمزة والكسائي بعد الالف بهمزة مضمومة والباقون بعد الالف بواو مضمومة فمعناه على هذا كيف لهم تناول ما بعد عنهم وهو الايمان والتوبة وقد كان قريبا في الدنيا فضيعوه واما من همز فقيل معناه هذا وقيل التناوش بالهمز من التنوش وهو حركة في ابطا يقال جا نيئشا اي مبطا متاخرا والمعنى من اين لهم الحركة فيما لا حيلة لهم فيه قال ابن عباس يسالون الرد فيقال لهم وانى لهم الرد الى الدنيا من مكان بعيد اي من الاخرة الى الدنيا واما اي محضة حمزة والكسائي وابو عمرو بين بين وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح وقد اي كيف لهم ذلك والحال انهم قد كفروا به اي بالذي طلب منهم ان يومنوا به محمد صلى الله عليه وسلم او القرآن او البعث من قبل اي في دار العمل و الحال انهم حال كفرهم يقذفون اي يرمون بالغيب ويتكلمون بما لم يظهر لهم في الرسول صلى الله عليه وسلم من المطاعن وهو قولهم ساحر وشاعر وكاهن وفي القرآن سحر شعر كهانة وقال قتادة يعني يرجمون بالظن يقولون لا بعث ولا جنة ولا نار من مكان بعيد اي ما غاب علمه عنهم غيبة بعيدة وهذا تمثيل لحالهم في ذلك بحال من يرمي شيا ولا يراه من مكان بعيد لا مجال للظن في لحوقه وحيل بينهم وبين ما يشتهون اي من نفع الايمان يومئذ والنجاة من النار والفوز بالجنة او من الرد الى الدنيا كما حكى عنهم ارجعنا نعمل صالحا وقرا ابن عامر والكسائي بضم الحاء وهو المسمى بالاشمام والباقون بكسرها كما فعل اي بانسروجه باشياعهم اي باشباههم من كفرة الامم ومن كان مذهبه مذهبهم من قبل اي قبل زمانهم فان حالهم كحالهم ولم يحتمل امرنا في امر

من الامم

من الامم بل كان كلما كذبت امة رسولها اخذناها فاذا اذقناهم باسنا اذعنوا وخضعوا فلم يقبل منهم ذلك ولا نفعهم شيا الا بالكف عن اهلاكهم ولا لادراكهم شيا من الخير بعد اهلاكهم ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب والقى السمع وهو شهيد ثم علل عدم الوصول الى قصدهم بقوله تعالى موكدا الانكار انهم كانوا اي في دار القبول في شك

هم

ان يكون عندهم شي من شك من امرهم اي من جميع ما تخبرهم به رسلنا عنا من الجزا والبعث وغير ذلك مريب اي موقع في الريبة فهو بليغ في بابه كما يقال عجب عجيب او هو واقع في الريب كما يقال شعر شاعر اي ذو شعر فهو اسم فاعل من اراب اي اتى بالريب او دخل فيه واربته اوقعته في الريب ونسبة الارابة الى الشك مجاز قال الزمخشري الا ان بينهما فريقا وهو ان المريب من المتعدي منقول ممن يصح ان يكون مريبا من الاعيان الى المعنى ومن اللازم منقول من صاحب الشك الى الشك كما تقول شعر شاعر انتهى وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة سبا لم يبق نبي ولا رسول الا كان له يوم القيمة رفيقا ومصافحا حديث موضوع

سورة الملائكة عليهم السلام مكية

وتسمى سورة فاطر وهي ست واربعون اية وسبعة وتسعون كلمة وثلاثة الاف ومائة وثلاثون حرفا وهي ختام السور المفتتحة باسم الحمد التي فصلت فيها النعم الاربع التي هي امهات النعم المجموعة في الفاتحة وهي الايجاد الاول ثم الابقاء الاول ثم الايجاد الثاني المشار اليه بسورة سبا ثم الابقاء الثاني الذي هو انهاها واحكمها وهو الختام المشار اليه بهذه السورة المفتتحة بالابتداء الدال عليه بانها القدرة واحكمها المفصل امره فيها في فريقي السعادة والشقاوة تفصيلا شافيا على انه استوفى في هذه السورة النعم الاربع كما ياتي بيانه في محله

فتبة

بسم الله الذي احاط دائرة قدرته بالممكنات الرحمن الذي عم الخلق بعموم الرحمة الرحيم الذي شرف اهل الكرامة بدوام المرا ولما اثبت سبحانه في التي قبلها الحشر الذي هو الايجاد الثاني وكان الحمد يكون بالمنع والاعدام كما يكون بالاعطا والانعام قال تعالى ما هو نتيجة ذلك الحمد اي الاحاطة باوصاف الكمال اعداما وايجادا لله اي وحده ولما كان الاعدام الايجاد من العدم اول دليل على ذلك قال تعالى دالا على استحقاقه للمحامد فاطر السموات والارض اي خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق قاله ابن عباس او شاقهما لنزول الارواح من السما وخروج الاجساد من الارض وعن مجاهد عن ابن عباس ما كنت ادري ما فاطر

السموات والارض حتى اختصم الي اعرابيان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها
تنبيه ان جعلت اضافة فاطر محضة كان نعتا وان جعلتها غير محضة
كان بدلا وهو قليل من حيث انه مشتق ولما كانت الملائكة مثل الخافقين في ان
كلا منهم مبدع من العدم على غير مثال سبق من غير مادة وكان لا طريق لعامة
الناس الي معرفتهم الا الخبر اخبر عنهم بعد ما اخبر عما طريقه المشاهدة
بقوله تعالى جاعل الملائكة رسلا اي وسايط بين الله وبين انبيائه
والصالحين من عباده يبلغون رسالته بالوحي والالهام والرؤيا الصادقة
او بينه وبين خلقه يوصلون اليهم اثار صنعه أولي اي اصحاب اجنحة
يهيئهم لما يراد منهم ثم وصفها بقوله تعالى مثنى اي جناحين لكل واحد
من صنف منهم وثلاث اي ثلاثة ثلاثة لصنف اخر منهم ورباع
اي اربعة اربعة لصنف اخر منهم فهم متفاوتون بتفاوت ما لهم من المراتب
ينزلون بها ويعرجون ويسرعون بها نحو ما وكلهم الله تعالى عليه فيتصرفون
فيه على ما امرهم به وانما لم تنصرف هذه الصفات لتكرر العدل فيها وذلك انها
عدلت عن الالفاظ المعد الفاظ الاعداد عن صيغ الي صيغ اخر كما عدل عمر
عن عامر وحذام عن حاذمة يزيد في الخلق ما يشاء اي يزيد في خلق الاجنحة وفي
غيره ما تقتضيه مشيئته وحكمته والاصل الجناحان لانهما بمنزلة اليدين
ثم الثالث والرابع زيادة على الاصل وذلك اقوى للطيران واعون عليه
فان قيل قياس الشفع من الاجنحة ان يكون في كل شق نصفه فما صورة الثلاث
اجيب بان الثالث لعله يكون في وسط الظهر بين الجناحين يمدهما بقوة
او لعله لغير الطيران قال الزمخشري فقد مر بي في بعض الكتب ان صنفا
من الملائكة له ستة اجنحة فجناحان يلفون بهما اجسادهم وجناحان
يطيرون بهما في الامر من امور الله تعالى وجناحان على وجوههم حياء من الله
تعالى انتهى وروى ابن ماجه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال رأيت جبريل عند سدرة المنتهى وله ستمائة جناح ينثر من
رأسه الدر والياقوت وروي انه سأل جبريل ان يتراءى له في صورته
فقال انك لن تطيق ذلك فقال احب ان تفعل فخرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم في ليلة مقمرة فاتاه جبريل في صورته فغشي على رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم افاق وجبريل عليه السلام مسنده واحدى
يديه على صدره والاخرى بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت ارى
شيئا من الخلق هكذا فقال جبريل فكيف لو رأيت اسرافيل له اثنا
عشر الف جناح جناح منها بالمشرق وجناح بالمغرب وان العرش
على كاهله وانه ليتضاءل الاحايين لعظمة الله حتى يعود مثل الوصع
وهو العصفور الصغير وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قوله تعالى

في قوله يزيد في الخلق ما يشاء هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن
وقيل هو الخط الحسن وعن قتادة الملاحة في العينين والاية كما قال
الزمخشري مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق من طول قامة واعتدال
صورة وتمام في الاعضاء وقوة في البطش وحصافة في العقل وجزالة في
الراي وجراءة في القلب وسماحة في النفس وذلاقة في
اللسان ولباقة في التكلم وحسن تأت في مزاولة الامور وما اشبه
ذلك مما لا يحيط به الوصف ثم علل تعالى ذلك كله بقوله مؤكدا لاجل
انكارهم البعث ان الله اي الجامع لجميع اوصاف الكمال على كل شيء قدير
وتخصيص بعض الاشياء بالتخصيص دون بعض انما هو من جهة الارادة
قال ابو جعفر بن الزبير لما اوضحت سورة سبأ انه سبحانه وتعالى
مالك السموات والارض ومستحق الحمد في الدنيا والاخرة اوضحت هذه
السورة ان ذلك خلقه كما هو ملكه وانه الاهل للحمد والمستحق اذ الكل
خلقه وملكه وتجردت سورة سبأ لتعريف العباد بعظيم ملكه سبحانه
وتجردت هذه للتعريف والاختراع والخلق ولما وصف نفسه سبحانه
المقدس بالقدرة الكاملة دل على ذلك بما يشاهده كل احد في نفسه
من السعة والضيق مع الدفع المعجز عن دفع شيء من ذلك او انقاصه
قال مستانفا او معللا مستنتجا ما اي مهما يفتح الله اي
الذي لا يكافئه شيء للناس لان كل ما في الوجود لاجلهم من رحمة اي
من الارزاق الحسية والمعنوية من اللطائف والمعارف التي لا تدخل
تحت حصر قلت او كثرت فرسلها فلا ممسك لها اي الرحمة
بعد فتحه كما يعلمه كل احد في نفسه من انه اذا حصل له خير
لا يبعده من يود انه لم يحصل ولو قدر على ازالته لازاله ولا يقدر على
تأثير ما فيه وما يمسك فلا مرسل له يطلقه واختلاف الضميرين لان
الموصول الاول مفسر بالرحمة والثاني مطلق يتناولها
والغضب وفي ذلك اشعار بان رحمته سبقت غضبه ولما كان ربما
ادعى احد فجورا حال امساك الرحمة او النقمة انه هو الممسك قال تعالى
من بعده اي امساكه او ارساله وهو اي هو فاعل ذلك والحال انه هو
وحده العزيز اي القادر على الامساك والارسال الغالب على كل شيء
ولا غالب له الحكيم اي الذي يفعل في كل من الامساك والارسال
وغيرهما ما يقتضيه علمه به ويتقن ما اراده على قوانين الحكمة فلا يستطيع نقض
شيء من احكامه ولما بين بما يشاهده كل احد في نفسه انه المنعم وحده امر بذكر نعمته
بالاعتراف انها منه فان الذكر يعود الي الشكر وهو قيد الموجود وصيد المفقود
المنقود قال يا ايها الناس اي الجميع لان جميعهم مغمورون في نعمة الله تعالى

وعن ابن عباس يريد يا اهل مكة اذكروا بالقلب واللسان نعمة الله اي الذي لا منعم في الحقيقة سواه عليكم اي في دفع ما دفع عنكم من المحن وصنع ما صنع بكم من المنن تشكروه ولا تكفروه تنبيه نعمة هنا مجرورة في الرسم ووقف عليها ابن كثير وابو عمرو والكسائي بالهاء والباقون بالتاء واذا وقف الكسائي امال لها ولما امر بذكر نعمته اكد التعريف بها منبها وحده على وجه بين عزته وحكمته بقوله تعالى منبها لمن عقل موبخا لمن جحد ورادا على اهل القدر الذين يدعون انهم يخلقون افعالهم ومنبها على نعمة الايجاد الاول هل من خالق اي للنعم وغيرها غير الله اي فليس للغيرية في ذلك مدخل يستحق ان يشرك به وقرأ حمزة والكسائي بجر الراء نعتا لخالق على اللفظ ومن خالق مبتدا من زائدة فيه من والباقون بالرفع وفيه ثلاثة اوجه احدها انه خبر المبتدا والثاني انه صفة لخالق على الموضع والخبر اما محذوف واما يرزقكم والثالث انه مرفوع اسم الفاعل على جهة الفاعلية لان اسم الفاعل قد اعتمد على اداة الاستفهام ولما كان جواب الاستفهام قطعا لا بل هو الخالق وحده قال منبها على نعمة الابقاء الاول بقوله تعالى يرزقكم اي وحده فنعمة الله تعالى مع كثرتها منحصرة في قسمين نعمة الايجاد ونعمة الابقاء ولما كانت كثرة الرزق كما هو مشاهد مع وحدة المنبع ادل على العظمة قال من السماء اي المطر وغيره والارض اي بالنبات وغيره ولما بين انه الرازق وحده قال لا اله الا هو فانى تؤفكون اي من اين تصرفون عن توحيده مع اقراركم بانه الخالق الرازق وتشركون المنحوت بمن له الملكوت ولما بين تعالى الاصل الاول وهو التوحيد ذكر الاصل الثاني وهو الرسالة بقوله تعالى وان يكذبوك بالشرك الخلق في مجيئك بالتوحيد والبعث والحساب والعقاب وغير ذلك فقد كذبت رسل من قبلك في ذلك فان قيل فما وجه صحة جزاء الشرط ومن حق الجزاء ان يعقب الشرط وهذا سابق له اجيب بان معناه وان يكذبوك فتأس بتكذيب الرسل من قبلك فوضع فقد كذبت رسل من قبلك موضع فتأس استغناء بالسبب عن المسبب اعني بالتكذيب عن التأسي فان قيل ما معنى التنكير في رسل اجيب بان معناه فقد كذبت رسل اي رسل ذو عدد كثير واولو آيات ونذر واهل اعمار طوال واصحاب راي وعزم وما اشبه ذلك وهذا اسلى له واحث على المصابرة قال القشيري وفي هذا اشارة للحكماء وارباب القلوب مع العوام والاجانب من هذه الطريقة فانهم لا يقبلون منهم الا القليل واهل الحقائق ابدا منهم في مقاساة الاذية والعوام اقرب الى هذه الطريقة من القراء المتقشفين ثم بين من حيث الاجمال ان المكذب في العذاب وان المكذب له الثواب بقوله تعالى والى الله اي وحده لان له الامور كلها ترجع الامور اي في الآخرة

فيجازيكم

فيجازيكم واياهم على الصبر والتكذيب ثم بين تعالى الاصل الثالث وهو الحشر بقوله تعالى يا ايها الناس ولما كانوا ينكرون البعث اكد قوله تعالى ان وعد الله اي الذي له صفات الكمال بكل ما وعد له من البعث وغيره حق اي ثابت لا خلف فيه وقد وعد انه يردكم اليه في يوم تنقطع فيه الاسباب ويعرض عن الاحساب والانساب فلا تغرنكم اي بانواع الخداع من اللهو والزينة الحياة الدنيا فانه لا يليق بذي همة علية اتباع الدني والرضا بالدون الزائل عن العالي الدائم ولا يغرنكم بالله اي الذي لا يخلف الميعاد وهو الكبير المتعال الغرور اي الذي لا يصدق في شيء وهو الشيطان العدو ولذلك استانف قوله تعالى مظهرا في موضع الاضمار ان الشيطان اي المحترق بالغضب البعيد عن الخير لكم اي خاصة عدو فهو في غاية الفراغ لاذاكم بتصويب مكايده كلها اليكم وبما سبق له مع ابيكم آدم عليه السلام بما وصل اذاه اليكم وايضا من عادى اباك فقد عاداك فاجتهدوا في الهرب منه ولا تألوا لوم كما قال تعالى فاتخذوه اي بغاية جهدكم عدوا اي في عقائدكم وافعالكم ولا يوجدن منكم الا ما يدل على معاداته ومناصبته في سركم وجهركم قال القشيري ولا يقوى على عداوته الا بدوام الاستعانة بالرب فانه لا يغفل عن عداوتك فلا تغفل انت عن مولاك لحظة ثم علل عداوته بقوله انما يدعو حزبه اي الذي يوسوس لهم فيفرضهم لاتباعه والاعراض عن الله تعالى ليكونوا باتباعه كونا راسخا من اصحاب السعير وهذا غرضه لا غرض له سواه ولكنه يجتهد في تعمية ذلك عنهم بان يقرر في نفوسهم جانب الرجاء ويتنبههم جانب الخوف ويريهم ان التوبة في ايديهم ويسوف لهم بها بالفسحة في الامل له والابعاد في الاجل للافساد في العمل والرحمن انما يدعو عباده ليكونوا من اهل النعيم كما قال والله يدعو الى دار السلام ثم بين تعالى ما حال حزب الشيطان بقوله تعالى الذين كفروا لهم عذاب شديد اي في الدنيا بفوات ما يؤملون مع تفرقة قلوبهم وانسداد بصائرهم وسفالة هممهم حتى انهم رضوا ان يكون الههم حجرا وفي الآخرة بالسعير التي دعاهم الى صحبتها ثم بين حزبه تعالى بقوله سبحانه والذين آمنوا وعملوا اي تصديقا لايمانهم الصالحات من صلاة وزكاة وصوم وغير ذلك من المامورات لهم مغفرة اي ستر لذنوبهم في الدنيا ولولا ذلك افتضحوا وفي الآخرة بحيث لا عتاب ولا عقاب ولولا ذلك لهلكوا واجر كبير هو الجنة والنظر الى وجهه الكريم فالمغفرة في مقابلة الايمان فلا يؤبد مؤمن في النار والاجر الكبير في مقابلة العمل الصالح ونزل كما قال ابن عباس في ابي جهل ومشركي العرب افمن زين له سوء عمله اي قبحه الذي من شانه ان يسوء صاحبه حالا او مآلا

بان غلبه وهمه وهواه على عقله فرآه اي السيء بسبب التزيين حسنا اي عملا صالحا
فان اي السبب في روية الاشيا على غير ما هي عليه ان الله الذي له الامر كله
يضل من يشاء فلا يري شيا على ما هو به فيقدم على الهلاك البين وهو يراه عين
النجاة ويهدي من يشاء فلا يشكل عليه امر ولا يفعل الا حسنا تنبيه
من موصولة مبتدا وما بعده صلته والخبر محذوف واختلف في تقديره فقدره
الكسائي تذهب نفسك عليهم حسرات لدلالة قوله تعالى تسلية لرسوله
صلى الله عليه وسلم حيث حزن على اصرارهم بعد اتيانه بكل اية ظاهرة وحجة
قاهرة فلا تذهب نفسك عليهم اي المزين لهم حسرات اي لاجل حسراتك
المترادفة لاجل اعراضهم جمع حسرة وهي شدة الحزن على ما فات من الامر
وقدره الزجاج واضله الله كمن هداه وقدره غيرهما كمن لم يزين له وهو احسن
لموافقته لفظا ومعنى ونظيره افمن كان على بينة من ربه كمن هو اعمى افمن يعلم انما
انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى وقال سعيد بن جبير نزلت هذه الاية
في اصحاب الاهوا والبدع قال قتادة منهم الخوارج الذين يستحلون دما
المسلمين واموالهم فاما اهل الكتاب فليسوا منهم لانهم لا يستحلون
الكباير ان الله اي المحيط بجميع صفات الكمال عليم اي بالغ العلم
بما يصنعون فيجازيهم عليه ثم قال تعالى الى البيان بقوله سبحانه والله اي
الذي له صفات الكمال لا شي غيره من طبيعة ولا غيرها الذي ارسل الرياح اي
اوجدها من العدم فهبوبها دليل على الفاعل المختار لان الهوي قد يسكن
وقد يتحرك الى الشمال وفي حركاته المختلفة قد ينشي السحاب وقد لا ينشي
فهذه الاختلافات دليل على مسخر مدبر مؤثر مقتدر وقوله تعالى فتثير
سحابا عطف على ارسل لان ارسل بمعنى المستقبل فلذلك عطف
عليه واتى بارسل لتحقق وقوعه وبتثير لتصور الحال واستحضار الصورة
البديعة الدالة على كمال الحكمة كقوله تعالى انزل من السما ما فتصبح الارض
مخضرة ولما اسند فعل الارسال اليه تعالى وما يفعله يكون بقوله تعالى
كن فلا يبقى في العدم لا زمانا ولا اجزا من الزمان فلم يقل بلفظ المستقبل
لوجوب وقوعه وسرعة تكوينه فكانه كان ولانه فرغ عن كل شي
فهو قدر الارسال في الاوقات المعلومة والى المواضع المعينة ولما
اسند فعل الاثارة الى الريح وهي تولف في زمان فقال تثير اي
على هيئتها وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي بتشديد اليا والباقون
بالجمع وقوله تعالى فسقناه فيه التفات عن الغيبة الى بلد ميت اي
لا نبات بها وقرا نافع وحمزة والكسائي وحفص بتشديد اليا والباقون
بالتخفيف فاحيينا به اي بالمطر النازل منه وذكر السحاب كذكر
المطر حيث اقيم مقامه او بالسحاب فانه سبب السبب او الصاير

عادم

مطرا الارض بالنبات والكلا بعد موتها اي يبسها شبه العدول
في سقناه واحيينا من الغيبة في قوله تعالى والله الذي ارسل الرياح الى
ما هو ادخل في الاختصاص وهو التكلم فيهما لما فيهما من مزيد الصنع
والكاف في قوله تعالى كذلك في محل رفع اي مثل احيا الموات
النشور للاموات وجه الشبه من وجوه اولها ان الارض الميتة
قبلت الحياة كذلك الاعضا تقبل الحياة ثانيها كما ان الريح يجمع
السحاب المقطع كذلك يجمع الاعضا المتفرقة ثالثها كما انا نسوق
الريح والسحاب الى البلد الميت كذلك نسوق الروح الى الجسد
الميت فان قيل ما الحكمة في اختيار هذه الاية من بين الايات
مع ان الله تعالى له في كل شي اية تدل على انه واحد اجيب بانه تعالى
لما ذكر كونه فاطر السموات والارض وذكر من الامور السماوية
للارواح وارسالها بقوله تعالى جاعل الملايكة رسلا ذكر من الامور
الارضية الرياح وروي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
كيف يحيي الله الموتى وما اية ذلك في خلقه فقال هل مررت بواد
اهلك محلا ثم مررت به يهتز خضرا فقال نعم فقال فكذلك يحيي الله
الموتى وتلك اية في خلقه وقيل يحيي الله الخلق بما يرسله من تحت
العرش كمني الرجال تنبت منه اجساد الخلايق ولما كان الكافرون
يتعززون بالاصنام كما قال تعالى واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم
عزا والذين امنوا بالسنتهم غير مواطاة قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين
كما قال تعالى الذين يتخذون الكافرين اوليا من دون المومنين ايبتغون
عندهم العزة فان العزة لله جميعا بين ان لا عزة الا لله بقوله سبحانه وتعالى
من كان اي في وقت من الاوقات يريد العزة اي الشرف والمنعة فلله
العزة جميعا اي في الدنيا والاخرة والمعنى ليطلبها عند الله موضع قوله
تعالى فلله العزة جميعا موضعه استغنا به عنه لدلالته عليه لان
الشي لا يطلب الا عند صاحبه ومالكه ونظيره قوله من اراد النصيحة
فهي عند الابرار يريد فليطلبها عندهم الا انك اقمت ما يدل عليه مقامه
وقال قتادة من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله تعالى ومعناه
الدعا الى طاعة من له العزة اي فليطلب العزة من عند الله بطاعته
كما يقال من كان يريد المال فالمال لفلان اي فليطلبه من عنده ثم عرف
انما تطلب به العزة هو الايمان والعمل الصالح بقوله تعالى اليه اي لا الى
غيره يصعد الكلم الطيب قال المفسرون هو قول لا اله الا الله وقيل
هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وعن ابن
مسعود قال اذا حدثتكم حديثا انباتكم بمصداقه من كتاب الله عز وجل

ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله اكبر وتبارك الله الا اخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه ثم صعد
بهن فلا يمر على جمع من الملايكة الا استغفروا لقايلهن حتى يجيء بها وجه رب
العالمين ومصداقه من كتاب الله عز وجل قوله تعالى اليه يصعد الكلم
الطيب وقيل الكلم الطيب ذكر الله وعن قتادة اليه يصعد الكلم الطيب
اي يقبل الله الكلم الطيب وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر والدعا وقراءة
القران وعن الحاكم موقوفا والثعلبي مرفوعا انه قال صلى الله عليه وسلم
قال هو سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قالها
العبد عرج بها الملك الى السما فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح
لم تقبل والعمل الصالح يرفعه اي يقبله فصعود الكلم الطيب والعمل
الصالح مجاز عن قبوله تعالى اياهما او صعود الكتبة بصحفهما والمستكن
في يرفعه لله تعالى وتخصيص العمل بهذا الشرف لما فيه من الكلفة وقال
سفيان بن عيينة العمل الصالح هو الخالص يعني الاخلاص سبب قبول
الخيرات من الاقوال والافعال لقوله تعالى فليعمل عملا صالحا ولا يشرك
بعبادة ربه احدا فجعل نقيض الصالح الشرك والريا تنبيه
صعود الكلم الطيب والعمل الصالح مجاز عن قبوله تعالى اياهما وصعود الكتبة
بصحفهما والمستكن في يرفعه لله تعالى وتخصيص العمل بهذا الشرف
لما فيه من الكلفة او الكلم فان العمل لا يقبل الا بالتوحيد والعمل فانه
يحقق الايمان ويقويه قال الرازي في اللوامع العلم انما يتم بالعمل
كما قيل ، العلم يهتف بالعمل ، فان اجاب والا ارتحل ، اهو وقد قيل
، لا ترض من رجل حلاوة قوله ، حتى يصدق ما يقول فعال ،
، فاذا وزنت مقاله بفعاله ، فتوازنا فاخاذ ذاك جمال ،
وقال الحسن الكلم الطيب ذكر الله والعمل الصالح فرايضه فمن ذكر الله
تعالى ولم يود فرايضه رد كلامه على عمله وليس الايمان بالتمني
ولا بالتحلي ولكن ما وقر في القلوب وصدقه الاعمال فمن قال حسنا
وعمل غير صالح رد الله تعالى عليه قوله ومن قال حسنا وعمل صالحا
رفعه العمل ولما بين ما يحصل العزة من علو الهمة بين ما يكسب المذلة
ويوجب النقمة من ردي الهمة بقوله تعالى والذين يمكرون اي يعملون على
وجه الستر المكرات السيات اي مكرات قريش للنبي صلى الله عليه
وسلم في دار الندوة وتداورهم الراي في احدى ثلاث حبسه وقتله
واجلاوه كما قال تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك
او يخرجوك قال الكلبي معناه يعملون السيات وقال مقاتل يعني الشرك
وقال مجاهد هم اصحاب الريا لهم عذاب شديد

اي

اي لا يوبه دونه بما يمكرون ومكر اولئك اي العدا من الفلاح هو اي وحده
دون مكر من يريد بمكره الخير فان الله ينفذه ويعلي امره يبور اي
يفسد ولا ينفذ اذ الامور مقدرة فلا تتغير بسبب مكرهم كما دل عليه
بقوله تعالى والله خلقكم من تراب اي بتكوين ابيكم ادم منه فمزجه مزجا
لا يمكن لغيره تمييزه ثم احاله عن ذلك الجوهر اصلا وراسا واليه الاشارة
بقوله تعالى ثم اي بعد ذلك في الزمان والرتبة من نطفة اي جعلها اصلا
ثانيا من ذلك الاصل الترابي اشد امتزاجا منه ثم بعد ان انهى التدبير
زمانا ورتبة الى النطفة التي لا مناسبة بينها وبين التراب دلالة على
كمال القدرة والفعل بالاختيار جعلكم ازواجا بين ذكور واناث دلالة هي
اظهر مما قبلها على الاختيار وعن قتادة زوج بعضكم بعضا تنبيه
يصح ان يقال كما قال ابن عادل خلقكم خطاب مع الناس وهم اولاد ادم
وكلهم من تراب ومن نطفة لان كلهم من نطفة والنطفة من غذا
والغذا ينتهي بالاخرة الى الماء والتراب فهو من تراب صار نطفة ولما بين
تعالى بقوله سبحانه خلقكم من تراب كمال قدرته بين بقوله سبحانه وما تحمل
من انثى ولا تضع اي حملا الا مصحوبا بعلمه اي في وقته ونوعه وشكله
وغير ذلك من شانه مختصا بذلك كله حتى عن امه التي هي اقرب
اليه فلا يكون الا بقدرته فما شاء اعدمه وما شاء اخرجه كمال علمه ثم بين
نفوذ ارادته بقوله تعالى وما يعمر من معمر اي وما يمد في عمره من مصيره الى
الكبر وانما سماه معمرا بما هو صاير اليه فمعناه وما من معمر من احد وفي عود
ضمير قوله تعالى ولا ينقص من عمره قولان احدهما انه يعود على معمر اخر لان المراد
من قوله تعالى من معمر الجنس فهو يعود عليه لفظا لا معنى لانه بعد ان فرض كونه
معمرا استحال ان ينقص من عمره نفسه كما يقال لفلان عندي درهم ونصفه
اي نصف درهم اخر والثاني يعود والثاني يعود على المعمر نفسه لفظا ومعنى
والمعنى انه اذا ذهب من عمره حول احصي وكتب ثم حول اخر كذلك فهذا هو
النقص واليه ذهب ابن عباس وابن جبير وابو مالك ومنه قول الشاعر ،
، حياتك انفاس تعد فكلما ، مضى نفس منك انتقصت به جزا ،
وقال الزمخشري هذا من الكلام المتسامح فيه ثقة في تاويله بافهام
السامعين واتكالا على تسديدهم معناه بعقولهم وانه لا يلتبس عليهم
احالة الطول والقصر في عمر واحد وعليه كلام الناس المستفيض يقولون
لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه وفيه تاويل اخر وهو انه لا يطول عمر انسان ولا
يقصر الا في كتاب وصورته ان يكتب في اللوح ان حج فلان او غزا فعمره اربعون
سنة وان حج وغزى فعمره ستون سنة فاذا جمع بينهما فبلغ الستين
فقد عمر واذا افرد احدهما فلم يتجاوز به الاربعون فقد نقص من عمره الذي



هو الغاية وهو الستون واليه اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله
ان الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان في الاعمار وعن كعب انه قال حين
طعن عمر رضي الله عنه لو ان عمر دعا الله لاخر في اجله فقيل لكعب اليس قال
الله تعالى فاذا جا اجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون فقال هذا
اذا حضر الاجل فاما قبل ذلك فيجوز ان يزيد وينقص وقرا هذه الاية وقد
استفاض على الالسنة اطال الله بقاك وفسح في مدتك وما اشبهه
وعن سعيد بن جبير يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب في اسفل
ذلك ذهب يوم ذهب يومان ذهب ثلاثة حتى ياتي الى اخره وعن قتادة
المعمر من بلغ ستين سنة والمنقوص من عمره من يموت قبل ستين سنة والكتاب في
قوله تعالى **الا في كتاب** اي مكتوب فيه عمر فلان كذا وعمر فلان كذا ان عمل كذا وعمره
كذا ان لم يعمل كذا هو اللوح المحفوظ قاله ابن عباس قال الزمخشري ويجوز ان
يراد بكتاب الله علم الله او صحيفة الانسان ولما كان ذلك امرا لا يحيط به العد
ولا يحصره الحد فكان في عداد ما ينكره الجهلة قال تعالى موكدا لسهولته
ان ذلك اي الامر العظيم من كتب الاجال كلها وتقديرها **على الله** اي الذي له جميع العزة
يسير اي هين وقوله تعالى **وما يستوي البحران هذا عذب** اي طيب حلو لذيذ
ملايم للطبع **فرات** اي بالغ العذوبة **سائغ شرابه** اي شربه مري سهل
انحداره لما له من اللذة والملايمة للطبع **وهذا ملح اجاج** اي جمع الى الملوحة
المرارة فلا يسوغ شرابه بل لو شرب لالم الحلق واحرق ما في البطن ما هو كالنار
ضرب مثل للمومن والكافر وقوله تعالى **ومن كل** اي الملح والعذب **تاكلون** اي
من السمك المنوع الى انواع تفوت الحصر **لحما طريا** اي شهي المطعم **وتستخرجون**
اي من الملح دون العذب **حلية تلبسونها** اي نساؤكم من الجواهر الدر والمرجان
وغيرهما ذكرا استطرادا في صفة البحرين وما فيهما من النعم وتمام التمثيل والمعنى
كما انهما وان اشتركا في بعض الفوايد لا يتساويان فيما هو المقصود بالذات
من الماء فانه خالط احدهما ما افسده وغيره عن كمال فطرته فلا يتساوى
المومن والكافر وان اتفق اشتراكهما في بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة
لاختلافهما فيما هو الخاصة العظمى وهي بقاء احدهما على الفطرة الاصلية
دون الاخر وقيل تخرج الحلية منهما كما هو ظاهر قوله يخرج منهما اللولو
والمرجان قال البغوي لانه قد يكون في البحر الاجاج عيون عذبة تمتزج بالملح
فيكون اللولو من ذلك او قال نزع عاب المبرد وغيره قول الشافعي رضي الله
تعالى عنه كل ما من بحر عذب او مالح فالتطهير به جايز وقالوا انه لحن وانما يقال
ملح كما قال تعالى وهذا ملح اجاج وهم يخطون في ذلك
وكم من عايب قولا صحيحا ° وافته من الفهم السقيم
ولكن تاخذ الاذان منه ° على قدر القريحة والفهوم

قال

قال النووي واجاب اصحابنا باجوبة اصحها ان فيه اربع لغات ملح ومالح ومليح ومذاح بضم
الميم وتخفيف اللام قال عمر بن ربيعة
ولو تفلت في البحر والبحر مالح ° لاصبح ما البحر من ريقها عذبا ° وقال الاخر
وللرزق اسباب تروح وتغتدي ° واني منها غير غادر ورايح
قنعت بثوب العدم من حلة الغنا ° ومن بارد عذب زلال بمالح
وقال محمد بن حازم
تلونت على الوان كثيرة ° وخالط عذبا من اخايك مالح
وقال خالد بن يزيد بن معاوية في رملة بنت الزبير
ولو وردت ما وكانت قبله ° مليحا شربنا ماه باردا عذبا
وقال الخطابي يقال ماء ملاح كما يقال اجاج وزعاق وزلال قال وانما
نزل الشافعي من اللغة العالية الى التي هي ادنى للايضاح وحسما للاشكال
والالتباس لئلا يتوهم متوهم انه اراد بالملح المذاب فيظن ان الطهارة به جايز
وثاني الاجوبة ان الشافعي امام في اللغة فقوله حجة وثالثها ان هذه
ليست من كلام الشافعي ولم يذكرها بل من كلام المزني وهذا ليس بشي وكيف
ينسب الخطا الى المزني وعنه مندوحة وقوله لم يذكرها الشافعي
غير صحيح وقد انكره البيهقي وقال بل سمى الشافعي البحر مالحا في كتابين امالي
الحج والمناسك الكبير قال ابن عمر اخرى وهي ان ابن عمر قال في البحر
التيمم احب الينا منه وقال بحركم هذا نار وتحت النار بحر حتى عد سبعة
ابحر وسبعة انوار ولكن روى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال من لم يطهره البحر فلا طهره الله ويوول كلام ابن عمر بانه سيصير يوم
القيمة نارا او بانها مهلكة كما تهلك النار ولما كان الاستخراج من
المنافع العامة عم الخطاب ولما كان استقرار شي في البحر دون غرق امرا غريبا
لكنه صار لشدة الفه لا يقوم بادراك انه من اكبر الايات دلالة على
القادر المختار الا اهل البصاير يرخص بالخطاب فقال **وترى الفلك** اي
السفن سمي فلكا لدورانه وسفينة لقشره الماء وقدم الظرف في قوله
تعالى **فيه** لانه اشد دلالة على ذلك **مواخر** اي جواري مستدبرة الريح
شاقة للماء بجريها هذه مقبلة وهذه مدبرة وجهها الى ظهر هذه بريح
واحدة يقال مخرت السفينة الماء ويقال للسحاب بنات مخر لانها
تمخر الهواء والسفن الذي اشتقت منه السفينة قريب من المخر لانها
تسفن الماء كانها تقشره كما تمخره ثم علق بالمخر معللا قوله تعالى
لتبتغوا اي لتطلبوا طلبا شديدا **من فضله** اي اسبابا لتوصل
بذلك الى البلاد الشاسعة للمتاجر وغيرها ولو جعلها ساكنة لم يترتب
عليها ذلك ولم يجر به ذكر في الاية ولكن فيما قبلها ولو لم يجر لم يشكل

لدلالة المعنى عليه ولعلكم تشكرون اي وليكون حالكم بهذه الدالة على
عظيم قدرته ولطفه حال من يرجى شكره تنبيه حرف الرجا مستعار
لمعنى الارادة الازلي كيف سلك به مسلك التعليل كما قيل ولتبتغوا
ولتشكروا ولما ذكر تع اختلاف الذوات الدالة على بديع صنعه اتبعه
اختلاف الازمنة الدالة على بديع قدرته بقوله تع يولج اي يدخل
الله الليل في النهار فيصير الظلام ضيا ولما كان هذا الفعل في غاية الاعجاب
وكان لكثرة تكراره قد صار مالوفا فغفل عما فيه من الدلالة على تمام
القدرة نبه عليه باعادة الفعل بقوله تع ويولج النهار في الليل فيصير
ما كان ضيا ظلاما وتارة يكون التولج بنقص هذا وطول هذا فدل كل
ذلك على انه تع فاعل بالاختيار ولما ذكر الليل والنهار ذكر ما ينشا
عنهما بقوله تعالى وسخر الشمس والقمر ثم استانف قوله تعالى كل اي
منهما يجري اي في فلكه لاجل اي لاجل اجل مسمى مضروب
له لا يقدر ان يتعداه فاذا جاء هذا الاجل ضرب هكذا كل يوم الى ان ياتي
الاجل الاعظم فيختل هذا النظام باذن الملك العلام ويقيم الناس
ليوم الزحام وتكون الامور العظام ولما دل سبحانه على انه الفاعل
المختار القادر على ما تشاهد يريد بما يشاهده كل احد في نفسه
وفي غيره وختم بما تكرر مشاهدته في كل يوم مرتين انتج ذلك قطعا
قوله تع معظما باداة البعد وميم الجمع ذلكم اي الفاعل المقدار
الذي فعل هذه الافعال كلها الله الذي له صفة كل كمال ثم نبههم
على انه لا مدبر لهم سواه بخبر اخر بقوله تعالى ربكم اي الموجد لكم من
العدم المربي بجميع النعم لا رب لكم سواه ثم استانف قوله تعالى
له اي وحده الملك اي كله وهو مالك كل شي والذين تدعون اي
تعبدون من دونه اي غيره وهو الاصنام وغيرها وكل شي دونه تع
ما يملكون في حال من الاحوال واغرق في النفي بقوله تعا من قطمير
وهو ما روي عن ابن عباس لفافة النواة وهي القشرة الرقيقة الملتفة
عليها كناية عن ادنى الاشيا فكيف بما فوقه وليس لهم شي من الملك
والاية من الاحتباك ذكر الملك اولا دليلا على حذفه ثانيا والملك
دليلا على حذفه اولا وقيل القطمير هو القمع وقيل ما بين القمع فهي النواة
على الاول اربعة اشيا يضرب بها المثل في القلة الفتيل وهو
ما في شق النواة وهو القطمير كلفافة والنقير وهو ما في ظهر النواة
والرقروق وهو ما بين القمع والنواة ثم بين ذلك بقوله تعالى ان
تدعوهم اي المعبودات من دونه تعا عبادة او استغاثة
لا يسمعوا دعاكم اي لانهم جماد ولو سمعوا اي على سبيل الفرض

والتقدير

والتقدير ما استجابوا لكم اي لعدم قدرتهم على الانتفاع ولما بين عدم النفع
فيهم في الدنيا بين عدم النفع منهم في الاخرة ووجود الضرر منهم في
الاخرة بقوله سبحانه ويوم القيمة اي حين ينطقهم الله تع يكفرون
بشرككم اي باشراككم فينكرونه ويتبرون منه بقولهم ما كنتم
ايانا تعبدون كما حكى الله ذلك عنهم في اية اخرى ولا ينبئك اي يخبرك
ايها السامع بالامر مخبر هو مثل خبير اي عالم به اي ان المخبر بالامر وحده
هو الذي يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين به لانه لا يمكن الطعن في شي
مما اخبر به بخلاف غيره والمعنى ان هذا الذي اخبرتكم به من حال الاوثان
هو الحق لاني خبير بما اخبرت به ولما اختص تع بالملك ونفى عن شركائهم
النفع انتج ذلك قوله تع يايها الناس اي كافة انتم ايها خاصة
الفقراء وقوله سبحانه الى الله اعلام بان لا افتقار الا اليه
ولا اتكال الا عليه وهو يوجب عبادته لكونه مفتقرا اليه وعدم عبادة
غيره لعدم الافتقار الى غيره فان قيل لم عرف الفقرا اجيب
بانه قصد بذلك ان يريهم انهم لشدة افتقارهم اليه هم جنس الفقرا
وان كانت الخلايق كلهم مفتقرين اليه من الناس وغيرهم لان الفقر
يتبع الضعف وكلما كان الفقير اضعف كان احقر وقد شهد الله تعالى
على الانسان بالضعف في قوله تع وخلق الانسان ضعيفا وقال
تعالى الله الذي خلقكم من ضعف ولو نكر لكان المعنى انتم بعض الفقرا
قال القشيري والفقرا على ضربين فقر خلقة وفقر صفة
فالاول عام فكل حادث مفتقر الى خالقه في اول حال وجوده ليبديه
وينشيه وفي ثانيه ليديمه ويبقيه واما فقر الصفة وهو التجرد ففقر
العوام التجرد عن المال وفقر الخواص التجرد من الاعلال فحقيقة
الفقر المحمود تجرد السر عن المعلولات ولما ذكر العبد بوصفه
الحقيقي اتبعه ذكر الخالق باسمه الاعظم فقال والله هو الغني اي
المستغني على الاطلاق فلا يحتاج الى احد ولا الى عبادة احد من خلقه
وانما امرهم بالعبادة لافتقارهم تعالى عليهم ففي هذا رد على المشركين
حيث قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله لعله محتاج الى عبادتنا
حتى امرنا بها امرا بالغا وهددنا على تركها مبالغا فان قيل قد قابل
الفقر بالغنى فما فائدة قوله تعالى الحميد اي المحمود في صنعه بخلقه
اجيب بانه لما اثبت فقرهم اليه وغناه عنهم وليس كل غني نافعا
الا اذا كان الغني منعما جوادا واذا جاد وانعم حمده المنعم عليهم
واستحق عليهم الحمد ذكر الحميد ليدل به على انه الغني النافع بغناه
خلقه الجواد المنعم عليهم المستحق بانعامه ان يحمدوه وقوله تع

ان يشا يذهبكم اي جميعا بيان لغناه وفيه بلاغة كاملة لان قوله تعالى ان
يشا يذهبكم اي ليس اذهابكم موقوفا الا على مشيته بخلاف الشي
المحتاج اليه فان المحتاج الى الشي لا يقال فيه ان شا فلان هدم
داره وانما يقال لولا حاجة السكنى الى الدار لنقضها ثم انه تعالى زاد على
بيان الاستغنا بقوله ويات بخلق جديد اي كان يتوهم متوهم ان هذا
الملك كمال وعظمة فلو اذهبه لزال ملكه وعظمته فهو قادر بان
يخلق خلقا جديدا احسن من هذا واجمل وعن ابن عباس يخلق
بعدكم من يعبده لا يشرك به شيا وما ذلك اي الامر العظيم من
الاذهاب والاتيان على الله اي المحيط بجميع صفات الكمال خاصة
بعزيز اي بممتنع ولا شاق وهو محمود عند الاعدام كما هو
محمود عند الايجاد فان قيل استعمل تعالى العزيز تارة في
القايم بنفسه فقال تعالى في حق نفسه وكان الله قويا عزيزا وقال
في هذه السورة عزيز غفور واستعمله تارة في القايم بغيره فقال
تعالى وما ذلك على الله بعزيز وقال تعالى عزيز عليه ما عنتم فهل
هما بمعنى واحد او بمعنيين اجيب بان العزيز في اللغة هو الغالب
والفعل اذا كان لا يطيقه شخص يقال هو مغلوب بالنسبة الى
ذلك الفعل فقوله تعالى وما ذلك على الله بعزيز اي ذلك الفعل
لا يغلبه بل هو هين على الله تعالى وقوله سبحانه ما عنتم اي
يحزنه ويوذيه كالشغل الغالب وقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى
فيه حذف الموصوف للعلم به اي ولا تحمل نفس اثمة اثم نفس اخرى
فان قيل كيف التوفيق بين هذا وبين قوله تعالى وليحملن اثقالهم
واثقالا مع اثقالهم اجيب ان تلك الاية في الضالين المضلين
فانهم يحملون اثقال اضلالهم وكل ذلك اوزارهم وليس فيها
شي من اوزار غيرهم وان تدع اي نفس مثقلة اي بالوزر الى حملها عنهم[2]
اي من الوزر احدا ليحمل بعضه لا يحمل اي من حامل ما منه شي
اي لا طواعية ولا كرها بل لكل امري شان يغنيه ولو كان
ذلك الداعي او المدعو للحمل ذا قربى لمن دعاه فان قيل ما الفرق
بين قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى ومعنى قوله تعالى
وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شي اجيب بان الاول في الدلالة
على عدل الله تعالى في حكمه وانه لا يواخذ نفسا بغير ذنبها والثاني
في ان لا غياث يوميذ لمن استغاث حتى ان نفسا قد اثقلتها الاوزار
لو دعت الى ان يخفف بعض وزرها لم تجب ولم تغث وان كان الداعي
او المدعو بعض قرابتها من ولد اب او ولد او اخ قال ابن عباس يلقى

الاب او الام ابنه فيقول يا بني احمل عني بعض ذنوبي فيقول لا استطيع حسبي
ما علي تنبيه اضمر الداعي او المدعو بدلالة ان تدع عليه ولما كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اسمعهم ذلك فلم ينفعهم نزل انما تنذر اي انذارا
يفيد الرجوع عن الغي الذين يخشون ربهم اي المحسن اليهم فيتوقفون هذا
النقل في الحال ويواظبون عليه في الاستقبال ولما كان اولي الناس عقلا
واعلاهم همة من كان غيبه مثل حضوره قال تعالى بالغيب وهو حال
من الفاعل اي يخشونه غايبين عنه او من المفعول اي غايبا عنهم ولما
كانت الصلاة جامعة لخضوع الظاهر والباطن فكانت اشرف العبادات
وكانت اقامتها بمعنى حفظ حدودها في كل حال ادل الطاعات على الاخلاص
قال تعالى معبرا بالماضي لان مواقيت الصلاة مضبوطة واقاموا اي
دليلا على خشيتهم الصلاة في اوقاتها الخمسة وما يتبع ذلك من السنن
ومن تزكى اي تطهر اي بفعل الطاعات وترك المعاصي فانما يتزكى لنفسه
ذنفعه لها والى الله اي الذي لا اله غيره المصير اي المرجع كما كان منه المبدا
فيجازي كلا على فعله ثم لما بين تعالى الهدى والضلالة وهدى الله تعالى
المومن ولم يهد الكافر ضرب لهما مثلا بقوله تعالى وما يستوي الاعمى اي عن الهدى
والبصير بالهدى اي المومن والكافر وقيل الجاهل والعالم وقيل هما مثلا للصنم
ولله تعالى ولا الظلمات اي الكفر ولا النور اي الايمان او ولا الباطل ولا الحق
ولا الظل اي الجنة ولا الحرور اي النار او ولا الثواب والعقاب تنبيه
قال ابن عباس الحرور الريح الحارة بالليل والسموم بالنهار وقيل الحرور
تكون بالنهار مع السموم وقيل السموم بالنهار والحرور بالنهار بالليل
والنهار وقوله تعالى وما يستوي الاحياء ولا الاموات تمثيل اخر للمومن والكافر ابلغ
من الاول ولذلك كرر الفعل وقيل للعلما والجهال تنبيه زيادة لا في
الثلاثة لتاكيد نفي الاستوا وجا ترتيب هذه المنفيات على احسن الوجوه
فانه تعالى لما ضرب الاعمى والبصير مثلين للمومن والكافر عقب بما كل منهما
فيه والكافر في ظلمة والمومن في نور لان البصير وان كان حديد البصر لا بد له
من ضوء يبصر فيه وقدم الاعمى لان البصير فاصلة فحسن تاخيره ولما تقدم
الاعمى في الذكر ناسب تقديم ما فيه فلذلك قدمت الظلمة على النور
ولان النور فاصلة ثم ذكر ما لكل منهما فللمومن الظل وللكافر الحرور
واخر الحرور لاجل الفاصلة كما مر وقولنا لاجل الفاصل اولى من قولهم لاجل
السجع لان القران ينبو عن ذلك وقد منع الجمهور ان يقال في القران
سجع وانما كرر الفعل في قوله تعالى وما يستوي الاحيا مبالغة في ذلك
لان المنافاة بين الحياة والموت اتم من المنافاة المتقدمة وقدم الاحيا
لشرف الحياة ولم يعد لا تاكيدا في قوله تعالى الاعمى والبصير

ص

وكرد عما في قوله غيره لان منافات ما بعده اتم فان الشخص الواحد قد يكون بصيرا
ثم بصير اعمى فلا منافات الا من حيث الوصف بخلاف الظل والحرور والظلمات
والنور فانها منافية ابدا لا يجتمع اثنان منها في محل فالمنافات بين الظل والحرور
وبين الظلمة والنور دائمة فان قيل الحياة والممات الموت بمنزلة العمى والبصر
فان الجسم قد يكون متصفا بالحياة ثم يتصف بالموت اجيب بان
المنافات بينهما اتم من المنافات بين الاعمى والبصير لان الاعمى والبصير
لان الاعمى والبصير يشتركان في ادراكات كثيرة ولا كذلك الحياة
الحي والميت فالمنافات بينهما اتم من المنافات بين الاعمى والبصير لانه قابل
الجنس بالجنس وقد يوجد في افراد العميان ما يساوي بعض افراد البصرا
كاعمى ذكي له بصيرة يساوي بصيرا بليدا فالتفاوت بين الجنسين
مقطوع به لا بين الافراد وجمع الظلمات لانها عبارة عن الكفر والضلال
وطرقهما كثيرة متشعبة ووحد النور لانه عبارة عن التوحيد
وهو واحد فالتفاوت بين كل فرد من افراد الظلمة وبين هذا الفرد
الواحد والمعنى الظلمات كلها لا يجد فيهما ما يساوي هذا الواحد ثم نبه
سبحانه بقوله تعالى ان الله اي القادر على المقاوتة بين هذه الاشيا
وعلى كل شي بما له من الاحاطة بصفات الكمال يسمع من يشا على ان
الخشية والقسوة انما هما بيده وان الانذار انما هو لمن قضى بانتفاعه
يتعظ ويجيب وما انت اي بنفسك من غير اقدار الله تعالى لك بمسمع
اي بوجه من الوجوه من في القبور اي الحسية او المعنوية اسماعا ينفعهم
بل الله يسمعهم ان شاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان اي
ما انت الا نذير تنبه القلوب الميتة بقوارع الانذار ولست بوكيل
تقهرهم على الايمان ثم بين تعالى انه ليس نذيرا من تلقا نفسه انما هو باذن
الله تعالى وارساله بقوله تعالى انا اي بما لنا من العظمة ارسلناك اي
الى هذه الامة بالحق اي الامر الكامل في الثبات الذي يطابقه الواقع
وان من نظر الى كثرة من الدلايل علم مطابقة الواقع لما تاتي به تنبيه
يجوز في قوله تعالى بالحق اوجه احدها انه حال من الفاعل اي ارسلناك
محقين او من المفعول اي محقا او نعت لمصدر محذوف اي ارسالا ملتبسا
بالحق ويجوز ان يكون صلة لقوله تعالى بشيرا اي لمن اطاع ونذيرا اي لمن
عصى وان اي وما من امة الا خلا اي سلف فيها نذير اي نبي ينذرها
تنبيه الامة الجماعة الكثيرة قال تعالى وجد عليه امة من
الناس يسقون ويقال لكل اهل عصر امة والمراد هنا اهل العصر فان
قيل كم من امة في الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يخل
منها نذير اجيب بان اثار النذارة اذا كانت باقية لم تخل من نذير

الى الان

الى ان تندرس وحين اندرست اثار نذارة عيسى بعث الله تعالى محمدا صلى الله
عليه وسلم فان قيل كيف اكتفى بذكر النذير عن البشير في اخر الاية بعد ذكر
اجيب بانه لما كانت النذارة مشفوعة من البشارة لا محالة دل ذكرها على
ذكرها لا سيما وقد اشتملت الاية على ذكرهما او لان الانذار هو المقصود
الاهم من البعثة وان يكذبوك اي اهل مكة فقد كذب الذين من قبلهم اي
ما اتتهم به رسلهم عن الله تعالى جاءتهم اي الامم الخالية رسلهم بالبينات
اي الايات الواضحات والدلالة على صحة الرسالة من المعجزات وغيرها
وبالزبر الامور المكتوبة كصحف ابراهيم وبالكتاب اي جنس الكتاب
كالتوراة والانجيل المنير اي الواضح في نفسه الموضح لطريق الخير
والشر كما انك اتيت قومك بمثل ذلك وان كانت طريقتك اوضح واظهر
وكتابك انور وابهر واظهر واشهر وفي هذا تسلية للنبي صلى
الله عليه وسلم حيث علم ان غيره كان مثله في تكذيبه وكان محتملا لاذى
القوم تنبيه لما كانت هذه الاشيا في جنسهم اسند المجي بها اليهم
اسنادا مطلقا وان كان بعضها في جميعهم وهو البينات وبعضها في بعضهم
وهي الزبر والكتاب ولما سلاه صلى الله عليه وسلم هدد من خالفه وعصاه
بما فعل في تلك الامم الماضية بقوله تعالى ثم اخذت اي بانواع الاخذ
الذين كفروا اي ستروا تلك الايات المنيرة بعد طول صبر الرسل عليهم
ودعايهم لهم فكيف كان نكير اي انكاري بالعقوبة والاهلاك
اي هو واقع موقعه تنبيه اثبت ورش اليا بعد الرا في الوصل دون
الوقف والباقون بغير يا وقفا ووصلا ولما ذكر تعالى الدلايل ولم ينفعهم
قطع الكلام معهم والتفت الى غيرهم بقوله تعالى الم تر اي تعلم ايها المخاطب
ان الله اي الذي له جميع صفات الكمال انزل من السما ماء كما ان السيد
اذا نصح بعض عبيده ولم ينزجر يقول لغيره اسمع ولا تكن مثل هذا ويكرر ما
ذكره للاول ويكون فيه اشعار بان الاول فيه نقيصة لا يصلح للخطاب فيتنبه
له ويدفع عن نفسه تلك النقيصة وايضا فلا يخرج الكلام الى اجنبي
عن الاول بل ياتي بما يقاربه لئلا يسمع الاول كلاما اجنبيا فيترك التفكر فيما
كان وقوله تعالى فاخرجنا اي بما لنا من العظمة به اي بالماء ثمرات
اي متعددة الانواع فيه التفات من الغيبة الى التكلم وانما كان ذلك لان
المنة بالاخراج ابلغ من انزال الماء وقوله تعالى مختلفا نعت لثمرات
وقوله تعالى الوانها فاعل به ولولا ذلك لانث مختلفا ولكنه لما اسند
الى جمع تكسير غير عاقل جاز تذكيره ولو انث فقيل مختلفة كما تقول
اختلفت الوانها لجاز اي مختلفة الاجناس من الرمان والتفاح والعنب
وغيرها مما لا يحصر او الهيئات من الصفرة والحمرة والخضرة ونحوها

فالذي قدر على المفاوتة بينها وهي من ماء واحد لا يستبعد عليه ان يجعل
الدلايل بالكتاب وغيره نورا لشخص وعمى لاخر ولما ذكر تعالى تنوع ما من
الماء قدمه لانه الاصل في التكوين اتبعه التكوين عن التراب الذي هو
ايضا شي واحد بقوله تعالى ذاكرا ما هو اصلب الارض وابعدها عن
قابلية التلون **ومن الجبال جدد** قال الجلال المحلي جمع جدة طريق في
الجبل وغيره وقال الزمخشري الجدد الخطط والطرايق وقال ابو الفضل
الجدة ما يخالفه من الطرايق لون ما يليها ومنه جدة الحمار للخطة السودا
على ظهره وقد يكون للظبي جدتان مسكيتان تفصلان بين لوني ظهره
وبطنه **بيض وحمر** وصفر وقوله تعالى **مختلف** صفة لجدد وقوله
تعالى **الوانها** فاعل به كما مر في نظيره ويحتمل معنيين احدهما ان البياض
والحمرة يتفاوتان بالشدة والضعف فرب ابيض اشد من ابيض واحمر
اشد من احمر فنفس البياض مختلف وكذا الحمرة فلذلك جمع الوانها
فيكون من باب المشكك والثاني ان الجدد كلها على لونين بياض وحمرة فالبياض
والحمرة وان كانا لونين الا انهما جمعا باعتبار محالهما وقوله تعالى **وغرابيب
سود** فيه ثلاثة اوجه احدها انه معطوف على حمر عطف ذي لون
على ذي لون ثانيها انه معطوف على بيض ثالثها واقتصر عليه الجلال
المحلي يقال كثيرا اسود غربيب وقليل غربيب اسود وقال
البغوي اي سود غرابيب على التقديم والتاخير يقال اسود غربيب
اي شديد السواد تشبيها بلون الغراب اي طرايق سود وعن عكرمة
هن الجبال الطوال السود وقال الزمخشري الغربيب تاكيد للاسود
ومن حق التوكيد ان يتبع المؤكد كقولك اصفر فاقع ووجهه ان يضمر
المؤكد قبله فيكون الذي بعده مفسرا لما اضمر كقول النابغة
والمومن العايذات الطير تمسحها   ركبان مكة بين الغيل والسند
هما موضعان والمومن اسم لله وهو مجرور بالقسم والعايذات منصوب
بالمومن والمراد بها الحمام لما عاذت اليها والتجات بمكة والتجات اليها
حرم التعرض لها والطير منصوب بالبدل او بعطف البيان ووجه الاستدلال
بذلك ان الطير دال على المحذوف وهو مفعول لمومن والعايذات الطير
قال ابو حيان وهذا لا يصح الا على مذهب من يجوز حذف المؤكد ومن
النحويين من منعه وهو اختيار ابن مالك ورد عليه بان هذا ليس هو
التوكيد المختلف في حذف مؤكده لان هذا من باب الصفة والموصوف
ومعنى تسمية الزمخشري له توكيدا من حيث انه لا يفيد معنى زايدا وانما
يفيد المبالغة والتوكيد في ذلك اللون والنحويون قد سموا الوصف اذا لم
يفد غير الاول توكيدا فقال وقد يجي لمجرد التاكيد نحو قوله تعالى نفخة واحدة

انه معطوف على جدد
اي صخور شديدات
السواد قاله
الجلال المحلي

والمبين

والمبين اثنين والتاكيد المختلف في حذف مؤكده انما هو في باب التوكيد
الصناعي ومذهب سيبويه جوازه قال ابن عادل والاولى فيه
ان يسمى توكيدا لفظيا اذ الاصل سود غرابيب سود ولما ذكر تعالى
ما الاغلب فيه الما مما استحال الى امر اخر بعيد من الما واتبعه التراب
الصرف ختم بما الاغلب فيه التراب مما استحال الى ما هو في غاية البعد
من التراب فقال **ومن الناس والدواب** ولما كانت الدابة في الاصل لما دب
على الارض ثم غلب اطلاقه على ما يركب قال **والانعام** ليعم الكل
صريحا **مختلف الوانه** اي الوان ذلك البعض الذي افهمته **كذلك**
اي مثل الثمار والاراضي منه ما هو ذو لون ومنه ما هو ذو لونين
او اكثر ولما قال تعالى الم تر بمعنى الم تعلم ان الله انزل من السما ما
وعدد ايات الله واعلام قدرته واثار صنعه وما خلق من الفطر
المختلفة الاجناس وما يستدل به عليه وعلى صفاته من انه
فاعل بالاختيار فهو يفعل ما يشا قال تعالى **انما يخشى الله** اي
الذي له جميع الكمال **من عباده العلما** قال ابن عباس يريد انما يخافني
من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني فاخشه بقدر معرفة
المخشي والعالم يعلم الله ويخافه ويرجوه وهذا دليل على ان العالم
اعلى درجة من العابد لقوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم بين تعالى
ان الكرامة بقدر التقوى والتقوى بقدر العلم لا بقدر العمل فمن ازداد منه
علما ازداد منه خشية وخوفا ومن كان علمه به اقل كان امن قال عليه
الصلاة والسلام اني لاعلمكم بالله واشدكم له خشية وقال لو تعلمون
ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وقال مسروق كفى بالمر علما
ان يخشى وكفى بالمر جهلا وكفى بالمر ان يعجب بعمله وقال رجل للشعبي
افتني ايها العالم فقال العالم من خشي الله تعالى قال السهروردي
في الباب الثالث من معارفه فينفي العلم عمن لا يخشى الله تعالى لانه اذا
قال انما يدخل الدار بغدادي فينتفي دخول غير البغدادي الدار
وقيل نزلت هذه الاية في ابي بكر الصديق رضي الله عنه وقد ظهرت
عليه الخشية حتى ظهرت فيه فان قيل هل يختلف المعنى اذا قدم
المفعول في هذا الكلام او اخر اجيب بانه يختلف فانك اذا قدمت
اسم الله واخرت العلما كان المعنى ان الذين يخشون الله من بين
عباده هم العلما دون غيرهم واذا عملت على العكس انقلب المعنى الى
انهم لا يخشون الا الله كقوله تعالى ولا يخشون احدا الا الله وهما
معنيان مختلفان تنبيه رسم العلما بالواو وقوله تعالى **ان الله**
اي المحيط بالجلال والاكرام **عزيز** اي غالب على جميع اموره

غفور اي لمن اراد من عباده تعليل لوجوب الخشية لدلالته على انه معاقب
للمصر على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه والمعاقب والمثيب حقه
ان يخشى ولما بين سبحانه العلماء بالله وخشيتهم وكرامتهم بسبب
خشيتهم ذكر العاملين بكتاب الله العاملين بما فيه وقيل يعلمونه ما فيه
بقوله تعالى ان الذين يتلون كتاب الله اي يداومون على تلاوته وهي شانهم
ودينهم التلاوة وعن مطرف هي آية القراء وعن الكلبي ياخذون
بما فيه وقيل يعلمون ما فيه ويعملون به وعن السدي هم اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعن عطاء هم المؤمنون واقاموا الصلاة اي اداموها
وانفقوا مما رزقناهم زكاة وغيرها سرا وعلانية وقيل السر في المسنون
والعلانية في المفروض تنبيه اشار تعالى بقوله سبحانه يتلون
كتاب الله الى الذكر وبقوله تعالى واقاموا الصلاة الى العمل البدني
وبقوله تعالى ومما رزقناهم الى العمل المالي وفي هاتين الآيتين حكمة بالغة
وهي ان قوله تعالى انما يخشى الله اشارة الى عمل القلب وقوله تعالى
الذين يتلون اشارة الى عمل اللسان وقوله تعالى واقاموا الصلاة اشارة
الى عمل الجوارح ثم ان هذه الاشياء الثلاثة متعلقة بجانب تعظيم الله
تعالى وقوله تعالى وانفقوا مما رزقناهم بمعنى الشفقة على خلقه وقوله تعالى
سرا وعلانية حث على الانفاق كيف ما تهيا فان تهيا سرا فذاك والا
فعلانية ولا يمنعه ظنه انه يكون رياء فان ترك الخير مخافة ذلك هو عين
الريا ولما احل تعالى هؤلاء بالمحل الاعلى بين حالهم بقوله تعالى يرجون
اي في الدنيا والآخرة تجارة اي بما عملوا لن تبور اي تكسد وتهلك
بل هي باقية لانها رفعت الى من لا تضيع اليه الودائع وهي رابحة رائجة
لكونه تعالى تام القدرة شامل العلم له الغنى المطلق ليوفيهم اجورهم
اي جزاء اعمالهم ويزيدهم من فضله قال ابن عباس يعني سوى الثواب
ما لم ترعين ولم تسمع اذن ويحتمل ان يزيدهم النظر اليه كما جاء في تفسير
الزيادة وهذا هو النعمة العظمى انه غفور شكور قال ابن عباس يغفر
الذنب العظيم من ذنوبهم ويشكر اليسير من اعمالهم وقيل غفور
عند اعطاء الاجر شكور عند اعطاء الزيادة تنبيه في خبر ان من قوله
ان الذين يتلون كتاب الله وجهان احدهما الجملة من قوله تعالى
يرجون اي ان التالين يرجون ولن تبور صفة تجارة وليوفيهم متعلق
بيرجون او تبور او بمحذوف اي فعلوا ذلك ليوفيهم وعلى الوجهين
الاولين يجوز ان تكون لام العاقبة والثاني ان الخبر انه غفور شكور
جوز هذا الزمخشري على حذف العائد اي غفور لهم وعلى هذا فيرجون
حال من انفقوا اي انفقوا ذلك راجين ولما بين تعالى الاصل الاول

وهو وجود الله تعالى الواحد بالدلائل في قوله تعالى الله الذي يرسل الرياح
وقوله تعالى والله خلقكم وقوله تعالى الم تر ان الله انزل من السماء ماء ذكر
الاصل الثاني وهو الرسالة بقوله تعالى والذي اوحينا اي بما لنا من العظمة
اليك من الكتاب اي الجامع لخيري الدارين تنبيه من الكتاب يجوز
ان تكون من للبيان كما يقال ارسل الى فلان من الثياب جملة وان تكون
للجنس وان تكون لابتداء الغاية يقال جاءني كتاب من الامير وعلى هذا
فالكتاب يمكن ان يراد به اللوح المحفوظ يعني الذي اوحينا من اللوح
المحفوظ هو الحق اي الكامل في الثبات ومطابقة الواقع ويمكن
ان يراد به القرآن وهو ما اقتصر عليه الجلال المحلي يعني الارشاد
والتبيين الذي اوحينا اليك من القرآن ويمكن ان تكون من للتبعيض
وهو ضمير فصل او مبتدأ وقوله تعالى مصدقا لما بين يديه اي لما تقدمه
من الكتب حال مؤكدة لان الحق لا ينفك عن هذا التصديق وهذا
تقرير لكونه وحيا لان النبي صلى الله عليه وسلم لما لم يكن قارئا كاتبا واتى
ببيان ما في كتاب الله لا يكون ذلك الا بوحي من الله تعالى فان قيل ما تقدم
مصدق للقرآن اجيب بان القرآن كونه معجزة يكفي في تصديقه
بانه وحي واما ما تقدم فلا بد فيه من معجزة تصدقه تنبيه قوله
تعالى هو الحق آكد من قول القائل الذي اوحينا حق اليك من وجهين احدهما
ان التعريف للخبر يدل على ان الامر في غاية الظهور لان الخبر في الاكثر يكون
نكرة الثاني ان الاخبار في الغالب تكون اعلاما بثبوت امر لا يعرفه
السامع كقولنا زيد قام فان السامع ينبغي ان يكون عارفا ولا يعلم
قيامه فتخبره به فاذا كان الخبر معلوما فتكون الاخبار للنسبة و
يعرفان باللام كقولنا ان زيدا العالم في هذه المدينة اذا كان علمه مشهورا
ان الله اي الذي له جميع صفات الكمال بعباده لخبير اي عالم ادق العلم
واتقنه ببواطن احوالهم بصير اي بظواهر امورهم وبواطنها اي فهو
يسكن الخشية والعلم في القلوب على قدرها ونوا من الكتاب في علمه
فانت احقهم بالكمال لانك اخشاهم واتقاهم فلذلك آتيناك هذا
الكتاب المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب وتقديم الخبير للدلالة
على ان العمدة في ذلك الامور الروحانية وقوله تعالى ثم اورثنا الكتاب
فيه وجهان احدهما انا اوحينا اليك القرآن ثم اورثناه من بعدك
اي حكمنا بتوريثه او قال تعالى اورثناه وهو يريد نورثه فعبر عنه
بالماضي لتحققه وقال مجاهد اورثنا اعطينا لان الميراث عطاء واقتصر
على هذا الجلال المحلي وقيل اورثنا اخرنا ومنه الميراث لانه تاخر عن
الميت ومعناه اخرنا القرآن من الامم السالفة واعطيناكموه

والملنا كم لذنبه ا. كثر المفسرين على ان المراد بالكتاب القران وقيل المراد
جنس الكتاب الذين اصطفينا اي اخترنا من عبادنا قال ابن عباس يريد
بالعباد امة محمد صلى الله عليه وسلم اي من الصحابة والتابعين وتابعيهم
ومن بعدهم الى يوم القيمة ونقل ابن الجوزي عن ابن عباس ان الله تعالى اورث
امة محمد صلى الله عليه وسلم كل كتاب انزله اي لان الله تعالى اصطفاهم
على سائر الامم وجعلهم امة وسطا ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة
الانتما الى افضل رسل الله تعالى وحمل الكتاب الذي هو افضل كتب الله
تعالى ثم قسمهم بقوله تعالى فمنهم ظالم لنفسه اي في التقصير بالعمل
ومنهم مقتصد اي يعمل به في اغلب الاوقات ومنهم سابق بالخيرات
وهو من يضم الى العمل التعليم والارشاد الى الارشاد روى اسامة بن زيد
في هذه الاية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم من هذه
الامة وروى ابو عثمان النهدي قال سمعت عمر بن الخطاب قرا على
المنبر ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الاية فقال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور
له وروى ابو الدردا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه قرا هذه
الاية ثم اورثنا الكتاب الاية وقال اما السابق بالخيرات فيدخل الجنة
بغير حساب واما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا واما الظالم فيحبس
في المقام حتى يدخله الهم ثم يدخل الجنة ثم قرا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان
ربنا لغفور شكور وقال عقبة بن صهبان سالت عائشة عن قول الله عز وجل
ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الاية فقالت يا بني كلهم في الجنة اما
السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد له
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة واما المقتصد فمن اتبع اثره من
اصحابه حتى لحق بهم واما الظالم فمثلي ومثلكم فجعلت نفسها معنا وقال
مجاهد والحسن فمنهم ظالم لنفسه ثم اصحاب المشامة ومنهم مقتصد
اصحاب الميمنة ومنهم سابق بالخيرات السابقون المقربون من الناس
كلهم وعن ابن عباس قال السابق المومن المخلص والمقتصد المرائي والظالم
الكافر نعمت الله تعالى غير الجاحد لها لانه تعالى حكم للثلاثة بدخول الجنة
وقيل الظالم هو الراجح السيئات والمقتصد هو الذي تساوت سيئاته
وحسناته والسابق هو الذي رجحت حسناته وقيل الظالم هو الذي
ظاهره خير من باطنه والمقتصد هو من تساوي ظاهره وباطنه ه
والسابق من باطنه خير من ظاهره وقيل الظالم هو الموحد بلسانه
الذي تخالفه جوارحه من المخالفة بالتكليف والسابق هو الموحد
الذي يمنع جوارحه من المخالفة بتنبيه التوحيد عن التوحيد

والمقتصد هو الموحد الذي يمنع جوارحه

وقيل

وقيل الظالم صاحب الكبيرة والمقتصد صاحب الصغيرة والسابق المعصوم
وقيل الظالم التالي القران غير العامل به ولعالم به والمقتصد التالي العا صح
غير العالم والسابق التالي العالم العامل وقيل الظالم الجاهل والمقتصد
المتعلم والسابق العالم قال جعفر الصادق بدا بالظالم اخبارا
بانه لا يتقرب اليه الا بكرمه وان الظلم لا يوثر في الاصطفا ثم ثنى بالمقتصد
لانهم بين الخوف والرجا ثم ختم بالسابقين لئلا يامن احد مكره وكلهم
في الجنة وقال ابو بكر الوراق رتبهم هذا الترتيب على مقامات
الناس لان احوال العبد ثلاثة معصية وغفلة ثم توبة ثم قربة فاذا
عصى دخل في اخبار الظالمين فاذا تاب دخل في جملة المقتصدين فاذا صحت التوبة وكثرت
العبادة والمجاهدة دخل في عداد السابقين وقيل غير ذلك ولما كان هذا
ليس في قوة العبد في مجاري العادات ولا يوخذ بالكسب والاجتهاد
اشار الى عظمته بقوله تعالى باذن الله اي بتمكين من له القوة التامة
والعظمة العامة والفعل بالاختيار وجميع صفات الكمال وتسهيله
وتيسيره لئلا يامن احد مكره تعالى قال الرازي في اللوامع ثم من
السابقين من يبلغ محل القرب فيستغرق في وحدانيته ذلك اي
ايراثهم الكتاب او السبق او الاصطفا هو الفضل الكبير ولما ذكر
تعالى احوالهم بين جزائهم ومالهم بقوله تعالى مستانفا جوابا
لمن سال عن ذلك جنات عدن اي اقامة بلا رحيل لانه لا سبب
للرحيل عنها وقوله تعالى يدخلونها اي الثلاثة اصناف خبر جنات
عدن ومن دخلها لم يخرج منها لانه لا شيء يخرجه ولا هو يريد الخروج
وقرا ابو عمرو بضم اليا وفتح الخا والباقون بفتح اليا وضم الخا ولما كان الداخل
الى مكان اول ما ينظر الى ما فيه من النفائس قال يحلون فيها اي
يلبسون على سبيل التزين والتحلي من اساور اي بعض اساور من ذهب
فمن الاولى للتبعيض والثانية للتبيين وقوله تعالى ولولوا عطف
على ذهب او من ذهب مرصع باللولو او من ذهب في صفا اللولو وقرا
عاصم ونافع بالنصب عطفا على محل من اساور والباقون بالجر تنبيه
اساور جمع اسورة وهي جمع سوار وذكر الاساور من بين ذكر الحلي ساير
في مواضع كثيرة كقوله تعالى وحلوا اساور من فضة يدل على
كون المتحلي غير متبذل في الاشتغال لان كثرة الاعمال باليد
فاذا حليت بالاساور علم الفراغ من الاعمال ولما كانت هذه الزينة
لا تليق الا على اللباس الفاخر قال تعالى ولباسهم فيها حرير اي
ويقولون عند دخولهم وعبر عنه بالماضي تحقيقا له الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن
قال ابن عباس حزن النار وقال قتادة حزن الموت وقال مقاتل

لانهم كانوا لايدرون مايصنع بهم وقال عكرمة حزن السيئات والذنوب
وخوف رد الطاعات وقال القاسم حزن زوال النعم وخوف العاقبة
وقيل حزن اهوال القيامة وقال الكلبي ماكان يحزنهم في الدنيا من
امر يوم القيمة وقال سعيد بن جبير الخبز في الدنيا وقيل هم المعيشة
وقال الزجاج اذهب الله تعالى عن اهل الجنة كل الاحزان ماكان منها
لمعاش ومعاد اي وهذا اولي الكل قال عليه الصلاة والسلام
ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في منشرهم وكاني
باهل لا اله الا الله ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون الحمد لله الذي
اذهب عنا الحزن ثم قالوا ان ربنا اي المحسن الينا مع اساءتنا لغفور
اي محا للذنوب عنا واثر للصنفين الاولين ولغيرهما من المذنبين
شكور للصنف الثالث ولغيره من المطيعين تنبيه ذكر الله تعالى
عن هذه الثلاثة ثلاثة امور كلها تفيد الكرامة الاول قولهم الحمد لله
فان الحامد يثاب الثاني قولهم ربنا فان الله تعالى اذا نودي بهذا اللفظ
استجاب للمنادي مالم يكن يطلب مالا يجوز الثالث قوله غفور شكور
والغفور اشارة الي ما غفر لهم في الاخرة حمدهم في الدنيا والشكور
اشارة الي ما يعطيهم الله ويزيدهم بسبب حمدهم في الاخرة وقولهم
الذي احلنا دار المقامة اي الاقامة اشارة الي ان الدنيا منزلة ينزلها
المكلف ويرتحل منها الي منزلة القبور ومن القبور الي منزلة العرصة
التي فيها الجمع ومنها التفريق الي دار البقا اما الي الجنة واما الي النار اجارنا
الله ومحبينا منها وقولهم من فضله اي بلا عمل منا فان حسناتنا انما
كانت منا منة تعالى اذ لا واجب عليه متعلق باحلنا ومن اما للعلة واما
لابتدا الغاية وقولهم لا يمسنا فيها اي في وقت من الاوقات نصب ولا
يمسنا فيها لغوب حال من مفعول احلنا الاول او الثاني لان الجملة
مشتملة على ضمير كل منهما وان كان الحال من الاول اظهر والنصب
التعب والمشقة واللغوب الفتور الناشئ عنه وعلى هذا فيقال
اذا انتفى السبب انتفى المسبب فاذا قيل لم اكل فيعلم انتفا الشبع
فلا حاجة الي قوله ثانيا فلم اشبع بخلاف العكس الا ترى انه يجوز
لم اكل ولم اشبع والاية الكريمة على ما تقرر من نفي السبب ثم نفي المسبب
فما فائدته اجيب بان النصب هو تعب البدن واللغوب هو تعب
النفس وقيل اللغوب الوجع وحينئذ فالسؤال زايل واجاب
الرازي بجواب قال ابن عادل ليس بذاك فتركته ولما بين
تعالى ما هم فيه من النعمة في دار السرور التي قال فيها القايل
علياء لا تنزل الاحزان ساحتها لو مسها حجر مسته سراء

بين مالاحدابهم

بين مالاعدايهم من النقمة زيادة في سرورهم بما قاسوا في الدنيا من تكبرهم عليهم
وفخورهم بقوله تعالى والذين كفروا اي ستروا مادلت عليه عقولهم من شموس
الايات وانوار الدلالات لهم نار جهنم اي بما اجرموا اولياء الله الدعاة اليه
لا يقضى اي يحكم عليهم اي بموت ثان فيموتوا اي فيتسبب
عن القضا موتهم فيستريحوا كقوله تعالي ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك
اي بالموت فنستريح بل العذاب دايم تنبيه نصب فيموتوا باضمار ان
ولما كانت الشدايد في الدنيا تنفرج وان طال امدها قال تعالى
ولا يخفف عنهم واغرق في النفي بقوله تعالى من عذابها اي جهنم تنبيه
في الاية لطايف الاولى ان العذاب في الدنيا ان دام قتل وان لم يقتل اعتاده
البدن ويصير مزاجا فاسدا لا يحس به المعذب فقال عذاب نار الاخرة
ليس كعذاب الدنيا اما ان يفني او يالفه البدن بل هو في كل زمان شديد
والمعذب فيه دايم الثانية وصف العذاب بانه لا يفتر ولا ينقطع ولا
باقوى الاسباب وهو الموت حتى يتمنوه ولا يجابون كما قال تعالى ونادوا
يا مالك ليقض علينا ربك اي بالموت الثالثة ذكر في المعذبين اكتفا
بانه لا ينقضي عذابهم ولم يقل تعالى نزيدهم عذابا وفي المثابين قال
تعالى يزيدهم من فضله وقوله تعالى كذلك نجزي كل كفور اي كافر بالله تعالى
وبرسله وقرا ابو عمرو بيا مضمومة وفتح الزاي ورفع كل والباقون بنون مفتوحة
وكسر الزاي ونصب كل وهم اي فعل ذلك بهم والحال يصطرخون
فيها اي يوجدون الصراخ فيها بغاية ما يقدرون عليه من الجهد
في الصياح من البكا والوجع يقولون ربنا اي المحسن الينا اخرجنا اي
من النار نعمل صالحا ثم فسروه وبينوه بقولهم غير الذي كنا نعمل في الدنيا
فان قيل هلا اكتفى بقولهم نعمل صالحا كما اكتفى بذلك في قولهم فارجعنا
نعمل صالحا وما فايدة زيادة غير الذي كنا نعمل على انه يوهم انهم يعملون
صالحا اخر غير الصالح الذي عملوه اجيب بان فايدته زيادة التحسر
على ما عملوه من غير الصالح مع الاعتراف به واما الوهم فزايل بظهور حالهم في
الكفر وظهور المعاصي ولانهم كانوا يحسبون انهم على سيرة صالحة كما
قال تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فقالوا لو اخرجنا نعمل صالحا
غير الذي كنا نحسبه صالحا فنعمله فيقال لهم توبيخا وتقريعا اولم نعمركم
اي نطيل اعماركم مع اعطاينا لكم العقول ولم نعاجلكم بالاخذ ما اي زمانا
يتذكر فيه من تذكر قال عطا وقتادة والكلبي ثماني عشرة سنة وقال
الحسن اربعون سنة وقال ابن عباس ستون سنة روي ذلك
عن علي وروي البزار انه صلى الله عليه وسلم قال العمر الذي اعذر الله فيه
الي ابن ادم ستون سنة وروي البخاري انه صلى الله عليه وسلم قال

من عمره الله ستين سنة فقد اعذر اليه في العمر وروي الترمذي وابن ماجه عن
ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال اعمار امتي ما بين الستين الى السبعين
واقلهم من يجوز ذلك وقوله تعالى **وجاءكم النذير** عطف على اولم نعمركم لانه في
معنى قد عمرناكم كقوله الم نربك ثم قال تعالى ولبثت وقال تعالى الم نشرح لك
صدرك ثم قال تعالى ووضعنا عنك اذ هما في معنى ربيناك وشرحنا واختلف في
النذير فقال الاكثرون هو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل القران وقال عكرمة وسفيان
بن عيينة ووكيع هو الشيب والمعنى اولم نعمركم حتى شبتم ويقال الشيب
نذير الموت وفي الاثر ما من شعرة تبيض الا قالت لاختها استعدي فقد قرب
الموت ولما تسبب عن ذلك ان عذابهم لا ينفك قال تعالى **فذوقوا** اي ما اعددناه
لكم من العذاب دايما ابدا **فما للظالمين** اي الذين وضعوا اعمالهم واقوالهم
في غير مواضعها **من نصير** اي في وقت الحاجة حتى يدفع العذاب عنهم قال البقاعي
وهذا عام في كل ظالم ولما كان تعالى عالما بكل ما نفي وما اثبت قال تعالى **ان الله**
اي الذي احاط بكل شي قدرة وعلما **عالم غيب السموات والارض** لا يخفى عليه
خافية فلا يخفى عليه تعالى احوالهم وقوله تعالى **انه عليم بذات الصدور** تعليل
له لانه اذا علم مضمرات الصدور قبل ان يعلمها اربابها حتى تكون غيبا محضا
كان اعلم بغيره ويعلم انكم لو مدت اعماركم لم ترجعوا عن الكفر ابدا ولو رددتم
لعدتم لما نهيتم عنه وانه لا مطمع في صلاحكم ولما كان من اثبت شيا اعلم
به قال تعالى **هو** اي وحده لا شركاؤكم ولا غيرهم **الذي جعلكم** ايها الناس
خلايف في الارض اي يخلف بعضكم بعضا وقيل جعلكم امة واحدة خلفت
من قبلها ورات فيمن قبلها ما ينبغي ان يعتبر به وقال القشيري اهل كل عصر
خليفة عمن تقدمهم ممن قوم هم سلفهم جمال ومن قوم هم اراذل واسافل
تنبيه خلايف جمع خليفة وهو الذي يقوم بعد الانسان بما كان قايما به
والخلفاء جمع خليف قاله الاصبهاني **فمن كفر فعليه كفره** اي وبال كفره **ولا**
اي والحال انه **يزيد الكافرين** اي المغطين للحق **كفرهم** اي الذي
هم فيه متلبسون يظنون انه يسعدهم وهم راسخون فيه غير منفكين
عنه **عند ربهم** اي المحسن اليهم **الا مقتا** اي غضبا لان الكافر السابق
كان ممقوتا **ولا يزيد الكافرين** اي العريقين في صفة التغطية للحق **كفرهم**
الا خسارا اي للاخرة لان العمر كراس مال من اشترى به رضي الله تعالى
ربح ومن اشترى به سخط الله تعالى خسر ولما بين انه سبحانه هو الذي استخلفهم
اكد بيان ذلك عندهم بامره صلى الله عليه وسلم بما يضطرهم الى الاعتراف
بقوله تعالى **قل** اي لهم **ارايتم** اي اخبروني **شركاءكم** اضافهم
اليهم لانهم وان كانوا جعلوهم شركاء لربنا لو استشاموا من شركته لانهم
ما نقصوه شيا من ملكه وانما شاركوا العابدين في اموالهم بالسوايب وغيرها

في اعمالهم

في اعمالهم فهم شركاوهم بالحقيقة لا شركاوه ثم بين المراد من عدهم لهم شركاء
بقوله تعالى **الذين تدعون** اي تعبدون **من دون الله** اي غيره وهم الاصنام
الذين زعمتم انهم شركاء الله تعالى **اروني** اخبروني **ماذا** اي الذي او اي
شي **خلقوا من الارض** اي ليصح لكم دعوى الشركة فيهم والا فادعاوكم
ذلك فيهم كذب محض وانتم تدعون انكم ابعد الناس منه في الامور الهينة
فكيف بمثل هذا **ام لهم شرك** اي شركة مع الله تعالى وان قلت
في السموات اي اروني ماذا خلقوا لكم من السموات فالاية من الاحتباك
حذف اولا الاستفهام عن الشركة في الارض لدلالة مثله في السماء
ثانيا عليه وحذف الامر ثانيا بالاراءة لدلالة مثله اولا عليه **ام اتيناهم**
كتابا ينطق على انا اتخذناهم شركاء **فهم** الاحسن في هذا الضمير
ان يعود على الشركاء ليناسق الضماير وقيل يعود على المشركين قاله مقاتل
فيكون التفاتا من خطاب الى غيبة **على بينة** اي حجة **منه** بان لهم
معي شركة ولما كان التقدير لا شي لهم من ذلك قال تعالى منبها على ذميم
احوالهم قال منبها وسفه ارايهم وخسة هممهم ونقصان عقولهم
بل ان اي ما **يعد الظالمون** اي الواضعون الاشياء في غير مواضعها
بعضهم بعضا اي الاتباع للمتبوعين بان شركاوهم تقربهم الى الله تعالى
زلفى وانها تشفع وتضر وتنفع **الا غرورا** اي باطلا ولما بين تعالى حقارة الاصنام
بين عظمته سبحانه بقوله تعالى **ان الله** اي الذي له جميع صفات
الكمال **يمسك السموات** اي على كبرها وعلوها **والارض** اي على سعتها
وبعدها عن التماسك على ما تشاهدونه وقوله تعالى **ان تزولا** اي رجة
عظيمة وزلزلة كبيرة يجوز ان يكون مفعولا من اجله اي كراهة ان
تزولا وقيل لئلا تزولا ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا على اسقاط الخافض
اي يمنعهما من ان تزولا ويجوز ان يكون بدل اشتمال اي يمنع زوالهما لان
ثباتهما على ما هما عليه على غير القياس لولا شامخ قدرته وباهر عزته وعظمته
فان ادعيتم عنادا ان شركاءكم لا يقدرون على الخلق لعلة من العلل فادعوهم
لازالة ما خلق تعالى ولما كان في هذا دليل على انهما حادثتان زايلتان اتبعه ما هو
ابين منه بقوله تعالى معبرا باداة الامكان **ولين** لام قسم **زالتا** اي بزلزلة
او خراب او غير ذلك **ان** اي ما **امسكهما من احد من بعده** جواب القسم
الموطا له بلام القسم وجواب الشرط محذوف يدل عليه جواب القسم ولذلك
كان فعل الشرط ماضيا وقول البيضاوي تبعا للزمخشري والجملة سدت
مسد الجوابين فيه تجوز فالمراد بسدها مسدهما انها تدل عليهما لا انها قايمة
مقامهما اذ يلزم ان تكون معمولة وغير معمولة لانها باعتبار القسم لا محل لها
من الاعراب وباعتبار جواب الشرط لها محل ومن في من احد زيدت للتاكيد

وفي من بعده لابتداء الغاية والمعنى احد سواه اي من بعد الزوال انه كان اي ازلا وابدا
حليما اذ امسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا كما قال تعالى تكاد السموات
يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا لا يستعجل الا من يخاف الامن
يخاف الفوت فينتهز الفرصة غفورا اي محاء للذنوب من رجع اليه
واقبل بالاعتراف عليه فلا يعاقبه ولا يعاتبه ولما بلغ كفار مكة ان اهل الكتاب
كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود اتتهم الرسل فكذبوهم واقسموا اي كفار
مكة بالله اي الذي لا يقسم بغيره جهد ايمانهم اي غاية اجتهادهم فيها لئن
جاءهم نذير اي رسول ليكونن اهدى من احدى الامم اي اليهود والنصارى
وغيرهم اي اي واحد منها لما راوا من تكذيب بعضها بعضا اذ قالت اليهود
ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء فلما
جاءهم نذير اي على ما شرطوا او زيادة وهو محمد صلى الله عليه وسلم
الذي كانوا يشهدون انه خيرهم نفسا واشرفهم نسبا واكرمهم خلقا
ما زادهم اي مجيئه شيئا مما هم عليه من الاحوال الا نفورا اي تباعدا عن
الهدى لانه كان سببا في زيادتهم في الكفر كالابل التي كانت نفرت
من ربها فضلت عن الطريق فدعاها فازدادت بسبب دعايه نفرة
فصارت بحيث يتعذر او يتعسر ردها فتبين انه لا عهد لهم مع ادعاءهم
انهم اوفى الناس ولا صدق عندهم مع جزمهم بانهم اصدق الخلق ثم علل نفورهم
بقوله تعالى استكبارا اي طلبا لايجاد الكبر لانفسهم في الارض اي
التي من شانها السفول والتواضع فلم يكن نفورهم لامر محمود ولا مباح
ويجوز ان يكون استكبارا بدلا من نفورا وان يكون حالا اي حال كونهم
مستكبرين قاله الاخفش وقوله تعالى ومكر السيء فيه وجهان اظهرهما
انه عطف على استكبارا والثاني انه عطف على نفورا وهذا من اضافة الموصوف
الى صفته في الاصل اذ الاصل والمكر السيء والبصريون يؤولونه
على حذف موصوف اي العمل السيء الذي من شانه ان يسوء صاحبه وغيره
وهو ارادتهم لاهانة امر النبي صلى الله عليه وسلم واطفاء نور الله عز وجل
وقال الكلبي هو اجتماعهم على الشرك وقتل النبي صلى الله عليه وسلم
وقرا حمزة في الوصل بهمزة ساكنة اي بنية الوقف اشارة الى تدقيقهم
المكر واتقانه واخفائهم جهدهم والباقون بهمزة مكسورة واذا وقف
حمزة ابدل الهمزة وادغم اليا الاولى في الثانية ووقف الباقون بهمزة
ساكنة ولا اي والحال انه لا يحيق اي يحيط احاطة لازمة ضارة
المكر السيء اي الذي هو عريق في السوء الا باهله اي وان اذى به غير
اهله لكنه لا يحيط بذلك الغرفان قيل كثيرا ما نرى الماكر يمكر ويفيده
المكر ويغلب الخصم بالمكر والاية تدل على عدم ذلك اجيب باجوبة

احدها ان المكر في الاية هو المكر الذي مكروه مع النبي صلى الله عليه وسلم من
العزم على القتل والاخراج ولم يحق الا بهم حيث قتلوا يوم بدر وغيره ثانيها انه
عام وهو الاصح ويدل له قول الزهري بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فان الله تعالى يقول هذه الاية ولا تبغوا ولا تعينوا
باغيا يقول الله تعالى انما بغيكم على انفسكم ولا تنكثوا ولا تعينوا ناكثا
قال تعالى فمن نكث فانما ينكث على نفسه ثالثها ان الاعمال بعواقبها
ومن مكر غيره ونفذ فيه المكر في الظاهر فهو في الحقيقة هو الفائز والماكر هو الهالك
كمثل راحة الكافر ومشقة المسلم في الدنيا ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى فهل
ينظرون اي ينتظرون الا سنت الاولين اي سنة الله تعالى فيهم من تعذيبهم
بتكذيبهم رسلهم والمعنى فهل ينتظرون الا ان ينزل بهم العذاب كما نزل
بمن مضى من الكفار ولما كان هذا النظر يحتاج الى صفاء اللب وذكاء النفس
عدل عن ضميرهم الى الخطاب على الخلق بقوله تعالى فلن تجد اي في وقت من الاوقات
لسنت الله اي طريقة الملك الاعظم التي شرعها وحكم بها وهي اهلاك
العاصين وانجاء المطيعين تبديلا اي من احد ياتي بسنة غيرها تكون
بدلا لها لانه تعالى لا مكافئ له ولن تجد لسنت الله اي الذي لا امر لاحد معه
تحويلا اي من حالة الى اخف منها لانه لا راد لقضائه فائدة
ترسم سنت لسنت الثلاثة بالتاء المجرورة كما رايت ووقف ابو
عمرو وابن كثير والكسائي بالهاء والباقون بالتاء واذا وقف و[illegible] امال
الهاء على اصله ولما ذكر الله تعالى الاولين وسنتهم في اهلاكهم نبههم
بتذكير حال الاولين بقوله تعالى اولم يسيروا اي فيما مضى من الزمان في
الارض اي التي ضربوا في المتجر بالسير اليها في الشام واليمن والعراق
فينظروا اي فيتسبب عن ذلك السير انه يتجدد لهم نظر واعتبار
يوما من الايام فان العاقل من اذا راى شيئا تفكر فيه حتى يعرف ما ينطق
به لسان حاله ان خفي عليه ما جرى من مقال واشار بسوقه في اسلوب
الاستفهام الى انه لعظمه خرج عن امثاله فاستحق السؤال عن حاله
كيف كان عاقبة اي اخر امر الذين من قبلهم اي على اي حالة كان احدهم
ليعلموا انهم ما اخذوا الا بتكذيب الرسل فيخافوا ان يفعلوا مثل فعالهم
فيكون حالهم كحالهم فانهم كانوا يمرون على ديارهم ويرون اثارهم واملهم فوق
املهم وعملهم دون عملهم وكانوا اطول منهم اعمارا واشد اقتدارا واوسع
هذا لم يكونوا مثل محمد صلى الله عليه وسلم وانتم يا اهل مكة كفرتم بمحمد ومن
قبله وكانوا اي اهلكناهم لتكذيبهم رسلنا والحال انهم كانوا اشد
منهم اي من هؤلاء قوة وما كان الله ليعجزه اي الذي له جميع العظمة واكد
الاستغراق في النفي بقوله تعالى ليعجزه اي مريدا لان يعجزه وما [illegible]

وكاف التشبيه وباء الالصاق وغيرها وجا على حرفين كمن للتبعيض واو للتخيير
وام للاستفهام المتوسط وان للشرط وغيرها والاسم والفعل والحرف
جاءت على ثلاثة احرف كالى وعلى في الحرف والى وعلا في الاسم والا بالف
بالواو وعلى يعلو في الفعل والاسم والفعل جا على اربعة احرف
والاسم خاصة جاء على اربعة احرف والاسم خاصة جا على اربعة
ثلاثة احرف واربعة وخمسة كنخل وسحال وخرد هل فجا في القران
اشارة الى ان تركيب العربية من هذه الحروف على هذه الوجوه فيما
يقول هذا القايل في تخصيص بعض السور بالحرف الواحد والبعض
باكثر فلا يعلم ما السر الا الله تعالى ومن اعلمه الله تعالى به واذا
علم هذا فالعبادة منها قلبية ومنها لسانية ومنها خارجية وكل واحد
منها قسمان قسم عقل معناه وحقيقته وقسم لم يعلم اما القلبية
مع انها ابعد عن الشك والجهل ففيها ما لم يعلم دليله عقلا وانما وجب
الايمان به والاعتقاد سمعا كالصراط الذي هو ادق من الشعر واحد
من السيف ويمر عليه المومن كالبرق الخاطف والميزان الذي توزن به
الاعمال لا ثقل لها في نظر الناظر وكيفية الجنة والنار فان هذه
الاشيا وجودها لم يعلم بدليل عقلي وانما المعلوم بالعقل امكانها
ووقوعها معلوم مقطوع به بالسمع ومنها ما علم كالتوحيد والنبوة وقدرة
الله وصدق الرسول وكذلك في العبادات الخارجية ما علم معناه وما لم
يعلم كمقادير النصب وعدد الركعات والحكمة في ذلك ان العبد اذا اتى
بما امر به من غير ان يعلم ما فيه من الفائدة فلا يكون الاتيان الا لمحض
الفائدة بخلاف ما لو علم الفائدة فربما ياتي للفائدة وان لم يومر كما لو
قال السيد لعبده انقل هذه الحجارة من ههنا ولم يعلمه بما في
النقل فنقلها ولو قال انقلها فان تحتها كنزا هو لك فانه ينقلها وان لم
يومر واذا علم هذا فكذلك في العبادات اللسانية الذكرية يجب ان
يكون ما لم يفهم معناه اذا تكلم به العبد علم انه لا يعقل غير الانقياد لامر
المعبود الالهي فاذا قال حم يس طس علم انه لا يذكر ذلك لمعنى يعلمه
بفهمه بل يتلفظ به امتثالا لما امر به انتهى كلام ابن عادل بحروفه
وهو كلام دقيق وقرا يس بامالة الياء شعبة وحمزة والكسائي والباقون
بالفتح واظهر النون من يس عند واو والقران قالون وابن كثير وابو عمرو
وحفص وحمزة وادغم الباقون وهي واو القسم او العطف اذ جعل يس
مقسما به ثم وصف القران بقوله تعالى الحكيم اي المحكم بعظيم النفع وبديع
المعاني وقوله تعالى انك لمن المرسلين اي الذين حكمت عقولهم على دواعي
نفوسهم فصاروا ايما وهبهم الله تعالى من القوة النورانية وبما تخلقوا

به من

به من الامور ونواهيه كالملايكة الذين تقدم ذكرهم في السورة الماضية انهم
رسل جواب القسم وهو رد على الكفار حيث قالوا لست مرسلا فان قيل
المطلب يثبت بالدليل لا بالقسم فما الحكمة بالاقسام اجيب باوجه اولها
ان العرب كانوا يتقون الايمان الفاجرة وكانوا يقولون ان الايمان الفاجرة
توجب خراب العالم وصح النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله اليمين الكاذبة
تدع الديار بلاقع ثم انهم كانوا يقولون ان النبي صلى الله عليه وسلم
يصيبه من الهتهم وهي الكواكب عذاب والنبي صلى الله عليه وسلم
يحلف بامر الله وانزال كلامه عليه باشيا مختلفة وما كان يصيبه عذاب
بل كان كل يوم ارفع شانا وامنع مكانا فكان ذلك يوجب اعتقاد انه ليس
بكاذب ثانيها ان المتناظرين اذا وقع بينهما كلام وغلب احدهما الاخر بتمشية
دليله واسكته يقول المغلوب انك قررت هذا بقوة جدالك وانت تخبر
في نفسك بضعف مقالتك وتعلم ان الامر ليس كما تقول وان اقمت عليه
الدليل صورة وعجزت انا عن القدح فيه وهذا كثير الوقوع بين
المتناظرين فعند هذا يجوز ان ياتي بدليل اخر لان الساكت المنقطع
يقول في الدليل الاخر ما قال في الاول فلا يجد امرا الا اليمين فكذلك النبي
صلى الله عليه وسلم اقام البراهين وقالت الكفرة ما هذا الا رجل
يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباوكم وقالوا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر
مبين فالتمسك بالايمان لعدم فائدة الدليل ثالثها ان هذا ليس مجرد الحلف
بل دليل خرج في صورة اليمين لان القران معجزة ودليل كونه مرسلا هو المعجزة
والقران كذلك فان قيل لم لم يذكر في صورة الدليل وما الحكمة في ذكر
الدليل في صورة اليمين اجيب بان الدليل اذا ذكر لا في صورة اليمين
واليمين لا ينبغي والاقسام من العظيم الاعلى امر عظيم والامر العظيم تتوفر
الدواعي على الاصغا اليه فلصورة اليمين يقبل السامع عليه لكونه
دليلا شافيا يتشربه الفؤاد فيقع في السمع وفي القلب وقوله تعالى
على صراط اي طريق واسع واضح مستقيم اي هو التوحيد
والاستقامة في الامر يجوز ان يكون متعلقا بالمرسلين تقول ارسلت
عليه كذا قال تعالى وارسل عليهم طيرا ابابيل وان يكون متعلقا
بمحذوف على انه حال من الضمير المستكن في لمن المرسلين لوقوعه خبرا وان يكون
حالا من المرسلين وان يكون خبرا ثانيا لان وقرا قنبل صراط بالسين عوضا
عن الصاد وخلف بالاشمام وهو بين الصاد والزاي والباقون بالصاد الخالصة
ولما كان كانه قيل ما هذا الذي ارسل به كانه قيل جوابا هو القران الذي
وقع القران به الاقسام به وهو تنزيل اي وحال كونه تنزيل العزيز
اي المتصف بجميع صفات الجلال الرحيم اي الحاوي لجميع صفات الجلال

والاكرام الذي ينعم على من يشاء من عباده بعد الانعام بايجادهم فهو الواحد
المنفرد في ملكه وقرا ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي تنزيل بالنصب
على الحال كامر او باضمار اعني والباقون بالرفع على انه خبر مبتدا مضمر كما مر
ولما ذكر تعالى المرسل وهو الله تعالى والمرسل وهو النبي صلى الله عليه وسلم
والمرسل به وهو القرآن ذكر المرسل له بقوله تعالى لتنذر قوما اي ذوي
باس وقوة وفطنة ما انذر اي لم تنذر اصلا اباؤهم اي لم ينذروا في زمن
الفترة فهم اي بسبب زمان الفترة غافلون اي عن الايمان والرشد وقوله
تعالى لقد حق القول على اكثرهم فيه وجوه اشهرها ان المراد بالقول هو قوله
تعالى لقد حق القول مني لاملان جهنم منك وممن تبعك ثانيها ان معناها
لقد سبق في علمه تعالى ان هذا يؤمن وهذا لا يؤمن فحق القول اي
وجب وثبت بحيث لا يبدل بغيره كما قال تعالى ما يبدل القول لدي
ثالثها المراد لقد حق القول الذي قاله تعالى على لسان الرسل من التوحيد
وغيره فهم اي بسبب ذلك لا يؤمنون اي بما يلقي اليهم من الانذار
بل يزيدهم عمى استكبارا في الارض ومكر السيء ونزل في ابي
جهل وصاحبه انا جعلنا في اعناقهم اغلالا اي بان نضم اليها الايدي
لان الغل يجمع اليد الى العنق وذلك ان ابا جهل كان قد حلف لان رأى محمدا
صلى الله عليه وسلم يصلي ليرضخن راسه فاتاه وهو يصلي ومعه حجر
ليدمغه به فلما رفعه انثنت يده الى عنقه ولزق الحجر الى عنقه فلما رجع
الى اصحابه واخبرهم بما راى سقط الحجر فقال رجل من بني مخزوم انا اقتل
بهذا الحجر فاتاه وهو يصلي ليرميه بالحجر فاعمى الله تعالى بصره فجعل يسمع
صوته ولا يراه فرجع الى اصحابه فلم يرهم حتى نادوه فقالوا له ما صنعت
فقال ما رايته ولقد سمعت كلاما وحال بيني وبينه كهيئة الفحل يخطر
بذنبه لو دنوت منه لاكلني فانزل الله تعالى هذه الاية ووجه المناسبة
لما تقدم انه لما قال تعالى لقد حق القول على اكثرهم وتقدم ان المراد به
البرهان قال بعد ذلك بل عاينوا وابصروا ما يقرب من الضرورة حيث
التزقت يده بعنقه ومنع من ارسال الحجر وهو مضطر الى الايمان ولم
يؤمن علم انه لا يؤمن اصلا وقال اهل المعاني هذا على طريق المثل ولم يكن
هناك غل اراد منعناهم عن الايمان بموانع فجعل الاغلال مثلا لذلك
فهو تقرير لتصميمهم على الكفر والطبع على قلوبهم بحيث لا تغني عنهم
الايات والنذر بتمثيلهم بالذين غلت اعناقهم وقال معناه حبسناهم
عن الانفاق في سبيل الله كقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى
عنقك معناه ولا تمسكها عن النفقة ومناسبة هذا لما تقدمه ان
قوله تعالى فهم لا يؤمنون يدخل فيه انهم لا يصلون كقوله تعالى

ليمنع

ليمنع ايمانكم اي صلاتكم عند بعض المفسرين والزكاة مناسبة للصلاة ثم
فكانه قال انهم لا يصلون ولا يزكون واختلف في عود الضمير في قوله تعالى
فهي الى الاذقان على وجهين اشهرهما انه عائد على الاغلال لانها هي المحدث عنها
ومعنى هذا الترتيب بالفاء ان الغل لغلظه وعرضه يصل الى الذقن لانه يلبس
العنق جميعه قال الزمخشري والمعنى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا ثقالا
غلاظا بحيث تبلغ الى الاذقان فلم يتمكن المغلول معها من ان يطاطئ راسه ثانيها
ان الضمير يعود على الايدي واليه ذهب الطبري وعليه جرى الجلال المحلي
لان الغل لا يكون الا في العنق واليدين ودل على الايدي وان لم تذكر الملازمة
المفهومة من هذه الالة اعني الغل وقرا قالون وابو عمرو والكسائي بسكون
الهاء والباقون بكسرها والاذقان جمع ذقن وهو مجمع اللحيين فهم مقمحون
اي رافعون رؤوسهم غاضون ابصارهم في انهم لا يلتفتون لجهة الحق ولا
يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطاطئون رؤوسهم له والاقماح رفع الراس الى فوق
كالاقناع وهو من قمح البعير راسه اذا رفعها بعد الشرب اما لبرود
الماء واما لكراهة طعمه ولما كان الرافع راسه غير ممنوع من النظر امامه قال
تعالى وجعلنا اي بعظمتنا من بين ايديهم اي الوجه الذي يمكنهم
علمه سدا فلا يسلكون طريق الاهتدا ولما كان الانسان اذا انسدت
عليه جهة مال الى اخرى قال تعالى ومن خلفهم اي الوجه الذي هو
خفي عنهم سدا فلا يرجعون الى الهداية فصارت كل جهة يلتفت
ولا الخلوص اليه صح
اليها منسدة فصاروا لذلك لا يمكنهم النظر الى الحق فلذلك قال
تعالى فاغشيناهم اي جعلنا على ابصارهم بما لنا من العظمة غشاوة فهم
اي بسبب ذلك لا يبصرون اي لا يتجدد لهم هذا الوصف من ابصار
الحق وما ينفعهم ببصر ظاهر ولا ببصيرة باطنة وايضا الانسان مبدؤه
من الله تعالى ومصيره اليه فعمي الكافر بان لا يبصر ما بين يديه من المصير
الى الله تعالى وما خلفه من الدخول في الوجود بخلق الله تعالى ومن
احاط به سدان تغطي ابصارهم بحيث لا يبصرون قدامهم ووراءهم
في انهم محبوسون في مطمورة الجهالة ممنوعون عن النظر في الايات
والدلائل وايضا فان السالك اذا لم يكن له بد من سلوك طريق فان
انسد الطريق الذي قدامه يفوته المقصد ولكنه يرجع فاذا
انسد الطريق من خلفه ومن قدامه والموضع الذي هو فيه لا يكون
موضع اقامة هلك فان قيل ذكر السد من بين الايدي ومن الخلف
ولم يذكره من اليمين والشمال فما الحكمة في ذلك اجيب بانهم اذا قصدوا
السلوك الى جانب اليمين وجانب الشمال صاروا متوجهين الى شيء ومولين
عن شيء فصار ما اليه توجههم ما بين ايديهم فيجعل الله تعالى

السد فيجعله فيمنعه من السلوك فكيف ما توجه الكافر يجعل الله بين يديه
سدا وقرا حمزة والكسائي وحفص بفتح السين في الموضعين وهو
لغة فيه والباقون بالضم ولما منعوا بذلك حس الابصار اخبر عن حس السمع
بقوله تعالى وسواء عليهم اي مستو ومعتدل غاية الاعتدال ءانذرتهم
اي بما اخبرناك به من الزواجر المانعة من الكفر ام لم تنذرهم لا يؤمنون لانهم
ممن علم الله تعالى انهم لا يؤمنون وقد سبق ايضا في البقرة تفسيره والكلام
على الهمزتين ثم بين تعالى الاول الناجي لانه المقصود بالذات بقوله تعالى
انما تنذر اي انذارا ينفع المنذر فتنازعه النجاة من اتبع الذكر اي
القران بالتامل فيه والعمل وخشي الرحمن اي خاف عقابه بالغيب اي
قبل حلوله ومعاينة اهواله او في سريرته ولا يغتر برحمته فانه كما هو
رحمن منتقم جبار فبشره اي بسبب خشيته بالغيب
بمغفرة اي لذنوبه وان عظمت وتكررت ولما حصل العلم بمحو
الذنوب عنها واثرها قال تعالى واجر كريم اي هو الجنة
فانها دار لا كدر فيها بوجه والمقصود منها هو النظر لوجهه الكريم اللهم
متعنا ونحن بالنظر الى وجهك الكريم ولما ذكر تعالى خشية الرحمن
بالغيب ذكر ما يؤكده وهو احيا الموتى بقوله تعالى انا نحن اي بما لنا من
العظمة التي لا تضاهى نحيي الموتى اي كلهم حسا بالبعث ويعني
بالانقاذ اذا اردنا من ظلم الجهل ونكتب اي جملة عند نفخ الروح
وشيا فشيا بعده فلا يعدي التفصيل شيئا في ذلك الاجمال
ما قدموا اي واخروا من جميع افعالهم واقوالهم واحوالهم من صالح وغيره
فاكتفى باحدهما لدلالة الاخر عليه كقوله تعالى سرابيل تقيكم
الحر اي والبرد وقيل المعنى ما اسلفوا من الاعمال صالحة كانت او
فاسدة كقوله تعالى بما قدمت ايديهم اي بما قدمت في الوجود له
واوجدته وقيل نكتب نياتهم فانها قبل الاعمال وقوله تعالى واثارهم
فيه وجوه احدها وهو مبني على التفسير الاخير ما سنوا من سنة
حسنة وسيئة فالحسنة كالكتب المصنفة والقناطر المبنية
والسيئة كالظلامة المستمرة التي وضعها ظالم والكتب المضلة قال
صلى الله عليه وسلم من سن في الاسلام سنة حسنة فعمل بها من
بعده كان له اجرها ومثل اجر من عمل بها من غير ان ينقص من اجورهم
شيئا ومن سن في الاسلام سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه وزرها
ووزر من عمل بها من غير ان ينقص من اوزارهم شيئا ثانيها خطاهم الى
المسجد لما روى ابو سعيد الخدري قال شكت بنو سلمة بعد منازلهم عن
المسجد فانزل الله تعالى ونكتب ما قدموا واثارهم فقال صلى الله عليه وسلم

ان الله

ان الله يكتب خطواتكم ويثيبكم عليه وقال صلى الله عليه وسلم اعظم الناس
اجرا في الصلاة ابعدهم ممشى والذي ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الامام
اعظم اجرا ممن يصلي ثم ينام فان قيل الكتابة قبل الاحيا فكيف اخر في الذكر
حيث قال نحيي ونكتب ولم يقل نكتب ما قدموا ونحييهم اجيب
بان الكتابة معظمة لامر الاحيا لان الاحيا ان لم يكن للحساب لا يعظم فالكتابة في
نفسها ان لم تكن احيا واعادة لا يبقى له اثر ايضا والاحيا هو المعتبر والكتابة
مؤكدة لعظمه لامر فلهذا قدم الاحيا لانه تعالى قال انا نحن وذلك
يفيد العظمة والجبروت والاحيا العظيم يختص بالله والكتابة دونه تقريرا
لتعريف الامر العظيم وذلك مما يعظم ذلك الامر العظيم ولما كان ذلك ربما اوهم
الاقتصار على ما ذكر من احوال الادميين دفع ذلك بقوله تعالى وكل شيء من
امور الدنيا والاخرة احصيناه اي قبل ايجاده بعلمنا القديم احصا له
وحفظناه وكتبناه في امام وهو اللوح المحفوظ مبين اي لا يخفى
فيه شيء من جميع الاحوال والاقوال فهو تخصيص بعد تعميم لانه تعالى يكتب
ما قدموا واثارهم وليست الكتابة مقتصرة عليه بل كل شيء محصي في امام
مبين وهذا يفيد ان شيئا من الاقوال والافعال لا يعزب عن علم الله
تعالى ولا يفوته كقوله تعالى وكل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر
يعني ليس ما في الزبر منحصرا فيما فعلوه بل كل شيء مكتوب لا يبدل فان
القلم جف بما هو كائن فلما قال تعالى نكتب ما قدموا بين ان قبل ذلك كتابة
اخرى فان الله تعالى كتب عليهم انهم سيفعلون كذا وكذا ثم اذا فعلوا كتب
عليهم انهم فعلوه وقيل ان ذلك مؤكد لمعنى قوله تعالى ونكتب لان من يكتب شيا
في اوراق ويرميها قد لا يجدها فكانه لم يكتب فقال نكتب ونحفظ ذلك في
امام مبين وهو كقوله تعالى علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى
وقوله تعالى واضرب بمعنى واجعل لهم وقوله تعالى مثلا مفعول
اول وقوله اصحاب مفعول ثان والاصل واضرب لهم مثلا مثل اصحاب
القرية فترك المثل واقيم الاصحاب مقامه في الاعراب كقوله تعالى
واسال القرية وقال الزمخشري وقيل لا حاجة الى الاضمار بل المعنى
اجعل اصحاب القرية بهم قال المفسرون والمراد بالقرية انطاكية
تعالى وقوله تعالى اذ جاءها الى اخره بدل اشتمال من اصحاب القرية
اي اذ جاء اهلها المرسلون اي رسل عيسى عليه السلام واضافه
الى نفسه في قوله تعالى اذ ارسلنا اليهم اثنين لانه فعل رسوله عليه السلام
واذ ارسلنا الى اخره بدل من اذ الاولى وفي هذا لطيفة وهي ان في القصة
ان الرسل كانوا مبعوثين من جهة عيسى عليه السلام ارسلهم الى انطاكية
فقال تعالى ارسال عيسى عليه السلام هو ارسالنا ورسول رسوله

باذن الله رسول الله فلو كذبهم يا محمد ان اوليك كانوا رسل الله الرسل وانما هم رسل
الله فتكذيبهم كتكذيبك فتتم التسلية بقوله تعالى ويويد هذا مسلة فقهية
وهي ان وكيل الوكيل باذن الموكل عند الاطلاق وكيل الموكل لا وكيل الوكيل حتى
لا ينعزل بعزل الوكيل اياه وينعزل اذا عزله الموكل الاول تنبيه في بعث الاثنين
حكمة بالغة وهي انهما كانا مبعوثين من جهة عيسى عليه السلام باذن الله تعالى
فكان عليهما انهاء الامر اليه والاتيان بما امر الله تعالى والله سبحانه وتعالى عالم
بكل شي لا يحتاج الى شاهد يشهد عنده واما عيسى عليه السلام فهو
بشر فامر الله تعالى بارسال اثنين ليكون قولهما على قومهما عند عيسى حجة تامة
وقرا ابو عمرو بكسر الهاء والميم وحمزة والكسائي بضمهما والباقون بكسر الهاء
والجمع في الوقف بسكون الميم **فكذبوهما** اي مع ما لهما من الايات لان من المعلوم
انا ما ارسلنا رسولا الا كان معه من الايات ما مثله امن عليه البشر سوا كان عنا
من غير واسطة او كان بواسطة رسولنا كما كان للطفيل بن عمرو الدوسي
ذي النورين لما ذهب الى قومه وسال النبي صلى الله عليه وسلم ان تكون له
اية فكانت نورا في جبهته ثم سال ان تكون في غير وجهه فكانت في سوطه
ولما كان المقام على النبي اقوى لشانه واعون على ما يراد منه تسبب عن
ذلك قوله تعالى **فعززنا** اي قوينا **بثالث** يقال عزز المطر الارض اي
قواها ولبدها ويقال للمكان الارض العزاز وكذا كل ارض صلبة وتعزز لحم
الناقة اي صلب وقوي والمفعول محذوف اي فقويناهما بثالث او فغلبناهما
بثالث لان المقصود من البعثة نصرة الحق لا نصرتهما والكل كانوا مقوين
للدين بالبرهان قال وهب كان اسم المرسولين يحيى ويونس واسم
الثالث شمعون وقال كعب الرسولان صادق وصدوق والثالث سلوم
وقرا شعبة بتخفيف الزاي الاولى والباقون بتشديدها والزاي الثانية
ساكنة بلا خلاف **فقالوا انا اليكم مرسلون** وذلك انهم كانوا عبدة اصنام
فارسل اليهم عيسى اثنين فلما قربا من المدينة رايا حبيبا النجار يرعى غنما
فسلما عليه فقال من انتما فقالا رسولا عيسى عليه السلام يدعوكم من
عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن فقال امعكما اية قالا نعم نشفي المريض
ونبرئ الاكمه والابرص باذن الله تعالى فقال ان لي ابنا مريضا منذ سنين
قالا فانطلق بنا ننظر حاله فاتى بهما الى منزله فمسحاه فقام في الوقت
باذن الله تعالى صحيحا ففشى الخبر في المدينة وامن حبيب وشفى الله تعالى
على ايديهما كثيرا من المرضى وكان لهم ملك اسمه انطيخس وكان
من ملوك الروم فانتهى الخبر اليه فدعاهما فقال لهما من انتما قالا رسولا عيسى
عليه السلام قال وفيما جيتما قالا ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر
الى عبادة من يسمع ويبصر قال ولنا اله دون الهتنا قالا نعم من اوجدك

فكذبوهما م

والهتك

والهتك فقال قوما حتى انظر في امركما فامر بحبسهما وضرب كل واحد منهما
ماة جلدة فلما كذبا وضربا بعث عيسى عليه السلام راس الحواريين شمعون
الصفا على اثرهما لينصرهما فدخل البلد متنكرا وجعل يعاشر حاشية
الملك حتى انسوا به واوصلوا خبره الى الملك فدعاه فرضي عشرته
وانس به واكرمه ثم قال له ذات يوم ايها الملك بلغني انك حبست
رجلين في السجن وضربتهما حين دعواك الى غير دينك فهل كلمتهما
وسمعت قولهما فقال الملك حال الغضب بيني وبين ذلك قال
فان راى الملك دعاهما حتى نطلع على ما عندهما فدعاهما الملك فقال
لهما شمعون من ارسلكما الى ما هاهنا قالا الله الذي خلق كل شي
وليس له شريك فقال لهما شمعون فصفاه واوجزا قالا يفعل ما يشا
ويحكم ما يريد قال لهما شمعون وما ايتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا
بغلام مطموس العينين موضع عينيه كالجبهة فما زالا يدعوان
ربهما حتى انشق موضع البصر فاخذا بندقتين من الطين فوضعاهما
في حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فتعجب الملك فقال شمعون
للملك ارايت ان سالت الهك يصنع مثل هذا حتى يكون لك الشرف
ولالهك فقال الملك ليس لي عنك سر ان الهك الذي نعبده
لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون اذا دخل الملك على
الصنم يدخل بدخوله ويصلي كثيرا ويتضرع حتى ظنوا انه على
ملتهم ثم قال الملك لهما ان قدر الهكما الذي تعبدانه على احيا
ميت امنا به وبكما قالا الهنا قادر على كل شي فقال الملك ان هنا
ميتا مات منذ سبعة ايام ابن لدهقان وانا اخرته فلم ادفنه
حتى يرجع ابوه وكان غايبا فجاوا بالميت وقد تغير واروح فجعلا يدعوان
ربهما علانية وجعل شمعون يدعو ربه سرا فقام الميت وقال اني
دخلت سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه فامنوا بالله
تعالى ثم قال فتحت ابواب السما فرايت شابا حسنا يشفع لهولا الثلاثة
قال الملك ومن الثلاثة قال شمعون وهذان اشار الى صاحبيه
فتعجب الملك لما علم فلما علم شمعون ان قوله اثر في الملك اخبره بالحال
فامن الملك وامن قوم وكفر اخرون فمن لم يومن صاح عليهم جبريل
فهلكوا وقيل ابنة الملك كانت قد توفيت ودفنت فقال شمعون للملك
اطلب من هذين الرجلين ان يحييا ابنتك فطلب الملك منهما ذلك
فقاما وصليا ودعوا وشمعون معهما في السر فاحيا الله تعالى المراة
ثم انشق القبر عنها فخرجت وقالت اسلموا فانهما صادقان قالت
ولا اظنكم تسلمون ثم طلبت من الرسولين ان يردها الى مكانها فذرا

ثة

ترابا على راسها فعادت الي قبرها كما كانت وقال ابن اسحق عن كعب
ووهب بل كفر واجتمع هو وقومه على قتل الرسل فبلغ ذلك حبيبا وهو
على باب المدينة الاقصى فجاء يسعى اليهم يذكرهم ويدعوهم الى طاعة
المرسلين قالوا اي اهل القرية للرسل ما انتم اي وان ازداد عددكم
الا بشر مثلنا لا مزية لكم علينا فما وجه الخصوصية لكم في كونكم رسلا
دوننا فجعلوا كونهم بشرا مثلهم دليلا على عدم الارسال وهذا عام
في المشركين قالوا في حق محمد صلى الله عليه وسلم ءانزل عليه الذكر من
بيننا وقد استوينا في البشرية فلا يمكن الرجحان فرد الله عليهم بقوله
سبحانه الله اعلم حيث يجعل رسالته وبقوله تعالى الله يجتبي اليه من يشاء
الى غير ذلك تنبيه رفع بشر لانتقاض النفي المقتضي اعمال ما بالا ثم
قالوا وما انزل الرحمن اي العام الرحمة فعموم رحمته مع استواينا
في عبوديته يقتضي ان يسوي بيننا في الرحمة فلا يخصكم بشيء واغرقوا
في النفي بقولهم من شيء اي وحي برسالة ان اي ما انتم الا تكذبون اي
في دعوى رسالة حالا ومآلا قالوا اي الرسل ربنا اي الذي
احسن الينا يعلم اي ولهذا يظهر على ايدينا الايات انا اليكم
لمرسلون استشهدوا بعلم الله تعالى وهو يجري مجرى القسم وزادوا
اللام المؤكدة لانه جواب عن انكارهم وما علينا اي وجوبا من
قبل مرسلنا الا البلاغ المبين اي المؤيد بالادلة القطعية من الحجج
القولية والفعلية بالمعجزات وهي ابراء الاكمه والابرص واحيا
الميت وغيرها فما كان جوابهم بعد هذا ان قالوا انا تطيرنا اي
تشاءمنا بكم وذلك ان المطر حبس عنهم فقالوا اصابنا هذا
بشومكم ولاستغرابهم ما ادعوه واستقباحهم له ومفرلهم عنه
لئن لم تنتهوا اي مقالتكم هذه لنرجمنكم اي لنقتلنكم قال قتادة
بالحجارة وقيل لنشتمنكم وقيل لنقتلنكم شر قتلة وليمسنكم اي
لا من غيرنا منا عذاب اليم كانهم قالوا لا نكتفي برجمكم بحجر او حجرين بل نديم
ذلك عليكم الي الموت واهو العذاب الاليم او يكون المراد
وليمسنكم بسبب الرجم منا عذاب اليم اي مولم وان قلنا الرجم
الشتم فكانهم قالوا لا نكتفي بالشتم بل شتم يودي الى الضرب
والايلام الحسي واذا فسرنا اليم بمعنى الفعيل بمعنى مفعل فليل
ويحتمل ان يقال هو من باب قوله تعالى عيشة راضية اي ذات رضا
اي عذاب ذو الم فيكون فعيلا بمعنى فاعل وهو كثير ثم اجابهم
المرسلون بان قالوا طائركم اي شومكم الذي احل بكم البلا معكم وهو
اعمالكم القبيحة التي منها تكذيبكم وكفركم فاصابكم الشوم

من قبلكم وقال ابن عباس والضحاك حظكم من الخير والشر والهمزة في قوله
تعالى ائن ذكرتم اي وعظتم وخوفتم همزة استفهام وجواب الشرط محذوف
اي تطيرتم وكفرتم فهو محل الاستفهام والمراد التوبيخ وقرا نافع وابن
كثير وابو عمرو بتسهيل الثانية وادخل قالون وابو عمرو بينهما الفا وورش
وابن كثير بغير ادخال والباقون بتحقيقهما مع عدم الادخال ولما كان ذلك
لا يصح ان يكون سببا للتطير بوجه اضربوا عنه بقولهم بل اي
ليس الامر كما زعمتم في ان التذكير سبب للتطير بل انتم قوم اي عزكم
ما اتاكم الله من القوة على القيام فيما تريدون مسرفون اي عادتكم
الخروج عن الحدود والطغيان فعوقبتم لذلك ولما كان السياق لان
الامر بيد الله فلا هادي لمن يضل ولا مضل لمن هدي فهو يهدي
البعيد في البقعة والنسب اذا اراد ويضل القريب فيهما اذا اراده
وكان بعد الدار ملزوما في الغالب لبعد النسب قدم مكان المجيء
على فاعله بيانا لان الدعاء نفع الاقصى ولم ينفع الادنى قال تعالى وجاء
من اقصى اي ابعد بخلاف ما مر في القصص لهذا الغرض عدل
عن التعبير بالقرية وقال المدينة لانها ادل على الكبر المستلزم
بعد الاطراف وجمع الاخلاط ولما بين الفاعل بقوله تعالى رجل بين
اهتمامه بالنهي عن المنكر ومسابقته الى ازالته كما هو الواجب بقوله
تعالى يسعى اي يسرع في مشيته فوق المشي ودون العدو
حرصا على نصيحة قومه تنبيه في تنكير الرجل مع انه كان معلوما
معروفا عند الله تعالى فايدتان الاولى ان يكون تعظيما لشانه
اي رجل كامل في الرجولية الثانية ان يكون مفيدا ليظهر من جانب
المرسلين امر رجل من الرجال لا معرفة لهم به فلا يقال انهم تواطؤا
والرجل هو حبيب النجار كان ينحت الاصنام وقال السدي كان قصارا
وقال وهب كان يعمل الحرير وكان سقيما قد اسرع فيه الجذام وكان
منزله عند اقصى باب في المدينة وكان مؤمنا وامن بمحمد صلى الله عليه
وسلم قبل وجوده حين صار من العلماء بكتاب الله وراي فيه نعت
محمد صلى الله عليه وسلم وبعثته وقوله يسعى تبصير للمسلمين
وهداية لهم ليبذلوا جهدهم في النصح ولما تشوف النفس الى
الداعي الى اتيانه بينه بقوله تعالى قال واستعطفهم بقوله يا قوم
وامرهم بمجاهدة النفوس بقوله اتبعوا المرسلين اي في عبادة الله
تعالى وحده فجمع بين اظهار دينه واظهار النصيحة فقوله اتبعوا
نصيحة وقوله المرسلين وقدم اظهار النصيحة على اظهار الايمان
لانه كان ساعيا في النصيحة واما الايمان فكان قد امن من قبل

وقوله يبغي يدل على ارادته النصح فان قيل ما الفرق بين مومن ال فرعون حيث
قال اتبعوني وهذا قال اتبعوا المرسلين اجيب بان هذا الرجل
جاءهم وفي اول مجيئه جاءهم نصحهم ولم يعلموا سيرته فقال اتبعوا
هولاء الذين اظهروا لكم الدليل واوضحوا لكم السبيل واما مومن
ال فرعون فكان فيهم ونصحهم مرارا فقال اتبعوني في الايمان بموسى وهرون
عليهما السلام واعلموا انه لو لم يكن خيرا لما اخترته لنفسي وانتم
تعلمون اني اخترته ولم يكن الرجل الذي جاء من اقصى المدينة يعلمون اتباعه
لهم ولما قال اتبعوا المرسلين كانهم منعوا كونهم مرسلين فنزل درجة
وقال اتبعوا من لا يسالكم اجرا اي اجرة لان الخلق في الدنيا سالكون طريقة
الاستقامة والطريق اذا كان فيه دليل وجب اتباعه وعدم الاتباع
من الدليل لا يحسن الا عند احد الامرين اما طلب الدليل الاجرة واما عدم
الاعتماد على اهتدائه ومعرفة الطريق لكن هولاء لا يطلبون اجرة وهم
مهتدون عالمون بالطريق المستقيم الموصلة الى الحق فيجب اتباعهم
ليبوا مرسلين اليسوا بمهتدين فاتبعوهم وقوله تعالى وما لي لا اعبد
الذي فطرني اصله وما لكم لا تعبدون ولكنه صرف الكلام عنه ليكون
الكلام اسرع قبولا حيث اراد لهم ما اراد لنفسه والمراد تقريعهم على
ترك عبادة ربهم خالقهم الى عبادة غيره ولذلك قال واليه ترجعون
دون واليه ارجع مبالغة في التهديد وفي العدول من مخاصمة القوم
الى حال نفسه حكمة وهي انه لو قال ما لكم لا تعبدون الذي
فطركم لم يكن في البيان مثل قوله ما لي لانه لما قال ما لي واحد لا يخفي
عليه حال نفسه علم كل احد انه لا يطلب العلة وبيانها من
احد لانه اعلم بحال نفسه وقوله الذي فطرني اشار به الى وجود
المقتضي فان قوله ما لي اشارة الى عدم المانع وعند عدم المانع لا يوجد
الفعل ما لم يوجد المقتضي فقوله الذي فطرني دليل المقتضي
فان الخالق ابدا مالك والمالك يجب على المملوك اكرامه وتعظيمه
ومنعم بالايمان والنعم يجب على المنعم عليه شكر نعمته وقدم بيان عدم
المانع على بيان وجود المقتضي مع ان المستحسن تقديم وجود المقتضي لان
المقتضي لظهوره كان مستغنيا عن البيان فلا اقل من تقديم ما هو اولى
بالبيان للحاجة اليه واختار من الايات فطرة نفسه لان خالق عمرو
يجب على زيد عبادته لان من خلق عمرا لا يكون الا كامل القدرة واجب الوجود
فهو مستحق العبادة بالنسبة الى كل مكلف لكن العبادة على زيد
بخلق زيد اظهر ايجابا تنبيه اصناف الفطرة الى نفسه والرجوع اليهم
لان الفطرة اثر النعمة وكان عليه اظهر وفي الرجوع معنى الزجر وكان بهم

البق

البق دوي انه لما قال اتبعوا المرسلين اخذوه ورفعوه الى الملك فقال له
افانت تتبعهم فقال وما لي لا اعبد الذي فطرني اي اي شيء يمنعني ان اعبد
خالقي واليه ترجعون تردون عند البعث فيجازيكم باعمالكم ومعنى فطرني
خلقني اختراعا ابتداء وقيل خلقني على الفطرة كما قال تعالى فطرة الله
التي فطر الناس عليها ثم عاد الى المساق الاول فقال ااتخذ وهو استفهام
بمعنى الانكار اي لا اتخذ وبين علو رتبته تعالى بقوله من دونه اي
سواه مع دنو المنزلة وبين عجز ما عبدوه بنفسه فقال الهة وفي ذلك
لطيفة وهي انه لما بين انه يعبد الذي فطره بين ان من دونه لا يجوز عبادة
لان الكل محتاج مفتقر حادث وقوله اتخذ اشارة الى ان غيره ليس باله
لان المتخذ لا يكون الها وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو وهشام بتسهيل
الثانية بخلاف عن هشام وادخل فيهما الفا قالون وابو عمرو وهشام ودوري
وابن كثير بغير ادخال والباقون بتحقيقهما مع عدم الادخال واذا وقف
حمزة فله تسهيل الثانية والتحقيق لانه متوسط بزائد وله ايضا ابدالها
الفا ثم بين عجز تلك الالهة بقوله ان يردن الرحمن اي العام النعمة على كل
المخلوقين العابد والمعبود بضر اي سوء ومكروه لا تغن عني شفاعتهم شيئا
اي لو فرض انهم شفعوا ولكن شفاعتهم لا توجد ولا ينقذون اي بالنصر
والمظاهرة من ذلك المكروه او العذاب لو عذبني الله تعالى ان فعلت ذلك
فان قيل ما الحكمة في قوله تعالى هنا ان يردن الرحمن بصيغة المضارع
وقال في الزمر ان ارادني الله بصيغة الماضي وذكر هنا باسم الرحمن
وذكر المريد هناك باسم الله اجيب بان الماضي والمستقبل مع الشرط
يصير الماضي مستقبلا لان المذكور هنا من قبل بصيغة الاستقبال
في قوله ااتخذ وقوله ما لي لا اعبد والمذكور هناك من قبل بصيغة
الماضي في قوله افرايتم تنبيه ان يردن شرط جوابه لا تغن عني
الى اخره والجملة الشرطية في محل نصب صفة لالهة فائدة اثبت
ورش الياء التي بعد النون في الوصل دون الوقف والباقون بغير ياء وقفا
ووصلا اني اذا اي ان عبدت غير الله تعالى لفي ضلال مبين اي خطا
ظاهر وقرا نافع وابو عمرو بفتح الياء وسكنها الباقون وهم على مذاهبهم في المد
ولما اقام الادلة ولم يبق لاحد تخلف عنه علة صرح بما لوح اليه من ايمانه
بقوله اني امنت اي اوقعت التصديق الذي لا تصديق في الحقيقة
غيره وفتح الياء نافع وابن كثير وابو عمرو وسكنها الباقون واختلف في المخاطب
بقوله بربكم على اوجه احدها انه خاطب المرسلين قال المفسرون
اقبل القوم عليه يريدون قتله فاقبل هو للمرسلين وقال اني امنت بربكم
فاسمعون اي اسمعوا قولي واشهدوا لي وثانيها انه الكفار لما نصحهم

ومانفعهم قال امنت بربكم فاسمعون وثالثها ربكم ايها السامعون فاسمعون
على العموم كقول الواعظ يا مسكين ما اكثر املك يريد كل سامع يسمعه
فلما قال ذلك وثب القوم عليه وثبة رجل واحد فقتلوه وقال ابن مسعود
وطوه بارجلهم وقال السدي كانوا يرضونه بالحجارة وهو يقول اللهم
اهد قومي حتى قطعوه وقتلوه وقال الحسن خرقوا خرقا في حلقه
فعلقوه في سور المدينة وقبره بانطاكية تنبيه في قوله فاسمعون فوايد
منها انه كلام متفكر حيث قال اسمعوا فان المتكلم اذا كان يعلم ان لكلامه
جماعة سامعين يتفكر ومنها انه ينبه القوم ويقول اني اخبرتكم بما فعلت
حتى لا تقولوا لم اخفيت عنا امرك ولو اظهرته لامنا معك فان قيل قال
من قبل ما لي لا اعبد الذي فطرني وقال هنا امنت بربكم ولم يقل امنت
بربي اجيب بانا ان قلنا الخطاب مع الرسل فالامر ظاهر لانه لما قال
امنت بربكم ظهر عند الرسل انه قبل قولهم وامن بالرب الذي دعوه اليه
وقال بربكم وان قلنا الخطاب مع الكفار ففيه بيان التوحيد
لانه قال اعبد الذي فطرني وهو بعينه ربكم بخلاف ما لو قال امنت
بربي فيقول الكافر وانا ايضا امنت بربي فائدة اخبر النبي صلى الله
عليه وسلم ان مثل صاحب يس هذا في هذه الامة عروة بن مسعود الثقفي
حيث نادى قومه بالاسلام ونادى على عليه بالاذان فرموه بالسهام
فقتلوه ثم انه سبحانه بين حال هذا الذي قال امنت بعد ذلك بقوله
تعالى ايجازا في البيان لاهل الايمان قيل اي قيل له بعد قتلهم اياه
فبناه للمفعول لان المقصود المقول لا قايله والمقول له معلوم
ادخل الجنة لانه شهيد والشهدا يسرحون في الجنة حيث شاوا من
حين الموت وقيل لما هموا بقتله رفعه الله تعالى الى الجنة وقرا هشام
والكسائي بضم القاف وهو المسمى بالاشمام والباقون بالكسر
ولما افضى به الى الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي اي بغفران ربي
لي المحسن الي في الاخرى بعد احسانه في الدنيا بالايمان في مدة يسيرة
بعد طول عمري في الكفر وجعلني من المكرمين اي الذين اعطاهم الدرجات العلى
فنصح لقومه حيا وميتا بتمني علمهم باكرامه له ليعملوا امثل عمله فالهم
ما نال له تنبيه في قصته حث على المبادرة الى مفارقة الاشرار واتباع الاخيار
والحلم عن اهل الجهل وكظم الغيظ والتلطف في خلاص الظالم من ظلمه وانه
لا يدخل احد الجنة الا برحمته وان كان محسنا وهذا كما وقع للانصار
رضي الله تعالى عنهم في المبادرة الى الايمان مع بعد الدار والنسب وفي قول
من استشهد منهم في بير معونة كما رواه البخاري في المغازي عن انس
بلغوا قومنا انا لقينا ربنا فرضي عنا وارضانا وفي غزوة احد كما في السيرة

وعزها

وعزها لما وجدوا اطيب مشربهم وماكلهم وحسن مقيلهم يا ليت اخواننا
يعلمون ما صنع الله تعالى بنا لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب فقال ل
الله تبارك اسمه وتعالى فانا ابلغهم عنكم فانزل الله على رسوله صلى الله عليه
وسلم ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا الايات في ال عمران
وفي التمثيل بهذه القصة اشارة الى ان في قريش من ختم بموته على الكفر
ولم ينقص لمقتضي من الاجل وهو سبحانه يؤيد هذا الدين بغيرهم لتظهر قدرته
وحكمته وما انزلنا بما لنا من العظمة على قومه ٠٠ اي حبيب من بعده اي
من بعد اهلاكه او رفعه من جند من السما لاهلاكهم كما ارسلنا يوم بدر
والخندق بل كفينا امرهم بصيحة ملك وفيه استحقار باهلاكهم
وايما بتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم والا لكان تحريك ريشة
من جناح ملك كافيا في استيصالهم فان قيل ما فايدة قوله تعالى
من بعده وهو تعالى لم ينزل عليهم جندا قبله اجيب بان استحقاق
العذاب كان بعده حيث اصروا واستكبروا وفيه حال الاهلاك
وما كنا منزلين اي ما كان ذلك من سنتنا وما صح في حكمتنا ان يكون
عذاب الاستيصال بجند كثير ان اي ما كانت اي الواقعة التي
عذبوا بها الا صيحة صاح بهم جبريل عليه السلام فما تواعي اخرهم
واكد امرها وحقق وحدتها بقوله تعالى واحدة اي لحقارة امرهم
عندنا ثم زاد في تحقيرهم ببيان الاسراع في الاهلاك بقوله تعالى
فاذا هم خامدون اي ثابت لهم الخمود ما كانهم كانت بهم حركة يوما من
الدهر شبهوا بالنار رمزا الى ان الحي كالنار الساطعة
والميت كرمادها قال لبيد

وما المرء الا كالشهاب وضوئه ٭ يصير رمادا بعد اذ هو ساطع

وقال المعري

وكالنار الحياة فمن رماد ٭ اواخرها واولها دخان

قال المفسرون اخذ جبريل عليه السلام بعضادتي باب
المدينة ثم صاح بهم صيحة واحدة فاذا هم ميتون يا حسرة على العباد اي
هؤلاء ونحوهم ممن كذبوا الرسل فاهلكوا وهي شدة التالم ونداؤ
مجازا اي هذا اوانك فاحضري ثم بين تعالى سبب الحسرة والنداء
بقوله تعالى ما ياتيهم من رسول اي رسول كان في اي وقت كان
الا كانوا اي بذلك الرسول يستهزؤون والمستهزي بالناصحين
المخلصين احق ان يتحسر ويتحسر عليه وقيل يقول الله تعالى يوم
القيامة يا حسرة على العباد حين لم يؤمنوا بالرسل ولما بين تعالى
حال الاولين قال للحاضرين الم يروا اي اهل مكة القائلين

للنبي صلى الله عليه وسلم لست مرسلا والاستفهام للتقرير اي اعلموا وقوله تعالى
كم خبرية بمعنى كثيرا وهو مفعول لاهلكنا تقديره كثيرا من القرون
اهلكنا وهي معمولة لما بعدها معلقة ليروا عن العمل ذهابا بالخبرية مذهب
الاستفهامية والمعنى انا اهلكنا قبلهم كثيرا من القرون اي الامم قال
البغوي والقرن اهل كل عصر سموا بذلك لاقترانهم في الوجود انهم
اي المهلكين اليهم اي الى اهل مكة لا يرجعون اي لا يعودون
الى الدنيا افلا يعتبرون وقيل لا يرجعون اي الباقون لا يرجعون الى
المهلكين بنسب ولا ولادة اي اهلكناهم وقطعنا نسلهم ولا
شك ان الاهلاك الذي يكون مع قطع النسل اتم واعم قال ابن عادل
والاول اشهر نقلا والثاني اظهر عقلا وقوله تعالى وان نافية او
مخففة وقوله تعالى كل اي كل الخلائق مبتدأ وقرأ لما ابن عامر
وعاصم وحمزة بتشديد الميم بمعنى الا والباقون بالتخفيف فاللام
فارقة وما مزيدة وقوله تعالى جميع اي مجموعون خبر اول لدينا
اي عندنا في الموقف بعد بعثهم وقوله تعالى محضرون اي للحساب
خبر ثان وما احسن قول القائل

ولو انا اذا متنا تركنا * لكان الموت راحة كل حي
ولكنا اذا متنا بعثنا * ونسأل بعدها عن كل شي

ولما قال تعالى وان كل لما جميع كان ذلك اشارة الى الحشر فذكر
ما يدل على امكانه قطعا لانكارهم واستبعادهم فقال تعالى وآية اي
علامة عظيمة لهم اي على قدرتنا على البعث وايجادنا له الارض
اي هذا الجنس الذي هم منه ثم وصفها بما حقق وجه الشبه بقوله
تعالى الميتة التي لا روح لها لانه لا نبات بها اعم من ان يكون بها نبات
وفني او لم يكن بها شي اصلا ثم استأنف بيان كونها آية بقوله تعالى
احييناها اي باختراع النبات فيها او باعادته بسبب المطر كما كان
بعد اضمحلاله فان قيل الارض آية مطلقا فلم خصها بهم حيث قال تعالى
وآية لهم اجيب بان الآية تعدد وتسرد لمن لم يعرف الشي بابلغ
الوجوه واما من عرف الشي بطريق الرؤية لا يذكر له دليل فالنبي
صلى الله عليه وسلم وعباده المخلصون عرفوا الله تعالى قبل الارض
والسما فليست الارض معرفة لهم تنبيه آية خبر مقدم
ولهم صفتها او متعلقة بآية لانها بمعنى علامة والارض مبتدأ واعرب
ابو البقاء آية مبتدأ ولهم الخبر والارض الميتة مبتدأ وصفته
واحييناها خبره فالجملة مفسرة لآية وبهذا بدأ ثم قال وقيل
فذكر الوجه الاول ولما كان اخراج الاقوات نعمة اخرى قال

واخرجنا

واخرجنا منها حبا اي جنس الحب كالحنطة والشعير والارز ثم بين عموم نفعه
بقوله تعالى فمنه اي بسبب هذا الاخراج يأكلون من ذلك الحب فهو حب
حقيقة تعلمون ذلك علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين لا تقدرون ان
تدعوا ان ذلك خيال سحري بوجه من الوجوه وفي هذه الآية وامثالها حث
عظيم على تدبر القرآن واستخراج ما فيه من المعاني الدالة على اجلال الله
تعالى وكماله وقد انشد هنا الاستاذ القشيري في تفسيره وعيب على من اهمل
ذلك * يا من تصدر في دست الامامة في * مسائل الفقه املاء وتدريسا
* غفلت عن حجج التوحيد تحكمها * شيدت فرعا وما مهدت تأسيسا *
ولما ذكر الزرع وهو ما لا ساق له اتبعه ما له ساق بقوله تعالى وجعلنا اي
بما لنا من العظمة فيها اي الارض جنات اي بساتين من نخيل واعناب
ذكر هذين النوعين لكثرة نفعهما وقدم النخل لانه نفع كله خشبه
وسعفه وليفه وخوصه وعراجينه وثمره طلعا وبسرا ورطبا وتمرا وفيه
زينة دائما لكونه لا يسقط ورقه ولما كانت الجنان لا تصلح الا بالماء قال
تعالى وفجرنا اي فتحنا تفتيحا عظيما فيها اي الارض من العيون
شيئا فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه او العيون ومن مزيدة
عند الاخفش قال البقاعي والتعريف هنا يدل على ان الارض مركبة
على الماء فكل موضع منها صالح لان ينبع منه الماء ولكن الله تعالى منعه من
بعض المواضع بخلاف الاشجار ليس منها شي غالبا على الارض ففي ذلك
تذكير بالنعمة في حبس الماء عن بعض الارض ليكون موضعا للسكن
ولو شاء لفجر الارض كلها عيونا كما فعل بقوم نوح فاغرق الارض كلها وقرأ نافع
وابو عمرو وهشام برفع العين والباقون بالكسر ولما كان حياة كل شي انما
هي بالماء اشار بذلك الى قوله تعالى ليأكلوا من ثمره اي ثمر ما ذكر وهو الجنات
وقيل الضمير يعود على الاعناب لانها اقرب مذكور وكان من حق الضمير ان يثنى
لتقدم شيئين وهما النخيل والاعناب الا انه اكتفى بذكر احدهما وقيل
الضمير لله على طريقة الالتفات من التكلم الى الغيبة وقرأ حمزة والكسائي
برفع الثاء والميم وهو لغة فيه او جمع ثمار والباقون بفتحهما وقوله تعالى
وما عملته ايديهم عطف على الثمر والمراد ما يتخذ منه كالعصير والدبس فما موصولة
اي ومن الذي عملته ايديهم ويؤيد هذا قراءة حمزة والكسائي وشعبة بحذف
الهاء من عملته ونافية على قراءة الباقين باثباتها اي وجدوها معمولة ولم
تعملها ايديهم ولا صنع لهم فيها وقيل اراد العيون والانهار التي لم تعملها
يد مخلوق مثل دجلة والفرات والنيل ثم لما عدد النعم اشار الى الشكر
بقوله تعالى افلا يشكرون اي اشكروا فهو امر بصيغة الاستفهام
اذ ابوا دائما في ايقاع الشكر والدوام على تجديده في كل حين بسبب هذه

النعم ولما امرهم بالشكر وشكر الله تعالى بالعبادة وهم تركوها وعبدوا غيره
واشركوا قال تعالى سبحان الذي خلق الازواج اي الاصناف والانواع كلها اي
وغيره لم يخلق شيئا ثم بين ذلك بقوله تعالى مما تنبت الارض دخل فيه كل نجم
وشجر ومعدن وغيره من كل ما تولد منها ومن انفسهم من الذكور والاناث
وقوله تعالى ومما لا يعلمون يدخل فيه ما في اقطار السموات وتخوم الارضين
من المخلوقات العجيبة الغريبة ولما استدل تعالى باحوال الارض وهو المكان الكلي
بقوله تعالى واية لهم الليل اي على اعادة الشيء بعد افنائه نسلخ اي نفصل
منه النهار فان دلالة الزمان والمكان متناسبة لان المكان لا يستغني عنه
الجواهر والزمان لا تستغني عنه الاعراض لان كل عرض فهو في زمان تنبيه
نسلخ استعارة تبعية مصرحة شبه انكشاف ظلمة الليل بكشط الجلد
من الشاة والجامع ما تعقل من ترتب احدهما على الاخر فاذا هم اي بعد
ازالتنا النهار الذي سلخناه من الليل مظلمون اي داخلون في الظلام
بظهور الليل الذي كان الضياء ساترا له كما يستر الجلد الشاة قال الماوردي
وذلك ان ضوء النهار يتداخل في الهوا فيضيء فاذا خرج منه اظلم نقله ابن
الجوزي عنه وقد ارشد السياق حتما الى ان التقدير والنهار نسلخ منه
الليل الذي كان ساتره وغالبا عليه فاذا هم مبصرون ومما ذكر الوقتين ذكر
ايتيهما مبتدا باية النهار بقوله تعالى والشمس اي التي سلخ النهار من الليل
بغيوبتها تجري لمستقر لها اي لحد معين ينتهي اليه دورها لا يتجاوزه
فشبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره وقيل مستقرها الى انتهاء سيرها
عند انقضاء الدنيا وقيام الساعة وقيل انها تسير حتى تنتهي الى ابعد
مغاربها ثم ترجع فذلك مستقرها لا تتجاوزه وقيل مستقرها نهاية
ارتفاعها في السماء في الصيف ونهاية هبوطها في الشتاء وقد صح عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال مستقرها تحت العرش وروي انه صلى
الله عليه وسلم قال لابي ذر حين غربت الشمس اتدري اين تذهب قلت
الله ورسوله اعلم قال فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستاذن
لها ويوشك ان تسجد فلا يقبل منها وتستاذن فلا يؤذن لها يقال لها
ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى والشمس تجري
لمستقر لها ولما كان هذا الجري على نظام لا يختل على مر السنين وتعاقب
الاحقاب عظمه بقوله تعالى ذلك اي الامر الباهر للعقول وزاد في عظمه
بصيغة التفعيل بقوله تعالى تقدير العزيز اي الذي لا يقدر احد في
شيء فرامه على نوع مغالبة وهو غالب على كل شيء العليم اي المحيط علما
بكل شيء الذي دبر الامر فيطرد على نظام عجيب ونهج بديع لا يعتريه
وهن ولا يلحقه يوما خلل ويحتمل ان تكون الاشارة الى المستقر

او ذبرا

نوع م

اي ذلك المستقر تقدير العزيز العليم ولما ذكر اية النهار ذكر اية الليل بقوله
تعالى والقمر قدرناه اي من حيث سيره منازل ثمانية وعشرين منزلا في
ثمانية وعشرين ليلة من كل شهر ويستتر ليلتين ان كان الشهر
ثلاثين يوما وليلة ان كان تسعة وعشرين يوما وقد ذكرنا اسامي
المنازل في سورة يونس عليه السلام فاذا صار القمر في اخر منازله دق
فذلك قوله تعالى حتى عاد بعد ان كان بدرا عظيما كالعرجون من النخل
وهو عود العذق ما بين شماريخه الى منبته وهو منبته من النخلة
دقيقا منحنيا ثم وصف بقوله تعالى القديم فانه اذا عتق يبس وتقوس
واصفر فيشبه القمر في رقته وصفرته في راي العين في اخر المنازل
قال القشيري ان القمر يبعد عن الشمس ولا يزال يتباعد حتى
يعود بدرا ثم يدنو فكلما ازداد من الشمس دنوا ازداد في نفسه
نقصانا الى ان يتلاشى وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو والقمر برفع الراء والباقون
بالنصب والرفع على الابتداء والنصب باضمار فعل على الاشتغال
والوجهان مستويان لتقدم جملة ذات وجهين وهي قوله تعالى والشمس
تجري فان راعيت صدرها رفعت لتعطف جملة اسمية على مثلها ولما تقرر
ان لكل منهما منازل لا يعدوها فلا تغلب ما هو ايته اية الاخر
بل اذا جاء سلطان هذا ذهب سلطان ذاك واذا جاء ذاك ذهب هذا
قال تعالى لا الشمس اي التي هي اية النهار ينبغي لها اي يسهل لها اي
ما دام هذا الكون موجودا على هذا الترتيب ان تدرك القمر اي تجتمع
معه في الليل فما النهار سابق الليل ولا الليل سابق النهار اي فلا يأتي
احدهما قبل انقضاء الاخر فالاية من الاحتباك لانه نفى اولا ادراك
الشمس لفوتها القمر ففيه دليل على ما حذف من الثانية من نفي ادراك القمر
للشمس اي فيغلبها وان كان يوجد في النهار لكن من غير سلطنة فيه
بخلاف الشمس فانها لا تكون في الليل اصلا ونفى ثانيا سبق الليل
للنهار وفيه دليل على حذف سبق النهار الليل اولا كما قدرته وكل اي
من الشمس والقمر في فلك محيط به وهو الجسم المستدير او السطح
المستدير او الدائرة لان اهل اللغة على ان فلكة المغزل سميت فلكة
لاستدارتها وفلكة الخيمة هي الخشبة المسطحة المستديرة التي توضع
على راس العمود لئلا يمزق العمود الخيمة وهي صفحة مستديرة فان قيل
فعلى هذا تكون السماء مستديرة وقد اتفق اكثر المفسرين على ان السماء
مبسوطة لها اطراف على جبال وهي كالسقف المستوي ويدل عليه
قوله تعالى والسقف المرفوع اجاب الرازي بانه ليس في النصوص
ما يدل دلالة قاطعة على كون السماء مبسوطة غير مستديرة بل دل

اتيها

الدليل الحسي على انها مستديرة فوجب المصير اليه والسقف المقبب لا يخرج عن كونه سقفا وكذلك على جبال ومن الادلة الحسية ان السما لو كانت مستوية لكان ارتفاع اول النهار ووسطه واخره مستويا وليس كذلك وذكر غير ذلك من الادلة وفي هذه كفاية ولما ذكر لها فعل العقلا من كونها على نظام محرسا لا يختل وسير مقدر لا يعوج ولا يختل جمعها جمعهم بقوله تعالى **يسبحون** وقال المجنون فقوله تعالى يسبحون يدل على انها احيا لان ذلك لا يطلق الا على العاقل قال الرازي ان ارادوا القدر الذي يكون منها التسبيح فنقول به لان كل شي يسبح بحمده وان ارادوا شيا اخر فلم يثبت ذلك والاستعمال لا يدل كما في قوله تعالى في حق الاصنام ما لكم لا تنطقون الا تاكلون ولما ذكر سبحانه ما حد له حدودا في السباحة في وجه الفلك ذكر ما هيا به من الفلك للسباحة على وجه الما بقوله تعالى **واية لهم** اي على قدرتنا التامة **انا** اي على ما لنا من العظمة **حملنا ذريتهم** اي اباهم الاصول قال البغوي واسم الذرية يقع على الاباء كما يقع على الاولاد والالف واللام في قوله تعالى **في الفلك** للتعريف اي فلك نوح وهو مذكور في قوله تعالى واصنع الفلك باعيننا وهو معلوم عند العرب ثم وصف الفلك بقوله تعالى **المشحون** اي الموقر المملو حيوانا وزادا وهو يتقلب في تلك المياه التي لم ير احد قط مثلها ولا يرى ايضا ومع ذلك فسلمها الله تعالى والادمي يرسب في الما ويغرق فحمله في الفلك وقع بقدرته تعالى لكن من الطبيعيين من يقول الخفيف لا يرسب لانه يطلب جهة فوق فقال الفلك المشحون اثقل من الثقال التي ترسب ومع هذا حمل الله الانسان فيه مع ثقله وقال اكثر المفسرين ان الذرية لا تطلق الا على الولد وعلى هذا فالمراد اما ان يكون الفلك المعين الذي كان لنوح واما ان يكون المراد الجنس كقوله تعالى وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون وقال تعالى وترى الفلك فيه مواخر وقوله تعالى فاذا ركبوا في الفلك الى غير ذلك من استعمال لام التعريف في الفلك لبيان الجنس فان كان المراد سفينة نوح ففيه وجوه الاول ان المراد حملنا اولادهم الى يوم القيمة في ذلك الفلك ولولا ذلك ما بقي للاول للاب نسل ولا عقب وعلى هذا فقوله تعالى حملنا ذريتهم اشارة الى كمال النعمة اي لم تكن النعمة مقتصرة عليكم بل متعدية الى اعقابكم الى يوم القيمة وهذا قول الزمخشري قال ابن عادل ويحتمل ان يقال انه تعالى انما خص الذرية بالذكر لان الموجودين كانوا كفارا لا فايدة في وجودهم فقال تعالى حملنا ذريتهم اي لم يكن الحمل حملا لهم وانما كان حملا لما في اصلابهم من المومنين كمن حمل صندوقا لا قيمة له وفيه جواهر قيل انه لم يحمل الصندوق وانما حمل ما فيه ثانيها ان المراد بالذرية الجنس اي حملنا اجناسهم لان ذلك الحيوان من جنسه ونوعه والذرية

تطلق على الجنس ولذلك تطلق على النسا نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل الذراري اي النسا لان المراة وان كانت صنفا غير صنف الرجل لكنها من جنسه ونوعه يقال ذراريا اي امثالنا ثالثها ان الضمير في قوله تعالى واية لهم عايد على العباد حيث قال يا حسرة على العباد وقال بعد ذلك واية لهم الارض واية لهم الليل وقال واية لهم انا حملنا ذريتهم واذا علم هذا فكانه تعالى قال واية للعباد انا حملنا ذرية العباد ولا يلزم ان يكون المراد بالضمير في الموضعين اشخاصا معينين كقوله تعالى ولا تقتلوا اولادكم ويذيق بعضكم باس بعض ولذلك اذا تقاتل قوم ومات الكل في القتال فيقال هولا القوم هم قتلوا انفسهم فهم في الموضعين يكون ما بدا الى القوم ولا يكون المراد اشخاصا معينين بل المراد ان بعضهم قتل بعضهم فكذلك قوله تعالى اية لهم اي اية لكل بعض منهم انا حملنا ذرية كل بعض منهم او ذرية بعض منهم وان قلنا المراد جنس الفلك قال ابن عادل وهو الاظهر لان سفينة نوح لم تكن بحضرتهم ولم يعلموا من حمل فيها فاما جنس الفلك فانه ظاهر لكل احد وقوله تعالى في سفينة نوح وجعلناها اية للعالمين اي بوجود جنسها ومثلها ويويد قوله تعالى الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمت الله ليريكم من اياته ان في ذلك لايات لكل صبار شكور فان قيل ما الحكمة في قوله تعالى واية لهم الارض واية لهم الليل ولم يقل واية لهم الفلك اجيب بان حملهم في الفلك هو العجب اما نفس الفلك فليس بعجب لانه كبيت مبني من خشب واما نفس الارض فعجيب ونفس الليل عجيب لا قدرة لاحد عليهما الا الله تعالى فان قيل قال تعالى وحملنا ولم يقل وحملنا ذريتكم مع ان المقصود في الموضعين بيان النعمة لا دفع النقمة اجيب بانه تعالى لما قال في البر والبحر عم الخلق لان ما من احد الا وحمل في البر والبحر واما الحمل في البحر فلم يعم فقال ان كان ما حملناكم بانفسكم فقد حملنا من يهمكم امره من الاولاد والاقارب والاخوان والاصدقا وقرا نافع وابن عامر بالف بعد اليا التحتية وكسر الفوقانية على الجمع والباقون بغير الف وفتح الفوقانية الافراد واختلف في تفسير قوله تعالى **وخلقنا لهم من مثله** اي مثل الفلك **ما يركبون** فقال ابن عباس يعني الابل فالابل في البر كالسفن في البحر وقيل اراد به السفن التي عملت بعد سفينة نوح عليه السلام على مثالها وقال قتادة والضحاك وغيرهما اراد به السفن الصغار التي تجري في الانهار كالفلك الكبار في البحار **وان نشا** اي لاجل ما لنا من القوة الشاملة والقدرة التامة **نغرقهم** اي مع ان هذا الما الذي يركبونه ليس كالما الذي حمل فيه اباهم **فلا صريخ لهم** اي مغيث ليمنعهم مما يريدهم من الغرق او فلا اغاثة كقولهم اتاهم الصريخ **ولا هم** اي بانفسهم من غير صريخ **ينقذون** اي يكون لهم انقاذ اي خلاص لانفسهم او غيرها

الا رحمة اي فنحن ننقذهم ان شئنا رحمة منا اي لهم لا وجوبا عليهم
علينا ولا لمنفعة تعود منهم الينا ومتاعا اي وتمتعا اياهم بلذاتهم الى حين
اي الى انقضاء اجالهم واذا قيل لهم اي من اي قايل كان اتقوا ما بين ايديكم
اي من عذاب الدنيا كغيركم وما خلفكم من عذاب الاخرة لعلكم ترحمون
تعاملون معاملة المرحوم بالاكرام وقال ابن عباس ما بين ايديكم
يعني الاخرة فاعملوا لها وما خلفكم يعني الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها
وقال قتادة ومقاتل ما بين ايديكم وقايع الله فيمن كان قبلكم من الامم وما
كان خلفكم من عذاب الاخرة تنبيهان احدهما الا رحمة منصوب على المفعول
له وهذا استثنى مفرغ وقيل مستثنى منقطع وقيل على المصدر
بفعل مقدر وقيل على اسقاط الخافض اي الا برحمة والفا في قوله تعالى
فلا صريخ رابطة لهذه الجملة بما قبلها فالضمير في لهم عايد على المغرقين
ثانيهما جواب اذا محذوف تقديره اعرضوا يدل عليه قوله بعده الا
كانوا عنها معرضين وعلى هذا فلفظ كانوا زايدة وما تاتيهم من اية
من ايات ربهم اي المحسن اليهم الا كانوا اي مع كونها من عند من غمرهم
احسانه وعمهم فضله وامتنانه عنها معرضين اي دايما اعراضهم
واذا قيل لهم اي من اي قايل كان انفقوا اي على من لا شي له شكرا لله
على ما اعطاكم قال صلى الله عليه وسلم هل ترزقون وتنصرون الا
بضعفايكم انما يرحم الله تعالى من عباده الرحما وبين تعالى انهم يبخلون
بما لا صنع لهم فيه بقوله تعالى مما رزقكم الله اي مما اعطاكم الله الذي له
جميع صفات الكمال قال الذين كفروا اي ستروا وغطوا ما دلهم على انوار
عقولهم من الخيرات للذين امنوا اي استهزا بهم انطعم من لو يشا الله اي
الذي جميع العظمة كما زعمتم في كل وقت بزيده اطعمه وذلك ان المومنين
قالوا لكفار مكة انفقوا على المساكين مما زعمتم انه من اموالكم انه لله وهو
ما جعلوه لله من حروثهم واموالهم قالوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه
لكنا ننظره لا يشا ذلك فانه لم يطعمهم مما نرى من فقرهم فنحن ايضا
لا نشا ذلك موافقة لمراد الله فيه فتركوا التادب مع الامر واظهروا
التادب مع بعض الارادة المنهي عن الجري معها والاستسلام لها
وهذا ما يتمسك به البخلا يقولون لا نعطي من حرمه وهذا الذي
يزعمون باطل لان الله تعالى اغنى بعض الخلق وافقر بعضهم ابتلا
فمنع الدنيا من الفقير لا بخلا وامر الغني بالانفاق لا حاجة الى ماله
ولكن ليبلو الغني بالفقير فيما فرض الله له في مال الغني فلا اعتراض
لاحد في مشية الله وحكمه في خلقه وما كفاهم حتى قالوا لمن ارشدهم
الله تعالى الى الخيرات ان اي ما انتم الا في ضلال اي يحيط بكم مبين

اي في غاية الظهور وما دروا ان الضلال انما هو لهم فان قيل قولهم من لو يشا الله
اطعمه كلام حق فلما ذكر في معرض الذم اجيب بان مرادهم كان الانكار
لقدرة الله تعالى او لعدم جواز الامر بالانفاق مع قدرة الله تعالى وكلاهما فاسد
فبين ذلك تعالى بقوله سبحانه مما رزقكم الله فانه يدل على قدرته ويصحح امره
بالاعطا لان من كان له مع الفقرا مال وله في خزانته مال تخير ان اراد اعطى
مما في خزانته وان اراد امر من عنده المال بالاعطا ولا يجوز ان يقول من في يده
ماله في خزانتك اكثر مما في يدي اعطه فان قيل ما الحكمة في تغيير اللفظ في
جوابهم حيث لم يقولوا اننفق على من لو يشا الله رزقه لانهم امروا بالانفاق
فكان جوابهم ان يقولوا اننفق فلم قالوا انطعم اجيب بان هذا بيان
في غاية مخالفتهم لانهم انما امروا بالانفاق والانفاق يدخل فيه الاطعام وغيره
فلم ياتوا بالانفاق ولا باقل منه وهو الاطعام وهذا كقول القايل لغيره اعط زيدا
دينارا فيقول لا اعطيه درهما مع ان المطابق هو ان يقول لا اعطيه دينارا ولكن
المبالغة في هذا الوجه اتم فكذلك هنا تنبيه انما وصفوا المومنين بانهم
في ضلال مبين لظنهم ان كلام المومنين متناقض ومن تناقض كلامه
يكون في غاية الضلال قال الرازي ووجه ذلك انهم قالوا انطعم من لو يشا
الله اطعمه وهذا اشارة الى ان الله ان شا ان يطعمهم اطعمهم فكان الامر
باطعامهم امرا بتحصيل الحاصل وان لم يشا اطعامهم لا يقدر على اطعامهم
لامتناع وقوع ما لم يشا الله تعالى ~~اطعمه وهذا اشارة~~ ولا قدرة لنا على الاطعام
فكيف تامروننا بالاطعام ووجه اخر وهو انهم قالوا ان اراد الله تجويعهم
فلو اطعمناهم يكون ذلك سعيا في ابطال فعل الله تعالى وانه لا يجوز وانتم
تقولون اطعموهم فهو ضلال واعلم انه لم يكن في الضلال الا هم حيث نظروا
الى المراد ولم ينظروا الى الطلب والامر وذلك لان العبد اذا امره السيد
بامر لا ينبغي الاطلاع على المقصود الذي لاجله امر به مثاله اذا اراد الملك
الركوب للهجوم على عدوه بحيث لا يطلع عليه احد وقال للعبد احضر
المركوب فلو تطلع واستكشف المقصود الذي لاجله الركوب نسب
الى انه يريد ان يطلع عدوه على الحذر منه وكشف سره فالادب في الطاعة
هو امتثال الامر لا تتبع المراد فالله تعالى اذا قال انفقوا مما رزقكم الله لا يجوز
ان يقال لم لم يطعمهم الله مما في خزاينه وقد تقدم ما له بهذا تعلق ويقولون
اي عادة مستمرة مضمومة الى ما تقدم متى هذا وزادوا في الاستهزا
بتسميته وعدا فقالوا الوعد اي البعث الذي تهددوننا به تارة
تلويحا وتارة تصريحا عجلوه لنا ان كنتم صادقين فيه قال الله تعالى
ما ينظرون اي ينتظرون الا صيحة ولشدة حقارة شانهم وتمام
قدرته بقوله تعالى واحدة وهي نفخة اسرافيل الاولى للهيبة

يأخذهم وقوله تعالى وهم يخصمون قراءة حمزة بسكون الخاء وتخفيف الصاد
من خصم يخصم والمعنى يخصم بعضهم بعضا فالمفعول محذوف وابو
عمرو وقالون باخفا فتحة الخاء وتشديد الصاد ونافع وابن كثير وهشام
كذلك الا انهم باخلاص فتحة الخاء والباقون بكسر الخاء وتشديد الصاد
والاصل في القراآت الثلاث يختصمون فادغمت التاء في الصاد فنافع
وابن كثير وهشام نقلوا فتحتها الى الساكن قبلها نقلا كاملا وابو
عمرو وقالون اختلسا حركتها تنبيها على ان الخاء اصلها السكون
والباقون حذفوا حركتها فالتقى ساكنان كذلك فكسروا اولهما
فهذه اربع قراآت ولما كانت هذه هي النفخة المميتة تسبب عنها
قوله تعالى فلا يستطيعون توصية اي ان يوصوا والوصية في شيء من
الاشياء ولا الى اهلهم اي فضلا عن ان يرجعون اي فيروا حالهم
بل يموت كل واحد في مكانه حيث تفجاه الصيحة وربما افهم
التعبير بالى انهم يريدون الرجوع فيخطون خطوة او نحوها وفي
الحديث لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه
ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد رفع الرجل اكلته الى فيه فلا
يطعمها ولما دل ذلك على الموت قطعا عقبه بقوله تعالى ونفخ في الصور
اي القرن النفخة الثانية للبعث وبين النفختين اربعون سنة ولما
كان هذا النفخ سببا لقيامهم عنه من غير تخلف عبر تعالى بما يدل على التعقيب
والتسبب والفجاة بقوله تعالى فاذا هم اي في حين النفخ من
الاجداث اي القبور واحدها جدث المهياة هي ومن فيها
لسماع ذلك النفخ فان قيل كيف يكون ذلك الوقت النفخ فان قيل
كيف يكون ذلك الوقت اجداث وقد زلزلت الصيحة الجبال اجيب
بان الله تعالى يجمع اجزا كل ميت في الذي اقبر فيه فيخرج من ذلك
الموضع وهو جدثه الى ربهم اي الى الموقف الذي اعد لهم من
احسن اليهم بالتربية ينسلون اي يسرعون المشي مع تقارب
الخطا بقوة ونشاط فيا لها من قدرة شاملة وحكمة كاملة حيث
كان صوت واحد يحيي تارة ويميت اخرى فان قيل المشي اذا توجه
الى من احسن اليه يقدم رجلا ويوخر اخرى والنسلان سرعة المشي
فكيف توجد منهم اجيب بانهم ينسلون من غير اختيارهم فان
قيل قال في اية فاذا هم قيام ينظرون وقال هاهنا فاذا هم من
الاجداث الى ربهم ينسلون والقيام غير النسلان وقوله تعالى
في الموضعين اذا هم يقتضي ان يكونا معا اجيب بان القيام
لا ينافي المشي السريع لان الماشي قائم ولا ينافي النظر وبانه

ذلك لسرعة الامور كان الكل في زمان واحد كقول القائل
مكر مفر مقبل مدبر معا ● واعلم ان النفختين يورثان تزلزلا
وانقلابا للاجرام فعند اجتماع الاجرام تفرقها وهو المراد بالنفخة
الاولى وعند تفرق الاجرام يجمعها وهو النفخة الثانية ولما تشوقت النفس
الى ما يقولون اذا عاينوا ما كانوا يكذبون استانف قوله تعالى قالوا اي
الذين هم من اهل الويل يا للتنبيه ويلنا اي هلاكنا وهو مصدر لا فعل
له من لفظه من بعثنا من مرقدنا قال ابي بن كعب وابن عباس وقتادة انما
يقولون هذا لان الله يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فاذا
بعثوا بعد النفخة الاخيرة وعاينوا القيامة دعوا بالويل وقال اهل
المعاني ان الكفار اذا عاينوا جهنم وانواع عذابها صار عذاب القبر في
جنبها كالنوم فعد وامكانهم الذي كانوا فيه مع ما كانوا فيه من عذاب
البرزخ مرقدا هنيئا بالنسبة الى ما انكشف لهم من العذاب الاكبر
فقالوا من بعثنا من مرقدنا فان قيل ما وجه تعلق من بعثنا من مرقدنا
بقولهم يا ويلنا اجيب بانهم لما بعثوا تذكروا ما كانوا يسمعون من الرسل
فقالوا يا ويلنا ابعثنا الله البعث الموعود به ام كنا نياما فنبهنا كما اذا
كان انسان موعودا بان ياتيه عدو ولا يطيقه ثم يرى رجلا هائلا يقبل
عليه فيرتجف في نفسه ويقول اهذا ذاك ام لا ويدل على هذا قولهم
من مرقدنا حيث جعلوا القبور موضع الرقاد اشارة الى انهم شكوا في
انهم كانوا نياما فنبهوا او كانوا موتى فبعثوا وكان الغالب على ظنهم
هو البعث فجمعوا بين الامرين وقالوا من مرقدنا اشارة الى توهمهم
احتمال الانتباه وقولهم هذا اشارة الى البعث ما اي الذي وعد
ايه الرحمن اي العام الرحمة الذي رحمته مقتضية ولا بد للبعث
لينصف الظالم من ظالمه ويجازي كلا بعمله من غير حيف وقد رحمنا بارسال
الرسل الينا بذلك وطال ما انذرونا حلوله وحذرونا صعوبته وطوله
وصدق المرسلون اي الذين اتونا بوعده ووعيده تنبيه في اعراب
هذا وجهان اظهرهما انه مبتدا وما بعده خبره ويكون الوقف تاما
على قوله تعالى من مرقدنا وهذه الجملة حينئذ فيها وجهان احدهما انها
مستانفة اما من قول الله تعالى او من قول الملائكة او من قول المومنين
الثاني انها من كلام الكفار فتكون في محل نصب بالقول الثاني
من الوجهين الاولين هذا صفة لمرقدنا وما وعد منقطع عما قبله ثم
في ما وجهان احدهما انها في محل رفع بالابتدا والخبر مقدر اي الذي
وعده الرحمن وصدق المرسلون فيه حق عليكم واليه ذهب الزجاج
والزمخشري والثاني انه خبر مبتدا مضمر اي هذا وعد الرحمن

ان اي ما كانت اي النفخة التي وقع الاحيا بها الا صيحة واحدة اي كما كانت
نفخة الاماتة واحدة فاذا هم اي بالجاءة من غير توقف اصلا جميع اي على
حالة الاجتماع لم يتاخر منهم احد لدينا اي عندنا محضرون ثم بين تعالى
ما يكون في ذلك اليوم بقوله تعالى فاليوم لا تظلم نفس اي اي نفس كانت
مكروهة او محبوبة شيئا اي لا يقع لها ظلم ما من احد ما في شيء ما و لا
تجزون اي على عمل من الاعمال شيئا من الجزا من احد ما الا ما كنتم تعملون
دينا لكم بما ركز في جبلاتكم ثم بين حال المحسن بقوله تعالى ان
اصحاب الجنة اي الذين لا حظ للنار فيهم اليوم اي يوم البعث وهذا
يدل على انه يعجل دخولهم ودخول بعضهم اليها ووقوف الباقين
للشفاعات ونحوها من الكرامات عند دخول اهل النار النار
وعبر بما يدل على انهم بكلياتهم مقبلون عليه ومطرقون له مع توجههم اليه
بقوله في شغل اي عظيم جدا لا تبلغ وصفه العقول كما كانوا في الدنيا
باشغل الشغل بالمجاهدات في الطاعات وقرا ابن عامر والكوفيون بضم
العين والباقون بالاسكان ثم بين ذلك الشغل بقوله تعالى فاكهون اي
متلذذون في النعمة واختلف في هذا الشغل فقال ابن عباس في
افتضاض الابكار وقال وكيع ابن الجراح في السماع وقال الكلبي
في شغل عن اهل النار وما هم فيه لا يهمهم امرهم ولا يذكرونهم وقال
ابن كيسان في زيارة بعضهم بعضا وقيل في ضيافة الله فاكهون
وقيل في شغل عن هول اليوم ياخذون ما اتاهم الله تعالى من الثواب فما
عندهم خبر من عذاب ولا حساب وقوله تعالى فاكهون متمم لبيان
سلامتهم فانه لو قال في شغل جاز ان يقال هم في شغل اعظم من التفكر
في اليوم واهواله فان من تصيبه فتنة عظيمة ثم يعرض عليه امر من اموره
او بخير او بخسران وقع في ماله يقول انا مشغول عن هذا باهم منه فقال
فاكهون اي شغلوا عنه باللذة والسرور لا بالويل والثبور وقال ابن
عباس فاكهون فرحون ولما كانت النفس لا يتم سرورها الا بالقرين
الملايم قال هم اي بظواهرهم وبواطنهم وازواجهم اي
اشكالهم الذين هم في غاية الملايمة كما كانوا يتركونهم في المضاجع على
الذ ما يكون ويصفون اقدامهم في خدمتنا اهم يكون وفي هذه الاشارة
الى عدم الوحشة في ظلال اي يجدون فيها برد الاكباد وغاية المراد
فلا تصيبهم الشمس كما يشوون اكبادهم في دار العمل بحر الصيام والصبر
في مرضاتنا على الالام ويعرون ابدانهم وقلوبهم من الاموال ببذل
الصدقات في سبيلنا على ممر الايام وكر الليالي تنبيه ظلال جمع
ظل كشعاب او ظلة كقباب ويؤيده قراءة حمزة والكسائي بضم

الظا ولا الف بين اللامين واما الباقون فقرؤا بكسر الظا والف بين اللامين
هم مبتدا وخبره في ظلال كما قاله ابو البقا ولما كان التمتع لا يكمل الا مع العلو
الممكن من زيادة العلم الموجب لارتياح النفس وبهجة العين بانفساح البصر
عند مد النظر قال على الارائك اي السرر المزينة العالية التي هي داخل
الحجال قال ثعلب لا تكون اريكة حتى تكون عليها حجلة وقال ابن جرير
الارائك الحجال فيها السرر وروى ابو عبيدة في كتاب الفضائل عن الحسن
قال كنا لا ندري ما الارائك حتى لقينا رجل من اهل اليمن فاخبرنا ان
الاريكة عندهم الحجلة فيها السرير وهذا جزا لمن كانوا يلزمون المساجد
ويغضون الابصار ويبيعون نفوسهم لاجلنا متكئون كما كانوا
يدابون في الاعمال قايمون بين ايدينا في اغلب الاحوال والاتكاء الميل
على شق مع الاعتماد على ما يريح الاعتماد عليه او الجلوس مع التمكن على هيئة
المتربع وفي هذا اشارة الى الفراغ وقوله تعالى لهم اي خاصة بهم فيها
فاكهة اي لا تنقطع ابدا ولا مانع لهم من تناولها ولا يتوقف ذلك على
غير الارادة اشارة على ان لا جوع هناك لان التفكه لا يكون لدفع الجوع
ولهم ما يدعون اي يتمنون تمنيه في ما هذه ثلاثة اوجه موصولة
اسمية نكرة موصوفة والعايد على هذين محذوف مصدرية ويدعون مضارع ع
ادعى افتعل من دعا يدعو واشرب معنى التمني وقال الزجاج هو من الدعا
اي ما يدعو به اهل الجنة ياتيهم من دعوت غلامي فيكون الافتعال بمعنى
الفعل كالاحتمال بمعنى الحمل والارتحال بمعنى الرحل وقيل افتعل
بمعنى تفاعل اي ما يتداعونه كقولهم ارتموا وتراموا بمعنى ثم فسر الذي
يدعونه اي يطلبونه بغاية الاشتياق اليه او استانف الاخبار عنه
بقوله تعالى سلام اي عظيم جدا عليكم يا اهل الجنة والسلام يجمع
جميع النعم ثم بين هذا السلام بما اظهر من عظمه بقوله تعالى قولا من رب
اي دايم الاحسان رحيم اي عظيم الاكرام بما رضاه الالهية
كما كانوا في الدنيا يفعلون كل ما فيه الرضا فيرحمهم في حال السلام وسماع
الكلام بلذة الرؤية مع التقوية على الدهش والصعق لعظيم الامر
وبالتاهيل لهذا المقام الاكرم مع قصورهم عنه روى جابر بن عبد الله قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا اهل الجنة في نعيمهم اذ سطع
لهم نور فرفعوا رؤسهم فاذا الرب عز وجل قد اشرف عليهم من فوقهم
فقال السلام عليكم يا اهل الجنة فينظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون
الى شيء من النعيم ما داموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره
وبركته عليهم في ديارهم وقيل تسلم عليهم الملئكة من ربهم لقوله
تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم اي يقولون

سلام عليكم يا اهل الجنة من ربكم الرحيم وقيل يعطيهم السلامة يقول
اسلموا السلامة الابدية ولما ذكر ما للمومنين من النعيم ذكر ما للكافرين
من الجحيم بقوله تعالى **وامتازوا** اي ويقال للمجرمين امتازوا اي انفردوا
اليوم ايها المجرمون عن المومنين عند اختلاطهم بهم قال الضحاك لكل كافر
بيت يدخل ذلك البيت فيردم بابه بالنار فيكون فيه ابد الابدين لا يرى ولا يرى
وقيل ان قوله تعالى وامتازوا امر تكوين تحقيق يقول امتازوا اليوم
فيميزون بسيماهم ويظهر على وجوههم سواد كما قال تعالى يعرف المجرمون
بسيماهم ولما امروا بالامتياز شخصت منهم الابصار وكلحت الوجوه
ونكست الروس قال تعالى موبخا لهم **الم اعهد اليكم** اي اوصيكم
ايصاء عظيما بما نصبت من الادلة وسخت من العقول وبعثت من الرسل
وانزلت من الكتب في بيان الطريق الموصل الى النجاة ولما كان المقصود بهذا
الخطاب تقريعهم وتبكيتهم وكانت هذه السورة قلبا وكان القلب اشرف
الاعضاء وكان الانسان اشرف الموجودات خصه بالخطاب بقوله تعالى
يا بني ادم اي على لسان رسلي واختلف في معنى هذا العهد ايضا على وجوه
اوجه اقواها الم اوص اليكم كما مر وقيل الم امركم وقيل غير ذلك واختلفوا في
هذا العهد ايضا على اوجه اظهرها انه مع كل قوم على لسان رسلهم كما مر وقيل
هو العهد الذي كان مع ادم في قوله تعالى ولقد عهدنا الى ادم وقيل هو الذي
كان مع ذرية ادم حين اخرجهم وقال الست بربكم قالوا بلى **ان لا تعبدوا**
الشيطان اي البعيد المحترق في طاعتكم فيما يوسوس به اليكم والطاعة قد
تطلق على العبادة ثم علل النهي عن عبادته بقوله تعالى **انه لكم** والتاكيد
لان افعالهم افعال من يعتقد صداقته **عدو مبين** اي ظاهر العداوة
جدا من جهة عداوته لابيكم التي اخرجتكم من الجنة التي لا منزل اشرف منها
ومن جهة امركم بما يبغض الدنيا من التخالف والخصام ومن جهة تزيينه
للفاني الذي لا يرغب فيه عاقل لو لم يكن فيه عيب غير فنائه فكيف اذا كان
اكثره اكدارا وادناسا فكيف اذا كان شاغلا عن الباقي فكيف اذا كان
عائقا عن المولى فكيف اذا كان مغضبا له حاجبا عنه فان قيل اذا كان
الشيطان عدوا للانسان فما بال الانسان يقبل على الزنا والشرب
ونحو ذلك ويكره ما يسخطه من المجاهدة والعبادة ونحو ذلك اجيب
بانه يستعين عليه باعوانه من عند الانسان وترك الاستعانة
الانسان بالله تعالى فيستعين بشهوته التي خلقها الله تعالى فيه لمصلحة
بقائه وبقاء نوعه ويجعلها سببا لفساد حاله وتدعوه بها الى مسالك
المهالك وكذا يستعين بغضبه الذي خلقه الله تعالى فيه لدفع المفاسد
عنه ويجعلها سببا لوباله وفساد احواله وميل الانسان الى المعاصي

جباههم اوفي

كل

٢٠٩

كل المريض الى المضار وذلك حيث ينحرف المزاج عن الاعتدال فترى المحموم
يريد الماء البارد وهو يزيد في مرضه ومن معدته فاسدة لا تهضم القليل
من الغذاء يميل الى الاكل الكثير ولا يشبع بشيء وهو يزيد فساد معدته
وصحيح المزاج لا يشتهي الا ما ينفعه ولما منع من عبادة الشيطان امر
بعبادة الرحمن بقوله تعالى **وان اعبدوني** اي وحدوني واعبدوني واطيعوني
هذا اي الامر بعبادتي **صراط** اي طريق **مستقيم** اي بليغ الاستقامة
وعبادة الشيطان طريق صراط ضيق معوج غاية الضيق والعوج
وقرأ قنبل بالسين وخلف بالاشمام اي بين الصاد والزاي والباقون
بالصاد ثم ذكر ما بينه بعداوة الشيطان بقوله تعالى **ولقد اضل** اي
عن الطريق الواضح السوي بما سلطته به من الوسوسة **منكم جبلا** اي
امما كبارا عظاما كانوا كالجبال في قوة العزائم وصعوبة الانقياد
ومع ذلك كان يلعب بهم كما تلعب الصبيان بالكرة فسبحان من اقدره على
ذلك والا فهو اضعف كيدا واحقر امرا وقرأ نافع وعاصم بكسر الجيم والباء
الموحدة وتشديد اللام مع التنوين وقرأ ابو عمرو وابن عامر بضم الجيم
واسكان الباء والباقون بضم الجيم والباء وكلها لغة ومعناها الخلق
والجماعة اي خلقا **كثيرا** ثم زاد في التوبيخ والانكار بقوله تعالى **افلم**
تكونوا تعقلون اي عداوته واضلاله وما حل بهم من العذاب فتومنوا
ويقال لهم في الاخرة **هذه جهنم** التي تشتغل لكم بالعبوسة والتجهم
كما كنتم تتغلون بعبادي الصالحين **التي كنتم توعدون** اي ان لم ترجعوا
عن غيكم **اصلوها** اي قاسوا حرها وتوقدها وطول امد ذلك اليوم بان
ذكره على احد ما مضى بقوله تعالى **اليوم** ليكونوا في شغل شاغل كما كان اصحاب
الجنة وشتان ما بين الشغلين **بما** اي بسبب ما **كنتم تكفرون** اي تسترون
ما هو ظاهر جدا بعقولكم من اياتي في دار الدنيا تنبيه في هذا الكلام ما يوجب
شدة ندامتهم وحزنهم من ثلاثة اوجه احدها قوله تعالى اصلوها
امر تنكيل واهانة كقوله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم ثانيها قوله تعالى
اليوم يعني العذاب حاضر ولذاتكم قد مضت وبقي اليوم العذاب
ثالثها قوله تعالى بما كنتم تكفرون فان الكفر والكفران ينبي عن نعمة
كانت فكفر بها وحياء المكفور من المنعم من اشد الالام كما قيل
* الي يكاد لذي همة * حيا المسي من المحسن * ولما كان كانه
قيل هل يحكم في ذلك اليوم بعلمه او يجري الامر على قاعدة الدنيا في العمل
بالبينة نبه على انه اظهر من قواعد الدنيا بقوله تعالى مهولا **اليوم** على
النسق الماضي في مظهر العظمة لانه اليق بالتهويل **نختم** اي بما لنا من
العظمة والقدرة **على افواههم** اي الكفار لاجترائهم على الكذب كقوله تعالى

٢ عاطفا على ان لا

والله ربنا ما كنا مشركين **ونكلمنا ايديهم** اي بما عملوا اقرارا هو اعظم شهادة
وتشهد ارجلهم اي عليهم بكلام بين هو مع كونه شهادة اقرار **بما كانوا** اي
في الدنيا بجبلاتهم **يكسبون** فكل عضو ينطق بما صدر عنه فالاية من
الاحتباك اثبت الكلام للايدي اولا لانها كانت مباشرة دليلا على
حذفه من حيز الارجل ثانيا واثبت الشهادة للارجل ثانيا لانها كانت
حاضرة دليلا على حذفها من حيز الايدي اولا وتقريبه ان قول المباشر
اقرار وقول الحاضر شهادة وفي كيفية هذا الختم وجهان اقواهما ان
الله تعالى يمسك السنتهم وتنطق جوارحهم فيشهدون عليهم
وان ذلك في قدرة الله تعالى يسير اما الاسكات فلا خفاء فيه واما
الانطاق فان اللسان عضو متحرك بحركة مخصوصة فجاز تحرك
غيرها بمثلها والله قادر على كل الممكنات والوجه انهم لا يتكلمون بشيء
لانقطاع اعذارهم وانتهاك استارهم فيقفون ناكسوا الروس
لا يجدون عذرا فيعتذرون ولا مجال توبة فيستغفرون وتكلم
الايدي هو ظهور الامر بحيث لا يسع منه الانكار كقول القائل
الحيطان تبكي على صاحب الدار اشارة الى ظهور الحزن والصحيح الاول
لما روي ابو هريرة ان ناسا سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله
هل نرى ربنا يوم القيمة فقال هل تضارون في روية القمر ليلة البدر
ليس دونه سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فهل تضارون في روية
الشمس عند الظهيرة ليست في سحاب قالوا لا يا رسول الله قال
والذي نفسي بيده لا تضارون في روية ربكم كما لا تضارون في رويتهما
فيلقى العبد فيقول الم اكرمك الم اسودك الم ازوجك الم اسخر لك
الخيل والابل واتركك تترأس وترتع قال بلى يا رب قال فظننت
انك ملاقي فيقول لا يا رب قال فاليوم انساك كما نسيتني قال
ثم يلقى الثالث فيقول ما انت فيقول انا عبدك امنت بك وبنبيك
وبكتابك وصمت وصليت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع ثم
قال فيقال له افلا نبعث عليك شاهدنا قال يتفكر في نفسه
من ذا الذي يشهد عليه فيختم على فيه ويقال لفخذه انطقي قال فتنطق
فخذه ولحمه وعظامه بما كان يعمل قال وذلك المنافق وذلك ليعذر
من نفسه وذلك الذي سخط الله عليه ولما روي مسلم في صحيحه
عن انس بن مالك قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك
فقال هل تدرون مم اضحك قال قلنا الله ورسوله اعلم قال من مخاطبة
العبد ربه قال يقول العبد يا رب الم تجرني من الظلم فيقول بلى فيقول
فاني لا اجيز على نفسي الا شاهدا مني فيقول تعالى كفى بنفسك اليوم عليك

شهيدا

شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا فيختم على فيه ويقول لاركانه انطقي فتنطق
باعماله ثم يخلي بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل
وقال صلى الله عليه وسلم اول من يسئل من احدكم فخذه وكفه تنبيه
ههنا سوالات الاول ما الحكمة في اسناد الختم الى نفسه وقال نختم واسند
الكلام والشهادة الى الايدي والارجل الثاني ما الحكمة في جعل الكلام للايدي
والشهادة للارجل الثالث ان يوم القيمة من تقبل شهادته من
المقربين والصديقين كلهم اعداء للمجرمين وشهادة العدو على عدوه غير مقبولة
وان كان عدلا وغير الصديقين من الكفار والفساق لا تقبل شهادتهم
والايدي والارجل صدرت الذنوب عنها فهي فسقة فينبغي ان لا
تقبل شهادتها اجيب عن الاول بانه لو قال نختم على افواههم
وتنطق ايديهم لاحتمل ان يكون ذلك جبرا وقهرا والاقرار بالاجبار غير
مقبول فقال وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم اي باختيار بعد ما يقدرها
الله تعالى على الكلام ليكون ادل على صدور الذنب منهم واجيب عن الثاني في
بان الافعال تسند الى الايدي قال تعالى وما عملته ايديهم اي ما عملوه
وقال تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة اي لا تلقوا انفسكم
فاذن الايدي كالعاملة والشاهد على العامل ينبغي ان يكون غيره فجعل
الارجل والجلود من الشهود لبعد اضافة الافعال اليهم واجيب
عن الثالث بان الايدي والارجل ليسوا من اهل التكليف ولا ينبغي لها
عدالة ولا فسق انما المنسوب من ذلك الى العبد المكلف لا الى اعضائه
ولا يقال ان العين تزني وان الفرج يزني وان اليد كذلك لان معناه ان
المكلف يزني بها لا انها هي تزني وايضا فانا نقول في رد شهادتها قول شهادتها نهارا
لانها ان كذبت في مثل ذلك اليوم مع ظهور الامور لابد ان يكون مذنبا
في الدنيا وان صدقت في ذلك اليوم فقد صدر منها الذنب في الدنيا
وهذا كمن قال لفاسق ان كذبت في نهار هذا اليوم فعبدي حر فقال
الفاسق كذبت في نهار هذا اليوم عتق العبد لانه ان صدق قوله كذبت
في نهار هذا اليوم فقد وجد الشرط وترك الجزا وان كذب في قوله كذبت
فقد كذب في نهار ذلك اليوم فوجد الشرط ايضا بخلاف ما لو قال
في اليوم الثاني كذبت في نهار اليوم الذي علقت عتق عبدك على كذبك
فيه ثم بين تعالى انه قادر على اذهاب الابصار كما هو قادر على اذهاب
النطق بقوله تعالى **ولو نشاء** وعبر بالمضارع فيتوقع في كل حين
فيكون ابلغ في التهديد **لطمسنا على اعينهم** اي الظاهرة بحيث لا يبدو
لها جفن ولا شق وهو معنى الطمس كقوله تعالى ولو شاء الله لذهب
بسمعهم وابصارهم يقول اذا اعمينا قلوبهم لو شئنا اعمينا ابصارهم الظاهرة

وقوله تعالى فاستبقوا الصراط اي ابتدروا الطريق ذاهبين على عادتهم عطف على لطمسنا فأنى اي فكيف يبصرون الطريق حينئذ وقد أعمينا اعينهم اي لو نشاء لأضللناهم عن الهدى وتركناهم عمياً يترددون فلا يبصرون الطريق وهذا قول الحسن والسدي وقال ابن عباس ومقاتل معناه لو نشاء طمسنا اعين ضلالتهم فاعميناهم عن غيهم وحولنا ابصارهم من الضلالة الى الهدى فابصروا رشدهم فانى يبصرون ولم افعل ذلك بهم ولما كان هذا كله مع القدرة على الحركة قال تعالى ولو نشاء اي مسخهم لمسخناهم اي حولناهم عن تلك الحالة فجعلناهم حجارة او جعلناهم قردة وخنازير ولما كان المقصود من المفاجأة بهذين المصابين بيان سبحانه انه لا كلفة عليه في شيء من ذلك قال تعالى على مكانتهم اي المكان الذي كان قبل المسخ كل شخص منهم شاغلا له بجلوس او قيام او غيره في ذلك الموضع خاصة قبل ان يتحرك منه وقرأ شعبة بالف بعد النون على الجمع والباقون بغير الف على الافراد فما استطاعوا اي بانفسهم بنوع معالجة مضيا اي الى جهة من الجهات ثم عطف على جملة الشرط قوله تعالى ولا يرجعون اي يجددون لهم بوجه من الوجوه رجوعا الى حالتهم التي كانت قبل المسخ دلالة على ان هذه الامور حق لا كما يتقولون من انها خيال وسحر وقيل لا يقدرون على ذهاب ولا رجوع ومن نعمره اي نطل عمره اطالة كثيرة ننكسه قرأ عاصم وحمزة بضم النون الاولى وفتح النون الثانية وتشديد الكاف مكسورة من نكسه مبالغة والباقون بفتح النون الاولى وسكون الثانية وتخفيف الكاف مضمومة من نكسه وهي محتملة للمبالغة وعدمها ومعنى ننكسه في الخلق اي خلقه نرده الى ارذل العمر شبه الصبي في اول الخلق وقيل ننكسه في الخلق اي ضعف جوارحه بعد قوتها ونقصانها بعد زيادتها لان الله تعالى اجرى العادة في النوع الادمي ان من استوفى سن الصبا والشباب اثنين واربعين سنة خمدت غرائزه فلا تزداد فيه غريزة ووقفت قواه كلها فلم يزد نهايتي هذا في البدن واما المعارف فتارة وتارة وهذا ايضا في غير الانبيا اما هم فلا ينقص شيء من قواهم بل يزداد كما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يمشي غير مكترث وان الصحابة رضي الله عنهم معه يجهدون انفسهم فيكون جهدهم ان لا يدركوا مشيه الهوينا وانه صارع ركانة الذي كان يضرب بقوته المثل وكان واثقا من نفسه انه يصرع من صارعه فلم يملكه النبي صلى الله عليه وسلم نفسه وعاد الى ذلك ثلاث مرات كل ذلك لا يتماسك في يده حتى خرج يقول اذ هذا

لجن

لجن بأحد نصرعني وحتى انه دار على نسائه وهن تسع كل واحدة منهن تسع مرات في طلق واحد الى غير ذلك مما يحكى من قواه التي فاق بها الناس ولم يحك عن نبي من الانبياء ممن عاش منهم الفا ومن عاش دون ذلك انه نقص شيء من قواه بل قد ورد في الصحيح من حديث ابي هريرة ان ملك الموت عليه السلام ارسل الى موسى عليه السلام ليقبض روحه فلما جاءه صكه ففقأ عينه فقال لربه ارسلتني الى عبد لا يريد الموت قال ارجع اليه فقل له يضع يده على متن ثور فله بما غطت يده كل شعرة سنة قال اي رب ثم ماذا قال ثم الموت قال فالآن وكان موسى وقت قبض ابن مائة وعشرين سنة افلا يعقلون اي ان القادر على ذلك عندهم قادر على البعث فيؤمنون وقرأ نافع وابن ذكوان بالتاء على الخطاب والباقون بالياء على الغيبة ولما منح الله تعالى نبينا صلى الله عليه وسلم غرائز من الفضائل مما عجز عنها الاولون والاخرون واتى بقرآن اعجز الانس والجن وعلوم وبركات فاتى القوي ليس بشعر خلافا لما رموه به بغيا وكذبا وعدوانا قال تعالى وما علمناه اي نحن الشعر بما علمناه وهو ان يتكلف لتقيد بوزن معلوم وروي مقصود وقافية يلتزمها ويدير المعاني عليها ويجلب عليها الالفاظ تكلفا اليها كما كان زهير وغيره في قصائدهم وما انا من المتكلفين لان ذلك وان كنتم انتم تعدونه فخرا لا يليق بجنابنا لانه لا يفرح به الا من يريد ترويج كلامه وتحليته بصوغه على وزن معروف مقصود وقافية ملتزمة على ان فيه نقيصة اخرى وهي اعظم ما يوجب النفرة عنه ولو انه لا بد ان يوهي التزامه بعض المعاني ولما لم نعلمه هذه الدناءة طبعناه على فنون البلاغة ومكناه من سائر وجوه الفصاحة ثم اسقيناه ينابيع الحكمة ودربناه على القاء المعاني الجليلة بما الهمناه اياه ثم بما القاه اليه جبريل عليه السلام بما امرناه به من جوامع الحكم والكلام فلا تكلف عنده اصلا ما خير بين امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما او قطيعة رحم ولما كان الشعر مع ما بني عليه من التكلف الذي هو بعيد جدا عن سجايا الانبيا فكيف جا شرفهم مما يجتنب به مدحا وهجوا فيكون اكثره كذبا الى غير ذلك وما ينبغي له اي وما يصح له الشعر ولا يتسهل له على ما خبر من طبعه نحوا من اربعين سنة لان منصبه اجل وهمته اعلى من ان يكون مداحا او عيابا او ان يتقيد بما قد يجر نقيصة في المعنى وحيلته منافية لذلك غاية المنافاة بحيث لو اراد نظم شعر لم يتات له كما جعلناه اميا لا يكتب ولا يحسنه لتكون الحجة اثبت والشبهة ادحض وما كان يتزن له بيت شعر حتى اذا تمثل ببيت شعر جرى على لسانه منكسرا روى الحسن

ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت كفى بالشيب والاسلام للمرء ناهيا
فقال ابو بكر انما قال الشاعر ، كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا ، فقال
عمر اشهد انك رسول الله يقول الله عز وجل وما علمناه الشعر وما ينبغي له
وعن ابي شريح قال قلت لعائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتمثل شيا من الشعر قالت كان يتمثل من شعر عبد الله بن رواحة قالت
وربما قال ، ويأتيك بالاخبار من لم تزود ، وفي رواية
قالت كان الشعر ابغض الحديث اليه قالت ولم يتمثل بشي من الشعر
الا ببيت اخي بني قيس طرفة

، ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا ، ويأتيك بالاخبار من لم تزود ،

فجعل يقول ويأتيك من لم تزود بالاخبار فقال ابو بكر ليس هكذا
يا رسول الله فقال اني لست بشاعر ولا ينبغي لي وقيل معناه ما كان
يتأتى له واما قوله صلى الله عليه وسلم كما رواه الشيخان

، انا النبي لا كذب ، انا ابن عبد المطلب ،

وقوله كما رواه الشيخان ايضا

، هل انت الا اصبع دميت ، وفي سبيل الله ما لقيت ،

فاتفاقي من غير تكلف وقصد منه الى ذلك وقد يقع مثله كثيرا في
تضاعيف المنثورات على ان الخليل ما عد المشطور من الرجز شعرا
هذا وقد روي انه حرك الباءين في قوله انا النبي لا كذب
وكسر التاء الاولى بلا اشباع وسكن الثانية في قوله هل انت الا اصبع
الى اخره وقيل الضمير للقران اي وما يصح وما ينبغي ان يكون
القران شعرا فان قيل لم خص الشعر بنفي التعليم مع ان الكفار
كانوا ينسبون الى النبي صلى الله عليه وسلم اشيا من جملتها السحر
والكهانة ولم يقل وما علمناه السحر وما علمناه الكهانة اجيب
بان الكهانة انما كانوا ينسبون النبي صلى الله عليه وسلم اليها عند ما كان
يخبر عن الغيوب ويكون كما يقول واما السحر فكانوا ينسبون اليه ما كان
يفعل ما لا يقدر عليه الغير كشق القمر وتكلم الحجر والجذع وغير ذلك
واما الشعر فكانوا ينسبونه اليه عند ما كان يتلو القران عليهم لكنه
صلى الله عليه وسلم ما كان يتحدى الا بالقران كما قال تعالى ان كنتم في
ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله الى ذلك ولم يقل ان كنتم في
شك من رسالتي فاخبروا بالغيوب او اشبعوا الخلق الكثير بالشي اليسير
فلما كان تحديه صلى الله عليه وسلم بالكلام وكانوا ينسبونه الى
الشعر عند الكلام خص الشعر بنفي التعليم ولما نفى ان يكون ما اتى به من جنس
الشعر قال تعالى ان اي ما هو اي هذا الذي اتاكم به الا ذكر اي

شرف وموعظة وقران اي جامع للحكم كلها دنيا واخرى يتلى في المحاريب
ويكرر في المتعبدات وينال بتلاوته والعمل به فوز الدارين والنظر الى وجه
الله العظيم مبين اي ظاهر انه ليس من كلام البشر لما فيه من الاعجاز
قل ما اسألكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين ان هو الا ذكر
للعالمين كلهم ذكيهم وغبيهم بخلاف الشعر فانه مع نزوله عن بلاغته
جدا انما ذكر للاذكيا جدا وقوله تعالى لينذر راجع للنبي صلى الله عليه
وسلم ويدل له قراءة نافع وابن عامر بالتا الفوقية على الخطاب وقيل
للقران ويدل عليه قراءة الباقين بالياء التحتية على الغيبة واختلف
في قوله تعالى من كان حيا على قولين احدهما ان المراد به المومن لانه حي القلب
والكافر كالميت في انه لا يتدبر ولا يتفكر قال تعالى او من كان ميتا فاحييناه
والثاني المراد به العاقل فهما فيعقل ما يخاطب به فان الغافل كالميت
ويحق اي يجب ويثبت القول اي العذاب على الكافرين اي المعرقين
في الكفر فانهم اموات في الحقيقة وان رايتهم احيا ويمكن ان تكون هذه
الاية من الاحتباك حذف الايمان اولا لما دل عليه من ضده ثانيا وحذف
الموت ثانيا لما دل عليه من ضده اولا وافرد الضمير على الاول على اللفظ
اشارة الى قلة الشعرا وجمع في الثاني على المعنى اعلاما بكثرة الاشقيا
اولم يروا اي يعلموا علما هو كالروية والاستفهام للتقرير والواو الداخلة
عليها للعطف انا خلقنا لهم اي في جملة الناس مما عملت ايدينا اي
مما تولينا احداثه ولم يقدر على احداثه غيرنا وذكر الايدي واسناد العمل
اليها استعارة تفيد المبالغة في الاختصاص والتفرد في الاحداث كما
يقول القايل عملت هذا بيدي اذا انفرد به ولم يشاركه فيه احد
انعاما على علم منا بنواها ومقاديرها ومنافعها وطبايعها وغير ذلك من
امورها وانما خص الانعام بالذكر وان كانت الاشيا كلها من خلقه وايجاده
لان النعم اكثر اموال العرب والنفع بها اعم فهم لها مالكون اي خلقناها
لاجلهم فملكناهم اياها يتصرفون فيها تصرف الملاك او فهم لها ضابطون
قاهرون ومنه قول بعضهم

، اصبحت لا احمل السلاح ولا ، املك راس البعير ان نفرا ،
، والذيب اخشاه ان مررت به ، واخشى الرياح والمطرا ،

والشاهد في قوله ولا املك راس البعير اي لا اضبطه والمعنى
لم تخلق الانعام وحشية نافرة من بني ادم لا يقدرون على ضبطها
بل خلقناها مذللة كما قال تعالى وذللناها لهم اي صيرناها منقادة
ولو شئنا جعلناها وحشية كما جعلنا اصغر منها واضعف فمن قدر على
تذليل الاشيا الصعبة جدا العبرة قادر على تطويع الاشيا النفسه

ثم سبب عن ذلك قوله تعالى **فمنها ركوبهم** اي ما يركبون وهي الابل لانها اعظم
مركوباتهم لعموم منافعها في ذلك وكثرتها **ومنها ياكلون** اي ما ياكلون
لحمه ولما اشار الي عظمة نفع الركوب والاكل بتقديمهما وكانت منافعها
من غير ذلك كثيرة قال تعالى **ولهم فيها منافع** اي من اصوافها واوبارها
واشعارها وجلودها ونسلها وغير ذلك **ومشارب** اي من البانها جمع مشرب
بالفتح وخص الشرب من عموم المنافع بعموم نفعه وجمعه لاختلاف طعوم
انواع الالبان الثلاثة ولما كانت هذه الاشياء من العظمة بمكان لو فقدها
الانسان تكدرت معيشته سبب عنها استنكار الانكار عليهم في تخلفهم
عن طاعته بقوله تعالى **افلا يشكرون** اي المنعم عليهم بها فيؤمنون ولما ذكرهم
نعمه وحذرهم نقمه عجب منهم في سفول نظرهم وقبح اثرهم بقوله تعالى
موبخا لهم **واتخذوا من دونه** اي غير **الله** اي الذي له جميع صفات الكمال والعظمة
الهة اي اصناما يعبدونها بعد ما راوا منه تلك القدرة الباهرة والنعم
المتظاهرة وعلموا انه المنفرد بها **لعلهم ينصرون** اي رجاء ان ينصروهم فيما حزبهم
من الامور والامر بالعكس كما قال تعالى **لا يستطيعون** اي الالهة المتخذة
نصرهم اي العابدين **وهم** اي العابدون **لهم** اي الالهة **جند**
محضرون اي الكفار جند الاصنام فيغضبون لها ويحضرونها في الدنيا
وهي لا تسوق اليهم خيرا ولا تستطيع لهم نصرا وقيل هذا في الاخرة يوتى بكل معبود
من دون الله تعالى ومعه اتباعه الذين عبدوه كانهم جنده يحضرون في النار
وهذا كقوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقوله
تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم
الى صراط الجحيم ولما تبين من قدرته الظاهرة الباهرة ووهن امرهم
في الدنيا والاخرة ذكر ما يسلي نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى
فلا يحزنك قولهم اي في تكذيبك كقولهم لست مرسلا **انا نعلم ما** اي
كلما **يسرون** اي في ضمائرهم من التكذيب وغيره **وما يعلنون** اي يظهرون
بالسنتهم من الاذى وغيرها من عبادة الاصنام فنجازيهم عليه ولما
ذكر تعالى دليلا على عظم قدرته ووجوب عبادته بقوله تعالى اولم يروا
انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما ذكر دليلا من الانفس ابين من
الاول بقوله تعالى **اولم ير** اي يعلم **الانسان** علما هو في ظهوره
كالمحسوس بالبصر **انا خلقناه** بما لنا من العظمة **من نطفة** اي شي
يسير حقير من ماء لا انتفاع به بعد ابداعنا اباه من تراب وامه من لحم
وعظام **فاذا هو** اي فتسبب عن خلقنا له من ذلك المفاجاة لحالة
هي ابعد شي من حالة النطفة وهي انه **خصيم** اي بليغ الخصومة
مبين اي في غاية البيان عما يريد حتى انه ليجادل من اعطاه

العقل والقدرة في قدرته انشد الاستاذ القشيري في ذلك
اعلمه الرماية كل يوم • فلما اشتد ساعده رماني
وفي هذا تسلية ثانية بتهوين ما يقولونه بالنسبة الى انكارهم الحشر
وفيه تقبيح بليغ لانكاره حيث تعجب منه وجعله افراطا في الخصومة بينا
ومنافاة لجحود القدرة على ما هو اهون مما عمله في بدي خلقه ومقابلة النعمة
التي لا ... وهي خلقه من احسن شي واهانته شريفا مكرما له
بالعقوق والتكذيب **وضرب لنا** اي هذا الانسان **مثلا** اي امرا عجيبا
وهو نفي القدرة على احيا الموتى روي ان ابي بن خلف الجمحي وهو الذي
قتله النبي صلى الله عليه وسلم باحد مبارزة اتى النبي صلى الله
عليه وسلم بعظم بال يفتته بيده فقال اترى يحيي الله هذا بعد ما
رم فقال صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك النار فنزلت وقيل
هو العاصي بن وايل قال الجلال المحلي واكثر المفسرين على الاول
ونسي اي هذا الذي تصدى على مهانة اصله لمخاصمة الجبار **خلقه** اي بدء
امره من المني وهو اغرب من مثله والنسيان مما يحتمل ان يكون بمعنى الذهول
وان يكون بمعنى الترك ثم استانف الاخبار عن هذا المثل بان **قال من يحيي
العظام وهي رميم** اي صارت ترابا تمر مع الرياح ورميم قال البيضاوي
بمعنى فاعل من رم الشي صار اسما بالغلبة ولذلك لم يونث او اسم مفعول
من رممته وفيه دليل على ان العظم ذو حياة فيوثر فيه الموت كسائر الاعضا
انتهى وقال البغوي ولم يقل رميمة لانه معدول عن فاعلة فكل ما كان
معدولا عن وجهه ووزنه كان مصروفا عن اعرابه كقوله تعالى وما كانت
امك بغيا اسقط الهاء لانها مصروفة عن باغية تنبيه هذه الاية وما
بعدها الى اخرها اشارة الى بيان الحشر لان المنكرين للحشر منهم من لم يذكر فيه
دليلا ولا شبهة بل اكتفى بمجرد الاستبعاد وهم الاكثرون ائذا ضللنا في
الارض ائنا لفي خلق جديد ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما من يحيي العظام
وهي رميم فالوا ذلك على طريق الاستبعاد فابطل الله استبعادهم بقوله
ونسي خلقه اي نسينا انا خلقناه من تراب ومن نطفة متشابهة الاجزا
ثم جعلنا لهم من النواصي الى الاقدام اعضا مختلفة الصور وما اكتفينا
بذلك حتى اودعناهم ما ليس من قبيل هذه الاجرام وهو النطق والعقل
اللذين بهما استحقوا الاكرام فان كانوا يقنعون بمجرد الاستبعاد فهلا
يستبعدون خلق الناطق العاقل من نطفة مذرة لم تكن محلا للحياة اصلا
ويستبعدون اعادة النطق والعقل الى محل كانا فيه واختاروا العظم
بالذكر لانه ابعد عن الحياة لعدم الاحساس فيه ووصفوه بما يقوي
جانب الاستبعاد من البلى والتفتت والله تعالى دفع استبعادهم من جهة ما

في العدم من القدرة والعلم فقال ضرب لنا مثلا اي جعل قدرتنا كقدرتهم ونسي خلقه
العجيب وبداءه الغريب ومنهم من ذكر شبهة وان كان في اخرها يعود الي مجرد
الاستبعاد وهي على وجهين الاول انه بعد العدم لم يبق شيا فكيف على العدم
الحكم بالوجود فقال تعالى فاجاب عن هذه الشبهة بان قال تعالى لنبيه صلى الله عليه
وسلم قل اي لهولا البعدا البغضا يحييها اي بعد ان يبليها ثاني مرة
الذي انشاها اي من العدم ثم احياها اول مرة فكما خلق الانسان ولم
يكن شيا مذكورا كذلك يعيده وان لم يكن شيا مذكورا الوجه الثاني ان
من تفرقت اجزاوه في مشارق العالم ومغاربه وصار بعضها في ابدان السباع
وبعضها في حواصل الطيور وبعضها في جدران الربوع فكيف يجتمع وابعد من
هذا لو اكل انسان انسانا وصار اجزا الماكول في اجزا الاكل فان اعيدت
اجزا الاكل فلا يبقى للماكول اجزا تخلق منها اعضاوه واما ان تعاد
الى بدن الماكول فلا يبقى للاكل اجزاء اصلية واجزا فضلية وفي الماكول
كذلك فاذا اكل انسان انسانا صار الاصلي من اجزا الماكول فضلا من
اجزا الاكل والاجزا الاصلية للاكل هي ما كان قبل الاكل فاجاب الله تعالى
عن هذه الشبهة بقوله تعالى وهو بكل خلق اي مخلوق عليم اي يجمع الاصل
من الفضل فيجمع الاجزاء الاصلية للاكل ويجمع الاجزا الاصلية للماكول
وينفخ فيه روحه وكذلك يجمع اجزاءه المتفرقة في البقاع المتبددة بحكمته
وقدرته ثم انه تعالى عاد الى تقرير ما تقدم من دفع استبعادهم وابطال انكارهم
بقوله تعالى الذي جعل لكم اي في جملة الناس من الشجر الاخضر اي الذي تنشا مند
فيه الماء نارا قال ابن عباس هما شجرتان يقال لاحداهما المرخ والاخرى
العفار الاول بفتح الميم وسكون الرا والخا المعجمة شجر سريع الوري اي
القدح والثاني بفتح المهملة وفا ورا بعد الف الزند فمن اراد منهما النار
قطع منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الما فيسحق المرخ
وهو ذكر على العفار وهو انثى فتخرج منهما النار باذن الله تعالى وتقول
العرب في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار وقال الحكما في كل شجر نار الا
العناب فاذا انتم اي فتسبب عن ذلك مفاجاتكم لانه منه اي الشجر
الموصوف بالخضرة توقدون اي توجدون الايقاد وتجدد لكم ذلك اي
مرة بعد اخرى وهذا دال على القدرة على البعث فانه جمع فيه بين الما والنار
والخشب فلا الما يطفي النار ولا النار تحرق الخشب ثم ذكر ما هو اعظم
من خلق الانسان فقال تعالى اوليس الذي اي اوجد من العدم خلق
السموات والارض اي على كبرهما وعظم ما فيهما من المنافع والمصانع والعجائب
والبدايع واثبت الجار تحقيقا للامر وتصويرا تاكيدا للتقرير فقال بقادر
على ان يخلق مثلهم اي مثل هولاء الاناسي في الصغر اي بعيدهم

بلعيانهم

ل

باعيانهم وقيل الضمير يعود على السموات والارض لتضمنهم من يعقل والاول
اظهر لانهم المخاطبون وقوله تعالى بلى جواب ليس وان دخل عليها الاستفهام
المصير لها ايجابا اي هو قادر على ذلك اجاب نفسه تعالى وهو مع ذلك اي
مع كونه عالما بالخلق الخلاق اي الكثير الخلق العليم اي البالغ في العلم الذي
هو منشا القدرة فلا يخفى عليه كلي ولا جزئي في ماض ولا حال ولا مستقبل
شاهدا او غايب ولما تقرر ذلك انتج قوله تعالى موكدا لاجل انكارهم القدرة
على البعث انما امره اي شانه ووصفه اذا اراد شيا اي خلق شي من
جوهر او عرض اي شي ان يقول له كن اي ان يريده فيكون اي يحدث
وهو تمثيل لتاثير قدرته في مراده بامر المطاع للمطيع في حصول المامور
من غير امتناع وتوقف وافتقار الى مزاولة عمل واستعمال الة فقطع مادة
الشبهة وهو قياس قدرة الله على قدرة الخالق وقرا ابن عامر والكسائي
بنصب النون عطفا على يقول والباقون بالرفع اي فهو يكون ولما كان ذلك
تسبب عنه المبادرة الى تنزيهه تعالى عما ضربوه له من الامثال ولذلك
قال تعالى فسبحان اي تنزه عن كل شايبة نقص تنزها لا يبلغ افهام
كنهه وعدل عن الضمير الى وصف يدل على العظمة مطلقا الذي بيده اي
قدرته وتصرفه خاصة لا بيد غيره ملكوت كل شي اي ملكه التام
وملكه ظاهرا وباطنا ولما كان التقدير فمنه تبدوون عطف عليه قوله
تعالى واليه اي لا الى غيره ترجعون اي معنى في جميع اموركم وحسا
بالبعث لينصف بينكم فيدخل بعضا النار وبعضا الجنة وعن ابن
عباس كنت لا اعلم ما روي في فضل يس كيف خصت به فاذا به لهذه
الاية وما رواه البيضاوي عنه صلى الله عليه وسلم ان لكل شي قلبا
وقلب القران يس وايما مسلم قري عنده اذا نزل به ملك الموت
سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة املاك يقومون بين يديه
صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون دفنه وايما مسلم
قرا يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى
يجيئه رضوان بشربة من الجنة فيشربها وهو على فراشه فيقبض
روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من
حياض الانبيا حتى يدخل الجنة وهو ريان حديث موضوع وعن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة يس اصبح
مغفورا له وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من دخل المقابر فقرا سورة يس خفف الله عنهم يومئذ وكان له
بعدد من فيها حسنات وعن يحيى بن ابي كثير قال بلغنا ان من قرا يس
حين يصبح لم يزل في فرح حتى يمسي ومن قراها حين يمسي لم يزل في فرح حتى يصبح

مكم
غاية

سورة والصافات مكية وهي مائة واثنتان وثمانون آية

وثمانمائة وستون كلمة وثلاثة الاف وثمانمائة وستة وعشرون حرفا
بسم الله الذي له الكمال المطلق الرحمن الذي رحمته العدل في
الدارين الرحيم الذي لا يدنو من جنابه نقص واختلف في قوله تعالى
والصافات صفا اي وهو ترتيب الجمع على خط فقال ابن عباس
والحسن وقتادة هم الملئكة في السما يصفون كصفوف الخلق في الدنيا
للصلاة وعن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا تصفون كصفوف الملئكة عند ربهم قلنا وكيف تصف الملئكة عند
ربهم قال يتمون الصفوف المتقدمة ويتراصون في الصف وقيل
هي الملائكة تصف اجنحتها في الهوا واقفة حتى يامرهم الله تعالى بما يريد
وقيل هي الطير تصف اجنحتها في الهوا لقوله تعالى والطير صافات
واختلف ايضا في قوله تعالى فالزاجرات زجرا فاكثر المفسرين على انها
الملئكة تزجر السحاب وتسوقه وقال قتادة هي زواجر القرآن
تنهى وتزجر عن القبيح واختلف ايضا في قوله تعالى فالتاليات ذكرا
فالاكثر ايضا انهم الملئكة يتلون ذكر الله تعالى وهم جماعة قراء
القرآن فان قيل قال ابو مسلم الاصفهاني لا يجوز حمل هذه
الالفاظ على الملئكة لانها مشعرة بالتانيث والملئكة عن هذه
الصفة اجيب بوجهين الاول ان الصافات جمع الجمع فانه يقال
جماعة صافة ثم تجمع على صافات والثاني انهم مبرؤون من التانيث
المعنوي واما التانيث اللفظي فلا وكيف وهم يسمون بالملائكة
مع ان علامة التانيث حاصلة تنبيه اختلف الناس ههنا
في المقسم به على قولين احدهما ان المقسم به خالق هذه
الاشيا لنهيه صلى الله عليه وسلم عن الحلف بغير الله تعالى
ولان الحاجة في مثل هذا الموضع تعظيم المحلوف به ومثل هذا
التعظيم لا يليق الا بالله تعالى فعلى ذلك اضمار تقديره ورب الصافات
والزاجرات والتاليات ومما يوكد هذا انه تعالى صرح به
في قوله تعالى والسما وما بناها والارض وما طحاها ونفس
وما سواها والثاني وعليه الاكثر ان المقسم به هذه الاشيا
لظاهر اللفظ فالعدول عنه خلاف الدليل واما النهي عن الحلف
بغير الله تعالى فهو نهي للمخلوق عن ذلك واما قوله تعالى والسما وما بناها
فانه علق لفظ المقسم بالسما عطف عليه القسم بالباني
للسما ولو كان القسم بالسما القسم بمن بنا السما لزم التكرار المراد

في موضع

في موضع واحد وهو لا يجوز وايضا لا يبعد ان تكون الحكمة في قسم
الله تعالى بهذه الاشيا التنبيه على شرف ذواتها وقال البيضاوي
اقسم بالملائكة الصافين في مقام العبودية على مراتب باعتبارها
تفيض عليهم انوار الالهية منتظرين لامر الله الزاجرين الاجرام
العلوية والسفلية بالتدبير المامور فيها او الناس عن المعاصي
بالهام الخير والشياطين عن التعرض لهم التالين ايات الله
وجلايا قدسه على انبيايه واوليايه او بطوايف الاجرام المرتبة
كالصفوف المرصوصة والارواح المدبرة لها والجواهر القدسية
المستغرقة في بحار القدس يسبحون الليل والنهار لا يفترون ت
وبنفوس العلما الصافين في العبادات الزاجرين عن الكفر والفسوق
بالحجج والنصايح التالين ايات الله وشرايعه او بنفوس الغزاة
الصافين في الجهاد الزاجرين الخيل والعدو التالين ذكر الله لا
يشغلهم مبارات العدو وقال الزمخشري العاطف فالزاجرا
والتاليات اما ان تدل على ترتيب معانيها في الوجود كقوله
يا لهف زيابة للحارث ۝ الصابح فالغانم فالايب ۝
اي الذي صبح فغنم فاب واما على ترتيبها في التفاوت من بعض
الوجوه كقولك خذ الافضل فالاكمل واعمل الاحسن فالاجمل
واما على ترتيب موصوفاتها كقولك رحم الله المحلقين فالمقصرين
والبيضاوي ذكر هذا حديثا قال شيخنا القاضي زكريا
لم اره بهذا اللفظ انتهى لكنه لفضل المتقدم على المتاخر
وهذا للعكس وقرا ابو عمرو وحمزة بالادغام فيما ذكر والباقون
بالاظهار والبا قون جواب القسم ان الهكم اي الذي تخذتم من
دونه الهة لواحد اي لو لم يكن واحدا لاختل هذا الاصطفاف
والزجر والتلاوة وما يترتب عليها فكان غير حكيم فان قيل ذكر
الحلف في هذا الموضع غير لايق وبيانه من وجهين الاول ان المقصود
من هذا القسم اما اثبات هذا المطلوب عند المومن والكافر
فالاول باطل لان المومن مقر به من غير حلف والثاني باطل ايضا
لان الكافر لا يقربه سوا الحلف ام لم يحصل فهذا الحلف عديم
الفايدة على كل تقدير الثاني انه يقال اقسم في اول هذه السورة
على ان الاله واحد واقسم في اول سورة الذاريات على ان القيامة
حق فقال والذاريات ذروا الى قوله انما توعدون لصادق وان
الدين لواقع واثبات هذه المطالب العالية الشريفة على الجاحدين
من الدهريين وامثالهم بالحلف لا يليق بالعقلا اجيب

سوا حصل الحلف صح

مه

عن ذلك باوجه اولها انه تعالى قرر التوحيد وصحة البعث والقيامة
في غاية الستور بالدلائل اليقينية فلما تقدم ذكر تلك الدلائل
لم يبعد تقريرها بذكر القسم تاكيدا لما تقدم لاسيما والقران
انزل بلغة العرب واثبات المطالب بالحلف واليمين طريقة مالوفة
عند العرب ثانيها ان المقصود من هذا الكلام الرد على عبدة الاصنام
في قولهم بانها الهة فكانه قيل ان هذا المذهب قد بلغ في السقوط
والركاكة الى حيث يكفي في ابطاله مثل هذه الحجة ثالثها انه تعالى
لما اقسم بهذه الاشيا على صحة قوله تعالى ان الهكم لواحد عقبه
بما هو الدليل اليقيني في كون الاله واحدا وهو قوله تعالى **رب** اي
موجد ومالك وملك ومدبر **السموات** اي الاجرام العالية **والارض**
اي الاجرام السافلة **وما بينهما** اي الفضا المشحون بما يعجز عن
عده القوي وذلك لانه تعالى بين في قوله تعالى لو كان فيهما الهة
الا الله لفسدتا ان انتظام احوال السموات والارض يدل على
ان الاله واحد فههنا لما قال ان الهكم لواحد اردفه بقوله رب
السموات والارض وما بينهما كانه قيل بينا ان النظر في انتظام
هذا العالم يدل على ان الاله واحد فتاملوا ليحصل لكم العلم بالتوحيد
تنبيه علم من قوله تعالى وما بينهما انه تعالى خالق لاعمال العباد لان
اعمالهم موجودة فيما بين السما والارض وهذه الاية دلت على ان
كل ما حصل بين السماء والارض فالله ربه ومالكه وهذا يدل على
ان فعل العبد مخلوق لله تعالى فان قيل الاعراض لا يصح وصفها بانها
حصلت بين السما والارض لان هذا الوصف انما كان حاصلا في حيز
وجهة والاعراض ليست كذلك اجيب بانها لما كانت حاصلة في
الاجسام الحاصلة بين السما والارض فهي ايضا حاصلة بين السموات
والارض **ورب المشارق** اي والمغارب وجمعها باعتبار جميع السنة
فان الله تعالى خلق للشمس ثلثماية وستين كوة في المشرق وثلثماية
وستين كوة في المغرب على عدد ايام السنة تطلع الشمس كل يوم
من كوة منها وتغرب في كوة منها لا ترجع الى الكوة التي تطلع منها الى ذلك
اليوم من العام المقبل وقيل كل موضع شرقت عليه الشمس فهو مشرق
وكل موضع غربت عليه فهو مغرب كانه اراد جميع ما شرقت عليه
الشمس فهو مشرق وغربت عليه فهو مغرب وقيل المراد بالمشارق
مشارق الكواكب ومغاربها لان لكل كوكب مشرقا ومغربا فان قيل
ان الله تعالى قال في موضع رب المشرق والمغرب وقال في موضع اخر
رب المشرقين ورب المغربين فما الجمع بين هذه المواضع اجيب

حصل بخلق الله تعالى

بان المراد

٢١٦

بان المراد بقوله رب المشرق والمغرب الجهة فالمشرق جهة والمغرب جهة
وبقوله تعالى رب المشرقين ورب المغربين مشرق الشتا والصيف
ومغرب الشتا والصيف واما موضع الجمع فتقدم فان قيل لم
اكتفى بذكر المشارق اجيب بوجهين الاول انه اكتفى به كقوله
تعالى تقيكم الحر والثاني ان الشروق اقوى حالا من الغروب واكثر نفعا فيه
فذكر المشرق تنبيها على كثرة احسان الله تعالى على عباده ولهذه الدقيقة
استدل ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام بقوله ان الله ياتي بالشمس
من المشرق فات بها من المغرب **انا زينا** اي بعظمتنا التي لا تدانى
السماء ولما كانوا لا يرون الا ما يليهم من السموات وكانت زينة
النجوم ظاهرة فيها قال تعالى **الدنيا** التي هي ادنى السموات اليكم
بزينة الكواكب اي بضوئها كما قاله ابن عباس او بها وقرا حمزة وعاصم
بزينة بالتنوين والباقون بغير تنوين والاضافة للبيان كقراءة تنوين
بزينة المبينة للكواكب ونصب ابو بكر الكواكب شعبة وكسرها
الباقون فان قيل قد سبق في علم الهيئة ان هذه الكواكب الثوابت
مركوزة في الكرة الثامنة وان السيارات مركوزة في الكرات الستة
المحيطة بسما الدنيا فكيف يصح قوله تعالى انا زينا السما الدنيا بزينة الكواكب
اجيب بان الناس الساكنين على سطح كرة الارض اذا نظروا الى السما
الدنيا فانهم يشاهدونها مزينة بهذه الكواكب فصح قوله تعالى انا زينا
السما الدنيا بزينة الكواكب وقوله تعالى **وحفظا** منصوب بفعل مقدر
اي حفظناها بالشهب او معطوف على زينة باعتبار المعنى كانه قال
انا خلقنا الكواكب زينة للسما الدنيا وحفظا **من كل شيطان** اي بعيد عن
الخير محترق **مارد** اي عات خارج عن الطاعة ولما تشوف
السامع الى معرفة هذا الحفظ وثمرته وبيان كيفيته استانف
قوله تعالى **لا يسمعون** اي الشياطين المفهومون من كل شيطان **الى
الملا الاعلى** اي الملائكة او اشرافهم في السما وعدي السماع بالى لتضمنه
معنى الاصغا مبالغة لنفيه وتهويلا لما يمنعهم عنه ويدل عليه قراءة
حمزة والكسائي وحفص بفتح السين وتشديدها وتشديد الميم
من التسمع وهو طلب السماع وقرا الباقون بسكون السين وفتح الميم
مخففة **ويقذفون** اي الشياطين يرمون بالشهب **من كل جانب** اي
من افاق السما وقوله تعالى **دحورا** مصدر دحره اي طرده وابعده
وهو مفعول له وقيل هو جمع داحر نحو قاعد وقعود فيكون حالا
بنفسه من غير تاويل وغير ذلك **ولهم** اي في الاخرة **عذاب** غير هذا
واصب اي دائم وقال مقاتل دائم في الدنيا الى النفخة الاولى

كب

وقوله تعالى الا من خطف فيه وجهان احدهما انه مرفوع المحل بدلا من ضمير لا يسمعون وهو احسن لانه غير موجب والثاني انه منصوب على اصل الاستثنا والمعنى ان الشياطين لا يسمعون الملائكة الا من خطف وقوله تعالى الخطفة مصدر معرف بال الجنسية او المعرفة ومعنى اختطف اختلس الكلمة من كلام الملائكة مسارقة فاتبعه اي لحقه شهاب اي كوكب ثاقب اي مضيء قوي لا يخطئه يقتله او يحرقه او يثقبه او يخبله تنبيه ههنا سؤالات اولها ان هذه الشهب التي يرمى بها هل هي من الكواكب التي زين الله السما بها ام لا والاول باطل لانها تبطل وتضمحل فلو كانت تلك الشهب تلك الكواكب الحقيقية لوجب ان يظهر نقصان كثير في اعداد كواكب السما ولم يوجد ذلك فان اعداد كواكب السما باقية لم تتغير البتة وايضا فجعلها رجوما للشياطين مما يوجب وقوع النقصان في زينة الدنيا فكان الجمع بين هذين المقصودين كالمتناقض وان كان هذه الشهب جنسا اخر غير الكواكب المركوزة في الفلك فهو ايضا مشكل لانه تعالى قال في سورة الملك ولقد زينا السما الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فالضمير في قوله وجعلناها عائد على المصابيح فوجب ان تكون تلك المصابيح هي الرجوم باعيانها ثانيها كيف يجوز ان تذهب الشياطين حيث يعلمون ان الشهب تحرقهم ولا يصلون الى مقصودهم البتة وهل يمكن ان يصدر هذا الفعل من عاقل فكيف من الشياطين الذين لهم مزية في معرفة الحيل الدقيقة ثالثها دلت التواريخ المتواترة على ان حدوث الشهب كان حاصلا قبل مجيء النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك قال الحكما الذين كانوا موجودين قبل مجيء النبي صلى الله عليه وسلم بزمان طويل ذكروا ذلك وتكلموا في سبب حدوثه واذا ثبت ان ذلك كان موجودا قبل مجيء النبي صلى الله عليه وسلم امتنع حمله على مجيء النبي صلى الله عليه وسلم رابعها الشيطان مخلوق من النار كما حكى عن قول ابليس لعنه الله خلقتني من نار وقال تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم ولهذا السبب يقدر على الصعود الى السموات واذا كان كذلك فكيف يعقل احراق النار بالنار اجيب عن الاول بان هذه الشهب غير تلك الكواكب الثابتة واما قوله تعالى واما قوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فنقول كل نير يحصل في الجو العالي فهو مصباح لاهل الارض الا ان تلك المصابيح منها باقية على وجه الدهر امنة من التغير والفساد ومنها ما لا يكون كذلك وهي هذه الشهب التي يحدثها الله تعالى ويجعلها رجوما للشياطين

الجن

الجن يعلمون وبها يزول الاشكال وعن الثاني بان هذه الواقعة انما تتفق في الندرة فلعلها لا تشتهر بسبب ندرتها بين الشياطين واجاب ابو علي الجبائي بان حصول هذه الحالة ليس له موضع معين والا لم يذهبوا اليه وانما يمنعون من المصير الى موضع الملائكة ومواضعها مختلفة فربما صاروا الى موضع تصيبهم الشهب وربما صاروا الى غيره ولا صادفوا الملائكة ولا تصيبهم الشهب فلما هلكوا في بعض الاوقات وسلموا في بعض الاوقات جاز ان يصيروا الى مواضع تغلب على ظنونهم انهم لا تصيبهم الشهب فيها كما يجوز فيمن سلك البحار ان يسلكه في موضع يغلب على ظنه حصول النجاة وفي جواب ابي علي نظر اذ ليس في السما موضع قدم الا وفيه ملك قائم او راكع او ساجد وعن الثالث بان الاقرب ان هذه الحالة كانت موجودة قبل النبي صلى الله عليه وسلم لكنها كثرت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم بسبب الكثرة معجزة وعن الرابع بان الشياطين ليسوا من نار خالصة وعلى التنزل بانهم من النيران الخالصة الا انها نار ضعيفة ونيران الشهب اقوى حالا منهم لا جرم صار الاقوى مبطلا للاضعف الا ترى ان السراج الضعيف اذا وضع في النار القوية فانه ينطفي فكذلك ههنا لما كان المقصود الاعظم من القران اثبات الاصول الاربعة وهي الالهيات والمعاد والنبوة واثبات القضا والقدر افتتح الله هذه السورة باثبات ما يدل على الصانع وعلى علمه وقدرته وحكمته ووحدانيته وهو خالق السموات والارض وما بينهما ورب المشارق والمغارب ثم فرع عليها اثبات الحشر والنشر والقيامة وهو ان من قدر عليها على ما هو اشق واصعب وجب ان يقدر على ما هو دونه وهو قوله تعالى فاستفتهم اي سل كفار مكة ان يفتوك بان يبينوا لك ما نشا لهم عنه من انكارهم البعث واصله من الفتوة وهو الكرم ام اشد اي اقوى واشق واصعب خلقا اي من جهة احكام الصنعة وقوتها وعظمها ام من خلقنا اي من الملائكة والسموات والارض وما بينهما ورب المشارق والكواكب والشهب الثواقب تنبيه في الاتيان بمن تغليب للعقلاء وهو استفهام بمعنى التقرير اي هذه الاشيا اشد خلقا كقوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقوله تعالى انتم اشد خلقا ام السماء بناها وقيل معنى ام من خلقنا اي من الامم الماضية لان من يذكر لمن يعقل والمعنى ان هولا ليسوا باحكم خلقا من غيرهم من الامم الخالية وقد اهلكناهم بذنوبهم فما الذي يومن هولاء من العذاب انا خلقناهم اي اصلهم ادم بعضهم من طين لازب اي تراب رخو مهين لازب

اي شديد اختلاط بعضه ببعض فالبصق وخمر بحيث يعلق باليد ومعناه
اللازم ابدل الميم با كانه يلزم اليد وقال مجاهد والضحاك منتن فهو
مخلوق من تراب ولا امر وقرا حمزة والكسائي بل عجبت بضم التاء والباقون
بفتحها اما بالضم فباسناد التعجب الى الله تعالى وليس هو كالتعجب من
الادميين كما قال تعالى فيسخرون منهم سخر الله منهم وقال تعالى نسوا الله
فنسيهم فالعجب من الادميين انكاره وتعظيمه والعجب من الله قد يكون
بمعنى الانكار والذم وقد يكون بمعنى الاستحسان والرضا كما جاء في الخبر
عجب ربكم من شاب ليست له صبوة وفي حديث اخر عجب ربكم من إلّكم
وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم قوله من إلّكم الإلّ اشد القنوط
وقيل هو رفع الصوت بالبكا وسئل الجنيد عن هذه الاية فقال ان الله
تعالى لا يعجب من شي ولكن وافق رسوله صلى الله عليه وسلم فلما عجب رسوله
قال وان تعجب فعجب قولهم اي هو كما تقوله واما بالفتح فعلى انه خطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم اي عجبت من تكذيبهم اياك ويسخرون اي
وهم يسخرون من تعجبك قال قتادة عجب نبي الله صلى الله عليه وسلم
من هذا القران حين انزل وضلال بني ادم وذلك ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يظن ان كل من سمع القران يومن به فلما سمع المشركون القران
سخروا منه ولم يومنوا به تعجب من ذلك النبي صلى الله عليه وسلم
فقال تعالى بل عجبت ويسخرون واذا ذكروا اي وعظوا بالقران لا يذكرون
لا يتعظون واذا راوا اية قال ابن عباس وقتادة يعني انشقاق القمر
يستسخرون اي يستهزون بها وقيل يستدعي بعضهم من بعض السخرية
وقالوا ان اي ما هذا الا سحر مبين اي ظاهر في نفسه ومظهر لسحريته ثم
خصوا البعث بالانكار اعلاما بانه اعظم مقصود بالنسبة الى السحر
فقالوا مظهرين له في مظهر الانكار ايذا متنا وعطفوا عليه ما هو موجب
عندهم لشدة الانكار فقالوا وكنا اي كونا في غاية التمكن ترابا وقدموه
لانه ادل على مرادهم لانه ابعد عن الحياة وعظاما كانهم جعلوا الكل واحد
من الموت والكون الى الترابية المحضة والعظامية المحضة او المخلطة
وانما تحاموا البعث هذا بعد اعترافهم بان ابتداء خلقهم كان من التراب
ثم كرروا الاستفهام الانكاري على قراءة من قرا به كما سياتي بيانه زيادة
في الانكار فقالوا انا لمبعوثون وقولهم او اباونا الاولون عطف على محل
ان واسمها او على الضمير في مبعوثون فانه مفصول عنه بهمزة الاستفهام
لزيادة الاستبعاد لبعد زمانهم وهذا بيان للسبب الذي حملهم على الاستهزا
بجميع المعجزات وهو اعتقادهم ان من مات وتفرقت اجزاوه في العالم
فما فيه من الارض اختلط بالارض وما فيه من المائية والهوائية اختلط

بخارات العالم فهذا الانسان كيف يعقل عوده بعينه حيا ثم انه تعالى لما حكى
عنهم هذه الشبهة قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل اي لهولاء
البعداء البغضاء نعم اي تبعثون على كل تقدير قدرتموه وانتم داخرون اي
مكرهون عليه صاغرون ذليلون وانما اكتفى تعالى بهذا القدر من الجواب لانه
ذكر في الاية المتقدمة البرهان القطعي على انه امر ممكن واذا ثبت الجواز به
القطعي فلا سبيل الى القطع بالوقوع الا باخبار المخبر الصادق فلما قامت المعجزة
على صدق محمد صلى الله عليه وسلم كان واجب الصدق فكان مجرد قوله
نعم دليلا قاطعا على الوقوع وقرا متنا بضم الميم ابن كثير وابو عمرو وابن عامر
وشعبة وكسرها الباقون واما ايذا وايذا فقرا نافع والكسائي بالاستفهام
في الاول والخبر في الثاني وابن عامر بالخبر في الاول والاستفهام في الثاني
والباقون بالاستفهام فيهما وسهل الثانية في الاستفهام الفا بين الهمزتين
قالون وابو عمرو وهشام والباقون بغير ادخال وقرا قالون وابن عامر او
اباونا بسكون الواو على انها او العاطفة المقتضية للشك والباقون
بفتحها على انها همزة الاستفهام دخلت على واو العطف وقرا الكسائي نعم
بكسر العين وهو لغة فيه وقوله تعالى فانما هي زجرة واحدة جواب شرط
مقدر اي اذا كان كذلك فانما البعثة زجرة اي صيحة واحدة هي النفخة
الثانية من زجر الراعي نعمه اذا صاح عليها وامرها في الاعادة كامر كن
في الابتدا ولذلك رتب عليها فاذا هم ينظرون اي احيا في الحال من غير مهلة
ينظر بعضهم الى بعض وقيل ينتظرون ما يحدث لهم او ينظرون الى البعث
الذي كذبوا به ولا فرق بين من صار كله ترابا ومن لم يتغير اصلا وما هو بين
ذلك قال البقاعي ولعله خص النظر بالذكر لانه لا يكون الا مع كمال
الحياة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اذا قبض الروح تبعه البصر
واما السمع فقد يكون لغير الحي لانه صلى الله عليه وسلم قال في الكفار من
قتلى بدر ما انتم باسمع لما اقول منهم قال وشاهدت انا في بلاد الفرنج
المجاورة لنابلس شجرة لها شوك يقال لها الغبيرا متى قيل عندها هات
لي المنجل لاقطع هذه الشجرة اخذ ورقها في الحال في الذبول فالله اعلم ما
سبب ذلك انتهى تنبيه لا اثر للصيحة في الموت ولا في الحياة بل خالق
الموت والحياة هو الله تعالى قال الله تعالى الذي خلق الموت والحياة روي
ان الله تعالى يامر اسرافيل فينادي ايها العظام النخرة والجلود البالية
والاجزا المتفرقة اجتمعوا باذن الله تعالى وقالوا اي كل من جمعه البعث
من الكفرة بعد القيام من القبور معلنين بما انكشف لهم من انه لا ملازم
لهم غير الويل يا ويلنا اي هلاكنا وهو مصدر لا فعل له من لفظه وقال
الزجاج الويل كلمة يقولها القايل وقت الهلكة وتقول لهم الملايكة

نافع وابن كثير وابو عمرو
وحقق الباقون وادخل
في الاستفهام

هذا يوم الدين اي الحساب والجزا هذا يوم الفصل اي بين الخلايق الذي
كنتم به تكذبون وقيل ايضا هو من كلام بعضهم لبعض وقوله تعالى
احشروا اي اجمعوا بكره وصغار الذين ظلموا اي ظلموا انفسهم
بالشرك امر الله تعالى الملايكة وقيل امر بعضهم لبعض اي احشروا
الظلمة من مقامهم الي الموقف وقيل منه الي جهنم وازواجهم اي
واشباههم عابد والصنم مع عبدة الصنم وعابدوا الكوكب مع
عبدته كقوله تعالى وكنتم ازواجا ثلاثة اي اشكالا واشباها وقال
الحسن وازواجهم المشركات وقال الضحاك ومقاتل قرناهم من
الشياطين وعلي هذا اقتصر الجلال المحلي اي يقرن كل كافر
مع شيطانه في سلسلة وما كانوا يعبدون من دون الله اي غيره في الدنيا من
الاوثان والطواغيت زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم ومثل الاوثان الذين
رضوا بعبادتهم لهم فلم ينكروا عليهم ذلك ويامروهم بعبادة الله تعالى
الذي تفرد بنعوت العظمة وصفات الكمال وقال مقاتل يعني ابليس
وجنوده واحتج بقوله تعالى ان لا تعبدوا الشيطان فاهدوهم الي صراط الجحيم
قال ابن عباس دلوهم الي طريق النار وقال ابن كيسان قدموهم قال
البغوي والعرب تسمي السابق هاديا قال الواحدي وهذا وهم
لانه يقال هدي اذا تقدم ومنه الهادية والهوادي وهاديات الوحش
ولا يقال هدي بمعني قدم وقفوهم اي احبسوهم قال البغوي
قال المفسرون لما سيقوا الي النار حبسوا عند الصراط فقيل
وقفوهم انهم مسؤلون قال ابن عباس عن جميع اقوالهم وافعالهم
وروي عنه عن لا اله الا الله وقيل تسالهم الخزنة الم ياتكم نذر رسل
منكم رسل جاوا بالبينات قالوا بلي ولكن حقت كلمة العذاب علي الكافرين
وروي عن ابي برزة الاسلمي قال لا تزول قدم عبد يوم القيمة حتى يسئل
عن اربع عن عمره فيما افناه وعلمه ماذا عمل به وعن عمله من اين اكتسبه
وفيما انفقه وعن جسمه فيما ابلاه وفي رواية وعن شبابه فيما ابلاه وعن
انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من داع دعا الي شي الا كان موقوفا
يوم القيمة لازما به وان دعا رجل رجلا ثم قرا وقفوهم انهم مسؤلون
ويقال لهم توبيخا ما لكم اي اي شي حاصل لكم تنصرون والهاكم حال كونكم لا
تناصرون وقيل يقال للكفار قال ابن عباس لا ينصر بعضكم بعضا
كما كنتم في الدنيا وذلك ان ابا جهل قال يوم بدر نحن جميع منتصر فقيل لهم
يوم القيمة ما لكم لا تناصرون وقيل يقال للكفار ما لشركايكم لا يمنعونكم
من العذاب ويدفعون عنكم بل هم اليوم مستسلمون قال ابن عباس خاضعون
وقال الحسن منقادون يقال استسلم للشي اذا انقاد له وخضع

والمعني

والمعني هم الذين لا يتعادون لا حيلة لهم في دفع تلك المضار ولما اخبر تعالى
عنهم بانهم سيسئلوا فلم يجيبوا ربما كان يظن انهم خرسوا فنبه على انهم
يتكلمون بما يزيد تكذيبهم فقال عاطفا علي قوله تعالى وقالوا يا ويلنا
واقبل بعضهم اي الذين ظلموا علي بعض اي بعد افاقتهم وتوبيخهم
وعجزهم عن خصامهم تهكما بهم بقوله تعالى يتساءلون اي يتلاومون
ويتخاصمون قالوا اي الاتباع منهم للمتبوعين انكم كنتم تاتوننا عن اليمين
قال الضحاك اي من قبل الدين فتضلوننا عنه وقال مجاهد عن
الصراط الحق واليمين عبارة عن الدين والحق كما اخبر الله تعالى عن ابليس
لعنه الله تعالى ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمايلهم
فمن اتاه الشيطان من قبل اليمين اتاه من قبل الدين فلبس عليه الحق
واليمين ههنا استعارة عن الخيرات والسعادات لان الجانب الايمن
افضل من الجانب الايسر قال ابن عادل اجماعا ولا يباشر الاعمال
الشريفة الا باليمين ويتفالون بالجانب الايسر وكان صلى الله عليه
وسلم يحب التيامن في شانه كله وكاتب الحسنات من الملايكة علي اليمين
ووعد الله تعالى المحسن انه يعطيه الكتاب باليمين وقيل ان الرؤساء كانوا
يحلفون للمستضعفين ان ما يدعونهم اليه هو الحق فوثقوا بايمانهم
وقيل عن اليمين عن القوة والقدرة كقوله تعالى لاخذنا منه باليمين
قالوا اي المتبوعون لهم بل لم تكونوا مؤمنين اي وانما يصرف
الاضلال منا ان لو كنتم مومنين فرجعتم عن الايمان الينا وانما الكفر من
قبلكم وما كان لنا عليكم من سلطان اي قوة وقدرة حتى نقهركم ونجبركم الي
متابعتنا بل كنتم قوما طاغين اي ضالين مثلنا فحق اي وجب علينا
جميعا قول ربنا اي كلمة العذاب وهو قوله تعالى لاملان جهنم من
الجنة والناس اجمعين انا اي جميعا لذايقون اي العذاب بذلك
القول ونشا عنه قولهم فاغويناكم اي فاضللناكم عن الهدى
ودعوناكم الي ما كنا عليه انا كنا غاوين اي ضالين فاحببتم ان تكونوا امثالنا
وفيه ايما بان غوايتهم في الحقيقة ليست من قبلهم اذ لو كان كل غواية
لاغواء غاو فمن اغواهم قال الله تعالى فانهم اي المتبوعين والاتباع يومئذ
اي يوم القيمة في العذاب مشتركون اي كما كانوا مشتركين في الغواية
انا اي بما لنا من العظمة والقدرة كذلك اي كما نفعل بهولاء نفعل
بالمجرمين اي غير هولاء اي نعذبهم التابع منهم والمتبوع ثم وصفهم
تعالى بقوله سبحانه انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون اي يتكبرون
عن كلمة التوحيد او عن من يدعوهم اليها ويقولون ائنا في الهمزتين
ما مر لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم

ثم اراد الله تعالى اكذبهم في ذلك الكلام في قوله تعالى بل جاء بالحق اي الدين الحق وصدق المرسلين اي صدقهم في مجيئهم بالتوحيد فانه نما اتي به المرسلون قبله ثم التفت من الغيبة الى الحضور فقال انكم لذائقوا العذاب الاليم كانه قيل فكيف يليق بالرحيم الكريم المتعالي الغني عن الضر والنفع ان يعذب عباده فاجاب بقوله تعالى وما تجزون الا ما كنتم تعملون اي جزاء عملكم وقوله تعالى الا عباد الله المخلصين اي المومنين استثناء منقطع وقرا نافع والكوفيون بفتح اللام بعد الخاء اي ان الله تعالى اخلصهم واصطفاهم بفضله والباقون بالكسر اي انهم اخلصوا الطاعة لله تعالى وقوله تعالى اولئك لهم اي في الجنة رزق معلوم اي بكرة وعشيا بيان لحالهم وان لم يكن ثم بكرة ولا عشية فيكون المراد منه معلوم الوقت وهو مقدار غدوة او عشية وقيل معلوم الصفة اي مخصوص بصفات من طيب طعم ولذة وحسن منظر وقيل معناه انهم يتيقنون دوامه لا كرزق الدنيا التي لا يعلم متى يحصل ومتى ينقطع وقيل معلوم القدر الذي يستحقونه باعمالهم من ثواب الله تعالى وقوله تعالى فواكه يجوز ان يكون بدلا من رزق وان يكون خبر مبتدا مضمر اي ذلك الرزق فواكه وفي الفواكه جمع فاكهة قولان احدهما انها عبارة عما يوكل للتلذذ لا للحاجة وارزاق اهل الجنة كلها فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات فان اجسامهم محكومة مخلوقة للابد فكل ما ياكلونه فعلى سبيل التلذذ والثاني ان المقصود بذكر الفاكهة التنبيه بالادنى على الاعلى اي لما كانت الفاكهة حاضرة ابدا كان الماكول اولى بالغذاء اولي بالحضور وهم مكرمون اي في نيله يصل اليهم من غير تعب وسؤال لا كما عليه رزق الدنيا ولما ذكر ماكلهم ذكر مسكنهم بقوله تعالى في جنات النعيم اي في جنات ليس فيها الا النعيم وهو متعلق بمكرمون او خبر ثان لاولئك او حال من المستكن في مكرمون وقوله تعالى على سرر متقابلين اي لا يرى بعضهم قفا بعض حال ويجوز ان يتعلق على سرر بمتقابلين ولما ذكر تعالى الماكل والمسكن ذكر بعد ذلك صفة المشرب بقوله تعالى يطاف عليهم اي على كل منهم بكاس اي باناء فيه خمر فهو اسم للاناء بشرابه فلا يكون كاسا حتى يكون فيه شراب والا فهو اناء وقيل المراد بالكاس الخمر كقول الشاعر

وكاس شربت على لذة ۔ واخري تداويت منها بها

اي رب كاس شربت لطلب اللذة وكاس شربت للتداوي من خمارها والكاس مونثة كما قاله الجوهري وقوله تعالى من معين اي من شراب معين ماخوذ من عين الماء اي يخرج من العيون كما يخرج الماء وسمي عينا لظهوره

يقال

يقال عان الماء اذا ظهر جاريا وقوله تعالى بيضاء اي اشد بياضا من اللبن قال الحسن صفة لكاس وقال صفة للكاس او للخمر واعترض بان الخمر لم يذكر واجيب عنه بان الكاس انما سميت كاسا اذا كان فيها الخمر وقوله تعالى لذة صفة ايضا وصفت بالمصدر مبالغة كانها نفس اللذة وعينها كما يقال فلان جود وكرم اذا ارادوا المبالغة وقال الزجاج او على حذف المضاف اي ذات لذة وقوله تعالى للشاربين اي بخلاف خمر الدنيا فانها كريهة عند الشرب صفة للذة وقال الليث اللذة واللذيذة يجريان مجرى واحد في النعت يقال شراب لذ ولذيذ وقوله تعالى لا فيها غول صفة ايضا واختلف في الغول فقال الشعبي لا تغتال عقولهم فتذهب بها وقال الكلبي معناه الاثم اي لا اثم فيها وقال قتادة وجع البطن وقال الحسن الصداع وقال اهل المعاني الغول فساد يلحق في خفاء يقال اغتاله اغتيالا اذا افسد عليه امره في خفية وخمر الدنيا يحصل منها انواع من الفساد منها السكر وذهاب العقل ووجع البطن والصداع والقيء والبول ولا يوجد شي من ذلك في خمر الجنة ولا هم عنها ينزفون اي يسكرون وقرا حمزة والكسائي بكسر الزاي من انزف الشارب اذا انزف عقله والباقون بفتحها من نزف الشارب فهو نزيف اذا ذهب عقله افرده بالذكر وعطفه على ما يعمه لانه من عظم فساده كانه جنس براسه ولما ذكر تعالى صفة مشربهم ذكر عفة صفة منكوحهم بقوله تعالى وعندهم قاصرات الطرف اي حابسات الاعين غاضات الجفون قصرن ابصارهن على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم لحسنهم عندهن وقوله تعالى عين جمع عيناء وهي الواسعة العين والذكر اعين قال الزجاج كبار الاعين حسانها يقال رجل اعين وامراة عيناء ونساء عين كانهن اي في اللون بيض اي للنعام مكنون اي مستور بريشه لا يصل اليه غبار ولونه وهو بياض في صفرة يقال هذا احسن الوان النساء تكون المراة بيضاء مشربة بصفرة قال ذو الرمة

بيضاء في نزج صفراء في غنج ۔ كانها فضة قد مسها ذهب

قال المبرد والعرب تشبه المراة الناعمة في بياضها وحسن لونها ببيضة النعامة وقال بعضهم انما شبهت المراة بها في اجزائها فان البيضة من اي جهة اتيتها كانت في راي شبيهة بالاخرى وهو في غاية المدح وقد لحظ هذا بعض الشعراء فقال

تناسب الاعضاء فيها فلا ۔ ...

بنيها وعفو والمطي كانها ۔ قطا الحزن قد كانت فراخا بيوضها

فاقبل بعضهم اي بعض اهل الجنة على بعض يتساءلون معطوف على يطاف عليهم اي يشربون فيتحادثون على الشراب قال القائل

وما بقيت من اللذات الا محادثة الكرام على المدام

واي يقول تعالى فاقبل ماضيا لتحقق وقوعه كقوله تعالى ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار وقوله تعالى يتساءلون حال من فاعل اقبل ويسائلهم عن المعارف والفضائل وما جرى لهم وعليهم في الدنيا ولما ذكر تعالى ان اهل الجنة يتساءلون عند اجتماعهم على الشرب ويتحدثون كان من جملة كلماتهم انهم يتذكرون ما كان حصل لهم في الدنيا مما يوجب الوقوع في عذاب الله تعالى ثم انهم تخلصوا منه وهو ما حكاه الله تعالى عنهم بقوله تعالى قال قائل منهم اي من اهل الجنة في الجنة في مكالمتهم اني كان لي قرين اي في الدنيا ينكر البعث و يقول ائنك لمن المصدقين اي وكان يوبخني على التصديق بالبعث ويقول تعجبا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون اي لمجزيون ومحاسبون من الدين بمعنى الجزا وهذا استفهام انكار تنبيه اختلف في ذلك القرين فقال مجاهد كان شيطانا وقيل كان من الانس وقال مقاتل كانا اخوين وقيل كانا شريكين حصل لهما ثمانية الاف دينار فتقاسماها واشترى احدهما دارا بالف دينار فاراها صاحبه وقال كيف ترى حسنها فقال ما احسنها ثم خرج فتصدق بالف دينار وقال اللهم ان صاحبي قد ابتاع هذه الدار بالف دينار واني اسئلك دارا من دور الجنة ثم ان صاحبه تزوج امراة حسنا بالف دينار فتصدق صاحبه بالف دينار ان يزوجه الله تعالى من الحور العين ثم ان صاحبه اشترى بساتين بالفي دينار فتصدق هذا بالفي دينار ثم ان الله تعالى اعطاه ما طلب في الجنة وقيل كان احدهما كافرا اسمه نيطورس والاخر مومن اسمه يهودا وهما اللذان قص الله خبرهما في سورة الكهف بقوله تعالى واضرب لهم مثلا رجلين قال اي ذلك القائل لاخوانه هل انتم مطلعون اي معي الى النار لننظر حاله فيقولون لا فاطلع ذلك القائل من بعض كوى الجنة قال ابن عباس ان في الجنة كوى ينظر اهلها منها الى النار فرآه اي راى قرينه في سواء الجحيم اي وسط النار وانما سمي وسط الشيء سواء لاستواء الجوانب منه قال له توبيخا مقسما بقوله تالله ان كدت اي قاربت وان مخففة من الثقيلة لتردين اي لتهلكني باغوائك اياي بانكار البعث والقيامة ولولا نعمة ربي اي انعامه علي بالايمان والهداية والعصمة لكنت من المحضرين اي معك في النار تنبيه اثبت الياء بعد النون في لتردين ورش والباقون بالتخفيف ولما تم الكلام مع قرينه الذي هو في النار عاد الى مخاطبة جلسائه من اهل الجنة وقال افما نحن بميتين وهذا عطف على محذوف اي انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين اي ممن شانه الموت وقال بعضهم ان اهل الجنة لا يعلمون في اول دخولهم الجنة انهم لا يموتون فاذا جيء بالموت على صورة كبش املح

وذبح

ونادى

بالحذف

١٣٢

وذبح يقول اهل الجنة للملائكة افما نحن بميتين فتقول الملائكة لا فعند ذلك يعلمون انهم لا يموتون وعلى هذا فالكلام حصل قبل ذبح الموت وقيل ان الذي تكلمت سعادته اذا عظم تعجبه بها يقول ذلك على جهة الحديث بالنعمة التي انعم الله تعالى بها عليه وقيل يقوله المومن لقرينه توبيخا له بما كان ينكره وقوله الا موتتنا الاولى منصوب على المصدر والعامل فيه الوصف قبله ويكون استثناء مفرغا وقيل هو استثناء منقطع اي لكن الموتة الاولى كانت لنا في الدنيا وهي متناولة لما في القبر بعد الاحيا للسوال وهذا قريب في المعنى من قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وما نحن بمعذبين هو استفهام تلذذ وتحدث بنعمة الله تعالى من تابيد الحياة وعدم التعذيب وقوله تعالى ان هذا اي الذي ذكر لاهل الجنة لهو الفوز العظيم هو قول اهل الجنة عند فراغهم من هذه المحادثات وقوله تعالى لمثل هذا فليعمل العاملون قيل انها من بقية كلامهم وقيل انه ابتدا كلام من الله تعالى اي لنيل مثل هذا يجب ان يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية المشوبة بالالام السريعة الانصرام ولما ذكر تعالى اهل الجنة ووصفها وذكر ماكل اهل الجنة ومشاربهم قال لمثل هذا فليعمل العاملون اتبعه بقوله تعالى اذلك اي المذكور لاهل الجنة خير نزلا وهو ما يعد للنازل من ضيف او غيره ام شجرة الزقوم المعدة لاهل النار نزلا وانتصاب نزلا على التمييز او الحال وفي ذكره دلالة على ان ما ذكر من النعيم لاهل الجنة بمنزلة ما يقدم للنازل ولهم ما وراء ذلك ما تقصر عنه الافهام وكذا الزقوم لاهل النار وهو اسم شجرة صغيرة الورق زفرة مرة تكون بتهامة سميت به الشجرة الموصوفة واذا عرف هذا فحاصل الرزق المعلوم لاهل الجنة اللذة والسرور وحاصل شجرة الزقوم الالم والغم ومعلوم انه لا نسبة لاحدهما الى الاخر في الخيرية الا انه جاء هذا الكلام على سبيل السخرية بهم او لاجل المومنين لما اختاروا ما اوصلهم الى الرزق الكريم والكافرون اختاروا ما اوصلهم الى العذاب الاليم قيل لهم ذلك توبيخا لهم على اختيارهم انا اي بما لنا من العظمة والقدرة البالغة جعلناها فتنة اي محنة وعذابا للظالمين اي الكافرين قال الكلبي في الاخرة وابتلاء في الدنيا لما سمعوا بها في النار قالوا كيف ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا ان من قدر على خلق يعيش في النار ويلتذ بها فهو اقدر على خلق الشجر في النار وحفظه من الاحراق فلما نزلت هذه قال ابن الزبعرا اكثر الله في بيوتكم من الزقوم فان اهل اليمن يسمون التمر والزبد الزقوم ثم ادخلهم ابو جهل بيته وقال لجاريته زقمينا فاتت بزبد وتمر وقال تزقموا فهذا ما يوعدكم به محمد وهذا عناد منه وكذب فان من العرب العربا

ثواب

انهم يطلقونه على شجرة مسمومة يخرج لها لبن متى مس جسم احد تورم فمات
والزقوم البلع بشدة للاشيا الكريهة واما الزبد بالرطب فيسمي الوقة
قال ابن الكلبي وانشد

ان لمن سالمتم لا لوقة ۞ واني لمن عاديتهم سم اسود

ثم ان الله تعالى وصف هذه الشجرة بصفتين الاولى قوله تعالى
انها شجرة تخرج في اصل الجحيم قال الحسن اصلها في قعر جهنم واغصانها ترتفع
الى دركاتها الصفة الثانية قوله تعالى **طلعها** اي ثمرها قال الزمخشري
الطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجر الزقوم من حملها اما استعارة
لفظية او معنوية قال ابن قتيبة سمي طلعا لطلوعه كل سنة فلذلك
قيل طلع النخل الاول ما يخرج من ثمره ثم وصف ذلك الطلع بقوله تعالى
كانه رؤوس الشياطين وفيه وجهان احدهما انه حقيقة وان رؤوس الشياطين
شجرة معينة بناحية اليمن وتسمى الاستن قال النابغة

تحيد من استن سود اسافله ۞ مشي الاما الغوادي تحمل الحزما

وهو شجر منكر الصورة سمته العرب بذلك تشبيها برؤوس الشياطين
في القبح ثم صار اصلا يشبه به وقيل الشياطين صنف من الحيات
ولها اعراف قال عجير

تخلف حين اخلف ۞ كمثل شيطان الحماط اعرف

وقيل شجرة يقال لها الصوم ومنه قول ساعدة بن جوبة

موكل بسدوف الصوم يرقبها ۞ من المعارف محفوف الخشاورم

فعلى هذا خوطب العرب بما تعرفه فهذه الشجرة موجودة فالكلام حقيقة
والثاني انه من باب التخييل والتمثيل وذلك انه كلما يستنكر ويستقبح
في الطباع والصورة يشبه بما يتخيله الوهم وان لم يره والشياطين
وان كانوا موجودين غير مرئيين للعرب الا انه خاطبهم بما الفوه من
الاستعارات التخييلية كقول امرئ القيس

ايقتلني والمشرفي مضاجعي ۞ ومسنونة زرق كانياب اغوال

ولم يرانيابها بل ليست موجودة البتة قال الرازي وهذا هو الصحيح
وذلك ان الناس لما اعتقدوا في الملائكة كمال الفضل في الصورة والسيرة
فكما حسن التشبيه بالملك عند ارادة الكمال والفضيلة في قول
النسا ان هذا الا ملك كريم فكذلك حسن التشبيه برؤوس الشياطين
بالقبح وتشويه الخلقة ويؤكد هذا ان العقلاء اذا راوا شيئا شديد
الاضطراب منكر الصورة قبيح الخلقة قالوا انه شيطان وقالوا واذا راوا
شيئا حسنا قالوا انه ملك من الملائكة وقال ابن عباس هم الشياطين باعيانهم
فانهم اي الكفار **لآكلون منها** اي من الشجرة او من طلعها **فمالئون منها**

البطون

البطون والملوحشوا الوعا بما لا يحتمل الزيادة عليه فان قيل كيف ياكلون مع
زيادة خشونتها ونتنها ومرارة طعمها اجيب بان المضطر ربما استروح
من الضرر بما يقاربه في الضرر فاذا جوعهم الله تعالى الجوع الشديد فزعوا الى
ازالة ذلك الجوع بتناول هذا الشي او يقال ان الزبانية يكرهونهم على
الاكل من تلك الشجرة لعذابهم ولما ذكر تعالى طعامهم بتلك البشاعة
والكراهية وصف شرابهم بما هو اشنع منه بقوله تعالى **ثم ان لهم عليها**
اي بعد ما شبعوا منها وغلبهم العطش **لشوبا من حميم** اي ماء حار يشربونه
فيختلط بالماكول منها فيصير شوبا لها وعطف بثم لاحد معنيين اما لانه
يوخر ما يظنونه يرويهم من عطشهم زيادة في عذابهم فلذلك اتى بثم
المقتضية للتراخي واما لان العادة تراخي الاكل عن الشرب فيجعل
على ذلك المنوال واما ملا البطن فيعقب الاكل فلذلك عطف على ما قبله
بالفا قال الزجاج الشوب اسم عام في كل ما خلط بغيره والشوب
الخلط والمزج ومنه شاب اللبن يشوبه اي خلطه ومزجه **ثم ان مرجعهم**
اي مصيرهم **لالى الجحيم** قال مقاتل اي بعد اكل الزقوم وشرب الحميم
وهذا يدل على انهم عند شرب الحميم لم يكونوا في الجحيم وذلك بان يكون الحميم
في موضع خارج عن الجحيم فهم يردون الحميم لاجل الشرب كما تورد الابل
الماء ويدل عليه قوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم ان وقوله تعالى
انهم الفوا اي وجدوا **اباءهم ضالين فهم على اثارهم يهرعون** تعليل
لاستحقاقهم تلك الشدائد قال الفرا الاهراع الاسراع يقال هرع
واهرع اذا استحث والمعنى انهم يتبعون اباهم وفيه اشعار بانهم بادروا الى ذلك
من غير توقف على نظر وبحث ثم انه تعالى ذكر لرسوله صلى الله عليه وسلم ما
يسليه في كفرهم وتكذيبهم بقوله سبحانه **ولقد ضل قبلهم** اي قبل قومك **اكثر
الاولين** اي من الامم الماضية **ولقد ارسلنا فيهم منذرين** اي انبيا انذروهم
من العواقب فبين تعالى ان ارساله الرسل قد تقدم والتكذيب لهم قد سلف
فوجب ان يكون له صلى الله عليه وسلم اسوة بهم حتى يصبر كما صبروا ويستمر
على الدعا الى الله تعالى وان تمردوا فليس عليه الا البلاغ وقرا قالون وابن كثير
وعاصم باظهار الدال والباقون بالادغام **فانظر كيف كان عاقبة المنذرين**
اي الكافرين كان عاقبتهم العذاب وهذا الخطاب وان كان ظاهره
مع النبي صلى الله عليه وسلم الا ان المقصود منه خطاب الكفار لانهم سمعوا
بالاخبار ما جرى على قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من انواع العذاب فان لم
يعلموا ذلك فلا اقل من ظن وخوف يحتمل ان يكون زاجرا لهم عن كفرهم وقوله
تعالى **الا عباد الله المخلصين** استثنا من المنذرين استثنا منقطعا لانه
وعيد وهم لم يدخلوا في هذا الوعيد وقيل استثنا من قوله تعالى ولقد

ضل قبلهم اكثر الاولين والمراد بالمخلصين الموحدون بجواز العذاب وتقدمت القراة في
المخلصين ثم شرع تعالى في تفصيل القصص بعد اجمالها بقوله تعالى **ولقد نادانا نوح**
اي نادى ربه ان ينجيه مع من نجا من الغرق بقوله اني مغلوب فانتصر فاجاب
فاجاب الله دعاءه وقوله تعالى **فلنعم المجيبون** جواب قسم مقدر اي فوالله
ومثله ٭ لعمري لنعم السيد انت وجدتماه ٭ والمخصوص بالمدح محذوف
اي نحن اجبنا دعاءه واهلكنا قومه **ونجيناه واهله من الكرب العظيم** اي الغرق
واذى قومه وهذه الاجابة كانت من النعم العظيمة وذلك من وجوه اولها انه
تعالى عبر عن ذاته بصيغة الجمع فقال ولقد نادانا نوح فالقادر العظيم لا يليق
به الا الاحسان العظيم وثانيها انه تعالى اعاد صيغة الجمع في قوله تعالى فلنعم
المجيبون من ذلك ايضا يدل على تعظيم تلك النعمة لاسيما وقد وصف تلك
الاجابة بانها نعم الاجابة وثالثها ان الفاء في قوله تعالى فلنعم المجيبون
تدل على ان حصول تلك الاجابة مرتب على ذلك الندا وهذا يدل على ان الندا
بالاخلاص سبب لحصول الاجابة وقوله تعالى **وجعلنا ذريته هم الباقين**
يفيد الحصر وذلك يدل على ان كل من سواه وسوى ذريته فقد فنوا فالناس كلهم
من نسله عليه السلام قال ابن عباس ذريته بنوه الثلاثة سام وحام
ويافث فسام ابو العرب وفارس وحام ابو السودان ويافث ابو الترك
والخزر وياجوج وماجوج وما هنالك قال ابن عباس لما خرج نوح من
السفينة مات كل من كان معه من النسا والرجال الا ولده ونساهم ٭
وتركنا عليه في الاخرين اي ابقينا ثناء حسنا وذكرا جميلا فيمن بعده من
الانبيا والامم الى يوم القيمة وقيل ان يصلى عليه الى يوم القيمة وقوله تعالى
سلام على نوح مبتدا وخبر وفيه اوجه احدها انه مفسر لتركنا الثاني
انه مفسر لمفعوله اي تركنا عليه ثناء وهو هذا الكلام وقيل ثم قول مقدر اي
فقلنا سلام وقيل ضمن تركنا معنى قلنا وقيل سلطنا تركنا على ما بعده **في العالمين**
متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعا بثبوت هذه التحية في الملئكة والثقلين
جميعا وقوله تعالى **انا كذلك نجزي المحسنين** تعليل لما فعل بنوح عليه السلام
من التكرمة فانه مجازاة له اي انا خصصناه بهذه التشريفات الرفيعة من
جعل الدنيا مملوة من ذريته ومن تبقية ذكره الحسن في السنة العالمين لاجل كونه
محسنا وقوله تعالى انه من عبادنا المومنين تعليل لاحسانه بالايمان اظهارا لجلالة
قدره واصالة امره الثانية قصة ابراهيم عليه السلام المذكورة في قوله تعالى
وان من شيعته اي ممن شايعه في الايمان واصول الشريعة **لابراهيم** ولا
يبعد اتفاق شرعهما في الفروع او غالبا وقال الكلبي الضمير يعود على محمد
اي وان من شيعة محمد لابراهيم والشيعة قد تطلق على المتقدم كقول القايل
وما لي الا آل احمد شيعة ٭ وما لي الا مشعب الحق مشعب ٭ ٭

فجعل

فجعل آل احمد وهم متقدمون عليه وهو تابع لهم شيعة له قاله الفرا والمعروف ان الشيعة
تكون في المتاخر قالوا كان بين نوح وابراهيم نبيان هود وصالح وروى الزمخشري
انه كان بين نوح وابراهيم الفان وستماية واربعون سنة وفي العامل في قوله
تعالى **اذ جاء ربه** وجهان احدهما اذكر مقدرا وهو المعروف والثاني قال الزمخشري
ما في معنى الشيعة من المشايعة يعني وان ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه
ورده ابو حيان قال لان فيه الفصل بين العامل والمعمول باجنبي وهو
لابراهيم لانه اجنبي من شيعته ومن اذ واختلف في قوله تعالى **بقلب سليم** فقال
مقاتل والكلبي المعنى انه سليم من الشرك لانه انكر على قومه الشرك وقال الاصوليون
معناه انه عاش ومات على طهارة القلب من كل معصية وقوله تعالى **اذ قال
لابيه وقومه** بدل من اذ الاولى او ظرف لسليم او لجا وقوله لهم **ماذا** اي
ما الذي **تعبدون** استفهام توبيخ وتهجين لتلك الطريقة وتقبيحها وفي
قوله **ائفكا آلهة دون الله تريدون** اوجه من الاعراب احدها انه مفعول من اجله
اي اتريدون آلهة دون الله افكا فآلهة مفعول به ودون ظرف لتريدون وقدم
معمولات الفعل اهتماما وحسنه كون العامل راس فاصلة وقدم المفعول
من اجله على المفعول به اهتماما به لانه مكافح لهم بانهم على افك وباطل
وبهذا الوجه بدا الزمخشري الثاني ان يكون مفعولا به بتريدون ويكون آلهة
بدلا منه جعلها نفس الافك مبالغة فابدلها عنه وفسرها بها واقتصر عليها
ابن عطية الثالث انه حال من فاعل تريدون اي اتريدون آلهة افكين او ذوي افك
والبه نحا الزمخشري واعترضه ابو حيان بان جعل المصدر حالا لا يطرد الا
مع نحو اما علما فعالم والافك اسوا الكذب **فما ظنكم** اي اتظنون **برب
العالمين** انه جوز جعل هذه الجمادات مشاركة له في العبودية او اتظنون
برب العالمين انه جنس من هذه الاجسام حتى جعلتموها مساوية له في العبودية
فنبههم بذلك على انه ليس كمثله شي او فما ظنكم برب العالمين اذا لقيتموه
وقد عبدتم غيره انه يترككم بلا عذاب لا وكانوا نجامين فخرجوا الى عيد لهم
وتركوا طعامهم عند اصنامهم زعموا التبرك عليه فاذا رجعوا اكلوه وقالوا
للسيد ابراهيم عليه السلام اخرج **فنظر نظرة في النجوم** ايهاما لهم
انه يعتمد عليها فيتبعوه **فقال اني سقيم** اي عليل وذلك اراد ان يكايدهم
في اصنامهم ليلزمهم الحجة في انها غير معبودة واراد ان يتخلف عنهم ليبقى
خاليا في بيت الاصنام فيقدر على كسرها فان قيل النظر في علم النجوم غير
جائز فكيف اقدم ابراهيم عليه السلام عليه وايضا لم يكن سقيما فكيف اخبرهم
بخلاف حاله اجيب عن ذلك بانا لا نسلم ان النظر في علم النجوم والاستدلال
بها حرام لان من اعتقد ان الله تعالى خص كل واحد من هذه الكواكب
بطبع وخاصية لاجلها يظهر منه اثر مخصوص فهذا العلم على هذا الوجه

ليس بباطل واما الكذب فغير لازم لان قوله اني سقيم على سبيل التعريض بمعنى ان الانسان
في اكثر حاله من حصول حالة مكروهة اما في بدنه واما في قلبه وكل ذلك سقم وعلى
تقدير ذلك اجيب باوجه احدها ان نظره في النجوم اوفي اوقات الليل والنهار وكانت
تاتيه الحمى في بعض ساعات الليل والنهار فنظر ليعرف هل هي تلك الساعة
فقال اني سقيم فجعله عذرا في تخلفه عن العيد الذي لهم فكان صادقا فيما
قال لان السقم كان ياتيه في ذلك الوقت ثانيها انهم كانوا اصحاب النجوم يعظمونها
ويقضون بها على امورهم فلذلك نظر ابراهيم في النجوم اي في علم النجوم كما تقول
نظر فلان في الفقه اي في علم الفقه فاراد ابراهيم ان يوهمهم انه نظر في علمهم
وعرف منه ما يعرفون حتى اذا قال لهم اني سقيم سكنوا الى قوله واما قوله اني
سقيم فمعناه ساسقم كقوله تعالى انك ميت اي ستموت ثالثها ان نظره في
النجوم هو قوله تعالى فلما جن عليه الليل راى كوكبا الى اخر الايات فكان
نظره ليعرف هذه الكواكب هل هي قديمة او محدثة وقوله اني
سقيم القلب غير عارف بربي وكان ذلك قبل البلوغ رابعها قال ابن زيد
كان له نجم مخصوص وكلما طلع على صفة مخصوصة مرض ابراهيم فلهذا
الاستقرا لما راه في تلك الحالة المخصوصة قال اني سقيم اي هذا
السقم واقع لا محالة خامسها ان قوله اني سقيم اي مريض القلب بسبب
اطباق ذلك الجمع العظيم على الكفر والشرك كقوله تعالى لمحمد صلى
الله عليه وسلم فلعلك باخع نفسك سادسها قال الرازي قال
بعضهم ذلك القول من ابراهيم عليه السلام كذبة واوردوا فيه حديثا
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما كذب ابراهيم الا ثلاث كذبات قلت
لبعضهم هذا الحديث لا ينبغي ان ينقل اذ فيه نسبة الكذب الى ابراهيم
فقال ذلك الرجل فكيف نحكم بكذب الراوي العدل فقلت له لما وقع التعارض
بين نسبة الكذب الى الراوي وبين نسبة الكذب الى الخليل عليه السلام
كان من المعلوم بالضرورة ان نسبته الى الراوي اولى ثم نقول لم لا يجوز
ان يكون المراد بقوله فنظر نظرة في النجوم اي نجوم كلامهم ومتفرقات
اقوالهم فان الاشيا التي تحدث قطعة قطعة يقال انها منجمة اي متفرقة
ومنه نجوم الكتابة والمعنى انه لما سمع كلماتهم المتفرقة نظر فيها حتى
يستخرج منها حيلة يقدر بها على اقامة عذر لنفسه في التخلف فلم يجد
عذرا احسن من قوله اني سقيم والمراد انه لا بد من ان يصير سقيما
كما تقول لمن رايته يتجهز للسفر انك مسافر ولما قال اني سقيم تولوا
عنه كما قال تعالى فتولوا عنه اي الى عيدهم مدبرين اي هاربين
مخافة العدوى وتركوه وعذروه وتركوه في عدم الخروج الى عيدهم
فراغ اي مال في خفية واصله من روغان الثعلب وهو تردد وعدم

يثونه

يثونه بمكان ولا يقال راغ حتى يكون صاحبه مخفيا لذهابه ومجيئه الى الهتهم
وعندها الطعام فقال اي استهزاء بها الا تاكلون اي الطعام الذي كان بين
ايديهم فلم ينطقوا فقال استهزاء بها ايضا ما لكم لا تنطقون فلم يجب فراغ عليهم
اي مال عليهم مستخفيا وقوله تعالى ضربا مصدر واقع موقع الحال
اي فراغ عليهم ضاربا او مصدر لفعل ذلك الفعل حال تقديره فراغ
يضرب ضربا وقوله تعالى باليمين متعلق بضربا ان لم تجعله موكدا والا
فبعامله واليمين يجوز ان يراد بها احدى اليدين وهو الظاهر وان يراد بها
القوة واقتصر عليه الجلال المحلي فالبا على هذا للحال اي متلبسا بالقوة
وان يراد بها الحلف وفا بقوله وتالله لاكيدن والبا على هذا للسبب وعدى
راغ الثاني بعلى لما كان مع الضرب المستولي عليهم من فوقهم الى اسفلهم
بخلاف الاول فانه مع توبيخ لهم واتى بضمير العقلا في قوله عليهم ضربا
على ظن عبدتها انها كالعقلا ثم انه عليه السلام كسرها فبلغ قومه ممن راه
فاقبلوا اليه اي الى ابراهيم بعد ما رجعوا فراوا اصنامهم مكسرة
يزفون اي يسرعون المشي وقرا حمزة بضم اليا على بنا المفعول من ازفه
اي يحملون على الزفيف والباقون بفتحها من زف يزف فقالوا نحن نعبدها
وانت تكسرها قال لهم توبيخا قال اتعبدون ما تنحتون اي من الحجارة وغيرها
اصناما والله خلقكم وما تعملون اي نحتكم ومنحوتكم فاعبدوه وحده
تنبيه دلت هذه الاية على مذهب الاشعرية وهو ان فعل العبد
مخلوق لله تعالى وهو الحق وذلك لان النحويين اتفقوا على ان لفظ ما
مع ما بعده في تقدير المصدر فقوله تعالى وما تعملون معناه وعملكم وعلى
هذا فيصير معنى الاية والله خلقكم وخلق عملكم ولما اورد عليهم الحجة
القوية ولم يقدروا على الجواب عدلوا الى طريق الايذا لئلا تظهر للعامة
عجزهم بان قالوا ابنوا له بنيانا قال ابن عباس بنوا حائطا من حجر طوله
في السما ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملؤه نارا فطرحوه فيها
وذلك هو قوله تعالى فالقوه في الجحيم وهي النار العظيمة قال الزجاج
كل نار بعضها فوق بعض فهي جحيم فارادوا به كيدا اي شرا بالقايه في
النار لتهلكه فجعلناهم الاسفلين اي المقهورين الاذلين بابطال كيدهم
وجعلنا ذلك برهانا نيرا على علو شانه حيث جعلنا النار عليه بردا وسلاما
وخرج منها سالما وقال اني ذاهب الى ربي اي الى حيث امرني ربي ونظيره
قوله تعالى وقال اني مهاجر الى ربي اي مهاجر اليه من دار الكفر سيهدين
اي الى ما فيه صلاح ديني او الى مقصدي وهو الشام وانما بت القول
لسبق وعده او لفرط توكله او البنا على عادته تعالى معه ولم
يكن كذلك حال موسى عليه السلام حيث قال عسى ربي ان يهديني سواء

السبيل فلذلك ذكر بصيغة التوقع ولما وصل الى الارض المقدسة قال **رب هب لي**
من الصالحين اي هب لي ولدا صالحا يعينني على الدعوة والطاعة ويونسني
في الغربة لان لفظ الهبة غلب في الولد وان كان قد جاء في الاخ في قوله تعالى
ووهبنا له من رحمتنا اخاه هارون نبيا قال الله تعالى **فبشرناه بغلام حليم**
اي ذي حلم كثير في كبره غلام في صغره ففيه بشارة انه ابن وانه يعيش وينتهي
الى سن يوصف بالحلم واي حلم اعظم من ان عرض عليه ابوه الذبح وهو مراهق
قال ستجدني ان شاء الله من الصابرين وقيل ما وصف الله تعالى نبيا بالحلم
لعزة وجوده غير ابراهيم وابنه عليهما السلام وحالهما المذكور تشهد عليه
فلما بلغ معه السعي اي ان يسعى معه قال ابن عباس وقتادة يعني بلغ معه
السعي اي المشي معه الى الجبل قال مجاهد عن ابن عباس لما شب حتى بلغ
سعيه سعي ابراهيم والمعنى بلغ ان يتصرف معه وان يعينه في عمله
قال الكلبي يعني العمل لله تعالى وكان له يومئذ ثلاث عشرة سنة
وقيل سبع سنين تنبيه معه متعلق بمحذوف على سبيل البيان
كان قائلا قال مع من بلغ السعي فقيل مع ابيه ولا يجوز تعلقه
ببلغ لانه يقتضي بلوغهما معا حد السعي ولا يجوز تعلقه بالسعي لان
صلة المصدر لا تتقدم عليه وقوله **قال يا بني اني ارى** اي رايت **في المنام**
اني اذبحك يحتمل انه راى ذلك وانه راى ما هو تعبيره وقيل انه راى
في ليلة التروية في منامه كان قائلا يقول له ان الله تعالى يامرك بذبح ابنك
فلما اصبح تروى في ذلك من الصباح الى الرواح امن الله تعالى ام من الشيطان
فمن ثم سمي يوم التروية فلما امسى راى ايضا مثل ذلك فعرف انه من
الله تعالى فسمي يوم عرفة ثم راى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي
يوم النحر وهذا قول اكثر المفسرين وهو على انه راى في المنام ما يوجب
ان يذبح ابنه في اليقظة وعلى هذا التقدير اللفظ ارى في المنام ما يوجب
اني اذبحك تنبيه اختلف في الذبيح فقيل هو اسحاق عليه السلام وبه قال
عمر وعلي وابن مسعود وغيرهم وقيل اسماعيل وبه قال ابن عباس وابن عمر
وسعيد بن المسيب وغيرهم وهو الاظهر كما قاله البيضاوي لانه الذي
وهب له اثر الهجرة ولان البشارة باسحق بعد معطوفة على البشارة
بهذا الغلام ولقوله صلى الله عليه وسلم انا ابن الذبيحين وقال له اعرابي
يا ابن الذبيحين فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم فسئل عن ذلك فقال
ان عبد المطلب لما حفر بئر زمزم نذر ان سهل الله تعالى امرها ليذبحن احد
ولده فخرج السهم على عبد الله فمنعه اخواله وقالوا له افد ابنك بمائة من
الابل ولذلك سنت الدية مائة فالذبيح الثاني اسماعيل ونقل الاصمعي
انه قال سالت ابا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا اصمعي اين عقلك

امي

ومتى كان اسحق بمكة وانما كان اسمعيل بمكة وهو الذي بنى البيت مع ابيه والمنحر
بمكة وقد وصف تعالى اسمعيل بالصبر دون اسحق في قوله تعالى واسمعيل
واليسع وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه ايضا
بصدق الوعد فقال انه كان صادق الوعد لانه وعد اباه من نفسه الصبر
على الذبح فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين وقال تعالى فبشرناها
باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فكيف تقع البشارة باسحق وانه سيولد
له يعقوب ثم يؤمر بذبح اسحق وهو صغير قبل ان يولد له هذا يناقض
البشارة المتقدمة وقال الامام احمد بن حنبل الصحيح ان الذبيح
اسماعيل وعليه جمهور العلماء من الخلف والسلف قال ابن عباس وزعمت اليهود
انه اسحاق وكذبت اليهود وما روي انه صلى الله عليه وسلم سئل اي
النسب اشرف قال يوسف صديق الله بن يعقوب اسرائيل
الله بن اسحاق نجي ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله فالصحيح انه قال
يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم والزوائد من الراوي وما روي
من ان يعقوب كتب الى يوسف مثل لم يثبت وقال محمد بن اسحاق كان ابراهيم
عليه السلام اذا زار هاجر واسمعيل حمل على البراق فيغدو من الشام
فيقيل بمكة ويروح من مكة فيبيت عند اهله بالشام حتى بلغ اسماعيل معه
السعي امر في المنام ان يذبحه قال مقاتل راى ذلك ابراهيم ثلاث ليال
متتابعات فلما تحقق ذلك قال لابنه **فانظر ماذا ترى** من الراي فشاوره
ليانس بالذبح وينقاد للامر به قال ابن اسحاق وغيره فلما امر ابراهيم
بذلك قال لابنه يا بني خذ الحبل والمدية وننطلق الى هذا الشعب
نحتطب فلما خلا ابراهيم بابنه في الشعب شعب ثبير اخبره بما امر **قال**
يا ابت افعل ما تؤمر اي ما امرت به **ستجدني ان شاء الله من الصابرين** اي على
ذلك وقرا ابي حفص بفتح اليا والباقون بالكسر وقرا اني ارى نافع وابن
كثير وابو عمرو بفتح اليا والباقون بالسكون وقرا ماذا ترى حمزة والكسائي
بضم التا وكسر الرا والحكمة في مشاورته في هذا الامر ليظهر له امره في طاعة
الله تعالى فيكون فيه قرة عين لابراهيم حيث يراه قد بلغ في الحكمة الى هذا الحد
العظيم والصبر على اشد المكاره الى هذه الدرجة العالية ويحصل لابنه الثواب
العظيم في الاخرة والثناء الحسن في الدنيا وقرا يا ابت ابن عامر في الوصل
بفتح التا وكسرها الباقون والتا عوض عن يا الاضافة ووقف عليها بالها
ابن كثير وابن عامر ووقف الباقون بالتاء والرسم بالتاء وفتح يا ستجدني
نافع وسكنها الباقون **فلما اسلما** اي انقادا وخضعا لامر الله تعالى وقال
قتادة اسلم ابراهيم ابنه واسلم الابن نفسه **وتله للجبين** اي
صرعه على شقه فوقع جبينه على الارض وهو احد جانبي الجبهة والجبهة بين

الجبين وشذ جمعه على اجبن وقياسه في القلة اجبنة كارغفة في الكثرة جبن
وجبان كرغيف ورغف ورغفان وقيل انه لما اراد ذبحه قال يا ابت اشدد
رباطي حتى لا اضطرب فينقص اجري واكفف عن ثيابي حتى لا ينتضح عليها
من دمي شي وتراه امي فتحزن واشحذ شفرتك واسرع مر السكين على
حلقي ليكون اهون علي فان الموت شديد واذا اتيت امي فاقرئ عليها السلام
مني وان رايت ان ترد قميصي على امي فافعل فانه عسى ان يكون اسلى لها عني
قال له ابراهيم نعم العون انت يا بني على امر الله تعالى ففعل ابراهيم ما امر به
ابنه ثم اقبل يقبله وقد ربطه وهو يبكي والابن يبكي ثم انه وضع السكين
على حلقه فلم تحك شيا ثم انه شحذها مرتين او ثلاثا بالحجر كل ذلك لا يستطيع
ان يقطع شيا قال السدي ضرب صفيحة من نحاس على حلقه قال فقال الابن
عند ذلك يا ابت كبني على وجهي لجبيني فانك اذا نظرت لوجهي رحمتني وادركتك
رحمة تحول بينك وبين امر الله وانا لا انظر الى الشفرة فاجزع ففعل ذلك
ابراهيم ووضع السكين على قفاه فانقلبت السكين **وناديناه ان يا ابراهيم
قد صدقت الرؤيا** اي بالعزم والاتيان بالمقدمات ما امكنك تنبيه في
لما ثلاثة اوجه اظهرها انه محذوف اي ناديته الملائكة او ظهر صبرهما او اجزلنا
لهما اجرهما وقدره بعضهم بعد الرؤيا ان كان ما كان مما ينطق به الحال والوصف
مما لا يدرك كنهه ونقل ابن عطية ان التقدير فلما اسلما اسلما وتله للجبين
ويعزى هذا لسيبويه وشيخه الخليل الثاني انه وتله للجبين والواو زائدة ثم
ايضا واقتصر على هذا الجلال المحلي وروى ابو هريرة عن كعب الاحبار ان
ابراهيم لما راى ذبح ولده قال الشيطان لان افتن عند هذا ال ابراهيم
لم افتن احدا منهم ابدا فتمثل الشيطان في صورة رجل واتى ام الغلام وقال
هل تدرين اين ذهب ابراهيم بابنك قالت ذهب به يحتطبان من هذا الشعب
قال والله ما ذهب الا ليذبحه قالت كلا هو ارحم به واشد حبا له من ذلك
قال انه زعم ان الله امره بذلك قالت فان كان ربه امره بذلك فقد احسن ان يطيع
ربه فخرج الشيطان من عندها ثم ادرك الابن وهو يمشي على اثر ابيه فقال
يا غلام هل تدري اين يذهب بك ابوك قال نحتطب لاهلنا من هذا الشعب
قال والله ما يريد الا ان يذبحك قال ولم قال زعم ان ربه امره قال فليفعل
ما امره به ربه فسمع وطاعة فلما امتنع منه الغلام اقبل على ابراهيم فقال له
اين تريد ايها الشيخ قال اريد هذا الشعب لحاجة لي فيه قال والله اني
لارى الشيطان جاءك في منامك فامرك بذبح ولدك هذا فعرفه ابراهيم
فقال اليك عني يا عدو الله فوالله لامضين لامر ربي فرجع ابليس
بغيظه لم يصب شيا من ابراهيم واله كما اراد الله عز وجل وروى ابو
الطفيل عن ابن عباس ان ابراهيم لما امر بذبح ابنه عرض له الشيطان بهذا المشعر

فسابقه

فسابقه ابراهيم عليه السلام ثم ذهب الى جمرة العقبة فعرض له الشيطان
فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات
حتى ذهب ثم ادركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم
مضى ابراهيم لامر الله عز وجل فنودي من الجبل اذ يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا
فان قيل لم قال قد صدقت الرؤيا وكان قد راى الذبح ولم يذبح اجيب
بانه جعله مصدقا لانه قد اتى بما امكنه والمطلوب استسلامهما لامر
الله وقد فعلا وقيل كان قد راى في النوم معالجة الذبح ولم ير اراقة الدم
وقد فعل في اليقظة ما راه في النوم ولذلك قال قد صدقت الرؤيا وقال
المحققون السبب في هذا التكليف كمال طاعة ابراهيم لتكاليف الله تعالى
فلما كلفه الله تعالى بهذا التكليف الشاق الشديد وظهر منه كمال الطاعة وظهر
من ولده الطاعة والانقياد لا جرم قال الله تعالى قد صدقت الرؤيا وقوله
تعالى **انا كذلك نجزي المحسنين** ابتدا اخبار من الله تعالى والمعنى
انا كما عفونا عن ذبح ولده كذلك نجزي من احسن في طاعتنا قال مقاتل
جزاه الله تعالى باحسانه في طاعته العفو عن ذبح ابنه **ان هذا** اي الذبح
المامور به **لهو البلاء المبين** اي الاختبار الظاهر الذي يتميز فيه المخلصون
من غيرهم والمحنة البينة الصعوبة التي لا محنة اصعب منها وقال
مقاتل البلاء هاهنا النعمة وهو ان فدى ابنه بالكبش كما قال تعالى **وفديناه**
اي المامور بذبحه وهو اسمعيل وهو الاظهر وقيل اسحاق **بذبح عظيم**
اي عظيم الجثة سمين او عظيم القدر لان الله تعالى فدى به نبيا ابن نبي
واي نبي من نسله سيد المرسلين وهو كبش اتى به جبريل عليه السلام
من الجنة وهو الذي قربه هابيل فقال لابراهيم هذا فداء ولدك فاذبحه
دونه فكبر ابراهيم وكبر ولده وكبر جبريل وكبر الكبش واخذ ابراهيم
الكبش واتى به المنحر من منى فذبحه قال البغوي قال اكثر المفسرين كان
ذلك الذبيح كبشا رعى في الجنة اربعين خريفا وقيل كان وعلا اهبط اليه
من ثبير وروي انه هرب منه فاتبعه عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه
فصارت سنة تنبيه الذبح مصدر ويطلق على ما يذبح وهو المراد في
هذه الاية **وتركنا عليه في الاخرين** ثناء حسنا وقوله تعالى
سلام اي منا **على ابراهيم** سبق بيانه في قصة نوح عليه السلام
كذلك اي كما جزيناك **نجزي المحسنين** لا نفسهم وقوله تعالى
وبشرناه باسحاق فيه دلالة على ان الذبيح غيره وقد مرت الاشارة
الى ذلك وقوله تعالى **نبيا** حال مقدرة اي يوجد مقدرا نبوته وقوله
تعالى **من الصالحين** يجوز ان يكون صفة لنبيا وان يكون حالا من الضمير
في نبيا فتكون حالا متداخلة ويجوز ان يكون حالا ثانية ومن فسر

انه من عبادنا المؤمنين تعليل ...

الذبيح باسحق جعل المقصود من البشارة نبوته وفي ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم
لشانه وايماء بانه الغاية لها لتضمنها معنى الكمال والتكميل **وباركنا عليه**
اي على ابراهيم بتكثير ذريته **وعلى اسحق** بان اخرجنا من صلبه انبياء بني اسرائيل
وغيرهم كايوب وشعيب فجميع الانبياء بعده من صلبه الا نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم فانه من ذرية اسمعيل وفيه اشارة الى انه مفرد علم فهو صلى الله عليه
وسلم افضل الانبياء **ومن ذريتهما محسن** اي مومن طايع **وظالم** اي كافر
وفاسق **لنفسه مبين** اي ظاهر ظلمه وفي ذلك تنبيه على ان النسب
لا اثر له في الهدى والضلال وان الظلم في اعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة
وعيب **القصة الثالثة** قصة موسى وهرون عليهما السلام المذكورة
في قوله تعالى **ولقد مننا على موسى وهرون** اي انعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من المنافع
الدينية والدنيوية **ونجيناهما وقومهما** اي بني اسرايل **من الكرب** اي الغم
العظيم اي الذي كانوا فيه من استعباد فرعون اياهم وقيل من الغرق والضمير
في قوله تعالى **ونصرناهم** يعود على موسى وهرون وقومهما وقيل على الاثنين
بلفظ الجمع تعظيما كقوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء وقول الشاعر
فان شيت حرمت النساء سواكم **فكانوا هم الغالبين** اي على فرعون
وقومه في كل الاحوال اما في اول الامر فبظهور الحجة واما في اخر الامر فبالدولة
والرفعة تنبيه يجوز في هم ان يكون تاكيدا وان يكون بدلا وان يكون فصلا
وهو الاظهر **وآتيناهما الكتاب المستبين** يعني المستنير البليغ البيان المشتمل
على جميع العلوم المحتاج اليها في مصالح الدين والدنيا وهو التوراة كما قال
تعالى انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور **وهديناهما الصراط المستقيم** اي دللناهما
على الطريق الموصل الى الحق والصواب عقلا وسمعا **وتركنا** اي ابقينا
عليهما ثناء حسنا **في الاخرين سلام** اي منا **على موسى وهارون** انا كذلك اي
كما جزيناهما **نجزي المحسنين** وقوله تعالى **انهما من عبادنا المومنين** تعليل لاحسانهما
بالايمان واظهار لجلالة قدره واصالة امره **القصة الرابعة** قصة
الياس عليه السلام المذكورة في قوله تعالى **وان الياس لمن المرسلين** روي عن ابن
مسعود انه قال الياس هو ادريس وهو قول عكرمة وقال اكثر المفسرين
انه نبي من انبياء بني اسرايل قال ابن عباس وهو ابن عم اليسع وقال محمد بن
اسحق هو الياس بن بشر بن فنحاص بن العيزار بن هرون بن عمران نبيه
اذكر فيه شيا من قصته عليه السلام قال علماء السير والاخبار لما قبض
الله تعالى حزقيل عليه السلام عظمت الاحداث في بني اسرايل وظهر فيهم
الفساد والشرك ونصبوا الاصنام وعبدوها من دون الله فبعث الله تعالى
اليهم الياس نبيا وكانت الانبياء من بني اسرايل يبعثون بعد موسى بتجديد
ما نسوا من احكام التوراة وبنوا اسرايل كانوا متفرقين في ارض الشام

وكان سبب ذلك ان يوشع بن نون لما فتح الشام قسمها على بني اسرايل سبطا
ببعلبك ونواحيها وهم السبط الذين كان منهم الياس فبعثه الله تعالى اليهم
نبيا وعليهم يوميذ ملك اسمه آجب وكان قد اضل قومه واجبرهم على عبادة
الاصنام وكان لهم صنم طوله عشرون ذراعا وله اربعة وجوه وكان يسمى
بعل وكانوا قد فتنوا به وعظموه وجعلوا له اربعماية سادن اي خادم
وكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة
والسدنة يحفظونها عنه ويبلغونها الناس وهم اهل بعلبك وكان الياس
يدعوهم الى عبادة الله تعالى وهم لا يسمعون له ولا يومنون به الا ما كان من
امر الملك فانه امن به وصدقه فكان الياس يقوم بامره ويسدده ويرشده
وكان للملك امراة تسمى بارميل جبارة وكان يستخلفها على ملكه اذا غاب
عنهم في غزاة او غيرها وكانت تبرز للناس فتقضي بينهم وكانت قتالة
ويقال انها التي قتلت يحيى بن زكريا عليهما السلام وكان لها كاتب رجل
رجل مومن حليم يكتم ايمانه وكان قد خلص من يدها ثلثماية نبي كانت تريد
قتلهم اذا بعث كل واحد منهم سوى الذين قتلتهم وكانت في نفسها
غير محصنة وكانت قد تزوجت سبعة من ملوك بني اسرايل وقتلتهم
كلهم بالاغتيال وكانت معمرة يقال انها ولدت سبعين ولدا وكان لآجب
هذا جار رجل صالح يقال له مزدكي وكانت جنينة يعيش منها
وكانت الجنينة الى جانب قصر الملك وامراته وكانا يشرفان عليها يتنزهان
فيها وياكلان ويشربان ويقيلان فيها وكان الملك يحسن جوار صاحبها
مزدكي ويحسن اليه وامراته ارميل تحسده لاجل تلك الجنينة وتحتال
ان تغصبها منه لما تسمع الناس يكثرون ذكرها ويتعجبون من حسنها
وتحتال ان تقتله والملك ينهاها عن ذلك فلا تجد عليه سبيلا ثم
انه اتفق خروج الملك الى مكان بعيد وطالت غيبته فاغتنمت ارميل
ذلك فجمعت جمعا من الناس وامرتهم ان يشهدوا على مزدكي انه سب زوجها
آجب فاجابوها وكان في حكمهم في ذلك الزمان القتل على من سب الملك اذا
قامت عليه البينة فاحضرت مزدكي وقالت له بلغني انك شتمت الملك فانكر
فاحضرت الشهود فشهدوا عليه بالزور فامرت بقتله واخذت جنينته فلما قدم الملك
من سفره اخبرته الخبر فقال لها ما اصبت ولا ارانا نفلح بعده فقد جاورنا منذ
زمان فاحسنا جواره وكففنا عنه الاذى لوجوب حقه علينا فختمت
امره باسوء الجار قالت انما غضبت لك وحكمت بحكمك فقال لها او ما كان
يسعه حلمك فتحفظين جواره قالت قد كان ما كان فبعث الله الياس الى آجب الملك
وامره ان يخبرهم ان الله قد غضب لوليه حين قتلوه ظلما وآلى على نفسه انهما
اذا لم يتوبا عن صنيعهما ويردا الجنينة على ورثة مزدكي ان يهلكهما يعني

آجب وامراته في جوف الجنينة ثم يضعهما جثتين ملقاتين فيها حتى تنتثر عظامهما
من لحومهما ولا يتمتعان بها الا قليلا فجاء الياس فاخبر الملك بما اوحي اليه في امره
وامر امراته والجنينة فلما سمع الملك ذلك اشتد غضبه عليه وقال يا الياس
ما ارى ما تدعونا اليه الا باطلا وهم بتعذيبه وقتله فلما احس الياس بالشر
رفضه وخرج عنه هاربا ورجع الملك الى عبادة بعل وارتقا الياس الى اصعب
جبل واشمخه ودخل مغارة فيه ويقال انه بقي سبع سنين شاردا هاربا
خائفا يأوي الى الشعوب والكهوف يأكل من نبات الارض وثمار الشجر وهم في طلبه
قد وضعوا عليه العيون والله تعالى يستره منهم فلما طال الامر على الياس
وطال عصيان قومه وضاق بذلك ذرعا اوحى الله اليه بعد سبع سنين
يا الياس ما هذا الحزن الذي انت فيه الست اميني على وحيي وحجتي في ارضي
وصفوتي من خلقي فسلني اعطك فاني ذو الرحمة الواسعة والفضل
العظيم قال تميتني فتلحقني بآبائي فاني قد مللت بني اسرائيل وملوني
فاوحى الله تعالى اليه يا الياس ما هذا اليوم الذي اعري منك الارض
واهلها وانما قوامها وصلاحها بك واشباهك وان كنتم قليلا
ولكن سلني فاعطيك قال الياس ان لم تمتني فاعطني ثاري من بني
اسرائيل قال الله تعالى واي تريد ان اعطيك قال تمكنني من خزائن
السما سبع سنين فلا تنشي سحابة عليهم الا بدعوتي ولا تمطر عليهم
سبع سنين قطرة الا بشفاعتي فانهم لا يذكرهم الا ذلك قال الله تعالى
يا الياس انا ارحم بخلقي من ذلك وان كانوا ظالمين قال فست سنين
قال انا ارحم بخلقي من ذلك قال فخمس سنين قال انا ارحم
بخلقي من ذلك ولكن اعطيك ثارك ثلاث سنين اجعل خزائن المطر
بيدك قال فباي شي اعيش قال اسخر لك جنسا من الطير ينقل
اليك طعامك وشرابك من الريف والارض التي لم تقحط قال الياس
قد رضيت فامسك الله تعالى عنهم المطر حتى هلكت الماشية
والهوام والشجر وجهد الناس جهدا شديدا والياس على حالته مستخفيا
من قومه يوضع له الرزق حيث كان وقد عرف ذلك قومه قال ابن
عباس اصاب بني اسرائيل ثلاث سنين القحط فمر الياس بعجوز فقال
هل عندكم طعام قالت نعم شي من دقيق وزيت قليل فدعا بهما ودعا
فيه بالبركة حتى ملا خوابيها دقيقا وخوابيها زيتا فلما رأوا ذلك
عندها قالوا من اين لك هذا قالت مر بي رجل من حاله كذا وكذا ثم وصفته
بصفته فعرفوه فقالوا ذلك الياس فطلبوه فوجدوه فهرب منهم
ثم انه اوى الى بيت امراة من بني اسرائيل لها ابن يقال له اليسع بن اخطوب
به ضر فآوته واخفت امره فدعا له فعوفي من الضر الذي كان به

واتبع

واتبع الياس وآمن به وصدقه ولزمه وكان يذهب حيثما ذهب وكان الياس
قد كبر واليسع غلام شاب ثم ان الله تعالى اوحى الى الياس انك قد اهلكت كثيرا
من الخلق ممن لم يعص من البهائم والطير والهوام بحبس المطر فقال الياس يا رب
دعني انا الذي اكون ادعو لهم وآتيهم بالفرج مما هم فيه من البلا لعلهم ان يرجعوا
عما هم عليه من عبادة غيرك فقيل له نعم فجاء الياس الى بني اسرائيل فقال
انكم قد هلكتم جوعا وجهدا وقد هلكت البهائم والهوام والشجر بخطاياكم
وانكم على باطل فان كنتم تحبون ان تعلموا ذلك فاخرجوا باصنامكم فان استجابت
لكم فذلك كما تقولون وان هي لم تفعل علمتم انكم على باطل فنزعتم
ودعوتم الله تعالى ففرج عنكم ما انتم فيه من البلا فقالوا انصفت
فخرجوا باوثانهم فدعوها فلم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلا ثم قالوا
لالياس انا قد هلكنا فادع الله لنا فدعا لهم الياس ومعه اليسع بالفرج
فخرجت سحابة مثل الترس على ظهر البحر وهم ينظرون فاقبلت نحوهم
وطبقت الآفاق ثم ارسل الله عليهم المطر فاغاثهم واحييت بلادهم
فلما كشف الله عنهم المطر ولم ينزعوا عن كفرهم واقاموا على اخبث ما كانوا
عليه فلما راى ذلك الياس دعا ربه ان يريحه منهم فقيل له انظر كذا وكذا يوم
فاخرج فيه الى موضع كذا فما جاءك من شي فاركبه ولا تهبه فخرج الياس
ومعه اليسع حتى اذا كانا بالموضع الذي امر اقبل فرس من نار وقيل لونه
كلون النار حتى وقف بين يديه فوثب عليه الياس وانطلق به الفرس
وناداه اليسع يا الياس ما تامرني فقذف اليه بكسائه من الجو الاعلى
فكان ذلك علامة استخلافه اياه على بني اسرائيل وكان ذلك آخر عهدهم به
ورفع الله الياس من بين اظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكساه
الريش فكان انسيا ملكيا ارضيا سماويا وسلط الله على آجب الملك
وقومه عدوا لهم فقصدهم من حيث لم يشعروا به حتى ارهقهم فقتل
آجب وامراته ازبيل في بستان مزدكي فلم تزل جيفتهما ملقاتين
في تلك الجنينة حتى بليت لحومهما ورمت عظامهما ونبأ الله اليسع
وبعثه رسولا فاوحى الله اليه وايده فآمنت به بنو اسرائيل وكانوا
يعظمونه وحكم الله تعالى فيهم قائم الى ان فارقهم اليسع روى السري
ابن يحيى عن عبد العزيز بن ابي رواد قال الياس والخضر يصومان
رمضان ببيت المقدس ويوافيان الموسم في كل عام وقيل ان الياس
موكل بالفيافي والخضر موكل بالبحار فذلك قوله تعالى وان الياس لمن
المرسلين اذ اي واذكر يا افضل الخلق اذ قال لقومه الا تتقون اي
الا تخافون الله اي ولما خوفهم على سبيل الاجمال ذكر ما هو السبب
لذلك التخويف بقوله اتدعون بعلا اسم لصنم لهم من ذهب وبه

سميت البلد ايضا مضافا الي بك اي اتعبدون او اتطلبون الخير منه وقيل البعل
الرب بلغة اليمن سمع ابن عباس رجلا منهم ينشد ضالة فقال انا ربها
فقال الله اكبر وتلي الاية ويقال من بعل هذه الدار اي من ربها وسمي الزوج
بعلا لهذا المعني قال تعالي وبعولتهن احق بردهن وقالت امراة ابراهيم
وهذا بعلي شيخا والمعني اتدعون بعض البعول **وتذرون** اي وتتركون
احسن الخالقين فلا تعبدونه وقرا ابن ذكوان بهمزة الوصل من الياس
في الوصل فان ابتدا بها ابتدا بفتحها والباقون الهمزة مكسورة وصلا وابتدا
وقوله تعالي **الله ربكم ورب ابائكم الاولين** قراه حفص وحمزة والكسائي بنصب
الهاء من الاسم الكريم ونصب البا الموحدة من ربكم ورب وذلك اما علي المدح او
البدل او البيان ان قلنا ان اضافة افعل اضافة محضة والباقون بالرفع في
الثلاثة وذلك اما علي خبر مبتدا مضمر اي هو الله او علي ان الجلالة مبتدا
وما بعده الخبر **فكذبوه فانهم لمحضرون** اي في العذاب وانما اطلقه اكتفاء
بالقرينة اولان الاحضار المطلق مخصوصا بالشر عرفا وقوله تعالي
الا عباد الله المخلصين اي المومنين مستثني من فاعل فكذبوه وفيه دلالة
علي ان في قومه من لم يكذبه فلذلك استثنوا ولا يجوز ان يكونوا مستثنين
من ضمير لمحضرون لفساد المعني لانه يلزم ان يكونوا مندرجين فيمن كذب
لكنهم لم يحضروا لكونهم عباد الله المخلصين وهو بين الفساد لا يقال هو
مستثني منه استثنا منقطعا لانه يصير المعني لكن عباد الله المخلصين
من غير هولا لم يحضروا ولا حاجة الي هذا اذ به يفسد نظم الكلام وتقدم
الكلام علي قراة المخلصين وتقدم الكلام علي قراة المخلصين في اول السورة
وتركنا عليه في الاخرين ثنا حسنا **سلام** اي منا وقوله تعالي **علي
الياسين** قراه نافع وابن عامر بفتح الهمزة ممدودة وكسر اللام وقطعها اللام
عن اليا كما رسمت اي اهله والمراد به الياس والباقون بكسر الهمزة وسكون
اللام وهي مقطوعة عن اليا قيل هو الياس المتقدم وقيل هو ومن امن معه
فجمعوا معه تغليبا كقولهم المهلب وقومه المهلبون وقيل هو محمد صلي الله
عليه وسلم او القران او غيره من كتب الله تعالي قال البيضاوي والكل لا
يناسب نظم سائر القصص ولا قوله تعالي **انا كذلك نجزي المحسنين** اي كما جزينا
انه من عبادنا المومنين اذ الظاهر ان الضمير لالياس **القصة الخامسة**
قصة لوط عليه السلام المذكورة في قوله تعالي **وان لوطا لمن المرسلين اذ** اي
واذكر اذ **نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين** اي الباقين في العذاب
ثم دمرنا اي اهلكنا **الاخرين** اي كفار قومه **وانكم** يا اهل مكة
لتمرون عليهم مصبحين اي علي منازلهم في متاجركم الي الشام
فان سدوم في طريقه وقوله تعالي **وبالليل** عطف علي الحال قبلها اي

ومتلبسين

ومتلبسين بالليل والمعني ان اولئك القوم كانوا يسافرون الي الشام والمسافر
في اكثر الامر انما يمشي في الليل وفي اول النهار فلهذا التسبب عين هذين
الوقتين ثم قال تعالي **افلا تعقلون** اي اليس فيكم عقل يا اهل
مكة تنظرون ما حل بهم تعتبرون **القصة السادسة**
وهي اخر القصص قصة يونس عليه السلام المذكورة في قوله تعالي
وان يونس لمن المرسلين وقوله تعالي **اذ ابق** ظرف للمرسلين اي هو من المرسلين
حتي في هذه الحالة وابق اي هرب واصله الهرب من السيد لكن لما كان
هربه من قومه بغير اذن ربه حسن اطلاقه عليه **الي الفلك المشحون** اي السفينة
المملوة قال ابن عباس ووهب قال يونس كان وعد قومه العذاب
فتاخر عنهم فخرج كالمستور منهم فقصد البحر فركب السفينة فقال لت
الملاحون ههنا عبد ابق من سيده فاقترعوا فوقعت القرعة علي يونس
فقال يونس انا الابق فزج نفسه في البحر وروي في القصة انه لما وصل
الي البحر كانت معه امراته وابنان له فجا مركب واراد ان يركب معهم فقدم
امراته ليركب بعدها فحال الموج بينه وبين المركب ومر المركب ثم جات موجة
اخري فاخذت ابنه الاكبر وجاء ذيب فاخذ ابنه الاصغر فبقي فريدا فجا مركب
اخر فركبه وقعد ناحية من القوم فلما مرت السفينة في البحر ركدت فقال
الملاحون ان فيكم عاصيا والا لم يحصل وقوف السفينة ما نراه
من غير ريح ولا سبب ظاهر فاقترعوا فمن خرج سهمه نغرقه فلان
نغرق واحد خير من غرق الكل فاقترعوا فخرجت القرعة علي
يونس فذلك قوله تعالي **فساهم** اي قارع اهل السفينة **فكان
من المدحضين** اي المغلوبين بالقرعة فالقوه في البحر **فالتقمه**
اي ابتلعه **الحوت وهو مليم** اي ات بما يلام عليه من ذهابه الي البحر
وركوبه السفينة بلا اذن من ربه وقيل مليم نفسه **فلولا انه كان من المسبحين**
اي الذاكرين قبل ذلك وكان عليه السلام كثير الذكر وقال ابن عباس من
المصلين وقال وهب من العابدين ما كان له صلاة في بطن الحوت ولكنه
قدم عملا صالحا قال الضحاك شكر الله تعالي له طاعته القديمة اذكر
الله تعالي في الرخا يذكرك في الشدة فان يونس كان عبدا صالحا ذاكرا لله
فلما وقع في الشدة في بطن الحوت شكر الله له ذلك وقال سعيد بن جبير
يعني قوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظلمين **للبث في بطنه الي
يوم يبعثون** اي صار بطن الحوت له قبرا الي يوم القيمة وهو حي او ميت
وفي ذلك حث علي اكثار الذكر وتعظيم لشانه ومن اقبل عليه في
السرا اخذ بيده في الضرا **فنبذناه** اي القيناه من بطن الحوت
فاضاف النبذ الي نفسه مع ان النبذ انما حصل بفعل الحوت فهو بدل

على ان فعل العبد مخلوق لله تعالى **بالعراء** اي بوجه الارض وقال السدي
بالساحل والعرا الارض الخالية من الشجر والنبات روي ان الحوت سار مع
السفينة رافع راسه يتنفس فيه يونس ويسبح حتى انتهى الى الارض فلفظه تنبيه
اختلفوا في مدة لبثه في بطن الحوت لم يلبث الا قليلا ثم اخرج من بطن الحوت
وقال بعضهم التقمه بكرة ولفظه عشية وقال مقاتل بن حيان ثلاثة
ايام وقال عطا سبعة ايام وقال الضحاك عشرين يوما وقيل شهرا
وقيل اربعين يوما وقال الرازي ولا ادري باي دليل عينوا هذه المقادير
وروي ابو بردة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سبح يونس في بطن
الحوت فسمع الملايكة تسبيحه فقالوا ربنا انا نسمع صوتا ضعيفا بارض
غريبة فقال ذاك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر
قالوا العبد الصالح الذي كان يصعد اليك منه في كل يوم عمل صالح قال نعم
فشفعوا له فامر الحوت فقذفه بالساحل وروي ان يونس لما ابتلعه الحوت
ابتلعه حوت اخر اكبر منه فلما استقر في جوف الحوت حسب انه قد مات
فحرك جوارحه فتحركت فاذا هو حي فخر لله تعالى ساجدا وقال يا رب اتخذت
لك مسجدا لم يعبدك احد في مثله **وهو سقيم** اي عليل كالفرخ الممعوط
وانبتنا عليه اي له وقيل عنده **شجرة من يقطين** قال المبرد والزجاج اليقطين
كل ما لم يكن له ساق من عود كالقثاء والقرع والبطيخ والحنظل وهو قول
الحسن ومقاتل قال البغوي المراد هنا القرع على قول جميع المفسرين وذكر
الفراء انه قيل عند ابن عباس هو ورق القرع فقال ومن جعل القرع من
الشجر يقطينا كل ورقة انشقت وسويت فهو يقطين فان قيل الشجر
ما له ساق واليقطين لا ساق له كما قال تعالى والنجم والشجر يسجدان
اجيب بان الله تعالى جعل لها ساقا على خلاف العادة في القرع معجزة
له عليه السلام ولو كان منبسطا على الارض لم يكن ان يستظل به قال
مقاتل بن حيان كان يونس يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب
من لبنها بكرة وعشية حتى اشتد لحمه ونبت شعره روي ان يونس عليه
السلام كان يسكن مع قومه فلسطين فغزاهم ملك وسبى منهم تسعة
اسباط ونصف وبقي سبطان ونصف وكان قد اوحى الى بني اسرائيل اذا اسركم
عدوكم او اصابتكم مصيبة فادعوني استجب لكم فلما نسوا ذلك
واسروا اوحى الله بعد حين الى نبي من انبيايهم اذ اذهب الى ملك هولا القوم
الاقوام وقل يبعث الى بني اسرائيل نبيا فاختار يونس عليه السلام لقوته
وامانته قال الله امرك بهذا قال لا ولكن امرت ان ابعث قويا امينا وانت كذلك
فقال يونس وفي بني اسرائيل من هو اقوى مني فلم لا تبعثه فالح الملك عليه
فغضب يونس منه وخرج حتى اتى بحر الروم فوجد سفينة مشحونة فحملوه

فيها فلما اشرفوا على لجة البحر اشرفوا على الغرق فقال الملاحون ان فيكم عاصيا
والا لم يحصل في السفينة ما نراه وقال التجار قد جربنا مثل هذا فاذا
رايناه نقترع فمن خرج عليه نغرقه فلان يغرق واحد خير من غرق الكل فخرج
من بينهم يونس فقال يا هولاء انا العاصي وتلفف في كسايه ورمى
بنفسه فالتقمه الحوت واوحى الله تعالى الى الحوت لا تكسر منه عظما ولا تقطع
منه وصلا ثم ان الحوت خرج الى نيل مصر ثم الى بحر فارس ثم الى البطايح ثم الى دجلة
وصعد به ورماه في ارض نصيبين بالعراء وهو كالفرخ المنتوف لا شعر
ولا لحم فانبت الله تعالى عليه شجرة من يقطين فكان يستظل بها ويأكل من
ثمرها حتى اشتد ثم ان الارضة اكلتها فحزن يونس لذلك حزنا شديدا
فقال يا رب كنت استظل تحت هذه الشجرة من الشمس والريح وامص من
ثمرها وقد سقطت فقال يا يونس تحزن على شجرة انبتت في ساعة ولا تحزن
على مائة الف او يزيدون تركتهم فانطلق اليهم فانطلق وذلك قوله تعالى
وارسلناه اي بعد ذلك كقبله الى قومه بنينوى من ارض الموصل **الى**
مائة الف او يزيدون قال ابن عباس ان او بمعنى الواو وقال مقاتل
والكلبي بمعنى بل وقال الزجاج على الاصل بالنسبة الى المخاطبين
واختلفوا في معنى الزيادة فقال ابن عباس ومقاتل كانوا عشرين الفا
ورواه ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحسن بضعا
وثلاثون الفا وقال سعيد بن جبير تسعين الفا **فآمنوا** اي الذي ارسل
اليهم عند معاينة العذاب الموعودين به **فمتعناهم** اي ابقيناهم
بما لهم **الى حين** اي انقضاء اجالهم تنبيه قال البيضاوي ولعله
لم يختم قصته وقصة لوط بما ختم به ساير القصص تفرقة بينهما وبين
ارباب الشرايع الكبيرة واولي العزم من الرسل او اكتفا بالسلام الشامل لكل
الرسل المذكورين في اخر السورة وقوله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم
فاستفتهم اي استخبر كفار مكة توبيخا لهم **الربك البنات ولهم البنون** قال
الزمخشري معطوف على مثله في اول السورة قال ابو حيان واذا كانوا واذا
كانوا قد عدوا الفصل بجملة نحو كل لحما واضرب زيدا وخبزا من اقبح التركيب
فكيف بجمل كثيرة وقصص متباينة واجيب عنه فان الفصل وان كثر بين
الجمل المتعاطفة مغتفر واما المثال الذي ذكره من قبيل المفردات الا ترى
عطف خبزا على لحما وايضا الفصل ليس باجنبي كما اشار اليه البيضاوي بقوله
امر اولا باستفتا قريش عن وجه انكارهم البعث وساق الكلام في تقريره
جارا لما يلايمه من القصص موصولا بعضها ببعض ثم امره صلى الله عليه وسلم
باستفتايهم على وجه القسمة حيث جعلوا لله البنات ولانفسهم البنين
في قولهم الملايكة بنات الله وهولا زادوا على الشرك ضلالات اخر

بالتجسيم وتجويز البنات على الله تعالى فان الولادة مخصوصة بالاجسام الكائنة
الفاسدة وتفضيل انفسهم عليه حيث جعلوا اوضع الجنسين له وارفعهما
لهم واستهانتهم بالملائكة حيث انثوهم ولذلك كرر الله انكارهم ذلك وابطاله
في كتابه العزيز مرارا وجعله مما تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر
الجبال هدا والانكار ههنا مقصور على الاخيرين لاختصاص هذه الطائفة
بهما ونقل الواحدي عن المفسرين انهم قالوا ان قريشا واجناس العرب جهينة
وبني سلمة وخزاعة وبني مليح قالوا الملائكة بنات الله وهذا الكلام يشتمل على
امرين احدهما اثبات البنات لله تعالى وذلك باطل لان العرب كانوا يستنكفون
من البنات والشيء الذي يستنكف منه المخلوق كيف يمكن اثباته للخالق والثاني
اثبات ان الملائكة اناث وهذا ايضا باطل لان طريق العلم اما الحس واما الخبر
واما النظر اما الحس فمفقود لانهم لم يشاهدوا كيف خلق الله تعالى الملائكة
وهو المراد من قوله تعالى **ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون** وانما خص
علم المشاهدة لان امثال ذلك لا يعلم الا به فان الانوثة ليست من لوازم
ذاته لتمكن معرفته بالعقل الصرف مع ما فيه من الاستهزاء والاشعار
بانهم لفرط جهلهم يبتون به كانهم قد شاهدوا خلقهم واما الخبر فمفقود
ايضا لان الخبر انما يفيد العلم اذا علم بكونه صدقا قطعا وهؤلاء الذين يخبرون
عن هذا الحكم كذابون افاكون لم يدل على صدقهم دليل وهذا هو المراد بقوله تعالى
الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون اي فيما زعموا وقوله تعالى **اصطفى
البنات على البنين** استفهام انكار واستبعاد والاصطفاء اخذ صفوة الشيء
فائدة همزة اصطفى همزة قطع مفتوحة مقطوعة وصلا وابتداء
ما لكم كيف تحكمون هذا الحكم الفاسد **افلا تذكرون** اي انه منزه عن
ذلك وقرا حمزة والكسائي وحفص بتخفيف الذال والباقون بالتشديد واما
النظر فمفقود من وجهين الاول ان دليل العقل يقتضي فساد هذا المذهب
لانه تعالى اكمل الموجودات والاكمل به اصطفا البنات على البنين يعني اسناد
الافضل الى الافضل اقرب الى العقل من اسناد الاخس الى الافضل فان كان
حكم العقل معتبرا في هذا الباب كان قولهم باطلا الثاني ان نترك على فساد
مذهبهم بل نطالبهم باثبات الدليل الدال على صحة مذهبهم واذا لم يجدوا
دليلا ظهر بطلان مذهبهم وهذا هو المراد بقوله تعالى **ام لكم سلطان مبين**
اي حجة واضحة ان لله ولدا **فاتوا بكتابكم** اي التوراة فاروني ذلك فيه **ان
كنتم صادقين** اي في قولكم هذا **وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا** قال مجاهد
وقتادة اراد بالجنة الملائكة سموا جنا لاجتنانهم عن الابصار قال ابن
عباس حي من الملائكة يقال لهم الجن منهم ابليس وقيل هم خزان الجنة قال
الرازي وهذا القول عندي مشكل لان الله ابطل قولهم الملائكة بنات الله ثم

ثم عطف عليه قوله تعالى وجعلوا والعطف يقتضي المغايرة فوجب ان يكون المراد الاية
غير ما تقدم وقال مجاهد قال كفار قريش الملائكة بنات الله فقال ابو بكر الصديق
فمن امهاتهم قالوا سروات الجن وهذا ايضا بعيد لان المصاهرة لا تسمى نسبا قال
الرازي وقد روينا في تفسير قوله تعالى وجعلوا لله شركاء الجن ان قوما من الزنادقة
يقولون ان الله وابليس اخوان فالله هو الحر الكريم وابليس هو الاخ الشرير فالمراد
من ذلك هو هذا المذهب قال وهذا القول عندي هو اقرب الاقاويل وهو مذهب
المجوس **ولقد علمت الجنة انهم** اي اهل هذا القول **لمحضرون** اي الى النار ويعذبون
وقيل ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون العذاب فعلى الاول الضمير عائد الى
القائل وعلى الثاني عائد الى نفس الجنة ثم انه تعالى نزه نفسه عما قالوا
من الكذب فقال تعالى **سبحان الله عما يصفون** بان لله ولدا ونسبا وقوله تعالى
الا عباد الله المخلصين اي المؤمنين استثناء منقطع اي لكن عباد الله فانهم
ينزهون الله تعالى عما يصف هؤلاء الثالث انه ضمير يحضرون اي لكن عباد
الله تعالى ناجون وعلى هذا فيكون التسبيح معترضا وظاهر كلام ابي البقاء
انه يجوز ان يكون استثناء متصلا لانه قال مستثنى من جعلوا او محضرون
ويجوز ان يكون منفصلا فظاهر هذه العبارة ان الوجهين الاولين هو
فيهما متصل لا منفصل وليس ببعيد كانه قيل وجعل الناس ثم استثنى
منهم هؤلاء وكل من لم يجعل بين الله وبين الجنة نسبا فهو عند الله مخلص
من الشرك وقوله تعالى **فانكم** يا اهل مكة **وما تعبدون** من الاصنام عود
الى خطابهم لانه لما ذكر الدلائل الدالة على فساد مذاهب الكفار اتبعه بما
ينبه به على ان هؤلاء الكفار لا يقدرون على اضلال احد الا اذا كان سبق حكم
الله تعالى في حقه بالعذاب والوقوع في النار كما قال تعالى **ما انتم عليه**
اي على معبودكم وعليه متعلق بقوله تعالى **بفاتنين** اي بمضلين احدا
من الناس **الا من هو صال الجحيم** اي الا من سبق له في علم الله تعالى
الشقاوة تنبيه احتج اهل السنة بهذه الاية على انه لا تاثير لايحاء
الشيطان ووسوسته وانما المؤثر قضاء الله تعالى وتقديره ثم ان جبريل
عليه السلام اخبر النبي صلى الله عليه وسلم بان الملائكة ليسوا بمعبودين
كما زعمت الكفار بقوله **وما منا** اي معشر الملائكة ملك **الا له مقام
معلوم** في السموات يعبد الله تعالى فيه لا يتجاوزه قال ابن عباس
ما في السموات موضع شبر الا وعليه ملك يصلي ويسبح وروى ابو ذر عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اطت السموات وحق لها ان تئط
والذي نفسي بيده ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته
لله ساجدا والاطيط اصوات الاقتاب وقيل اصوات
الابل وحنينها ومعنى الحديث ما في السماء من الملائكة قد اثقلها حتى

اطت وهذا مثل وايذان بكثرة الملائكة وان لم يكن ثم اطيط الا له مقام معلوم
في القرب والمشاهدة **وانا لنحن الصافون** اي اقدامنا في الصلاة وقال
الكلبي صفوف الملائكة في السماء كصفوف الناس في الارض **وانا لنحن المسبحون**
اي المنزهون الله تعالى عما لا يليق به وقيل هذا من كلام النبي صلى الله
عليه وسلم والمومنين والمعنى وما منا الا له مقام معلوم اي في الجنة
او بين يدي الله تعالى في القيامة وانا لنحن الصافون في الصلاة والمنزهون
له عن السوء ثم انه تعالى اعاد الكلام الى الاخبار عن المشركين فقال
وان كانوا اي كفار مكة وان مخففة من الثقيلة **ليقولون لو ان عندنا ذكرا**
اي كتابا **من الاولين** اي من كتب الامم الماضية **لكنا عباد الله المخلصين** اي
لاخلصنا العبادة له ولما كذبنا به ثم جاءهم الذكر الذي هو سيد الاذكار
والمهيمن عليها وهو القران العظيم **فكفروا به فسوف يعلمون** عاقبة هذا
الكفر وهذا تهديد عظيم ولما هددهم بذلك اردفه بما يقوي قلب
النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى **ولقد سبقت كلمتنا** اي بالنصر
لعبادنا المرسلين وهي قوله تعالى لاغلبن انا ورسلي او هي قوله
تعالى **انهم لهم المنصورون وان جندنا** اي المومنين **لهم الغالبون** اي
الكفار والنصرة والغلبة قد تكون بالحجة وقد تكون بالدولة والاستيلا
وقد تكون بالدوام والثبات فالمومن وان صار مغلوبا في بعض الاوقات
بسبب ضعف احوال الدنيا فهو الغالب في الاخرة فالحكم في ذلك
للاغلب في الدنيا فلا ينافي ذلك قتل بعض الانبيا وهزم كثير من المومنين
واعاد لك كلمة وهي كلمات لانتظامها في معنى واحد **فتول عنهم** اي　يسمى
اعرض عن كفار مكة واختلف في قوله تعالى **حتى حين** فقال ابن
عباس يعني الموت وقال مجاهد يوم بدر وقال السدي حتى
يامرك الله بالقتال وقيل الى ان ياتيهم عذاب الله وقيل الى فتح مكة
وقال مقاتل ابن حيان نسختها اية القتال **وابصرهم** اي اذا نزل
بهم العذاب من القتل والاسر في الدنيا والعذاب في الاخرة **فسوف
يبصرون** اي ما قضينا لك من التاييد والنصرة والثواب في
الاخرة وسوف للوعيد لا للتبعيد ولما قيل لهم ذلك قالوا استهزاء
متى نزول العذاب فقال تعالى تهديدا لهم **افبعذابنا يستعجلون** اي ان
ذلك الاستعجال جهل لان لكل شي من افعال الله وقتا معينا لا
يتقدم ولا يتاخر **فاذا نزل** اي العذاب **بساحتهم** قال مقاتل
بحضرتهم وقيل بفنائهم قال الفرا العرب تكتفي بذكر الساحة
عن القوم شبه العذاب بجيش فاناخ بفنائهم بغتة **فساء** اي
فبئس صباحا **صباح المنذرين** اي الكافرين الذين انذروا بالعذاب وعن

انس

انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج الى خيبر اتاها ليلا
وكان اذا جاء قوما بليل لم يغر حتى يصبح فلما اصبح خرجت يهود بمساحيها
ومكاتلها فلما راوه قالوا محمد والله محمد والخميس فقال صلى الله عليه وسلم
الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها
ثلاث مرات وقوله تعالى **وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون** فيه وجهان
احدهما ان في هذه الكلمة فيما تقدم احوال الدنيا وفي هذه الكلمة احوال
يوم القيمة وعلى هذا فالتكرير زايل والثاني انها مكررة للمبالغة في
التهديد والتهويل ما الحكمة في قوله اولا وابصرهم وههنا قال وابصر
بغير ضمير اجيب بانه حذف مفعول ابصر الثاني اما اختصارا لدلالة
الاول عليه واما اقتصارا تفننا في البلاغة ثم انه تعالى ختم السورة
بتنزيه نفسه عن كل ما لا يليق به بصفات الالهية فقال تعالى
سبحان ربك رب العزة اي الغلبة والقوة وفي قوله تعالى رب اشارة
الى كمال القدرة وانه القادر على جميع الحوادث لان الالف واللام
في قوله العزة تفيد الاستغراق واذا كان الكل ملكا له لم يبق
لغيره شي فثبت ان قوله تعالى سبحان ربك رب العزة **عما يصفون** اي
ان له ولدا الكلمة محتوية على اقصى الدرجات واكمل النهايات وقوله تعالى　**وسلام على المرسلين**
اي المبلغين من الله تعالى التوحيد والشرايع تعميم للرسل بعد تخصيص
بعضهم **والحمد لله رب العالمين** اي على هلاك الاعدا ونصرة الانبيا عليهم افضل
الصلاة والسلام وعلى ما افاض عليهم من النعمة وحسن العاقبة ولذلك
اخره عن التسليم والغرض من ذلك تعليم المومنين ان يقولوا ذلك ولا
يغفلوا عنه لما روى البغوي عن علي رضي الله تعالى عنه من اراد احب
ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيمة فليكن اخر كلامه من مجلسه
سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب　ت
العالمين واما ما رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان من قرا والصافات
اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت
عنه مردة الشياطين وبري من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيمة
انه كان مومنا بالمرسلين فموضوع قال المولف رحمه الله تعالى
ومن خطه نقلت اصله وقد تم تفسير معاني الربع الثالث من كلام ربنا
العظيم بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه يوم الثلاثا من شهر الله
تعالى المحرم اول سنة ست وستين وتسعماية على يد مولفه فقير
رحمة ربه القريب محمد الشربيني الخطيب نفع الله تعالى به مولفه ومن
قراه او نقل منه او طالع فيه ودعا لمن كان سببا في تاليفه بالموت على الاسلام
ونسال الله تعالى ان يجعل ذلك خالصا لوجهه وان ينفع به وان يعيننا على اتمامه

تفسير سورة ص

فانه لا يخيب من ساله والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

سورة ص مكية وهي ست او ثمان وثمانون آية

وسبعمائة واثنان وثمانون كلمة وثلاثة الاف وتسعة وتسعون حرفا
بسم الله المنزه عن كل شائبة نقص الرحمن الذي عم جوده سائر
مخلوقاته الرحيم بمن خلقه واختلف في تفسير قوله تعالى ص
فقيل قسم وقيل اسم للسورة كما ذكرنا في سائر حروف التهجي في اوائل
السور وقال محمد بن كعب القرظي مفتاح اسمه الصمد وصادق الوعد
وقال الضحاك معناه صدق الله وروي عن ابن عباس صدق محمد
صلى الله عليه وسلم وقيل معناه ان القران مركب من هذه الحروف وانتم
قادرون عليها ولستم قادرين على معارضته والقران اي الجامع لكل
مع البيان لكل خير ذي الذكر اي الموعظة والتذكير وقال ابن عباس ذي
البيان وقال الضحاك ذي الشرف دليله قوله تعالى وانه لذكر لك
ولقومك فان قيل هذا قسم فاين المقسم به اجيب بانه محذوف
تقديره ما الامر كما قال كفار مكة من تعدد الالهة وقوله تعالى بل الذين
كفروا اي من اهل مكة اضراب انتقال من قصة الى اخرى في عزة اي
حمية وتكبر عن الايمان وشقاق اي خلاف وعداوة للنبي صلى الله عليه وسلم
والتنكير في عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وقيل جواب القسم
قد تقدم وهو قوله تعالى ص اقسم الله تعالى بالقران ان محمدا لصادق
وقال الفراء معناها وجب وحق فهو جواب قوله والقران كما تقول
نزل والله وقال الاخفش قوله تعالى ان كل الا كذب الرسل
وقال السدي ان ذلك لحق تخاصم اهل النار قال البغوي وهذا
ضعيف لانه تخلل بين القسم وبين هذا الجواب اقاصيص واخبار
كثيرة وقال مجاهد في عزة متعازين كم اي كثيرا اهلكنا
واكد كثرتهم بقوله تعالى من قرن اي امة من الامم الماضية كانوا في
شقاق مثل شقاقهم تنبيه كم مفعول اهلكنا ومن قرن تمييز ومن
قبلهم لابتداء الغاية فنادوا اي استغاثوا عند نزول العذاب وحلول
النقمة وقيل نادوا بالايمان والتوبة ولات اي وليس الحين ولات حين اي
منجا وفرار قال ابن عباس كان كفار مكة اذا قاتلوا فاضطروا في الحرب
قال بعضهم لبعض مناص اي اهربوا وخذوا حذركم فلما نزل بهم العذاب
ببدر قالوا مناص فانزل الله تعالى ذلك والمناص مصدر ناص ينوص
اذا تقدم ولبس ولات بمعنى ليس بلغة اهل اليمن وقال النحويون
هي زيدت فيها التاء كقولهم رب وربت وثم وثمة واصلها ها وصلت

ها بلا

ها بلا فقالوا لاه كما قالوا ثمة ولا تعمل الا في الازمان خاصة نحو لات حين
ولات اوان كقوله
طلبوا صلحنا ولات اوان ۝ فاجبنا ان ليس حين بقاء ۝
والاكثر حينئذ حذف مرفوعها تقديره ولات الحين حين مناص وقد يحذف ف
المنصوب ويبقى المرفوع كقوله
من صد عن نيرانها ۝ فانا ابن قيس لا براح ۝ اي لا براح لي
ولما حكى تعالى من الكفار كونهم في عزة وشقاق اتبعه بشرح كلماتهم
الفاسدة بقوله تعالى وعجبوا اي الكفار الذين ذكرهم الله تعالى في قوله
سبحانه بل الذين كفروا ان اي لاجل ان جاءهم منذر هو النبي صلى الله
عليه وسلم وفي قوله تعالى منهم وجهان احدهما انهم قالوا ان محمدا مساو
لنا في الخلقة الظاهرة والاخلاق الباطنة والنسب والشكل والصورة
فكيف يعقل ان يختص من بيننا بهذا المنصب العالي والثاني ان الغرض
من هذه الكلمة التنبيه على كمال جهلهم لانهم جاءهم رجل يدعوهم الى
التوحيد والترغيب في الاخرة ثم هذا الرجل من اقاربهم يعلمون انه كان
بعيدا عن الكذب والتهمة وكل ذلك مما يوجب الاعتراف بتصديقه ثم
انهم لحماقتهم يتعجبون له من قوله وقال الكافرون وضع الظاهر فيه مو ضع
المضمر اشارة الى انهم يسترون الحق مع معرفتهم اياه فهم جاحدون
لا جاهلون ومعاندون لا غافلون وايذانا بشدة غضبه عليهم
وذما لهم على قولهم هذا اي المنذر ساحر اي فيما يظهره معجزة ۝
كذاب اي فيما يقول على الله تعالى اجعل اي صير بسبب ما يزعم
انه يوحي اليه الالهة اي التي نعبدها الها واحدا كيف يسع الخلق كلهم
اله واحد ان هذا اي القول بالوحدانية لشيء عجاب اي بليغ في الْمَبْق
العجب فانه خلاف ما اطبقوا عليه اباؤنا وما نشاهده من ان الواحد
لا يفي علمه وقدرته بالاشياء الكثيرة وقال البغوي العجب والعجاب
واحد كقولهم رجل كريم وكرام وكبير وكبار وطويل وطوال
وعريض وعراض وسبب قولهم ذلك انه روي انه لما اسلم عمر رضي الله
عنه شق ذلك على قريش وفرح به المومنون فقال الوليد بن المغيرة للملاء
من قريش وهم الصناديد والاشراف وكانوا خمسة وعشرين رجلا
اكبرهم سنا الوليد بن المغيرة اذهبوا الى ابي طالب فاتوا اليه وقالوا له انت
شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وانا جئناك لتقضي بيننا
وبين ابن اخيك فارسل ابو طالب الى النبي صلى الله عليه وسلم فحضر فقال له يا ابن
اخي هؤلاء قومك يسالونك السواء فلا تمل كل الميل على قومك فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا تسالوني فقالوا ارفضنا وارفض

ذكر الهتنا قال ارأيتم ان اعطيتكم ما سألتم اتعطوني انتم كلمة واحدة تملكون
بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال ابو جهل لله ابوك نعطيكها وعشر امثالها
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا لا اله الا الله فنفروا من ذلك
وقاموا فقالوا ذلك وانطلق الملأ منهم اي اشراف قريش من مجلس اجتماعهم
عند ابي طالب وسماعهم فيه من النبي صلى الله عليه وسلم قولوا لا اله الا الله
ان امشوا اي يقول بعضهم لبعض امشوا اي اذهبوا واصبروا اي اثبتوا
على الهتكم اي على عبادتها قال الزمخشري ويجوز انهم قالوا ان
امشوا اي اكثروا واجتمعوا من مشت المرأة اذا كثرت ولادتها ومنه
الماشية للتفاؤل انتهى فاتفق الجميع يكسرون النون في الوصل والهمزة
في الابتدا من امشوا ولما اسلم عمر وحصل للمسلمين قوة بمكانه قال
المشركون ان هذا اي الذي نراه من زيادة اصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم لشيء يراد اي بنا فلا مرد له او ان الصبر على عبادة الالهة لشيء يراد
او هو اهل للارادة فهو امر لا ننفك عنه وقيل ان دينكم لهذا المذكور
من التوحيد لشيء يراد منا وقيل ان دينكم لشيء يطلب ليؤخذ منكم
ما سمعنا بهذا اي الذي يقوله محمد من التوحيد في الملة الاخرة قال
ابن عباس يعنون في النصرانية لانها اخر الملل وهم لا يوحدون بل يقولون
ثالث ثلاثة وقال مجاهد يعنون ملة قريش دينهم الذي هم
عليه ان اي ما هذا اي الذي يقوله الا اختلاق افتعال وكذب
أانزل عليه اي محمد صلى الله عليه وسلم الذكر اي القرآن من بيننا
وليس باكبرنا ولا اشرفنا وهذا استفهام على سبيل الانكار لاختصاصه
بالوحي وهو مثلهم وفي ذلك دليل على ان مبدأ تكذيبهم لم يكن الا الحسد
وقصور النظر على الحطام الدنيوي وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو بتسهيل
الهمزة الثانية كالواو وادخل بينهما الفا قالون وابو عمرو بخلاف عن ابي
عمرو وورش وابن كثير بغير ادخال وعن هشام فيها ثلاثة اوجه تحقيق
الهمزتين وادخال الف بينهما وتحقيقهما من غير ادخال بينهما قال الله تعالى
بل هم في شك اي تردد يحيط بهم مبتدئ لهم من ذكري اي وحيي
وما انزلت لميلهم الى التقليد واعراضهم عن الدليل الذي لو نظروا
فيه لزال هذا الشك عنهم بل اي ليسوا في شك منه في نفس
الامر وان كان قولهم قول من هو في شك لما يذوقوا عذاب اي الذي
اعددته للمكذبين ولو ذاقوه لما قالوا هذا القول ولصدقوا النبي فيما
جاء به ولا ينفعهم التصديق حينئذ ام اي بل عندهم خزائن اي
مفاتيح رحمة اي نعمة ربك وهي النبوة يعطونها من شاءوا ونظيره
ام يقسمون رحمة ربك اي نبوة ربك العزيز اي الغالب الذي

لايغلبه

لا يغلبه احد الوهاب اي الذي له ان يهب كل ما شاء من النبوة وغيرها لمن
شاء من خلقه ولما كانت خزائن الله تعالى غير متناهية كما قال تعالى وان
من شيء الا عندنا خزائنه ومن جملتها السموات والارض وما بينهما وهم
عاجزون عن هذا القسم قال الله تعالى ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما
اي ليس لهم ذلك فاذن يكونوا عاجزين عن كل خزائن الله تعالى اولى
وقوله تعالى فليرتقوا في الاسباب جواب شرط محذوف اي ان كان لهم ذلك
فليصعدوا في المعارج التي يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا
امر العالم فينزلون الوحي الى من يريدونه وهذا غاية التهكم بهم والتعجيز
والتوبيخ قال مجاهد اراد بالاسباب ابواب السما وطرقها من سما الى سما
وكل ما يوصلك الى شيء من باب او طريق فهو سبب واستدل حكماء الاسلام بقوله
تعالى فليرتقوا في الاسباب على ان الاجرام الفلكية وما اودع الله تعالى
فيها من القوى والخواص اسباب لحوادث العالم السفلي لان الله تعالى
سمى الفلكيات اسبابا وهذا يدل على ذلك وقوله تعالى جند ما
هنالك مهزوم من الاحزاب خبر مبتدا مضمر اي هم اي قريش جند ما من
الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فمن اين لهم تدبير
الالهية والتصرف في الامور الربانية فلا تكترث بما تقول قريش
قال الله تعالى قتادة اخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم وهو بمكة
انه سيهزم جند المشركين فقال سيهزم الجمع ويولون الدبر فجا
تاويلها يوم بدر وهنالك اشارة الى بدر ومصارعهم وقيل يوم
الخندق قال الرازي والاصح عندي حمله على يوم فتح مكة لان المعنى
انهم جند سيصيرون مهزومين في الموضع الذي ذكروا فيه هذه
الكلمات وذلك الموضع هو مكة فوجب ان يكون المراد انهم سيصيرون
مهزومين في مكة وما ذاك الا في يوم الفتح تنبيه في ما وجهان
احدهما انها مزيدة والثاني انها صفة لجند على سبيل التعظيم للتهكم بهم
او للتحقير بهم فان ما الصفة تستعمل في هذين المعنيين وقد تقدم
الكلام عليها في اوائل البقرة وهنالك صفة لجند وكذلك مهزوم
ومن الاحزاب ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم معزيا له صلى الله عليه
وسلم كذبت اي مثل تكذيبهم قبلهم قوم نوح انث قوم باعتبار
المعنى واستمروا على عتوهم وشقاقهم الى ان رأوا الماء قد اخذهم ولم
يسمحوا بالاذعان ولا بالتضرع الى نوح عليه السلام وعاد سماهم باسم
المنبه على ما كان لهم من المكنة بالملك واستمروا في شقاقهم الى ان
خرجت عليهم الريح وهي تحمل الابل فيما بين السما والارض وهم
لا يذعنون فيما دعاهم اليه هود عليه السلام وفرعون ذو الاوتاد

كانت له اوتاد يعذب الناس عليها وكان اذا غضب على احد مده مستلقيا
بين اربعة اوتاد يشد كل يد وكل رجل منه الى سارية وتركه كذلك
في الهوا بين السما والارض حتى يموت وقال مجاهد كان يمد الرجل
مستلقيا على الارض ثم يشد يديه ورجليه وراسه على الارض بالاوتاد
وقال السدي كان يمد الرجل ويشده بالاوتاد ويرسل عليه العقارب
والحيات وقال ابن عباس ذو البنا المحكم وقيل ذو الملك الشديد
الثابت وقال القتيبي تقول العرب هم في عز ثابت الاوتاد يريدون
انه دايم شديد قال الاسود بن يعفر
ولقد غنوا فيها بانعم عيشة • في ظل ملك ثابت الاوتاد •
وقال الضحاك ذو القوة والبطش وقال عطية ذو الجموع
والجنود الكثيرة لانهم كانوا يقوون امره ويشدون ملكه
كما يقوي الوتد الشي والاوتاد جمع وتد وفيه لغات وتد بفتح الواو
وكسر التاء وهي الفصحى ووتد بفتحتين وود بادغام التاء
في الدال وثمود واستمروا فيما هم فيه الى ان راوا علامات العذاب
من صفرة الوجوه ثم حمرتها ثم سوادها ولم يكن في ذلك زاجر يردهم
عن عزتهم وشقاقهم وقوم لوط اي الذين لهم قوة القيام بما
يحاولونه واستمروا في عزتهم وشقاقهم حتى ضربوا بالعشا
وطمس الاعين ولم يقدروا على الوصول الى ما ارادوا من الدخول
الى بيت لوط عليه السلام ولم يردهم ذلك عن عزتهم وشقاقهم
واصحاب الايكة اي الغيضة وهم قوم شعيب عليه السلام اولئك
الاحزاب اي المتحزبين على الرسل الذين جعل الجند المهزوم
منهم وقيل المعنى اولئك الاحزاب مبالغة في وصفهم بالقوة
كما يقال فلان هو الرجل اي اولئك الاحزاب مع كمال قوتهم لما كانت
عاقبتهم هي الهلاك والبوار فكيف حال هولاء الضعفا المساكين
اذا نزل عليهم العذاب وفي الاية زجر وتخويف للسامعين
ان اي ما كل اي من الاحزاب الا كذب الرسل اي لانهم اذا كذبوا
واحدا منهم فقد كذبوا جميعهم لان دعوتهم واحدة وهي دعوة
التوحيد فحق عقاب اي فوجب عليهم ونزل بهم عذابي ثم بين تعالى
ان هولاء المكذبين وان تاخر هلاكهم فكانه واقع بهم فقال
تعالى وما ينظر وحقرهم بقوله تعالى هولاء اي وما ينتظر كفار مكة
الا صيحة واحدة وهي نفخة الصور الاولى كقوله تعالى ما ينظرون
الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية
ولا الى اهلهم يرجعون والمعنى انهم وان لم يذوقوا عذابا في الدنيا

فهو معد

فهو معد لهم يوم القيمة فجعلهم منتظرين لها على معنى قربها منهم كالرجل
الذي ينتظر الشي فهو ماد الطرف اليه يتوقع كل ساعة حضوره وقيل
المراد بالصيحة عذاب يفجاهم ويجيبهم دفعة واحدة كما يقال صاح
الزمان بهم اذا هلكوا قال الشاعر
• صاح الزمان بال قومك صيحة • خروا لشدتها على الاذقان •
ونظيره قوله تعالى فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم قل
فانتظروا اني معكم من المنتظرين وقرا حمزة والكسائي ما لها اي الصيحة
من فواق بضم الفا والباقون بفتحها وهما لغتان بمعنى واحد وهو
الزمان الذي بين حلبتي الحالب ورضعتي الراضع والمعنى ما لها من توقف
قدر فواق ناقة وفي الحديث العيادة قدر فواق وهذا في المعنى كقوله
تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون وقال
ابن عباس ما لها من رجوع من افاق المريض اذا رجع الى صحته وافاقة الناقة
ساعة يرجع اللبن الى ضرعها يقال افاقت الناقة تفيق افاقة رجعت
واجتمعت الفيقة في ضرعها والفيقة اللبن الذي يجتمع بين الحلبتين
وهو ان يحلب الناقة ثم يترك ساعة ثم يجتمع اللبن فما بين الحلبتين فواق
اي العذاب لا يمهلهم بذلك القدر وقالوا اي كفار مكة استهزا لما
نزل قوله تعالى في الحاقة فاما من اوتي كتابه بيمينه واما من اوتي كتابه
بشماله ربنا اي المحسن الينا عجل لنا قطنا اي كتاب اعمالنا في الدنيا
قبل يوم الحساب وقال سعيد بن جبير يعنون حظنا ونصيبنا
من العذاب قال عطا قاله النضر بن الحارث وهو قوله ان كان هذا
هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السما وقال مجاهد قطنا
حسابنا يقال لكتاب الحساب قط وقال ابو عبيدة والكسائي
القط الكتاب بالجوايز ويجمع على قطوط وقططه كقرد وقرود وقردة
وفي القلة على اقطة واقطاط كقدح واقدحة واقداح الا ان افعلة
في فعل شاذ ولما ان قام القوم تعجبوا من امور ثلاثة اولها من امر
النبوات واثباتها كما قال تعالى وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وقال
الكافرون هذا ساحر كذاب وثانيها تعجبهم من الالهيات فقالوا
اجعل الالهة الها واحدا وثالثها تعجبهم من المعاد والنشر فقالوا
ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب قالوا ذلك استهزا امر الله تعالى نبيه
صلى الله عليه وسلم بالصبر فقال سبحانه اصبر واشار بحرف الاستعلا
الى عظيم الصبر فقال على ما يقولون اي على ما يقول الكفار من ذلك ثم انه
تعالى لما امر نبيه بالصبر ذكر قصص انبيا تسلية فكانه تعالى قال
فاصبر على ما يقولون واعتبر بحال ساير الانبيا لتعلم ان كل واحد منهم

الجنة التي تقول وقال مجاهد والسدي يعنون عقوبتنا

كان مشغولا بهم خاص وحزن خاص فيعلم حينئذ ان الدنيا لا تنفك عن الهموم
والاحزان وان استحقاق الدرجات العالية عند الله تعالى لا تحصل الا بتحمل
المشاق والمتاعب في الدنيا وبدا من ذلك بقصة داود عليه السلام
فقال تعالى واذكر عبدنا اي الذي اخلصناه لنا واخلص نفسه للنظر
الى عظمتنا والقيام في خدمتنا وابدل له منه او بينه بقوله تعالى داود
ذا الايد قال ابن عباس اي القوة في العبادة روى عبد الله بن عمر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الصيام الى الله
تعالى صيام داود واحب الصلاة الى الله تعالى صلاة داود كان يصوم
يوما ويفطر يوما وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وقيل
ذا القوة في الملك ووصفه تعالى بكونه عبدا له وعبر عن نفسه بصيغة
الجمع الدالة على نهاية التعظيم وذلك يدل على غاية التشريف الا ترى انه تعالى
لما اراد ان يشرف محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج قال تعالى سبحان
الذي اسرى بعبده ليلا وايضا وصف الانبياء بالعبودية مشعر بانهم
قد حصلوا معنى العبودية بسبب الاجتهاد في الطاعة انه اواب اي رجاع
الى مرضات الله تعالى والاواب فعال من اب يؤوب اذا رجع قال تعالى ان الينا ايابهم
وهذا بناء مبالغة كما يقال قتال وضراب وهو ابلغ من قاتل وضارب وقال
ابن عباس مطيع وقال سعيد بن جبير مسبح بلغة الحبشة ويؤيد هذا
قوله تعالى انا اي على ما لنا من العظمة التي لا يعجزها شيء سخرنا الجبال اي
التي هي اقسى من قومك وانها اعظم الاراضي صلابة وقوة وعلوا ورفعة
بان جعلناها منقادة ذلولا كالجمل الانف ثم فسر ذلك بقوله تعالى
معه اي مصاحبة له يسبحن اي بتسبيحه وفي كيفية تسبيحها وجوه
احدها ان الله تعالى يخلق في جسم الجبل حياة وعقلا وقدرة ونطقا وحينئذ
يصير الجبل مسبحا لله تعالى ثانيها قال القفال ان داود عليه السلام
اوتي من شدة الصوت وحسنه ما كان له في الجبال دوي حسن وما
يصغي الطير اليه لحسنه فيكون دوي الجبال وتصويت الطير معه واصغاؤها
اليه تسبيحا وروى محمد بن اسحق ان الله تعالى لم يعط احدا من خلقه مثل صوت
داود حتى انه كان اذا قرا الزبور دنت منه الوحوش حتى تؤخذ باعناقها
ثالثها ان الله تعالى سخر الجبال حتى كانت تسير الى حيث يريده داود
فجعل ذلك السير تسبيحا لانه يدل على كمال قدرة الله تعالى وحكمته
بالعشي والاشراق قال الكلبي غدوة وعشيا والاشراق هو ان تشرق
الشمس ويتناهى ضوؤها قال الزجاج يقال شرقت الشمس اذا طلعت
واشرقت اذا اضاءت وقيل هما بمعنى والاول اكثر تقول العرب شرقت
الشمس ولما تشرق وفسره ابن عباس بصلاة الضحى قال ابن عباس

كنت امر بهذه الاية ولا ادري ما هي حتى حدثتني ام هاني بنت ابي طالب ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها فدعا بوضوء فتوضا ثم صلى الضحى وقال
يا ام هاني هذه صلاة الاشراق وروى طاوس عن عبد الله عن ابن عباس
قال هل تجدون صلاة الضحى في القران قالوا لا فقرا انا سخرنا الجبال معه
يسبحن بالعشي والاشراق قال وكانت صلاة يصليها داود عليه السلام
لم يزل في نفسي من صلاة الضحى شيء حتى طلبتها وجدتها في قوله تعالى يسبحن
بالعشي والاشراق قال وكانت صلاة يصليها وقوله تعالى والطير
محشورة اي مجموعة اليه تسبح معه عطف مفعول على مفعول وهما الجبال
والطير او حال على حال وهما يسبحن ومحشورة كقولك ضربت زيدا مكتوفا
وعمرا مطلقا واتي بالحال اسما لانه لم يقصد ان الفعل وقع شيئا فشيئا
لان حشرها دفعة واحدة ادل على القدرة والحاشر هو الله تعالى فان قيل
كيف يصدر تسبيح الله تعالى من الطير مع انها لا عقل لها اجيب بانه لا يبعد
ان يخلق الله لها عقولا حتى تعرف الله تعالى فتسبحه حينئذ ويكون
ذلك معجزة لداود عليه السلام كل اي من الجبال والطير له اي لداود
اي لاجل تسبيحه اواب اي رجاع الى طاعته بالتسبيح وقيل كل مسبح
فوضع اواب موضع مسبح وقيل الضمير في له للباري تعالى والمراد كل من
داود والجبال والطير مسبح ورجاع لله تعالى وشددنا اي قوينا بما لنا
من العظمة ملكه اي بالحرس والجنود قال ابن عباس كان اشد ملوك
الارض سلطانا كان يحرس محرابه كل ليلة ستة وثلاثون الف رجل وعن
ابن عباس ان رجلا من بني اسرائيل استعدى على رجل من عظمائهم عند داود
فقال ان هذا غصبني بقرا فساله داود فجحد فقال للاخر البينة فلم
يكن له بينة فقال لهما داود قوما حتى انظر في امركما فاوحى الله الى داود
في منامه ان يقتل الذي استعدى عليه فقال هذه رؤيا ولست اعجل
حتى اتثبت فاوحى الله اليه مرة ثانية فلم يفعل فاوحى الله تعالى اليه الثالثة
ان يقتله او تاتيه العقوبة فارسل داود اليه فقال ان الله تعالى اوحى
الي ان اقتلك فقال تقتلني بغير بينة فقال داود نعم والله لانفذن
امر الله تعالى فيك فلما عرف الرجل انه قاتله قال لا تعجل حتى اخبرك اني
والله ما اخذت بهذا الذنب ولكني كنت اغتلت والد هذا فقتلته فبذلك
اخذت فامر به داود فقتل فاشتدت هيبة داود عند ذلك في
قلوب بني اسرائيل واشتد ملكه فذلك قوله تعالى وشددنا ملكه
واتيناه اي بعظمتنا الحكمة اي النبوة والاصابة في الامور واختلف
في تفسير قوله تعالى وفصل الخطاب فقال ابن عباس بيان الكلام معرفة
الفرق بين ما يلتبس في كلام المخاطبين له من غير كبير روية في ذلك

وقال ابن مسعود والحسن علم الحكمة والبصر بالقضا وقال علي بن ابي طالب
هو ان البينة على المدعي واليمين على من انكر لان كلام الخصوم ينقطع وينفصل
به وقال ابي بن كعب فصل الخطاب الشهود والايمان وقال مجاهد وعطا
ويروى عن الشعبي ان فصل الخطاب هو قول الانسان بعد حمد الله والثنا عليه
اما بعد اذا اراد الشروع في كلام اخر واول من قاله داوود عليه السلام
وقيل غيره كما ذكرته في شرح المنهاج عند قول المنهاج اما بعد وقيل الخطاب
الفصل الذي ليس باختصار مخل ولا اشباع ممل كما جاء وصف كلام النبي
صلى الله عليه وسلم فصل لا نزر ولا هذر وقوله تعالى لنبيه محمد صلى الله
عليه وسلم **وهل** استفهام معناه التعجب والتشويق الى استماع ما بعده
اتاك يا افضل الخلق **نبا** اي خبر **الخصم** وهو في الاصل مصدر ولذلك
يصلح للمفرد والمذكر وضدهما والمراد به هنا الجمع بدليل قوله تعالى **اذ** اي
حين **تسوروا** اي تصعدوا وعلوا **المحراب** اي البيت الذي كان يدخل
فيه داوود ويشتغل فيه بالطاعة والعبادة قال الزمخشري فان
قلت بم انتصب اذ قلت لا يخلو اما ان ينتصب باتاك او بالنبا او بمحذوف
فلا يسوغ انتصابه باتاك لان اتيان النبا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وان اردت بالنبا القصة في نفسها لم يكن ناصبا فبقي ان يكون منصوبا بمحذوف
وتقديره وهل اتاك نبا تحاكم الخصم اذ انتهى فاختار ان يكون معمولا لمحذوف ويجوز
ان ينتصب بالخصم لما فيه من معنى الفعل وقوله تعالى **اذ** اي حين **دخلوا
على داوود** بدل من اذ الاولى او ظرف لتسوروا وقرا نافع وابن كثير وعاصم باظهار
الدال عند التا في الاول وعند الدال في الثاني ووافقهم ابن ذكوان في الاول
والباقون بالادغام فيهما **ففزع منهم** اي لانهم نزلوا عليه من فوق في يوم الاحتجاب
والحرس على الباب لا يتركون من يدخل عليه فانه عليه السلام كان جزا زمانه
يوما للعبادة ويوما للقضا ويوما للوعظ ويوما للاشتغال بحاجته فتسوروا
عليه ملايكة على صورة الانسان في يوم الخلوة **قالوا لا تخف** وقولهم **خصمان**
خبر مبتدا مضمر اي نحن خصمان اي فريقان ليطابق ما قبله من ضمير الجمع
وقيل اثنان والضمير بمعناهما وقد مر ان الخصم يطلق على الواحد واكثر وقولهم
بغى بعضنا على بعض جملة يجوز ان تكون مفسرة لحالهم وان تكون خبرا ثانيا
فان قيل كيف قالوا بغى بعضنا على بعض وهم ملايكة على المشهور اجيب بان
ذلك على سبيل الفرض اي ارايت خصمين بغى احدهما على الاخر وهذا من
تعاريض الكلام لا من تحقق البغي من احدهما **فاحكم بيننا بالحق** اي الامر
الثابت الذي يطابق الواقع **ولا تشطط** اي ولا تجر في الحكومة **واهدنا** اي
ارشدنا **الى سوا الصراط** اي وسط الطريق الصواب فقال لهما تكلما فقال
احدهما **ان هذا** اي على ديني وطريقتي او في الصحبة لا من جهة النسب

له تسع

لا يقع الاتيان [illegible] في عهد داوود ولا النبا [illegible] ولان النبا واقع في عهد داوود [illegible] فلا يصح عمله [illegible] صلى الله عليه وسلم

له تسع وتسعون نعجة امراة **ولي نعجة واحدة** اي امراة واحدة والنعجة هي الانثى من
الضان ولكن كثر في كلامهم الكناية بها عن المراة قال ابن عون
انا ابوهن ثلاث هنه * رابعة في البيت صغراهنه * ونعجتي خمسا توفيهنه
قال الحسن بن الفضل هذا تعريض للتنبيه والتفهيم لانه لم يكن ثم نعاج ولا
بغي فهو كقولهم ضرب زيد عمروا واشترى بكر دارا ولا ضرب هناك ولا شرا وقرا
حفص بفتح اليا والباقون بالسكون **فقال اكفلنيها** قال ابن عباس اعطنيها قال
مجاهد انزل عنها وحقيقته ضمها الي واجعلني كافلها وهو الذي يعولها وينفق
عليها والمعنى طلقها لاتزوجها **وعزني في الخطاب** اي غلبني اي الجدال لانه
افصح مني في الكلام وقيل قهرني لقوة ملكه قال الضحاك يقول ان تكلم كان افصح
مني وان حارب كان ابطش وحقيقة المعنى ان الغلبة كانت له لضعفي في يدي
وان كان الحق معي وهذا كله تمثيل لامر داوود مع اوريا زوج المراة التي تزوجها داوود
وسياتي الكلام على قصته ان شا الله تعالى عن قرب **قال لقد ظلمك بسوال
نعجتك الى نعاجه** وهذا جواب قسم محذوف اريد به المبالغة في انكار فعل خليطه
وتهجين طمعه والسوال مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته الى مفعول اخر
بالى لتضمنه معنى الاضافة والانضمام اي ليضمها مضافة الى نعاجه فان قيل
كيف قال لقد ظلمك ولم يكن سمع قول صاحبه اجيب بان معناه اذا كان
الامر كما تقول فقد ظلمك او انه قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما يقول
ولم يذكر الله تعالى ذلك لدلالة الكلام عليه وقيل التقدير ان الخصم الذي هذا شانه
قد ظلمك وقرا قالون وابن كثير وهشام وعاصم باظهار الدال عند الظا والباقون
بالادغام وقوله **وان كثيرا من الخلطا** اي مطلقا منكم ومن غيركم والخلطا جمع
خليط وهم الشركا الذين خلطوا اموالهم وقال الليث خليط الرجل
مخالطه **ليبغي** اي ليتعدى **بعضهم على بعض** غالبا فيريدون غير الحق
فان قيل لم خص الخلطا ببغي بعضهم على بعض مع ان الخلطا يفعلون ذلك
بان المخالطة توجب كثرة المنازعة والمخاصمة لانهما اذا اختلطا اطلع كل
منهما على احوال صاحبه فكل ما يملكه من الاشيا النفيسة اذا اطلع عليه
عظمت رغبته فيه فيفضي ذلك الى زيادة المنازعة والمخاصمة فلذلك
خص داوود عليه السلام الخلطا بالبغي والعدوان ثم استثنى فقال
الا الذين امنوا وعملوا اي تحقيقا لايمانهم **الصالحات** اي الطاعات
فانهم لا يقع منهم شي لان مخالطة هولا تكون لاجل الدين وهذا استثنا
متصل من قوله بعضهم **وقليل ما هم** اي هم قليل فقليل خبر مقدم وما
مزيدة للتعظيم وهم مبتدا وقال الزمخشري ما للابهام وفيه تعجب
من قلتهم قال فان اردت ان تحقق فايدتها وموقعها فاخرجها من كلام
امري القيس * وحديث ما على قصره * وانظر هل بقي لها معنى **وظن داوود**

اي بدهما بهم قبل فصل الامر وندهمه من ذلك امر عظيم لا عهد له بمثله **انما فتناه**
اي امتحناه قال المفسرون ان الظن هنا بمعنى العلم لان داوود لما قضى بينهما
نظر احدهما الى صاحبه فضحك ثم صعدا الى السماء حيال وجهه فعلم ان الله تعالى
ابتلاه بذلك فثبت ان داوود علم ذلك وقال ابن عباس ان داوود لما دخل عليه
الملكان فقضى على نفسه وتحولا في صورتهما وعرجا وهما يقولان قضى الرجل على نفسه
فاستغفر ربه اي طلب الغفران من مولاه الذي احسن اليه **وخر** اي سقط
من قيامه توبة لربه عن ذلك **راكعا** اي ساجدا على تسمية الركوع سجودا لانه
مبدوه او خر للركوع ساجدا او مصليا كانه احرم بركعتي الاستغفار **واناب**
اي رجع الى الله تعالى قال الرازي وللناس في هذه القصة ثلاثة اقوال
احدها ان هذه القصة دلت على صدور الكبيرة عنه وثانيها على الصغيرة وثالثها
لا تدل على كبيرة ولا صغيرة فاما القول الاول فقالوا ان داوود احب امراة اوريا
فاحتال في قتل زوجها ثم تزوج بها ثم ارسل الله تعالى ملكين في صورة المتخاصمين
في واقعة تشبه واقعته وعرضا تلك الواقعة عليه فحكم داوود بحكم لزم
منه اعترافه بكونه مذنبا ثم تنبه لذلك واشتغل بالتوبة قالوا وسبب
ذلك ان داوود عليه السلام تمنى يوما من الايام منزلة ابائه ابراهيم
واسحق ويعقوب وسال ربه ان يمتحنه كما امتحنهم ويعطيه من الفضل
ما اعطاهم فاوحى الله اليه انك تبتلى في يوم كذا فاحترس فلما كان ذلك
اليوم جاءه الشيطان فتمثل له في صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون
حسن فاعجبه حسنها فمد يده لياخذها ويريها بني اسرائيل لينظروا الى
قدرة الله تعالى فطارت غير بعيد فتبعها فطارت من كوة فنظر داوود اين تقع
فابصر امراة في بستان تغتسل فعجب داوود من حسنها وحانت منها
التفاتة فابصرت ظله فنقضت شعرها فغطى بدنها فزاده اعجابا فسال
عنها فقيل له امراة اوريا وزوجها في غزاة فاحب داوود ان يقتل ويتزوج هو
بها فارسل داوود الى ابن اخته ان قدم اوريا قبل التابوت وكان من قدم على
التابوت لا يحل له ان يرجع وراءه حتى يفتح الله على يديه فكتب لي داوود
فامر ان يقدمه بعد ذلك ففعل ثلاث مرات فقتل في الثالثة فلما انقضت
عدتها تزوجها فهي ام سليمان عليهما السلام قال الرازي والذي ادين الله تعالى
به واذهب اليه ان ذلك باطل لوجوه الاول ان هذه الحكاية لو نسبت الى داوود
لانها لو نسبت الى افسق الناس واشدهم فجورا لاستنكف منها والذي
ينقل هذه القصة لو نسب الى هذا العمل لبالغ في تنزيه نفسه وربما لعن
من نسبها اليه فكيف يليق بالعاقل نسبة المعصية اليه ثانيها ان
حاصل القصة يرجع الى امرين الى السعي في قتل رجل مسلم بغير حق والى
الطمع في زوجته اما الاول فامر منكر وقال صلى الله عليه وسلم من سعى

او يقتل فيفتح على يديه صح

في دم مسلم

من سعى في دم مسلم ولو بشطر كلمة جاء مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله واما
الثاني فمنكر ايضا قال صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه
ويده فان اوريا لم يسلم من داوود لا في روحه ولا في منكوحه ثالثها ان الله
تعالى وصف داوود عليه السلام بصفات تنافي كونه عليه السلام موصوفا
بهذا الفعل المنكر الصفة الاولى انه امر محمدا صلى الله عليه وسلم ان
يقتدي بداوود في المصابرة مع المكاره فلو قلنا ان داوود لم يصبر على مخالفة
النفس بل سعى في اراقة دم عبد مسلم لغرض شهوته فكيف يليق باحكم
الحاكمين ان يامر محمدا افضل الرسل صلى الله عليه وسلم بان يقتدي بداوود
في الصبر على طاعة الله الصفة الثانية انه وصفه بكونه عبدا له وقد بينا
ان المقصود من هذا الوصف بيان كون ذلك الموصوف كاملا في وصف
العبودية في القيام باداء الطاعات والاحتراز عن المحظورات فلو قلنا
ان داوود كان قد اشتغل بتلك الاعمال الباطلة فحينئذ ما كان داوود
كاملا الا في طاعة الهوى والشهوة الصفة الثالثة وهو قوله تعالى ذا الايدي
اي ذا القوة ولا شك ان المراد منه القوة في الدين لان القوة الكاملة في اداء الواجبات
والاجتناب عن المحظورات واي قوة لمن لم يملك نفسه عن القتل والرغبة
في زوجة المسلم الصفة الرابعة كونه اوابا كثير الرجوع الى الله تعالى
فكيف يليق هذا بمن قلبه مشغولا بالفسق والفجور الصفة الخامسة
قوله انا سخرنا الجبال معه يسبحن افترى انه سخرت له الجبال لتتخذ وسيله
الى القتل والفجور الصفة السادسة قوله تعالى والطير محشورة قيل انه
كان محرما عليه صيد شيء من الطير فكيف يعقل ان الطير امنا منه ولا يجوز ان الرجل
المسلم عن روحه ومنكوحه الصفة السابعة قوله تعالى وشددنا
ملكه ومحال ان يكون المراد انه تعالى شد ملكه باسباب الدنيا
بل المراد انا ملكناه بقوى الدين واسباب سعادة الاخرة والمراد تشديد
ملكه في الدين والدنيا ومن لم يملك نفسه عن القتل والفجور
كيف يليق به ذلك الصفة الثامنة قوله تعالى واتيناه الحكمة وفصل
الخطاب والحكمة اسم جامع لكل ما ينبغي علما وعملا فكيف يجوز ان يقال
انا اتيناه الحكمة وفصل الخطاب مع اصراره على ما يستنكف منه مزاحمة
اخص اصحابه في الروح والمنكوح فهذه الصفات التي وصف بها قبل شرح
القصة واما الصفات المذكورة بعد ذكر القصة فاولها قوله تعالى
وان له عندنا لزلفى وحسن ماب وقوله تعالى يا داوود انا جعلناك
خليفة في الارض فكيف ان الله يجعله خليفة ويقع منه ذلك وقد روي
عن سعيد بن المسيب ان علي بن ابي طالب قال من حدثكم بحديث داوود
على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على

لانبياء وممايقوي هذا انهم قالوا ان المغيرة بن شعبة زنا وشهد ثلاثة من الصحابة
بذلك واما الرابع فلم يقل اني رايت ذلك بعيني فان عمر رضي الله عنه كذب اولئك
الثلاثة وجلد كل واحد منهما ثمانين جلدة لاجل انهم قذفوا فاذا كان هذا
الحال في واحد من احاد الصحابة كذلك فكيف الحال مع داوود عليه السلام مع انه
من اكابر الانبيا عليهم السلام فثبت بما ذكرنا ان القصة التي ذكرها هؤلا باطلة
لا يجوز ذكرها قال الرازي حضرت في مجلس وفيه بعض الاكابر ثم فكان
يريد ان يتعصب لتقرير ذلك القول الفاسد والقصة الخبيثة بسبب
اقتضى ذلك فقلت له ان داوود عليه السلام كان من اكابر الانبيا والرسل
وقال الله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته ومن مدحه الله بهذا المدح
العظيم لم يجز لنا ان نبالغ في الطعن فيه وايضا بتقدير انه ماكان نبيا فلا شك
انه كان مسلما وقال صلى الله عليه وسلم لا تذكروا موتاكم الا بخير
وذكرت له اشياء اخر فسكت ولم يذكر شيا فان قيل قد ذكر هذه القصة
كثير من المحدثين والمفسرين اجيب بانه لما وقع التعارض بين
الدلائل القاطعة وبين خبر واحد من اخبار الاحاد كان الرجوع الى الدلائل
القطعية واجبا والمحققون يردون هذا القول ويحكمون بالكذب
واما القول الثاني فقالوا يحمل هذه القصة على حصول الصغيرة لا على
حصول الكبيرة وذلك من وجوه الاول ان هذه المراة خطبها اوريا فاجابوه
ثم خطبها داوود فاثره اهلها فكان ذنبه ان خطب على خطبة اخيه المومن
مع كثرة نسائه الثاني قالوا انه وقع بصره عليها فمال قلبه اليها وليس
له في هذا ذنب البتة اما وقوع بصره عليها بغير قصد فليس بذنب اما
حصول الميل عقيب النظر فليس ايضا ذنبا لان الميل ليس في وسعه
فليس مكلفا به بل لما اتفق انه قتل زوجها تزوج بها الثالث انه كان
اهل زمان داوود عليه السلام يسال بعضهم بعضا ان يطلق زوجته
حتى يتزوجها وكانت عادتهم مالوفة معهودة في هذا المعنى فاتفق ان
عين داوود عليه السلام وقعت على تلك المراة فاحبها فسأله النزول
فاستحيا ان يرده ففعل وهي ام سليمان فقيل له ذلك وان كان جائزا
في ظاهر الشريعة الا انه لا يليق بك فان حسنات الابرار سيات
المقربين فهذه وجوه ثلاثة لو حملت هذه القصة على واحد منهما
لم يلزم في حق داوود الا ترك الافضل والاولى واما القول الثالث
نحمل هذه القصة على وجه لا يلزم فيه كبيرة ولا صغيرة لداوود عليه السلام
بل يوجب اعظم انواع المدح والثناء له وهو انه روي ان جماعة من الاعداء
طمعوا في ان يقتلوا نبي الله داوود عليه السلام وكان له يوم يخلو فيه
بنفسه ويشتغل فيه بعبادة ربه فانتهزوا الفرصة في ذلك اليوم

ثم اجاب

وتسوروا

وتسوروا المحراب فلما دخلوا عليه وجدوا عنده اقواما يمنعهم منه فخافوا
ووصفوا كذبا وقالوا خصمان بغى بعضنا على بعض الى اخر القصة فعلم غرضهم
وقصد ان ينتقم منهم وظن ان ذلك ابتلاء من الله تعالى له فاستغفر ربه مما هم به
وخر راكعا واناب فان قيل هنا اربعة الفاظ يمكن ان يحتج بها في الحاق الذنب
بداوود عليه السلام احدها قوله تعالى وظن داوود انما فتناه وثانيها قوله
تعالى فاستغفر ربه مما هم به واناب ورابعها قوله تعالى فغفرنا له ذلك اجيب
بان هذه الالفاظ لا يدل شي منها على ما ذكر لاحتمال ان تكون تلك الزلة هي
انما حصلت من باب ترك الافضل والاولى كما مر وحمل هذه الالفاظ
على هذا الوجه لا يلزم منه اسناد شي من الذنوب اليه بل ذلك يوجب
اسناد اعظم الطاعات اليه وقيل ان ذنبه المبادرة الى تصديق المدعي
وتظليم الاخر قبل مسالته وهناك اشيا كثيرة ذكرها البغوي
وغيره وفيما ذكرناه كفاية فغفرنا له ذلك اي ما استغفر منه وان
له عندنا لزلفى اي زيادة خير في الدارين بعد المغفرة وحسن ماب اي
مرجع في الجنة ولما تم الكلام في شرح القصة اردفها ببيان ان الله تعالى
فوض الى داوود خلافة الارض بقوله تعالى يا داوود انا جعلناك خليفة في الارض
اي تدبر امر العباد بامرنا وهذا من اقوى الدلائل على فساد القول الاول كما مر لانه
من البعيد جدا ان يوصف الرسول بكونه ساعيا في سفك دما المسلمين
رغبة في انتزاع ازواجهم منهم ومن البديهي ثم ذكر عقبه ان الله تعالى فوض
خلافة الارض اليه وفي تفسير كونه خليفة وجهان احدهما جعلناك تخلف
من تقدمك من الانبيا في الدعا الى الله تعالى وفي سياسة الناس لان
خليفة الرجل من يخلفه وذلك انما يعقل في حق من تصح عليه الغيبة وذلك على الله
تعالى محال ثانيهما انا جعلناك ممكنا في الناس نافذ الحكم فيهم فبهذا التاويل يسمى
خليفة ومنه يقال خليفة الله تعالى في ارضه وحاصله ان خليفة الرجل
يكون نافذ الحكم في رعيته وحقيقة الخلافة ممتنعة في حق الله تعالى
جعلت اللفظة للزوم نفاذ الحكم في تلك الحقيقة فاحكم بين الناس اي
الذين يتحاكمون اليك من اي قوم كانوا بالحق اي بالعدل لان الاحكام اذا
كانت مطابقة للشريعة الحقيقة الالهية انتظمت مصالح العالم
واتسعت ابواب الخيرات واذا كانت الاحكام على وفق الاهوية وتحصيل
مقاصد الانفس افضى ذلك الى تخريب العالم ووقوع الهرج فيه والمرج
في الخلق وذلك يفضي الى هلاك ذلك الحاكم ولهذا قال تعالى ولا تتبع
الهوى اي لا تمل مع ما تشتهي اذا خالف امر الله تعالى فيضلك اي ذلك
الاتباع او الهوى عن سبيل الله لان متابعة الهوى توجب الضلال عن
سبيل الله والضلال عن سبيل الله يوجب العذاب ان الذين يضلون

وثالثها قوله تعالى

دخل

عن سبيل الله اي عن الايمان بالله تعالى لهم عذاب شديد بما نسوا اي بسبب
نسيانهم يوم الحساب اي المرتب عليهم تركهم الايمان ولم يوقنوا بيوم
الحساب لاستوائهم في الدنيا وقال الزجاج بتركهم العمل لذلك اليوم وقال
عكرمة والسدي في الاية تقديم وتاخير تقديره لهم عذاب شديد يوم
الحساب بما نسوا اي تركوا القضا بالعدل وما خلقنا السما التي تزونها
والارض وما بينهما اي مما تحتوته من الرياح وغيرها خلقا باطلا
اي عبثا قال الله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا
لا ترجعون تنبيه احتج اهل السنة بان هذه الاية تدل على انه هو
تعالى خلق اعمال العباد لما بين السما والارض فوجب ان يكون تعالى
خالقا لها ودلت على صحة القول بالحشر والنشر لانه تعالى لما خلق
الخلق في هذا العالم فاما ان يكون خلقهم للاضرار او الانتفاع او لا
لشي والاول باطل لان ذلك لا يليق بالرحيم الكريم والثاني ايضا
باطل لان هذه الحالة حاصلة حين كانوا معدومين فلم يبق الا ان
يقال خلقهم للانتفاع وذلك الانتفاع انما يكون في حياة الدنيا او
في حياة الاخرة والاول باطل لان منافع الدنيا قليلة ومضارها
كثيرة وتحمل الضرر الكثير لوجدان المنفعة القليلة لا يليق بالحكمة
ولما بطل هذا القول ثبت القول بوجود حياة بعد هذه الحياة الدنيا
وذلك هو القول بالحشر والنشر والقيامة تنبيه يجوز في باطلا ان
يكون نعتا لمصدر محذوف او حالا من ضميره اي خلقا باطلا وان يكون
حالا من فاعل خلقنا اي مبطلين او ذوي باطل وان يكون مفعولا من
اجله اي للباطل وهو العبث ذلك اي خلق ما ذكر لا لشي ظن الذين
كفروا اي اهل مكة هم الذين ظنوا انهما خلقا لغير شي وانه لا بعث
ولا حساب فويل اي هلاك عظيم بسبب هذا الظن او واد
في جهنم للذين كفروا اي مطلقا بهذا الظن وبغيره من اي مبتدي من
النار لان من انكر الحشر والنشر كان شاكا في حكمة الله تعالى
في خلق السموات والارض ونزل لما قال كفار مكة للمومنين انا نعطى
في الاخرة مثل ما تعطون ام نجعل اي على عظمتنا الذين امنوا اي
امتثالا لاوامرنا وعملوا الصالحات تحقيقا لايمانهم كالمفسدين
اي المطبوعين على الفساد والراسخين فيه في الارض اي بالسفر
وغيره لم نجعلهم مثلهم وام منقطعة والاستفهام فيها لانكار
التسوية التي بين الحزبين التي هي من لوازم خلقها باطلا ليدل على
نفيه وكذا التي في قوله تعالى ام نجعل المتقين كالفجار كرر الانكار للاول
باعتبار وصفين اخرين يمنعان التسوية او انه انكر التسوية

اولا بين المومنين والكافرين ثم بين المتقين من المومنين والمجرمين منهم وقوله
تعالى كتاب خبر مبتدا مضمر اي هذا كتاب ثم وصفه بقوله تعالى انزلناه
اي بما لنا من العظمة اليك يا اشرف الخلق مبارك اي كثير خيره ونفعه
وقوله تعالى ليدبروا اي اصله ليتدبروا ادغمت التا في الدال اياته اي
ليتفكروا في اسراره العجيبة ومعانيه اللطيفة فيأتمروا باوامره ومناهيه
فيومنوا وليتذكر اي وليتعظ به اولوا الالباب اصحاب العقول القصة
الثانية قصة سليمان عليه السلام المذكورة في قوله تعالى ووهبنا اي
بما لنا من العظمة لداود سليمان ابنه لجا عديم النظير في ذلك الزمان
دينا ودنيا وعلما وحكمة وعظة ورحمة والمخصوص بالمدح في قوله تعالى
نعم العبد محذوف اي سليمان وقيل داود انه اواب اي رجاع في
التسبيح والذكر في جميع الاوقات اذ اي اذكر اذ عرض عليه اي سليمان
وقوله تعالى بالعشي وهو ما بعد الزوال الى الغروب وقوله تعالى الصافنات
اي الخيل العربية الخالصة جمع صافنة وفيه خلاف بين اهل اللغة فقال
الزجاج هو الذي يقف على احدى يديه ويقف على طرف سنبكه وقد يفعل ذلك
باحدى رجليه قال وهي علامة الفراهة فيه وانشد

ألف الصفون فلا يزال كأنه … مما يقوم على الثلاثة كسيرا

وقيل هو الذي يجمع يديه ويسويهما وقيل هو القائم مطلقا اي سوا كان
من الخيل ام من غيرها قال القتبي واستدل بقوله صلى الله عليه وسلم
من سره ان يقوم الناس له صفوفا فليتبوا مقعده من النار اي يديمون
له القيام وجا في الحديث فما صافين صفوفا اي صافين اقدامنا وقيل
هو القيام للخيل مطلقا اي سوا وقف على طرف سنبك ام لا قال الفرا
هذا رايت اشعار العرب واختلف ايضا في قوله تعالى الجياد اما من الجودة
ويقال جاد الفرس يجود جودة وجودة بالفتح والضم فهو جواد للذكر والانثى
وهو الذي يجود في جريه باعظم ما تقدم عليه ويجمع جياد واجواد واجاويد
وقيل جمع لجود بالفتح ككتاب وثوب واما من الجيد وهو العنق والمعنى
طويلة الاعناق جياد وهو دال على فراهتها قال الكلبي غزا سليمان اهل
دمشق ونصيبين فاصاب منهم الف فرس وقال مقاتل ورث سليمان
من ابيه داود الف فرس وقال عوف عن الحسن بلغني انها كانت خيلا
خرجت من البحر لها اجنحة وعن عكرمة انها كانت عشرين الف فرس لها
اجنحة فصلى سليمان الصلاة الاولى التي هي الظهر وقعد على كرسيه
وهي تعرض عليه منها تسعماية فرس فتنبه لصلاة العصر فاذا الشمس
قد غربت وفاتته الصلاة ولم يعلم بذلك هيبة له فاغتم لذلك فقال
اني احببت اي اردت حب الخير اي الخيل عن ذكر ربي اي صلاة

العصر **حتى توارت** اي الشمس **بالحجاب** اي استترت بما يحجبها عن الابصار
ردوها علي اي الخيل المعروضة وقيل الضمير يرجع للشمس قال الرازي وهذا
بعيد لوجوه الاول ان الصافنات مذكورة بالصريح والشمس غير مذكورة
وعود الضمير الى المذكور اولى من عوده الى المقدر وثانيها انه لو اشتغل بالخيل
حتى غربت الشمس وفاته صلاة العصر كان ذلك ذنبا عظيما ومن كان
هذا حاله فطريقه التضرع والبكا والمبالغة في اظهار التوبة فاما ان يقول
على سبيل العظمة لرب العالمين مثل هذه الكلمة العارية عن كل جهات
الادب عقب ذلك الجرم العظيم الذي لا يصدر عن ابعد الناس عن الخير
فكيف يجوز اسناده للرسول عليه السلام المطهر المكرم ثالثها ان
الشمس لو رجعت بعد الغروب لصار ذلك مشاهدا لكل اهل الدنيا
ولو كان ذلك لتوفرت الدواعي على نقله وحيث لم ينقل علمنا فساده ثم
قال اكثر المفسرين فلما ردوا الخيل اليه اقبل يضرب سوقها واعناقها
بالسيف اخذا من قوله تعالى **فطفق مسحا** اي فاخذ يمسح السيف
مسحا **بالسوق والاعناق** اي سوقها واعناقها بقطعها من قولهم مسح
علاوته اذا ضرب عنقه قالوا فعل ذلك تقربا الى الله تعالى وطلبا لمرضاته
حيث اشتغل عن طاعته وكان ذلك مباحا له وان كان حراما علينا كما ابيح
لنا ذبح بهيمة الانعام وبقي منها مائة فرس فما بقي في ايدي الناس
اليوم من الخيل من نسل المائة قال الحسن فلما عقر الخيل ابدله
الله تعالى خيرا منها واسرع وهي الريح تجري بامره كيف شاء قال الرازي
وهذا عندي بعيد لوجوه انه لو كان مسح السوق والاعناق قطعها
لكان معنى فامسحوا برؤسكم اي اقطعوها وهذا لا يقوله عاقل بل لو
قيل مسح راسه بالسيف فربما فهم منه ضرب العنق اما اذا لم يذكر
لفظ السيف لم يذكر منه البتة من المسح العقر والريح الثاني ان
القائلين بهذا القول جمعوا على سليمان عليه السلام انواعا من الافعال
المذمومة فاولها ترك الصلاة والثاني انه استولى عليه الاشتغال
بحب الدنيا حيث نسي الصلاة وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا راس
كل خطيئة وثالثها انه بعد الاتيان بهذا الذنب العظيم لم يشتغل
بالتوبة والانابة البتة ورابعها انه خاطب رب العالمين بقوله ردوها
علي وهذه كلمة لا يقولها الرجل المحصل الا مع الخادم الخسيس وخامسها
انه اتبع هذه المعاصي بعقر الخيل في سوقها واعناقها وقد نهى النبي
صلى الله عليه وسلم عن ذبح الحيوان الا لماكلة وهذه انواع من
الكبائر ينسبونها الى سليمان عليه السلام مع ان لفظ القران لم يدل
على شيء منها وخامستها ان هذه القصص انما ذكرها الله تعالى عقب قوله

قالوا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب وان الكفار لما بالغوا في السفاهة الى
هذا الحد قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم اصبر على ما يقولون
واذكر عبدنا داود ثم ذكر عقبه قصة سليمان فقال تعالى ووهبنا
لداود سليمان الاية التقرير انه تعالى قال لمحمد صلى الله عليه وسلم
يا محمد اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا سليمان وهذا الكلام انما
يليق اذا قلنا ان سليمان عليه السلام اتى في هذه القصة بالاعمال
الفاضلة والاخلاق الحميدة وصبر على طاعة الله واعرض عن الشهوات
واللذات فلو كان المقصود من قصة سليمان عليه السلام في هذا
الموضع انه اقدم على الكبائر العظيمة والذنوب لم يكن ذكر هذه القصة
لايقا قال والصواب ان نقول ان رباط الخيل كان مندوبا اليه في دينهم
كما هو في دين محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان سليمان عليه احتاج الى الغزو
فجلس وامر باحضار الخيل وامر باجرائها وذكر اني لا اجريها لاجل الدنيا
ونصيب النفس وانما احبها لامر الله تعالى وطلب تقوية دينه وهو المراد
من قوله عن ذكر ربي ثم انه عليه السلام امر باجرائها وسيرها حتى توارت
بالحجاب اي غابت عن بصره ثم انه امر الرائضين ان يردوها فردوا تلك
الخيل اليه فلما عادت اليه طفق يمسح سوقها واعناقها والغرض من ذلك امور
الاول تشريفها وابانة لعزتها لكونها من اعظم الاعوان في دفع
العدو والثاني انه اراد ان يظهر انه في ضبط السياسة والملك يتضع
الى حيث يباشر اكثر الامور بنفسه الثالث انه كان اعلم باحوال الخيل
وامراضها وعيوبها فكان يمسحها ويمسح سوقها واعناقها حتى يعلم
هل فيها ما يدل على المرض فهذا التفسير هو الذي ينطبق عليه لفظ
القران ولا يلزم منه نسبة القبائح شيء من المنكرات الى سليمان عليه
السلام والعجب منهم كيف قبلوا هذه الوجوه السخيفة مع ان العقل
والنقل يردها وليس لهم في اثباتها شبهة فضلا عن حجة قال فان
قيل فالجمهور فسروا الاية بتلك الوجوه فالجواب ان نقول لفظ
الاية لا يدل على شيء من تلك الوجوه التي يذكرونها لما ذكرنا وايضا
فان الدلائل الكثيرة قامت على عصمة الانبيا عليهم الصلاة
والسلام ولم يدل على صحة هذه الحكايات دليل قطعي ورواية الاحاد
لا تصلح معارضة الدلائل القوية فكيف الحكايات من اقوام لا يلتفت
الى اقوالهم والذي ذهبنا اليه قول الزهري وابن كيسان انتهى
وقد يجاب من جهة الجمهور ان ما نسبه اليهم ممنوع وبيان ذلك ان قوله
اذا لم يكن يذكر لفظ السيف لم يفهم منه البتة من المسح العقر
والذبح يقال القرينة كافية في ذلك وقوله انهم جمعوا انواعا مذمومة

اولها ترك الصلاة انما يكون مذموما اذا تركها متعمدا ولم يكن ذلك بل نسيها وقد
نام صلى الله عليه وسلم في الوادي حتى طلعت الشمس وقضى الصبح والنسيان
والنوم لا مواخذة فيه وقوله ثانيها انه استولى عليه الاشتغال بحب الدنيا انما
اشتغل بذلك لامر الجهاد وهو مطلوب في حقه وقوله ثالثها انه لم يشتغل
بالتوبة يقال انه لم يات بذنب وقوله رابعها انه خاطب رب العالمين بقوله
ردوها على وهو والمخاطب انما هو جماعته وقوله خامسها اي ان قال وقد
نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن عقر الحيوان فقدم عنهم ان ذلك كان مباحا
له فلنبين فيما قالوه نسبة لسليمان عليه الصلاة والسلام الى المعصية
فلو قال الاولى ان يقال كذا لكان اولى وقرا قنبل بهمزة ساكنة بعد
السين وقيل عنه ايضا بضم الهمزة وواو بعدها واختلف في سبب
الفتنة التي وقعت لسليمان في قوله تعالى ولقد فتنا سليمان والقينا اي بما
لنا من العظمة على كرسيه جسدا ثم اناب فقال محمد بن اسحق عن وهب
ابن منبه قال سمع سليمن بمدينة في جزيرة من جزائر البحر وكان الله تعالى
قد اتى سليمان في ملكه سلطان لا يمتنع عليه شي في بر ولا بحر انما يركب
اليه الريح فيخرج الى تلك المدينة تحمله الريح على ظهر المدينة حتى نزل
بها بجنوده من الجن والانس فاخذها وقتل ملكها وسبا ما فيها
واصاب فيما اصاب بنتا لذلك الملك يقال لها جرادة لم ير مثلها
حسنا وجمالا فاصطفاها لنفسه ودعاها الى الاسلام فاسلمت على
جفا منها وقلة فقه واحبها حبا لم يحبه شيئا من نسائه وكانت على
منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولا يرقا دمعها فشق ذلك على سليمان
فقال لها ويحك ما هذا الحزن قالت له ان ابي اذكره واذكر ملكه وما
كان فيه وما اصابه فيحزنني ذلك فقال لها سليمان قد ابدلك الله ملكا
هو اعظم من ملكه وسلطانا هو اعظم من سلطانه وهداك الى
الاسلام وهو خير من ذلك كله قالت انه كذلك كذلك ولكن اذا
ذكرته اصابني ما ترى من الحزن فلو انك امرت الشياطين فصوروا
صورته في داري اراها بكرة وعشيا رجوت ان يذهب ذلك الحزن
فامر سليمان الشياطين فمثلوا لها صورة ابيها فعمدت اليه حين صنعوه
والبسته ثيابا مثل ثيابه التي كان يلبسها ثم كانت اذا خرج سليمان
تذهب اليه مع ولائدها فتسجد له ويسجدن معها له تبعا لها كما كانت
تصنع في ملكه وسليمن لا يعلم بشي من ذلك اربعين صباحا فبلغ ذلك
اصف بن برخيا وكان صديقا لسليمن وكان لا يرد عن ابواب سليمن اي ساعة
اراد دخول شي من بيوت سليمن حاضرا كان سليمن او غايبا فقال يا نبي
الله كبر سني ورق عظمي ونفذ عمري وقد حان مني الذهاب وقد احببت

اذا نوم

ان اقوم مقاما قبل الموت اذكر فيه من مضى من الانبيا عليهم السلام واثني عليهم
بعلمي فيهم واعلم الناس ببعض ما كانوا يجهلون من كثير امرهم فقال افعل فجمع سليمان
الناس فقام فيهم خطيبا فذكر من مضى من انبياء الله تبارك وتعالى واثنى على كل
نبي بما فضله الله به حتى انتهى الى سليمن فقال ما كان احلمك في صغرك ثم انصرف
فوجد سليمن في نفسه من ذلك حتى امتلا غضبا فلما دخل داره دعاه فقال
يا اصف ذكرت من مضى من انبياء الله تعالى فاثنيت عليهم خيرا في كل زمانهم
وكل حال امرهم فلما ذكرتني جعلت تثني على خيرا في صغري وسكت عما ذلك من
امري فما الذي احدث في اخر عمري فقال اصف ان غير الله يعبد في دارك
فقال سليمان انا لله وانا اليه راجعون لقد عرفت انك ما قلت الذي قلت
الا عن شي بلغك ثم رجع سليمن الى داره فكسر الصورة وعاقب تلك المراة
وولايدها وخرج وحده الى فلاة وفرش الرماد وجلس عليه تائبا الى الله تعالى
وكانت له ام ولد يقال لها الامينة اذا دخل للطهارة او لاصابة امراته
وضع خاتمه عندها وكان ملكه فيه فوضعه عندها يوما فاتاها
الشيطان صاحب البحر واسمه صخر على صورة سليمن وقال لها يا امينة
خاتمي فناولته الخاتم وتختم به وجلس على كرسي سليمان فعكف عليه
الطير والجن والانس وتغيرت صفة سليمن فاتى الامينة يطلب الخاتم
فانكرته فعرف ان الخطيئة ادركته وكان يطوف على البيوت يتكفف واذا قال
انا سليمن حثوا عليه التراب وسبوه واخذ ينقل السمك للسماكين
فيعطوه كل يوم سمكتين فاذا امسى باع احدهما بارغفة وشوى الاخرى
فاكلها فمكث كذلك اربعين صباحا مدة ما كان عبد الوثن في داره فانكر اصف
وعظماء بني اسرائيل حكم الشيطان وسال اصف نساء سليمن فقلن ما يدع
امراة في دمها ولا يغتسل من جنابة فقال اصف انا لله وانا اليه راجعون
ان هذا لهو البلاء المبين ثم خرج على بني اسرائيل فقال ما في الخاصة اعظم
مما في العامة فلما مضى اربعون صباحا طار الشيطان وقذف الخاتم
في البحر فابتلعته سمكة فاخذها بعض الصيادين وقد عمل له سليمن
سمكتيه فاعطى السمكة التي اخذت الخاتم وخرج سليمن بسمكتيه فباع
السمكة التي ليس في بطنها الخاتم بالارغفة ثم عمد الى السمكة
الاخرى فبقرها ليشويها فاستقبله الخاتم في جوفها فاخذه فجعله في
يده ووقع ساجدا وعكفت عليه الطير والجن والانس ورجع الى ملكه واخذ
ذلك الشيطان وحبسه في صخرة والقاه في البحر هذا ملخص حديث
وهب وقال الحسن ما كان الله ليسلط الشيطان على نسائه وقال
السدي كان سبب فتنة سليمن انه كانت له مائة امراة وكانت امراة
منهن يقال لها جرادة وهي اثر نسائه وامنهن عنده وكان يأتمنها على خاتمه

اذا اتي حاجته فقالت له يوما ان اخي بينه وبين فلان خصومة فاحب ان تقضي له
فقال نعم ولم يفعل فابتلي بقوله نعم وذكر نحو ما تقدم وفي بعض الروايات ان
سليمن لما افتتن سقط الخاتم من يده وكان فيه ملكه فاعاده سليمن الي يده
فسقط فايقن سليمان بالفتنة فاتاه اصف فقال لسليمان انك مفتون
بذنبك والخاتم لا يتماسك في يدك ففر الي الله تعالى تائبا فاني اقوم مقامك
واسير بسيرتك الي ان يتوب الله تعالى عليك ففر سليمن الي الله تعالى واعطي
اصف الخاتم فوضعه في يده فثبت فاقام اصف في ملك سليمن يسير بسيرته
اربعة عشر يوما الي ان رد الله تعالى علي سليمن ملكه وتاب عليه ورجع الي
ملكه وجلس علي سريره واعاد الخاتم في يده فهو الجسد الذي القي علي
كرسيه وروي عن سعيد بن المسيب قال احتجب سليمن عن الناس
ثلاثة ايام فاوحي الله اليه احتجبت عن الناس ثلاثة ايام فلم تنظر في امور
عبادي فابتلاه الله عز وجل وذكر نحو ما تقدم من حديث الخاتم واخذ
الشيطان اياه قال الرازي واستبعد اهل التحقيق هذا الكلام
من وجوه الاول ان الشيطان لو قدر ان يتشبه في الصورة والخلقة
بالانبيا فحينئذ لا يبقي اعتماد علي شئ من ذلك فلعل هولا الذين راهم
الناس علي صورة محمد وعيسي وموسي عليهم السلام ما كانوا
اولئك بل كانوا شياطين تشبهوا بهم في الصورة لاجل الاغوا
والاضلال وذلك يبطل الدين بالكلية الثاني ان الشيطان
لو قدر ان يعامل نبي الله تعالى سليمن بمثل هذه المعاملة لوجب ان يقدر
علي مثلها مع جميع العلما والزهاد وحينئذ يجب ان يقتلهم ويمزق
تصانيفهم ويخرب ديارهم ولما بطل ذلك في حق احاد العلماء فلان
يبطل في حق اكابر الانبيا اولي الثالث كيف يليق بحكمة الله واحسانه
ان يسلط الشيطان علي ازواج سليمان ولا شك انه قبيح الرابع
راي الحسن كما مر الرابع لو قلنا ان سليمن اذن لتلك المراة في عبادتها
تلك الصورة فهذا كفر منه وان لم ياذن فيه البتة فالذنب علي
تلك المراة فكيف يواخذ الله تعالى سليمن بفعل لم يصدر منه اي وقد
يقال انما اوخذ بذنبه بذلك لكونه كان سببا في علمها قال فاما اهل
التحقيق فقد ذكروا وجوها الاول ان فتنة سليمن انه ولد له ابن
فقالت الشياطين ان عاش صار مسلطا مثل ابيه فسبيلنا ان نقتله
فعلم سليمن ذلك فكان يربيه في السحاب فبينما هو يشتغل بمهماته
اذ القي ذلك الولد ميتا علي كرسيه فتنبه علي خطيئته في انه
لم يتق ولم يتوكل علي الله تعالى فاستغفر ربه وتاب الثاني روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال سليمن لاطوفن الليلة علي سبعين امراة

كل امراة

كل امراة تاتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله تعالى فطاف
عليهن فلم تحمل الا امراة واحدة جات بشق ولد رجل والذي نفسي بيده
لو قال ان شاء الله تعالى لجاهدوا في سبيل الله اجمعين فذلك قوله تعالى
ولقد فتنا سليمن والقينا علي كرسيه جسدا وذلك لشدة المرض والعرب
تقول في الضعيف انه لحم علي وضم وجسم بلا روح ثم اناب اي رجع الي حال
الصحة اي وهذا اظهر ما قيل كما قاله البيضاوي الثالث لا يبعد ايضا
ان يقال انه ابتلاه الله تعالى بتسليط وقوع خوف او وقوع بلا توقعه
من بعض الجهات حتي صار بقوة ذلك الخوف كالجسد الضعيف الخفي علي
ذلك الكرسي ثم ان الله تعالى ازال عنه ذلك الخوف واعاده الي ما كان عليه
من القوة وطيب القلب فاللفظ يحتمل لهذه الوجوه ولا حاجة الي حمله
علي تلك الوجوه الركيكة فان قيل لولا تقدم الذنب قال لما قال رب
اغفر لي اجيب بان الانسان لا ينفك عن ترك الافضل
وحينئذ يحتاج الي طلب المغفرة لان حسنات الابرار سيات المقربين
ولانه ابدا في هضم النفس واظهار الندم والخضوع كما قال صلى الله
عليه وسلم اني لاستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة مع انه صلى الله
عليه وسلم غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فلا يبعد ان يكون المراد
من هذه الكلمة هذا المعني واختلف في قول سليمن وهب لي ملكا لا ينبغي
لاحد من بعدي اي سواي بحيث يهديه من بعد الله اي سوى الله
فقال عطا ابن رباح يريد هب لي ملكا لا تسلبنه في باقي عمري انك
انت الوهاب وقال مقاتل بان الشيطان استولي علي مملكته
هو ان يعطيه الله ملكا لا يقدر الشيطان علي ان يقوم فيه مقامه
البتة وقال من انكر ان الشيطان لم يستول علي ذلك بان ذلك
يحتمل لوجوه الاول بان الملك هو القدرة فكان المراد اقدرني علي
اشياء لا يقدر عليها غيري البتة ليصير اقتداري عليها معجزة تدل علي صحة
نبوتي ورسالتي ويدل علي صحة هذا القول قوله تعالى فسخرنا اي بما لنا
من العظمة له الريح تجري بامره رخاء اي حالة كونها لينة غاية اللين
منقادة يدرك بها ما لا تدرك الخيل غدوها شهر ورواحها شهر حيث
اصاب اي اراد فكون الريح جارية بامره قدرة عجيبة وملك عجيب
دال علي صحة نبوته لا يقدر احد علي معارضته وقد جعل الله تعالى لنبينا
محمد صلى الله عليه وسلم اعظم من ذلك وهو ان العدو يرعب منه الي
مسيرة شهر من جوانبه الاربعة فهي اربعة اشهر الثاني انه عليه السلام
لما مرض ثم عاد الي الصحة عرف ان خيرات الدنيا صائرة الي الغير
فسال ربه ملكا لا يمكن ان ينتقل مني الي غيري الثالث ان الاحتراز عن

فرسانا م

ذ مقام

طيبات الدنيا مع القدرة عليها اشق من الاحتراز عنها حال عدم القدرة فكانه
قال يا الهي اعطني مملكة فائقة على ممالك البشر بالكلية حتى احترز عنها
مع القدرة عليها ليصير ثوابي اكمل وافضل الرابع سال ذلك ليكون علما
على قبول توبته حيث اجاب الله دعاءه ورد عليه ملكه وزاده فيه وعن ابي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عفريتا من الجن اتاني الليلة
ليقطع علي صلاتي فامكنني الله منه فاخذته فاردت ان اربطه على
سارية من سواري المسجد حتى تنظروا اليه فذكرت دعوة اخي سليمان
رب هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فرددته خاسيا فعلم من هذه
الاوجه انه ليس في كلام سليمان عليه السلام ما يشبه الحسد
وهو طلب ما لا ينبغي لاحد غيره واجاب الزمخشري باجوبة غير ذلك
منها ان سليمن كان ناشيا في بيت الملك والنبوة ووارثا لهما فاراد
ان يطلب من ربه معجزة فطلب على حسب الفه ملكا زايدا على الممالك زيادة
خارقة للعادة بالغة حد الاعجاز ليكون دليلا على نبوته قاهرا للمبعوث
اليهم قال وعن الحجاج انه قيل له انك حسود فقال احسد مني
من قال وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي قال وهذا من جراته على
الله تعالى وشيطنته كما حكي عنه طاعتنا اوجب من طاعة الله لانه شرط
في طاعته فقال فاتقوا الله ما استطعتم واطلق في طاعتنا فقال واولي
الامر منكم فان قيل قوله تعالى رخاء منافية قوله تعالى في اية اخرى ولسليمن
الريح عاصفة اجيب عن ذلك بوجهين الاول بان المراد ان تلك
الريح كانت في قوة الرياح العاصفة الا انها لما امرت بامره كانت لذيذة
طيبة وكانت رخاء الثاني ان تلك الريح كانت لينة مرة وعاصفة اخرى
فلا منافاة بين الايتين تنبيه قوله تعالى حيث ظرف لتجري او لسخرنا
فايدة روي ان رجلين خرجا يقصدان فيسالان عن معنى اصاب
فقال لهما امن نصيبا ان تعرفا وقالا هذا بغيتنا وقوله تعالى
والشياطين عطف على الريح وقوله تعالى كل بناء بدل من الشياطين
كانوا يبنون له ما شاء من الابنية روي ان سليمن عليه السلام امر
الجان فبنت له اصطخر وكان فيها قرار مملكة الترك قديما وبنت له
الجان ايضا تدمر وبيت المقدس وباب جيرون وباب البريد اللذين
بدمشق على احد الاقوال وبنوا له ثلاث قصور باليمن غمدان وسلحين
وبينون ومدينة صنعا وقوله تعالى وغواص عطف على بناء اي
يغوصون له في البحر فيستخرجون اللولو وهو اول من استخرج اللولو
من البحر وقوله تعالى واخرين مقرنين اي مشدودين في الاصفاد اي
القيود بجمع ايديهم الى اعناقهم عطف على كل فهو داخل في حكم البدل فكانه

فصل

فصل الشياطين الى عملة استعملهم في الاعمال الشاقة كالبناء والغوص
ومردة قرن بعضهم الى بعض في السلاسل ليكفوا عن الشر فان قيل اجسامهم
اما ان تكون كثيفة او لطيفة فان كانت كثيفة وجب ان يراها صحيح الحاسة
وان كانت لطيفة فلا تقوى على العمل ولا يمكن تقييدها اجيب بان اجسامهم
شفافة صلبة فلا ترى وتقوى على العمل ويمكن تقييدها وان المراد تمثيل
كفهم عن الشرور بالاقران في الصفد وهو القيد وسمي به العطا لانه
يربط المنعم عليه وفرقوا بين الصفد بمعنى القيد وفعله بمعنى العطا
فقالوا صفده قيده واصفده اعطاه عكس وعد واوعد في الخير والشر
وفي ذلك نكتة وهي ان القيد ضيق فناسبه تقليل حروف فعله والعطا
واسع فناسبه تقليل حروفه والايعاد شر ثقيل فناسبه تكثير
حروف فعله والوعد خير وهو خفيف فناسبه تقليل حروفه
والايعاد شر ثقيل فناسبه تكثير حروفه هذا اي وقلنا هذا الامر
الكبير عطاؤنا اي على ما لنا من العظمة فامنن او امسك قال ابن عباس
اعط من شئت وامنع من شئت قال المفسرون لا حرج عليك فيما
اعطيت وفيما امسكت قال الحسن ما انعم الله على احد نعمة الا عليه
تبعة الا سليمان فانه ان اعطى اجر وان لم يعط لم يكن عليه تبعة وقال
مقاتل هذا في امر الشياطين يعني خل من شئت منهم وامسك من
شئت في وثاقك لا تبعة عليك فيما تتعاطاه وقوله تعالى بغير حساب
فيه ثلاثة اوجه احدها انه متعلق بعطاؤنا اي اعطيناك بغير حساب
ولا تقدير وهو دال على كثرة الاعطا ثانيها انه حال من عطاؤنا اي في
حال كونه غير محاسب عليه لانه جم كثير ويعسر على الحاسب ضبطه
ثالثها انه متعلق بامنن او امسك ويجوز ان يكون حالا من فاعلهما
اي غير محاسب عليه ولما ذكر ما انعم عليه به في الدنيا اتبعه بما انعم
عليه به في الاخرة بقوله سبحانه وان له عندنا في الاخرة مع ماله من الملك
العظيم في الدنيا لزلفى اي قربى عظيمة وحسن ماب وهو الجنة
القصة الثانية قصة ايوب عليه السلام المذكورة في قوله
تعالى واذكر عبدنا اي الذي هو اهل للاضافة الى جنابنا ويبدل منه
ايوب وهو ابن الروم بن عيص بن اسحق وامراته ليا بنت يعقوب
وقوله تعالى اذ نادى ربه بدل من عبدنا بدل اشتمال وايوب عطف
بيان له وقوله اني اي باني مسني الشيطان اي المحترق باللعنة البعيد
من الرحمة بنصب اي بمشقة وضر وعذاب اي الم حتى به على
حكاية كلامه الذي نادى بسببه ولو لم يحكه لقيل انه مسه لانه غايب
وقال قتادة النصب في الجسد والعذاب في المال واختلف العلماء

في هذه الالام والاسقام الحاصلة في جسده على قولين احدهما انها حصلت
بفعل الشيطان والثاني انها حصلت بفعل الله تعالى والعذاب المضاف
في هذه الاية الى الشيطان هو عذاب الوسوسة والقا الخواطر الفاسدة
اما تقرير القول الاول فهو ما روي ان ابليس سال ربه هل في عبيدك
من لو سلطتني عليه يمتنع مني فقال الله تعالى نعم عبدي ايوب فجعل
ياتيه بوساوسه وهو يرى ابليس ولا يلتفت اليه فقال رب انه قد
امتنع علي فسلطني على ماله فكان يجيئه ويقول هلك من مالك كذا وكذا
فيقول الله اعطى والله اخذ ثم يحمد الله تعالى فقال يا رب ان ايوب لا يبالي
بماله فسلطني على جسده فاذن فيه فنفخ في جلد ايوب فحدث اسقام
عليه والام شديدة فمكث في ذلك البلا سنين حتى استقذره اهل
بلده فخرج الى الصحرا وما كان يقرب منه احد فجاء الشيطان الى امراته
وقال ان زوجك ان استغاث بي خلصته من هذا البلا فذكرت المراة
ذلك لزوجها فحلف بالله لئن عافاه الله تعالى ليجلدنها مائة جلدة وعند
هذه الواقعة قال اني مسني الشيطان بنصب وعذاب فاجاب الله تعالى
دعاءه واوحى اليه أن اركض الى اخر الاية واما تقرير القول الثاني
فان الشيطان لا قدرة له البتة على ايقاع الناس في الامراض والاسقام ويدل عليه وجوه
الاول انا لو جوزنا حصول الموت والحياة والصحة والمرض من الشيطان فلعل
الواحد منا انما وجد الحياة بفعل الشيطان ولعل ما عندنا من الخيرات
والسعادات قد حصل بفعله وحينئذ لا سبيل الى معرفة ان معطي الحياة
والموت والصحة والسقم هو الله تعالى ثانيها ان الشيطان
لو قدر على ذلك فلم لا يسعى في قتل الانبياء والاولياء ولم لا يخرب دورهم
ولم لا يقتل اولادهم ثالثها ان الله تعالى حكى عن الشيطان انه قال
وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فصرح
بانه لا قدرة له في حق البشر الا القاء الوساوس والخواطر الفاسدة فدل
ذلك على فساد القول بان الشيطان هو الذي القاه في تلك الامراض فان
قيل لم لا يجوز ان يقال ان الفاعل لهذه الاحوال هو الله تعالى لكن على وفق
التماس الشيطان اجيب بانه اذا كان لا بد من الاعتراف بان خالق تلك
تلك الالام والاسقام هو الله تعالى فاي فائدة في جعل الشيطان واسطة
في ذلك بل الحق ان المراد بقوله اني مسني الشيطان بنصب وعذاب
انه بسبب القا الوساوس الفاسدة كان يلقيه في انواع العذاب
والقائلون بهذا القول اختلفوا في ان تلك الوساوس كيف كانت وذكروا
اوجها اولها ان علته كانت شديدة الالم ثم طالت تلك العلة واستقذره
الناس ونفروا عن مجاورته ولم يبق له مال البتة وكانت امراته تخدم الناس

ويحصل

ويحصل قدر القوت ثم بلغت نفرة الناس عنه حتى منعوا امراته من الدخول
عليهم ومن خدمتهم والشيطان كان يذكره النعم التي كانت والافات التي حصلت
وكان يحتال في دفع تلك الوساوس فلما قويت تلك الوساوس في قلبه
خاف وتضرع الى الله تعالى وقال مسني الشيطان بنصب وعذاب لانه كلما
كثرت تلك الخواطر كان تالم قلبه منها اشد ثانيها انه لما طالت مدة المرض
جاءه الشيطان فكان يقنطه مدة ويزلله ان يجزع فخاف من خاطر القنوط
في قلبه فتضرع الى الله تعالى وقال اني مسني الشيطان بنصب ثالثها قيل ان امراته
كانت تخدم الناس وتاخذ منهم قدر القوت وتجيء به الى ايوب
فاتفق انهم لما استخدموها طلب بعض النساء منها قطع احدى ذوائبها
على ان تعطيها قدر القوت ففعلت ثم في اليوم الثاني فعلت مثل ذلك
فلم يبق لها ذوابة وكان ايوب عليه السلام اذا اراد ان يتحرك على فراشه
تعلق بتلك الذوابة فلما لم يجد الذوابة وقعت الخواطر الردية في قلبه
فعند ذلك قال مسني الشيطان بنصب وعذاب رابعها روي انه
عليه السلام قال في بعض الايام يا رب لقد علمت انه ما اجتمع علي
امران الا اثرت طاعتك ولما اعطيتني المال كنت للارامل قيما
ولابن السبيل معينا ولليتامى ابا فنودي يا ايوب ممن كان ذلك التوفيق
فاخذ ايوب التراب فوضعه على راسه وقال منك يا رب ثم خاف من
الخاطر الاول فقال مسني الشيطان بنصب وعذاب وذكروا اقوالا
اخر وذكروا في سبب بلائه ان رجلا استغاث على ظالم فلم يغثه
وقيل كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه وقيل اعجب
بكثرة ماله واعلم ان داود وسليمان عليهما السلام كانا ممن افاض الله
عليهما اصناف الالاء والنعماء وايوب عليه السلام كان ممن
خصه الله بانواع البلاء والمقصود من جمع هذه القصص الاعتبار
كان الله تعالى قال يا محمد اصبر على سفاهة قومك فانه ما كان في
الدنيا اكثر نعمة من الانبيا وما لا وجاها من داود وسليمن وما كان
فيهم اكثر بلاء ومحنة من ايوب فتامل في احوال هولاء لتعرف ان احوال
الدنيا لا تنتظم لاحد وان العاقل لا بد له من الصبر على المكاره ولما
اشتكى ايوب عليه السلام الشيطان وسال ربه ان يزيل عنه تلك
البلية اجاب الله له بان قال له **اركض** اي اضرب **برجلك** اي الارض
فضرب فنبعت عين ما فقيل له **هذا مغتسل بارد** اي ما تغتسل منه
فيبرئ ظاهرك **وشراب** اي وتشرب منه فيبرئ باطنك وظاهر
اللفظ يدل على انه نبعت له عين واحدة من الماء اغتسل منه
وشرب منه واكثر المفسرين قالوا انبعت له عينان فاغتسل

من احداهما وشرب من الاخري فذهب لداء ظاهره وباطنه باذن الله تعالي وقيل
ضرب برجله اليمني فنبعت عين حارة فاغتسل منها ثم باليسري فنبعت
عين باردة فشرب منها وقيل ضرب الارض فنبعت له عين فاغتسل فذهب كل داء
كان بظاهره ثم مشي اربعين خطوة فركض برجله الارض مرة اخري فنبعت
عين ماء عذب فشرب منه فذهب كل داء كان في باطنه **ووهبنا** بما لنا من
العظمة **له اهله** اي بما جمعناهم عليه بعد تفرقهم واحييناهم بعد موتهم
وقيل وهبنا له مثلهم والاول هو ظاهر الاية فلا يجوز العدول عنه من
غير ضرورة **ومثلهم معهم** حتى كان له ضعف ما كان وقوله تعالي **رحمة** اي
نعمة **منا** مفعول لاجله اي وهبناهم له لاجل رحمتنا اياه **وذكري** اي
وتذكيرا بحاله **لاولي الالباب** اي اصحاب العقول فيعلمون ان من صبر ظفر وان
رحمة الله تعالي واسعة وهو عند القلوب المنكسرة فما بينه وبين
الاجابة الا حسن الانابة فمن دام اقباله عليه اغناه عن غيره
لكل شي اذا فارقته عوض وما عن الله ان فارقت من عوض
وهذا تسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم كما مر وقوله تعالي **وخذ بيدك ضغثا**
معطوف علي اركض والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش والقضبان
فيها مائة عود كشماريخ النخلة وقيل الحزمة الكبيرة من القضبان وقوله
تعالي **فاضرب به ولا تحنث** يدل علي تقدم يمين منه واختلفوا في سبب
حلفه عليها ويبعد ما قيل انها رغبته في طاعة الشيطان ويبعد ما روي
انها قطعت ذوابتيها لان المضطر يباح له ذلك بل الاقرب ما روي
ان زوجته ليا بنت يعقوب وقيل رحمة بنت افرايثم ابن يوسف
عليه السلام ذهبت لحاجة فابطات عليه فحلف في مرضه ليضربنها
مائة اذا بري ولما كانت حسنة الخدمة حلل الله تعالي يمينه باهون
شي عليه وعليها وهذه الرخصة باقية في الحدود لما روي انه صلى
الله عليه وسلم اتي برجل ضعيف قد زنا بامة فقال صلى الله عليه وسلم
خذوا مائة شمراخ واضربوه بها ضربة واحدة **انا وجدناه صابرا** اي فيما
اصابه في النفس والاهل والمال فان قيل كيف وجده صابرا وقد شكا
اليه اجيب باوجه احدها ان شكواه الي الله تعالي كتمني العافية
فلا يسمي جزعا ولهذا قال يعقوب عليه السلام انما اشكو بثي
وحزني الي الله وكذلك شكوي العليل وذلك ان اصبر الناس علي
البلا لا يخلو من تمني العافية وطلبها فاذا صح ان يسمي صابرا مع تمني
العافية افليس صابرا مع اللجا الي الله تعالي والدعا بكشف ما به
مع التعالج ومشاورة الاطبا ثانيها ان الالام حين كانت علي الجسد
لم يذكر شيا فلما عظمت الوساوس علي القلب تضرع الي الله تعالي

ثالثها

ثالثها ان الشيطان عدو والشكاية من العدو الي الحبيب لا تقدح في الصبر
ويروي انه قال في مناجاته الهي قد علمت انه لم يخالف لساني قلبي ولم
يتبع قلبي بصري ولم اكل الا ومعي يتيم ولم ابت شبعانا ولا كاسيا
ومعي جائع او عريان فكشف الله تعالي عنه ثم استانف قوله تعالي
نعم العبد اي ايوب ثم علل بقوله تعالي موكدا لئلا يظن ان بلاه قادح في ذلك
انه اواب اي رجاع الي الله تعالي روي انه لما نزل قوله تعالي نعم العبد في حق
سليمان تارة وفي حق ايوب اخري عظم في قلوب امة محمد صلى الله
عليه وسلم وقالوا ان قوله تعالي نعم العبد تشريف عظيم فان احتجنا
الي تحمل بلا مثل ايوب لم نقدر عليه فكيف السبيل الي تحصيله
فانزل الله قوله تعالي نعم المولي ونعم النصير والمراد انك ان لم يكن لك
ان لم تكن نعم العبد فانا نعم المولي فان كان منك غير الفضل فمني الفضل
وان كان منك التقصير فمني الرحمة والتيسير القصة الرابعة
قصة ابراهيم واسحق ويعقوب المذكورة في قوله تعالي **واذكر عبادنا**
ب **ابراهيم واسحق** ابن ابراهيم **ويعقوب** بن اسحق **اولي الايدي** اي اصحاب
القوي في العبادة وقال ابن عباس اولي القوة في طاعة الله تعالي
والابصار في المعرفة بالله اي البصائر في الدين او اولي الاعمال الجليلة
نها والعقائد الشرعية فعبر بالايدي عن الاعمال لان اكثرها بمباشرتها
وبالابصار عن المعارف لانها اقوي عبادتها وفيه تعريض لكل من لم يكن
من عمال الله ولا من المستبصرين في دين الله وتوبيخ علي تركهم المجاهدة
والتامل مع كونهم متمكنين منهما فهم في حكم الزمنا الذين لا يقدرون
علي اعمال جوارحهم والناقصي العقول الذين لا استبصار لهم وقال
قتادة ومجاهد اعطوا قوة في العبادة وبصرا في الدين وقرا ابن كثير
بفتح العين وسكون البا الموحدة ولا الف بعدها علي التوحيد علي
انه ابراهيم وحده لمزيد شرفه وابراهيم عطف بيان واسحق ويعقوب
عطف علي عبدنا والباقون بكسر العين وفتح الموحدة والف بعدها
علي الجمع **انا اخلصناهم بخالصة** اي اصطفيناهم وجعلناهم لنا خالصين
بخصلة خالصة لا شوب فيها هي **ذكري الدار** الاخرة اي ذكرها
والعمل لها لان مطمح نظرهم الفوز بلقائه وذلك في الاخرة واطلاق
الدار للاشعار بانها الدار الحقيقية والدنيا معبر وقرا نافع وهشام
خالصة بغير تنوين بالاضافة للبيان او ان خالصة مصدر بمعني
الخلوص فاضيف الي فاعله والباقون بالتنوين فمن اضاف فمعناه
اخلصناهم بذكر الدار الاخرة وان يعملوا لها والذكري بمعني الذكر
قال مالك بن دينار نزعنا من قلوبهم حب الدنيا وذكرها



واخلصناهم بحب الاخرة وذكرها وقال قتادة كانوا يدعون الى الاخرة
والى الله عز وجل وقال السدي اخلصوا الخوف للاخرة وقال ابن زيد
اخلصناهم بافضل ما في الاخرة ومن قرا بالتنوين فمعناه بخلة خالصة هي
ذكرى الدار فيكون ذكرى الدار بدلا من الخالصة او جعلناهم مخلصين بما اخبرنا
من ذكر الاخرة والمراد بالدار الذكر الجميل الرفيع لهم في الاخرة وقيل انه ابقى لهم
الذكر الجميل في الدنيا وقيل هو دعاوهم واجعل لي لسان صدق في الاخرين
وانهم عندنا لمن المصطفين اي اصطفا لا يقدح فيه قادح نصاروا في غاية
الرسوخ في هذا الوصف الاخيار اي المختارين من ابنا جنسهم
والاخيار جمع خيّر بالتشديد وخير بالتخفيف في اموات فجمع ميّت
او ميت واحتج العلما بهذه الاية على اثبات عصمة الانبيا لانه تعالى
حكم عليهم بكونهم اخيارا على الاطلاق وهذا يفهم حصول الخيرية في
جميع الافعال والصفات بدليل صحة الاستثنا منه القصة الخامسة
قصة اسمعيل واليسع وذا الكفل عليهم السلام المذكورة في قوله تعالى
واذكر اي يا اشرف الخلق اسمعيل اي اباك وما صبر عليه من البلا
بالغربة والانفراد والوحدة والاشراف على الموت في الله عز وجل وما صار
اليه بعد ذلك البلا من الفرج والرياسة والذكر في هذه البلدة ،
واليسع وهو ابن اخطوب استخلفه الياس على بني اسرايل ثم
استنبي واللام كما في قوله ٥ رايت الوليد بن اليزيد مباركا
وقرا حمزة والكسائي بتشديد اللام وسكون اليا بعدها والباقون
بسكون اللام وفتح اليا بعدها وذا الكفل وهو ابن عم اليسع
او بشر بن ايوب واختلف في نبوته ولقبه فقيل فر اليه مائة نبي
من بني اسرايل من القتل واواهم وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل
صالح كان يصلي كل يوم مائة صلاة وكل اي وكلهم من الاخيار
فهم قوم اخرون من الانبيا تحملوا الشدايد في دين الله تعالى وصبروا
فاذكرهم يا افضل الخلق بفضلهم وصبرهم لتسلك طريقهم فلما
اجرى تعالى ذكر الانبيا واتمه قال موكدا لشانهم وشرف ما ذكر
من اعمالهم هذا اي ما تلوناه عليك من ذكرهم وذكر غيرهم ذكر
اي شرف في الدنيا وموعظة من ذكرا لقران ذي الذكر ثم عطف على
قوله تعالى ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد ما لاضدادهم
فقال تعالى ردا على من ينكر ذلك من كفار العرب وغيرهم وان للمتقين
لحسن ماب اي مرجع ولما شوق سبحانه الى هذا الجزا ابدل منه
او بينه بقوله تعالى جنات عدن اي اقامة في سرور وطيب عيشهم
انه تعالى وصف من الجنة باشيا اولها قوله تعالى مفتحة لهم الابواب

اي ان

اي ان الملايكة يفتحون لهم ابواب الجنة ويحيونهم بالسلام كما قال تعالى
حتى اذا جاوها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها ها
خالدين لو قيل المعنى انهم كلما ارادوا انفتاح الابواب انفتحت لهم
وكلما ارادوا انغلاقها انغلقت لهم وقيل المراد من هذا الفتح وصف
تلك المساكن بالسعة وقرة العيون بها ثانيها قوله تعالى متكين
فيها وقد ذكر في ايات اخر كيفية ذلك الاتكا فقال تعالى في اية
على الارايك متكون وقال في اية اخرى متكين على رفرف خضر ثالثها
قوله تعالى يدعون فيها اي الجنات بفاكهة كثيرة وشراب اي كثير
فيدعون فيها بالوان الفاكهة والوان الشراب ولما بين المسكن والماكول
والمشروب ذكر امر المنكوح بقوله سبحانه وعندهم قاصرات الطرف اي
حابسات العين على ازواجهن اتراب اي اسنانهن واحدة وهي
بنات ثلاث وثلاثين سنة واحدها ترب وعن مجاهد متواخيات
لا يتباغضن ولا يتغايرن وقيل اترابا للازواج قال القفال
والسبب في اعتبار هذه الصفة لما تشابهن في الصفة والسن
والجبلة كان الميل اليهن على السوية وذلك يقتضي عدم الغيرة وقرا
قوله تعالى هذا ما توعدون ابن كثير وابو عمرو باليا التحتية على الغيبة
والباقون بالفوقية على الخطاب وجه الغيبة تقدم ذكر المتقين ووجه
الخطاب لالتفات اليهم والاقبال عليهم اي قل للمتقين هذا
ما توعدون ليوم الحساب اي في يوم الحساب او لاجله فان الحسا
علة الوصول الى الجزا ان هذا اي المشار اليه اشارة الحاضر الذي
لا يغيب لرزقنا ما له من نفاد اي انقطاع وهذا اخبار عن دوام هذا
الثواب تنبيه من نفاد فاعل ومن مزيدة والجملة في محل نصب على
على الحال من رزقنا اي غير نافد ويجوز ان يكون خبرا ثانيا لان
اي دايم ولما وصف تعالى ثواب المومنين وصف بعده عقاب الظالمين
ليكون الوعيد مذكورا عقب الوعد والترغيب عقب الترهيب بقوله
تعالى هذا وان للطاغين لشر ماب اي مرجع هذا في مقابلة قوله تعالى
وان للمتقين لحسن ماب والمراد بالطاغين الكفار وقال الجبائي
على مذهبه الفاسد هم اصحاب الكباير سوا كانوا كفارا لم لا
واحتج الاول بان هذا ذم مطلق فلا يحمل الا على الكامل في الطغيان
وهو الكافر واحتج هو بقوله تعالى ان الانسان ليطغى ان راه
استغنى فدل على ان الوصف بالطغيان قد يحصل لصاحب
الكبيرة لان من جاوز حد تكاليف الله تعالى وتعداها فقد طغى
ورد بان المراد بالانسان هنا هو الكافر ايضا تنبيه هذا محتمل

ان يكون منكرا والخبر مقدر كما ذكر كما قدره الزمخشري وقدره ابو علي
بقوله هذا للمومنين وقال الجلال المحلي هذا المذكور للمومنين
ويحتمل ان يكون خبر مبتدا مضمر اي الامر هذا وقوله تعالى جهنم اي
الشديدة الاضطرام الملاقية لمزيد خطابها بغاية العبوسة والتجهم فيه
اعراب جات المقدم وقوله تعالى يصلونها اي يدخلونها فيباشرون
شدايدها حال من جهنم فبئس المهاد المهد والفرش مستعار من
فرش النايم وهذا معنى قوله تعالى لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش
شبه الله ما تحتهم من النار بالمهاد الذي يفرش للنايم والمخصوص
بالذم محذوف اي هي وقوله تعالى هذا اي العذاب المفهوم مما
بعده اوجه من الاعراب احدها انه خبر مبتدا مضمر اي الامر هذا
ثم استانف امرا فقال فليذوقوه ثانيها انه مبتدا وخبره حميم وغساق
واسم الاشارة يكتفي بواحده في المثني كقوله تعالى عوان بين ذلك
او يكون المعني هذا جامع بين الوصفين ويكون قوله فليذوقوه جملة
اعتراضية ثالثها انه مبتدا والخبر محذوف اي هذا كما ذكر وهذا
للطاغين وقيل غير ذلك وقيل هذا على التقديم والتاخير والتقدير
هذا حميم وغساق اي منه حميم وغساق والحميم الحار الذي انتهى
حره والغساق ما يسيل من صديد اهل النار وقال كعب هو عين
في جهنم يسيل اليها كل ذوب حية وعقرب وقال ابو عمرو هو القيح
الذي يسيل من اهل النار يجتمع فيسقونه وقال قتادة هو ما يغسق
اي يسيل من القيح والصديد من جلود اهل النار ولحومهم وفروج
الزناة وقيل هو المنتن بلغة الترك حكى الزجاج لو قطرت منه قطرة
بالمغرب لانتنت اهل المشرق وقرا حمزة والكسائي وحفص بتشديد
السين والباقون بالتخفيف وقرا ابو عمرو واخر بضم الهمزة على جمع
اخرى مثل الكبرى والكبر اي اصناف اخر من العذاب من شكله
اي مثل المذكور من الحميم والغساق والباقون بفتح الهمزة ممدودة على
انه لما ذكر واختار ابو عبيدة الجمع لانه تعالى نعته بالجمع فقال سبحانه
ازواج اي اصناف اي عذابهم من انواع مختلفة ويقال لهم عند
دخولهم النار باتباعهم هذا فوج اي جمع كثيف مقتحم اي داخل
ومفعوله محذوف اي مقتحم النار معكم بشدة فيقول المتبوعون
لا مرحبا بهم اي لا سعة عليهم او لا سمعوا مرحبا وقولهم انهم
صالوا النار اي داخلون النار باعمالهم مثلنا تعليل لاستحقاقهم
الدعا عليهم ونظير الاية قوله تعالى كلما دخلت امة لعنت اختها
وقال الكلبي انهم يضربون بالمقامع حتى يوقعوا انفسهم في النار

خوفا

خوفا من تلك المقامع قالوا اي الاتباع بل انتم لا مرحبا بكم اي ان الدعاء
الذي دعوتم به علينا ايها الروسا انتم احق به منا وعللوا ذلك بقولهم
انتم قدمتموه اي الكفر لنا اي بدأتم به قبلنا وشرعتم وسننتموه
لنا وقيل انتم قدمتم لنا هذا العذاب بدعائكم ايانا الى الكفر
فبئس القرار اي النار لنا ولكم قالوا اي الاتباع ايضا ربنا
من قدم لنا هذا اي شرعه وسنه لنا فزده عذابا ضعفا اي مثل عذابه
على كفره في النار قال ابن مسعود حيات وافاعي وقالوا اي الطاغون
وهم في النار ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار يعنون فقرا المومنين
كعمار وخباب وصهيب وبلال وسلمان الذين كانوا يسترذلونهم ويسخرون
بهم قولهم اتخذناهم سخريا صفة اخرى لرجالا اي كنا نسخر بهم في الدنيا وقرا
نافع وحمزة والكسائي بضم السين والباقون بكسرها ام زاغت اي مالت
عنهم الابصار اي فلم نرهم حين دخلوها وقال ابن كيسان اي ام كانوا
خيرا منا ونحن لا نعلم فكانت ابصارنا تزيغ عنهم في الدنيا فلا نعدهم شيا
ان ذلك اي الذي حكيناه عنهم لحق اي واجب وقوعه فلا بد ان يتكلموا
به ثم بين ذلك الذي حكاه عنهم بقوله تعالى تخاصم اهل النار اي في النار
وانما سماه تخاصما لان قول القادة للاتباع لا مرحبا بهم وقول الاتباع للقادة
بل انتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة تنبيه يصح في تخاصم اوجه من الاعراب
احدها انه بدل من لحق الثاني انه عطف بيان الثالث انه خبر ثان لان
الرابع انه خبر مبتدا مضمر اي هو تخاصم ولما شرح نعيم اهل الثواب
وعقاب اهل العذاب عاد الى تقرير اهل التوحيد والنبوة والبعث المذكورات
اول السورة بقوله تعالى قل يا افضل الخلق للمشركين انما انا منذر اي
مخوف بالنار لمن عصى ولا بد من الاقرار بانه وما من اله الا الله اي الجامع لجميع
الاسماء الحسنى الواحد القهار فكونه واحدا يدل على عدم الشريك وكونه
قهارا مشعر بالترهيب والتخويف ولما ذكر ذلك اردفه بما يدل على الرجا
والترغيب بقوله تعالى رب السموات اي مبدعها وحافظها على علوها وسعتها
وضخامتها وكثافتها بما لها من الزينة والمنافع والارض اي على
سعتها وضخامتها وكثافتها وما فيها من العجائب وما بينهما اي الخافقين
من الفضا والهوا وغيرهما من العناصر والنبات والحيوانات العقلا وغيرها
ربي كل شي من ذلك ايجادا وابقا على ما يريد وان كره ذلك المربوب
فدل ذلك على قهره وتفرده العزيز اي الغالب على امره الغفار فكونه
ربا يشعر بالتربية والكرم والاحسان والجود وكونه غفارا يشعر
بان العبد لو اقدم على المعاصي والذنوب ثم تاب اليه فانه يغفرها برحمته
وهذا الموصوف بهذه الصفات هو الذي يجب عبادته لانه هو الذي

يخشى عقابه ويرجي ثوابه وقوله تعالى قل اي لهم هو نبأ عظيم يعود على القران
وما فيه من القصص والاخبار وقيل على تخاصم اهل النار وقيل على ما تقدم
من اخباره صلى الله عليه وسلم بانه نذير مبين وبان الله تعالى اله واحد
متصف بتلك الصفات الحسنى وقوله تعالى انتم عنه معرضون صفة
لنبأ اي لتمادي غفلتكم فان العاقل لا يعرض عن مثله كيف وقد قامت عليه
الحجج الواضحة اما على التوحيد فما مر واما على النبوة فقوله تعالى ما كان لي من
علم بالملأ الاعلى اي الملئكة فقوله بالملأ متعلق بقوله من علم وضمن
معنى الاحاطة فلذلك تعدى بالباء اذ يختصمون اي في شان آدم
عليه السلام حين قال الله عز وجل اني جاعل في الارض خليفة الى اخره
فان قيل الملئكة لا يجوز ان يقال انهم اختصموا بسبب قولهم
اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فالمخاصمة مع الله تعالى كفر
اجيب بانه لا شك انه جرى هناك سوال وجواب وذلك يشبه
المخاصمة والمناظرة والمشابهة علة المجاز فلهذا السبب حسن اطلاق
لفظ المخاصمة عليه ولما امر الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ان يذكر
هذا الكلام على سبيل الزجر امره ان يقول ان اي ما يوحى الي الا انما اي
اني انا نذير مبين اي بين الانذار فابين لكم ما تاتونه وما تجتنبونه
وروي انه صلى الله عليه وسلم قال رايت ربي في احسن صورة قال
ابن عباس احسبه قال في المنام فقال يا محمد هل تدري فيما يختصم
الملأ الاعلى قلت انت اعلم اي رب مرتين قال فوضع يده بين كتفي
فوجدت بردها بين ثديي او قال في نحري فعلمت ما في السموات وما
في الارض وفي رواية وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من
الموقنين ثم قال يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الاعلى قلت نعم في الدرجات
والكفارات قال وما هن قلت المشي على الاقدام الى الجماعات والجلوس
في المساجد بعد الصلوات واسباغ الوضوء في المكاره قال من يفعل
ذلك يعيش بخير ويموت بخير وكان من خطيئته كيوم ولدته امه وقال
يا محمد اذا صليت فقل اللهم اني اسئلك فعل الخيرات وترك المنكرات
وحب المساكين وان تغفر لي وترحمني واذا اردت بعبادك فتنة
فاقبضني اليك غير مفتون قال ومن الدرجات افشا السلام واطعام
الطعام والصلاة بالليل والناس نيام وفي رواية فقلت لبيك
وسعديك في المرتين وفيها فعلمت ما بين المشرق والمغرب اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن غريب وللعلماء في هذا الحديث
وامثاله من احاديث الصفات مذهبان احدهما مذهب السلف وهو امرارها
كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل والايمان به من غير تاويل له

والسكوت عنه مع الاعتقاد بانه ليس كمثله شي وهو السميع البصير والمذهب
الثاني مذهب الخلف وهو تاويل الحديث بقوله صلى الله عليه وسلم
اتاني ربي في احسن صورة يحتمل وجهين احدهما واتاني وانا في احسن صورة كانه
زاده جمالا وكمالا وحسنا عند روءيته لربه وانما التغيير وقع بعده لشدة الوحي
ونقله ان اتاني ربي الصورة بمعنى الصفة ويرجع ذلك الى الله تعالى والمعنى انه زاده
في احسن صفاته من الانعام عليه والاقبال اليه والله تعالى تلقاه بالاكرام
والاعظام فاخبر صلى الله عليه وسلم عن عظمته وعزته وكبريائه وهيبته وبعده
عن شبه الخلق وتنزيهه عن صفات النقص وانه ليس كمثله شي وهو
السميع البصير وقوله صلى الله عليه وسلم فوضع يده بين كتفي الى اخره
فالمراد باليد النعمة والمنة والرحمة وذلك شايع في لغة العرب
فيكون معناه على هذا الاخبار باكرام الله تعالى اياه وانعامه عليه بان
شرح صدره ونور قلبه وعرفه ما لم يعرفه حتى وجد برد النعمة والرحمة
والمعرفة في قلبه وذلك لما نور قلبه وشرح صدره فعلم ما في السموات
وما في الارض باعلام الله تعالى اياه فانما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن
فيكون اذ لا يجوز على الله تعالى ولا على صفات ذاته مماسة او مباشرة
او نقص وهذا الليق بتنزيهه واذا حملنا الحديث على المنام وان ذلك كان
في المنام فقد زال الاشكال لان روية الباري تعالى في المنام على الصفات
الحسنة دليل على البشارة والخير والرحمة للرائي وسبب اختصام
الملأ الاعلى وهم الملئكة في الكفارات وهي الخصال المذكورة في الحديث
في ايها افضل وسميت هذه الخصال كفارات لانها تكفر الذنوب عن
فاعلها فهي من باب تسمية الشي باسم لازمه وسمي ذلك مخاصمة لما مر
في السوال والجواب المتقدمين قوله اذ يجوز ان يكون بدلا من اذ الاولى
كما قاله الزمخشري وان يكون منصوبا باذكر كما قال ابو البقاء اي
واذكر اذ قال ربك للملئكة اني خالق اي جاعل بشرا من طين هو آدم
عليه السلام فان قيل كيف صح ان يقول لهم اني خالق بشرا وما
عرفوا ما البشر ولا عهدوا به قبل اجيب بانه قد يكون قال لهم اني
خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم
فاذا سويته اي اتممت خلقه ونفخت اي اجريت فيه من روحي
فصار حيا حساسا متنفسا واضافة الروح اليه تعالى اضافة تشريف
عليه السلام والروح جسم لطيف يحيى به الانسان بنفوذه فيه
ليسري في بدن الانسان سريان الضوء في الفضا وكسريان النار
في الفحم والماء في العود الاخضر فقعوا اي خروا له ساجدين فسجد
الملئكة وقوله تعالى كلهم اجمعون فيه تاكيدات وقال الزمخشري

كل للاحاطة واجمعون للاجتماع افادا معا انهم سجدوا عن اخرهم ما بقي منهم
ملك الا سجد وانهم سجدوا معا في وقت واحد غير متفرقين في اوقات انتهى
فان قيل كيف ساغ السجود لغير الله تعالى اجيب بان الممنوع هو السجود لغير الله
على وجه العبادة فاما على وجه التكرمة والتبجيل فلا يأباه العقل الا ان
يكون فيه مفسدة فينهى الله تعالى عنه والاولى في الجواب انه سجود تحية
بالانحناء كما قاله الجلال المحلي الا ابليس استكبر اي تكبر وتعظم
عن السجود فان قيل كيف استثني من الملئكة وهو من الجن اجيب بانه
قد امر بالسجود معهم فغلبوا عليه في قوله تعالى فسجد الملئكة ثم
استثني كما تستثني للواحد منهم استثناء متصلا وقال الجلال
المحلي هو ابو الجن وكان من الملئكة وعلى هذا فلا سؤال وكان اي وصار
من الكافرين باستكباره عن امر الله تعالى او كان من الكافرين في الازمنة
الماضية في علم الله تعالى تنبيه المقصود من ذكر هذه القصة المنع
من ذكر الحسد والكبر لان ابليس انما وقع فيما وقع فيه بسبب الحسد
والكبر والكفار انما نازعوا محمدا صلى الله عليه وسلم بسبب الحسد
والكبر فذكر الله تعالى هذه القصة ههنا ليصير سماعها زاجرا عن
هاتين الخصلتين المذمومتين قال الله تعالى يا ابليس سماه
بهذا الاسم لكونه من الابلاس وهو انقطاع الرجا اشارة الى تحتم
العقوبة له ما منعك ان تسجد وبين ما يوجب طاعته ولوازم تعظيم
ما لا يعقل معبرا باداة ما لا يعقل عمن كان عند السجود له عاقلا
كامل العقل لما خلقت بيدي اي توليت خلقه من غير توسط سبب
كاب وام والتثنية في اليد لما في خلقه من مزيد القدرة وقوله تعالى
استكبرت استفهام توبيخ اي تعظمت بنفسك الان عن السجود له
ام كنت من العالين اي من القوم الذين يتكبرون فتكبرت عن السجود لكونك
منهم فاجاب ابليس بقوله قال انا خير منه اي لو كنت مساويا له في
الشرف لكان يقبح ان اسجد له فكيف وانا خير منه ثم بين كونه خيرا ٣ اشرف
منه بقوله خلقتني من نار وخلقته من طين والنار خير من الطين بدليل ان
الاجرام الفلكية افضل من الاجرام العنصرية والنار اقرب العناصر
من الفلك والارض ابعد عنه فوجب كون النار افضل من الارض وايضا
فالنار خليفة الشمس والقمر في اضاءة العالم عند غيبتهما والشمس
والقمر اشرف من الارض فخليفتهما في الاضاءة افضل من الارض
وايضا فالكيفية الفاعلة الاصلية اما الحرارة واما البرودة والحرارة
افضل من البرودة لان الحرارة تناسب الحياة والبرودة تناسب الموت
وايضا فالنار لطيفة والارض كثيفة واللطافة افضل من الكثافة

حقيقة م

وايضا فالنار مشرقة والارض مظلمة والنور خير من الظلمة وايضا فالنار تشبه
الروح والارض كثيفة تشبه الجسد والروح افضل من الجسد فالنار افضل
من الارض والدليل على ان الارض افضل من النار انها امينة مصلحة فاذا اودعتها
حبة ردتها اليك شجرة مثمرة والنار خائنة مفسدة كلما اسلمته اليها وايضا
فالنار بمنزلة الخادم لما في الارض ان احتيج اليها استدعيت استدعاء
الخادم وان استغني عنها طردت وايضا فالارض مستولية على النار فانها
تطفئ النار وايضا فان استدلال ابليس بكون اصله خيرا من ادم اصله
استدلال فاسد لان اصل الرماد النار واصل البساتين المزهرة
والاشجار المثمرة هو الطين ومعلوم بالضرورة ان الاشجار المثمرة خير
من الرماد وايضا هب ان اعتبار هذه الجهة توجب الفضيلة الا ان
هذا يمكن ان يعارض بجهة اخرى توجب الرجحان مثل انسان نسيب
عاري عن كل الفضائل فان نسبه يوجب رجحانه الا ان الذي لا يكون نسيبا
قد يكون كثير العلم والزهد فيكون افضل من النسيب بدرجات لا حد
لها فكذبت مقدمة ابليس فان قيل هب ان ابليس اخطا في القياس
لكن كيف لزمه الكفر في تلك المخالفة وتقرير السؤال من وجوه الاول
ان قوله تعالى اسجدوا امر وهو يحتمل الوجوب والندب فكيف يلزم العصيان
فضلا عن الكفر الثاني هب انه للوجوب وقلنا ان ابليس ليس من الملئكة
فامر الملائكة بالسجود لادم لا يدخل فيه ابليس الثالث هب انه تناوله
الا ان تخصيص العام بالقياس جائز فجاز ان يخصص نفسه من عموم ذلك
الامر بالقياس الرابع انه لم يسجد مع علمه بانه كان مامورا به الا ان هذا
القدر يوجب العصيان ولا يوجب الكفر اجيب بان صيغة الامر وان
لم تدل على الوجوب يجوز ان ينضم اليها من القرائن ما يدل عليه وههنا
حصلت تلك القرائن وهي قوله استكبرت ام كنت من العالين فعلم بذلك ان
الامر للوجوب وانه مخاطب بالسجود فلما اتى بقياسه الفاسد دل
ذلك على انه انما ذكر القياس ليتوصل به الى القدح في امر الله تعالى وتكليفه
وذلك يوجب الكفر ولما ذكر ابليس هذا القياس الفاسد قال الله تعالى
فاخرج اي بسبب تكبرك ونسبتك الحكيم الذي لا اعتراض عليه الى الجور
منها اي من الجنة وقيل من الخلقة التي انت فيها لانه كان يفتخر بخلقته
فغير الله تعالى خلقته فاسود بعد ما كان ابيض وقبح بعد ما كان حسنا واظلم
بعد ما كان نورانيا وقيل من السموات فانك رجيم اي مطرود لان من طرد
رجم بالحجارة فلما كان الرجم من لوازم الطرد جعل الرجم كناية عن الطرد
فان قيل الطرد هو اللعن فيكون قوله تعالى وان عليك لعنتي مكررا اجيب
بحمل الطرد على ما تقدم وحمل اللعنة على الطرد من رحمة الله تعالى وايضا

قوله تعالى وان عليك لعنتي **الى يوم الدين** اي الجزاء فادام او ملوطرده الى يوم القيمة
فلا يكون تكرارا وقيل المراد بالرجم كون الشياطين مرجومين بالشهب فان قيل
كلمة الى لانتهاء الغاية فكان لعنة ابليس غايتها يوم الدين ثم تنقطع اجيب
بانها كيف تنقطع وقد قال فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين ولكن
المعنى ان عليه اللعنة في الدنيا فاذا كان يوم القيمة اقترن له باللعنة من
العذاب ما تنسى عنده اللعنة فكانها انقطعت تنبيه قال تعالى هنا لعنتي
وفي اخرى اللعنة وهما وان كانتا في اللفظ عاما وخاصا الا انهما حيث المعنى
عامان بطريق اللازم لان من كانت عليه لعنة الله تعالى كانت عليه لعنة كل احد
لا محالة وقال تعالى اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين
ولما صار ابليس ملعونا مطرودا **قال رب فانظرني الى يوم يبعثون** اي الناس
طلب الانظار الى يوم البعث لاجل ان يتخلص من الموت لانه اذا انظر ليوم البعث
لم يمت قبل يوم البعث وعند مجيء البعث لا يموت فحينئذ يتخلص من الموت
فلذلك قال تعالى **فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم** اي النفخة الاولى فيموت
فيها فلم يجبه الى ادعائه كما قال تعالى وما دعاء الكافرين الا في ضلال ومعنى
المعلوم انه معلوم عند الله تعالى معين لا يستقدم ولا يستاخر فلما انظره
الله الى ذلك الوقت **قال فبعزتك** اي اقسم بعزة الله تعالى وهي قهره وسلطانه
لاغوينهم اجمعين ثم استثنى من ذلك ما ذكره بقوله **الا عبادك منهم المخلصين**
اي الذين اخلصهم الله تعالى لطاعته وعصمهم من الضلالة واخلصوا قلوبهم
على اختلاف القراءتين فان نافعا والكوفيين قرؤا بفتح اللام بعد الخاء
والباقون بالكسر تنبيه قيل ان غرض ابليس من هذا الاستثناء ان لا
يقع في كلامه الكذب لانه لو لم يذكر هذا الاستثناء وادعى انه يغوي الكل
لظهر كذبه حين يعجز عن اغواء عباد الله المخلصين وعند هذا يقال
ان الكذب لشيء يستنكف منه ابليس فليس يليق بالمسلم وهذا يدل
على ان ابليس لا يغوي عباد الله تعالى المخلصين وقد قال تعالى في صفة
يوسف عليه السلام انه من عبادنا المخلصين فيحصل من مجموع الايتين
ان ابليس ما اغوى يوسف عليه السلام وما نسب اليه من القبائح
كذب وافتراء ولما قال ابليس ذلك **قال** تعالى **فالحق** اي فبسبب
اغوائك وغوايتهم اقول الحق **والحق اقول** اي لا اقول الا الحق فان كل
شيء قلته ثبت فلا يقدر احد على نقضه ولا نقصه وقرا عاصم وحمزة
برفع الاول ونصب الثاني والباقون بنصبهما نصب الثاني بالفعل بعده
ونصب الاول بالفعل المذكور او على الاغراء اي الزموا الحق او على نزع حرف القسم
ورفعه على انه مبتدا محذوف الخبر اي فالحق مني او فالحق قسمي
وجواب القسم **لاملان جهنم منك** اي بنفسك وذريتك **وممن تبعك**

منهم اي من الناس وقوله تعالى **اجمعين** فيه وجهان اظهرهما انه توكيد
للضمير في منك ولمن عطف عليه في قوله تعالى وممن تبعك والمعنى لاملان
جهنم من المتبوعين والتابعين لا اترك منهم احدا وجوز الزمخشري ان
يكون تاكيدا للضمير في منهم خاصة فقدر لاملان جهنم من الشياطين
وممن تبعهم من جميع الناس لا تفاوت في ذلك بين ناس وناس ثم قال
الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم **قل** اي لقومك **ما اسئلكم عليه**
اي على تبليغ الرسالة او القران **من اجر** اي جعل **وما انا من المتكلفين**
اي المتصنعين بما لست من اهله على ما عرفتم من حالي فانتحل النبوة
واتقول القران وكل من قال شيئا من تلقاء نفسه فهو متكلف
له وعن مسروق قال دخلنا على عبد الله بن مسعود فقال يا ايها
الناس من علم شيئا فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله اعلم فان من العلم ان
يقول من لا يعلم الله اعلم قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم
قل ما اسئلكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين وقيل هذا
المعنى الذي ادعوكم اليه ليس يحتاج في معرفة صحته الى التكلفات
الكثيرة بل هو دين يشهد صريح العقل بصحته **ان** اي ما **هو** اي ما
القران **الا ذكر** اي عظة وشرف **للعالمين** اي للخلائق اجمعين **ولتعلمن**
جواب قسم مقدر ومعناه لتعرفن يا كفار مكة **نباه** اي خبر صدقه
وهو ما فيه من الوعد والوعيد او صدقه باتيان ذلك **بعد حين** قال
ابن عباس وقتادة بعد الموت وقال عكرمة يوم القيمة وقال
الحسن ابن ادم عند الموت ياتيك الخبر اليقين وقال البيضاوي تبعا
للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة ص
كان له بوزن كل جبل سخره الله تعالى لداود عشر حسنات
وعصمه ان يصر على ذنب صغير او كبير حديث موضوع

سورة الزمر مكية

الا قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الاية فمدنية
وهي خمس وسبعون اية والف ومائة واثنان وسبعون كلمة واربعة
الاف وسبعمائة وثمانية احرف **بسم الله** الذي له جميع صفات
الكمال **الرحمن** الذي انعم على عباده بانواع النعم **الرحيم** بانواع المغفرة
على المؤمنين من عباده المؤمنين **تنزيل الكتاب** اي القران مبتدا وقوله
تعالى **من الله** اي المتصف بصفات الكمال خبره اي تنزيل الكتاب
كائن من الله تعالى وقيل تنزيل خبر مبتدا مضمر تقديره هذا تنزيل الكتاب
من الله **العزيز** اي الغالب في ملكه **الحكيم** اي في صنعه

فثي ذلك دلالة على انه تعالى عالم بجميع المعلومات غني عن جميع الحاجات فان
قيل ان الله تعالى وصف القران بكونه تنزيلا ومنزلا وهذا الوصف لا يليق
الا بالمحدث المخلوق اجيب بان ذلك محمول على الصيغ والحروف انا
اي بما لنا من العظمة انزلنا اليك الكتاب يا اشرف الخلق خاصة بواسطة الملك
الكتاب اي القران الجامع لكل خير وقوله تعالى بالحق يجوز ان
يتعلق بالانزال اي بسبب الحق وان يتعلق بمحذوف على انه حال من
الفاعل او المفعول وهو الكتاب اي ملتبسين بالحق او ملتبسا بالحق
والصدق والصواب والمعنى ان كل ما فيه من اثبات التوحيد
والنبوة والمعاد وانواع التكاليف فهو حق يجب العمل به وفي قوله
تعالى انا انزلنا اليك الكتاب تكرير تعظيم بسبب تكراره في جملة اخرى
مضافا انزاله الى المعظم نفسه فان قيل لفظ تنزيل يشعر بانه
تعالى انزله نجما نجما على وفق المصالح على سبيل التدريج ولفظ
الانزال يشعر بانه تعالى انزله دفعة واحدة اجيب بان طريق
الجمع ان يقال انا حكمنا حكما كليا بانا نوصل اليك هذا الكتاب
وهذا هو الانزال ثم اوصلناه اليك نجما نجما على وفق المصالح
ولما بين تعالى ان هذا الكتاب مشتمل على الحق والصدق اردفه
ببيان بعض ما فيه من الحق والصدق وهو ان يشتغل الانسان
بعبادة الله تعالى على سبيل الاخلاص فقال سبحانه فاعبد الله اي
الحائز لجميع صفات الكمال حال كونك مخلصا له الدين اي
ممحضا له الدين من الشرك والريا بالتوحيد وتصفية السر الا
لله اي الملك الاعلى وحده الدين الخالص اي لا يستحقه غيره
فانه المنفرد بصفات الالوهية والاطلاع على الاسرار والضمائر
قال قتادة الدين الخالص شهادة ان لا اله الا الله وقال
الاية متناولة لكل ما كلف الله به من الاوامر والنواهي لان قوله
تعالى فاعبد الله عام وروي ان امراة الفرزدق لما قربت وفاتها
اوصت ان يصلي الحسن البصري عليها فلما دفنت قال الحسن
البصري يا ابا فراس ما الذي اعددت لهذا الامر قال شهادة
ان لا اله الا الله فقال الحسن هذا العمود فاين الطنب قال
ابن عادل وبين بهذا اللفظ الوجيز ان عمود الخيمة لا ينتفع به
الا مع الطنب حتى يمكن الانتفاع بالخيمة اي الانتفاع الكامل
والا فهي ينتفع بها ولكن راس العبادات الاخلاص في التوحيد
واتباع الاوامر واجتناب النواهي والذين اتخذوا من دونه اي من دون الله
اولياء وهم كفار مكة اتخذوا الاصنام وقالوا ما نعبدهم اي

لشي

لشي من الاشياء الا ليقربونا الى الله اي الذي له معاقد العز ومجامع العظمة
زلفى وذلك انهم كانوا اذا قيل لهم من ربكم ومن خلقكم ومن خلق
السموات والارض قالوا الله فيقال فما عبادتكم لهم قالوا ليقربونا الى الله
زلفى اي قربى وهو اسم اقيم مقام المصدر كانهم قالوا الا ليقربونا الى الله
تعالى تقريبا حسنا سهلا وتشفع لنا عند الله ان الله اي الذي له
جميع صفات الكمال يحكم بينهم اي وبين المسلمين فيما هم فيه يختلفون
اي من امر الدين فيدخل المومنين الجنة والكافرين النار ان الله اي
الملك القادر لا يهدي اي لا يرشد من هو كاذب اي في قوله ان الالهة
تشفع مع علمه بانها جمادات خسيسة وفي نسبة الولد الى الله تعالى
كفار اي بعبادته غير الله تعالى لو اراد الله اي الذي له الاحاطة
بصفات الكمال ان يتخذ ولدا كما قالوا اتخذ الرحمن ولدا لاصطفى اي
اختار مما يخلق ما يشاء اي اتخذ ولدا غير من قالوا الملائكة بنات الله
وعزير ابن الله والمسيح ابن الله كما قال لو اردنا ان نتخذ لهوا اي
كما زعموا لاتخذناه من لدنا اذ لا موجود سواه الا وهو مخلوقه ومن
البين ان المخلوق لا يماثل الخالق فيقوم مقام الولد له ثم نزه نفسه
سبحانه فقال تعالى سبحانه اي تنزيها له عن ذلك وعما لا يليق بطها رته
ثم اقام الدليل على هذا التنزيه المقتضي لتفرده فقال تعالى هو اي
الفاعل لهذه الفعال القابل لهذه الاقوال الله اي الجامع لجميع
صفات الكمال ثم ذكر من الاوصاف ما هو كالعلة لذلك فقال
تعالى الواحد اي في ملكه الذي لا شريك له ولا ولد ولا والد له
القهار اي الغالب الكامل القدرة فكل شي عن قدرته ولما ثبتت
هذه الصفات التي نفت ان يكون له شريك او ولد واثبتت له الكمال
المطلق استدل على ذلك بقوله تعالى خلق السموات والارض اي ابدعهما
من العدم وقوله تعالى بالحق متعلق بخلق لان الدلايل التي يذكرها
الله تعالى في اثبات الالهية اما ان تكون فلكية او ارضية اما
الفلكية فاقسام احدها خلق السموات والارض وثانيها
اختلاف الليل والنهار كما قال تعالى يكور اي يدخل الليل على النهار
ويكور النهار على الليل قال الحسن ينقص من الليل فيزيد في النهار
وينقص من النهار فيزيد في الليل فما نقص من الليل دخل في النهار وما
نقص من النهار دخل في الليل قال البغوي ومنتهى النقص تسع
ساعات ومنتهى الزيادة خمسة عشر ساعة وقال قتادة هو
يغشي هذا هذا كما قال تعالى يغشي الليل النهار وقال الرازي
ان النور والظلمة عسكران عظيمان وفي كل يوم يغلب هذا ذاك وذاك هذا

وذلك يدل على ان كل واحد مغلوب مقهور ولا بد من غالب قاهر لهما يكونا
تحت قهره وتدبيره وهو الله تعالى انتهى وورد في الحديث نعوذ بالله من
الحور بعد الكور اي من النقصان بعد الزيادة وقيل من الادبار بعد الاقبال
وسخر اي ذلل واكره وقهر وكلف لما يريد من غير نفع للمسخر الشمس
والقمر فان الشمس سلطان النهار والقمر سلطان الليل واكثر
مصالح هذا العالم مربوطة بهما كل اي منهما يجري لاجل مسمى اي الى
يوم القيمة لا يزالان يجريان الى هذا اليوم فاذا كان يوم القيمة ذهبا
والمراد من هذا التسخير ان هذه الانفلاك تدور كدوران المنجنون
على حد واحد الا هو العزيز اي الغالب على امره المنتقم من اعدائه الغفار
اي الذي له صفة الستر على الذنوب منكررة يمحو ذنوب من يشا
عينا واثرا بمغفرته ثم انه تعالى لما ذكر الدلايل الفلكية اتبعها
بذكر الدلايل السفلية فقال تعالى خلقكم اي الناس المدعون الهية
غيره من نفس واحدة هي ادم عليه السلام ثم جعل منها اي من تلك النفس
زوجها حوا وانما بدا منها بذكر الانسان لانه اقرب واكبر
دلالة واعجب وفيه ثلاث دلالات خلق ادم اولا من غير اب وام
ثم خلق حوا من قصيراه ثم تشعيه الخلق الفايت للحصر منهما فهما
ايتان الا ان احداهما جعلها الله عادة مستمرة والاخرى لم تجر بها
العادة ولم يخلق انثى غير حوا من قصيري رجل فتعبير في ثم
في هذه اوجه احدها انها على بابها من الترتيب بمهلة وذلك بروي
ان الله تعالى اخرج ذرية ادم من ظهره كالذر ثم خلق حوى بعد ذلك
بزمان ثانيها انها على بابها ايضا لكن لمدرك اخر وهو ان يعطف بها فا بعد
على ما فهم من الصفة في قوله تعالى واحدة اذ التقدير من نفس وحدة
اي انفردت ثم جعل منها زوجها ثالثها انها للترتيب في الاخبار لا
في الزمان الوجودي كانه قيل كان من قبلها ما اقرها قبل ذلك ان جعل
منها زوجها رابعها انها للترتيب في الاحوال والرتب وقال الرازي
انثم كما تجي لبيان كون احدى الواقعتين متاخرة عن الثانية فكذلك
تجي لبيان تاخر احد الكاينين عن الاخر كقول القايل بلغني
ما صنعت اليوم ثم ما صنعت امس اعجب واعطيتك اليوم شيا
ثم الذي اعطيتك امس اكثر وقوله تعالى وانزل لكم من الانعام عطف على
خلقكم والانزال يحتمل الحقيقة بروي ان الله تعالى خلقها في الجنة ثم
انزلها ويحتمل المجاز وله وجهان احدهما انها لما لم تعش الا بالنبات
والنبات انما يعيش بالماء والما ينزل من السحاب اطلق الانزال عليها
وهو في الحقيقة يطلق على سبب السبب كقول القايل

اذا انزل

قوله المنجنون
هو الدولاب
الذي يستقي
عليه
اه مختار

اذا انزل السما بارض قوم * رعيناه وان كانوا غضابا
والثاني ان غضابا ه واحكامه منزلة من السما من حيث كتبها في اللوح المحفوظ
وهو ايضا سبب في ايجادها وقال البغوي معنى الانزال ههنا الاحداث
والانشا كقوله تعالى انزلنا عليكم لباسا وقيل انه انزل الما الذي هو سبب
نبات القطن والكتان وغيرها الذي يجعلون منه اللباس وقيل معناه انزل
عليكم من الانعام جعلها نزلا لكم ورزقا ومعنى ثمانية ازواج اي ثمانية
اصناف وهي الابل والبقر والضان والمعز من كل زوجان ذكر وانثى
كما بين في سورة الانعام وقوله تعالى يخلقكم في بطون امهاتكم بيان لكيفية
خلق ما ذكر من الاناث والانعام اظهارا لما فيها من عجايب القدرة غير انه
تعالى غلب اولوا العقل او خصهم بالخطاب لانهم المقصود وقرا حمزة
والكسائي في الوصل بكسر الهمزة والباقون بالضم وفي الابتدا الجميع
بالضم وكسر حمزة الميم وفتحها الباقون ومعنى قوله تعالى خلقا من بعد
خلق ما ذكره تعالى في قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من
طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين الايات واما قوله تعالى في ظلمات
ثلاث فقال ابن عباس ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة
وقيل الصلب والرحم والبطن ذلكم اي العالي المراتب بينها ذلكم
ايها الخلق كلكم بعضكم بلسان قاله وبعضكم بناطق حاله
الذي جميع ما ذكر من اول السورة الى هنا من افعاله ولما اشار الى
عظمته باداة البعد اخبر عن اسم الاشارة بقوله تعالى الله اي
الذي خلق هذه الاشيا ربكم اي المالك والمربي لكم بالخلق والرزق
فهو المستحق لعبادتكم وقوله تعالى له الملك يفيد الحصر اي له الملك
لا لغيره ولما ثبت انه لا ملك الا له وجب القول بانه لا اله الا هو اي
لا يشاركه في الخلق غيره ولما بين بهذه الدلايل كمال قدرته ورحمته
زيف طريقة المشركين بقوله تعالى فانى اي فكيف ومن اي وجه
تصرفون عن طريقة الحق بعد هذا البيان ان تكفروا فان الله اي الذي
له الكمال كله غني عنكم لانه تعالى ما كلف المكلفين ليجر الى نفسه
منفعة او ليدفع عن نفسه مضرة لانه تعالى واجب الوجود لذاته
وواجب الوجوب لذاته في جميع صفاته يكون غنيا على الاطلاق وايضا
فالقادر على خلق السموات والارض والشمس والقمر والنجوم والعرش
والكرسي والعناصر الاربعة يمتنع ان ينتفع بصلاة زيد وصيام عمرو
وان يستضر بعدم صلاة هذا او عدم صيام ذاك ولا يرضى لعباده اي
لاحد منهم الكفر اي بالاقبال على سواه وانتم لا ترضون ذلك
لعبيدكم مع ان ملككم لهم في غاية الضعف ويعين عدم الرضى به

لا يفعل فعل الراضي بان ياذن فيه ويثيب عليه ويثيب فاعله ويمدحه بل
يفعل فعل الساخط بان ينهى عنه ويذم عليه ويعاقب مرتكبه وان كان
بارادته اذ لا يخرج شيء عنها وهذا قول قتادة والسلف اجروه على عمومه
وقال ابن عباس ولا يرضى لعباده المومنين الكفر وهم الذين قال الله
تعالى فيهم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فيكون عاما في اللفظ
خاصا في المعنى كقوله تعالى عينا يشرب بها عباد الله يريد بعض العباد
وان تشكروا الله تعالى اي فتؤمنوا بربكم وتطيعوه يرضه لكم اي يثبكم
عليه لانه سبب فلاحكم وقرا السوسي في الوصل بسكون الها وللدوري
وهشام وجهان السكون والضم وصلة الها بوا وللدوري وابن كثير
وابن ذكوان والكسائي والباقون بالسكون وهو لغة فيه ولا تزر اي
نفس وازرة وزر اخرى اي وزر نفس اخرى اي لا تحمله بل وزر كل نفس
عليها لا يتعداها يحفظ عليها مع كونها تكاثر العمل واحتج بهذا من انكر
وجوب الدية على العاقلة ورد بان السنة خصصت ذلك واما الاثم
الذي يجب على الانسان بترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فليس
وزر غيره وانما هو وزر نفسه فوزر الفاعل على الفعل ووزر الساكت
على الترك لما لزمه من الامر والنهي وقوله تعالى ثم الى ربكم مرجعكم يدل
على اثبات البعث والقيامة فينبئكم بما كنتم تعملون فيه تهديد للعاصي
وبشارة للمطيع وقوله تعالى انه عليم اي بالغ العلم بذات الصدور اي
بما في القلوب كالعلة لما سبق انه تعالى ينبئكم باعمالكم لانه عالم بجميع
المعلومات فيعلم ما في قلوبكم من الدواعي والصوارف قال صلى الله عليه
وسلم لا ينظر الى صوركم ولا اموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم انه تعالى
ولما بين تعالى فساد القول بالشرك وبين تعالى انه الذي يجب ان يعبد
بين ان طريقة الكفار متناقضة بقوله تعالى واذا مس الانسان اي
هذا النوع الانس بنفسه ضر دعا ربه لانهم اذا مسهم الضر طلبوا
رفعه من الله تعالى واذا زال ذلك الضر عنهم رجعوا الى عبادة فكان
الواجب عليهم ان يتعرفوا بالله تعالى في جميع الاحوال لانه القادر على
ايصال الخير ودفع الشر فظهر تناقض طريقهم والمراد بالانسان
الكافر وقيل المومن والكافر وقيل المراد اقوام معينين كعتبة بن
ربيعة وغيره والمراد بالضر جميع المكاره في جسمه او ماله او اهله
او ولده لعموم اللفظ وقوله تعالى منيبا حال من فاعل دعا وقوله
تعالى اليه متعلق بمنيبا اى راجعا اليه في ازالة ذلك الضر لان الانابة
الرجوع ثم اذا خوله اي اعطاه نعمة مبتدأة منه اي من غير مقتضى
ولا يستعمل في الجزاء بل في ابتداء العطية قال زهير

هنالك ان يستخولوا المال يخولوا ۞ وان يسئلوا يعطوا وان ييسروا يغلوا
وقال ابو النجم
اعطى فلم يبخل ولم يبخل ۞ كوم الذرى من خول المخول
وحقيقة خول من احد معنيين اما من قولهم هو خايل مال اذا كان
متعهدا له حسن القيام عليه واما من خال يخول اذا اختال وافتخر
ومنه قول العرب ان الغني طويل الذيل مياس نسي اي ترك ما اي
الامر الذي كان يدعوا اي يتضرع اليه من قبل اي قبل النعمة تنبيه
يجوز في ما هذه اوجه احدها ان تكون موصولة بمعنى الذي
مرادا بها الضر الذي كان يدعو الى كشفه اي ترك دعاه كانه لم
يتضرع الى ربه ثانيها انها بمعنى الذي مرادا بها الباري تعالى اي نسي
الله الذي كان يتضرع اليه وهذا عند من يجيز وقوع ما على اولي
العلم وقال الرازي ما بمعنى من كقوله تعالى وما خلق الذكر والانثى
وقوله ولا انتم عابدون ما اعبد وقوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم
ثالثها ان تكون مصدرية اي نسي كونه داعيا وجعل اي ذلك
الانسان زيادة على الكفران بالنسيان للاحسان لله اي الذي
لا مكافئ له بشهادة الفطرة والسمع والعقل اندادا اي شركاء
ليضل عن سبيله اي عن دين الاسلام وقرا ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء
بعد اللام اي ليفعل الضلال بنفسه والباقون بضمها اي لم يقنع
بضلاله بنفسه حتى يحمل غيره عليه فمفعوله محذوف واللام يجوز ان
تكون للعلة وان تكون لام العاقبة كقوله تعالى فالتقطه ال فرعون
ليكون لهم عدوا وحزنا واختلف في سبب نزول قوله تعالى لنبيه
محمد صلى الله عليه وسلم قل اي لهذا الذي قد حكم بكفره تمتع اي في
هذه الدنيا بكفرك قليلا اي بقية اجلك فقال مقاتل نزل في
حذيفة بن المغيرة المخزومي وقيل في عتبة بن ربيعة وقيل عام في كل
كل كافر وهذا امر تهديد وفيه اقناط للكافر من التمتع في الاخرة
ولذلك علله بقوله تعالى انك من اصحاب النار اي الذين لم يخلقوا
الا لها على سبيل الاستيناف للمبالغة قال تعالى ولقد ذرانا
لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها الاية ولما
شرح الله تعالى لصفات الكفار وتمسكهم بغير الله عز وجل اردفه
بشرح احوال المخلصين فقال امن هو قانت اي قايم بوظايف الطاعات
اناء الليل اي جميع ساعاته ومن اطلاق القنوت على القيام قوله
صلى الله عليه وسلم افضل الصلاة صلاة القنوت وهو القيام
فيها وقيل القنوت لانه يدعو قايما وعن ابن عمر انه قال لا اعلم القنوت

الاقراءة القرآن وطول القيام وتلي ام من هو قانت وعن ابن عباس القنوت
الطاعة لقوله تعالي كل له قانتون اي مطيعون وقرا نافع وابن كثير وحمزة
بتخفيف الميم والباقون بتشديدها وفي القراءة الاولي وجهان احدهما
ان الهمزة همزة استفهام دخلت علي من بمعني الذي والاستفهام
للتقرير ومقابله محذوف تقديره امن هو قانت كمن جعل لله اندادا
اوامن هو قانت كغيره واما القراءة الثانية فام داخلة علي من الموصولة
ايضا فادغمت الميم في الميم وفي ام حينئذ قولان احدهما انها متصلة
ومعادلها محذوف تقديره الكافر خير ام الذي هو قانت والثاني انها
منقطعة فتقدر ببل والهمزة اي بل امن هو قانت كغيره او كالكافر
المقول له تمتع بكفرك وقوله تعالى ساجدا اي وراكعا وقائما اي وقاعدا
في صلاته حالان من ضمير قانت تنبيه في هذه الاية دلالة علي ان
قيام الليل افضل من قيام النهار واختلف في سبب نزولها فقال
ابن عباس نزلت في ابي بكر وقال الضحاك في ابي بكر وعمر وقال
ابو عمرو في عثمان وقال الكلبي في ابن مسعود وعمار وسلمان وقوله تعالى
يحذر الاخرة اي عذاب الاخرة يجوز ان يكون حالا من الضمير في
ساجدا وقائما او من الضمير في قانت وان يكون مستانفا جوابا
لسؤال مقدر كانه قيل ما شانه يقنت اناء الليل ويتعب نفسه
ويكدها فقيل يحذر الاخرة ويرجو رحمة اي جنة ربه اي الذي لم
يزل يتقلب في انعامه وفي الكلام حذف والتقدير كمن لا يفعل شيا
من ذلك وانما حسن هذا الحذف لدلالة ذكر الكافر قبل هذه الاية
وذكر بعدها هل يستوي اي في الرتبة الذين يعلمون اي وهم الذين صفتهم
انهم يقنتون اناء الليل ساجدا وقائما والذين لا يعلمون وهم الذين
صفتهم عند البلاء والخوف يوحدون وعند الراحة والفراغ يشركون
وانما وصف الله تعالي الكفار بانهم لا يعلمون لان الله تعالى وان اعطاهم
الة العلم الا انهم اعرضوا عن تحصيل العلم فلهذا جعلهم تعالى
بانهم ليسوا من اولي الالباب من حيث انهم لم ينتفعوا بعقولهم
وقلوبهم وفي هذا تنبيه علي فضيلة العلم قيل لبعض العلماء
انكم تقولون العلم افضل من المال ثم نري العلما عند ابواب الملوك
ولا نري الملوك عند ابواب العلماء فاجاب بان هذا ايضا يدل
علي فضيلة العلم لان العلما علموا ما في المال من المنافع فطلبوه والجهال
لم يعرفوا فوائد المنافع فلا جرم تركوه وقال في الكشاف واراد بالذين يعلمون ما في العلم
العاملين من علماء الديانة كانه جعل من لا يعمل غير عالم وفيه ازدراء
عظيم للذين يقتنون العلوم ثم لا يقنتون ويفتنون فيها ثم يفتنون

بالدنيا فهم عند الله جهلة حيث جعل القانتين هم العلماء قال ويجوز ان
يرد علي سبيل التشبيه اي كما لا يستوي العالمون والجاهلون كذلك
لا يستوي القانتون والعاصون انتهي وقال عن الحسن انه سئل
عن رجل يتمادي في المعاصي ويرجو فقال هذا تمنٍّ وانما الرجاء قوله
تعالى انما يتذكر اي يتعظ اولوا الالباب اي اصحاب العقول الصافية
والقلوب النيرة وهم الموصوفون في اخر سورة ال عمران بقوله تعالى الذين
يذكرون الله قياما وقعودا وعلي جنوبهم الي اخرها ولما نفى تعالى
المساواة بين من يعلم وبين من لا يعلم امر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم
بان يخاطب المؤمنين فقال سبحانه قل اي لهم يا عبادي الذين امنوا اي
اوجدوا امنه الحقيقة اتقوا ربكم اي بطاعته واجتناب معاصيه
ثم بين تعالى لهم ما في هذا الاتقاء من الفوائد بقوله تعالى للذين احسنوا
في هذه الدنيا اي بالطاعة حسنة اي في الاخرة وهي الجنة
والتنكير في حسنة للتعظيم اي حسنة لا يصل العقل الي كنه
كمالها فقوله تعالى في هذه الدنيا متعلق باحسنوا وقيل متعلق بحسنة
وعلي هذا قال السدي معناه في هذه الدنيا حسنة يعني الصحة
والعافية وقال الرازي الاولي ان يحمل علي الثلاثة المذكورة في
قوله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ليس لها نهاية الامن والصحة والكفاية
انتهى ورد بان يتعين حمله علي حسنة الاخرة لان ذلك حاصل للكفار
اكثر من حصوله للمؤمنين كما قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن
وجنة الكافر واختلف في معني قوله تعالى وارض الله اي الذي
له الملك كله والعظمة التي لا تناهي له واسعة فقال ابن عباس
يعني ارتحلوا من مكة وفيه حث علي الهجرة من البلد الذي فيه المعاصي
ونظيره قوله تعالى قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض
قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها وقيل نزلت في مهاجري
الحبشة وقال سعيد بن جبير من امر بالمعاصي فليهرب وقال
ابو مسلم لا يمتنع ان يكون المراد من الارض ارض الجنة كما قال
تعالى عرضها السموات والارض اعدت للمتقين انما يوفى اي
التوفية العظيمة الصابرون اجرهم اي علي الطاعات وما يبتلون
به وقيل نزلت في جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه واصحابه حيث لم يتركوا دينهم
لما اشتد بهم البلاء وصبروا وهاجروا ومعني بغير حساب اي بغير
نهاية بكيل او وزن لان كل شيء دخل تحت الحساب فهو متناهي
فما لا نهاية له كان خارجا عن الحساب وعن ابن عباس لا يهتدي اليه
حساب الحساب ولا يعرف وقال علي رضي الله عنه كل مطيع يكال له كيلا

اويوزن له وزنا الا الصابرين فانهم يجيئ لهم حثيا وروي الشعبي لكن بسند
ضعيف عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الموازين تنصب يوم القيمة لاجل
الصلاة والصدقة والحج فيوفون اجورهم ولا ينصب لاهل البلا بل يصب
عليهم الاجر صبا حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض
بالمقاريض مما يذهب به اهل البلا من الفضل ولما كان للعبادة ركنان
عمل القلب وعمل الجوارح وعمل القلب اشرف من عمل الجوارح فقدمه [illegible]
بقوله تعالى قل اي يا اشرف المرسلين اني امرت قرا نافع بفتح اليا
والباقون بسكونها ان اعبد الله مخلصا له الدين اي مخلصا له التوحيد
لا اشرك به شيئا ثم ذكر عقبه الادون وهو عمل الجوارح وهو الاسلام
المذكور في قوله وامرت لان اي لاجل ان او بان اكون اول المسلمين
اي من هذه الامة وبهذا ازال التكرار وقال الزمخشري فان قلت
كيف عطف امرت على امرت وهما واحد قلت ليسا بواحد لاختلاف
جهتيهما وذلك ان الامر بالاخلاص وتكليفه شي والامر به ليحوز
قصب السبق في الدين شي اخر واذا اختلف وجها الشي وصفتاه
ينزل بذلك منزلة شيئين مختلفين ولما دعى المشركون النبي صلى الله
عليه وسلم الى دين ابائه امره الله تعالى بقوله سبحانه قل اني اخاف ان
عصيت ربي اي المحسن الي المربي لي بكل جميل وعبدت غيره عذاب
يوم عظيم والمقصود من هذا الامر المبالغة في زجر الغير عن المعاصي
وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو اني بفتح اليا والباقون بسكونها قل الله
اي المحيط بصفات الكمال وحده اعبد مخلصا له وحده ديني من الشرك
قال الرازي فان قيل ما معنى التكرير في قوله تعالى قل اني امرت ان اعبد
الله مخلصا له الدين وقوله تعالى قل الله اعبد مخلصا ديني قلنا ليس
هذا بتكرير لان الاول اخبار بانه مامور من جهة الله تعالى بالايمان
بالعبادة والثاني اخبار بانه امر ان لا يعبد احدا غير الله تعالى وذلك ان
قوله امرت ان اعبد الله لا يفيد الحصر وقوله تعالى قل الله اعبد يفيد الحصر
اي الله اعبد ولا اعبد احدا سواه ويدل عليه انه لما قال قل الله اعبد
قال بعده فاعبدوا اي انتم ايها الداعون في وقت الضر المعرضون في
وقت الرجا ما شئتم من دونه اي غيره وفي هذا تهديد وزجر لهم وايذان
بانهم لا يعبدون الله تعالى ثم بين تعالى كمال الزجر بقوله تعالى قل ان الخاسرين
اي الكاملين في الخسران الذين خسروا انفسهم اي اوقعوها في هلاك لا يعقل
هلاك اعظم منه وخسروا اهليهم يوم القيامة ايضا لانهم ان كانوا
من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل
الجنة فقد ذهبوا ذهابا بلا رجوع بعده البتة وقوله تعالى

الا ذلك

الا ذلك اي الامر العظيم البعيد الرتبة في الخسارة هو الخسران المبين اي
البين يدل على غاية المبالغة من وجوه احدها انه وصفهم بالخسران
ثم اعاد ذلك بقوله الا ذلك هو الخسران المبين وهذا التكرار لاجل التاكيد
وثانيها ذكر حرف الا وهو للتنبيه وذكر التنبيه يدل على التعظيم كانه قال
بلغ في العظم الى حيث لا تصل عقولكم اليه فتنبهوا له وثالثها قوله تعالى
هو الخسران ولفظة هو تفيد الحصر كانه قيل كل خسران يصير في مقابلته
كلا خسران ورابعها وصفه بكونه خسرانا مبينا يدل على التهويل ولما
شرح الله تعالى خسرانهم وصف ذلك الخسران بقوله تعالى لهم من فوقهم
ظلل من النار اي طباق من النار ومن تحتهم ظلل اي فرش ومهاد ونظيره قوله
تعالى لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش فان قيل الظلة ما علا
الانسان فكيف سمي ما تحته بالظلة اجيب باوجه احدها انه من
باب اطلاق اسم احد الضدين على الاخر كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة
مثلها ثانيها ان الذي تحته يكون ظلة لغيره لان النار دركات كما ان الجنة
درجات ثالثها ان الظلة التحتانية لما كانت مشابهة الظلة الفوقانية
في الحرارة والاحراق والايذا اطلق اسم احدهما على الاخرى لاجل المماثلة
والمشابهة وقيل المراد احاطة النار بهم من جميع الجهات ذلك اي
اي العذاب المعد للكفار يخوف الله به عباده اي المومنين ليجتنبوا
ما يوقعهم فيه وقيل يخوف الكفار والضلال ويدل للاول قوله تعالى
يا عباد فاتقون اي ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي وهذه عظة من الله
تعالى ونصيحة بليغة ووجه الدلالة ان اضافة العبيد الى الله تعالى
في القران تختص باهل الايمان والذين اجتنبوا الطاغوت اي البالغ غاية
الطغيان والطاغوت فعلوت من الطغيان كالملكوت والرحموت الا ان
فيها قلبا بتقديم اللام على العين اذ اصله طغيوت قدمت اليا على
العين ثم قلبت الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها اطلقت على الشيطان
او الشياطين مصدرا وفيه مبالغات وهي التسمية بالمصدر كان عين
الشيطان طغيان وان البنا بنا مبالغة فان الرحموت الرحمة الواسعة
والملكوت الملك المبسوط والقلب وهو الاختصاص قال في الكشاف
اذ لا يطلق على غير الشيطان والمراد به هاهنا الجمع اهـ لكن ابن الخازن
فسر الطاغوت بالاوثان وتبعه الجلال المحلي فان قيل يتعين هذا
هذا التفسير لانهم انما عبدوا الصنم لا الشيطان اجيب بان
الداعي الى عبادة الصنم هو الشيطان فلما كان هو الداعي كانت عبادة
الصنم عبادة له فان قيل ما وجه تسمية الصنم بالطاغوت على
التفسير الثاني مع انه لا يطلق الا على الشيطان كما مر اجيب

بانه اطلق عليه على سبيل المجاز لان الطغيان لما حصل بسبب عبادته والقرب
منه وصف بذلك اطلاقا لاسم السبب على المسبب بحسب الظاهر
وقوله تعالى ان يعبدوها بدل اشتمال من الطاغوت لان الطاغوت
مونث كانه قيل اجتنبوا عبادة الطاغوت فان قيل على التفسير الاول
انما عبد الصنم لا الشيطان اجيب بانه الداعي الى عبادة الصنم
فايدة نقل في التواريخ ان الاصل في عبادة الاصنام ان القوم مشبهة
واعتقدوا في الاله انه نور عظيم وان الملايكة انوار مختلفة في الصغر
والكبر فوضعوا تماثيل صور على وفق تلك الخيالات فكانوا يعبدون تلك
التماثيل على اعتقادهم انهم يعبدون الله والملايكة وانابوا اي رجعوا
الى الله اي الى عبادته بكليتهم وتركوا ما كانوا عليه من عبادة غيره ثم
انه تعالى وعدهم باشيا احدها قوله تعالى لهم البشرى اي في الدنيا
والاخرة اما في الدنيا فالثنا عليهم بصالح اعمالهم وعند نزول الموت
وعند الوضع في القبر واما في الاخرة فعند الخروج من القبر وعند الوقوف
للحساب وعند جواز الصراط وعند دخول الجنة فعند كل موقف من
هذه المواقف تحصل لهم البشارة بنوع من الخير والراحة والروح والريحان
تنبيه يحتمل ان يكون المبشر لهم هم الملايكة لانهم يبشرونهم عند
الموت لقوله تعالى الذين تتوفاهم الملايكة طيبين يقولون سلام عليكم
وعند دخولهم الجنة بقوله تعالى والملايكة يدخلون عليهم من كل باب
سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ويحتمل ان يكون هو الله تعالى
لقوله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام ولا مانع ان يكون من الله ومن
الملايكة فان فضل الله تعالى واسع وقوله تعالى فبشر عباد قراه
السوسي بيا بعد الدال مفتوحة في الوصل ساكنة في الوقف والباقون
بغير يا الذين يستمعون اي بجمع قلوبهم القول فيتبعون اي بكل عزايمهم
بعد انفاذه احسنه اي دلتهم عليه عقولهم من غير عدول الى
ادنى تنبيه في هذا وضع الظاهر موضع المضمر الذين اجتنبوا للدلالة
على مبدا احسانهم وانهم نقاد في الدين يميزون بين الحسن والاحسن
والفاضل والافضل فاذا اعترضهم امران واجب وندب اختاروا
الواجب او مباح وندب اختاروا الندب حرصا على ما هو اقرب عند
الله واكثر ثوابا ويدخل تحت ذلك ابواب التكاليف وهي قسمان
عبادات ومعاملات فالعبادات كقولنا الصلاة التي يذكر في تحريمها
الله اكبر مع اقتران النية ويقرا فيها بالفاتحة ويوتى فيها بالطمانينة
في مواضعها الخمسة ويتشهد فيها ويدخل يخرج منها بالسلام لا شك
انها احسن من الصلاة التي لا يراعى فيها شي من هذه الاحوال قال

الرازي فوجب على العاقل ان يختار هذه الصلاة دون غيرها انتهى وكذا القول
في جميع انواع العبادات قال في الكشاف ويدخل تحته المذاهب
واختيار اثبتها على السبك واقواها على السبر وابينها دليلا وامارة
ولا تكن في مذهبك كما قال القايل
ولا تكن مثل عير قيد فانقادا يريد المقلد انتهى واما المعاملات
فكانظار المعسر وابراوه فالابراء افضل اولى وان كان الاول واجبا والثاني
مندوبا وكذا القول في جميع المعاملات وقيل يستمعون القران وغيره
فيتبعون القران وقيل يستمعون اوامر الله تعالى فيتبعون احسنها نحو
القصاص والعفو قال تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى وعن ابن عباس
هو الرجل يجلس مع القوم فيسمع الحديث فيه محاسن ومساو فيحدث
باحسن ما يسمع ويكف عما سواه وروى عطا عن ابن عباس امن ابو بكر
بالنبي صلى الله عليه وسلم فجاده عثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة
والزبير وسعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد فسالوه فاخبرهم بايمانه
فامنوا فنزل فيهم فبشر عبادي الاية واوليك اي العالوا الهمة
والرتبة هم اولوا الالباب اي بما له من صفات الكمال لديه افمن حق
عليه كلمة العذاب اي اصحاب العقول السليمة عن منازعة الوهم
والعادة وقال ابو زيد نزلت الذين اجتنبوا الطاغوت الابيات
في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون لا اله الا الله زيد بن عمرو
وابو ذر الغفاري وسلمان الفارسي والاحسن قول لا اله الا الله هو
وفي هذه الاية لطيفة وهي ان حصول الهداية في العقل والروح
حدوث فلا بد من فاعل وقابل فاما الفاعل فهو الله تعالى وهو
المراد من قوله تعالى اوليك الذين هداهم الله واما القابل فاليه
الاشارة بقوله تعالى واوليك هم اولوا الالباب فان الانسان ما لم يكن عاقلا
كامل الفهم امتنع حصول هذه المعارف الحقيقية في قلبه واختلف
في معنى قوله تعالى ... واسقط تا التانيث الدالة على اللين
تاكيد النهي عن الاسف عليهم ... فقال ابن عباس
معنى الاية من سبق في علم الله انه في النار وقيل كلمة العذاب
قوله تعالى لاملان جهنم الاية وقيل قوله تعالى هولا في النار ولا ابالي
وقوله تعالى افانت تنقذ اي تخرج من في النار جواب الشرط واقيم
فيه الظاهر مقام المضمر اذ كان الاصل افانت تنقذه وانما وقع موقع
شهادة عليه بذلك والهمزة للانكار والمعنى لا تقدر على هدايته
فتنقذه من النار وقال ابن عباس يريد ابا لهب وولده ويجوز ان
تكون من موصولة في محل رفع بالابتدا وخبره محذوف واختلف

ابواب

في

واسقط تا التانيث الدالة على اللين تاكيد النهي عن الاسف عليهم

فقه

وتقديره فقدره ابو البقا كمن يجي وقدره الزمخشري فانت تخلصه قال
حذف لدلالة افانت تنقذ عليه وقدره غيرهما تتاسف عليه وقدره ابو
اخر تتخلص منه اي من العذاب وقوله تعالى لكن الذين اتقوا ربهم استدراك
بين شبهي نقيضين اوضدين وهما المومنون والكافرون اي جعلوا
بينهم وبين المحسن اليهم وقاية في كل حسنة وسكون فلم يجعلوا اشيا
من ذلك الا بنظر يد لهم على رضاه وقوله تعالى لهم غرف اي علالي
من الجنة يسكنونها من فوقها غرف شديدة العلو مقابل لما ذكر في
وصف الكفار من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل والمعنى لهم
منازل في الجنة رفيعة ومن فوقها منازل ارفع منها فان قيل ما فايدة
قوله تعالى مبنية اجيب بان المنزل اذا بني على منزل اخر
كان الفوقاني اضعف بنا من التحتاني فقوله تعالى مبنية فائدته
انه وان كان فوق غيره لكنه في القوة والشدة مساو للمنزل الاسفل
ولما كانت المنازل لا تطيب الا بالماء وكان الجاري احسن واشرف
قال تعالى تجري من تحتها اي تلك الغرف الفوقانية والتحتانية
الانهار اي المختلفة كما قال تعالى فيها انهار من ماء غير اسن وانهار
من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل
مصفى وقوله تعالى وعد الله مصدر موكد لمضمون الجملة فهو منصوب
بفعله المقدر لان قوله تعالى لهم غرف في معنى وعدهم الله ذلك
لا يخلف الله الميعاد لان الخلف نقص وهو على الله تعالى محال وعن
ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الجنة
يتراون اهل الغرف من فوقهم كما تتراون الكوكب الدري الغابر
في الافق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول
الله تلك منازل الانبيا لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده
رجال امنوا بالله وصدقوا المرسلين وقوله الغابر اي الباقي في
الافق اي في ناحية المشرق والمغرب ولما وصف تعالى الاخرة
بوصف يوجب الرغبة العظيمة فيها وصف الدنيا بصفات
توجب اشتداد النفرة عنها بقوله تعالى الم تر اي تعلم ان الله اي
الذي له كمال القدرة انزل من السما اي التي لا يستمسك ما فيها
الا بقدرة باهرة تقهره على ذلك والمراد بالسماء الجرم او السحاب
ماء وهو المطر قال الشعبي كل ما في الارض فمن السما نزل ثم انه
تعالى ينزله الى بعض المواضع ثم يقسمه فسلكه اي ادخل ذلك
الماء في خلال التراب حال كونه ينابيع في الارض اي عيونا ومجاري
ومسالك كالعروق في الاجساد ثم يخرج به اي الله تعالى به

اي بالما

اي بالماء زرعا مختلفا الوانه من خضرة وحمرة وصفرة وبياض وغير ذلك
ومختلفا اصنافه من بر وشعير وسمسم وغيرها ثم يهيج اي ييبس
فتراه بعد الخضرة مثلا مصفرا من يبسه لانه اذا تم جفافه حان
له ان ينفصل عن منابته ثم يجعله حطاما اي فتاتا ان في ذلك اي التدبير
على هذا الوجه لذكرى اي تذكيرا وتنبيها لاولي الالباب اي
اصحاب العقول الصافية جدا فيتذكرون هذه الاحوال في النبات
فيعلمون به دلالته على وحدانية الله تعالى وقدرته واحوال الحيوان
والانسان وانه وان طال عمره فلا بد من الانتها الى ان يصير مصفر
اللون متحطم الاعضا والاجزاء ثم تكون عاقبته الموت فاذا
كانت مشاهدة هذه الاحوال في النبات مذكرة حصول مثل
هذه الاحوال في نفسه وفي حياته وحينئذ تعظم نفرته عن الدنيا
ولذاتها ولما بين تعالى الدلايل على وجوب الاقبال على طاعة الله تعالى
ووجوب الاعراض عن الدنيا ولذاتها ذكر ان الانتفاع بهذه
البيانات لا يكمل الا اذا انشرح الصدر ونور القلب فقال سبحانه
افمن شرح الله اي الذي له القدرة الكاملة صدره للاسلام اي وسعه
لقبول الحق فاهتدى فهو اي بسبب ذلك على نور من ربه اي
المحسن اليه كمن اقسى الله تعالى قلبه دل على هذا فويل كلمة عذاب
للقاسية قلوبهم من ذكر الله قال مالك بن دينار ما ضرب عبد بعقوبة
اعظم من قسوة القلب وما غضب الله على قوم الا نزع منهم الرحمة
واما نور الله تعالى فهو لطفه روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قرا هذه الاية فقيل يا رسول الله فما علامة ذلك قال الانابة الى
دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتاهب للموت قبل نزول
الموت فان قيل ان ذكر الله تعالى سبب لحصول النور والهداية
وزيادة الاطمئنان قال تعالى الا بذكر الله تطمين القلوب
فكيف جعله في هذه الاية سببا لحصول القسوة في القلب اجيب
بان النفس اذا كانت خبيثة الجوهر كدرة العنصر بعيدة عن مناسبة
الروحانيات شديدة الميل الى الطباع البهيمية والاخلاق الذميمة
فان سماعها لذكر الله يزيدها قسوة وكدورة مثاله ان الفاعل
الواحد تختلف افعاله بحسب اختلاف القوابل كنور الشمس يسود
وجه القصار ويبيض ثوبه وحرارة الشمس تلين الشمع وتعقد الملح
وقد نرى انسانا واحدا يذكر كلاما واحدا في مجلس واحد فيستطيبه
واحد ويستكرهه غيره وما ذاك الا بحسب اختلاف جواهر النفوس
ولما نزل قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين

بجملة

بك

وعمر بن الخطاب حاضر وانسان اخر فلما انتهي رسول الله صلى الله عليه وسلم
الي قوله تعالى ثم انشاناه خلقا اخر قال كل واحد منهما تبارك الله
احسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب فكذا انزلت
فازداد عمر ايمانا علي ايمانه وارتد ذلك الانسان واذا عرف ذلك لم يبعد
ان ذكر الله تعالى يوجب النور والهداية والاطمئنان في النفوس الطاهرة
الروحانية ويوجب القنوط والبعد عن الحق في النفوس الخبيثة
وقيل من بمعني عن اي قست قلوبهم عن ذكر الله وجري علي ذلك
الجلال المحلي **اولئك** اي هولا البعدا **في ضلال مبين** اي بين قيل
نزلت هذه في ابي بكر وفي ابي ابن خلف وفي علي وحمزة وفي ابي لهب
وولده وقيل في رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي ابي جهل **الله** الفعال
لما يريد له مجامع العظمة والاحاطة بصفات الكمال **نزل** اي بالتدريج
للتدريب وللجواب عن كل شبهة **احسن الحديث** اي القران
روي ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا لو حدثتنا
وكونه احسن الحديث لوجهين احدهما من جهة اللفظ والاخر
من جهة المعني اما الاول فلان القران افصح الكلام وابلغه
واجزله وليس هو من جنس الشعر ولا من جنس الخطب ولا من جنس
الرسايل بل هو نوع يخالف الكل في اسلوبه مع ان كل طبع سليم
يستلذه ويستطيبه واما من جهة المعني فهو منزه عن التناقض
والاختلاف قال تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا
كثيرا ومشتمل علي اخبار الماضين وقصص الاولين وعلي اخبار الغيوب
الكثيرة في الماضي وعلي المستقبل وعلي الوعد والوعيد والجنة والنار
وفي ايقاع الله تعالى مبتدا وبنا نزل عليه تفخيم لاحسن الحديث
واستشهاد علي حسنه وتاكيد لاسناده الي الله تعالى وانه من عنده وان
مثله لا يجوز ان يصدر الا عنه وتنبيه علي انه وحي معجز مباين
لساير الاحاديث وقوله تعالى **كتابا** اي جامعا لكل خير بدل من
احسن الحديث وقيل حال منه بنا علي احسن الحديث معرفة
لاضافته الي معرفة وافعل التفضيل اذا اضيف الي معرفة فيه
خلاف فقيل اضافته محضة وقيل غير محضة والصحيح الاول
وقوله تعالى **متشابها** نعت لكتاب وهو مسوغ لمجي الجامد حالا
وانه في قوة مكتوب وتشابهه تشابه ابعاضه في الاعجاز والبلاغة
والموعظة الحسنة لا تفاوت فيه اصلا في لفظ ولا معني مع كونه
نزل مفرقا في نيف وعشرين سنة واما كلام الناس فلا بد فيه
من التفاوت وان طال الزمان في التهذيب سوا اتحد زمانه ام لا

وقوله

وقوله تعالى **مثاني** جمع مثني بمعني مردد ومكرر لما ثني من قصصه وانبائه
واحكامه واوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه او جمع مثني
مفعل من التثنية بمعني التكرير والاعادة وقيل لانه يثني في التلاوة
فلا يمل كما جا في وصفه لا يخلق علي كثرة الرد فان قيل كيف وصف كتاب
وهو مفرد بالجمع اجيب بان الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفاصيل
الشي هي جملته لا غير الا تري انك تقول القران اسباع واخماس وسور
وايات فكذلك تقول اقاصيص واحكام ومواعظ مكررات ونظيره
قولك الانسان عظام وعروق واعصاب الا انك تركت الموصوف
الي الصفة واصله كتابا متشابها فصولا مثاني ويجوز ان يكون
مثاني منتصبا علي التمييز من متشابها كما تقول رايت رجلا حسنا
شمايلا فان قيل ما فايدة التثنية والتكرير اجيب بان النفوس
تنفر عن حديث الوعظ والنصيحة فما لم يكرر عليها عودا عن بدا
لم يرسخ فيها ولم يعمل عمله ومن ثم كانت عادة رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان يكرر عليهم ما كان يعظ به وينصح ثلاث مرات
وسبعا ليركزه في قلوبهم ويغرسه في صدورهم **تقشعر**
اي تضطرب وتشمئز **منه** عند ذكر وعيده **جلود** اي ظواهر
اجسام **الذين يخشون** اي يخافون **ربهم** والمعني تاخذهم
قشعريرة وهو تغير يحصل في جلد الانسان عند ذكر ايات
العذاب **ثم تلين** اي تطمين **جلودهم وقلوبهم الي ذكر الله** اي عند
ذكر وعده والمعني اذا ذكرت ايات الرحمة لانت قلوبهم كما قال
تعالى الا بذكر الله تطمين القلوب روي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال اذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه
كما تتحات عن الشجرة اليابسة ورقها وفي رواية حرمه الله علي
النار قال قتادة هذا نعت اوليا الله تعالى نعتهم الله تعالى
بان تقشعر جلودهم وتطمين قلوبهم بذكر الله ولم ينعتهم بذهاب
عقولهم والغشيان عليهم انما ذلك في اهل البدع وهو من الشيطان
وعن عبد الله بن عروة بن الزبير قال قلت لجدتي اسما بنت ابي بكر
كيف كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون اذا قري
عليهم القران قالت كانوا كما نعتهم الله تعالى تدمع اعينهم وتقشعر
جلودهم قال قلت لها ان ناسا اليوم اذا قري عليهم القران خر احدهم
مغشيا عليه قالت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وروي ان ابن
عمر مر برجل من اهل العراق ساقط فقال ما بال هذا فقالوا انه اذا قري
عليه القران او سمع ذكر الله سقط فقال انا لنخشي الله تعالى

وسكنت

ولم ننعتهم

وما نسقط وقال ابن عمران الشيطان ليدخل في جوف احدهم ما كان هذا
صنيع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر ابن سيرين الذين
يصرعون اذا قرئ عليهم القران فقال بيننا وبينهم ان يقعد احدهم على ظهر بيت
باسطا رجليه ثم يقرأ عليه القران من اوله الى اخره فان رمى بنفسه فهو
صادق فان قيل لم ذكرت الجلود وحدها اولا في جانب الخوف ثم قرنت بها
القلوب ثانيا في الرجا اجيب بان الخشية التي محلها القلوب اذا ذكرت
فقد ذكرت القلوب فكانه قيل تقشعر جلودهم من ايات الوعيد وتخشى قلوبهم
في اول وهلة واذا ذكر الله وحده مبنى امره على الرافة والرحمة استبدلوا
بالخشية رجا في قلوبهم وبالقشعريرة لينا في جلودهم فان قيل ما وجه
تعديته لان بالى اجيب بانه ضمن معنى فعل متعد بالى كانه قيل
سكنت او اطمانت الى ذكر الله تعالى فان قيل كيف قال الله تعالى الى
ذكر الله ولم يقل الى رحمة الله اجيب بان من احب الله لاجل رحمته
فهو ما احب الله تعالى وانما احب شيا غيره واما من احب الله لا لشي سواه
فهو المحب الحق وهو الدرجة العالية كما قال تعالى الا بذكر الله تطمئن
القلوب ذلك اي القران الذي هو احسن الحديث هدى الله الذي
له صفات الكمال يهدي به من يشاء اي وهو الذي شرح الله تعالى
صدره اولا لقبول الهداية ومن يضلل الله اي يجعل قلبه قاسيا مظلما
فما له من هاد اي يهديه وقرا ابن كثير في الوقف باثبات اليا بعد الدال
والباقون بغير اليا واتفقوا في الوصل على عدم اليا ولما حكم تعالى على
القاسية قلوبهم بحكم في الدنيا وهو الضلال التام حكم عليهم في الاخرة
بحكم اخر وهو العذاب الشديد فقال افمن يتقي بوجهه سوء العذاب اي شدته
العذاب اي يجعله درقة يتقي به نفسه لانه تكون يداه مغلولة الى
عنقه وفي عنقه صخرة عظيمة من كبريت مثل الجبل العظيم يوم القيمة
فلا يقدر ان يتقي الا بوجهه وقال مجاهد يجر على وجهه في النار وقال
عطا يرمى به في النار منكوسا فاول شي يلقى في النار وجهه وقيل يلقى في النار
مغلولة يداه الى عنقه وفي عنقه صخرة عظيمة من كبريت مثل الجبل العظيم
فتشتعل النار في تلك الصخرة وهي في عنقه فحرها ووهجها على وجهه
لا يطيق دفعها عنه للاغلال التي في يديه وعنقه وقيل المراد بالوجه
الجملة وقيل نزلت في ابي جهل ومعنى الاية افمن يتقي بوجهه سوء العذاب
كمن امن من العذاب بدخول الجنة فحذف الخبر كما حذف في نظائره ه
وقيل اي تقول الخزنة للظالمين اي الكافرين وكان الاصل لهم
فوضع الظاهر موضعه تسجيلا عليهم بالظلم ذوقوا ما اي وبال
الذي كنتم تكسبون اي تعملون في الدنيا من المعاصي ولما

ولما بين تعالى كيفية عقاب القاسية قلوبهم في الاخرة وبين كيفية وقوعهم في
العذاب قال تعالى كذب الذين واشار الى قرب زمان المعذبين من زمانهم
بادخال الجار بقوله تعالى من قبلهم اي قبل كفار مكة اي مثل سبا وقوم تبع
كذبوا رسلهم في اتيان العذاب فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون اي من
جهة لا يخطر ببالهم ان الشر ياتيهم منها فاذاقهم الله اي الذي له القدرة
الكاملة الخزي اي الذل والهوان من المسخ والقتل وغيرهما في الحياة الدنيا
اي العاجلة الدنية ولعذاب الاخرة اي المعد لهم اكبر اي من ذلك الذي
وقع بهم في الدنيا لو كانوا اي المكذبين يعلمون اي عذابها ما كذبوا ولكن
لا علم لهم اصلا بل هم كالانعام بل هم اضل سبيلا ولما ذكر تعالى هذه الفوائد
الكثيرة في هذه المطالب بين ان هذه البينات بلغت حد الفوائد
والتمام فقال ولقد ضربنا اي جعلنا للناس اي عامة لان رسالته صلى
الله عليه وسلم عامة في هذا القران اي الجامع لكل علم وخير من كل مثل
اي احتاج اليه الناظر في امور دينه لعلهم يتذكرون اي يتعظون به
وقرا قالون وابن كثير وعاصم باظهار الدال عند الصاد والباقون بالادغام
وقوله تعالى قرانا عربيا فيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون منصوبا على
المدح لانه لما كان نكرة امتنع اتباعه للقران ثانيها ان ينتصب بيتذكرون
اي يتذكرون قرانا ثالثها ان ينتصب على الحال من القران على انها حال
موكدة له نحو جاء زيد رجلا صالحا غير ذي عوج اي مستقيما بريا من
التناقض والاختلاف نعت لقرانا او حال اخرى فان قيل هلا قال
مستقيما او غير معوج اجيب بان في ذلك فائدتين احدهما
نفي ان يكون فيه عوج قط كما قال تعالى ولم يجعل له عوجا ثانيهما ان
لفظ العوج مختص بالمعاني دون الاعيان وقيل المراد بالعوج الشك واللبس
قال القائل

وقد اتاك يقين غير ذي عوج ... من الاله وقول غير مكذوب

لعلهم يتقون اي الكفر نتيجة وصف تعالى القران بثلاث صفات
اولها كونه قرانا والمراد كونه متلوا في المحراب الى قيام الساعة ثانيها
كونه عربيا اي انه اعجز الفصحا والبلغا عن معارضته كما قال تعالى
قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون
بمثله ثالثها كونه غير ذي عوج قال مجاهد غير ذي لبس وقال ابن عباس
غير مختلف وقال السدي غير مخلوق ويروى ذلك عن مالك بن انس
وحكي سفيان وابن عيينة عن سبعين من التابعين ان القران ليس
بخالق ولا مخلوق ولما شرح الله تعالى وعيد الكفار مثل لما يدل على فساد
طريقتهم بقوله تعالى ضرب الله اي الذي له الملك كله مثلا اي للمشركين

والموحدين وقوله تعالى رجلا بدل من مثلا وقوله تعالى فيه شركاء يجوز ان
تكون الجملة من مبتدا وخبر في محل نصب صفة لرجل و يجوز ان يكون الوصف
الجار وحده وشركا فاعل به قال ابن عادل وهو اولي لقربه من المفرد وقوله تعالى
متشاكسون صفة لشركا والتشاكس التخالف واصله سو الخلق وعسره
وهو سبب التخالف اي متنازعون مختلفون سيئة اخلاقهم يقال رجل
شكس شرس اذا كان سيء الخلق مخالفا للناس لا يرضى بالانصاف ورجلا
سلما اي خالصا من نزاع لرجل اي خالصا له لا شريك فيه ولا منازع وقال
ابن كثير وابو عمرو بالف بعد السين وكسر اللام بعدها والباقون بغير الف
وفتح اللام وهو الذي لا ينازع فيه من قولهم هو لك سلم اي مسلم لا منازع
لك فيه وقوله تعالى هل يستويان استفهام انكار اي لا يستويان
وقوله تعالى مثلا تمييز والمعنى اضرب لقومك مثلا وقل لهم ما تقولون
في رجل مملوك لشركا بينهم اختلاف ونزاع وتنازع وكل واحد يدعي
انه عبده فهم يتجاذبونه حوائجهم وهو متحير في امره وكلما ارضى احدهم
غضب الباقون واذا احتاج اليهم كل واحد يرده الي الاخر فبقي متحيرا
لا يعرف ايهم اولي ان يطلب رضاه وايهم يعينه في حاجاته فهو بهذا السبب
في عذاب اليم واخر له مخدوم واحد يخدمه على سبيل الاخلاص
وذلك المخدوم يعينه على مهماته فاي هذين العبدين احسن حالا لا شك
ان هذا اقرب الى الصلاح من حال الاول فان الاول مثل المشرك والثاني
مثل الموحد وهذا المثال في غاية الحسن في تقبيح المشرك وتحسين
الموحد فان قيل هذا المثال لا ينطبق على عبادة الاصنام لانها جمادات
لانها فليس بينها منازعة ولا تشاكس اجيب بان عبدة الاصنام
مختلفون منهم من يقول هذه الاصنام تماثيل الكواكب السبعة فهم
في الحقيقة انما يعبدون الكواكب السبعة وهم يثبتون بينها منازعة
ومشاكسة الا ترى انهم يقولون هو النحس الاعظم والمشتري هو
السعد الاعظم ومنهم من يقول هذه الاصنام تماثيل الارواح الفلكية
والقائلون بهذا القول ان كل نوع من انواع حوادث هذا العالم يتعلق
بروح من الارواح السماوية وحينئذ يحصل بين تلك الارواح منازعة
ومشاكسة فيكون المثال مطابقا ومنهم من يقول هذه الاصنام
تماثيل لاشخاص من العلما والزهاد ومضوا وهم يعبدون التماثيل ليصير
اولئك الاشخاص من العلما والزهاد شفعا لهم عند الله تعالى والقائلون
بهذا القول تزعم كل طايفة ان المحق هو ذلك الرجل الذي هو على دينه وان
من سواه مبطل وعلى هذا التقدير ايضا ينطبق المثال ولما بطل القول
باثبات الشركاء والانداد وثبت انه لا اله الا الواحد الاحد الحق قال تعالى

الحمد اي الاحاطة باوصاف الكمال لله اي الحمد كله لله الذي لا مكافئ له لا ايثار كه
فيه على الحقيقة سواه لانه المنعم بالذات والمالك على الاطلاق بل اكثرهم اي
اهل مكة لا يعلمون اي ما يصيرون اليه من العذاب فيشركون به غيره من
فرط جهلهم وقول البغوي والمراد بالاكثر الكل وليس بظاهر ولما كانت
كفار مكة يتربصون موت رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبره الله تعالى
بان الموت يجمعهم جميعا بقوله تعالى انك ميت اي ستموت وخصه الله
تعالى بالخطاب لان الخطاب اذا كان للراس كان اصدع لاتباعه فكل موضع كان
للاتباع وخص فيه صلى الله عليه وسلم بالخطاب دونهم فهم المخاطبون في
الحقيقة على وجه ابلغ وانهم ميتون اي سيموتون فلا معنى للتربص
وشماتة الفاني بالفاني قال بعضهم قال الفرا الميت بالتشديد من لم
يمت وسيموت والميت بالتخفيف من فارقته الروح ولذلك لم يخفف هنا
وقوله تعالى ثم انكم فيه تغليب المخاطب على الغائب يوم القيمة
عند ربكم اي المربي لكم بالخلق والرزق تختصمون فتحتج انت
عليهم بانك بلغت وكذبوا واجتهدت في الارشاد والتبليغ فلجوا في
التكذيب والعناد ويعتذرون بالاباطيل يقول الاتباع اطعنا سادتنا
وكبرانا وتقول السادات اغوتنا اباؤنا الاقدمون والشياطين ويجوز
ان يكون المراد به الاختصام العام وجرى عليه الجلال المحلي وهو
اولى وان رجح الاول الكشاف لما روي عن عبد الله بن الزبير لما نزلت
هذه الاية قال يا رسول الله انكون علينا الخصومة بعد الذي كان
كان بيننا في الدنيا قال نعم فقال ان الامر اذا لشديد وقال ابن عمر
عشنا برهة من الدهر وكنا نرى ان هذه الاية نزلت فينا وفي اهل
الكتابين قلنا كيف نختصم وديننا واحد وكتابنا واحد حتى رايت بعضنا
يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت انها فينا نزلت وعن ابي سعيد
الخدري في هذه الاية قال كنا نقول ربنا واحد وديننا واحد حتى
رايت فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض
بالسيوف قلنا هو هذا وعن ابي نعيم النخعي قال لما نزلت قالت
الصحابة كيف نختصم ونحن اخوان فلما قتل عثمان قالوا هذه خصومتنا
وعن ابي العالية نزلت في اهل القبلة وعن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من كانت لاخيه عنده مظلمة من عرض او مال فليستحلها
اليوم قبل ان يوخذ منه يوم لا دينار ولا درهم فان كان له عمل صالح
اخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له اخذ من سياته فجعلت عليه
وعن ابي هريرة ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال

ان المفلس من امتي من ياتي يوم القيمة بصلاة وصيام وزكاة وقد كان شتم
هذا وقذف هذا واكل من مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيقضي
هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضي
ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار ثم انه تعالى
بين نوعا اخر من قبائح اعمالهم بقوله تعالى فمن اي لا احد اظلم اي
منهم هكذا كان الاصل ولكن قال تعالى ممن كذب تتميما على الله اي
الذي له الكبرياء ردآؤه والعظمة ازاره بنسبة الولد والشريك اليه
وكذب اي اوقع التكذيب لكل من اخبره بالصدق اي بالامر
الذي هو الصدق بعينه وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم اذ
جاءه اي فاجاه بالتكذيب كما سمع من غير وقفة ولا اعمال روية
يتميز بين حق وباطل كما يفعل اهل النصفة فيما يسمعون وقرا نافع
وابن كثير وابن ذكوان باظهار الذال عند الجيم والباقون بالادغام
ثم اردف ذلك بالوعيد فقال اليس في جهنم اي النار التي تلقى
داخلها بالتجهم والعبوسة كما يلقى هو اهله مثوى اي ماوى
للكافرين اي لهؤلاء الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق واللام
في للكافرين اشارة اليهم والاستفهام بمعنى التقرير ولما ذكر من افترى
وكذب ذكر مقابله وهو الذي جاء بالصدق وصدق به بقوله تعالى
والذي جاء بالصدق قال قتادة ومقاتل هو النبي صلى الله عليه وسلم
وصدق به هم المومنون فالذي بمعنى الذين ولذلك روعي معناه
فجمع في قوله تعالى اولئك اي العالون الرتبة هم المتقون اي الشرك
كما روعي معنى في قوله تعالى للكافرين فان الكافرين ظاهر واقع موقع
الضمير اذ الاصل مثوى لهم وكما في قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد
نارا ثم قال تعالى ذهب الله بنورهم قال الزمخشري ويجوز
ان يريد الفوج او الفريق الذي جاء بالصدق وصدق به وهم الرسول
الذي جاء بالصدق وصحابته الذين صدقوا به انتهى قال ابو حيان
وفيه توزيع للصلة والفوج هو الموصول فهو كقولك جاء الفريق
الذي شرف وشرف والاظهر عدم التوزيع بل المعطوف على الصلة
صلة لمن له الصلة الاولى وقيل بل الاصل والذين جاءوا بالصدق
فحذف النون تخفيفا كقوله تعالى كالذي خاضوا قال ابن عادل
وهذا وهم اذ لو قصد ذلك لجاء بعده ضمير الجمع فكان يقال والذي
جاءوا كقوله تعالى كالذي خاضوا ويدل عليه ان نون التثنية اذا
حذفت عاد الضمير مثنى كقوله

ابني كليب ان عمي اللذا ... قتلا الملوك وفككا الاغلالا

وقال

وقال ابن عباس والذي جاء بالصدق يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم
بلا اله الا الله وصدق به الرسول ايضا بلغه الى الخلق وقال
السدي والذي جاء بالصدق جبريل عليه السلام جاء بالقرآن وصدق
به محمد صلى الله عليه وسلم تلقاه بالقبول وقال ابو العالية والكلبي
والذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق به
ابو بكر رضي الله عنه وقال عطاء الذي جاء بالصدق الانبياء
وصدق به الاتباع وقال الحسن هم المومنون صدقوا به في الدنيا
وجاءوا به في الاخرة وقوله تعالى لهم ما يشاءون اي من انواع الكرامات
عند ربهم اي في الجنة يدل على حصول الثواب على اكمل الوجوه ومعنى
تكفيرها ذلك اي هذا الجزاء جزاء المحسنين لانفسهم بايمانهم وقوله
تعالى ليكفر الله عنهم يدل على سقوط العقاب عنهم على اكمل الوجوه
ومعنى تكفيرها اي يسترها عليهم بالمغفرة تنبيه في تعلق هذه
اللام وجهان احدهما انها متعلقة بمحذوف اي يسر لهم ذلك
ليكفر ثانيهما انها متعلقة بنفس المحسنين كانه قيل الذين احسنوا
ليكفر اي لاجل التكفير وقوله تعالى اسوأ الذي عملوا اي بان السيء
الذي يفرط منهم من الصغائر والزلات المكفرة هو عندهم الاسوأ
لاستعظامهم المعصية او انه بمعنى بالسيء كما جرى عليه الجلال
المحلي كقوله

الناقص والاشج اعدلا بني مروان ... اي عادلاهم وليس المراد
به التفضيل والناقص هو يزيد الخليفة سمي به لانه نقص اعطية
القوم والاشج هو عمر بن عبد العزيز سمي به لشجة اصابت راسه
ويجزيهم اجرهم اي ويعطيهم ثوابهم باحسن الذي اي العمل الذي
كانوا يعملون اي فيعد لهم محاسن اعمالهم باحسنها في زيادة الاجر
لحسن اخلاصهم فيها وهذا اولى من قول الجلال المحلي انه بمعنى
الحسن وقوله تعالى اليس الله الجامع لصفات الكمال كلها المنعوت
بنعوت العظمة والجلال بكاف عبده اي الخالص له استفهام انكار للنفي
مبالغة في الاثبات وقرا حمزة والكسائي بكسر العين وفتح الباء الموحدة
والف بعدها على الجمع وقرا الباقون بفتح العين وسكون الباء الموحدة
على الافراد فقراءة الافراد محمولة على النبي صلى الله عليه وسلم وقراءة
الجمع على جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام فان قومهم قصدوهم
بالسوء كما قال الله تعالى وهمت كل امة برسولهم لياخذوه وكفاهم
الله شر من عاداهم ويحتمل ان يراد بقراءة الافراد الجنس فيساوي
قراءة الجمع وقيل المراد ان الله تعالى كفى نوحا عليه السلام الغرق وابراهيم

عليه السلام الحرق ويونس عليه السلام بطن الحوت فهو حسبه وتعالى كما ذكر
يا محمد كما كفى هؤلاء الرسل قبلك ويخوفونك اي عبّاد الاصنام بالذين
من دونه وذلك ان قريشا خوفوا النبي صلى الله عليه وسلم معاداة
الاوثان وقالوا لتكفن عن شتم الهتنا او ليصيبنك منهم خبل
وجنون فانزل الله تعالى هذه الاية وروي انه صلى الله عليه وسلم
بعث خالدا الى العزى ليكسرها فقال له سادنها اي خادمها احذركها
يا خالد ان لها لشدة لا يقوم لها شيء فعمد خالد اليها فهشم انفها فنزلت
هذه الاية ولما شرح الله الوعد والوعيد والترغيب والترهيب ختم
الكلام بخاتمة هي الفصل فقال تعالى شانه ومن يضلل الله اي الذي
له الامر كله فما له من هاد اي يهديه الى الرشاد ومن يهد الله فما له
من مضل اي فهذه الدلايل والبينات لا تنفع الا اذا خص الله العبد
بالهداية والتوفيق اذ لا راد لفعله كما قال تعالى اليس الله الذي
بيده كل شيء بعزيز اي الغالب على امره ذي انتقام اي من اعدائه بل هو
كذلك وفي هذا تهديد للكفار ولما بين تعالى وعد المشركين
ووعد الموحدين عاد الى اقامة الدليل على تزييف طريق عبدة الاوثان
وهذا الترتيب مبني على اصلين الاول ان هؤلاء المشركين مقرون
بوجود الاله القادر العالم الحكيم الرحيم وهو المراد من قوله تعالى
ولئن سألتهم اي من شئت منهم فرادى او مجتمعين واللام لام القسم
من خلق السموات اي على ما لها من الاتساع والعظمة والارتفاع
والارض على ما لها من العجايب وفيها من الانتفاع ليقولن الله اي وحده
لوضوح البرهان على تفرده بالخالقية قال بعض العلما العلم بوجود
الله القادر الحكيم الرحيم علم متفق عليه بين جمهور الخلايق لا نزاع
بينهم فيه وفطرة العقل شاهدة بصحة هذا العلم فان من تامل في عجايب
بدن الانسان وما فيه من الحكم الغريبة والمصالح العجيبة علم انه لا بد من
الاعتراف بالاله القادر الحكيم الرحيم والاصل الثاني ان هذه الاصنام
لا قدرة لها على الخير والشر وهو المراد من قوله تعالى قل افرايتم بعدما
تحققتم ان خالق العالم هو الله تعالى ما تدعون اي تعبدون من دون
الله اي الذي لا راد لامره بضر اي شدة وبلاء هل هن كاشفات ضره اي
لا تقدر على ذلك او ارادني برحمة اي بعافية وبركة هل هن ممسكات رحمته
اي لا تقدر على ذلك فثبت انه لا بد من الاقرار بوجود الاله القادر
الحكيم الرحيم قال مقاتل فسالهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك
فسكتوا وقرا ابو عمرو بتنوين التاء من كاشفات وممسكات ونصب
الراء من ضره والتاء والهاء من رحمته ورفع الهاء والباقون بغير تنوين فيهما

ان ارادني الله

وكسر الرا والها

وكسر الراء والهاء من ضره والتاء والهاء من رحمته واذا كانت هذه الاصنام لا
قدرة لها على الخير والشر كانت عبادة الله تعالى كافية والاعتماد عليه
كافيا وهو المراد من قوله تعالى قل حسبي الله اي ثقتي به واعتمادي عليه
يتوكل المتوكلون اي يثق الواثقون فان قيل لم قال تعالى كاشفات
وممسكات على التانيث بعد قوله تعالى ويخوفونك بالذين من دونه اجيب
بانه انثهن تحقيرا لما يدعون من دونه ولانهم كانوا يسمونها باسما الاناث
وهي اللات والعزى ومناة قال الله تعالى افرايتم اللات والعزى ومناة
الثالثة الاخرى وقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل يا قوم اي
الذين ارجوهم عند الملمات وفيهم كفاية في القيام بما يحاولون اعملوا على مكانتكم
اي على حالتكم فيه تهديد اي انكم تعتقدون في انفسكم انكم في نهاية
القوة والشدة فاجتهدوا في انواع مكركم وكيدكم وقرا شعبة
بالف بعد النون جمعا والباقون بغير الف افرادا اني عامل في تقرير
ديني فسوف تعلمون اي بوعد لا خلف فيه من ياتيه منا ومنكم بسبب
اعماله عذاب يخزيه فان خزي اعدائه دليل عليه ويحل اي ينزل عليه
عذاب مقيم اي دائم وهو عذاب النار تنبيه المكانة بمعنى المكان
فاستعيرت عن العين للمعنى كما استعير لفظ هنا وحيث للزمان
وهما للمكان فان قيل حق الكلام اني عامل على مكانتي فكيف حذف
اجيب بانه حذف للاختصار وللايذان بان حاله لا يقف ويزداد
كل يوم قوة وشدة لان الله تعالى ناصره ومعينه ومظهره على الدين كله
الا ترى الى قوله تعالى فسوف تعلمون توعدهم بكونه منصورا عليهم غالبا
عليهم في الدنيا والاخرة ولما بين تعالى في هذه الايات فساد مذاهبهم
اي المشركين تارة بالدلايل وتارة بضرب الامثال وتارة بذكر الوعيد
والوعد وكان صلى الله عليه وسلم يعظم عليه اصرارهم على الكفر كما قال
تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم وقال تعالى فلا تذهب نفسك
عليهم حسرات اردفه بكلام يزيل ذلك الحزن العظيم عن قلب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال تعالى انا انزلنا اي بما لنا من العظمة
والقدرة التامة عليك يا اشرف الخلق الكتاب اي الكامل الشرف
للناس اي لاجلهم فانه مناط مصالحهم في معاشهم ومعادهم فهو
للناس عامة لان رسالتك عامة وجعلنا انزاله مقرونا بالحق اي
بالصدق وهو المعجز الذي يدل على انه من عند الله فمن اهتدى اي طاوع
الهادي فلنفسه اي فنفعه يعود على نفسه ومن ضل اي وقع في
الضلال بمخالفته فانما يضل عليها اي فضرر ضلاله يعود اليه ولما
دل السياق على ان التقدير فما انت عليهم بجبار لتقهرهم على الهدى

عطف عليه قوله تعالى وما انت عليهم بوكيل اي لست مامورًا بان تحملهم
على الايمان على سبيل القهر بل القبول وعدمه مفوض اليهم وذلك تسلية
لرسوله صلى الله عليه وسلم ولان الهداية تشبه الحياة واليقظة والضلال
يشبه الموت والنوم فكما ان الحياة واليقظة لا يحصلان الا باذن الله كذلك
الضلال لا يحصل الا من الله تعالى ومن عرف هذه الدقيقة فقد عرف سر
الله تعالى في القدر ومن عرف سر الله تعالى في القدر هانت عليه المصايب
ولما بين سبحانه ان الهداية والضلال بتقديره قال تعالى الله اي الذي له
جامع الكمال وليس لشايبة النقص عليه سبيل يتوفى الانفس اي
الارواح حين موتها اي موت اجسادها وتوفيها اماتتها وهي ان تسلب
ما هي به حية حساسة داركة من صحة اجزايها وسلامتها لانها عند
سلب الصحة كان ذاتها قد سلبت وقوله تعالى والتي لم تمت في منامها عطف
على الانفس اي يتوفى الانفس حين موتها ويتوفى ايضا الانفس التي لم تمت
في منامها ففي منامها ظرف ليتوفى اي يتوفاها حين تنام تشبيهًا للنايمين
بالموتى ومنه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل حتى لا يميزون ولا
يتصرفون كما ان الموتى كذلك فالتي تتوفى عند النوم هي الانفس التي
يكون بها العقل والتمييز ولكل انسان نفسان احداهما نفس الحياة وهي
التي تفارقه عند الموت وبزوالها النفس والاخرى هي النفس
التي تفارقه اذا نام وهو بعد النوم يتنفس فيمسك التي قضى عليها الموت فلا
يردها الى جسدها وقرا حمزة والكسايي بضم القاف وكسر الضاد وفتح اليا
بعد الضاد ورفع التا من الموت والباقون بفتح القاف والضاد وسكون
اليا بعد الضاد ونصب الموت ويرسل الاخرى اي يردها الى جسدها
وهي التي لم يقض عليها الموت الى اجل مسمى اي الى الوقت الذي ضرب
لموتها وقيل يتوفى الانفس يستوفيها ويقبضها وهي الانفس التي
تكون معها الحياة والحركة ويتوفى الانفس التي لم تمت في منامها وهي
انفس التمييز قالوا والتي تتوفى في النوم هي نفس التمييز لا نفس الحياة
ولان نفس الحياة اذا زالت زال معها النفس والنايم يتنفس وروا عن ابن
عباس في ابن ادم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي
بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس والتحريك فاذا نام العبد قبض
الله نفسه ولم يقبض روحه قال الزمخشري والصحيح ما ذكر اولا
لان الله تعالى علق التوفي والموت والمنام جميعا بالانفس وما عنوا
بنفس الحياة والحركة ونفس العقل والتمييز غير متصف بالموت والنوم
واما الجملة التي هي تموت وهي التي تنام انتهى وعن علي رضي الله عنه
يخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعه في الجسد فبذلك يرى الرويا

فاذا انتبه من النوم عاد الروح الى جسده باسرع من لحظة ويقال ان ارواح الاحيا
والاموات تلتقي في المنام فتتعارف ما شاء الله فاذا ارادت العود الى
اجسادها امسك الله تعالى ارواح الاموات عنده وارسل ارواح
الاحيا حتى ترجع الى اجسادها الى انقضاء مدة حياتها وعن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اوى احدكم الى فراشه فلينفض
فراشه بداخل ازاره فانه لا يدري ما خلفه عليه ثم يقول باسمك
ربي وضعت جنبي وبك ارفعه ان امسكت نفسي فارحمها وان
ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به الصالحين ان في ذلك اي التوفي
والامساك والارسال لايات اي دلالات على كمال قدرته وحكمته
ورحمته وقال مقاتل لعلامات اي فيعلمون ان لقوم يتفكرون اي
فيعلمون ان القادر على ذلك قادر على البعث فان قيل قوله تعالى
الله يتوفى الانفس يدل على ان المتوفي هو الله تعالى ويوكده قوله تعالى
الذي خلق الموت والحياة وقوله عن ابراهيم عليه السلام ربي الذي
يحيي ويميت وقال تعالى في اية اخرى قل يتوفاكم ملك الموت وقال تعالى
في اية اخرى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا فكيف الجمع اجيب بان
المتوفي في الحقيقة هو الله تعالى الا انه تعالى فوض كل نوع الى ملك
من الملايكة ففوض قبض الارواح الى ملك الموت وهو الرييس وتحته اتباع
وخدم فاضيف التوفي في اية الى الله تعالى وهي الاضافة الحقيقية
وفي اية الى ملك الموت لانه الرييس في هذا العمل وفي اية الى اتباعه ثم
ان الكفار اوردوا على هذا الكلام سوالا قالوا نحن لا نعبد هذه الاصنام
لاعتقاد انها تضر وتنفع وانما نعبدها لاجل انها تماثيل لاشخاص كانوا
عند الله من المقربين فنحن نعبدها ليشفع لنا اوليك المقربون عند
الله فاجاب الله عنه بقوله سبحانه ام اتخذوا اي كلفوا انفسهم
بعد وضوح الدلايل عندها ان اتخذوا من دون الله اي الذي لا مكافي
له ولا مداني شفعاء اي تشفع لهم عند الله تعالى ام منقطعة
فتقدر ببل والهمزة قل يا اشرف الخلق لهولاء البعدا اولو اي ايشفعون
ولو كانوا لا يملكون اي من الشفاعة وغيرها شيا ولا يعقلون انكم تعبدونهم
ولا غير ذلك وجواب هذا محذوف تقديره وان كانوا بهذه الصفة
تتخذونهم قل اي لهم لله اي الذي له كمال القدرة والعظمة الشفاعة
جميعا اي هو مختص بها فلا يشفع احد الا باذنه ثم قرر ذلك فقال
له ملك السموات والارض اي فانه مالك الملك كله لا يملك احد ان يتكلم
دون اذنه ورضاه ثم اليه ترجعون اي يوم القيامة فيكون الملك له
ايضا حينيذ ثم ذكر تعالى نوعا اخر من انواع المشركين القبيحة بقوله تعالى

اعمالهم

واذا ذكر الله اي الذي لا اله غيره وحده اي دون آلهتهم اشمازت قال
ابن عباس ومجاهد يعني انقبضت وقال قتادة استكبرت واصل
الاشمئزاز النفور والاستكبار اي نفرت واستكبرت قلوب الذين لا يؤمنون
بالآخرة اي لا يومنون بالبعث واذا ذكر الذين من دونه اي الاصنام اذا هم
يستبشرون اي يفرحون لفرط افتنانهم ونسيانهم حق الله تعالى
ولقد بالغ في الامرين حتى الغاية فيهما فان الاستبشار ان يمتلي قلبه
سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه والاشمئزاز ان يمتلي غيظا وهما
حتى ينقبض اديم وجهه قال مجاهد ومقاتل وذلك قرا النبي صلى
الله عليه وسلم سورة النجم والقى الشيطان في امنيته تلك الغرانيق
العلى ففرح به المشركون وقد تقدم الكلام في سورة الحج تنبيه
قال الزمخشري فان قلت ما العامل في اذا ذكر قلت العامل
في اذا المفاجاة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجاوا وقت الاستبشار
قال ابو حيان اما قول الزمخشري فلا اعلمه من قول من ينتمي الى النحو
وهو ان الظرفين معمولان لفاجاوا ثم اذا الاولى تنتصب على الظرفية
والثانية على المفعول به ولما حكى الله تعالى عن هولا الكفار هذا الامر
العجيب الذي تشهد فطرة العقل بفساده اردفه بذكر الدعا العظيم
فقال تعالى قل اللهم اي يا الله فاطر اي مبدع من العدم السموات
والارض اي التجأ الى الله بالدعا لما تحيرت في امرهم وعجزت في
عنادهم وشدة شكيمتهم فانه القادر على الاشيا والعالم بالاحوال
كلها عالم الغيب والشهادة وصف تعالى نفسه بكمال القدرة وكمال
العلم انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اي من امر الدين وعن الربيع بن
خثيم وكان قليل الكلام اخبر بقتل الحسين وسخط على قاتله وقالوا
الان يتكلم فما زاد على ان قال آه او قد فعلوا وقرا الاية وروي انه قال
على اثرها وقتل من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلسه في
حجره ويضع فاه على فيه وعن ابي سلمة قال سالت عايشة بم كان يفتتح
رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته بالليل قالت كان يقول
اللهم رب جبريل وميكايل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم
الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون
اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشا الى
صراط مستقيم ولما حكى الله تعالى عنهم المذهب الباطل ذكر في
وعيدهم اشيا اولها قوله تعالى ولو ان للذين ظلموا اي انفسهم بالكفر
ما في الارض جميعا اي من الاموال ومثله معه لافتدوا اي اجتهدوا
في طلب ان يفدوا انفسهم به من سو العذاب يوم القيامة وهذا وعيد شديد

وانناط

وانناط كلي لهم من الخلاص روى الشيخان عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال يقول الله عز وجل لاهون اهل النار عذابا لو ان لك ما على الارض
من شي لكنت مفتديا به فيقول نعم فيقول قد اردت منك اهون من هذا وانت
في ظهر ادم ان لا تشرك بي شيا فابيت الا ان تشرك بي قوله اردت اي فعلت
معك الامر فعل المريد وهو معنى قوله في رواية قد سالتك ثانيها قوله تعالى
وبدا لهم من الله اي الملك الاعظم ما لم يكونوا يحتسبون اي ظهر لهم من
انواع العذاب لم تكن في حسابهم وفي هذا زيادة مبالغة وهو نظير قوله تعالى
في الوعد فلا تعلم نفس ما اخفي لهم وقوله صلى الله عليه وسلم في صفة الثواب
في الجنة فيها ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال
مقاتل ظهر لهم حين بعثوا ما لم يحتسبوا في الدنيا انه نازل بهم في الاخرة
وقال السدي ظنوا ان اعمالهم حسنات فبدت لهم سيات لانهم كانوا
يتقربون الى الله بعبادة الاصنام ويظنونها حسنات فبدت لهم
سيات ثالثها قوله تعالى وبدا لهم اي ظهر ظهورا تاما سيات ما كسبوا
اي مساوي اعمالهم من الشرك وظلم اولياء الله وحاق اي نزل بهم ما كانوا
به يستهزءون اي يطلبون ويوجدون الهزء من العذاب
ثم حكى الله عنهم طريقة اخرى من طرايقهم الفاسدة بقوله تعالى
فاذا مس الانسان اي الجنس ضر اي فقر او مرض او غير ذلك
دعانا اي في دفع ذلك فان قيل ما السبب في عطف هذه الاية
بالفا وعطف مثلها في اول السورة بالواو اجيب بان السبب في ذلك
ان هذه وقعت مسببة عن قوله تعالى واذا ذكر الله وحده
اشمازت على معنى انهم يشمئزون عن ذكر الله ويستبشرون
بذكر الهتهم فاذا مس احدهم ضر دعا من اشماز من ذكره دون من استبشر
بذكره فقوله تعالى فاذا مس الانسان معطوف على قوله تعالى واذا
ذكر الله وحده وما بينهما اعتراض موكد لانكار ذلك عليهم هذا تحصل
كلام الزمخشري واعترضه ابو حيان بان ابا علي يمنع الاعتراض بجملتين
فكيف بهذه الجمل الكثيرة ثم قال والذي يظهر في الربط انه لما قال
ولو ان للذين ظلموا الاية كان ذلك اشعارا بما ينال الظالمين من
شدة العذاب وانه يظهر لهم يوم القيامة من العذاب اتبع ذلك
بما يدل على ظلمه وبغيه اذ كان اذا مسه ضر دعا الله فاذا احسن اليه
لم ينسب ذلك اليه كما قال تعالى ثم اذا خولناه اي اعطيناه نعمة
منا اي تفضلا فان التخويل يختص به قال انما اوتيته اي المنعم
به على علم اي على علم من الله تعالى اني له اهل وقيل ان كان ذلك سعادة
في المال او عافية في النفس يقول انما حصل ذلك بجده واجتهاده

وان كان صحة قال انما حصل بسبب العلاج الفلاني وان حصل مال يقول حصل
بكسبي وهذا تناقض ايضا لانه لما كان عاجزا محتاجا اضاف الكل الى
الله تعالى وهو في حال السلامة والصحة قطعه عن الله تعالى واسنده
الى كسب نفسه وهذا تناقض قبيح بل هي فتنة اي بلية يبتلي بها
العبد فان قيل كيف ذكر النعمة اولا في قوله انما اوتيته ثم انثها
ثانيا اجيب بانه ذكر اولا لان النعمة بمعنى المنعم به كما مر وقيل
تقديره شيئا من النعمة وانث ثانيا اعتبارا بلفظها اولان الخبر لما كان
مونثا اعني فتنة ساغ تانيث المبتدا لاجله لانه في معناه كقولهم
ما جاءت حاجتك وقيل هي اي الحالة او القولة كما جرى عليه الجلال
المحلي او العطية والنعمة كما قاله البقاعي ولكن اكثرهم اي اكثر
هولاء القائلين هذا الكلام لا يعلمون اي ان التخويل استدراج
وامتحان قد قالها اي القولة المذكورة وهي قوله انما اوتيته على
علم لانها كلمة او جملة من القول الذين من قبلهم اي من الامم الماضية
قال الزمخشري هم قارون وقومه حيث قال انما اوتيته على
علم عندي وقومه راضون بها فكانهم قالوها قال ويجوز ان
يكون في الامم الماضية آخرون قائلون مثلها فما اغنى عنهم اي
اي اولئك الماضين ما كانوا يكسبون اي من متاع الدنيا ويجمعون
منه فاصابهم سيئات ما كسبوا اي جزاؤها من العذاب ثم اوعد كفار
مكة فقال تعالى والذين ظلموا اي بالعتو من هولاء اي من مشركي
قومك ومن للبيان او للتبعيض سيصيبهم سيئات ما كسبوا اي كما
اصاب اولئك وما هم بمعجزين اي فائتين عذابنا فقتل صناديدهم
يوم بدر وحبس عنهم الرزق فقحطوا سبع سنين فقيل لهم
اولم يعلموا ان الله اي الذي له الجلال والكمال يبسط الرزق اي
يوسعه لمن يشاء وان كان لا حيلة له ولا قوة امتحانا ويقدر
له اي يضيق لمن يشاء وان كان قويا شديد الحيلة ابتلاء فلا
قابض ولا باسط الا الله تعالى ويدل على ذلك انا نرى الناس مختلفين
في سعة الرزق وضيقه فلا بد لذلك من سبب وذلك السبب
ليس هو عقل الرجل وجهله لانا نرى العاقل القادر في اشد
الضيق ونرى الجاهل الضعيف في اعظم السعة وليس ذلك
ايضا لاجل الطبائع والافلاك لانه في الساعة التي ولد فيها السلطان
ذلك الملك السلطان القاهر قد ولد فيها ايضا العالم من الناس
وعالم من الحيوان غير الانسان وتولد ايضا في تلك الساعة عالم من
النبات فلما شاهدنا حدوث هذه الاشياء الكثيرة في تلك الساعة

الواحدة مع كونها مختلفة في السعادة والشقاوة علمنا ان الفاعل لذلك
هو الله تعالى فصح بهذا البرهان العقلي القاطع صحة قوله تعالى الله يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر قال الشاعر

فلا السعد يقضي به المشتري • ولا النحس يقضي علينا زحل
ولكنه حكم رب السما • وقاضي القضاة تعالى وجل

ان في ذلك اي البيان الظاهر لآيات اي دلالات لقوم يؤمنون اي
بان الحوادث كلها من الله تعالى بوسط او غيره ولما ذكر تعالى الوعيد
اردفه بشرح كمال رحمته فقال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم
قل يا محمد ربكم المحسن اليكم يقول يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
اي افرطوا في الجناية عليها بالاسراف في المعاصي واضافة العباد
تخصصه بالمومنين على ما هو عرف القرآن لا تقنطوا اي لا تيأسوا
من رحمة الله اي اكرامه المحيط بكل صفات الكمال فيمنعكم ذلك القنوط من
التوبة التي هي باب الرحمة وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي عبادي
بسكون الياء وتسقط في الوصل وفتحها الباقون وقرأ ابو عمرو والكسائي
تقنطوا بكسر النون بعد القاف والباقون بفتحها ان الله اي
المتفضل على عباده المومنين يغفر الذنوب لمن تاب من الشرك
جميعا لمن يشاء كما قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء واما الكافر اذا اسلم فان الله تعالى لا يؤاخذه
عما وقع من كفره قال تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم
ما قد سلف تنبيه في هذه الآية انواع من المعاني والبيان
حسنة منها اقباله عليهم ونداؤهم ومنها اضافتهم اليه اضا فة
تشريف ومنها الالتفات من التكلم الى الغيبة في قوله تعالى من
رحمة الله ومنها اضافة الرحمة لاجل اسمائه الحسنى ومنها اعادة
الظاهر بلفظه في قوله تعالى ان الله ومنها ابراز الجملة من قوله
تعالى انه هو اي وحده الغفور اي البليغ الغفر يمحو الذنوب عمن
يشاء عينا واثرا فلا يعاقب ولا يعاتب الرحيم اي المكرم بعد
المغفرة بان وبالفضل وباعادة الصفتين اللتين تضمنتهما
الآية السابقة روى سعيد بن جبير عن ابن عباس ان ناسا من
اهل الشرك كانوا قتلوا واكثروا وزنوا واكثروا فاتوا
النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا ان الذي تدعو اليه لحسن لو تخبرنا
ان لما عملنا كفارة فنزلت هذه الآية وروى عطاء بن ابي رباح
عن ابن عباس انها نزلت في وحشي قاتل حمزة حين بعث اليه النبي
صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام فارسل اليه كيف تدعوني

الى دينك وانت تزعم ان من قتل واشرك او زنا يلق اثاما يضاعف له العذاب
وانا قد فعلت ذلك كله فانزل الله تعالى الا من تاب وامن وعمل
عملا صالحا فقال وحشي هذا شرط شديد لعلي لا اقدر عليه فهل
غير ذلك فانزل الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء فقد وحشي اراني بعد في شبهة فلا ادري ايغفر
لي ام لا فانزل الله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا
تقنطوا من رحمة الله الاية قال وحشي نعم هذا فجاء واسلم
فقال المسلمون هذا له خاصة قال بل للمسلمين عامة وروي
ابن عمر قال نزلت هذه الاية في عياش بن ابي ربيعة والوليد بن
الوليد ونفر من المسلمين قالوا قد اسلموا ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا
وكنا نقول لا يقبل الله من هولاء صرفا ولا عدلا ابدا قد اسلموا
ثم تركوا دينهم لعذاب عذبوا فيه فانزل الله هذه الايات فكتبها عمر
ابن الخطاب بيده ثم بعثها الى عياش بن ابي ربيعة والوليد بن الوليد
والى اولئك النفر فاسلموا وهاجروا وروي عن ابن مسعود انه دخل
المسجد واذا قاص يقص وهو يذكر النار والاغلال فقام على راسه
فقال يا مذكر لم تقنط الناس ثم قرا قل يا عبادي الذين اسرفوا
على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وعن اسماء بنت يزيد قالت
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا عبادي الذين
اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر
الذنوب جميعا ولا يبالي وروى الطبراني انه صلى الله عليه وسلم
قال ما احب ان لي الدنيا وما فيها بهذه الاية فقال
رجل يا رسول الله ومن اشرك فسكت ساعة ثم قال ومن اشرك
ثلاث مرات وعن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال كان في بني اسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين انسانا
ثم خرج يسال فاتى راهبا فساله فقال هل لي توبة فقال لا فقتله
وجعل يسال فقال له رجل ائت قرية كذا فادركه الموت فناى
بصدره نحوها فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب
فاوحى الله تعالى الى هذه ان تقربي والى هذه ان تباعدي وقال قيسوا
ما بينهما فوجدوه الى هذه اقرب بشبر فغفر له وفي رواية فقال
له اني قتلت تسعة وتسعين نفسا فهل لي من توبة فقال لا فقتله
فكمل مائة فسال عن اعلم اهل الارض فدل على عالم فقال انه قتل
مائة نفس فهل له من توبة فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة
انطلق الى ارض كذا الى ان قال فوجدوه ادنى الى الارض ارادها

ثم سال ٤ م

فقبضته

فقبضته ملائكة الرحمة وعن ابن عمر قال كنا معشر اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم نرى او نقول ليس شيء من حسناتنا الا وهي مقبولة
حتى نزلت اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم فلما نزلت
هذه الاية قلنا ما هذا الذي يبطل اعمالنا فقيل لنا الكبائر والفواحش
فكنا اذا راينا من اصاب منها شيئا خفنا عليه وان لم يصب منها شيئا
رجونا له واراد بالاسراف ارتكاب الكبائر ولما كان التقدير واقلعوا عن
ذنوبكم فانها قاطعة عن الخير مبعدة عن الكمال عطف عليه
استعطافا قوله تعالى وانيبوا اي ارجعوا بجلياتكم وكلوا حوائجكم
واسندوا اموركم واجعلوا طريقكم الى ربكم اي الذي لم تروا
احسانا الا وهو منه واسلموا اي اخلصوا له اعمالكم من قبل
ان ياتيكم اي وانتم صاغرون العذاب اي القاطع لكل عذوبة
المجرع لكل مرارة وصعوبة ثم لا تنصرون اي لا يتجدد لكم نوع نصر
ابدا ان لم تتوبوا واتبعوا اي عالجوا انفسكم وكلفوها ان تتبع احسن
ما انزل اليكم اي على سبيل العدل كالاحسان الذي هو اعلى من
العفو الذي هو فوق الانتقام باتباع هذا القران الذي هو احسن
ما انزل من كتب الله تعالى واتباع احاسن ما فيه فتصل من قطعك
وتعطي من حرمك وتحسن الى من ظلمك هذا في حق الخلائق ومثله في
عبادة الخالق بان تكون كانك تراه الذي هو اعلا مراتب ادابها
مع الغفلة عن ذلك ولما كان هذا شديدا على النفس رغب فيه بقوله
تعالى بمظهر صفة الاحسان موضع الاضمار من ربكم اي الذي لم
يزل يحسن اليكم وانتم تبارزونه بالمعاصي بالعظائم وقال
الحسن معنى الاية الزموا طاعته واجتنبوا معصيته فان في القران
ذكر القبيح لتجتنبه وذكر الادون لئلا ترغب فيه وذكر الاحسن لتوثره
وقيل الاحسن الناسخ دون المنسوخ لقوله تعالى ما ننسخ من اية
او ننسها نات بخير منها او مثلها وقيل العزائم دون الرخص
وقوله تعالى من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون اي ليس عندكم شعور
باتيانه بوجه من الوجوه فيه تهديد وتخويف ولما خوفهم الله
تعالى بهذا العذاب بين ان بتقدير نزولهم عليه ماذا يقولون
فحكى الله عنهم ثلاثة انواع من الكلام الاول ما ذكره بقوله تعالى
ان تقول نفس اي كراهة ان تقول نفس اي عند وقوع العذاب وافرادها
وتنكيرها كاف في الوعيد لان كل احد يجوز ان يكون هو المراد يا حسرتى
على ما فرطت في جنب الله قال الحسن قصرت في الطاعة لله وقال
مجاهد في امر الله وقال سعيد بن جبير في حق الله وقيل ضيعت

في ذات الله وقيل معناه قصرت في الجانب الذي يؤدي الى رضاء الله
تعالى والعرب تسمي الجنب جانبا قاله في الكشاف وهذا من باب
الكناية لانك اذا اثبت الامر في مكان الرجل وحيزه فقد اثبته فيه
الا ترى الى قول الشاعر

ان السماحة والمروة والندا • في قبة ضربت على ابن الحشرج

اي فانه لم يصرح بثبوت هذه الصفات المذكورة لابن الحشرج بل كنى
عن ذلك في قبة مضروبة عليه فافاد اثباتها له والقبة تكون فوق
الخيمة يتخذها الرؤساء وقرا حمزة والكسائي بالامالة محضة والدوري
عن ابي عمرو بين بين وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح
وان اي والحال اني كنت اي كان ذلك في طبعي لمن الساخرين
اي المستهزئين المتكبرين المنزلين انفسهم في غير منزلتها وذلك
انه ما كفاني المعصية حتى كنت اسخر من اهل الطاعة اي تقول هذا
لعله يقبل منها ويعفي عنها على عادة المنزفقين في وقت الشدائد
لعلهم يعادون الى اجمل العوائد الثاني من الكلمات التي حكاها
الله تعالى عنهم بعد نزول العذاب عليهم ما ذكره الله تعالى بقوله
سبحانه او تقول اي تلك النفس المفرطة لو ان الله اي الذي له
القدرة الكاملة والعلم الشامل هداني اي لبيان الطريق لكنت
من المتقين اي الذين لا يقدمون على فعل ما بدا لهم غلبة دليل
الثالث من الكلمات ما ذكره الله تعالى بقوله سبحانه او تقول
اي تلك النفس المفرطة حين ترى العذاب اي الذي واجهها عيانا
لو ان اي يا ليت لي كرة اي رجعة الى دار العمل فاكون اي
تتسبب عن رجوعي اليها ان اكون من المحسنين اي العاملين
بالاحسان الذي دعا اليه القرآن تنبيه في نصب اكون وجهان
احدهما عطفه على كرة فانها مصدر فعطف مصدر مؤول على
مصدر مصرح كقولها

للبس عباءة وتقر عيني • احب الي من لبس الشفوف •

والثاني انه منصوب على جواب التمني المفهوم من قوله لو ان لي
كرة والفرق بين الوجهين ان الاول يكون فيه الكون متمنى
ويجوز ان تضمر ان وان تظهر والثاني يكون فيه الكون مترتبا
على حصول المتمنى لا متمنى ويجب ان تضمر ان ثم اجاب الله تعالى
هذا القائل بقوله سبحانه بلى قد جاءتك آياتي اي القرآن
وهي سبب الهداية فكذبت بها اي قلت ليست من عند الله
واستكبرت اي تكبرت عن الايمان بها وكنت من الكافرين فان قيل

هل لا قرن الجواب بما هو جواب له وقوله لو ان الله هداني بفصل
بينهما اجيب بانه لا يخلو اما ان يقدم على احدى القرائن
الثلاث فيفرق بينهن واما ان يؤخر القرينة الوسطى فلم يحسن الاول
لما فيه من تبتير النظم بالجمع بين القرائن ومن نقص الترتيب وهو
التحسر على التفريط في الطاعة ثم التعلل بفقد الهداية ثم تمني
الرجعة فكان الصواب ما جاء عليه وهو انه على اقوال النفس على
ترتيبها ونظمها ثم اجاب من بينهن عما اقتضى الجواب فان قيل
كيف صح ان يقع جوابا لغير منفي اجيب بان قوله لو ان الله هداني
بمعنى ما هديت ويوم القيمة الذي لا يصح في الحكمة تركه
ترى اي ايها المحسن الذين كذبوا على الله اي الحائز لجميع صفات
الكمال بنسبة الشريك والولد اليه وقال الحسن هم الذين
يقولون ان شئنا فعلنا وان شئنا لم نفعل قال البقاعي وكانه عنى عن
المعتزلة الذين اعتزلوا مجلسه وابتدعوا قولهم انهم يخلقون افعالهم
قال ويدخل فيه من تكلم في الدين بجهل وكل من كذب وهو يعلم انه
كاذب في اي شي كان فانه من حيث ان فعله فعل من يظن ان الله
تعالى لا يعلم كذبه اي ولا يقدر على جزائه كانه كذب على الله وقوله تعالى
وجوههم مسودة جملة من مبتدا وخبر في محل نصب على الحال من الموصول
لان الرؤية بصرية بالاجسام والوانها اظهر من تعلق القلبية بهما وذكر
ان هذا السواد مخالف لسائر انواع السواد اليس في جهنم مثوى اي
ماوى للمتكبرين اي الذين تكبروا على اتباع امر الله تعالى وهو تقرير
لانهم يرونه كذلك ولما ذكر تعالى الذين اشقاهم اتبعهم حال الذين
اسعدهم بقوله تعالى وينجي الله اي بفضل بما له من صفات الكمال وينجيهم
فعل المبالغ في ذلك الذين اتقوا اي بالغوا في وقاية انفسهم من غضبه
فكما وقاهم في الدنيا من المخالفات حماهم هنا من العقوبات بمفازتهم
اي بسبب فلاحهم لان العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة
ويجوز ان يسمى العمل الصالح في نفسه مفازة لانه سببها وقرا
حمزة والكسائي وشعبة بالف بعد الزاي جمعا على ان لكل متق مفازة
والباقون بغير الف افرادا وقوله تعالى لا يمسهم السوء جملة مفسرة
لمفازتهم كانه قيل وما مفازتهم فقال لا يمسهم السوء فلا محل لها
ويجوز ان تكون في محل نصب على الحال من الذين اتقوا ومعنى الكلام
لا يمسهم مكروه ولا هم يحزنون اي ولا يطرق بواطنهم حزن على فائت
لانه لا يفوت لهم شي اصلا ولما كان المخوف منه والمحزون عليه جامعين
لكل ما في الكون فكان لا يقدر على دفعهما الا القادر المبدع القيوم

قال تعالى مستانفا او معللا مظهر الاسم الاعظم تعظيما للمقام **الله** اي المحيط بكل شي قدرة وعلما الذي يجاهم **خالق كل شيء** اي من خير وشر وايمان وكفر فلا يكون شيء اصلا الا بخلقه ولما دل هذا على القدرة الشاملة وكان لابد معها من العلم الكامل قال تعالى **وهو على كل شيء** اي مع القهر والغلبة **وكيل** اي حفيظ لجميع ما يريد منه يقوم لا يعجز بساحته ولا غفلة وقوله تعالى **له مقاليد السموات والارض** جملة مستانفة والمقاليد جمع مقلاد مثل مفتاح ومفاتيح او مقليد مثل منديل ومناديل اي هو مالك امرها وحافظها وهي من باب الكناية لان حافظ الخزائن ومدبر امرها هو الذي يملك مقاليدها ومنه قولهم فلان القيت اليه مقاليد الملك وهي المفاتيح والكلمة اصلها فارسية فان قيل ما للكتاب العربي المبين والفارسية اجيب بان التعريب احالها عربية كما اخرج الاستعمال المهمل عن كونه مهملا قال الزمخشري سال عثمان النبي صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى له مقاليد السموات والارض فقال يا عثمان ما سالني احد عنها قبلك تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والاخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير انتهى وروى هذا الطبراني بسند ضعيف بل رواه ابن الجوزي في الموضوعات ثم قال الزمخشري وتاويله على هذا ان الله تعالى في هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خزائن السموات والارض من تكلم بها من المتقين اصابه وقال قتادة ومقاتل مفاتيح السموات والارض بالرزق والرحمة وقال الكلبي خزائن المطر والنبات ولما وصف الله تعالى نفسه بصفة الالهية والجلالة وهو كونه خالقا للاشياء وكونه مالكا لمقاليد السموات والارض باسرها قال بعده **والذين كفروا** اي لبسوا ما اتضح من الدلالات وجحدوا **بايات الله** اي دلائل قدرته الظاهرة الباهرة **اولئك** البعداء البغضاء **هم الخاسرون** لانهم خسروا انفسهم وكل شيء متصل بها على وجه النفع وقال الزمخشري والذين كفروا متصل بقوله وينجي الله الذين اتقوا واعترض ما بينهما بانه خالق الاشياء كلها وانه له مقاليد السموات والارض واعترضه الرازي بان وينجي جملة فعلية والذين كفروا جملة اسمية وعطف الجملة الاسمية على الفعلية لا يجوز واعترض الاخر بانه لا مانع من ذلك ولما دعا كفار قريش النبي صلى الله عليه وسلم الى دين ابائه قال الله تعالى له **قل** اي لهم **افغير الله** اي الملك الاعظم **تامروني اعبد ايها الجاهلون** اي العريقون في الجهل لان الدليل القاطع قد قام بان الله هو المستحق للعبادة فمن عبد غيره

فهو جاهل

فهو جاهل وقرا نافع بتخفيف النون وفتح الياء وابن كثير بتشديد النون وفتح الياء وابو عمرو بتشديد النون وسكون الياء وابن عامر بنونين الاولى مفتوحة والثانية مكسورة وسكون الياء والباقون بتشديد النون وسكون الياء **ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك** اي الذي عملت قبل الشرك فان قيل الموحى اليهم جماعة فكيف قال لئن اشركت على التوحيد اجيب بان تقديره الاية اوحي اليك لئن اشركت ليحبطن عملك والى الذين من قبلك مثله اي اوحي اليك والى كل واحد منهم لئن اشركت كما تقول كسانا حلة اي كل واحد فان قيل كيف صح هذا الكلام مع علم الله تعالى ان رسله لا يشركون ولا تحبط اعمالهم اجيب بان قوله لئن اشركت ليحبطن عملك قضية شرطية والقضية الشرطية لا يلزم من صدقها صدق جزئيها الا ترى ان قولك لو كانت الخمسة زوجا لكانت منقسمة لا تنقسم بمتساويين قضية صادقة مع ان كل واحد من جزئيها غير صادق قال تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ولم يلزم من هذا صدق بان فيهما الهة وانهما قد فسدتا او ان الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره كما قاله اكثر المفسرين او ان ذلك على سبيل الفرض المحال ذكر ليكون ردعا للاتباع ولما كان السياق للتهديد وكانت العبارة شاملة لما تقدم على الشرك من الاعمال وما تاخر عنه لم يقيده بالاتصال بالموت اكتفا بتقييده في اية اخرى البقرة وهي من يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر قال تعالى **ولتكونن** اي لاجل حبوطه **من الخاسرين** فان من ذهب جميع عمله لا شك في خسارته اما من اسلم بعد ردته فانما يحبط ثواب عمله لا عمله كما نص عليه الشافعي تنبيه اللام الاولى موطئة للقسم والاخرى للجواب ولما كان التقدير فلا تشرك بنا عليه عطف عليه قوله تعالى **بل الله** اي المتصف بصفات الكمال وحده **فاعبد** اي مخلصا له العبادة **وكن من الشاكرين** اي العريقين في هذا الوصف لانه جعلك خير الخلائق ولما حكى الله تعالى عن المشركين انهم امروا الرسول بعبادة الاصنام ثم انه تعالى اقام الدلائل على فساد قولهم وامر الرسول ان يعبد الله ولا يعبد سواه وبين انهم لو عرفوا الله حق معرفته لما جعلوا هذه الاشياء الخسيسة مشاركة له في العبودية قال **وما قدروا الله** اي الملك الاعظم **حق قدره** اي ما عظموه حق عظمته حين اشركوا به غيره مع انهم لو استغرقوا الزمان في عبادته وخالص طاعته بحيث لم يخل شيء منها عنها لما كان ذلك حق قدره فكيف اذا خلا بعضه عنها فكيف اذا عدل به غيره ولما بين انهم ما عظموه تعظيما لايقا به اردفه بما يدل على كمال عظمته بقوله تعالى **والارض جميعا قبضته** وهو مبتدا وخبر في محل نصب على ما عظموه حق عظمته والحال انه موصوف بهذه القدرة الباهرة كقوله تعالى ،،

كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم اي كيف تكفرون بمن هذا وصفه وحال ملكه كذا وجميعا حال ومن دالة على ان المراد بالارض الارضون لان هذا التاكيد لا يحسن ادخاله الا على الجمع وقدم الارض على السموات لمباشرتهم لها ومعرفتهم بحقيقتها ولما كان في هذه الدنيا من يدعي الملك والقهر والعظمة والقدرة وكان الامر في الاخرة بخلاف هذا لانقطاع الاسباب قال تعالى يوم القيمة ولا قبضة هناك لا حقيقة ولا مجازا وكذا الطي واليمين وانما هو تمثيل وتخييل لتمام القدرة ولما كانوا يعلمون ان السموات سبع متطابقة بما يشاهدونه من سير النجوم جمع لكونه سبع جميعا كالتصريح في جمع الارض ايضا في قوله تعالى والسموات مطويات اي مجموعات بيمينه قال الرازي وههنا سوالات الاول العرش اعظم من السموات السبع والارضين السبع ثم انه تعالى قال في صفة العرش ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية فاذا وصف الملئكة بكونهم حاملين العرش العظيم فكيف يجوز تقرير عظمة الله تعالى بكونه حاملا للسموات والارض واجاب بان مراتب التعظيم كثيرة فاولها تقرير عظمة الله بكونه قادرا على هذه الاجسام العظيمة كما ان حفظها وامساكها يوم القيامة عظيم ثم بعده تقرر عظمته بكونه قادرا على امساك اولئك الملئكة الذين يحملون العرش السوال الثاني قوله تعالى والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه شرح حال لا تحصل الا في القيمة والقوم ما شاهدوا ذلك فان كان هذا الخطاب مع المصدقين للانبيا فهم معترفون بانه لا يجوز القول بجعل الاصنام شركا لله فلا فائدة في ايراد هذه الحجة عليهم وان كان الخطاب مع المكذبين بالنبوة فهم ينكرون قوله تعالى والارض جميعا قبضته يوم القيمة فكيف يمكن الاستدلال به على ابطال القول بالشرك واجاب بان المقصود منه ان المتولي لابقا السموات والارضين من وجوه العمارة في هذا الوقت هو المتولي لتخريبها وافنائها يوم القيمة وذلك يدل على حصول قدرة تامة على الايجاد والاعدام ويدل ايضا على كونه قادرا غنيا على الاطلاق فانه يدل على انه اذا حاول تخريب الارض فكانه يقبض قبضة وذلك يدل على كمال الاستغنا السوال الثالث حاصل القول بالقبضة واليمين هو القدرة الكاملة الوافية بحفظ هذه الاجسام العظيمة فكما ان حفظها وامساكها يوم القيمة ليس الا بقدرته تعالى فكذلك الان فما الفائدة بتخصيص هذه الاحوال بيوم القيمة واجاب بانه انما خصص تلك الحالة بيوم القيمة ليدل على انه كما ظهر كمال قدرته في الايجاد عند عمارة الدنيا يظهر كمال قدرته في الاعدام عند خراب الدنيا

ولما

ولما كان هذا انما هو تمثيل بما يعهد فالمراد به الغاية في القدرة نزه نفسه المقدس عما ربما تشبث به المجسم والمشبه فقال تعالى سبحانه اي تنزه من هذه القدرة قدرته عن كل شائبة نقص وتعالى علوا لا يحاط به عما يشركون معه لانه لو كان له شريك لنازعه في هذه القدرة او بعضها فمنعه شيا منها ومنه معبوداتهم لا قدرة لها على شيء روى البخاري في صحيحه في التوحيد وغيره عن عبد الله بن مسعود قال جاء حبر من الاحبار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اذا كان يوم القيمة جعل الله السموات على اصبع والارضين على اصبع والما والثرى على اصبع والخلايق على اصبع ثم يهزهن ثم يقول انا الملك فلقد رايت النبي صلى الله عليه وسلم يضحك حتى بدت نواجذه تعجبا وتصديقا لقول الحبر ثم قرا النبي صلى الله عليه وما قدروا الله حق قدره الاية وانما ضحك النبي صلى الله عليه وسلم وتعجب لانه لم يفهم منه الا ما فهم علما البيان من غير تصور امساك ولا اصبع ولا هز ولا شي من ذلك وانما يدل ذلك على القدرة الباهرة وان الافعال العظام التي تتحير فيها الاذهان هينة عليه هوانا لا يوصل السامع الى الوقوف عليه الا اجرا العبارة في مثل هذه الطريقة على التخييل وروى الشيخان عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوي الله السموات يوم القيمة ثم ياخذهن بيده اليمنى ثم يقول انا الملك اين الجبابرة اين المتكبرون ثم يطوي الارضين ثم ياخذهن بشماله ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون وللبخاري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقبض الله الارض يوم القيمة ويطوي السما بيمينه ثم يقول انا الملك اين ملوك الارض قال ابو سليمان الخطابي ليس فيما يضاف الى الله عز وجل من وصف اليدين شمال لان الشمال محل النقص والضعف وقد ورد كلتا يديه يمين وليس عندنا معنى اليد الجارحة وانما هي صفة جاء بها التوقيف فنحن نطلقها على ما جاءت ولا نكيفها وننتهي الى حيث انتهى بنا الكتاب والاخبار الماثورة الصحيحة وهذا مذهب السنة والجماعة وقال سفيان بن عيينة كلما وصف الله تعالى به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عليه انتهى وقد قدمنا ان السلف يجرون المتشابه على ما هو عليه وان الخلف يؤولونه والاول اسلم والثاني احكم ولما ذكر تعالى كمال قدرته وعظمته مما سبق ذكره اردفه بذكر طريق اخر يدل ايضا على كمال العظمة وهو شرح مقدمات يوم القيامة فقال ونفخ في الصور اي القرن النفخة الاولى لان نفخ الصور يكون قبل ذلك اليوم فصعق اي مات من في السموات ومن في الارض واختلف فيمن استثنى الله تعالى بقوله سبحانه الا من شاء الله تعالى فقال الحسن هو

الله وحده وقال ابن عباس جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ثم يميت
الله تعالى ميكائيل واسرافيل ويبقى جبريل وملك الموت وقيل حملة العرش
وقيل الحور والولدان وقيل الشهداء لقوله تعالى بل احياء عند ربهم يرزقون
وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هم الشهداء متقلدون
اسيافهم حول العرش وقال جابر هو موسى عليه السلام لانه صعق ولا يصعق
ثانيا وقال قتادة الله اعلم بهم وليس في القرآن والاخبار ما يدل على
انهم من هم وهذا اسلم ثم نفخ فيه اي في الصور نفخة اخرى اي نفخة ثانية
فاذا هم اي جميع الخلائق الموتى قيام اي قائمون ينظرون اي يقلبون
ابصارهم في الجهات نظر المبهوت اذا فاجاه امر عظيم وقيل ينتظرون
امر الله تعالى فيهم وهذا يدل على ان هذه النفخة متاخرة عن النفخة الاولى
لان لفظة ثم للتراخي وروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما بين النفختين اربعون قالوا اربعون يوما قال ابو هريرة
ابيت قالوا اربعون شهرا قال ابيت قال اربعون سنة قال ابيت
قال ثم ينزل الله تعالى من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ليس من
الانسان شيء الا يبلى الا عظم واحد وهو عجب الذنب ومنه يركب
الخلق يوم القيامة وقوله تعالى فاذا هم يدل على ان قيامهم يحصل
عقب هذه النفخة الاخيرة في الحال من غير تراخ لان الفاء تدل على
التعقيب ولما ذكر تعالى اقامتهم بالحياة التي هي نور البدن اتبعه بنور
ارض القيامة فقال تعالى واشرقت اي اضاءت اضاءة عظيمة
مالت بها الى الحمرة الارض اي التي اوجدت لحشرهم وليست
بارضنا الان لقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض بنور ربها اي
خالقها وذلك حين يتجلى الرب لفصل القضاء بين خلقه قال صلى الله
عليه وسلم سترون ربكم وقال كما لا تضارون في الشمس في
اليوم الصحو وقال الحسن والسدي بعدل ربها ووضع الكتاب اي
كتاب الاعمال للحساب لقوله تعالى وكل انسان الزمناه طائره في عنقه
ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا وقوله تعالى ما لهذا الكتاب
لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وقيل الكتاب
اللوح المحفوظ تقابل به الصحائف وقيل الكتاب الذي انزل الى كل
امة تعمل به واقتصر على هذا البقاعي وجيء بالنبيين اي لتشهدا
للشهادة على اممهم واختلف في قوله تعالى والشهداء فقال ابن عباس
يعني الذين يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة وهم امة محمد صلى الله
عليه وسلم لقوله تعالى جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس
وقال عطاء ومقاتل يعني الحفظة لقوله تعالى وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد

وقيل هم المستشهدون في سبيل الله ولما بين تعالى ان يوصل الكل واحد حقه
عبر عن هذا المعنى باربع عبارات اولها قوله تعالى وقضي بينهم اي العباد
بالحق اي العدل ثانيها قوله تعالى وهم لا يظلمون اي لا يزاد في سيئاتهم
ولا ينقص من حسناتهم ثالثها قوله تعالى ووفيت كل نفس ما عملت اي جزاء ما عملت
رابعها قوله تعالى وهو اعلم بما يفعلون اي فلا يفوته شيء من افعالهم ثم فصل
التوفية بقوله تعالى مقدما اهل الغضب وسيق الذين كفروا اي بالعنف
والدفع الى جهنم كما قال تعالى يوم يدعون الى نار جهنم دعا اي يدفعون
دفعا وقوله تعالى زمرا حال اي جماعات في تفرقة بعضهم على اثر بعض
كل امة على حدة حتى اذا جاؤها اي على صفة الذل والصغار واجاب
اذا بقوله تعالى فتحت ابوابها اي السبعة وكانت مغلقة قبل ذلك
وانما تفتح عند وصول الكفار اليها وقرأ الكوفيون فتحت وفتحت
الآتية بالتخفيف والباقون بالتشديد على التكثير وقال لهم
خزنتها انكارا عليهم تقريعا وتوبيخا الم ياتكم رسل منكم اي من
جنسكم لان قيام الحجة بالجنس اقوى يتلون اي يتلون مرة
بعد مرة وشيئا في اثر شيء عليكم آيات ربكم اي المحسن اليكم
من القرآن وغيره وينذرونكم اي يخوفونكم لقاء يومكم وقولهم هذا
اشارة الى يوم البعث فان قيل لم اضيف اليهم اليوم اجيب
بانهم ارادوا لقاء وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار لا يوم
القيامة قاله الزمخشري وقد جاء استعمال اليوم والايام
مستفيضا في اوقات الشدة ويجوز ان يراد باليوم يوم البعث
كله وجرى عليه البقاعي وهو اولى ولما قال لهم الخزنة كذا قالوا بلى
اتونا وتلوا علينا وحذرونا كلمة العذاب اي وجبت ولكن حقت
اي التي سبقت في الازل علينا هكذا كان الاصل ولكنهم قالوا
على الكافرين تخصيصا باهل هذا الوصف وبيانا لانه موجب
دخولهم ولو تغطيهم الانوار اي التي اتتهم بها الرسل تنبيه
في الاية دليل على انه لا وجوب قبل مجيء الشرع لان الملائكة
بينوا انهم ما بقي لهم عذر ولا علة بعد مجيء الرسل عليهم السلام
فلو لم يكن مجيء الرسل شرطا في استحقاق العذاب لما بقي في هذا الكلام
فائدة وقيل كلمة العذاب هي قوله تعالى لاملان جهنم من الجنة
والناس اجمعين كانه قيل فماذا وقع بعد هذا التقريع قيل وقع ان
الملائكة قالت لهم ادخلوا ابواب جهنم اي طبقاتها المتجهمة لداخلها
خالدين اي مقدرين الخلود فيها ولما كان سبب كفرهم
بالايات هو التكبر قالوا لهم فبئس مثوى اي منزل ومقام المتكبرين

اي الذين اوجب تكبرهم حقوق كلمة العذاب عليهم فلذلك تعاطوا اسبابها ولما
ذكر تعالى احوال الكافرين اتبعه احوال اضدادهم فقال عز من قايل وسيق الذين
الذين اتقوا ربهم اي الذين كلما زادهم احسانا زادوا له هيبة الى الجنة وقوله تعالى
زمرا حال اي جماعات اهل الصلاة المستكثرين منها على حدة واهل الصوم كذلك
الى غير ذلك من الاعمال التي تظهر اثارها على الوجوه فان قيل السوق في اهل
النار معقول لانهم امروا بالذهاب الى موضع العذاب لا بد وان يساقوا اليه
واما اهل الثواب فاذا امروا بالذهاب الى موضع السعادة والراحة فاي
حاجة فيه الى السوق اجيب بان المراد بسوق اهل النار طردهم اليها
بالهوان والعنف كما يفعل بالاساري والخارجين على السلطان اذا سيقوا
الى حبس وقتل والمراد بسوق اهل الجنة سوق مراكبهم لانه لا يذهب
بهم الا راكبين وحثها اسراعا الى دار الكرامة والرضوان كما يفعل
بمن يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك فشتان ما بين السوقين هذا
سوق اكرام وذاك سوق اهانة وانتقام وهذا من بدايع انواع البديع
وهو انه اتى سبحانه بكلمة في حق الكفار فدل على هوانهم بعقابهم واتى
بتلك الكلمة بعينها وجيبها في حق المومنين فدل على اكرامهم بحسن
ثوابهم فسبحان من انزله معجز المباني متمكن المعاني عذب الموارد والمثاني
وقيل لان المحبة والصداقة بين المتقين يوم القيمة كما قال تعالى
الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين فاذا قيل لواحد منهم
اذهب الى الجنة فيقول لا ادخلها الا مع احبابي واصدقائي فيتاخرون
لهذا السبب فحينئذ يحتاجون الى السوق الى الجنة ولما ذكر تعالى
السوق ذكر غايته بقوله تعالى حتى اذا جاؤها اختلف في جواب اذا
على اوجه احدها قوله تعالى وفتحت ابوابها والواو زايدة وهو راي
الكوفيين والاخفش وانما جيء هنا بالواو دون التي قبلها لان
ابواب السجون مغلقة عادة الى ان يجيئها صاحب الجريمة فتفتح له
ثم تغلق عليه فناسب ذلك عدم الواو فيها بخلاف ابواب السرور
والفرح فان في فتحها انتظار المريد دخولها فعلى هذا تكون مغلقة لا تفتح
الا عند دخول اهلها فيها فاما ابواب الجنة ففتحها يكون متقدما
على دخولهم اليها كما قال تعالى جنات عدن مفتحة لهم الابواب
فلذلك جيء بالواو فكانه قال حتى اذا جاؤها وقد فتحت ابوابها
ثانيها قوله تعالى وقال لهم خزنتها على زيادة الواو ايضا اي حين اذا
جاؤها قال لهم خزنتها ثالثها قال الزجاج القول عندي ان الجواب
محذوف تقديره ادخلوها بعد قوله تعالى حتى اذا جاؤها وفتحت
ابوابها وقال لهم خزنتها اي حين الوصول سلام عليكم تعجيلا

للمسرة

للمسرة بالبشارة بالسلامة التي لا عطب فيها طبتم اي صلحتم لسكناها
لانها دار طهرها الله تعالى من كل دنس وطيبها من كل قذر فلا يدخلها الا
مناسب لها موصوف بصفتها فما ابعد احوالنا من تلك المناسبة وما
اصعب سعينا في اكتساب تلك الصفة الا ان يهبنا الوهاب الكريم
توبة نصوحا تنقي انفسنا من درن الذنوب وتميط وضرها من القلوب
ثم سببوا عن ذلك فادخلوها خالدين اي مقدرين الخلود وسمى بعضهم
الواو في قوله تعالى وفتحت واو الثمانية قال لان ابواب الجنة ثمانية
وكذا قالوا في قوله تعالى وثامنهم كلبهم وقيل تقدير الجواب حتى اذا
جاؤها وفتحت ابوابها يعني ان الجواب بلفظ الشرط ولكنه بزيادة
تقييده بالحال فلذلك صح وقدره الجلال المحلي بقوله دخلوها
وقال ان قوله تعالى وقالوا عطف على دخلوها المقدر الحمد اي الاحاطة
باوصاف الكمال لله اي الملك الاعظم الذي صدقنا وعده في قوله تعالى
تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا فطابق قوله الواقع الذي
وجدناه في هذه الساعة واورثنا كما وعدنا الارض اي الارض التي
لا ارض في الحقيقة غيرها وهي ارض الجنة التي لا كدر فيها بوجه وفيها كل
ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وقولهم نتبوأ اي ننزل من الجنة
حيث نشاء جملة حالية وحيث ظرف على بابها وقيل مفعول وانما عبر
عن ارض الجنة بالارث لوجهين احدهما ان الجنة كانت في اول الامر لادم
عليه السلام لانه تعالى قال فكلا منها رغدا حيث شئتما فلما عادت الجنة
الى اولاد ادم كان ذلك سببا للارث ثانيهما ان الوارث يتصرف فيما ورثه
كيف شاء من غير منازع فكذلك المومنون يتصرفون في الجنة
حيث شاؤا وارادوا فان قيل هل يتبوأ احدهم مكان غيره اجيب بان
لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وزيادة على الحاجة فيتبوأ
من جنته حيث يشاء ولا يحتاج الى جنة غيره ولا يشتهي احد الا مكانه ها
مع ان في الجنة مقامات معنوية لا يتمانع واردها ولما كانت بهذا الوصف
الجليل تسبب عنه مدحها بقوله فنعم اي اجرنا هكذا كان الاصل
ل ولكنه قال اجر العاملين ترغيبا في الاعمال وحثا على عدم الاتكال
ولما ذكر سبحانه الذين ركب فيهم وموقفا ما وصلوا اليه من
المقامات اتبعهم اهل الكرامات الذين لا شاغل لهم عن العبادات
فقال تعالى صارفا الخطاب لعلو الخبر الى اعلا الخلق لانه لا يقوم بحق
هذه الرؤية غيره وترى الملئكة اي القايمين بجميع ما عليهم من الحقوق
وقوله تعالى حافين حال اي محدقين من حول العرش اي من جوانبه
التي يمكن الحفوف بها من بالقرب منها يسمع لحفوفهم صوت التسبيح

والتمجيد والتقديس والاهتزاز خوفا من ربهم فاد خال من يومهم ابهم مع كثرتهم
الي حد لا يحصيه الا الله تعالى لا يملون حوله وهذا اولى من قول البيضاوي
ان من زايدة وقوله تعالى **يسبحون** حال من ضمير حافين **بحمد ربهم** اي متلبسين
بحمده يقولون سبحان الله وبحمده فهم ذاكرون له بوصفي جلاله واكرامه
تلذذا به وفيه اشعار بان منتهى درجات العليين واعلى لذايذهم هو
الاستغراق في صفات الحق **وقضي بينهم** اي بين جميع الخلق **بالحق** اي
العدل فيدخل المومن الجنة والكافر النار او بين الملئكة باقامتهم
في منازلهم على حسب تفاضلهم **وقيل** اي وقال المومنون من المقضي
بينهم والملائكة وطي ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم **الحمد** اي الاحاطة بجميع
اوصاف الكمال وعدل بالقول الى ما هو احق بهذا المقام فقال **لله** ذي
الجلال والاكرام علمنا ذلك في هذا اليوم عين اليقين كما كنا في الدنيا
نعلمه علم اليقين ولما كان ذلك اليوم احق الايام بمعرفة شمول لربوبيته
لاجتماع الخلايق وانفتاح البصاير وسعة الضماير قال واصفا له سبحانه
باقرب الصفات الى الاسم الاعظم **رب العالمين** اي الذي ابتداهم اولا
من العدم واقامهم ثانيا بما رباهم به من التدبير واعادهم ثالثا بعد افنايهم
بالكمال قضاء وحكم تقدير وابقاهم رابعا الا الى اخير وقيل ان الله تعالى
ابتدا ذكر الخلق بالحمد لله في قوله سبحانه الحمد لله الذي خلق السموات
والارض وختم بالحمد في اخر الامر وهو استقرار الفريقين في منازلهم
فنبه بذلك على تحميده في بداية كل امر وخاتمته والله اعلم بمراده
واسرار كتابه وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيمة واعطاه الله ثواب
الخائفين حديث موضوع وقوله وعن عايشة رضي الله عنها وعن ابيها انه عليه
الصلاة والسلام كان يقرا كل ليلة بني اسرايل والزمر رواه الترمذي وغيره

سورة المؤمن مكية

قال الحسن الا قوله وسبح بحمد ربك لان الصلوات نزلت بالمدينة
وقد قيل في الحواميم انها كلها مكية عن ابن عباس وابن الحنفية وتسمى
سورة الطول وسورة غافر وهي خمس وقيل ثنتان وثمانون اية والف
ومائة وتسع وتسعون كلمة والف الالاف وتسعمائة وستون حرفا

بسم الله الملك الاعظم الذي يعطي كلا من عباده ما يستحقه
فلا يقدر احد ان يناقضه في شيء من ذلك ولا يعارض **الرحمن** الذي عمهم
برحمته في الدنيا بالخلق والرزق والبيان الذي لا حقيقة معه **الرحيم**
الذي يخص برحمته من يشاء من عباده فيجعله حكيما في ملك الارض

وملكوت السموات عظيما وقوله تعالى **حم** قراءة ابن ذكوان وشعبة والكسائي
بامالة الحا محضة وورش وابو عمرو بين بين والباقون بالفتح وقد سبق الكلام
في حروف التهجي وقال ابن عباس حم اسم الله الاعظم وعنه قال الر
وحم ونون حروف الرحمن مقطعة وقيل حم اسم السورة وقيل الحاء
افتتاح اسمائه حليم وحميد وحي وحكيم وحنان والميم افتتاح اسمائه
ملك مجيد منان وقال الضحاك والكسائي تقضي ما هو كائن كانهما اشار الى معنى
حم بضم الحا وتشديد الميم وهل يجوز ان يجمع حم على حواميم نقل ابن الجوزي عن شيخه
الجواليقي انه خطا وليس بصواب بل الصواب ان يقول قرات آل حم وفي
الحديث عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا وقعت في آل حم
وقعت في روضات وقال الكميت

وجدنا لكم في آل حم اية ... تأولها منا تقي ومعرب

ومنهم من جوزه وروي في ذلك احاديث منها قوله صلى الله عليه وسلم الحواميم
ديباج القرآن وقوله صلى الله عليه وسلم الحواميم سبع وابواب جهنم
سبع جهنم والحطمة ولظى والسعير وسقر والهاوية والجحيم فتجيء كل
حم منهن يوم القيمة على باب من ابواب الجنة هذه الابواب فتقول لا
يدخل النار من كان يؤمن بي ويقراني وقوله صلى الله عليه وسلم لكل شيء
ثمرة وثمرات القرآن ذوات حم هن روضات حسان مخصبات متجاورات
فمن احب ان يرتع في رياض الجنة فليقرا الحواميم وقوله صلى الله عليه وسلم
الحواميم في القرآن كمثل الحبرات في الثياب او قال ابن عباس لكل شيء لباب
ولباب القرآن الحواميم قال ابن عباس فان صحت هذه الاحاديث
فهي الفيصل في ذلك اي فتدل على جواز الجمع قال البيضاوي في حم السجدة
ولعل افتتاح هذه السبع بحم وتسميتها به لكونها مصدرة ببيان الكتاب
متشاكلة في النظم والمعنى اي اخذا مما قيل ان حم اسم من اسماء القرآن
وقوله تعالى **تنزيل الكتاب** اي الجامع من الحدود والاحكام والمعارف والاكرام
اما خبر لحم ان كانت مبتدا واما خبر لمبتدا مضمر واما مبتدا وخبره **من الله**
اي الجامع لجميع صفات الكمال ولما كان النظر هنا من بين جميع الصفات الى العزة
والعلم اكثر لاجل ان المقام لاثبات الصدق وعدا ووعيدا قال
تعالى **العزيز** اي في ملكه **العليم** اي بخلقه فبين تعالى انه بقدرته وعلمه
انزل القرآن الذي يتضمن المصالح والاعجاز ولولا كونه عزيزا عالما لما صح ذلك
غافر الذنب اي بتوبة وبغير توبة للمومن ان شاء واما الكافر فلا بد من توبته
بالاسلام **وقابل التوب** اي ممن عصاه وهو يحتمل ان يكون اسما مفردا
مرادا به الجنس كالذنب وان يكون جمعا للتوبة كتمر وتمرة **شديد العقاب** اي
على الكافر فان قيل ان شديد صفة مشبهة فاضافته غير محضة فيحل حاله

بخلاف اسم الفاعل اذا لم يرد به الحال ولا الاستقبال كغافر الذنب وقابل التوب فان
اضافته محضة تفيد التعريف قال سيبويه كلما اضافته غير محضة جاز ان تجعل
محضة وتوصف به المعارف الا الصفة المشبهة ولم يستثن الكوفيون شيا اجيب
بان شديد معناه مشدد كاذين بمعنى موذن فيتمحض اضافته او الشديد عقابه
فحذف اللام للازدواج او من الالتباس وبالتزام مذهب الكوفيين وهو ان
الصفة المشبهة يجوز ان تتمحض اضافتها ايضا فتكون معرفة يقولون في نحو
حسن الوجه يجوز ان تكون اضافته محضة وقال الرازي لا نزاع في جعل
غافر وقابل صفتان وانما كانا كذلك لانهما يفيدان معنى الدوام والاستمرار
فكذلك شديد العقاب لان صفاته منزهة عن الحدوث والتجدد فمعناه
كونه بحيث يقال شديد عقابه وهذا المعنى حاصل ابدا لا يوصف بانه
حصل بعد ان لم يكن قال ابو حيان وهذا كلام من لم يقف على علم النحو
ولا نظر فيه ويلزمه ان يكون حكيم عليم ومليك مقتدر معارف لتنزيه صفاته
عن الحدوث والتجدد ولانها صفات لم تحصل بعد ان لم تكن ويكون تعريف
صفاته بال وتنكيرها سواء وهذا لا يقوله مبتدي في علم النحو فكيف من
يصنف فيه ويقدم على تفسير كتاب الله تعالى انتهى قال الزمخشري
فان قيل ما بال الواو في قوله وقابل التوب قلت نكتة جليلة وهي افادة
الجمع للمذنب التائب بين رحمتين بين ان يقبل توبته فيكتبها له طاعة من
الطاعات وان يجعلها محاة للذنوب كان لم يذنب كانه قال جامع للمغفرة والقبول
انتهى قال ابن عادل وبعد هذا الكلام الانيق وابراز هذه المعاني الحسنة
قال ابو حيان وما اكثر تبجح هذا الرجل وشقشقته والذي افادته الواو
الجمع وهذا معلوم من ظاهر علم النحو انتهى وانشد بعضهم

وكم من عائب قولا صحيحا ۝ وآفته من الفهم السقيم

وقال آخر

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ۝ وينكر الفم طعم الماء من سقم

ولما ان تم الترغيب بالعفو والترهيب بالعقوبة اتبعه التشويق الى الفضل
فقال تعالى **ذي الطول** اي سعة الفضل والانعام والقدرة والغنا
والسعة والمنة لا يماثله في شيء من ذلك احد ولا يدانيه وقال ابن عباس
غافر الذنب لمن قال لا اله الا الله وقابل التوب ممن قال لا اله الا الله
شديد العقاب لمن لا يقول لا اله الا الله ذي الطول ذي الغنا عمن لا يقول
لا اله الا الله وقال الحسن ذو الفضل وقال قتادة ذو النعم ثم علل
تمكنه من كل شيء من ذلك وحدانيته فقال تعالى **لا اله الا هو** وحده
المصير اي المرجع فلو جعل معه الها آخر يشاركه في صفة الرحمة **اليه**
والفضل لما كانت الحاجة الى عبوديته شديدة فكان الترغيب والترهيب

الكاملين

الكاملين حاصلين بسبب هذا التوجيه قوله تعالى اليه المصير مما يقوي الرغبة
في الاقرار بالعبودية روي ان عمر رضي الله تعالى عنه افتقد رجلا ذا باس شديد
من اهل الشام فقيل له تتابع في هذا الشراب فقال عمر لكاتبه اكتب من عمر الى
فلان سلام عليك وانا احمد اليك الله الذي لا اله الا هو بسم الله
الرحمن الرحيم حم الى قوله تعالى اليه المصير مما يقوي الرغبة ختم الكتاب
وقال لرسوله لا تدفعه اليه حتى تجده صاحيا ثم امر من عنده بالدعاء له
بالتوبة فلما اتته الصحيفة جعل يقرؤها ويقول قد وعدني الله ان يغفر لي
وحذرني عقابه فلم يبرح يرددها حتى بكى ثم نزع فاحسن النزوع وحسنت
توبته فلما بلغ عمر امره قال هكذا فاصنعوا اذا رايتم اخاكم قد زل
زلة فسددوه ووفقوه وادعوا الله ان يتوب عليه ولا تكونوا اعوانا
للشيطان عليه ولما قرر تعالى ان القران كتاب انزله ليهتدى في الدين
ذكر احوال من يجادل لغرض ابطاله فقال **ما يجادل** اي يخاصم ويماري
ويريد ان يفتل الامور الى مراده **في آيات الله** اي في ابطال انوار
الملك الاعظم المحيط بصفات الكمال الدال كالشمس على انه اليه
المصير بان يغش نفسه بالشك في ذلك **الا الذين كفروا** قال ابو العالية
آيتان ما اشدهما على الذين يجادلون في القران قوله تعالى ما يجادل في
آيات الله الا الذين كفروا وقوله تعالى وان الذين اختلفوا في
الكتاب لفي شقاق بعيد وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان جدالا في القران كفر وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده
قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما يتمارون فقال انما هلك
من كان قبلكم ضربوا كتاب الله بعضه ببعض فما علمتم منه
فقولوه وما جهلتم منه فكلوه الى عالمه وعن عبد الله بن عمرو بن العاص
قال هاجرت يوما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فسمعت
اصوات رجلين اختلفا في اية فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعرف في وجهه الغضب فقال انما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب
تنبيه الجدال نوعان جدال في تقرير الحق وجدال في تقرير الباطل اما
الاول فهو حرفة الانبيا عليهم الصلاة والسلام قال تعالى لمحمد صلى الله
عليه وسلم وجادلهم بالتي هي احسن وحكى عن قوم نوح قولهم يا نوح
قد جادلتنا فاكثرت جدالنا واما الثاني فهو مذموم وهو المراد بهذه
الاية فجدالهم في آيات الله هو قولهم مرة هذا سحر ومرة هو شعر ومرة
هو قول الكهنة ومرة اساطير الاولين ومرة انما يعلمه بشر واشباه
هذا ولما ثبت ان الحشر لا بد منه وان الله تعالى قادر كل القدرة
لانه لا شريك له وهو محيط بجميع اوصاف الكمال فتسبب عن ذلك

قوله تعالى **فلا يغررك تقلبهم** اي تنقلهم بالتجارات والفوايد والجيوش والعساكر
واقبال الدنيا عليهم **في البلاد** كبلاد الشام واليمن فانهم ماخوذون عما قريب
بكفرهم اخذ من قبلهم كما قال تعالى **كذبت قبلهم قوم نوح** وقد كانوا في غاية القوة
والقدرة على القيام بما يحاولونه وكانوا حزبا واحدا لم يفرقهم شي ولما
كان للناس من بعدهم قد كثروا وفرقهم اختلاف الالسنة والاديان وكان
للاجمال من الردع في بعض المواطن ما ليس للتفصيل قال تعالى **والاحزاب**
اي الامم المتفرقة الذين لا يحصون عددا ودل على قرب زمان الكفرين
الا نجا من الغرق بقوله **من بعدهم** كعاد وثمود **وهمت كل امة** اي من هولاء
برسولهم اي الذي ارسلناه اليهم **ليأخذوه** اي ليتمكنوا من اصابته
بما ارادوا من تعذيب وقتل ويقال للاسير اخيذ وقال ابن عباس
ليقتلوه ويهلكوه **وجادلوا بالباطل** اي بالامر الذي لا حقيقة له ولا بد له
من ذاته الا الزوال كما تفعل قريش ومن ضاهاهم من العرب ثم بين
علة مجادلتهم بقوله تعالى **ليدحضوا** اي ليزيلوا **به الحق** اي الذي جاءت
به الرسل **فاخذتهم** اي اهلكتهم وهم صاغرون وقرأ ابن كثير
وحفص باظهار الذال والباقون بالادغام **فكيف كان عقاب** لهم
اي واقع موقعه وهم يمرون على ديارهم ويرون اثره وهذا تقرير فيه معنى
التعجب تنبيه حذفت ياء المتكلم اشارة الى ان ادنى شي من عذابه
بادنى نسبة كان في المراد ولما كان التقدير فحقت عليهم كلمة الله
تعالى عطف عليه **وكذلك** اي ومثل ما حقت عليهم كلمتنا له
بالاخذ **حقت كلمة ربك** اي المحسن اليك وهي لاملأن جهنم
الاية **على الذين كفروا** لكفرهم وقرأ نافع وابن عامر بالف بعد الميم
على الجمع والباقون بغير الف على الافراد وقوله تعالى **انهم اصحاب النار**
في محل نصب او رفع بدل من كلمة ربك اي مثل ذلك الوجوب وجب
على الكفرة كونهم من اصحاب النار ومعناها كما اوجبنا هلاكهم في
الدنيا بالعذاب المستاصل كذلك وجب اهلاكهم بعذاب النار في
الاخرة او في محل نصب بحذف لام التعليل وايصال الفعل ولما بين
تعالى ان الكفار بالغوا في اظهار العداوة للمومنين بقوله ما يجادل في
ايات الله وما بعده بين تعالى ان الملائكة الذين هم حملة العرش والحافون
حوله يبالغون في اظهار المحبة والنصرة للمومنين فقال تعالى **الذين
يحملون العرش** وهو مبتدأ **ومن حوله** عطف عليه وقوله تعالى **يسبحون**
خبره **بحمد ربهم** اي المحسن اليهم قال شهر بن حوشب حملة العرش
ثمانية اربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على
حلمك بعد علمك واربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد

على عفوك بعد قدرتك قال وكانهم يرون ذنوب بني ادم وقيل انهم اليوم اربعة
فاذا كان يوم القيمة ايدهم الله تعالى باربعة اخر كما قال تعالى ويحمل عرش ربك
فوقهم يومئذ ثمانية وهم من اشراف الملائكة وافضلهم لقربهم من محل رحمة
ربهم قال ابن الخازن وجاء في الحديث ان لكل ملك منهم وجه رجل ووجه
اسد ووجه ثور ووجه نسر ولكل واحد منهم اربعة اجنحة جناحان
منها على وجهه مخافة ان ينظر الى العرش فيصعق وجناحان يهفو بهما
في الهواء ليس لهم كلام غير التسبيح والتحميد والتكبير والتمجيد ما بين
اظلافهم الى ركبهم كما بين سماء الى سماء وقال ابن عباس حملة العرش
ما بين كعب احدهم الى اسفل قدميه مسيرة خمسمائة عام ويروى ان
اقدامهم في تخوم الارض والارضون والسموات الى حجزتهم وهم يقولون
سبحان ذي العرش والجبروت سبحان ذي الملك والملكوت سبحان الحي
الذي لا يموت سبوح قدوس رب الملائكة والروح وقال ميسرة بن عرقة
ارجلهم في الارض السفلى ورؤسهم خرقت العرش وهم خشوع
لا يرفعون طرفهم وهم اشد خوفا من اهل السماء السابعة واهل
السماء السابعة اشد خوفا من السماء التي تليها وقال مجاهد بين
الملائكة والعرش سبعون الف حجاب من نور وسبعون الف حجاب
من ظلمة وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن لي
ان احدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش ان ما بين شحمة اذنه
الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام واما صفة العرش فقيل
انه من جوهرة خضراء وهو من اعظم المخلوقات خلقا وروى جعفر بن
محمد عن ابيه عن جده انه قال ما بين القائمة من قوائم العرش والقائمة
الثانية خفقان الطير المسرع ثلاثين الف عام ويكسى العرش كل يوم
سبعين الف لون من النور لا يستطيع ان ينظر اليه خلق من خلق
الله تعالى كلها والاشياء كلها في العرش كحلقة في فلاة وقال مجاهد
بين السماء السابعة والعرش سبعون الف حجاب حجاب نور وحجاب
ظلمة وحجاب نور وحجاب ظلمة وقيل ان العرش قبلة لاهل السماء
كما ان الكعبة قبلة اهل الارض واما من حول العرش فهم الكروبيون
وهم سادات الملائكة قال وهب بن منبه ان حول العرش سبعين الف
صف من الملائكة صف خلف صف يطوفون بالعرش يقبل هولاء ويقبل
هولاء فاذا استقبل بعضهم بعضا هلل هولاء وكبر هولاء ومن
ورائهم سبعون الف صف قيام ايديهم على اعناقهم قد وضعوها على
عواتقهم فاذا سمعوا تكبير هولاء وتهليلهم رفعوا اصواتهم فقالوا
سبحانك اللهم وبحمدك ما اعظمك واجلك انت الله لا اله غيرك

انت الاكبر الخلق كلهم لك راجعون ومن وراهو لا وهو لا مائة الف صف من
الملئكة قد وضعوا اليمين على اليسرى ليس منهم احد الا يسبح بتحميد
لا يسبحه الاخر ما بين جناحي احدهم مسيرة ثلاثمائة عام وما بين شحمة
اذنه الى عاتقه اربعمائة عام واحتجب الله عز وجل من الملئكة الذين حول
العرش بسبعين حجابا من نار وسبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا
من نور وسبعين حجابا من در ابيض وسبعين حجابا من ياقوت احمر
وسبعين حجابا من زبرجد اخضر وسبعين حجابا من ثلج وسبعين
حجابا من ماء وسبعين حجابا من برد وما لا يعلمه الا الله تعالى فسبحان الله
من له هذا الملك العظيم ولما كان تعالى لا يحيط به احد علما اشار الى انهم
مع قربهم كغيرهم لا فرق في ذلك بينهم وبين من في الارض السفلى بقوله تعالى
ويؤمنون به لان الايمان انما يكون بالغيب فهم يصدقون بانه واحد لا شريك
له ولا مثل له ولا نظير له فان قيل ما فائدة قوله تعالى ويؤمنون به ولا
يخفى على احد ان حملته ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون بحمده
يؤمنون اجيب بان فائدته اظهار شرف الايمان وفضله والترغيب
فيه كما وصف الانبياء عليهم الصلاة والسلام في غير موضع من كتابه
بالصلاح لذلك وكما عقب الخير بقوله تعالى ثم كان من الذين امنوا
فابان بذلك فضل الايمان ولما كانوا لقربهم اشد الخلق خوفا لانه على قدر
القرب من تلك الحضرات يكون الخوف وكان من اقرب ما يتقرب
به الى الملك الى امل وده نبه بقوله سبحانه بقوله تعالى ويستغفرون لتقربه
اي يطلبون محو الذنوب عينا واثرا للذين امنوا اي اوقعوا هذه الحقيقة
فهم يستغفرون لمن مثل حالهم وصفتهم وفي ذلك تنبيه على ان الاشتراك
في الايمان يجب ان يكون ادعى شيء الى النصيحة وابعث على امحاض الشفقة
وان تفاوتت الاجناس وتباعدت الاماكن فانه لا تجانس بين ملك
وانسان ولا بين سماوي وارضي قط ولكن لما جا جامع الايمان جامعة
الايمان التجانس الكلي والتناسب الحقيقي حتى استغفر من حول العرش
لمن فوق الارض قال تعالى ويستغفرون لمن في الارض واستغفارهم
بان يقولوا ربنا اي ايها المحسن الينا بالايمان وغيره فهو معمول لقول مضمر
في محل نصب على الحال من فاعل يستغفرون او خبر بعد خبر وسعت كل شيء
رحمة وعلما اي وسع رحمتك كل شيء وعلمك كل شيء فازيل الكلام عن
اصله بان اسند الفعل الى صاحب الرحمة والعلم واخرجا منصوبين
على التمييز للاغراق في وصفه بالرحمة والعلم كان ذاته رحمة وعلم
واسعتان كل شيء واكثر ما يكون الدعاء بذكر الرب لان الملائكة قالوا
في هذه الاية وقال ادم عليه السلام ربنا ظلمنا انفسنا وقال نوح عليه

السلام

السلام رب اني دعوت قومي وقال رب اغفر لي ولوالدي وقال ابراهيم عليه السلام
رب ارني كيف تحيي الموتى وقال ربنا واجعلنا مسلمين لك وقال يوسف عليه
السلام رب قد اتيتني من الملك وقال موسى عليه السلام رب ارني
انظر اليك وقال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي وقال سليمان عليه
السلام رب اغفر لي وهب لي ملكا وقال عيسى عليه السلام ربنا
انزل علينا مائدة وقال تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم وقل رب اعوذ
بك من همزات الشياطين فان قيل لفظ الله اعظم من لفظ الرب
فلم خص لفظ الدعاء بالرب اجيب بان العبد يقول كنت في العدم
المحض والنفي الصرف فاخرجتني الى الوجود وربيتني فاجعل تربيتك
واحسانك سببا لاجابة دعائي فاغفر للذين تابوا اي رجعوا اليك
عن ذنوبهم برحمتك لهم بان تمحوها عينا واثرا فلا عقاب ولا عتاب
ولا ذكر لها واتبعوا اي كلفوا انفسهم على ما لها من العوج ان لزموا
سبيلك المستقيم الذي لا لبس فيه ولما كان الغفران قد يكون لبعض
الذنوب وكان سبحانه وتعالى له ان يعذب من لا ذنب له وان يعذب من غفر ذنبه
قالوا وقهم عذاب الجحيم اي اجعل بينهم وبينه وقاية بان تلزمهم الاستقامة
وتتم نعمتك عليهم فانك وعدت من كان كذلك بذلك ولا يبدل القول
لديك وان كان يجوز ان تفعل ما تشا فان الخلق عبيدك ولما طلبوا من
الله ازالة العذاب عنهم وكان ذلك لا يستلزم الثواب قالوا مكررين صفة
الاحسان زيادة في الرقة في طلب الامتنان ربنا اي المحسن
الينا وادخلهم جنات عدن اي اقامة التي وعدتهم اي اياها وقولهم
ومن صلح معطوف على هم في وعدتهم وقدموا قولهم من ابائهم على قولهم
وازواجهم وذرياتهم لان الاباء احق الناس بالاجلال وقدموا الازواج
في اللفظ على الذرية لانه اشد التصاقا بالشخص وطلبوا لهم ذلك لان
الانسان لا يتم نعيمه الا باهله قال سعيد بن جبير يدخل المؤمن
الجنة فيقول اين ابي اين ولدي اين زوجتي فيقال له انهم لم يعملوا مثل
عملك فيقول اني كنت اعمل لي ولهم فيقال لهم ادخلوهم الجنة انك
انت اي وحدك العزيز اي فانت تغفر لمن تشاء الحكيم
فكل فعل لك في اتم مواضعه فلا يتهيا نقضه ولا نقصه وقهم السيئات اي
بان تجعل بينهم وبينها وقاية بان تطهرهم من الاخلاق الحاملة عليها فان
قيل هذا مكرر مع قولهم وقهم عذاب الجحيم اجيب بان التفاوت
حاصل من وجهين احدهما ان يكون قولهم وقهم عذاب الجحيم دعاء
مذكورا للاصول وقولهم وقهم السيئات دعاء مذكورا للفروع وهم
الاباء والازواج والذريات ثانيهما ان يكون قولهم وقهم عذاب الجحيم

موقف

مقصورًا على ازالة عذاب الجحيم وقولهم وقهم السيئات يتناول عذاب
الجحيم وعذاب القيمة والسوال والحساب فيكون تعميمًا بعد تخصيص
وهذا اولى وقال بعض المفسرين ان الملائكة طلبوا ازالة عذاب النار
عنهم بقولهم عذاب الجحيم وطلبوا ايصال الثواب اليهم بقولهم وادخلهم
جنات عدن ثم طلبوا بعد ذلك ان يصونهم الله تعالى في الدنيا من العقائد
الفاسدة بقولهم وقهم السيئات وقرا ابو عمرو في الوصل بكسر الميم
والهاء وحمزة والكسائي بضم الهاء والميم والباقون بكسر الهاء وضم الميم
ثم قال الملئكة ومن تق السيئات اي جزاءها كلها يومئذ اي يوم تدخل
فريقا الجنة وفريقا النار المسببة عن السيئات وهو يوم القيمة فقد رحمته
اي الرحمة الكاملة التي لا يستحق غيرها معها ان يسمى رحمة فان تمام النعيم
لا يكون الا بها لزوال التحاسد والتباغض والنجاة من النار باجتناب السيئات
ولذلك قالوا وذلك اي الامر العظيم جدا هو الفوز العظيم اي النعيم الذي
لا ينقطع في جوار ملك لا تصل العقول الى كنه عظمته وجلاله هذا اخر
هذا الاخره عا الملئكة للمومنين قال مطرف انصح عباد الله تعالى للمومنين
الملئكة واغش الخلق للمومنين هم الشياطين ثم انه تعالى بعد ان ذكر
احوال المومنين عاد الى ذكر احوال الكافرين المجادلين في ايات الله
تعالى وهم المذكورون في قوله تعالى ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا
فقال تعالى مستانفا موكدا لانكارهم ايات الله تعالى ان الذين كفروا اي
اوقعوا الكفر ولو لحظة ينادون يوم القيمة وهم في النار وقد مقتوا
انفسهم حين عرض عليهم سيئاتهم وعاينوا العذاب فيقال لهم
لمقت الله اي الملك الاعظم اياكم اكبر والتقدير لمقت الله انفسكم
اكبر من مقتكم انفسكم فاستغنى بذكرها مرة وقوله تعالى اذ تدعون
الى الايمان فتكفرون منصوب بالمقت الاول والمعنى انه يقال لهم
يوم القيامة كان الله تعالى يمقت انفسكم الامارة بالسوء والكفر
حين كانوا يدعونكم الى الايمان فتابون قبوله وتختارون عليه الكفر
اشد مما تمقتونهن اليوم وانتم في النار اذا وقعتم فيها باتباعكم
هواهن وذكروا في تفسير مقتهم انفسهم وجوها اولها انهم اذا
شاهدوا القيامة والجنة والنار مقتوا انفسهم كقوله تعالى فلوموا
انفسكم بسبب اصرارهم على التكذيب بهذه الاشياء في الدنيا
ثانيها ان الاتباع يشتد مقتهم للرؤسا الذين هم يدعونهم الى الكفر
في الدنيا والرؤسا ايضا يشتد مقتهم للاتباع فعبر عن مقت بعضهم
بعضا بانهم مقتوا انفسهم كقوله فاقتلوا انفسكم والمراد قتل بعضهم
بعضا ثالثها قال محمد بن كعب اذا خطبهم ابليس وهو في النار بقوله

ما كان لي عليكم

وما كان لي عليكم من سلطان الى قوله ولوموا انفسكم ففي هذه الحالة مقتوا انفسهم
واما الذين ينادون الكفار بهذا الكلام فهم خزنة جهنم وعن الحسن لما
راوا اعمالهم الخبيثة مقتوا انفسهم فنودوا لمقت الله اكبر وقيل معناه لمقت
الله اياكم الان اكبر من مقت بعضكم لبعض ويلعن بعضكم بعضا واذ تدعون
تعليل والمقت اشد البغض وذلك في حق الله تعالى محال فالمراد منه ابلغ
الانكار والاشارة وعن مجاهد مقتوا انفسهم حين راوا اعمالهم
ومقت الله اياهم في الدنيا اذ يدعون الى الايمان فيكفرون اكبر وقال الفراء
معناه ينادون ان مقت الله يقال ناديت ان زيدا قائم وناديت لزيد قائم
وقرا ابو عمرو وهشام وحمزة والكسائي بادغام الذال في التاء والباقون
بالاظهار ثم انه تعالى بين ان الكفار اذا خوطبوا بهذا الخطاب قالوا ربنا
اي ايها المحسن الينا بما تقدم في دار الدنيا امتنا اثنتين اي اماتتين
واحييتنا اثنتين اي احياءتين قال ابن عباس وقتادة والضحاك
كانوا امواتا في اصلاب ابائهم فاحياهم الله تعالى في الدنيا ثم اماتهم
الموتة التي لا بد منها ثم احياهم للبعث يوم القيمة فهما موتتان وحياتان
وهو كقوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم
ثم يحييكم وقال السدي اميتوا في الدنيا ثم احيوا في قبورهم
ثم احيوا في الاخرة وقيل واحدة عند انقضاء الاجال في الحياة الدنيا
واخرى بالصعق بعد البعث والارقاد بعد سوال القبر ورد بالصعق ليس
بموت وما في القبر ليس بحياة حتى يكون عنه موت وانما هو اقدار على الكلام
كما اقدر سبحانه الحصا على التسبيح والحجر على التسليم والضب على الشهادتين
فاعترفنا بذنوبنا اي بكفرنا بالبعث فهل الى خروج من النار الى الدنيا فنصلح
اعمالنا ونعمل بطاعتك من سبيل اي بطيق طريق ونظيره فهل الى مرد
من سبيل والمعنى انهم لما عرفوا ان الذي كانوا عليه في الدنيا فاسدا
باطلا تمنوا الرجوع الى الدنيا ليشتغلوا بالاعمال الصالحة فان قيل
الفاء في قوله فاعترفنا يقتضي ان تكون الاماتة مرتين والاحياء مرتين سبب
لهذا الاعتراف فما وجه هذه السببية اجيب بانهم كانوا منكرين البعث
فلما شاهدوا هذا الاحياء بعد الاماتة مرتين لم يبق لهم عذر في الاقرار بالبعث
فلا جرم وقع هذا الاقرار كالمسبب عن تلك الاماتة والاحياء ولما كان
الجواب قطعا لا سبيل الى ذلك علله بقوله تعالى ذلكم اي العقاب النافذ
العظيم العالي بتخليدكم في النار مقاساته لكم بانه اي كان بسبب انه
اذا دعي الله اي الملك الاعظم من اي داع وفي اعراب قوله تعالى وحده وجهان
احدهما انه مصدر في موضع الحال وجاز مع كونه معرفة لفظا لكونه في قوة
النكرة كانه قيل منفردا ثانيهما وهو قول يونس انه منصوب

على الظرفية والتقدير دعي على حالة وهو مصدر محذوف الزوايد والتقدير وحد
ايجادا كفرتم بتوحيده وان يشرك به اي يجعل له تعالى شريك تؤمنوا اي
تصدقوا بالاشراك فالحكم اي فتسبب عن القطع بانه لا رجعة وان الكفار ما
ضروا الا انفسهم مع ادعائهم العقول الراجحة ونحو ذلك ان كل حكم لله اي
المحيط بصفات الكمال العلي عن ان يكون له شريك الكبير اي الذي لا يليق
الكبر الا له ولما قصر الحكم عليه دل على ذلك بقوله تعالى هو اي وحده الذي
يريكم اي بالبصر والبصيرة آياته اي علاماته الدالة على تفرده بصفات
الكمال وانه لا يجوز جعل هذه الاحجار المنحوتة والخشب المصور شركاء
لله تعالى في العبودية ومن اياته الدالة على كمال القدرة والعظمة قوله تعالى
وينزل لكم من السماء اي جهة العلو الدالة على قهر ما نزل منها بامساكه
الى حين الحكم بنزوله رزقا اي اسباب رزق كالمطر لاقوام ابدانكم لان
اهم المهمات مصالح الاديان ومصالح الابدان والله تعالى راعي مصالح اديان
العباد باظهار البينات والايات وراعي مصالح ابدانهم بانزال الرزق من السماء
فموقع الايات من الاديان كموقع الارزاق من الابدان وعند حصولهما يحصل
الانعام الكامل وقرا ابن كثير وابو عمرو بسكون النون وتخفيف الزاي
والباقون بفتح النون وتشديد الزاي وما يتذكر ذلك تذكرا نافعا فيتعظ
بهذه الايات الا من ينيب اي يرجع الى الله تعالى في جميع اموره فيعرض
عن غير الله تعالى ويقبل بكليته على الله تعالى ولهذا قال عز من قائل
فادعوا وصرح بالاسم الاعظم فقال تعالى الله اي الذي له صفات الكمال
اي فاعبدوه مخلصين له الدين اي الافعال الذي يقع الجزاء عليها فمن كان
يصدق بالجزاء وبان ربه غنيا لا يقبل الا خالصا اجتهد في تصفية اعماله
فياتي بها في غاية الخلوص عن كل ما يمكن ان يكدر من شائبة شرك جلي
او خفي كما ان معبوده واحد من غير شائبة نقص ولو كره اي الدعاء منكم
الكافرون اي الساترون لانوار عقولهم ولما ذكر تعالى من صفات كبريائه
كونه مظهر الايات ذكر ثلاثة اخرى من صفات الجلال والعظمة وهو قوله
تعالى رفيع الدرجات وهذا يحتمل ان يكون المراد منه الرافع وان يكون المراد
منه المرتفع فان حملناه على الاول ففيه وجوه اولها انه تعالى يرفع درجات
الانبياء والاولياء ثانيها يرفع درجات الخلق في العلوم والاخلاق الفاضلة
فجعل لكل احد من الملائكة درجة معينة كما قال تعالى عنهم
وما منا الا له مقام معلوم وجعل لكل واحد من العلماء درجة معينة
فقال تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات
وعين لكل جسم درجة معينة فجعل بعضها سفلية كدرة وبعضها
فلكية كوكبية وبعضها من جواهر العرش والكرسي وايضا جعل لكل واحد

مرتبة معينة

مرتبة معينة في الخلق والخلق والرزق والاجل فقال تعالى وهو الذي جعلكم
خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات وجعل لكل احد
من السعداء والاشقياء في الدنيا درجة معينة من موجبات السعادة
وموجبات الشقاوة وفي الاخرة تظهر تلك الاثار وان حملنا الرفيع على
المرتفع فهو سبحانه وتعالى ارفع الموجودات في جميع صفات الكمال
والجلال تنبيه في رفيع وجهان احدهما انه مبتدا والخبر ذو العرش
اي الكامل الذي لا عرش في الحقيقة الا هو فهو محيط بجميع الاكوان
ومادة لكل جماد وحيوان وعال بجلاله وعظمته عن كل ما يخطر في الاذهان
وقوله تعالى يلقي الروح اي الوحي سماه روحا لانه تحيى به القلوب
كما تحيى الابدان بالارواح من امره قال ابن عباس اي قضائه وقيل قوله
يجوز ان يكون خبرا ثانيا وان يكون حالا ويجوز ان يكون الثلاثة لمبتدا
محذوف ويجوز ان تكون الثلاثة اخبارا لقوله تعالى هو الذي يريكم
اياته ولما كان امره تعالى غالبا على كل امر اشار الى ذلك باداة الاستعلاء
فقال تعالى على من يشاء اي من يختاره من عباده للنبوة وفي هذا دليل
على انها عطائية قوله تعالى لينذر اي يخوف غاية التخويف والفاعل
هو الله تعالى او الروح او من يشاء او الرسول والمنذر به محذوف تقديره
لينذر العذاب يوم التلاق اي يوم القيمة فان فيه تتلاقى الارواح
والاجساد واهل السماء والارض وقال مقاتل تلتقي الخلق والخا لق
وقال ميمون بن مهران يلتقي الظالم والمظلوم وقيل يلتقي
العابدون والمعبودون وقيل يلتقي فيه المرء مع عمله والاولى ان
تفسر الاية بما يشمل الجميع يوم هم بارزون اي خارجون من قبورهم
وقيل ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل او شجر او تلال او غير ذلك وقيل
بارزون كناية عن ظهور حالهم وانكشاف اسرارهم كما قال
تعالى يوم تبلى السرائر والاولى ايضا ان تفسر الاية بما يشمل
الجميع كما قال تعالى لا يخفى على الله اي المحيط علما وقدرة منهم اي
من اعمالهم واحوالهم شيء وان دق وخفي ويقول الله تعالى
في ذلك اليوم بعد فناء الخلق لمن الملك اليوم اي يا من كانوا يعملون
اعمال من يظن انه لا يقدر عليه احد فلا يجيبه احد فيجيب نفسه
فيقول لله اي الذي جميع صفات الكمال ثم دل على ذلك بقوله
تعالى الواحد اي الذي لا يمكن ان يكون له ثان يشركه ولا قسمة
ولا غيرها القهار اي الذي قهر الخلق بالموت وقيل يجيبونه بلسان
الحال او المقال فيقولون ذلك وقال الرازي لا يبعد ان يكون
السائل والمجيب هو الله تعالى ولا يبعد ايضا ان يكون السائل

جمع من الملئكة والمحب جمع احزون وليس على التعيين فان قيل الله تعالى
لا يخفى عليه منهم شي في جميع الايام فما معنى تقييد هذا العلم بذلك
اليوم اجيب بانهم كانوا يتوهمون في الدنيا انهم اذا استتروا
بالحيطان والحجب ان الله لا يراهم ويخفى عليه اعمالهم فهم في ذلك اليوم
صايرون من البروز والانكشاف الى حال لا يتوهمون فيها مثل ما
يتوهمون في الدنيا كما قال تعالى ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما
تعملون وقال تعالى يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو
معهم وهو معنى قوله وبرزوا لله الواحد القهار ولما اخبر تعالى عن اذعان
كل نفس بانقطاع الاسباب اخبرهم بما يزيد رعبهم ويبعث رغبتهم
وهو نتيجة تفرده بالملك فقال تعالى **اليوم تجزى** اي تقضى وتكافا
كل نفس اي بسبب ما **بما كسبت** اي عملت لا تترك نفس واحدة
لان العلم قد شملهم والقدرة احاطت بهم وعمتهم والحكمة قد منعت
من اهمال احد منهم فيجزي المحسن باحسانه والمسي باساته **لا ظلم
اليوم** اي بوجه من الوجوه **ان الله** اي التام القدرة الشامل العلم
سريع الحساب اي بليغ السرعة فيه لا يشغله حساب احد عن حساب
غيره في وقت حساب ذلك الغير ولا يشغله شان عن شان لانه لا يحتاج
الى تكلف عد ولا يفتقر الى مراجعة كتاب ولا شي فكان في ذلك
ترجيه وتخويف الفريقين لان المومن يرجو اسراع البسط بالثواب
والظالم يخشى اسراع الاخذ بالعذاب وعن ابن عباس اذا اخذ في
حسابهم لم يقل اهل الجنة الا فيها ولا اهل النار الا فيها ثم نبه تعالى
بقوله سبحانه **وانذرهم يوم الازفة** اي يوم القيمة على ان يوم القيمة
قريب ونظيره قوله تعالى اقتربت الساعة قال الزجاج انما قيل
لها ازفة لانها قريبة وان استبعد الناس مداها لان ما هو كاين
قريب والازفة فاعلة من ازف الامر اذا دنا وحضر كقوله تعالى في صفة
القيامة ازفت الازفة اي قربت قال النابغة
ازف الترحل غير ان ركابنا • لما تزل برحالنا وكان قد •
وقال كعب بن زهير •
بان الشباب وهذا الشيب قد ازفا • ولا ارى لشباب بائن خلفا
تنبيه الازفة نعت لمحذوف مونث كيوم القيامة الازفة
او يوم المجازاة الازفة قال القفال واسما القيامة تجري على
التانيث كالطامة والحاقة كانها مرجع معناها على الداهية ويوم
القيامة له اسما كثيرة تدل على اهواله باعتبار مواقفه واحواله
منها يوم البعث وهو ظاهر ومنها يوم التلاق لما مر ومنها يوم

التغابن

التغابن لغبن اكثر من فيه وحسراته وقيل المراد بيوم الازفة مشارفتهم دخول
النار فان عند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارها من شدة الخوف وقال ابو
مسلم هو يوم حضور الاجل لان يوم الموت بالقرب اولى من وصف يوم القيمة
بالقرب ولما ذكر اليوم هول امره مما يحصل فيه من المشاق بقوله تعالى **اذ
القلوب** اي من كل من حضره ترتفع **لدى** اي عند **الحناجر** اي حناجر
المجموعين فيه وهي جمع حنجور وهو الحلقوم بمعنى انها زالت عن اماكنها
صاعدة من كثرة الرعب حتى كادت تخرج ثم استد اليها ما يستند
اليها للعقلا فقال تعالى **كاظمين** اي ممتليين خوفا ورعبا وحزنا مكروبين
قد استدت مجاري انفاسهم واخذ بجميع احساسهم ولما كان من
المعهود ان الصداقات تنفع في مثل ذلك والشفاعات قال تعالى ذلك مستانفا
ما للظالمين اي العريقين في الظلم **من حميم** اي قريب صادق في وده
مهتم بامورهم مزيل لكروبهم **ولا شفيع يطاع** فيشفع لهم تنبيه احتج
المعتزلة بهذه الاية على نفي الشفاعة عن المذنبين فقالوا نفى حصول
شفيع لهم يطاع يوجب ان لا يحصل لهم هذا الشفيع واجيبوا بوجوه
اولها انه تعالى نفى ان يحصل لهم شفيع يطاع وهذا لا يدل على نفي الشفيع
كقولك ما عندي كتاب يباع ولا يقتضي نفي الكتاب فهذا ينفي
ان لهم شفيعا يطيعه الله تعالى ما من شفيع الا من بعد اذنه ثانيها ان
ان المراد بالظالمين في هذه الاية ههنا الكفار لانها وردت في زجر الكفار
قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم ثالثها ان لفظ الظالمين اما ان
يفيد الاستغراق او لا فان كان المراد جميعهم فيدخل فيه الكفار وعندنا
انه ليس لهذا الجميع شفيعا لان بعضهم كفار وليس لهم شفيع فحينئذ
لا يكون لهذا الجميع شفيع وان لم يفد الاستغراق كان المراد من الظالمين بعض
الموصوفين بهذه الصفة وعندنا ان الموصوفين بهذه الصفة ليس لهم شفيع
ولما امر الله تعالى بانذار يوم الازفة وما يعرض فيه من شدة الكرب والغم
وان الظالم لا يجد من يحميه ولا يشفع له ذكر اطلاعه على جميع ما يصدر
من الخلق سرا وجهرا فقال تعالى **يعلم خائنة الاعين** اي خيانتها التي
هي اخفى ما يقع من افعال الظاهر جعل الخيانة خائنة مبالغة في الوصف
وهو الاشارة بالعين قال ابو حيان من كسر عين وغمز ونظر
يفهم ما يراد ولما ذكر اخفى افعال الظاهر اتبعه اخفى ما في الباطن قال
تعالى **وما تخفي الصدور** اي القلوب فعلم من ذلك ان الله تعالى عالم بجميع
افعالهم لان الافعال على قسمين افعال الجوارح وافعال القلوب
فاما افعال الجوارح فاخفاها خائنة الاعين والله تعالى عالم بها فكيف
الحال في سائر الاعمال واما افعال القلوب فهي معلومة لله تعالى

بين

يتم

لقوله عز من قائل وما تخفي الصدور وقوله تعالى والله اي المتصف بجميع صفات
الكمال يقضي بالحق اي الثابت الذي لا ينفي يوجب عظيم الخوف لان الحاكم
اذا كان عالما بجميع الاحوال وثبت انه لا يقضي الا بالحق في كل مادة وجل
كان خوف المذنب منه في الغاية القصوى ولما عول الكفار في دفع العقاب
عن انفسهم على شفاعة هذه الاصنام بين الله تعالى انه لا فائدة فيها البتة
فقال تعالى والذين يدعون اي يعبدون من دونه وهم الاصنام لا
يقضون بشيء من الاشيا اصلا فكيف يكونوا شركا لله وقرا نافع وهشام
بتا الخطاب للمشركين والباقون بيا الغيبة اخبارا عنهم بذلك ولما اخبر تدعون
تعالى انهم انه لا فعل لشركايهم وان الامر له وحده قال تعالى موكدا
لاجل ان افعالهم تقتضي انكار ذلك ان الله اي المنفرد بصفات الكمال
هو اي وحده السميع اي لجميع اقوالهم البصير اي بجميع افعالهم
نفي ذلك تقرير لعلمه بخائنة الاعين وقضايه بالحق ووعيد لهم على
ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون من دونه فثبت ان
الامر له وحده فما تنفعهم شفاعة الشافعين ولا يقبل فيهم من احد شفاعة
بعد الشفاعة العامة التي هي خاصة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم
وهي المقام المحمود الذي يغبطه به الاولون والاخرون فان كل احد يحيد
عنها حتى يصل الامر اليه صلى الله عليه وسلم فيقول انا لها انا لها فيذهب
الى المكان الذي اذن له فيه فيستشفع فيشفعه الله تعالى فيفصل سبحانه
وتعالى بين الخلائق ليذهب كل احد الى داره جنته او ناره
ولما اوعدهم سبحانه بصادق الاخبار عن قوم نوح ومن تبعهم من الكفار
وختمه بالانذار بما يقع في دار القرار للظالمين اخبر اثر انبعه الوعظ
والتخويف بالمشاهدة من تتبع الديار والاعتبار بما كان لهم فيها من
من عجايب الاثار فقال تعالى اولم يسيروا في الارض اي في اي ارض ساروا فيها
فينظروا اي نظر اعتبار كما هو شان اهل البصاير كيف كان عاقبة اي اخر
امر الذين كانوا اي سكانا للارض اي عريقين في عمارتها من قبلهم اي قبل زمانهم
من الكفار كعاد وثمود كانوا هم اي المتقدمون لما لهم من القوة الظاهرة
والباطنة اشد منهم اي من هولاء قوة اي ذواتا ومعاني وانما جي بالفصل
وحقه ان يقع بين معرفتين لمضارعة افعل من للمعرفة في امتناع دخول
اللام عليه وقرا ابن عامر منكم بكاف والباقون بيا الغيبة واشد اثارا في الارض
لان اثارهم لم يندرس بعضها الى هذا الزمان وقد مضى عليه الوف من السنين
واما المتاخرون فتنطمس اثارهم في اقل من قرن ومع قوتهم فاخذهم الله اي
الذي له صفات الكمال اخذ غلبة وقهر وسطوة بذنوبهم اي بسببها
وما كان لهم اي من شركايهم الذين ضلوا بهم كهولاء ومن غيرهم

من الله اي المتصف بصفات الكمال من واق اي يقيهم عذابه والمعنى ان العاقل
من اعتبر بغيره وان الذين مضوا من الكفار كانوا اشد قوة من هولاء ولما كذبوا
رسلهم اهلكهم الله تعالى عاجلا وقرا ابن كثير في الوقف بالياء بعد القاف
والباقون بغير ياء واتفقوا على التنوين في الوصل ثم ذكر تعالى سبب اخذهم
بقوله تعالى ذلك اي الاخذ العظيم بانهم اي الذين كانوا من قبل كانت تاتيهم
رسلهم بالبينات اي الايات الدالة على صدقهم دلالة هي من وضوح الامر
بحيث لا يسع منصفا انكارها وقرا ابو عمرو بسكون السين والباقون بضمها
ولما كان مطلق الكفر كافيا في العذاب عبر بالماضي فقال تعالى فكفروا اي
سببوا عن اتيان الرسل عليهم السلام الكفر فاخذهم الله اي الملك الاعظم
اخذ غضب انه قوي اي متمكن مما يريد غاية التمكن شديد العقاب
لا يوبه بعقاب دون عقابه ولما سلى تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم
بذكر الكفار الذين كذبوا الانبيا عليهم السلام قبله وبمشاهدة اثارهم
سلاه ايضا بذكر قصة موسى عليه السلام المذكورة في قوله تعالى ولقد
ارسلنا اي على ما لنا من العظمة موسى باياتنا اي الدالة على جلالنا
وسلطان اي امر قاهر عظيم جدا لا حيلة لهم في مدافعة شيء منه
مبين اي بين في نفسه مناد لكل من يمكن اطلاعه عليه انه ظاهر
وذلك الامر هو الذي كان يمنع فرعون من الوصول الى اذاه مع ما له من
القوة والسلطان الى فرعون اي ملك مصر وهامان اي وزيره
وقارون اي قريب موسى فقالوا اي هولاء ومن معهم هو ساحر
لعجزهم عن مقاهرته اما من عدا قارون فاولا واخرا بالقوة والفعل
واما قارون ففعله اخرا بين انه مطبوع على الكفر وان امن اولا وان هذا
كان قوله وان لم يقله بالفعل في ذلك الزمان فقد قاله في النية فدل ذلك
على انه لم يزل قابلا به لانه لم يتب منه ثم وصفوه بقولهم كذاب
لخوفهم من تصديق الناس له فلما جاءهم بالحق اي بالامر الثابت الذي لا طاقة
لاحد بتغيير شيء منه كاينا من عندنا على ما لنا من القهر فامن معه طايفة
من قومه قالوا اي فرعون واتباعه اقتلوا اي قتلا حقيقيا بازالة
الروح ابنا الذين امنوا اي به فكانوا معه اي خصوصهم بذلك واتركوا
من عداهم فلعلهم يكذبونه واستحيوا نساءهم اي اطلبوا حياتهن بان
لا تقتلوهن قال قتادة هذا غير القتل الاول لان فرعون كان
امسك عن قتل الولدان فلما بعث موسى اعاد القتل عليهم فمعناه
اعيد عليهم القتل ليلا ينشؤا على دين موسى فيقوى بهم وهذه العلة
مختصة بهم بالبنين فلهذا امر بقتل الابنا واستحيا نساءهم وما
اي والحال انه ما كيد الكافرين تعميما وتعليقا بالوصف الا في ضلال

اي مجانبة للسداد الموصل الى الظفر والفوز لانه ما افادهم اولا في الحذر من موسى
عليه السلام ولا اخرا في صد من امن به مرادهم بل كان فيه تبارهم وهلاكهم
وكذا افعال الفجرة مع اوليائه ما حفر احد منهم لاحد حفرة منهم حفرة
الا اركسه الله فيها وقال فرعون اي اعظم الكفرة في ذلك
الوقت لرؤساء اتباعه عند ما علم انه عاجز عن قتله وملاه ما راى منه
خوفا دافعا عن نفسه ما يقال من انه ما ترك موسى عليه السلام مع استهانته
به الا عجزا عنه موهما ان آلهتهم الذين يردونه عنه وانه لولا ذلك
لقتله ذروني اي اتركوني على اي حالة كانت اقتل موسى وزاد في ايهام
الاغبياء والمناداة على نفسه عند البصراء بقوله وليدع ربه اي الذي
يدعوه ويدعي احسانه اليه بما يظهر على يديه من الخوارق وقيل
كان في خاصة قوم فرعون من يمنعه من قتل موسى وفي منعه من قتله وجوه
اولها لعله من كان فيهم يعتقد بقلبه كون موسى صادقا فيتحيل في منع فرعون
من قتله وثانيها قال الحسن ان اصحابه قالوا له لا تقتله فانما هو ساحر
ضعيف ولا يمكن ان يغلب سحرنا فان قتلته ادخلت الشبهة على الناس ويقولوا
انه كان محقا وعجزوا عن جوابه فقتلوه وثالثها انهم كانوا يحتالون في منعه
من قتله لاجل ان يبقى فرعون مشغول القلب بموسى فلا يتفرغ لتاديب اولئك
الاقوام لان من شان الامراء ان يشغلوا قلب ملكهم بخصم خارجي حتى يكونوا
امنين من قلب ذلك الملك وقرا ابن كثير بفتح الياء والباقون بالسكون
ثم ذكر فرعون السبب الموجب لقتل موسى وهو اما فساد الدين او فساد
الدنيا فقال اني اخاف اي ان تركته ان يبدل دينكم او ان يظهر في الارض الفساد
اي لا بد من وقوع احد الامرين اما فساد الدين او فساد الدنيا اما فساد
الدين فلان القوم اعتقدوا ان الدين الصحيح هو دينهم الذين كانوا عليه فلما
كان موسى ساعيا في افساده اعتقدوا انه ساع في افساد الدين الحق واما
فساد الدنيا فهو ان يجتمع عليه قوم ويصير ذلك سببا لوقوع الخصومات
واثارة الفتن وبدا فرعون بذكر الدين اولا لان حب الناس لاديانهم فوق حبهم لاموالهم
ولما توعد فرعون موسى عليه السلام بالقتل لم يات في دفع شره الا ان
استعاذ بالله واعتمد على فضله كما قال تعالى وقال موسى اني عذت اي
اعتصمت عند ابتداء الرسالة بقوله بربي ورغبهم في الاعتصام
بروثيتهم بقوله وربكم اي المحسن الينا اجمعين وارسلني لاستنقاذكم
من اعداء الدين والدنيا من كل متكبر اي عات طاغ متعظم على الحق هذا وغيره
لا يؤمن اي لا يجدد له تصديق بيوم الحساب من ربه له وهو يعلم انه لا بد
من حسابه هو لمن تحت يده من رعاياه وعبيده فيحكم على ربه بما لا يحكم به على نفسه
وبهذين الامرين يقدح الانسان على اتقاء الناس لان المتكبر القاسي القلب يحمله طبعه

على

على ايذاء الناس لانه اذا كان مقرا بالبعث والحساب صار خوفه من الحساب
مانعا له عن الجري على موجب تكبره فاذا لم يحصل له البعث والقيامة كان طبعه
داعيا له الى الايذاء لان المانع وهو الخوف من السؤال والحساب زائل فلا جرم تعظم القسوة
والايذاء واختلف في الرجل المؤمن في قوله تعالى وقال رجل مؤمن اي راسخ الايمان
من ال فرعون اي من وجوههم ورؤسائهم يكتم ايمانه اي يخفيه اخفاء
شديدا خوفا على نفسه فقال مقاتل والسدي كان قبطيا ابن عم فرعون
وهو الذي حكى الله تعالى عنه وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى وقيل كان اسرائيليا
وعن ابن عباس لم يكن في ال فرعون مؤمن غيره وغير امراة فرعون وغير المؤمن الذي انذر
موسى عليه السلام وغير الذي انذر موسى عليه السلام الذي قال ان الملا يأتمرون • المؤمن
بك ليقتلوك وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الصديقون حبيب
النجار مؤمن ال يس ومؤمن ال فرعون الذي قال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله
والثالث ابو بكر الصديق وهو افضلهم وعن جعفر بن محمد ان مؤمن ال فرعون
قال ذلك سرا وقال ابو بكر جهارا اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وروي عن
عروة بن الزبير قال قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص اخبرني باشد ما صنعه
المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاء رسول الله صلى الله
عليه وسلم بفناء الكعبة اذ اقبل عقبة بن ابي معيط فاخذ بمنكب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا وقال
له انت الذي تنهانا عما كان يعبد اباؤنا قال انا ذاك فاقبل ابو بكر فاخذ
بمنكبه ودفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اتقتلون رجلا
ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم فكان ابو بكر اشد من ذلك
وعن انس بن مالك قال قد ضربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى غشي عليه
فقام ابو بكر فجعل ينادي ويلكم اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله قالوا من
هذا قال هذا ابن ابي قحافة قال ابن عباس واكثر العلماء كان اسم الرجل
حزبيل وقال ابن اسحق جبريل وقيل حبيب ولما حكى الله تعالى عن موسى
عليه السلام انه ما زاد في دفع فرعون وشره على الاستعاذة بالله تعالى
بين انه تعالى قيض له انسانا اجنبيا حتى ذب عنه باحسن الوجوه وبالغ في
تسكين تلك الفتنة فقال اتقتلون رجلا اي هو عظيم في الرجال حسبا
ومعنى ثم علل قتلهم له بما ينافيه فقال ان اي لاجل ان يقول ولو على
سبيل التكرار ربي اي المربي والمحسن الي الله اي الجامع لصفات الكمال
وقد اي والحال انه قد جاءكم بالبينات اي الايات الظاهرات من غير لبس
من ربكم اي الذي لا احسان عندكم الا منه ثم ذكر ذلك المؤمن حجة ثانية
على ان الاقدام على قتله غير جائز وهي حجة مذكورة على طريق التقسيم فقال
وان يك اي هذا الرجل كاذبا فعليه اي خاصة كذبه اي كان وبال

كذبه عايدا عليه ولعب طليكم منه ضرر فاتركوه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم
اي العذاب عاجلا ولم تصدقوا فيه ولا ينفعكم شيأ فان قيل لم قال بعض الذي
يعدكم وهو نبي صادق لا بد لما يعدهم ان يصيبهم كله اجيب بانه انما قال ذلك
ليهضم موسى بعض حقه في ظاهر الكلام فيريهم انه ليس بكلام من
اعطاه حقه وافيا فضلا عن ان يتعصب له وهذا اولى من قول ابي عبيدة
وغيره ان بعض بمعنى كل وانشد قول لبيد

ترّاك امكنة اذا لم ارضها ۞ او يرتبط بعض النفوس حمامها ۞

وانشدوا ايضا قول عمرو بن سهم

قد يدرك المتاني بعض حاجته ۞ وقد يكون مع المستعجل الزلل ۞

وقول الاخر

ان الامور اذا الاحداث دبرها ۞ دون الشيوخ ترى في بعضها خللا ۞

وقوله ان الله اي الذي له مجامع العظمة لا يهدي اي الى ارتكاب ما ينفع
واجتناب ما يضر من هو مسرف اي باظهار الفساد وبتجاوز الحدود
كذاب فيه احتمالان احدهما ان هذا اشارة الى الرمز والتعريض
بعلو شان موسى عليه السلام والمعنى ان الله تعالى هدى موسى الى الاتيان
بالمعجزات الباهرة ومن هداه الى الاتيان بالمعجزات لا يكون مسرفا كذابا
فدل على ان موسى ليس من المسرفين الكذابين ثانيهما ان يكون المراد ان فرعون
مسرف في عزمه على قتل موسى كذاب في ادعائه الالهية والله تعالى
لا يهدي من هذا شانه وصفته بل يبطله ويهدم امره ولما استدل مؤمن
ال فرعون على انه لا يجوز قتل موسى خوف فرعون وقومه هذا العذاب
الذي توعدهم به في قوله يصبكم بعض الذي يعدكم فقال يا قوم وعبر
باسلوب الخطاب دون التكلم تصريحا بالمقصود فقال لكم الملك
ونبه على ما يعرفونه من تقلبات الدهر بقوله اليوم واشار الى ما عهدوه
من الخذلان في بعض الازمان بقوله ظاهرين اي عالين على بني اسرائيل
وغيرهم وما زال اهل البلا يتوقعون الرخا واهل الرخا يتوقعون البلا
ونبه بقوله في الارض اي ارض مصر على الاحتياج ترهيبا لهم وعرفها
لانها كالارض كلها لحسنها وجمعها المنافع ثم حذرهم من سخط الله تعالى
فقال فمن ينصرنا اي انا وانتم ادرج نفسه فيهم عند ذكر الشر بعد
افراده لهم بالملك ابعادا للتهمة او حثا على قبول النصيحة من باس الله
اي الذي له الملك كله ان جاءنا اي غضبا لهذا الذي يدعي
انه ارسله فلا تفسدوا امركم ولا تتعرضوا لباس الله تعالى بقتله فانه
ان جاءنا لم يمنعنا منه احد ولما قال المومن هذا الكلام قال
فرعون اي لقومه جوابا لما قاله هذا المومن ما اريكم اي من الاراء

الا ما ارى اي انه صواب على قدر مبلغ علمي ولا ارى لكم الا ما ارى لنفسي
وقال الضحاك ما اعلمكم الا ما اعلم وما اهديكم اي بما اشرت به من
قتل موسى وغيره الا سبيل الرشاد اي الذي ارى انه صواب لا اظهر شيأ
وابطن غيره ولما ظهر لهذا المومن ان فرعون ذل لكلامه ارتقى الى الافصاح
من الاسلوب الاول كما اخبرنا الله تعالى بقوله وقال الذي امن اي بعد قول
فرعون هذا الكلام الذي دل على عجزه وجهله وذله يا قوم واكد
لما راى عندهم من انكار امره وخاف منهم من اتهامه فقال اني اخاف عليكم
اي من المكابرة في امر موسى عليه السلام مثل يوم الاحزاب اي ايام
الامم الماضية يعني وقايعهم وجمع الاحزاب مع التفسير اغنى
عن جمع اليوم مع ان افراده اردع واقوى في التخويف واقطع للاشارة
الى قوة الله تعالى وانه قادر على اهلاكهم في اقل زمان ولما اجمل فصل
وبين ذلك وابدل بعد ان هول بقوله مثل داب اي عادة قوم نوح اي
فيما دهمهم من الهلاك الذي محقهم فلم يطيقوه مع ما كان فيهم من
قوة المجادلة والمقاومة لما يريدونه وعاد وثمود ما بلغكم من
خبرهم تنبيه لا بد من حذف مضاف يريد مثل جزاء دابهم ولما كان هؤلاء
اقوى الامم اكتفى بهم واجمل من بعدهم فقال والذين من بعدهم اي بالقرب
من زمانهم كقوم لوط وما الله اي الذي له الاحاطة باوصاف الكمال
يريد ظلما للعباد اي لا يهلكهم الا بعد اقامة الحجة عليهم ولا يهلكهم
بغير ذنب ولا يخلي الظالم منهم بغير انتقام وهو ابلغ من قوله تعالى
وما ربك بظلام للعبيد من حيث ان المنفي فيه حدوث تعلق ارادته
بالظلم ولما اشرف من افاق هذا الوعظ شمس البعث ونور الحشر
قال ويا قوم اني اخاف عليكم وقوله يوم التناد اجمع المفسرون انه
يوم القيمة وفي تسميته بهذا الاسم وجوه اولها ان اصحاب النار
ينادون اصحاب الجنة واصحاب الجنة ينادون اصحاب النار كما حكى الله
تعالى عنهم ثانيها قال الزجاج هو قوله تعالى يوم ندعو كل اناس
بامامهم ثالثها ينادي بعض الظالمين بعضا بالويل والثبور فيقولون
يا ويلنا رابعها ينادون الى المحشر خامسها ينادي المومن هاؤم اقرؤا
كتابيه سادسها ينادي باللعنة على الظالمين سابعها يجاء بالموت
على صورة كبش املح ثم يذبح بين الجنة والنار ثم ينادي يا اهل
الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت ثامنها ينادى باهل الشقا
والسعادة الا ان فلان بن فلان سعد سعادة لا يشقى بعدها ابدا
وفلان بن فلان شقي شقاوة لا يسعد بعدها ابدا وهذه الامور كلها
تجتمع في هذا اليوم فلا بعد في تسميته بها كلها ولما كان عادة المنادين

الاقبال وصف ذلك اليوم بضد ذلك لشدة الاهوال فقال تعالى مبدلا
او مبينا يوم تولون عن الموقف مدبرين قال الضحاك اذا سمعوا زفير
النار ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا الملئكة صفوفا
فيرجعون الى مكانهم فذلك قوله تعالى والملك على ارجائها وقوله تعالى
يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات
والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان وقال مجاهد فارين
عن النار غير معجزين وقيل منصرفين عن الموقف الى النار ثم اكد التهديد
بقوله تعالى ما لكم من الله اي الملك الجبار الذي لا يذل من عاصم اي من
فيه يحميكم وينصركم ويمنعكم من عذابه ثم نبه على قوة ضلالهم
وشدة جهالتهم فقال تعالى ومن يضلل الله اي الملك المحيط بكل شيء
فما له من هاد اي الى شيء ينفعه بوجه من الوجوه تنبيه في قراءة هاد
ما تقدم في قوله من واق ولما قال لهم مؤمن آل فرعون ومن يضلل
الله فما له من هاد ذكر لهم مثلا بقوله تعالى فما له من هاد اي جاء اباكم
يا معشر القبط ولكن غير بذلك دلالة على انهم على مذهب الآباء
كما جرت به العادة من التقليد ومن انهم على طباعهم لا سيما ان
كانوا لم يفارقوا مساكنهم ولقد جاءكم اي بني الله بن نبي الله يعقوب
ابن نبي الله اسحق بن خليل الله ابراهيم عليهم السلام يوسف
اي قبل من موسى عليه السلام بالبينات اي الآيات الظاهرات
ولا سيما في امر يوم التناد فما زلتم اي ما برحتم انتم تبعا لآبائكم
في شك اي محيط بكم لم تصلوا الى رتبة الظن مما جاءكم من التوحيد
قال ابن عباس من عبادة الله وحده لا شريك له فلم تنتفعوا
البتة بتلك البينات ودل على تمادي شككم بقوله تعالى مما جاءكم به
فهو غاية فما زلتم في شك حتى هلك قلتم لن يبعث الله اي الذي له
صفات الكمال من بعده اي يوسف عليه السلام رسولا اي
فتنتم على كفركم وظننتم ان الله لا يجدد عليكم الحجة وهذا ليس
اقرارا منهم برسالته بل هو ضم منهم الى الشك في رسالته التكذيب
برسالة من بعده وقوله تعالى كذلك خبر مبتدا مضمر اي الامر كذلك
او مثل هذا الضلال يضل الله اي بما له من صفات القهر من هو مسرف اي
مشرك متعال في الامور خارج عن الحدود مرتاب اي شاك فيما
تشهد به البينات بغلبة الوهم والانهماك في التقليد ثم بين تعالى
ما لاجله يقول في الشك والاسراف فقال سبحانه الذين يجادلون وهو
مبتدا اي يخاصمون خصاما شديدا في آيات الله اي المحيط باوصاف
الكمال لا سيما الآيات الدالة على يوم التناد فانها اظهر الآيات على

اي بني الله بن نبي الله يعقوب بن نبي الله اسحاق بن خليل الله وعلى ابراهيم عليهم وعلى نبينا محمد الصلاة والسلام

من التوحيد قال ابن عباس من عبادة الله [illegible]

وجوده

وجوده سبحانه وعلى ما هو عليه من الصفات والافعال وما يجوز عليه او
يستحيل بغير سلطان اي برهان اتاهم وقوله تعالى كبر اي جدالهم مقتا
خبر المبتدا ويجوز في الذين اوجه ايضا منها انه بدل من قوله تعالى من
هو مسرف وانما جمع اعتبارا بمعنى من ومنها ان يكون بيانا له ومنها ان يكون
صفة له وجمع على معنى من ايضا ومنها ان ينصب باضمار اعني وقال
الزجاج قوله الذين يجادلون تفسير المسرف المرتاب يعني هم الذين يجادلون
في آيات الله اي في ابطالها بالتكذيب بغير سلطان اتاهم كبر مقتا عند الله اي
الملك الاعظم وكبر مقتا ايضا عند الذين آمنوا اي الذين هم خاصته ودلت
الآية على انه يجوز وصفه تعالى بانه مقت بعض عباده الا انها صفة
واجبة التأويل في حق الله تعالى كالغضب والحياء والعجب وقوله تعالى
كذلك اي مثل هذا الطبع العظيم يطبع الله اي الذي له جميع العظمة
يدل على ان الكل من عند الله كما هو مذهب اهل السنة على كل قلب
متكبر اي متكلف ما ليس له وليس لاحد غير الله جبار اي ظاهر
الكبر قوية قهار وقال مقاتل الفرق بين المتكبر والجبار ان المتكبر عن
قبول التوحيد والجبار في غير حق قال الرازي كما ان السعادة في امرين
التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله فعلى قول مقاتل المتكبر كالمضاد
للتعظيم لامر الله والجبار كالمضاد للشفقة على خلق الله وقرأ ابو عمرو وابن ذكوان
بتنوين الباء الموحدة على وصف القلب بالتكبر والتجبر لانه منبعهما كقولهم
رأت عيني وسمعت اذني او على حذف مضاف اي على كل ذي قلب متكبر
جبار فهي حينئذ مساوية لقراءة الباقين بغير تنوين ثم ان فرعون عليه
اللعنة اعرض عن جواب المؤمن لانه لم يجد فيه مطعنا وقال فرعون يا هامان
وهو وزيره ابن وعرفه بشدة اهتمامه بالاضافة اليه بقوله لي
صرحا اي بناء مكشوفا عاليا لا يخفى على الناظر وان بعد من صرح
الشيء اذا ظهر لعلي ابلغ الاسباب اي التي لا اسباب غيرها لعظمها
وتعليله بالترجي الذي لا يكون الا في الممكن دليل على انه كان يلبس على
قومه وهو يعرف الحق فان عاقلا لا يعد ما رامه في عداد الممكن العادي
ولما كان بلوغها امرا عظيما اورده على نمط مشوق اليه ليعطيه السامع
حقه من الاهتمام تفخيما لشانها ليتشوق السامع الى بيانها بقوله
اسباب السموات اي الامور الموصلة اليها وكل ما اداك الى شيء فهو
سبب اليه وقرأ الكوفيون بسكون الياء والباقون بالفتح وقرأ فاطلع
حفص بنصب العين وفيه ثلاثة اوجه احدها انه جواب الامر في قوله
ابن فنصب بان مضمرة بعد الفاء في جوابه على قاعدة البصريين كقوله
يا ناق سيري عنقا فسيحا * الى سليمان فنستريحا *

له

وهذا اوفق لمذهب البصريين ثانيها قال انه منصوب على التوهم لان خبر لعل
جاء مقرونا بان كثيرا في النظم وقليلا في النثر فمن نصب توهم ان الفعل
المرفوع الواقع خبرا منصوب والعطف على التوهم كثير وان كان لا ينقاس انتهى
ثالثها على جواب الترجي في لعلي وهو مذهب كوفي والى هذا نحا الزمخشري
وتبعه البيضاوي قال الاول تشبيها للترجي بالتمني والباقون بالرفع عطفا
على ابلغ اي فلعله يتسبب عن ذلك ويعقبه ان يتكلف الطلوع **الى اله**
موسى ولعله اراد ان يبني له صرحا في موضع عال يرصد فيه احوال الكواكب
التي هي اسباب سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى هل فيها ما يدل
على ارسال الله تعالى اياه او ان يرى فساد قول موسى فان اخباره من اله
السما يتوقف على اطلاعه ووصوله اليه وذلك لا يتاتى الا بالصعود الى
السماء وهو مما لا يقوى عليه الانسان وذلك لجهله بالله تعالى وكيفية
استنبائه **واني لاظنه** اي كاذبا موسى **كاذبا** في دعوى الرسالة وفي ان
له الها غيري قال فرعون ذلك تمويها **وكذلك** اي ومثل ذلك التزيين
العظيم الشان **زين** اي زين المزين النافذ الامر وهو الله تعالى حقيقة
بخلقه والزامه لان كل ما دخل في الوجود من المحدثات فهو خلقه والشيطان
مجازا بالتسبب بالوسوسة التي هي بخلق الله تعالى **لفرعون سوء عمله** في
في جميع امره فاقبل عليه راغبا فيه مع بعده عن عقل اقل ذوي العقول
فضلا عن ذوي الهمم منهم فضلا عن الملوك والطاعة فيه قومه
وقرا غير الكوفيين **وصد** اي بفتح الصاد اي بنفسه ومنع غيره وقرا الكوفيون
غير الكوفيين الكوفيون بضمها اي منعه الله تعالى **عن السبيل** اي طريق
الهدى وهي الموصلة الى الله تعالى **وما كيد فرعون** اي في ابطال ما جاء به
موسى **الا في تباب** اي خسار وهلاك عظيم محيط به لا يقدر على
الخروج منه ولما كان فساد ما قال فرعون اظهر ما كان يحتاج الى بيان
اعرض المومن عنهم **وقال الذي امن** اي مشيرا الى وهي قول فرعون بالاعراض
عنه بقوله **يا قوم** اي يا من لا قيام لي الا بهم وانا عز منهم في نصحهم
اتبعوني اي كلفوا انفسكم اتباعي لان السعادة غالبا تكون فيما يكره
الانسان **اهدكم سبيل** اي طريق **الرشاد** اي الهدى لا ندم معه
لانقطاعه موصل ولا بد الى المقصود واما ما قال فرعون مدعيا انه سبيل الرشاد
لا يوصل الا الى النار فهو تعريض به شبيه بالتصريح به وفي هذا اشارة
الى انه ينبغي لاديب اهل الايمان ان لا يخلي نفسه عن الوعظ لغيره
وقرا ابن كثير باثبات الياء بعد النون وقفا ووصلا واثبتها قالون وابو عمرو
وصلا لا وقفا وحذفها الباقون وصلا ووقفا ثم ان ذلك المومن زهدهم
في الدنيا وكرر **يا قوم** كما كرر ابراهيم عليه السلام يا ابت زيادة في

استعطافهم

استعطافهم بقوله **انما هذه الحياة** وحقرها بقوله **الدنيا** اشارة الى دناءتها وبقوله
متاع اشارة الى انها جيفة لانها في اللغة من جملة مدلولات المتاع فلا يبقى ولا
ينتفع منها الا كما يتناول المضطر من الجيف لانها دار النقلة والزوال والكدور والانكاد
والاخلاد اليها هو اصل الشر كله ومنه يتشعب جميع ما يودي الى سخط الله
تعالى ويجلب الشقاوة في العاقبة ثم رغبهم في الاخرة بقوله **وان الاخرة**
اي لكونها مقصودة بالذات **هي دار القرار** اي التي لا يتحول منها اصلا لانها
الوطن المستقر قال بعض العارفين لو كانت الدنيا ذهبا فانيا والاخرة
خزفا باقيا لكانت الاخرة خيرا من الدنيا فكيف والدنيا خزف فان والاخرة
ذهب باق بل اشرف واحسن وكما ان النعيم فيها دائم فكذلك العذاب
فكان الترغيب في نعيم الجنان والترهيب من عذاب النيران من اعظم وجوه
الترغيب والترهيب فالاية من الاحتباك ذكر المتاع اولا دليلا على حذف
التوسع ثانيا والقرار ثانيا دليلا على حذف الارتحال اولا ثم قال ذلك المومن
لقومه **من عمل سيئة** اي ما يسوء من اي صنف كان المذكور والاناث
المومنين والكافرين **فلا يجزى** اي الملك الذي لا ملك سواه **الا مثلها** عدلا
منه لا يزاد عليها مقدار ذرة ولا اصغر منها **ومن عمل صالحا** ولو قل **من
ذكر او انثى وهو** اي والحال انه **مؤمن** اذ لا يصح عمل بدون ايمان **فاولئك**
اي العالو الرتبة والهمة **يدخلون الجنة** اي بامر من له الامر كله بعد ان
تضاعف لهم اعمالهم وقرا ابن كثير وابو عمرو وشعبة بضم اليا وفتح
الخا والباقون بفتح اليا وضم الخا **يرزقون فيها** اي الجنة من غير احتياج
الى تحول ولا الى اسباب **بغير حساب** لخروج ما فيها لكثرته عن الحصر
فان ادنى اهلها منزلة لو اضاف كل اهل الارض لكفاهم من غير ان ينقص
في ملكه شي وهذا من باب الفضل وفضل الله لا حد له ورحمته
غلبت غضبه واما جزا السيئة فمن باب العدل فلذلك وقع الحساب
فيها لئلا يقع الظلم قال الاصبهاني فاذا عارضنا عمومات الوعيد
بعمومات الوعد ترجح الوعد بسبق الرحمة الغضب فانهدمت قواعد
المعتزلة ثم كرر الوعظ عليهم بقوله **ويا قوم ما** اي اي شي من الحظوظ
والمصالح **لي ادعوكم الى النجاة** والجنة شفقة عليكم ورحمة لكم
واعترافا بحقكم **وتدعونني الى النار** والهلاك بالكفران فالاية من الاحتباك
ذكر النجاة الملازمة للايمان اولا دليلا على حذف الهلاك الملازم للكفران
ثانيا والنار ثانيا دليلا على حذف الجنة اولا وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو
وهشام بفتح ياء مالي والباقون بسكونها واتفقوا على سكون من تدعونني
ولما اخبرهم ذلك المومن بقلة انصافهم اجمالا بينه بقوله **تدعونني** اي
توقعون دعاي الى معبوداتكم **لاكفر** اي لاجل ان اكفر **بالله** اي الذي له

مجامع القهر والعز والعظمة والكبريا واشرك به اي اجعل له شريكا ما ليس لي به
بربوبيته علم اي نوع من العلم بصلاحيته لشي من الشركة فهو تعالي
الكذب في شي لا يحل الاقدام عليه الا بالدليل القطعي الذي لا يحتمل نوعا من
الشك فالمراد بنفي العلم نفي الاله كانه قال واشرك به ما ليس باله وما ليس باله
كيف يعقل كونه جعله شريكا لله ولما بين انهم يدعونه الي الكفر بين انه
يدعوهم الي الايمان بقوله وانا ادعوكم اي اوقع دعاكم الان وقبله وبعده الي
العزيز اي البالغ العزة الذي يغلب كل شي ولا يغلبه شي واما فرعون
فهو في غاية العجز فكيف يكون الها واما الاصنام فانها احجار منحوته
فكيف يعقل كونها الهة وقرا نافع وانا بالمد بعد النون فقالون بمد وبقصر
وورش بالمد لا غير والباقون بغير مد وقوله الغفار اي الذي يكرر منه دائما
محو الذنوب عينا واثرا اشارة الي انهم لا يجب عليهم ان لا ييأسوا من رحمة
الله تعالي بسبب اصرارهم علي الكفر مدة مديدة فان الاله العالم وان كان
عزيزا لا يغلب قادرا لا يعارض لكنه غفار يغفر كفر سبعين سنة
بايمان ساعة واحدة وقوله لا جرم رد لما دعوه اليه وجرم فعل بمعني حق
وفاعله انما اي الذي تدعونني اليه من هذا الانداد ليس له دعوة بوجه من
الوجوه فانه لا ادراك له هذا ان اريد ما لا يعقل شي واذا اريد شي مما يعقل
فلا دعوة له مقبولة بوجه فانه لا يقوم عليها دليل بل ولا شبهة موهمة
في الدنيا التي هي محل الاسباب الظاهرة ولا في الاخرة اي ليس له اجابة
دعوة فيهما فسمي استجابة الدعوي دعوة اطلاق الاسم احد المتقابلين
علي الاخر كقوله تعالي وجزاء سيئة سيئة مثلها وكقولهم كما تدين تدان وقيل
ليس له دعوة اي عبادة في الدنيا لان الاوثان لا تدعي الربوبية ولا تدعو
الي عبادتها في الاخرة تتبرا من عابديها ثم قال وان مردنا اي مرجعنا الي
الله اي الذي له الاحاطة بصفات الكمال فيجازي كل احد بما يستحقه
وان المسرفين اي المجاوزين للحدود الذين في هذا الوصف قال قتادة
وهم المشركون لقوله تعالي هم اي خاصة اصحاب النار اي ملازموها
وعن مجاهد هم السفاكون للدماء بغير حلها وقيل الذين غلب شرهم خيرهم
هم المسرفون ولما بالغ هذا المومن في هذا الشان ختم كلامه بخاتمة
لطيفة يحق له فستذكرون اي قطعا بوعد لا خلف فيه مع القرب ما اقول
لكم حين لا ينفعكم الذكر في يوم الجمع الاعظم والزحام الذي
يكون القدم علي القدم اذا رايتم النكال والاهوال والزلزال ان قبلتم
نصحي وان لم تقبلوه ولما خوفهم بذلك توعدوه وخوفوه بالقتل فقال
في دفع تخويفهم وكيدهم ومكرهم علي الله تعالي بقوله وافوض اي انا
الان بسبب انه لا دعوة لغير الله امري اي فيما تمكرونه بي الي الله اي

الذي احاط بكل شي قدرة وعلما فهو يحمي من يشاء وهو انما تعلم هذه الطريقة
من موسي عليه السلام حين خوفه فرعون بالقتل فرجع موسي في دفع ذلك
الشر الي الله تعالي فقال اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يومن
بيوم الحساب وقرا نافع وابو عمرو بفتح الياء والباقون بالسكون ولما علق
تفويضه بالاسم العلم الجامع المقتضي للاحاطة علل ذلك بقوله ان
الله الذي لا يخفي عليه شي بصير اي بالغ العلم بالعباد ظاهرا وباطنا
فيعلم من يستحق النصرة فينصره لاتصافه باوصاف الكمال ويعلم من يمكر
فيرد مكره عليه بما له من الاحاطة قال مقاتل فلما قال هذه الكلمات
قصدوا قتله فوقاه الله اي حصل له وقاية تنجيه منهم جزاء
علي تفويضه سيات اي شدايد ما مكروا دنيا ودينا فنجاه مع موسي
عليه السلام قال قتادة وكان قبطيا تصديقا لوعده سبحانه بقوله
انتما ومن اتبعكما الغالبون ولما كان المكر السيء لا يحيق الا باهله قال تعالي وحاق
اي نزل محيطا بعد احاطة الاغراق بال فرعون اي فرعون واتباعه لاجل
اصرارهم علي الكفر ومكرهم هذا اذا قلنا ان الال مشتركة بين
الشخص واتباعه وان لم نقل ذلك فالاحاطة بفرعون من باب الاولي
لان العادة جرت انه لا يوصل الي جميع الاتباع الا الانسان الا بعد اذلاله
واخذه سوء العذاب اي الغرق في الدنيا والنار في الاخرة فان
قيل قوله تعالي وحاق بال فرعون سوء العذاب معناه انه رجع اليهم
ما هموا به من المكر بالمسلمين كقول العرب من حفر لاخيه جبا وقع
فيه منكبا فاذا فسر سوء العذاب بالغرق في الدنيا ونار جهنم في
الاخرة لم يكن مكرهم راجعا عليهم لانهم لا يعذبون بذلك اجيب
بانه هم بشر فاصابه ما يقع عليه اسم السوء ولا يشترط في الحيق ان
يكون الحايق ذلك السوء بعينه وقوله تعالي النار في اعرابه ثلاثة
اوجه احدها انه بدل من سوء العذاب قاله الزجاج ثانيها انه خبر
مبتدا محذوف اي هو اي سوء العذاب النار لانه جواب لسوال مقدر
وقوله تعالي يعرضون علي هذين الوجهين يجوز ان يكون حالا من النار
وان يكون حالا من ال فرعون ثالثها انه مبتدا وخبره يعرضون
عليها غدوا وعشيا اي صباحا ومساء قال ابن مسعود ارواح
ال فرعون في اجواف طير سود يعرضون علي النار كل يوم مرتين
تغدو وتروح الي النار ويقال يا ال فرعون هذه منازلكم
حتي تقوم الساعة وقال قتادة تعرض روح كل كافر علي النار بكرة
وعشيا ما دامت الدنيا وروي ابن عمر ان رسول الله صلي الله عليه
وسلم قال ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي

ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة وان كان من اهل النار فمن اهل النار فيقال
هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيمة ثم اخبر الله تعالى عن
مستقر ال فرعون يوم القيمة ثم اخبر الله تعالى عن مستقر ال فرعون يوم
القيمة بقوله سبحانه ويوم تقوم الساعة يقال لهم ادخلوا ال اي
يا آل فرعون هو نفسه واتباعه لاجل اتباعهم له فيما اضلهم به
اشد العذاب وهو عذاب جهنم اجارنا الله تعالى نحن واحبابنا منها
فانه اشد مما كانوا فيه او اشد عذاب جهنم وهذه الاية نص
على اثبات عذاب القبر كما نقل عن عكرمة ومحمد بن كعب وقرا نافع وحفص وحمزة
والكسائي بقطع الهمزة مفتوحة وكسر الخاء وصلا وابتداء على امر الملئكة
باد خالهم النار والباقون بوصل الهمزة وضم الخاء وصلا وفي الابتداء بضم
الهمزة واختلف في العامل بقوله تعالى واذ على ثلاثة اوجه احدها
انه معطوف على غدوا فيكون معمولا ليعرضون اي يعرضون على
النار في هذه الاوقات كلها قاله ابو البقا ثانيها انه معطوف على
قوله اذ القلوب لدى الحناجر قاله الطبري ونظر فيه لبعد ما بينهما
وثالثها انه منصوب باضمار اذكر اي واذكر يا اشرف الخلق
لقومك اذ يتحاجون اي الكفار في النار اي يتخاصمون فيها اتباعهم
ورؤساؤهم مما لا يغنيهم فيقول الضعفاء اي الاتباع للذين استكبروا
اي طلبوا ان يكونوا كبرا وهم الرؤسا انا كنا لكم اي دون غيركم تبعا اي
اتباعا فتكبرتم على الناس بنا فهل انتم ايها الكبرا مغنون اي مكافئون
ومجزيون وحاملون عنا نصيبا من النار تبيه تبعا اسم جمع لتابع ونحوه
خادم وخدم قال البغوي والتبع يكون واحدا وجمعا في قوله اهل
البصرة واحده تابع وقال الكوفيون هو جمع لا واحد له وجمعه اتباع
وقيل انه مصدر واقع موقع اسم الفاعل اي تابعين وقيل
مصدر ولكنه على حذف مضاف اي ذوي تبع ونصيبا منصوب
بفعل مقدر يدل عليه قولهم مغنون تقديره هل انتم رافعون
عنا نصيبا وقيل منصوب على المصدر قال ابو البقا كما كان شيء
كذلك الا ترى الى قوله لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم
من الله شيئا في موضع غنا فكذلك نصيبا ومن النار صفة لنصيبا
قال الذين استكبروا اي من شدة ما هم فيه انا كل اي نحن وانتم
فيها فكيف نغني عنكم ولو قدرنا اغنينا عن انفسنا ان الله اي
المحيط باوصاف الكمال قد حكم بالعدل بين العباد اي فادخل
اهل الجنة دارهم واهل النار نارهم فلا يغني احد عن احد شيئا فعند
ذلك يحصل اليأس للاتباع من المتبوعين فيرجعون الى خزنة جهنم

يسالونهم

٢٨٦

يسالونهم كما حكى الله تعالى عنهم بقوله سبحانه وقال الذين في النار
اي جميعا الاتباع والمتبوعون لخزنة جهنم اي لخزنتها فوضع جهنم
موضع الضمير للتهويل او لبيان محلهم فيها قال البيضاوي ويحتمل
ان تكون جهنم ابعد دركاتها من قولهم بير جهنام اي بعيدة القعر
والهاء وتشديد النون بعيد القعر وقال بعض اهل اللغة هي
مشتقة من الجهومة وهي الغلظ سميت بذلك لغلظ عذابها وهي
عجمية منعت من الصرف للتعريف والعجمة وقيل عربية ومنعت من
الصرف للتعريف والعجمة وقيل عربية ومنعت من الصرف للتعريف
والتانيث ادعوا ربكم اي المحسن اليكم بانكم لا تجدون الما من النار
يخفف عنا يوما اي قدر يوم من العذاب اي شيئا فيوما ظرف ليخفف
ومفعول يخفف محذوف اي يخفف عنا شيئا من العذاب هو المفعول
ليخفف ومن تبعيضية ويوما ظرف سالوا ان يخفف عنهم بعض
العذاب لا كله في يوم ما لا في كل يوم ولا في يوم معين قالوا اي
الخزنة لهم اولم تك تاتيكم على سبيل التجدد شيئا فشيئا رسلكم ل
رسلكم اي الذين هم منكم وانتم جديرون بالاصغا اليهم والاقبال
عليهم لان الجنس الى الجنس اميل والانسان من مثله اقبل بالبينات
اي التي لا شيء اوضح منها ارادوا بذلك الزامهم الحجة وتوبيخهم على
اضاعتهم اوقات الدعا وتعطيلهم اسباب الاجابة وقرا ابو عمرو
بسكون السين والباقون بضمها وكذلك رسلنا ورسلهم قالوا اي
الكفار بلى اي اتونا كذلك قالوا اي الخزنة لهم فادعوا اي انتم
فانا لا نشفع لكافر وما دعاء الكافرين اي الذين ستروا مرائي عقولهم
عن انوار الحق الا في ضلال اي ذهاب في غير طريق موصل كما كانوا هم
في الدنيا كذلك فان الدنيا مزرعة الاخرة من زرع شيئا في الدنيا
حصده في الاخرة والاخرة ثمرة الدنيا لا تثمر الا من جنس ما غرس
في الدنيا وفي هذا اقناطهم عن الاجابة ولما ذكر تعالى موسى عليه السلام
وذلك المومن من مكر فرعون من بقوله تعالى انا اي بما لنا من العظمة
لننصر رسلنا اي على من عاداهم والذين امنوا اي اتسموا بهذا الوصف
في الحيوة الدنيا اي بالزامهم طريق المهدي الكفيلة بكل فوز بالحجة
والغلبة وان غلبوا في بعض الاحيان فان العاقبة تكون لهم ولو بات
يقبض الله تعالى لاعدايهم من ينتقم منهم ولو بعد حين وقيل ذلك اذ
لا يتمكن اعداوهم من كل ما يريدون منهم ويوم يقوم الاشهاد وهو جمع
شاهد كصاحب واصحاب والمراد بقوم يوم القيمة للشهادة على الناس
من الملئكة والانبيا والمومنين اما الملئكة فهم الكرام الكاتبون

يشهدون للرسل بالتبليغ وعلى الكفار بالتكذيب واما الانبيا فقال تعالى
فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد وجينا بك شهيدا على هولا شهيدا
واما المومنون فقال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهدا
على الناس وقوله تعالى يوم بدل من يوم قبله او بيان له او نصب باضمار
اعني يوم لا ينفع الظالمين اي الذين كانوا عريقين في موضع الاشيا
في غير مواضعها معذرتهم اي اعتذارهم فان قيل هذا يدل على انهم
يذكرون الاعذار ولكن تلك الاعذار لا تنفعهم فكيف هذا مع
قوله تعالى ولا يوذن لهم فيعتذرون اجيب بان هذا لا يدل
على انهم ذكروا الاعذار بل ليس فيه الا ان ليس عندهم عذر مقبول
وهذا لا يدل على انهم ذكروه ام لا وايضا يوم القيمة يوم طويل فيعتذرون
في وقت ولا يعتذرون في وقت اخر وقراءة نافع والكوفيون بالياء
التحتية والباقون بتا الخطاب ولهم اي خاصة اللعنة اي البعد
عن كل خير مع الاهانة بكل ضير ولهم اي خاصة سوء الدار الاخرة
اي اشد عذابها ولما بين تعالى انه ينصر الانبياء والمومنين في الدنيا
والاخرة ذكر نوعا من انواع تلك النصرة في الدنيا فقال تعالى ولقد اتينا
اي بما لنا من العزة موسى الهدى اي ما يهتدي به في الدين من المعجزات
والصحف والشرايع واورثنا اي بما لنا من العظمة بني اسرايل
اي بعد ما كانوا فيه من الذل الكتاب اي الذي انزلناه عليه واتيناه
الهدى به وهو التوراة ابقيناه بعده ارثا لابنائهم فيه احد توارثوه
خلفا عن سلف ولا اهل لمي في ذلك الزمان غيرهم او اورثناه لهم من
بعد موسى حال كونه هدى اي بيانا عاما لكل من تبعه وذكرى اي
عظة عظيمة لاولي الالباب اي القلوب الصافية والعقول الوافية
الشافية ولما بين تعالى انه ينصر رسله وينصر المومنين في الدنيا
والاخرة وضرب المثال في ذلك بحال موسى وخاطب بعد ذلك محمد
صلى الله عليه وسلم بقوله فاصبر يا اشرف الخلق على اذى قومك
كما صبر موسى على اذى فرعون ان وعد الله اي الذي له الكمال كله حق
اي في اظهار دينك واهلاك اعدايك قال الكلبي نسخت اية الصبر
اية القتل الصبر وقوله تعالى واستغفر لذنبك اما ان يكون المصدر القتل
مضافا للمفعول اي لذنب امتك في حقك واما ان يكون ذلك تعبدا
من الله تعالى ليزيد به درجة وليصير سنة لمن بعدك يستن به من بعده
وسبح اي صل متلبسا بحمد ربك بالعشي وهو من بعد الزوال والابكار
قال الحسن يعني صلاة العصر وصلاة الفجر وقال ابن عباس
الصلوات الخمس وذلك ان العشي من زوال الشمس الى غروبها

والابكار من طلوع الفجر الى طلوع الشمس ولما ابتدا بالرد على الذين يجادلون في
ايات الله واتصل الكلام بعضه ببعض على الترتيب المتقدم الى ان بين تعالى
على الداعية التي تحمل اوليك الكفار على تلك المجادلة فقال تعالى
ان الذين يجادلون اي يناصبون العداوة في ايات الله اي الملك الاعظم الدالة
على تمام قدرته اللازم منه قدرته على البعث الذي فيه تذكير صلاح لهم
الدين والدنيا بغير سلطان اي برهان اتاهم ان اي ما في صدورهم اي
بصدورهم عن سوا السبيل قال ابن عباس ما حملهم على تكذيبك
الا كبر اي تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعظيم التعلم واذن
ذكر الصدور دون القلوب بعظم الكبر جدا بانه قد ملا القلوب
وفاض منها حتى شغل الصدور التي هي مساكنها ما هم ببالغيه
قال مجاهد ما هم ببالغي مقتضى ذلك الكبر لان الله تعالى مذلهم وقال
ابن قتيبة ان في صدورهم الا كبر على محمد صلى الله عليه وسلم وطمع ان
يغلبوه وما هم ببالغي ذلك قال المفسرون نزلت في اليهود وذلك انهم قالوا
للنبي صلى الله عليه وسلم ان صاحبنا المسيح بن داوود يعنون الدجال
يخرج في اخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر ويرد الملك الينا قال
الله تعالى فاستعذ اي اعتصم بالله المحيط بكل شي من فتنة الدجال
ومن كيد من يحسدك ويبغي عليك وغير ذلك كما عاذ به موسى لينجز لك
ما وعدك كما انجزله ثم علل ذلك بقوله تعالى انه هو اي وحده السميع
اي لاقوالهم البصير اي لافعالهم ولما وصف تعالى جدالهم في الايات بانه
بغير سلطان ولا حجة ذكر لهذا مثالا فقال لخلق السموات على عظمها
وارتفاعها وكثرة منافعها واتساعها والارض اي على ما ترون من عجايبها
وكثرة منافعها اكبر عند كل من يعقل من خلق الناس اي من خلق الله
تعالى لهم لانهم شعبة يسيرة من خلقهما فعلم قطعا ان الذي قدر على ابتدايه
على عظمه قادر على اعادة الناس على حقارتهم ولكن اكثر الناس وهم الذين
ينكرون البعث وغيره لا يعلمون اي لا علم لهم اصلا بل هم كالبهايم لغلبة
الغفلة عليهم تنبيه تقدير هذا الكلام ان الاستدلال بالشي على
غيره ينقسم ثلاثة اقسام احدها ان يقال لما قدر على الاضعف وجب
ان يقدر على الاقوى وهذا فاسد ثانيها ان يقال لما قدر على الشي
قدر على مثله فهذا استدلال صحيح لما ثبت في الاصول ان حكم الشي حكم
مثله ثالثها ان يقال لما قدر على الاقوى الاكمل قدر على الاقل الارذل
من باب اولى فهذا استدلال في غاية الصحة والقوة ولا يرتاب فيه عاقل
البتة ثم ان هولا القوم يعلمون ان خالق السموات والارض هو الله تعالى
ويعلمون بالضرورة ان خلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وكان

من حججهم ان يقروا بان القادر على خلق السموات والارض يكون قادرا على اعادة
الانسان الذي خلقه اولا فهذا برهان كلي في افادة هذا المطلوب ثم ان
هذا البرهان على قوته صار لا يعرفه اكثر الناس والمراد منه الذين ينكرون
الحشر والنشر فظهر بهذا المثال ان هولاء الكفار يجادلون في ايات الله بغير
سلطان ولا حجة بل بمجرد الحسد والكبر والغضب ثم لما بين الله تعالى ان الجدال
المعروف بالكبر والحسد والجهل كيف يكون وان الجدال بالحجة والبرهان
كيف يكون نبه تعالى على الفرق بين البابين بذكر مثال فقال تعالى **وما يستوي**
اي بوجه من الوجوه من حيث المبصر **الاعمى والبصير** اي وما يستوي المستدل
والجاهل المقلد **والذين امنوا** اي اوجدوا هذه الحقيقة **وعملوا
الصالحات** اي تحقيقا لايمانهم **ولا المسيء** اي وما يستوي المحسن
والمسيء فلا زائدة للتوكيد لانه لما طال الكلام بالصلة بعد قسم
المومنين اعاد معه لا توكيدا والمراد بالاول التفاوت بين العالم والجاهل
وبالثاني التفاوت بين الاتي بالاعمال الصالحة وبين الاتي بالاعمال السيئة
الباطلة ولما تقرر هذا على هذا النحو من الوضوح الذي لا مانع للانسان من فهمه
ورسوخه قال تعالى **قليلا ما تتذكرون** اي يتعظ المجادلون ان العلم
خير من الجهل وان العمل الصالح خير من العمل الفاسد لانه قليلا ما يتذكرون
فبين في النوع الاول المعنى من الاعتقاد انه علم او جهل وفي النوع الثاني المعنى
من العمل انه عمل صالح او فاسد تنبيه التقابل ياتي على ثلاث طرق
احدها ان يجاوز المناسب ما يناسبه كهذه الاية والثانية ان يتاخر
المتقابلان كقوله تعالى مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع
الثالثة ان يقدم مقابل الاول ويوخر مقابل الاخر كقوله تعالى وما يستوي
الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور وكل ذلك تفنن في البلاغة
وقدم الاعمى في نفي التساوي لمجيئه بعد صفة الذم في قوله ولكن اكثر الناس
لا يعلمون وقرا الكوفيون بالتاء على تغليب المخاطب او الالتفات للمذكورين بعد
الاخبار عنهم او امر الرسول صلى الله عليه وسلم بالمخاطبة والباقون بالياء
الغيبة نظرا لقوله تعالى ان الذين يجادلون وهم الذين التفت اليهم في قراءة
الخطاب ولما قرر الدليل على امكان وجود يوم القيمة اردفه بالاخبار عن وقوعها
فقال تعالى **ان الساعة** اي القيامة التي يجادل فيها المجادلون **لاتية**
اي للحكم بالعدل بين المحسن والمسيء لانه لا يسوغ في الحكمة عند احد من
الخلق ان يساوي بين المحسن عبيده ومسيئهم **لا ريب** اي لا شك
فيها اي في اتيانها وما حصل الحال في امرها الى حد لا احتمال له اصلا نفي الايمان
دون العلم فقال تعالى **ولكن اكثر الناس لا يومنون** اي لا يصدقون بها
وما ذاك الا لعناد بعضهم والقصور نظر الباقين على الحس تنبيه

يأتي قبل

يأتي قبل قيام الساعة ومن اعظمها فتنة المسيح الدجال فعن هشام بن
عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بين خلق ادم الى قيام
الساعة اكبر من خلق الدجال معناه اكبر فتنة واعظم شوكة من الدجال
وعن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الدجال فقال انه اعور عين
اليمنى كانها عنبة طافية ولابي داود والترمذي عنه قال قام رسول الله
صلى الله عليه وسلم في الناس فاثنى على الله تعالى بما هو اهله ثم ذكر الدجال
فقال اني انذركموه وما من نبي الا انذره قومه ولكن ساقول لكم فيه قولا
لم يقله نبي لقومه تعلمون انه اعور والله ليس باعور وعن انس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي الا وانذر قومه وامته الاعور
الكذاب الا وانه اعور وان ربكم ليس باعور مكتوب بين عينيه كافر وفي
رواية مسلم مكتوب بين عينيه كافر ك ف ر يقروه كل مسلم وعن
اسما بنت يزيد الانصارية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
في بيتي فذكر الدجال فقال ان بين يديه ثلاث سنين سنة تمسك السما
ثلث قطرها والارض ثلث نباتها والثانية تمسك السما قطرها كله
والارض نباتها كله فلا يبقى ذات ظلف ولا ذات ضرس من البهائم الا هلك
ومن اشد فتنته ان ياتي الاعرابي فيقول ارايت ان احييت لك ابلك
الست تعلم اني ربك فيقول بلى فيتمثل له مثل ابله كاحسن ما تكون
ضروعا واسمنه ويأتي الرجل قد مات اخوه ومات ابوه فيقول ان
احييت لك اباك واحييت لك اخاك الست تعلم اني ربك فيقول بلى
فيتمثل له الشيطان نحو ابيه ونحو اخيه قالت ثم خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم رجع والقوم في اهتمام وغم مما
حدثهم فاخذ بلحمتي الباب فقال مهيم اسما قلت يا رسول الله
قد خلعت افيدتنا بذكر الدجال قال ان يخرج وانا حي فانا
حجيجه والا فربي خليفتي على كل مومن قالت فقلت يا رسول الله
انا لنعجن عجيننا فما نخبزه حتى نجوع فكيف بالمومنين حينئذ قال
يجزيهم ما يجزي اهل السما من التسبيح والتقديس وروى
البغوي بسنده عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يمكث الدجال في الارض اربعين سنة السنة كالشهر
كشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كاضطرام
السعفة في النار انتهى والذي جا في صحيح مسلم قالت قلت
يا رسول الله ما مكثه في الارض قال اربعون يوما يوم كسنة
ويوم كشهر ويوم كجمعة وساير ايامه كايامكم قلنا يا رسول
الله فذلك اليوم الذي كسنة ايكفينا فيه صلاة يوم

قال لا اقدروا له قدره قلنا يا رسول الله وما اسراعه في الارض قال
كالغيث استدبرته الريح وفي رواية ابي داوود فمن ادركه منكم
فليقرا عليه فواتح سورة الكهف فانها جواركم من فتنته ومدته ثم ينزل
عيسى عند المنارة البيضا شرقي دمشق فيدركه عند باب لد فيقتله
وعن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان مع
الدجال اذا خرج ما ونارا فاما الذي يري الناس انه نار فما بارد واما
الذي يري الناس انه ما فنار يحرق فمن ادرك ذلك منكم فليقع
في الذي يري الناس انه نار فانه ما عذب بارد وعن ابي هريرة الا
احدثكم حديثا عن الدجال ما حدث به نبي قومه انه اعور وانه
يجي بمثال الجنة والنار فالتي يقول انها الجنة هي نار اني انذركم
كما انذر نوح قومه وعن المغيرة بن شعبة قال ما سال احد رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن الدجال اكثر ما سالته وانه قال ما
يضرك قلت انهم يقولون ان معه جبال خبز ونهر ما قال هو اهون
على الله من ذلك اي هو اهون على الله من ان يجعل ما خلق الله بيده
مضلا للمومنين ومشككا لقلوبهم بل انما جعله الله تعالى ليزداد
الذين امنوا ايمانا وتثبت الحجة على الكافرين والمنافقين وليس معناه ليس
معه شي من ذلك لما مر في الحديث ان معه ما ونارا وذكر فيه احاديث كثيرة
وفي هذا القدر تذكرة لاولي الالباب اجارنا الله واحبابنا من
فتنته ولما بين تعالى ان القول بالقيامة حق وكان من المعلوم
بالضرورة ان الانسان لا ينتفع في يوم القيامة الا بطاعة الله تعالى
والتضرع اليه لا جرم كان الاشتغال بالطاعة من اهم المهمات ولما كان
اشرف الطاعات الدعا والتضرع لا جرم امر الله تعالى به فقال تعالى
وقال ربكم اي المحسن اليكم بهدايتكم ووعدكم النصرة **ادعوني**
اعبدوني دون غيري **استجب لكم** اي استجب لكم واغفر لكم
بقرينة قوله تعالى **ان الذين يستكبرون** اي يوجدون الكبر **عن
عبادتي** اي عن الاستجابة لي فيما دعوت اليه من العبادة
بالمجادلة في اياتي والاعراض عن دعائي **سيدخلون** بوعد لا
يخلف **جهنم** فتلقاهم جزاء على كفرهم بالتجهم والعبوسة
والكراهة **داخرين** اي صاغرين حقيرين ذليلين وان فسر
الدعاء بالسؤال كان الاستكبار الصارف عنه منزلا منزلته
للمبالغة والمراد بالعبادة الدعاء فانه من ابوابها وروى عن انس ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال الدعاء مخ العبادة وعن ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يسال الله يغضب

فان قيل

فان قيل انه صلى الله عليه وسلم قال حكاية عن ربه عز وجل من شغله
ذكري عن مسالتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين فهذا يقتضي
ان ترك الدعا افضل فكيف ان من لم يسال الله يغضب اجيب
بانه ان كان مستغرقا في الثنا على الله تعالى فهو افضل من الدعا لان
الدعاء طلب الجنة والاستغراق في معرفة الله تعالى وجلاله افضل
من طلب الجنة والا فالدعا افضل وعن النعمان بن بشير قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر الدعا هو العبادة ثم قرا
الاية فان قيل كيف قال تعالى ادعوني استجب لكم وقد
يدعو الانسان كثيرا فلا يستجاب له اجاب الكعبي بان الدعا انما يصح
بشرط ومن دعا كذلك استجيب له وذلك الشرط هو ان يكون
المطلوب بالدعا مصلحة وحكمة ثم سال نفسه فقال ان تعالى يفعل ما
هو الاصلح بغير دعا فما الفائدة في الدعا واجاب عنه بان فيه الفزع
والانقطاع الى الله تعالى واجاب الرازي عن الاول بان كل من دعا الله
تعالى وفي قلبه ذرة من الاعتماد على ماله وجاهه واصدقايه
واجتهاده فهو في الحقيقة ما دعا الله تعالى الا باللسان واما
القلب فانه يعول في تحصيل ذلك المطلوب على غير الله تعالى فهو انسان ما
دعا ربه اما اذا دعا في وقت لا يكون القلب فيه ملتفتا الى غير الله
تعالى فالظاهر انه يستجاب له انتهى وقال القشيري الدعاء
مفتاح الاجابة واسنانه لقمة الحلال وقرا ابن كثير بفتح اليا من
ادعوني استجب والباقون بسكونها وقرا ابن كثير وشعبة بضم
يا سيدخلون وفتح الخاء والباقون بفتح اليا وضم الخا ولما امر تعالى
بالدعاء فكانه قيل الاشتغال بالدعا لا بد وان يكون مسبوقا
بحصول المعرفة فما الدليل على وجود الاله القادر فقال تعالى مفتتحا
بالاسم الاعظم **الله** اي المحيط بصفات الكمال **الذي جعل لكم**
لا غيره **الليل** اي مظلما **لتسكنوا فيه** راحة ظاهرية بالنوم
الذي هو الموت الاصغر وراحة حقيقية بالعبادة التي هي الحياة
الدائمة **والنهار مبصرا** لتنتشروا فيه باليقظة التي هي احيا
بالمعنى فالاية من الاحتباك حذف الظلام اولا لكونه ليس من
النعم المقصودة في نفسها لما دل عليه من الابصار الذي هو المقصود
من نعمة الضيا المقصود في نفسه وحذف الانتشار لانه بعض
ما ينشا عن نعمة الابصار لما دل عليه من السكون الذي هو المقصود
الاعظم من الليل للراحة لمن ارادها والعبادة لمن اعتمدها واسناد
فان قيل هلا قيل بحسب رعاية النظم هو الذي جعل لكم الليل

ها

لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ولقائل جعل لكم الليل ساكنا والنهار مبصرا
ولكنه لم يقل ذلك فما الحكمة فيه وفي تقديم ذكر الليل اجيب عن
الاول بان الليل والنوم في الحقيقة طبيعة عدمية فهو مقصود بالذات
واما النور واليقظة فامور وجودية مقصودة بالذات وقد بين الشيخ
عبد القاهر في دلايل الاعجاز ان دلالة صيغة الاسم على الكمال والتمام
اقوى من دلالة صيغة الفعل عليها فهذا هو السبب في الفرق واجيب عن
الثاني بان الظلمة طبيعة عدمية والنور طبيعة وجودية والعدم في
المحدثات مقدم على الوجود فلهذا السبب قال تعالى في سورة الانعام
وجعل الظلمات والنور ان الله اي ذو الجلال والاكرام لذو فضل
اي عظيم جدا باختياره على الناس اي كافة باختلاف الليل والنهار
وما يحتويان عليه من المنافع ولكن اكثر الناس لا يشكرون الله فلا يؤمنون
وينسبون افعاله الى غيره جهلا ويعلوون بما يسلب عنهم اسم
الشكر من الشاكر وغيره فان قيل ما الحكمة في قوله تعالى ولكن اكثر
الناس ولم يقل ولكن اكثرهم ولا يكرر ذكر الناس اجيب ان في هذا
التكرير تخصيص لكفران النعمة بهم وانهم هم الذين يكفرون فضل
الله تعالى ولا يشكرونه كقوله تعالى ان الانسان لظلوم كفار
ولما بين تعالى بتلك الدلايل المذكورة وجود الاله القادر قال تعالى
ذلكم ايها المخاطبون الله اي الملك الاعظم المعلوم لكل احد
المتميز عن كل شي بالافعال التي لا يشاركه فيها احد ربكم اي
المربي لكم المحسن اليكم خالق كل شي اي بما ثبت من تمام
قدرته لانه لا اله الا هو اي هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهية
والربوبية فهي اخبار مترادفة واذا كان خالق كل شي فانى اي
فكيف ومن اي وجه تؤفكون اي تصرفون عن عبادته الى عبادة غيره
كذلك اي مثل هذا الصرف البعيد عن مناهج العقلا يؤفك
اي يصرف الذين كانوا اي مطبوعين على انهم بايات الله اي
ذي الجلال والاكرام يجحدون اي ينكرون عنادا ومكابرة
ولما كان دلايل وجوده تعالى اما ان تكون من دلايل الافاق وهي غير
الانسان وهي اقسام وذكر منها احوال الليل والنهار كما تقدم ذلك
ابتع منها هنا الارض والسما فقال تعالى الله اي الذي له الاحاطة
الكاملة بكل شي الذي جعل لكم اي وحده الارض اي مع كونها
فراشا ممهدا قرارا مع كونها في غاية الثقل ولا ممسك لها سوى
قدرته والسما اي على علوها وسعتها مع كونها افلاكا دايرة بنجوم
طول الزمان سايرة ينشا عنها الليل والنهار والاظلام بناء

مظلة كالقبة من غير عماد وحامل ثم ذكر دلايل النفس وهي دلالة احوال
بدن الانسان على وجود الصانع القادر الحكيم بقوله تعالى وصوركم
والتصوير على غير نظام واحد لا يكون الا بقدرة قادر تام القدرة مختار
فاحسن صوركم على اشكال واحوال مع انها احسن الصور ليس في الوجود
ما يشبهها لم يخلق الله حيوانا احسن صورة من الانسان كما قال تعالى
في احسن تقويم قال ابن عباس خلق الانسان قايما معتدلا ياكل
ويتناول بيده وغير ابن ادم يتناول بفيه ولما ذكر تعالى المساكن والساكن
ذكر ما يحتاج اليه في مدة الساكن فقال سبحانه فاحسن صوركم اي
الشهية الملايمة للطباع وقيل هو ما خلق الله تعالى لعباده من الماكل
والمشرب من غير رزق الدواب وعن الحسن انه قال لما خلق الله تعالى
ادم عليه السلام وذريته قالت الملايكة عليهم السلام ان الارض
لا تسعهم قال الله تعالى فاني جاعل موتا قالوا اذا لا يهنا لهم العيش
قال تعالى فاني جاعل املا ولما دل هذا على التفرد قال تعالى على
وجه الانتاج ذلكم اي الرفيع الدرجات الله اي المالك لجميع
الملك ربكم اي المحسن اليكم لا غيره فتبارك اي ثبت ثباتا
عظيما مع اليمن والخير وحسن المدد والفيض الله المختص
بالكمال رب العالمين كلهم فهو المحسن اليهم بالتربية وغيرها ثم
نبه تعالى بقوله سبحانه هو الحي بما يفيد الحصر بانه لا حي على الدوام
الا هو ثم نبه تعالى على وحدانيته بقوله سبحانه لا اله الا هو ثم
امر العباد بالاخلاص في الدعا فقال تعالى فادعوه اي اعبدوه
مخلصين له الدين اي من كل شرك جلي او خفي ولما كان تعالى
موصوفا بصفات الجلال والعزة استحق لذاته ان يقال له الحمد اي
الاحاطة باوصاف الكمال لله اي المسمى بهذا الاسم الجامع لجميع
معاني الاسما الحسنى رب العالمين اي الذي رباهم هداهم
التربية وقال الفرا هو خبر وفيه اضمار الامر ومجازه فادعوه هو
واحمدوه وعن ابن عباس من قال لا اله الا الله على اثرها الحمد لله
رب العالمين ولما اورد على المشركين تلك الادلة الدالة على اثبات
اله العالم امر بقوله تعالى قل اي لهولا الذين يجادلونك في البعث
معا بلا لانكارهم بالتوكيد اني نهيت اي مما لا نهي لغيره نهيا عاما
ببراهين العقول ونهيا خاصا بادلة النقل ان اعبد الذين تدعون اي
تعبدون من دون الله اي الذي له الكمال كله قال البقاعي ودل على
انه ما كان متعبدا قبل البعثة بشرع احد بقوله لما جاءني البينات اي
الحجج وهي ما تقدم من الدلايل الدالة على ان اله العالم قد ثبت كونه موصوفا

ورزقكم من الطيبات اي على اشكال واحوال مع انها احسن الصور ليس في الوجود ما يشبهها

فليقل

يصفات الجلال والعظمة وصريح العقل يشهد بان العبادة لا تليق الا له
واما الاحجار المنحوتة والاخشاب المصورة لا تصلح ان تكون شركا له ثم
نبه على انه تعالى كما يستحق الافراد بالعبادة لذاته يستحقها شكرا لاحسانه
بقوله من ربي اي المربي لي تربية خاصة بي اعلى من كل مخلوف
سواي فانا احق عبادة تفوق عبادة كل عابد ولما امره بما نهى عنه امره
بما يتحلى به فقال وامرت ان اسلم حين دعي الى الكفر لرب العالمين
لان كل ما سواه مربوب فالاقبال عليه خسار واذا نهي صلى الله
عليه وسلم عن ذلك وامر بهذا لكون الآمر والناهي هو رب العالمين
كان غيره مشاركا له في ذلك لا محالة ولما استدل تعالى على اثبات
الالهية بذكر الآفاق وذكر منها الليل والنهار والارض والسماء ثم ذكر
الدليل على اثبات الاله القادر بخلق الانفس وهو نوعان احدهما حسن الصور
ورزق الطيبات ذكر النوع الثاني وهو كيفية تكوين البدن من ابتدا كونه
نطفة وجنينا الى اخر الشيخوخة والموت فقال تعالى هو اي لا غيره
الذي خلقكم من تراب اي بخلق ابيكم ادم منه قال الرازي ،،
وعندي لا حاجة الى ذلك لان كل انسان فهو مخلوق من المني ومن
دم الطمث والمني مخلوق من دم والانسان مخلوق من الدم والدم
انما يتولد من الاغذية والاغذية اما حيوانية واما نباتية والحال
في ذلك الحيوان كالحال في تكوين الانسان فكانت الاغذية كلها
منتهية الى النبات والنبات انما يتكون من التراب والماء فثبت ان كل
انسان متكون من التراب ثم ان ذلك التراب يصير نطفة كما قال
تعالى ثم من نطفة اي من مني ثم من علقة اي دم غليظ متباعد
حالها لحال النطفة كما ان حال النطفة متباعد لحال التراب ثم بعد
ان جرت شؤون اخرى يخرجكم اي يجدد اخراجكم شيا بعد شيء طفلا
اي اطفالا والتوحيد لارادة الجنس او على تاويل كل واحد منكم لا تملكون
شيا ولا تعلمون شيا ثم يدرجكم في مدارج التربية صاعدين
بالقوة في اوج الكمال طورا بعد طور وحالا بعد حال ثم لتبلغوا اشدكم
اي تكامل قوتكم من الثلاثين سنة الى الاربعين وعن الشعبي لسبع
سنين ويحتلم لاربع عشرة وينتهي طوله لاحدى وعشرين وينتهي
عقله لثمان وعشرين ويبلغ اشده لثلاث وثلاثين ثم يهبط كم
بالضعف والوهن في مهاوي السفول لتكونوا شيوخا ضعفاء غربا قد
مانت اقرانكم ووهنت اركانكم وقرا نافع وابو عمرو وحفص بضم
الشين والباقون بكسرها ومنكم من يتوفى بقبض روحه من قبل اي
قبل حال الشيخوخة او قبل حال الاشدية او قبل هذه الاحوال اذا خرج

تنبيه

تنبيه قوله تعالى لتبلغوا اشدكم متعلق فعل قال الزمخشري بفعل
محذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا اشدكم وكذلك لتكونوا واما ولتبلغوا
اي كل واحد منكم اجلا مسمى فمعناه ويفعل ذلك لتبلغوا اجلا ،،
مسمى وهو وقت الموت وقيل يوم القيمة ولعلكم تعقلون اي ما في ذلك
من العبر والحجج وتستدلون بهذه الاحوال العجيبة على وحدانيته الله
تعالى ولما ذكر تعالى انتقال الاجسام من كونها ترابا الى ان
بلغت الشيخوخة واستدل بهذه التقديرات على وجود الاله القادر
اتبع قوله تعالى هو اي لا غيره الذي يحيي ويميت كما تشاهدونه في
انفسكم فكما ان الانتقال من صفة الى صفة اخرى من الصفات
المتقدمة من الحياة الى الموت يدل على الاله القادر فكذلك الانتقال من
الحياة الى الموت وبالعكس يدل على الاله القادر ولما كانت ارادته لا تكون
الا تامة تتسبب عن ذلك قوله تعالى فاذا قضى امرا اي اراده اي امر كان
من القيامة او غيرها فانما يقول له كن فيكون فلا يحتاج الى تكوينه الى عدة
وتجشم كلفة وقرا ابن عامر بنصب النون والباقون بالرفع وتقدم
توجيه ذلك في سورة البقرة ثم انه تعالى عاد الى ذم الذين يجادلون في
ايات الله مخاطبا بذلك نبيه صلى الله عليه وسلم فقال الم تر
يا انور الناس قلبا واصفاهم لبا الى الذين يجادلون اي بالباطل في ايات
الله اي الملك الاعظم انى اي كيف ومن اي وجه يصرفون اي
عن التصديق وتكرير ذم المجادلة لتعدد المجادل والمجادل فيه او للتوكيد
وقوله تعالى الذين كذبوا يجوز ان يكون بدلا من الموصول قبله او بيانا
او نعتا او خبر مبتدا محذوف او منصوبا على الذم بالكتاب اي بسببه
في جميع ماله من الشؤون التي تفوت الحصر وهو القران او بجنس الكتب
السماوية وبما ارسلنا اي على ما لنا من العظمة به رسلنا اي من
جميع الملل والشرايع بكتاب كان او بغيره ولذا تسبب عنه تهديدهم
في قوله تعالى فسوف يعلمون اي بوعد صادق لا خلف فيه ما يحل
بهم من سطوتنا وقوله تعالى اذ الاغلال في اعناقهم ظرف ليعلمون
فان قيل سوف للاستقبال واذ للماضي فهو كقولك سوف اصوم
امس اجيب بان المعنى اذا الا ان الامور المستقبلة لما كانت في
اخبار الله تعالى متيقنة مقطوعا بها عبر عنها بلفظ ما كان ووجد
والمعنى على الاستقبال قالوا وكما يقع اذ موقع اذا في قوله تعالى واذا راوا
تجارة او لهوا انفضوا اليها كذلك يقع اذا موقعها وقوله تعالى ،،
والسلاسل عطف على الاغلال فتكون في الاعناق والسلسلة
معروفة او مبتدا خبره محذوف تقديره في ارجلهم وخبره

يسجرون والعابد محذوف اي بها او السحب لجر بعنف والسحاب
من ذلك لان الريح تجره او انه يجر الى الحميم اي الماء الحار الذي
يكسب الوجوه سوادا والاعراض عارا والارواح عذابا والاجسام
نارا ثم في النار يسجرون اي يلقون فيها ويوقد بهم مكردسين كما
يسجر التنور بالحطب كما قال تعالى وقودها الناس والحجارة والسجير
الخليل الذي يسجر في مودة خليله كقولهم فلان يحترق في مودة فلان
هذه كيفية عقابهم ثم قيل لهم تبكيتا اي بعد ان طال عذابهم
وبلغ منهم كل مبلغ ولم يجدوا انصارا يخلصهم ولا شفعا يخصصهم
اين واكد التعبير عنهم باداة ما لا يعقل في قوله تعالى ما كنتم
اي دائما تشركون من دون الله اي معه وهي الاصنام قالوا ضلوا اي
غابوا عنا فلا نراهم كما ضللنا نحن في الدنيا عما ينفعنا وذلك
قبل ان تقرن الهتهم او ضاعوا عنا فلم نجد منهم ما كنا نتوقع منهم
بل لم نكن ندعوا اي لم يكن ذلك في طباعنا من قبل اي قبل
هذه الاعادة شيئا لنكون قد اشركنا به انكروا عبادتهم
اياها كقولهم في سورة الانعام والله ربنا ما كنا مشركين وقال الحسن
ابن الفضل اي لم نكن نصنع من قبل شيئا اي ضاعت عبادتنا لها
كما يقول من ضاع عمله ما كنت اعمل شيئا ثم يقرنون بالهتهم كما قال
تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم اي وقودها
كذلك اي مثل اضلال هؤلاء المكذبين يضل الله اي المحيط
علما وقدرة عن القصد النافع من حجة وغيرها الكافرين اي الذين
ستروا مرآي بصائرهم لئلا يتجلى فيها الحق ثم صار ذلك لهم ديدنا
ذلكم اي الجزاء العظيم بما كنتم اي دائما تفرحون اي
تبالغون في السرور وتستغرقون فيه في الارض بغير الحق من
الاشراك وانكار البعث فاشعر ذلك ان السرور لا ينبغي الا كان مع كمال
هذه الحقيقة وهي الثبات دائما للمفروح به وذلك لا يكون الا في الجنة
وبما اي وبسبب ما كنتم تمرحون اي تبالغون في الفرح مع الاشر
والبطر والنشاط الموجب للاختيال والتبختر والخفة بعدم احتمال
الفرح تنبيه قوله تعالى تفرحون وتمرحون من باب التجنيس
المحرف وهو ان يقع الفرق بين اللفظين بحرف ولما كان السياق لزم الجدال
وكان الجدال انما يكون عن الكبر قال تعالى ادخلوا اي ايها
المكذبون ابواب جهنم اي الابواب السبعة المقسومة لكم قال
تعالى لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم وسميت جهنم
لانها تلقى صاحبها بتكره وعبوس وتجهم خالدين فيها اي مقدرين

الخلود

الخلود فبئس مثوى اي ماوى المتكبرين اي عن الحق والمخصوص
بالذم محذوف اي مثواكم فان قيل كان قياس النظم ان يقول فبئس مدخل
المتكبرين كما تقول زرت بيت الله فنعم المزار وصل في المسجد فنعم
المصلى اجيب بان الدخول لا يدوم وانما يدوم المثوى فلذلك خصه
بالذم وان كان الدخول ايضا مذموما ولما زيف تعالى طريقة المجادلين
في ايات الله امر نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر بقوله تعالى فاصبر
اي على اذاهم بسبب المجادلة وغيرها ان وعد الله حق اي الجامع
لصفات الكمال بنصرتك في الدارين فلا بد من وقوعه فاما نرينك قال
الزمخشري اصله فان نرك وما مزيدة للتاكيد معنى الشرط ولذلك
الحقت النون في الفعل الا تراك ان تقول ان تكرمني اكرمك لكن اما
تكرمني اكرمك قال ابو حيان وما ذكره من تلازم النون وما الزائدة
ليس مذهب سيبويه انما هو مذهب المبرد والزجاج ونص سيبويه على
التخيير بعض الذي نعدهم به من العذاب في حياتك وجواب الشرط
محذوف اي فذاك او نتوفينك اي قبل تعذيبهم فالينا يرجعون
اي فنعذبهم اشد العذاب فالجواب المذكور للمعطوف فقط
ولقد ارسلنا اي بما لنا من العظمة رسلا اي بكثرة من
قبلك الى اممهم ليبلغوا عنا ما امرناهم به منهم من قصصنا
لنا من العظمة عليك اي اخبارهم واخبار اممهم ومنهم من لم نقصص عليك
لا اخبارهم ولا اخبار اممهم ولا ذكرناهم لك باسمائهم وان كان لنا العلم
التام والقدرة الكاملة روي ان الله تعالى بعث ثمانية الاف نبي اربعة
الاف من بني اسرائيل واربعة الاف من سائر الناس وما اي ارسلناهم
والحال انه ما كان لرسول اصلا ان ياتي باية اي ملجئة او غير
ملجئة مما يطلب الرسول ويحبه استنجاحا لاتباع قومه له او اقتراحا
من قومه عليه الا باذن الله اي بامره وتمكينه فان له الاحاطة
بكل شيء فلا يخرج شيء عن امره وهم عبيد مربوبون تنبيه
معنى الاية ان الله تعالى قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم انك
كالرسل من قبلك وقد ذكرنا حال بعضهم لك ولم نذكر حال الباقين
وليس منهم احد اعطاه الله ايات ومعجزات الا وقد جادله قومه
وكذبوه فيها فصبروا وكانوا ابدا يقترحون على انبيائهم
اظهار المعجزات الزائدة على الحاجة عنادا وعبثا وما كان لرسول انه ان
ياتي باية الا باذن الله تعالى والله سبحانه علم الصلاح في اظهار
ما اظهروه دون غيره ولم يقدح ذلك في نبوتهم فكذلك الحال
في اقتراح قومك عليك المعجزات الزائدة لما لم يكن اظهارها صلاحا لا جرم

ما اظهرناها فاذا جاء امر الله اي المحيط بكل شي قدرة وعلما بنزول العذاب
علي الكفار قضي اي بامره علي ايسر وجه واسهله بين الرسل ومكذبيها
بالحق الامر الثابت وخسر هنالك اي في هذا الوقت العظيم المبطلون
اي المنسوبون الي ايثار الباطل علي الحق المعاندون الذين يجادلون في
ايات الله فيقترحون المعجزات الزايدة علي قدر الحاجة تعنتا وعبثا
وقرا قالون والبزي وابو عمرو باسقاط الهمزة الاولي مع المد والقصر وسهل
ورش وقنبل الهمزة الثانية وابدلها ايضا الفا وقرا الباقون بتحقيق الهمزتين
ولما ذكر تعالي الوعيد عاد الي ذكر ما يدل علي وجود الاله القادر الحكيم والي ذكر
ما يصلح ان يعد انعاما علي العباد فقال تعالي الله اي الملك الاعظم
الذي جعل لكم اي لاجلكم الانعام اي الازواج الثمانية بالتذليل
والتسخير وقال الزجاج الانعام الابل خاصة لتركبوا منها وهي
الابل مع قوتها ونفرتها وقدرتك الفرايض ومنها اي من
الانعام كلها تاكلون ولما كان التصرف فيها غير منضبط اجمله
بقوله تعالي ولكم فيها اي كلها منافع اي كثيرة بغير ذلك
من الدر والوبر والصوف وغيرها ولتبلغوا عليها وهي في غاية
الذل والطواعية ونبههم علي نقصهم وعظم نعمته عليهم
بقوله تعالي حاجة اي جنس الحاجة قوله تعالي في صدوركم
اشارة الي ان حاجة واحدة ضاقت عنها قلوب الجميع حتى فاضت
منها فملات مساكنها وعليها اي الابل في البر وعلي الفلك اي
في البحر تحملون اي تحملون امتعتكم الثقيلة من مكان الي مكان
اخر واما حمل الانسان نفسه فقد مر في الركوب فان قيل لم لم
يقل في الفلك كما قال تعالي في سورة هود قلنا احمل فيها من
كل زوجين اثنين اجيب بان كلمة علي للاستعلا فالشي الذي
يوضع علي الفلك كما صح ان يقال وضع فيه صح ان يقال وضع عليه
ولما صح الوجهان كانت لفظة علي اولي حتى تتم المزاوجة في قوله تعالي
وعليها وعلي الفلك تحملون وقال بعضهم ان لفظة في هاهنا اليق
لان سفينة نوح عليه السلام كما قيل مطبقة عليهم وهي
محيطة بهم كالوعاء واما غيرها فالاستعلا فيه واضح لان الناس علي
ظهرها ولما كانت هذه اية عظيمة جعلها الله سبحانه وتعالي مشتملة
علي ايات كثيرة قال تعالي ويريكم اي في كل لحظة اياته اي المحيط بصفات
الكمال الدالة علي وحدانيته تنكرون حتى توجه لكم المجادلة في
اياته وهذا استفهام توبيخ تنبيه اي منصوب بتنكرون
وقدم وجوبا لان له صدر الكلام وتذكيره اشهر من تانيثه

اي دلايل قدرته فاي ايات الله صح

قال

قال الزمخشري وقولك فاية ايات الله قليل لان التفرقة بين المذكر والمؤ
نث في الاسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهو في اي اغرب لابهامه
قال ابو حيان ومن قلة تانيث اي قول الشاعر
باي كتاب او باية سنة * يري حبهم عارا علي ويحسب
قال ابن عادل وقوله وهو في اي اغرب ان عني ايا علي الاطلاق
فليس بصحيح لان المستفيض في الندا ان تؤنث في ندا المؤنث
كقوله تعالي يا ايتها النفس المطمئنة ولا نعلم احدا ذكر تذكيرها
فيه فيقول يا ايها المراة الا صاحب البديع في النحو وان عني غير المنادا
فكلامه صحيح يقل تانيثها في الاستفهام وموصولة وشرطية ولما
وصل الامر الي حد من الوضوح لا يخفي علي احد تسبب عنه لفت
الخطاب عنهم دلالة علي الغضب الموجب للعقاب للترهيب فقال
تعالي افلم يسيروا اي هولا الذين هم اضل من الانعام لما حصل
في صدورهم من الكبر العظيم طلبا للرياسة والتقديم علي الغير
في المال والجاه في الارض اي ارض كانت سير اعتبار فينظروا
نظر تفكر فيما سلكوه من سبلها ونواحيها كيف كان عاقبة اي اخر امر
الذين من قبلهم اي مع قرب الزمان والمكان او بعد ذلك كانوا
اكثر منهم عددا وعددا ومالا وجاها واشد قوة في الابدان
كقوم هود عليه السلام وبناء واثارا في الارض بنحت البيوت في
الجبال وحفر الابار وبنا المصانع الجليلة وغير ذلك فما اغني عنهم ما كانوا
يكسبون بقوة ابدانهم وعظم عقولهم واحتيالهم وما رتبوا من
المصانع لنجاتهم حين جاءهم الموت بل كانوا كامس الذاهب تنبيه
ما الاولي نافية او استفهامية منصوبة باغني والثانية موصولة
او مصدرية مرفوعة به فلما جاءتهم رسلهم اي الذين ارسلناهم اليهم
وهم يعرفون صدقهم وامانتهم بالبينات اي المعجزات الظاهرات
الدالة علي صدقهم
لا محالة واختلف في عود ضمير فرحوا في قوله تعالي فرحوا بما عندهم
من العلم علي وجهين احدهما انه عايد الي الكفار واختلف
في ذلك العلم الذي فرحوا به فقيل هو الاشيا التي كانوا يسمونها علما
وهي الشبهات المحكية عنهم في القران كقولهم ما يهلكنا الا
الدهر وقولهم لو شاء الله ما اشركنا ولا اباونا وقولهم من يحيي
العظام وهي رميم ولئن رددت الي ربي لاجدن خيرا منها منقلبا فكانوا
يفرحون بذلك ويدفعون به علوم الانبيا كما قال تعالي كل حزب بما لديهم
فرحون وقيل المراد علم الفلاسفة فانهم كانوا اذا سمعوا بوحي الله تعالي

دفعوه وصغروا علوم الانبياء عن علومهم كما روي عن بقراط انه سمع بمجيء بعض الانبياء عليهم السلام فقيل له لو هاجرت اليه فقال نحن قوم مهتدون فلا حاجة بنا الى من يهدينا وقيل المراد علمهم بامر الدنيا ومعرفتهم تدبيرها كقوله تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ذلك مبلغهم من العلم فلما جاءت الرسل عليهم السلام بعلوم الديانات ومعرفة الله عز وجل ومعرفة المعاد وتطهير النفس من الرذائل لم يلتفتوا اليها واستهزؤا بها واعتقدوا ان لا علم انفع واجلب للفوائد من علمهم ففرحوا فيه ويجوز ان يكون المراد علم الانبياء وفرح الكفار به ضحكهم واستهزاؤهم به ويؤيده قوله تعالى وحاق اي احاط على وجه الشدة بهم ما كانوا به يستهزؤن اي من الوعيد الذي كانوا قاطعين ببطلانه والوجه الثاني انه عائد على الرسل وفيه وجهان احدهما ان تفرح الرسل اذا راوا من قوم جهلا كاملا واعراضا عن الحق وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم واعراضهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله تعالى وحاق بالجاهلين جزاء جهلهم واستهزائهم الثاني ان المراد ان الرسل فرحوا بما عند الكفار من العلم فرح ضحك واستهزاء فلما راوا اي عاينوا باسنا اي عذابنا الشديد ومنه قوله تعالى بعذاب بئيس قالوا آمنا بالله اي الذي له مجامع العظمة ومعاقد العز ونفوذ الكلمة وحده لا نشرك به شيئا وكفرنا بما كنا اي جبلة وطبعا به مشركين يعنون الاصنام اي لانا علمنا انه لا يغني من دون الله شيء ولما كان الكفر بالغيب سببا لعدم قبول الايمان عند الشهادة قال تعالى فلم يك ينفعهم اي لم يصح ولم ينفك بوجه من الوجوه ايمانهم اي يجدد لهم نفعه بعد ذلك لانه ايمان الجاء واضطرار لا ايمان طواعية واختيار لما راوا واظهر موضع الاضمار زيادة في الترهيب فقال تعالى شانه باسنا اي عذابنا لامتناع قبول الايمان حينئذ لانه لا يتحقق ولا يتصور الا مع الغيب واما عند الشهادة فقد كشف سريرته على انه قد فات حقيقته وصورته ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه فان قيل اي فرق بين قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم وبينه لو قيل فلم ينفعهم ايمانهم اجيب بانه من كان في نحو قوله تعالى ما كان لله ان يتخذ من ولد والمعنى فلم يصح ولم يستقم ان ينفعهم ايمانهم فان قيل كيف ترادفت هذه الفاءات اجيب بان قوله تعالى فما اغنى عنهم نتيجة قوله تعالى كانوا اكثر منهم واما قوله تعالى فلما جاءتهم رسلهم فجار مجرى البيان والتفسير لقوله تعالى فما اغنى عنهم كقولك رزق زيد المال فمنع المعروف ولم يحسن الى الفقراء وقوله تعالى فلما راوا باسنا

تابع

ايمانهم تابع ٣

تابع لقوله تعالى فلما جاءتهم كانه قال فلما كفروا فلما راوا باسنا آمنوا فكذلك فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باس الله تعالى وقوله تعالى سنت الله اي الملك الاعظم يجوز انتصابها على المصدر المؤكد لمضمون الجملة اي الذي فعل الله تعالى بهم سنة سابقة من الله تعالى ويجوز انتصابها على التحذير اي احذروا سنت الله تعالى في المكذبين التي قد خلت في عباده وتلك السنة انهم اذا عاينوا العذاب آمنوا ولم ينفعهم ايمانهم فائدة رسمت سنت مجرورة ووقف عليها ابن كثير وابو عمرو والكسائي بالهاء والباقون بالتاء وامال الكسائي الهاء في الوقف وخسر اي هلك هذا او تحقق وتبين انه خسر هنالك الكافرون اي العريقون في الوصف فلا انفكاك بينهم وبين الكفر تنبيه هنالك في الاصل مكان قيل استعير هنا للزمان ولا حاجة له فالمكانية فيه ظاهرة وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة المومن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مومن الا صلى عليه حديث موضوع وعن ابن سيرين راى رجل في المنام سبع جوار حسان في مكان واحد لم ير احسن منهن فقال لمن انتن فقلن لمن يقرا الحم

سورة حم السجدة مكية وتسمى فصلت وهي اربع وخمسون اية

وسبعمائة وتسعة وتسعون كلمة وثلاثة الاف وثلثمائة وخمسون حرفا بسم الله الذي له اوصاف الكمال الرحمن الذي وسع كل شيء رحمة وعلما الرحيم الذي فصل الكتاب تفصيلا وبينه غاية البيان وقدم الكلام على قوله تعالى حم ثم ان جعلتها اسما للسورة كانت في موضع الابتدا وخبره تنزيل من الرحمن الرحيم وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل خبر المبتدا المحذوف اي هذا تنزيل وقال الاخفش تنزيل رفع بالابتدا وخبره كتاب وجرى على ذلك الجلال المحلي فصلت اي بينت آياته بالاحكام والقصص والمواعظ بيانا شافيا في اللفظ والمعنى حال كونه قرانا اي جامعا مع التفصيل وهو مع جمع اللفظ وضبطه منشورا للوا منشور المعاني لا الى حد ولا نهاية وعد بل كلما دقق النظر جل المفهوم ولذلك قال تعالى عربيا لان لسان العرب اوسع الالسن ساحة واعمقها عمقا واعمرها باحة وارفعها بنا وافصحها لفظا وابينها معنى واجلها في النفوس وقعا وفي ذلك امتنانا لسهولة قراته وفهمه وقوله تعالى لقوم يعلمون اي العربية او لاهل العلم وهو النظر وهو متعلق

دي

بنصلت اي فصلت لهولاء وبينت لهم لانهم هم المنتفعون بها وان كانت
مفصلة في نفسها لجميع الناس ومحذوف صفة لقرانا اي كائنا لهولاء خاصة
لما تقدم من المعنى تنبيه حكم الله تعالى في هذه السورة باشيا اولها كونها
تنزيلا والمراد المنزل والتعبير عن المفعول بالمصدر مجاز مشهور كقوله هذا
بنا الامير اي مبنيه وهذا الدرهم ضرب السلطان اي مضروبه ومعنى
كونها منزلا ان الله كتبها في اللوح المحفوظ وامر جبريل عليه السلام ان
يحفظ الكلام ثم ينزل بها على محمد صلى الله عليه وسلم ويوديها اليه فلما
حصل تفهيم هذه الكلمات بواسطة جبريل سمي بذلك تنزيلا ثانيها كون
ذلك التنزيل من الرحمن الرحيم يدل على ان التنزيل نعمة عظيمة من
الله تعالى لان الفعل المقرون بالصفة لا بد وان يكون مناسبا لتلك
الصفة فكونه تعالى رحمانا رحيما صفتان دالتان على كمال الرحمة والتنزيل
المضاف الى هاتين الصفتين لا بد وان يكون دالا على اعظم وجوه الرحمة
والنعمة والامر كذلك لان الخلق في هذا العالم كالمرضى من الادوية وعلى
ما يحتاج الاصحا من الاغذية فكان اعظم النعم من الله تعالى على اهل هذا
العالم انزال القران عليه وثالثها كونه كتابا وهذا الاسم مشتق
من الكتب وهو الجمع فسمي كتابا لانه جمع فيه علوم الاولين والاخرين
ورابعها قوله تعالى فصلت اياته اي ميزت وجعلت تفاصيل في معان
مختلفة فبعضها وصف ذات الله تعالى وصفات التنزيه والتقديس
وشرح كمال قدرته وعلمه وحكمه ورحمته وعجائب احوال خلقه من
السموات والكواكب وتعاقب الليل والنهار وعجائب احوال النبات
والحيوان والانسان وبعضها في المواعظ والنصائح وبعضها في
تهذيب الاخلاق ورياضة النفس وبعضها في قصص الانبياء عليهم
وتواريخ الماضين فمن انصف علم انه ليس في يد الخلق كتاب اجتمع
فيه من العلوم المختلفة مثل ما في القران وخامسها قوله تعالى
وقد مر توجيه هذا الاسم وسادسها قوله تعالى عربيا اي انما نزل بلغة
العرب ويؤكده قوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه
وسابعها قوله تعالى لقوم يعلمون اي جعلناه قرانا لاجل انا انزلناه على
قوم عرب بلغتهم ليفهموا منه المراد وثامنها وتاسعها قوله تعالى
بشيرا اي لمن اتبع ونذيرا لمن امتنع وانقطع وعاشرها قوله
تعالى فاعرض اكثرهم اي عن تدبره وقبوله فهم لذلك لا يسمعون
اي يفعلون فعل من لا يسمع لانهم لا يسمعون سماع تامل وطاعة
فهذه صفات عشر وصف الله تعالى القران بها واحتج القائلون
بخلق القران بهذه الاية من وجوه اولها انه تعالى وصف القران

يكون

بكونه منزلا وتنزيلا والمنزل والتنزيل مشعر بالتغير من حال الى حال فوجب ان
يكون مخلوقا ثانيها ان التنزيل مصدر وهو المفعول المطلق باتفاق النحويين
ثالثها ان المراد بالكتاب اما الكتابة وهي المصدر الذي هو المفعول المطلق
واما المكتوب الذي هو المفعول رابعها ان قوله تعالى فصلت اياته يدل على
ان متصرفا تصرف فيه بالتفصيل وذلك لا يليق بالقديم خامسها انه
سمي قرانا لانه قرن بعض اجزائه ببعض وذلك يدل على كونه مفعول
فاعل ومجعول جاعل سادسها وصفه بكونه عربيا وانما صحت هذه
النسبة لان هذه الالفاظ انما دلت على هذه المعاني بحسب وضع العرب
واصطلاحاتهم وما حصل بجعل جاعل وفعل فاعل فلا بد وان يكون
محدثا ومخلوقا واجاب اهل السنة بان كل هذه الوجوه المذكورة
عائدة الى اللغات والى الحروف والكلمات وهي حادثة وذهب قوم
الى ان في القران من سائر اللغات كالاستبرق والسجيل فانهما
فارسيان والمشكاة فانها حبشية والقسطاس فانه من لغة الروم
وهذا فاسد لقوله قرانا عربيا وقوله تعالى وما ارسلنا من رسول
الا بلسان قومه ولما وصف الله تعالى القران بانهم اعرضوا عنه ولم
يلتفتوا اليه بين انهم صرحوا بهذه النفرة وذكروا ثلاثة اشياء
مذكورة في قوله تعالى عنهم وقالوا اي عند اعراضهم ممثلين
في عدم قبولهم قلوبنا في اكنة اي اغشية محيطة بها والاكنة
جمع كنان كاغطية جمع غطا والكنان هي التي هو الذي يجعل
فيه والمعنى لا نفقه ما تقول مما تدعونا اي ايها المخبر بانه نبي اليه
فلا سبيل الى الوصول اليها لنفقه اصلا فان قيل هلا قالوا على قلوبنا
اكنة كما قالوا وفي اذاننا اي التي نسمع بها وقر اي ثقل وقد
اصمها عن سماعه ليكون على نمط واحد اجيب بانه على نمط
واحد لانه لا فرق في المعنى بين قولك قلوبنا في اكنة وعلى قلوبنا اكنة
والدليل على قوله تعالى انا جعلنا على قلوبهم اكنة ولو قيل اجعلنا قلوبهم في
اكنة لم يختلف المعنى والمعنى انا في ترك القبول عنك بمنزلة من لا فهم
ولا يسمع ومن بيننا وبينك حجاب اي حاجز من جبل ونحوه فلا تلاقي ولا
ترى اي فاعمل اي على دينك انا عاملون على ديننا او فاعمل في ابطال
امرنا انا عاملون في ابطال امرك فان قيل هل بزيادة من في قولهم من
بيننا وبينك حجاب فائدة اجيب بنعم لانهم لو قالوا وبينك حجاب
لكان المعنى ان حجابا حاصل وسط بين الجهتين واما بزيادة من فالمعنى
ان الحجاب ابتدا منا وابتدا منك فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك
مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها ولما اخبر باعراضهم وعللوا بعدم

فهمهم لما يدعوا اليه امر سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم بجواب يبين انهم على
محض العناد فقال تعالى قل اي لهؤلاء الذين عجزوا عن رد شيء من امرك بشيء
يقبله ذو عقل فادعوا ما ينادي عليهم بالعجز انما انا بشر مثلكم اي
لست غير بشر مما لا يرى كالملك والجني بل واحد منكم والبشر يرى
بعضهم بعضا ويسمعه ويبصره فلا وجه لما تقولونه اصلا يوحى الي
اي يطرق بخفي عليكم ولولا الوحي ما دعوتكم انما الهكم اي الذي
يستحق العبادة اله واحد لا غير واحد وهو ما دلت عليه الفطرة
الاولى السوية وقامت عليه الادلة العقلية وايدتها في كل عصر
الطرق النقلية وانعقد عليه الاجماع في اوقات الضرورة النفسانية
قال الحسن علمه الله تعالى التواضع ولما قطع حجتهم وازال عليهم
تشبب عن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فاستقيموا اليه اي غير معوجين
اصلا على نوع شرك بشفيع ولا غيره وعدي بالى لتضمنه معنى توجهوا
والمعنى وجهوا استقامتكم اليه بطاعته ولا تميلوا عن سبيله
واستغفروه اي اطلبوا منه غفران ذنوبكم وهو محوها عينا واثرا
حتى لا تعاقبوا عليها ولا تعاتبوا بالندم عليها والاقلاع عنها حالا ومالا
ثم هدد على ذلك فقال وويل اي كلمة عذاب او واد في جهنم
للمشركين اي من فرط جهلهم واستخفافهم بالله تعالى الذين
لا يؤتون الزكاة اي لبخلهم وعدم اشفاقهم على الخلق وذلك
من اعظم الرذائل وهم بالاخرة اي الحياة التي بعد هذه ولا بعدها
هم كافرون واحتج من قال ان الكفار مخاطبون بفروع الاسلام
بهذه الاية فقالوا ان الله تعالى توعدهم بامرين احدهما كونهم مشركين
والثاني لا يؤتون الزكاة فوجب ان يكون لكل واحد من هذين تاثير في حصول
الوعيد وذلك يدل على ان لعدم ايتان الزكاة مع الشرك تاثيرا عظيما
في زيادة الوعيد وهو المطلوب فان قيل لم خص تعالى من اوصاف
المشركين منع الزكاة مقرونا بالكفر بالاخرة اجيب بانه احب شيء
الى الانسان ماله وهو شقيق روحه فاذا بذله في سبيل الله فذلك
اقوى دليل على ثباته واستقامته وصدق نيته ونصوح طويته الا ترى
الى قوله تعالى ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا
من انفسهم اي يثبتون انفسهم ويدلون على ثباتها بانفاق الاموال
وما خدع المؤلفة قلوبهم الا بلمظة من الدنيا فقرت عصبيتهم
ولانت شكيمتهم واهل الردة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما تظاهروا الا بمنع الزكاة فنصبت لهم الحرب وجوهدوا وفيه بعث
للمؤمنين على ايتان الزكاة وتخويف من منعها حيث جعل المنع من

اوصاف المشركين وقرن بالكفر بالاخرة وقال ابن عباس هم الذين لا يقولون
لا اله الا الله وهي زكاة الانفس والمعنى لا يطهرون انفسهم من
الشرك بالتوحيد وقال الحسن وقتادة لا يقرون بالزكاة ولا يرون
ايتاءها واجبا وكان يقال الزكاة قنطرة الاسلام فمن قطعها نجا ومن تخلف عنها
هلك وقال الضحاك ومقاتل لا ينفقون في الطاعة ولا يتصدقون وقال
مجاهد لا يزكون اعمالهم ولما ذكر تعالى ما للجاهلين وعيدا وتحذيرا ذكر ما للاضداد
وعدا وتبشيرا فقال تعالى مجيبا لمن تشوق لذلك مؤكدا لانكار من ينكره
ان الذين امنوا اي بما اتاهم الله تعالى من العلم النافع وعملوا الصالحات من
الزكاة وغيرها من انواع الطاعات لهم اجر اي عظيم غير ممنون اي
غير مقطوع جزاء على سماحهم بالفاني اليسير من اموالهم في الزكاة وغيرها
وما امر الله تعالى من اموالهم وافقا لهم في الاخرة والدنيا والممنون المقطوع
من مننت الحبل اذا قطعته ومنه قولهم قد منه السفر اي قطعه وقال مقاتل
غير منقوص ومنه المنون لانه ينقص منة الانسان وقوته وانشد والذي
الاصبع العدواني

اني لعمرك ما بابي بذي غلق ... على الصديق ولا اجري بممنون

وغير ممنون به عليهم لان عطاء الله لا يمن به انما يمن المخلوق وقال
السدي نزلت في المرضى والزمنى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم اجر كاصح
ما كانوا يعملون فيه روى عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان العبد اذا كان على طريقة حسنة من العبادة
ثم مرض قيل للملك الموكل به اكتب له مثل عمله اذا كان طليقا حتى اطلقه
او الفته الي ولما ذكر سبحانه وتعالى سفههم في كفرهم بالاخرة شرع في ذكر
الادلة على قدرته عليها وعلى كل ما يريد بخلق الاكوان وما فيها الشامل
لهم ولمعبوداتهم من الجمادات وغيرها الدال على انه واحد لا شريك له
فقال منكرا عليهم ومقررا بالوصف لانهم كانوا عالمين باصل الخلق قل
يا اشرف الرسل لمن انكر الاخرة منكرا عليه بقولك ائنكم واكد
لانكارهم الصريح بما يلزمهم من الكفر بقوله تعالى لتكفرون اي توجدون
حقيقة الستر لانوار العقول الظاهرة بالذي خلق الارض اي على سعتها
وعظمها من العدم في يومين فتنكرون قدرته على اعادة ما خلقه منها
ابتداء مع اعترافكم بانه ابتدا خلقها وخلق ذلك منها وهذا اليومان
الاحد والاثنين كما قاله ابن عباس وعبد الله بن سلام قال ابن
الجوزي والاكثرون قال ابن عباس ان الله خلق يوما فسماه الاحد
ثم خلق ثانيا فسماه الاثنين ثم خلق ثالثا فسماه الثلاثاء ثم خلق
رابعا فسماه الاربعاء ثم خلق خامسا فسماه الخميس فخلق الله الارض

يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثا ولذلك يقول انه يوم ثقيل وخلق
مواضع الانهار والشجر والقرى يوم الاربعا وخلق الطير والوحش والسباع
والهوام والافة يوم الخميس وخلق الانسان يوم الجمعة وفرغ من الخلق يوم
السبت ولكن في حديث مسلم عن ابي هريرة قال اخذ رسول الله صلى
الله عليه وسلم بيدي فقال خلق الله التربة يوم السبت وخلق الجبال يوم
الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثا وخلق النور يوم
الاربعا وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق ادم بعد العصر من يوم
الجمعة في اخر الخلق في اخر ساعة من النهار فيما بين العصر الى الليل
فان قيل الايام انما كانت بدوران الافلاك وانما كان ذلك بعد تمام الخلق بالنيل
اجيب بان المقدار في مقدار يومين او بنوبتين خلق في كل نوبة
ما خلق في اسرع ما يكون قال البيضاوي ولعل المراد من الارض ما في
جهة السفل من الاجرام البسيطة ومن خلقها في يومين انه خلق لها اصلا
مشتركا ثم خلق لها صورا بها صارت انواعها وكفرهم بها الحادهم
في ذاته تعالى وصفاته وقرا قالون وابو عمرو وهشام بتسهيل الثانية كالياء
بخلاف عن هشام وادخلوا بين الهمزة المحققة والمسهلة الفا وورش وابن كثير
وتسهيل الثانية من غير ادخال والباقون بتحقيقهما من غير ادخال ولما ذكر
كفرهم بالبعث وغيره عطف على تكفرون قوله تعالى **وتجعلون له** اي مع
هذا الكفر **اندادا** من الخشب المنجور ومن الحجر المنحوت شريكا في العبود
ولما بكتهم على قبيح معتقدهم عظم ذلك بتعظيم شانه سبحانه فقال تعالى
ذلك الاله العظيم **رب العالمين** اي موجدهم ومربيهم وذلك يدل
قطعا على جميع ما له من صفات الكمال ولما ذكر تعالى ما هم به مقرون من ابداعها
اتبعه بثلاثة انواع من الصنع العجيب والفعل البديع بعد ذلك فالاول
قوله تعالى **وجعل فيها رواسي** اي جبالا ثوابت وهو مستانف ولا يجوز
عطفه على صفة الموصول للفصل بينهما باجنبي وهو قوله تعالى وتجعلون
فانه معطوف على لتكفرون كما مر فان قيل ما الفائدة في قوله تعالى **من فوقها**
ولم يقتصر على قوله وجعل فيها رواسي كما اقتصر على قوله وجعلنا فيها رواسي
شامخات وقوله تعالى وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بكم وقوله تعالى
وجعل فيها رواسي اجيب بانه تعالى لو جعل لها رواسي من تحتها لاوهم
ذلك ان تلك الاساطين التحتانية هي التي امسكت هذه الارض
الثقيلة عن النزول ولكنه تعالى قال جعلت هذه الجبال الثقال فوق الارض
ليرى الانسان بعينه ان الارض والجبال الثقال على اثقال وكلها مفتقرة
الى ممسك وحافظ وما ذاك الحافظ المدبر الا الله تعالى ولما هيا الارض لما
يراد منها ذكر ما اودعها وهو النوع الثاني بقوله تعالى **وبارك فيها** اي

بما خلق

بما خلق من البحار والانهار والاشجار والثمار وغير ذلك وقال ابن عباس
يريد شق الانهار وخلق الاشجار والثمار وخلق اصناف الحيوانات وكلما
يحتاج اليه من الحيوانات النوع الثالث قوله تعالى **وقدر فيها اقواتها** اي
اقوات اهلها بان عين لكل نوع ما يصلحه ويعيش به وقال محمد بن
كعب قدر الاقوات قبل ان يخلق الخلق والابدان او اقواتا تنشا منها بان
خص حدوث كل قوت بقطر من اقطارها فهو اضافة القوت الى الارض
لكونه من تلك الارض حادثا فيها لان النحاة قالوا يكفي في جنس الاضافة
ادنى سبب فالشي مضاف الى فاعله تارة والى محله اخرى اي قدر الاقوات
التي يختص حدوثها بها وذلك لانه تعالى جعل كل بلدة معدنا لنوع من الاشيا
المطلوبة حتى ان اهل هذه البلدة يحتاجون الى الاشيا المتولدة في
تلك البلدة وبالعكس فصار هذا المعنى سببا لرغبة الناس في التجارات
واكتساب الاموال لتنتظم عمارة الارض كلها باحتياج بعضهم الى بعض
فكان جميع ما تقدم من ابداعها وابداع ما ذكر من متاعها دفعة واحدة
على مقدار لا يتعداه ومنهاج بديع دبره في الازل وارتضاه وقدره فامضاه
لا ينقص عن حاجة المحتاجين اصلا وانما ينقص توصلهم او توصل
بعضهم اليه فلا يجد له حينئذ ما يكفيه وفي الارض اضعاف اضعاف
كفايته ثم ذكر فذلكة خلق الارض وما فيها فقال تعالى **في اربعة**
ايام اي مع اليومين الماضيين كقولك بنيت بيتي في يوم واكملته
في يومين اي بالاول وقال ابو البقا في تمام اربعة ايام ولولا هذا التقدير
لكانت ثمانية يوما في الاول وهو قوله تعالى الارض في يومين ويوما في
الاخر وهو قوله تعالى فقضاهن سبع سموات في يومين واربعة في
الوسط وهو قوله تعالى في اربعة ايام فان قيل انه تعالى لما ذكر خلق الارض
في يومين فلو ذكر انه خلق هذه الانواع الثلاثة الباقية في يومين
اخرين كان ابعد عن الشبهة وعن الغلط فلم ترك التصريح بذكر الكلام
المجمل اجيب بان قوله تعالى في اربعة ايام **سواء** اي استوت
الاربعة استوا لا يزيد ولا ينقص فيه فائدة زائدة على ما اذا قال
خلقت هذه الثلاثة في يومين لانه لو قال تعالى خلقت هذه الاشيا
في يومين لا يفيد هذا الكلام كون اليومين مستغرقين بتلك الاعمال
لانه قد يقال عملت هذا العمل في يومين مع ان اليومين ما كانا مستغرقين
بذلك العمل اما لو ذكر خلق الارض وخلق هذه الاشيا ثم قال في اربعة
ايام سواء دل على ان هذه الايام الاربعة صارت في تلك الاعمال المستغرقة
من غير زيادة وغير زيادة ولا نقصان ولم يفعل تعالى ذلك في اقل من لمح
البصر مع تمام القدرة عليه لانه هو ادل على الاختيار وادخل في الابتلا

والاختبار ليضل به كثيرا ويهدي به كثيرا فيكون اعظم لاجرهم لانه ادل على
ثباتهم وجعل مدة خلقها ضعف مدة خلق السموات مع كونها اصغر من السما
لدلالة على انها هي المقصودة بالذات لما فيها من الثقلين فزادت لما فيها من كثرة
المنافع وتباين اصناف الاعراض والجواهر لان ذلك ادخل في المنة على
سكانها والاعتنا بشانهم وشانها وزادت ايضا لما فيها من الابتلا بالمعاصي
والمجاهدات والمجادلات والمعالجات كل ذلك دلالة على ان المدة ما هي
لاجل القدرة بل لاجل التنبيه على ما في القدرة من المقدور وعجايب الامور
قال البقاعي ولعل تخصيص السما بقصر المدة دون العكس لاجرامها
على ما نتعارفه من ان بنا السقف اخف من بنا البيت تنبيها على انه بناه من
دارنا هذه على الاسباب تعليما للتاني وتدريبا للسكينة والبعد من العجلة
وقوله تعالى للسايلين فيه ثلاثة اوجه احدها انه متعلق بسوا بمعنى
مستويات للسايلين ثانيها انه متعلق بقدر اي قدر فيها اقواتها لاجل
الطالبين لها المحتاجين المقتاتين ثالثها انه متعلق بمحذوف كانه قيل
هذا الحصر لاجل من سال في كم خلقت الارض وما فيها ولما كانت السموات اعظم
من الارض في ذاتها باتساعها وزينتها ودوران افلاكها وارتفاعها نبه على
ذلك بالتعبير باداة التراخي ولفظ الاستوا حرف الغاية الدال على عظم
الغاية فقال تعالى ثم استوى اي قصد قصدا هو القصد منتهيا قصده
الى السما وهي اي والحال انها دخان قال المفسرون هذا الدخان
بخار الما وذلك ان عرش الرحمن كان على الما قبل خلق السموات والارض
كما قال تعالى وكان عرشه على الما ثم ان الله تعالى احدث في ذلك الما اضطرابا
فازبد وارتفع فخرج منه دخان فاما الزبد فبقي على وجه الما فخلق منه
اليبوسة واحدث منه الارض واما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات
فان قيل هذه الاية مشعرة بان خلق الارض كان قبل خلق السما
وقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها مشعر بان خلق الارض بعد خلق
السما وذلك يوجب التناقض اجيب بان المشهور انه تعالى خلق
الارض اولا ثم خلق بعدها السما ثم بعد خلق السما دحا الارض ومدها
وحينئذ فلا تناقض قال الرازي وهذا الجواب مشكل لان الله
تعالى خلق الارض في يومين ثم انه في اليوم الثالث جعل فيها رواسي
من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها وهذه الاحوال لا يمكن ادخالها
في الوجود الا بعد ان صارت الارض منبسطة ثم انه تعالى قال بعد
ذلك ثم استوى الى السما فهذا يقتضي ان الله تعالى خلق السما بعد
خلق الارض وبعد ان جعلها مدحوة وحينئذ يعود السوال ثم
قال والمختار عندي ان يقال السما مقدم على خلق الارض

وتأويل



وتأويل الاية ان يقال الخلق ليس عبارة عن التكوين والايجاد والدليل عليه
قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن
فيكون وهذا محال ان الخلق ليس عبارة عن الايجاد والتكوين بل عبارة
عن التقدير والتقدير في حق الله تعالى هو كلمة بان سيوجد واذا ثبت
هذا فنقول قوله تعالى خلق الارض في يومين معناه انه قضى بحدوثه
في يومين وقضى الله تعالى انه سيحدث كذا في هذه كذا لا يقتضي حدوث
ذلك الشي في الحال فقضى الله تعالى بحدوث الارض في يومين قد تقدم
على احداث السما وحينئذ يزول السوال فقال لها اي السما
عقب هذا الاستوى وللارض ايتيا اي تعاليا وائتيا منقادتين
في قوله تعالى طوعا او كرها مصدران في موضع الحال اي طايعتين
او كارهتين قالتا اتينا اي نحن وما فينا وما بيننا طايعين اي
اي اتينا على الطوع لا على الكره والغرض تصوير اثر قدرته في
المقدورات لا غير من غير ان يحقق شيا من الخطاب والجواب
ونحو ذلك قول القايل

قال الجدار للوتد لم تشقني ... قال الوتد سل من يدقني

فان قيل هلا قال طايعتين على اللفظ او طايعات على المعنى
لانها سموات وارضون اجيب بانه لما جعلهن مخاطبات
ومجيبات ووصفهن بالطوع والكره فقال طايعين في موضع
طايعات نحو قوله ساجدين تنبيه جمع الامر لهما في الاخبار لا يدل
على جمعه في الزمان بل قد يكون القول لهما متعاقبا فان قيل ان الله تعالى
امر السما والارض فاطاعتا كما ان الله تعالى انطق الجبال مع داود عليه
السلام فقال تعالى يا جبال اوبي معه والطير وانطق الايدي
والارجل فقال تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما
كانوا يعملون وقوله تعالى وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا
انطقنا الله الذي انطق كل شي واذا كان كذلك فكيف يستبعد ان
يخلق الله تعالى في ذات السموات والارض حياة وعقلا ثم توجه الامر
والتكليف عليهما ووجه هذا بوجوه الاول ان الاصل حمل اللفظ على
ظاهره الا ان يمنع منه مانع وههنا لا مانع الثاني انه تعالى جمعهما جمع
العقلا فقال تعالى قالتا اتينا طايعين الثالث قوله تعالى انا عرضنا
الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن
منها وهذا يدل على كونها عارفة بالله تعالى عدله بتوجه تكليف الله تعالى
واجاب الرازي عن هذا بان المراد من قوله تعالى ايتيا طوعا او كرها
الاتيان الى الوجود والحدوث والحصول وعلى هذا التقدير فحال توجه

هذا الامر كانت السموات والارض معدومة لم تكن عارفة ولا فاهمة للخطاب
فلم يجز توجه الامر اليها فان قيل روي مجاهد وطاوس عن ابن عباس انه
قال قال الله للسموات والارض اخرجا ما فيكما من المنافع لمصالح العباد
اما انت يا سما فاطلعي شمسك وقمرك ونجومك وانت يا ارض فشقي انهارك
واخرجي ثمارك ونباتك وقال لهما افعلا ما امرتكما طوعا والا الجاتكما الى ذلك
حتى تفعلاه وعلى هذا لا يكون من قوله تعالى اتينا طائعين حذف وتهما في ذاتهما
بل يصير المراد من هذا الامر ان يظهرا ما كان مودعا فيهما اجيب
بان هذا لم يثبت لانه تعالى قال عز من قائل فقضاهن اي خلقهن خلقا
ابداعيا سبع سموات وذلك يدل على ان حصول السما انما حصل
بعد قوله ايتيا طوعا او كرها تنبيه الضمير للسما على المعنى
كما قال تعالى طائعين ونحو اعجاز نخل خاوية ويجوز ان يكون
ضميرا مبهما مفسرا بسبع سموات وسبع سموات حال على الاول
وتمييز على الثاني وقوله تعالى في يومين قال اهل الاثر ان الله تعالى
خلق الارض يوم الاحد والاثنين وخلق سائر ما في الارض يوم الثلاثا
والاربعا وخلق السموات وما فيها يوم الخميس والجمعة وفرغ في
اخر ساعة يوم الجمعة فخلق فيها ادم وهي الساعة التي تقوم فيها
القيامة ولذلك لم يقل هنا سوا ووافق هنا ايات خلق السموات
والارض في ستة ايام وعن ابن عباس ان اليهود اتت النبي صلى الله
عليه وسلم فسالته عن خلق السموات والارض فقال خلق الله
الارض يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال وما فيهن من منافع يوم
الثلاثا وخلق يوم الاربعا الشجر والماء والمعاش والعمران والخراب
فهذه اربعة وخلق يوم الخميس السما وخلق يوم الجمعة النجوم
والشمس والقمر والنجوم والملئكة الى ثلاث ساعات بقين منه
فخلق في اول ساعة من هذه الثلاثة الاجال حتى يموت من مات
وفي الثانية القى الافة على كل شي مما ينتفع به وفي الثالثة خلق
ادم فاسكنه الجنة وامر ابليس بالسجود له واخرجه منها في اخر ساعة
قالت اليهود ثم ماذا يا محمد قال ثم استوى على العرش قالوا قد
اصبت لو اتممت قالوا ثم استراح فغضب النبي صلى الله عليه وسلم
غضبا شديدا فنزل ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما
في ستة ايام وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون فان قيل
اليوم عبارة عن النهار والليل وذلك انما يحصل بطلوع الشمس
وغروبها وقبل حدوث السموات والشمس والقمر كيف يعقل
حصول اليوم اجيب بان معناه انه مضى من المدة ما لو حصل

هنالك فلك وشمس لكان المقدار مقدار اليوم كما مر وقضا الشي تمامه
والفراغ منه قال ابن جرير وانما سمي الجمعة لان الله تعالى جمع فيه خلق
ادم وخلق السموات والارض اي فرغ من ذلك واتمه واوحى اي
القى بطريق خفي وحكم مثبوت قوي في كل سما امرها اي الامر الذي
تولت دبرها او دبر منافعها به على نظام محكم لا يختل ودوام مبرم لا
يمحل وقال عطا عن ابن عباس خلق في كل سما خلقها ملائكة وما
فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلمه الا الله تعالى وقال السدي
يعني خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها ولله في كل سما بيت يحج
اليه وتطوف به الملئكة كل واحد منها مقابل للكعبة بحيث لو وقعت
منه حصاة لوقعت على الكعبة ولما خص الخ تلبينا اشارة الى تشريفنا
فقال تعالى صارفا القول الى مظهر العظمة تنبيها على ما في هذه الاية
من العظم وزينا اي بما لنا من العظمة السما الدنيا اي القربى
اليكم لاجلكم بمصابيح وقيل النيرات التي خلقها الله في السموات
وخص كل واحد بضوء معين وسير معين وطبيعة معينة لا يعرفها
الا الله تعالى ولا ينافي كون الدنيا مزينة بذلك ان لا تكون النجوم في
غيرها مما هو اعلى منها لان السياق دل على انها زينة وقوله تعالى
وحفظا في نصبه وجهان احدهما انه منصوب على المصدر بفعل مقدر
اي وحفظناها بالثواقب من الكواكب حفظا والثاني انه مفعول من اجله
على المعنى فان التقدير وخلقنا الكواكب زينة وحفظا قال ابو حيان وهو تكلف
وعدول عن السهل البين والمعنى وحفظناها من الشياطين الذين يسترقون
السمع بالشهب او من الافات ذلك اي الامر الرفيع الشان البديع تقدير
العزيز اي الذي لا يغلبه شي وهو يغلب كل شي العليم اي المحيط
علما بكل شي والعزيز اشارة الى كمال القدرة والعليم اشارة الى كمال العلم
ولما كان التمادي على اعراضه كانه جدد اعراضا غير اعراضه الاول
قال تعالى منفصلا بعد قوله تعالى فاعرض اكثرهم غير اعراضه الاول
فان اعرضوا اي استمروا على اعراضهم بعد هذا الوقت الثاني او اعرض
غيرهم عن قبول ما جئتهم به من الذكر بعد هذا البيان الواضح في هذه الايات
الذي دلت على الوحدانية والعلم والقدرة وغيرها من صفات الكمال اتم
دلالة فقل اي لهم انذرتكم صاعقة اي خوفتكم ان يصيبكم عذاب
شديد الوقع كانه صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وقال المبرد
الصاعقة المرة المهلكة لاي شي كان والانذار التخويف وانما خص
هاتين القبيلتين لان قريشا كانوا يمرون على بلادهم ثم علل ابلاغ ذلك
بقوله تعالى اذ ويجوز ان يكون ظرفا للصاعقة وظرفيته لانا في عليه

اذ اي حين جاءتهم اي عادا وثمود الرسل لان الزمان الطويل يجوز نسبة
ما وقع في جزء منه اليه من بين ايديهم اي من قبلهم لان نذر الاول
نذير لكل من اتي بعدهم بانه ان واقع ما واقعه اباه ما عذب به
ومن خلفهم وهم من اتي اليهم لانهم لم يكونوا يعلمون اتيانهم فالخلف
كناية عن الخفا والقدام عن الجلا وانهم اتوهم من كل جانب واجتهدوا
بهم فاعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم الا العتو والاعراض كما
حكي الله تعالي عن الشيطان لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم اي
لاتينهم من كل جهة وعن الحسن انذروهم من وقايع الله تعالي فيمن
قبلهم من الامم وعذاب الاخرة لانهم اذا حذروهم ذلك فقد
جاوهم بالوعظ من جهة الزمن الماضي وما جري فيه علي الكفار ومن
جهة المستقبل وما سيجري عليهم او اتوهم مقبلين عليهم
ومدبرين عنهم وقرا نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم باظهار
الذال عند الجيم وادغمها الباقون ان اي بان لا تعبدوا الا الله
اي الذي له صفات الكمال جميعا قالوا اي الكفار لرسلهم لو
شاء ربنا الذي ربانا احسن تربية ان يرسل الينا رسولا
لانزل الينا ملايكة فارسلهم الينا بما يريد منا لكنه لم
يرسل ملايكة فلم يشا ان يرسل رسولا فانا بما اي بسبب ما
بما ارسلتم به اي علي زعمكم بانكم رسل كافرون اذ انتم بشر
مثلنا لا فضل لكم علينا روي ان ابا جهل قال في ملاء من
قريش التبس علينا امر محمد فلو التمستم لنا رجلا عالما بالسحر والشعر
والكهانة وكلمه ثم اتانا ببيان من امره فقال عتبة بن ربيعة والله
لقد علمت الشعر والسحر والكهانة وعلمت من ذلك علما وما يخفي
علي فاتاه فقال له يا محمد انت خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب
انت خير ام عبد الله فلم تشتم الهتنا وتضلل اباءنا فان كنت تريد
الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسا واذا اردت الباه زوجناك
عشر نسوة تختارهن من اي بنات قريش شئت وان كنت تريد المال جمعنا
لك ما تستغني به علي حالك ورسول الله صلي الله عليه وسلم ساكت
فلما فرغ قال له رسول الله صلي الله عليه وسلم افرغت قال نعم قال فاسمع
ثم ان النبي صلي الله عليه وسلم تعوذ ثم قرا بسم الله الرحمن الرحيم
حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت اياته الي ان بلغ قوله
تعالي فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك
عتبة علي فيه وناشده بالرحم الا ما سكت ثم رجع الي اهله ولم يخرج
الي قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نري عتبة الا قد صبا فانطلقوا

اليه

اليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا الا انك قد صبوت الي محمد واعجبك
طعامه فان كان بك حاجة جمعنا لك من اموالنا ما يغنيك عن طعام محمد
فغضب عتبة واقسم لا يكلم محمدا ابدا وقال والله لقد علمتم
اني من اكثر قريش مالا ولكني اتيته وقصصت عليه القصة وجاوبني
بشي والله ما هو شعر ولا كهانة ولا سحر وقرا السورة الي قوله تعالي
فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسكت
بفيه وناشدته الرحم حتي سكت ولقد علمتم ان محمدا اذا قال شيا لم
يكذب فخفت ان ينزل العذاب عليكم وفي رواية لمحمد بن كعب انه قال
اني سمعت قراءته والله ما سمعت بمثله قط ما هو بشعر ولا سحر ولا
كهانة يا معشر قريش اطيعوني خلوا بينكم وبين هذا الرجل وبين ما هو فيه
واعتزلوه والله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبا فان تصبه العرب
فقد كفيتموه بغيركم وان يظفر علي العرب فملكه ملككم وعزه
عزكم وانتم اسعد الناس به قالوا سحرك والله يا ابا الوليد بلسانه
قال هذا رايي لكم فاصنعوا ما بدا لكم ولما جمعهم فيما اجتمعوا
فيه حتي كانهم تواصوا به فصلهم ما فصل ما اختلفوا فيه فقال
مسببا عما مضي من مقالاتهم فاما عاد اي قوم هود عليه السلام
فاستكبروا اي طلبوا الكبر واوجدوه في الارض اي كلها ثم بين
كبرهم انه بغير الحق اي الذي لم يطابق الواقع ثم ذكر تعالي سبب
الاستكبار بقوله تعالي وقالوا من اشد منا قوة وذلك ان
هود الهددهم بالعذاب فقالوا نحن نقدر علي دفع العذاب بفضل قوتنا وكانوا
ذوي اجسام طوال طول الطويل منهم اربعماية ذراع كما ساتي
في سورة الفجر قال الله تعالي ردا عليهم او لم يروا اي يعلموا علما
هو كالمشاهدة ان الله اي المحيط بكل شي قدرة وعلما الذي خلقهم
ولم يكونوا شيا هو اشد منهم قوة ومن علم ان غيره اقوي منه وكان
عاقلا انقاد له فيما يبغيه ولا يضره وقوله تعالي وكانوا باياتنا يجحدون اي
يعرفون انها حق وينكرونها عطف علي فاستكبروا فارسلنا اي بسبب
ذلك علي ما لنا من العظمة عليهم ريحا اي عظيمة صرصرا اي
شديدة البرد والصوت والعصوف حتي كانت تجهد البدن ببردها
فتكون كانها تصره اي تجمعه في موضع واحد فتمنع التصرف بقوته او
وتقطع القلب بصوتها فتقهر شجاعته او تحرق بشدة بردها وقوله
تعالي في ايام نحسات اي مشومات جمع نحسة وقرا ابن عامر
عامر والكوفيون بكسر الحاء من نحس نحسا نقيض سعد سعدا فهو
نحس والباقون بسكونها فهو اما مخفف نحس او صفة علي فعل او و

[illegible]

وصف بمصدر قال الضحاك امسك الله تعالى عنهم المطر ثلاث سنين
وكانت الرياح عليهم من غير مطر وروي ان الايام كانت اخر شوال من الاربعاء
الى الاربعاء قال البيضاوي وما عذب قوم الا في يوم الاربعاء وعن عبد
الله بن عباس انه قال الرياح ثمان اربع منها عذاب وهي العاصفة
والصرصر والعقيم والعاصف واربع منها رحمة وهي المبشرات
والناشرات والمرسلات والذاريات وعن ابن عباس ان الله تعالى
ما ارسل على عباده من الريح الا قدر خاتمي وفعلنا ذلك بهم **لنذيقهم**
عذاب الخزي اي الذل والهوان **في الحيوة الدنيا** كما استكبروا
في الارض بغير الحق فذلوا عند من تعظموا عليه في الدار التي اعتزوا
فيها فعظموا فيها فان ذلك ادل على القدرة عند من تقيد بالوهم **ولعذاب**
الاخرة اي الذي اعد للمتكبرين في الاخرة بغير الحق **اخزى**
اي اشد اهانة وهو في الاصل صفة المعذب وانما وصف به العذاب
على الاسناد المجازي للمبالغة **وهم لا ينصرون** اي لا يوجد ولا يتجدد
لهم نصر ابدا بوجه من الوجوه ولما انهى تعالى امر صاعقة عاد شرع
في بيان صاعقة ثمود فقال تعالى **واما ثمود** وهم قوم صالح
فهديناهم اي بينا لهم طريق الهدى من اناقة درور على البعث
وعلى كل شيء فلا شريك لنا وكان بيان ذلك بالناقة غاية البيان
فابصروا ذلك بابصارهم التي هي سبب ابصار بصايرهم غاية الابصار
فكرهوا ذلك لما يلزمه من ترك طريق ابائهم **فاستحبوا** اي اختاروا
العمى اي الكفر **على الهدى** اي الايمان قال القشيري قيل
انهم امنوا وصدقوا ثم ارتدوا وكذبوا فاجراهم مجرى اخوانهم في الابتداء
فان قيل اليس معنى هديته حصلت فيه الهدى الدليل عليه قولك
هديته فاهتدى ومعنى تحصيل البغية وحصولها كما تقول ردعته
فارتدع فكيف ساغ استعماله في الدلالة المجردة اجيب بانه لما
مكنهم وازاح عللهم ولم يبق لهم عذر ولا علة فكانه حصل
البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها ويقتضيها **فاخذتهم** **صاعقة العذاب** اي صاعقة العذاب ان الصاعقة هي الصيحة او النار وصفه بالعذاب مبالغة كانها نفس العذاب ع
اي بسبب ذلك اخذ قهر وهوان فقال **الهون** اي ذي الهوان
وهو الذي يهينهم **بما كانوا** اي دائما **يكسبون** اي من شركهم
وتكذيبهم صالحا عليه السلام ولما انهى تعالى الخبر عن الكافرين من
الفريقين اتبعهم الخبر عن مؤمنيهم بشارة لمن اتبع النبي صلى الله
عليه وسلم ونذارة لمن صد عنه فقال تعالى **ونجينا** اي تنجية
عظيمة بما لنا من القدرة **الذين امنوا** اي اوجدوا هذا الوصف
من الفريقين **وكانوا** اي كونا عظيما **يتقون** اي يجددون لهم هذا

الوصف

الوصف في كل حركة وسكون فلا يقدمون على شيء بغير دليل فان قيل كيف
يجوز للنبي صلى الله عليه وسلم ان ينذر قومه مثل صاعقة عاد
وثمود مع العلم بان ذلك لا يقع في امته وقد صرح تعالى بذلك فقال عز
من قائل وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وجاء في الحديث الصحيح
ان الله تعالى رفع عن هذه الامة هذه الانواع اجيب بانهم لما عرفوا كونهم
مشاركين لعاد وثمود في استحقاق مثل تلك الصاعقة وان السبب
الموجب للعذاب واحد ربما يكون العذاب النازل من جنس ذلك العذاب
وان كان اول درجة وهذا القدر يكفي في التخويف ولما بين تعالى كيفية اولئك
الكفار في الدنيا اردفه ببيان كيفية عقوبتهم في الاخرة ليحصل تمام الاعتبار
في الزجر والتحذير فقال تعالى **ويوم** اي واذكر يوم **يحشر** اي يجمع بكره
بامر قاهر لا كلفة فيه **اعداء الله** اي الملك الاعظم **الى النار** وقرا
نافع بنون مفتوحة وضم الشين ونصب اعداء على البناء للفاعل
وهو الله تعالى والباقون بياء الغيبة مضمومة وفتح الشين على البناء للمفعول
ورفع اعداء لقيامه مقام الفاعل وجه الاول انه معطوف على نجينا فحسن
ان يكون على وفقه في اللفظ والوجه الثاني موافقة قوله تعالى **فهم**
اي بسبب حشرهم **يوزعون** اي يساقون ويدفعون الى النار وقال
قتادة يحبس اولهم على اخرهم ليتلاحقوا اي يوقف سوابقهم حتى يصل
تواليهم ولما بين تعالى انتهاءهم بالوزع بين غايتها بقوله تعالى **حتى اذا ما**
جاؤها اي النار التي بها كانوا يكذبون فما زائدة للتاكيد اتصال
الشهادة بالحضور كما قال تعالى **شهد عليهم** وبين الشهداء وعددهم
بقوله تعالى **سمعهم** وافرد السمع لتفاوت الناس فيه **وابصارهم**
وجمعها لعظيم التفاوت فيها **وجلودهم بما كانوا يعملون** اي يجددون
عمله مستمرين عليه تنبيه في كيفية تلك الشهادة ثلاثة اقوال
اولها ان الله تعالى يخلق الفهم والقدرة والنطق فيها فتشهد كما
يشهد الرجل على ما يعرفه ثانيها انه تعالى يخلق في تلك الاعضاء
الاصوات والحروف الدالة على تلك المعاني ثالثها ان يظهر في تلك الاعضاء
احوال تدل على صدور تلك الاعمال من ذلك الانسان وتلك الامارات
تسمى شهادات كما يقال يشهد هذا العالم بتغيرات احواله على حدوثه
فان قيل ما السبب في تخصيص هذه الاعضاء الثلاثة بالذكر مع ان
الحواس خمسة وهي السمع والبصر والشم والذوق واللمس اجيب
بان الذوق داخل في اللمس من بعض الوجوه لان ادراك الذوق انما يتاتى
بان تصير جلدة اللسان مماسة لجرم الطعام وكذلك الشم لا يتاتى حتى
تصير جلدة الحدقة مماسة لجرم الطعام فكانا داخلين في جنس اللمس

وقال ابن عباس المراد من شهادة الجلود شهادة الفروج وهو من باب الكنايات كما قال لا تواعدوهن سرا واراد النكاح وقال تعالى او جاء احد منكم من الغائط والمراد قضاء الحاجة وقال صلى الله عليه وسلم اول ما يتكلم من الادمي فخذه وكفه وعلى هذا التفسير تكون الاية وعيدا شديدا في اتيان الزنا لان مقدمة الزنا لان مقدمته انما تحصل بالفخذ وقال مقاتل تنطق جوارحهم بما كتمت الانفس من عملهم وعن انس بن مالك قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال اتدرون مم اضحك قلنا الله ورسوله اعلم قال من مخاطبة العبد ربه فيقول يا رب الم تجرني من الظلم فيقول بلى قال فيقول فاني لا اجيز اليوم على نفسي الا شاهدا مني قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين عليك شهودا قال فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي فتنطق باعماله ثم يخلي بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل وقالوا اي الكفار الذين يحشرون الى النار لجلودهم مخاطبين لها مخاطبة العقلاء لما فعلت فعل العقلاء لم شهدتم علينا مع كنا نحاج عنكم قالوا مجيبين لهم معتذرين انطقنا الله الذي انطق كل شيء اراد نطقه على وجه لم يقدر على التخلف عنه فليس من عجب من قدرة الله الذي له مجامع العز وهو خلقكم اول مرة والعلم القطعي حاصل عندكم بانكم كنتم عدما ثم نطفا لا تقبل النطق في مجاري العادات بوجه ثم طوركم في ادوار الاطوار كذلك الى ان اوصلكم الى حيز الاطوار دراكا فقسركم على النطق على النطق بحيث لو اردتم سلبه عن انفسكم ما قدرتم واليه لا الى غيره ترجعون فينبئكم بما كنتم تعملون تنبيه اختلف في قوله تعالى وهو خلقكم الاية فقيل وهو خلقكم الاية فقيل هو من كلام الجلود وقيل هو من كلام الله تعالى كالذي بعده وموقعه تقريب ما قبله بان القادر على انشائكم ابتداء وعلى اعادتكم بعد الموت احياء قادر على انطاق جلودكم واعضائكم وما كنتم تستترون اي عند ارتكابكم الفواحش خيفة ان يشهد عليكم سمعكم واكد تكريرا لنا في فقال ولا ابصاركم جمع وافرد لما مضى ولا جلودكم والمعنى انكم كنتم تستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفواحش وما كان استتاركم ذلك خيفة ان تشهد عليكم جوارحكم لانكم كنتم غير عالمين بشهادتها عليكم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء اصلا ولكن انما استتاركم لانكم ظننتم بسبب انكار البعث جهلا منكم ان الله الذي له جميع صفات الكمال لا يعلم اي في وقت من الاوقات كثيرا مما تعملون وهو الخفيات من اعمالكم روي عن ابن مسعود قال كنت مستترا باستار

الكعبة

الكعبة فدخل ثلاثة نفر ثقفيان وقرشي او قرشيان وثقفي كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم فقال احدهم اترون ان الله يسمع ما نقول قال الاخر يسمع ان جهرنا وقال الاخر ان كان يسمع اذا جهرنا يسمع اذا اخفينا فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى وما كنتم تستترون الاية قيل الثقفي عبد ياليل والقرشيان ربيعة وصفوان بن امية وقوله تعالى وذلكم اشارة الى ظنهم هذا وهو مبتدأ وهو قوله تعالى ظنكم بدل منه وقوله تعالى الذي ظننتم بربكم نعت البدل والخبر ارداكم اي اهلككم وفي هذا تنبيه على ان من حق المومن ان لا يذهب عنه ولا يزول عن ذهنه ان عليه من الله تعالى عينا كالية ورقيبا مهيمنا حتى يكون في اوقاته وخلواته من ربه اهيب واحسن احتشاما واوفر تحفظا وتصونا منه ولا ينبسط في سره مراقبة من التشبيه بهؤلاء الظانين ولما كان الصباح محل رجا الافراح فكان شر الاتراح ما كان فيه قال تعالى فاصبحتم اي بسبب ان ما اعطيتموه من النعم لتنقذوا انفسكم بين الهلاك كان سبب هلاككم من الخاسرين اي العريقين في الخسارة المحكوم بخسارتهم في جميع ذلك اليوم قال المحققون الظن قسمان احدهما حسن والاخر فاسد فالحسن ان يظن بالله تعالى الرحمة والفضل والاحسان وقال صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى انا عند ظن عبدي بي وقال صلى الله عليه وسلم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله والظن الفاسد ان يظن ان الله تعالى يعزب عن علمه بعض هذه الاحوال وقال قتادة الظن نوعان منج ومرد فالمنجي قوله اني ظننت اني ملاق حسابيه وقوله تعالى الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون والمردي هو قوله تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فان يصبروا فالنار مثوى اي مثوى لهم اي ان امسكوا عن الاستغاثة لفرج ينتظرونه لم يجدوا ذلك وتكون النار مقاما لهم وان يستعتبوا اي يطلبوا العتبى وهو الرجوع لهم الى ما يحبون جزعا مما هم فيه فما هم من المعتبين اي المجابين اليها ونحوه قوله عز وجل اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص ولما ذكر وعيدهم في الدنيا والاخرة اتبعه سبب كفرهم الذي هو سبب الوعيد فقال تعالى وقيضنا قال مقاتل هيانا وقال الزجاج سببنا لهم اي للكفرة واصل التقييض التيسير والتهيئة يقال قيضته للدواهية له ويسرته وهذان ثوبان قيضان اي كل منهما مكافئ للاخر في الثمن وقوله تعالى قرناء اي نظراء من الشياطين حتى اضلوهم جمع قرين

قال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين **وقيضنا**
لهم اي من القبائح **ما بين ايديهم** اي من امر الدنيا من اتباع الشهوات وايثارها على
الاخرة **وما خلفهم** اي من امر الاخرة تدعوهم الى التكذيب والانكار
البعث وقال الزجاج زينوا لهم ما بين ايديهم من امر الاخرة انه لا بعث
ولا جنة ولا نار وما خلفهم من امر الدنيا قديمة ولا صانع الا الطبائع
والافلاك قال القشيري اذا اراد الله بعبده سوءا قيض له
اخوان سوء وقرناء سوء يحملونه على المخالفات ويدعونه اليها ومن ذلك
الشيطان وشر منه النفس وبئس القرين تدعو اليوم الى ما فيه الهلاك
وتشهد غدا عليه واذا اراد الله بعبده خيرا قيض له قرناء خير يعينونه
على الطاعة ويحملونه عليها ويدعونه اليها وروي عن انس ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال اذا اراد الله بعبد شرا قيض له قبل موته شيطانا
فلا يرى حسنا الا قبحه عنده ولا قبيحا الا حسنه عنده وعن
عائشة اذا اراد الله بالوالي خيرا جعل له وزير صدق ان نسي ذكره
وان ذكر اعانه وان اراد غير ذلك جعل له وزير سوء ان نسي لم يذكره
وان ذكر لم يعنه وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة الا كانت له بطانة
تامره بالمعروف وتحضه عليه وبطانة تامره بالشر وتحضه عليه
والمعصوم من عصمه الله تعالى تنبيه في الاية دلالة على انه تعالى يريد
الكفر من الكافرين لانه تعالى قيض لهم قرناء سوء فزينوا لهم الباطل وهذا
يدل على انه تعالى اراد منهم الكفر ولكن لا يرضاه كما قال تعالى ولا يرضى
لعباده الكفر **وحق** اي وجب وثبت **عليهم القول** اي كلمة
العذاب وقرا ابو عمرو في الوصل بكسر الهاء والميم وحمزة والكسائي
بضم الهاء والميم والباقون بكسر الهاء وضم الميم وقوله تعالى **في**
امم محله نصب على الحال من الضمير في عليهم اي حق عليهم
القول كائنين في جملة امم كثيرة وفي بمعنى مع **قد خلت** اي
لم تتعظ امة منهم بالاخرى **من قبلهم** اي في الزمان **من الجن**
والانس وقد عملوا مثل اعمالهم وقوله تعالى **انهم** اي جميع
المذكورين منهم وممن قبلهم **كانوا خاسرين** تعليل لاستحقاقهم
العذاب وقوله تعالى **وقال الذين كفروا** اصله وقالوا اي المعرضون ولكنه
قال ذلك تنبيها على الوصف الذي اوجب اعراضهم **لا تسمعوا**
اي شيئا من مطلق السماع **لهذا القرآن** وعنوه بالاشارة احترازا
عن غيره من الكتب القديمة كالتوراة قال القشيري لانه مقلب للقلوب
وكل من استمع له صبا اليه **والغوا** اي اهزؤوا **فيه** اي اجعلوه ظرفا

للغو

للغو بان تكثروا فيه من الخرافات والهذيانات واللغط واللغو والتصدية اي
الصفير والتصفيق وغيرهما وقال ابن عباس كان بعضهم يوصي قريشا بعضهم
بعضا اذا رايتم محمدا يقرا فعارضوه بالرجز والشعر واللغو وهو من لغي بالكسر
يلغى بالفتح اذا تكلم بما لا فائدة فيه **لعلكم تغلبون** اي تغلبونه على
قراءته انتهى بيضاوي **فلنذيقن الذين كفروا** اظهر في موضع الاضمار اذ اصله
فلنذيقنهم لكنه تعميما وتعليقا بالوصف **عذابا شديدا** في الدنيا
بالحرمان وما يتبعه من فنون الهوان وفي الاخرة بالنيران **ولنجزينهم** اي
باعمالهم **اسوا** اي جزاء اسوا العمل **الذي كانوا يعملون** اي مواظبين عليه
ذلك اي الجزاء الاسوا العظيم جدا **جزاء اعداء الله** اي الملك الاعظم
ثم بينه بقوله تعالى **النار** وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو في الوصل بابدال
الهمزة الثانية المفتوحة واوا خالصة والباقون بتحقيقهما واما الابتدا
بالثانية فكالجميع بالتحقيق ثم فصل بعض ما في النار بقوله تعالى **لهم فيها**
اي النار **دار الخلد** اي الخلود اي فانها دار اقامة قال الزمخشري
فان قلت ما معنى قوله لهم فيها دار الخلد قلت قال معناه ان النار
في نفسها دار الخلد كقوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة
اي والرسول هو نفس الاسوة وقال البيضاوي هو كقولك في هذه
الدار دار سرور وتعني بالدار عينها على ان المقصود هو الصفة قال
ابن عادل وفي هذا نظر اذ الظاهر وهو معنى صحيح منقول ان في النار دارا
تسمى دار الخلد والنار محيطة بها انتهى وهذا اولى وقوله تعالى
جزاء منصوب بالمصدر الذي قبله وهو جزاء اعداء الله والمصدر
ينصب بمثله لقوله تعالى فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا **بما كانوا باياتنا**
يجحدون اي علما لنا من العظمة اي يلغون في القراءة وسماه جحدا لانهم
لما علموا ان القرآن بالغ الى حد الاعجاز خافوا من انه لو اسمعه الناس
لآمنوا فاستخرجوا تلك الطريقة الفاسدة وذلك يدل على انهم علموا
كونه معجزا وانهم جحدوا حسدا ولما بين تعالى ان الذي حملهم على
الكفر الموجب للعقاب الشديد مجالسة قرناء السوء بين ما يقولون في
النار بقوله تعالى **وقال الذين كفروا** اي غطوا انوار قلوبهم داعين بما لا
يسمع لهم فهو زيادة في عقوبتهم وحكايته لنا وعظ وتحذير **ربنا**
اي ايها الذي لم يقطع احسانه عنا **ارنا** الصنفين **اللذين**
اضلانا اي عن المنهج الموصل الى محل الرضوان **من الجن والانس**
لان الشيطان على ضربين جني وانسي قال الله تعالى وكذلك
جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن وقال تعالى الذي يوسوس
في صدور الناس من الجنة والناس وقيل هما ابليس وقابيل بن ادم

الذي قتل اخاه لان الكفر سنة ابليس والقتل بغير حق سنة قابيل فهما سنا
المعصية وقرا ابن كثير والسوسي وابن عامر وشعبة بسكون الرا من ارنا
واختلس الدوري كسر الرا وكسرها الباقون وشدد النون ابن كثير من اللذين
نجعلهما تحت اقدامنا في النار اذلالا لهما كما جعلانا تحت امرهما ليكونا
من الاسفلين قال مقاتل اسفل منا في النار وقال الزجاج ليكونا
في الدرك الاسفل اي من اهل الدرك الاسفل وممن هو دوننا كما جعلانا
كذلك في الدنيا في حقيقة الحال باتباعنا لهما وقال بعض الحكما المراد
باللذين بعض الشهوة والغضب والمراد بجعلهما تحت اقدامهم كونهما مسخرين
للنفس مطيعين لها وان لا يكونا مستوليين عليها ظاهرين لها ولما ذكر
تعالى الوعيد اردفه بذكر الوعد كما هو الغالب فقال تعالى ان الذين قالوا
اي قولا حقيقيا مذعنين به بالجنان وناطقين باللسان تصديقا للداعي الله
تعالى في الدنيا ربنا اي المحسن الينا ربنا اي المحض بالجلال والاكرام
وحده لا شريك له وثم في قوله ثم استقاموا للتراخي في الرتبة في
الفضيلة فان الثبات على التوحيد ومصححاته الى الممات امر في علو رتبته
لا يرام الا بتوفيق ذي الجلال والاكرام سئل ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه
فقال ان لا تشرك بالله شيئا وقال عمر رضي الله تعالى عنه ان تستقيم
على الامر والنهي ولا تروغ روغان الثعلب وقال عثمان اخلصوا العمل
لله وقال علي ادوا الفرائض وقال ابن عباس استقاموا على امر الله
تعالى بطاعته واجتنبوا معصيته وقال مجاهد وعكرمة استقاموا
على شهادة ان لا اله الا الله حتى لحقوا بالله وقال قتادة كان الحسن اذا تلى
هذه الاية قال اللهم ربنا ارزقنا الاستقامة وقال سفيان
ابن عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله اخبرني بامر اعتصم به قال قل
ربي الله ثم استقم فقلت ما اخوف ما تخاف علي فاخذ رسول الله صلى
الله عليه وسلم بلسان نفسه فقال هذا قال ابو حيان قال ابن عباس
نزلت هذه الاية في ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه تتنزل عليهم
الملائكة قال ابن عباس عند الموت وقال قتادة اذا قاموا من قبورهم
وقال وكيع بن الجراح البشرى تكون في ثلاثة مواطن عند الموت
وفي القبر وعند البعث وهي ان لا تخافوا قال مجاهد لا تخافون
على ما تقدمون عليه من امر الاخرة ولا تحزنوا اي على ما خلفتم من اهل
وولد فانا نخلفكم في ذلك كله وقال عطاء ابن ابي رباح لا تخافوا
من ذنوبكم ولا تحزنوا فاني اغفرها لكم والخوف غم يلحق لتوقع المكروه
والحزن يلحق لوقوعه من فوات نافع او حصول ضار والمعنى ان الله
كتب لكم الامن من كل غم فلن تذوقوه ابدا تنبيه يجوز في ان ان

تكون

تكون المخففة او المفسرة او الناصبة ولا ناهية على الوجهين الاولين
ونافية على الثالث وابشروا اي املؤوا صدوركم سرورا يظهر اثره على
بشرتكم بتهلل الوجه ويعم سائر الجسد بالجنة التي كنتم اي كونا عظيما
على السنة الرسل توعدون اي يتجدد لكم ذلك كل حين بالكتب
والرسل تنبيه فيما ذكر دلالة على ان المومن عند الموت وفي القبر
وعند البعث يكون فارغا من الاهوال والفزع الشديد فان قيل
البشارة عبارة عن الخبر الاول بحصول المنافع فاما اذا اخبر
الشخص بحصول المنفعة ثم اخبر ثانيا بحصولها كان الاخبار الثاني
اخبارا لا يكون بشارة والمومن يسمع بشارات الخير فاذا سمع المومن
هذا الخبر من الملائكة وجب ان يكون هذا اخبارا ولا يكون بشارة فما
السبب في تسمية هذا الخبر بشارة اجيب بان المومن قد يسمع بشارات
الخير ولم يعلم بان له الجنة فيكون هذا بشارة اما اذا علم انه من اهل الجنة
باخبار نبي فانه اذا سمع هذا الكلام من الملائكة فانه يكون اخبارا ولما اثبتوا
لهم الخير ونفوا عنهم الضير على اللوم يقولون لهم نحن اولياؤكم اي اقرب
الاقرب اليكم فنحن نفعل كلما يمكن ان يفعله القريب في الحياة الدنيا نجلب
لكم المسرات وندفع عنكم المضرات ونحملكم على جميع الخيرات فنوقظكم
من المنام ونحملكم على الصلاة والصيام ونبعدكم عن الاثام بضد
ما يفعله الشياطين مع اوليائهم وفي الاخرة كذلك حيث تتعادى
الاخلاء الا الاتقيا قال السدي تقول الحفظة نحن الحفظة
الذين كنا معكم في الدنيا ونحن اولياؤكم في الاخرة اي لا نفارقكم حتى
تدخلوا الجنة ولكم فيها اي في الاخرة في الجنة وقبل دخولها في
جميع اوقات المحشر لكم فيها ولو على ادنى وجوه الشهوة بما
يرشد اليه حذف المفعول ما تشتهي من اللذائذ لاجل ما
منعتموها من الشهوات في الدنيا انفسكم اي في الاخرة ولكم
فيها ما تدعون اي تتمنون من الدعا بمعنى الطلب وهو اعم من القول
وقوله تعالى نزلا حال مما تدعوا اي هذا كله يكون لكم
كما يقدم الى الضيف عند قدومه الى ان يهيا له ما يضاف به اماما
يعطون فهو مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
ولما كان من حوسب عذب فلا يدخل الجنة احد الا برحمة الله تعالى
اشار الى ذلك بقوله تعالى من اي كاينا ذلك النزل من غفور له
صفة المحو للذنوب عينا واثرا على غاية لا يمكن وصفها رحيم اي بالغ
الرحمة وهو الله تعالى واختلف في تفسير قوله تعالى ومن
احسن قولا اي من جهة القول ممن دعا الى الله اي الذي

عم بصفات كماله جميع الخلق فقال ابن سيرين والسدي هو رسول الله صلى الله
عليه وسلم دعا الى شهادة ان لا اله الا الله وقال الحسن هو المؤمن الذي اجاب
الله دعوته ودعا الناس الى ما اجاب له وعمل اي والحال انه قد عمل
صالحا في نفسه ليكون ذلك امكن لدعايته وقال انني من المسلمين تفاخرا
به وقاطعا الطمع المفسدين وقال عكرمة هم المؤذنون وقالت عائشة ان
هذه الاية نزلت في المؤذنين وقال ابو امامة الباهلي وعمل صالحا
ركعتين بين الاذان والاقامة وعن عبد الله بن معقل قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم بين كل اذانين صلاة ثلاث مرات ثم قال في الثالثة
لمن شاء وعن انس بن مالك قال الدعا بين الاذان والاقامة لا يرد ولا
تستوي الحسنة ولا السيئة اي الصبر والغضب والحلم والجهل والعفو
والاساءة في الجزاء وحسن العاقبة تنبيه في لا الثانية وجهان
احدهما انها زايدة للتاكيد كقوله تعالى ولا الظل ولا الحرور لانه
استوى لا يكتفي بواحد الثاني انها مؤسسة غير مؤكدة اذ المراد بالحسنة
والسيئة الجنس اذ لا تستوي الحسنات في انفسها فانها متفاوتة
ولا تستوي السيئات ايضا فرب واحدة اخف من الاخرى وهو ماخوذ
من كلام الزمخشري ادفع كل ما يمكن ان يضرك من نفسك ومن الناس
بالتي اي الخصال والاحوال التي هي احسن على قدر الامكان من
الاعمال الصالحات والعفو عن المسيء حسن والاحسان احسن منه
فاذا الذي بينك وبينه عداوة عظيمة فاجاته حال كونه كانه ولي اي
قريب فاعل ما يفعله القريب حميم اي في غاية القرب لا يدع مهما
الا قضاه وسهله ويسره وشفى علله وقرب بعيده وازال درنه كما يزيل
الما الحار الوسخ وقيل نزلت في ابي سفيان بن حرب وكان عدوا موذيا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وصار وليا مصافيا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم نبه على عظم فضل هذه الخصلة بقوله تعالى وما يلقاها
اي على ما هي عليه من العظمة الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم من
الفضايل النفسانية وقال قتادة الحظ العظيم الجنة اي وما يلقاها
الا من وجبت له الجنة وقوله تعالى واما فيه ادغام نون ان الشرطية
في ما الزايدة ينزغنك من الشيطان نزغ قال الزمخشري النزغ والنسغ
بمعنى واحد وهو شبه النخس والشيطان ينزغ الانسان كانه
ينخسه يبعثه على ما لا ينبغي وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده او اريد
واما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر او لتسويله والمعنى
وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي احسن
فاستعذ بالله اي استجر بالملك الاعلى من الشيطان واطلب

من الله

من الله الدخول في عصمته مبادرا الى ذلك وامض على شانك ولا تطعه وتوكل على
الله تعالى انه هو اي وحده السميع اي لكل مسموع من استعاذة
ذلك وغيرها العليم اي بكل معلوم من نزغه وغيره فهو القادر على رد
كيده وتوهين امره ثم استدل على ذلك بقوله تعالى ومن اياته الدالة
على وحدانيته وانه سميع عليم الليل والنهار باختلافهما وهيئتهما
على قدرته على البعث وكل مقدور وقدم ذكر الليل على النهار تنبيها على
ان الظلمة عدم والنور وجود والعدم سابق على الوجود والشمس والقمر
اللذان هما الليل والنهار وقدم الشمس على ذكر القمر لكثرة نفعها ولما
ثبت انه تعالى المنفرد بالخلق قال سبحانه لا تسجدوا للشمس التي
هي من اعظم اياتكم واعاد النافي تاكيدا فقال ولا للقمر فانهما دالان
على وجود الله مخلوقان مسخران فلا ينبغي السجود لهما لان السجود عبارة
عن نهاية التعظيم وهو لا يليق الا بالذي اوجدهما من العدم كما قال تعالى
واسجدوا لله اي الذي له كل كمال من غير شايبة نقص واختلف
في عود الضمير في قوله تعالى الذي خلقهن على اوجه اولاها رجوعه
للايات الاربع كما جرى عليه الجلال المحلي وقيل يرجع لليل والنهار
والشمس والقمر قال الزمخشري لان حكم جماعة ما لا يعقل حكم
الانثى والاناث يقال الاقلام بريتها وبريتهن وناقشه ابو حيان
من حيث انه لم يفرق بين جمع القلة والكثرة في ذلك لان الافصح في
جمع القلة ان يعامل معاملة الاناث وفي جمع الكثرة ان يعامل معاملة
الانثى والافصح ان يقال الاجذاع كسرتهن والجذوع كسرتها واجاب
بعضهم بان الزمخشري ليس في مقام بيان الفصيح والافصح بل في
مقام كيف يجيء الضمير ضمير اناث بعد تقدم ثلاثة اشيا مذكرات
وواحد مؤنث والقاعدة تغليب المذكر على المؤنث وقال البغوي
انما قال خلقهن بالتانيث لانه اجراها مجرى على طريق جمع التكسير
ولم يجر على طريق التغليب للمذكر على المؤنث ولما ظهر ان الكل عبيده
وكان السيد لا يرضى باشراك عبده عبدا اخر في عبادة سيده قال تعالى
ان كنتم اياه اي خاصة بغاية الرسوخ تعبدون كما هو صريح قولكم
في الدعا وفي وقت الشدايد لا سيما في البحر وفي الاية اشارة الى الحث على صيانة
الادميين وعن ان يقع منهم سجود لغيره رفعا لمقامهم عن ان يكونوا ساجدين
لغيرهم لمخلوق بعد ان كانوا مسجودا لهم فانه تعالى امر الملايكة الذين هم
من اشرف خلقه بالسجود لادم وهم في ظهره فتكبر ابليس فابد لعنه الى
يوم القيامة فان استكبروا اي اوجدوا التكبر عن اتباعك فيما امرتهم
به من التوحيد فلم ينزهوا الله تعالى عن الشريك فالذين عند ربك

اي من الملئكة قال الرازي ليس المراد بهذه العندية قرب المكان بل يقال عند
الملك من الجند كذا وكذا ويدل عليه قوله تعـ انا عند ظن عبدي بي وانا عند
المنكسرة قلوبهم من اجلي **يسبحون له بالليل والنهار** اي دايما لقوله تعـ
وهم لا يسئمون اي لا يملون ولقوله سبحانه وتعالى يسبحون الليل
والنهار لا يفترون فان قيل اشتغالهم بهذا العمل على الدوام يمنعهم
من الاشتغال بساير الاعمال مع انهم ينزلون الى الارض كما قال تعالى
نزل به الروح الامين على قلبك وقال تعالى عن الذين قاتلوا يوم بدر يمددكم
ربكم بخمسة الاف من الملئكة مسومين اجيب بان الذين ذكرهم
الله تعـ ههنا بكونهم مواظبين على التسبيح اقوام معينون من الملئكة
تنبيه اختلف في مكان السجدة فقيل هو عند قوله تعـ اياه تعبدون
وهو قول ابن مسعود والحسن حكاه الرافعي عن ابي حنيفة واحمد لان ذكر
السجدة قبله والصحيح عند الشافعي رضي الله عنه عند قوله لا يسامون
وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب وقتادة وحكاه الزمخشري
عن ابي حنيفه لان عنده تم الكلام ولما ذكر تعـ الدلايل الاربعة الفلكية
اتبعها بذكر الدلايل الارضية فقال تعالى **ومن اياته** الدالة على قدرته
ووحدانيته **انك** اي ايها الانسان **ترى الارض** اي بعضها
بحاسة البصر وبعضها بحاسة البصيرة قياسا على ما ابصرت ...
خاشعة اي يابسة لا نبات فيها والخشوع التذلل والتقاصر فاستعير
لحال الارض اذا كانت قحطة لا نبات فيها كما وصفها بالهمود في قوله
تعـ وترى الارض هامدة وهو خلاف وصفها بالاهتزاز والربو كما قال
تعـ **فاذا انزلنا** اي بما لنا من العظمة **عليها الماء** من الغمام او
غيره **اهتزت** اي تحركت حركة عظيمة كثيرة سريعة فكان كمن
يعالج ذلك بنفسه **وربت** اي تشققت فارتفع ترابها وخرج منها
النبات وسما في الجو مغطيا لوجهها وتشعبت عروقه وغلظت
سوقه فصار يمنع سلوكها على ما كانت عليه من السهولة وتزخرفت
بذلك النبات كانها بمنزلة المختال في زيه لما كانت قبل ذلك كالذليل
الكاسف البال في الاطمار الرثة وقرا السوسي ترى الارض في الوصل
بالامالة بخلاف عنه والباقون بالفتح وفي الوقف امال محضة ابو عمرو
وحمزة والكسائي وورش بين بين والباقون بالفتح ثم استدل بذلك
على القدرة على البعث فقال تعـ **ان الذي احياها** اي بما اخرج
من نباتها بعد ان كانت ميتة **لمحيي الموتى** فعل بالنبات من غير
فرق **انه على كل شيء قدير** فهو قادر على احيا الارض بعد موتها وعلى
احيا هذه الاجساد بعد موتها لان الممكنات بالنسبة الى القدرة

متساوية فالقادر قدرة تامة على شيء منها قادر على غيره ثم انه تعـ هدد من
يجادل في اياته بالقاء الشبهات فيها بقوله تعالى **ان الذين يلحدون في اياتنا**
اي القران على ما لها من العظمة بالطعن والتحريف والتاويل الباطل والالغا
وقرا حمزة بفتح اليا فيهما والحا من لحد والباقون بضم اليا وكسر الحا من الحد
يقال لحد الحافر والحد اذا مال عن الاستقامة بحفر في شق فالملحد هو المنحرف
ثم اختص في العرف بالمنحرف عن الحق الى الباطل قال مجاهد يلحدون في
اياتنا بالمكاء والتصدية واللغو والغلط وقال السدي يعاندون
ويشاقون **لا يخفون علينا** اي في وقت من الاوقات ونحن قادرون
على اخذهم متى شينا ولا يعجل الا من يخشى الفوات قال مقاتل نزلت في
ابي جهل وقوله تعـ **افمن يلقى في النار** اي على وجهه بابي جهل **خير ام من
ياتي امنا يوم القيمة** استفهام بمعنى التقرير والغرض منه التعريض
التنبيه على ان الملحدين في الايات يلقون في النار وان المومنين بالايات
ياتون امنين يوم القيامة عند جمع الله عباده للعرض عليه ليحكم بينهم
بالعدل قال البغوي قيل هو حمزة وقيل هو عثمان وقيل عمار بن ياسر
فايدة ام من في الرسم مقطوعة وقوله تعـ **اعملوا ما شيتم** اي فقد
علمتم مصير المسيء والمحسن تهديد فمن اراد شيا من الجزاين فليعمل اعماله
فانه ملاقيه وقوله تعـ **انه بما تعملون** اي في كل وقت **بصير** اي عالم
باعمالكم فيه وعيد بالمجازاة وقوله تعـ **ان الذين كفروا بالذكر** اي القران
لما جاءهم اي نجازيهم بدل من قوله تعـ ان الذين يلحدون او مستانف
وخبر ان محذوف مثل معاندون او هالكون او اوليك ينادون ولما بالغ
تعـ في تهديد الملحدين في ايات القران اتبعه ببيان تعظيم القران فقال
تعالى **وانه** اي والحال انه **لكتاب** اي جامع لكل خير **عزيز** اي فهو كثير
النفع عديم النظير يغلب كل ذكر ولا يغلبه ذكر ولا يقرب منه ذلك ويعجز
كل معارض ولا يعجز عن اقعاد مناهض وقال الكلبي عن ابن عباس
كريم على الله تعـ **لا ياتيه الباطل** لانه ممتنع بمتانة وصفه وجزالة نظمه وحلاوة
معانيه فلا يلحقه تغيير **من بين يديه ولا من خلفه** اي لا يتطرق اليه الباطل من جهة
من الجهات لان قدام اوضح ما يكون وما خلف اخفى ما يكون فما بين ذلك من باب
الاولى والعبارة كناية عن ذلك لان صفة الله تعـ لا وراء لها ولا امام لها
على الحقيقة ومثل ذلك ليس وراء الله تعـ مرمى ولا دونه منتهى وقال
قتادة والسدي الباطل هو الشيطان لا يستطيع ان يغيره او يزيد فيه
او ينقص منه وقال الزجاج معناه انه محفوظ من ان ينقص منه فياتيه
الباطل من بين يديه او يزاد فيه فياتيه الباطل من خلفه وعلى هذا
فمعنى الباطل الزيادة او النقصان وقال مقاتل لا ياتيه التكذيب

من الكتب التي قبله ولا يأتي بعده كتاب فيبطله ثم علل ذلك بقوله تعالى تنزيل
اي بحسب التدريج لاجل المصالح من حكيم اي بالغ الحكمة فهو يضع كل
شيء منه في اتم محله من وقت النزول وسياق النظم حميد اي
بالغ الاحاطة باوصاف الكمال من الحكمة وغيرها والتطهر والتقديس
عن كل شائبة نقص يحمده كل خلق بلسان حاله ان لم يحمده بلسان
قاله فان قيل اما طعن فيه الطاعنون وتاوله المبطلون اجيب
بان الله تعالى حماه عن تعلق الباطل به بان قيض قوما عارضوهم بابطال
تاويلهم وافساد اقاويلهم فلم يخلوا طعن طاعن الا ممحوقا ولا قول
مبطل الا مضمحلا ونحو هذا قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له
لحافظون ثم سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ما يقال اي
من الكفار ومن غيرهم لك يا اكرم الخلق مما يحصل به ضيق
صدر وتشويش فكر الا ما اي شيء قد قيل اي حصل
قوله على ذلك الوجه للرسل من قبلك فصبروا على ما اوذوا فاصبر
كما صبروا ان ربك اي المحسن اليك بارسالك وانزال الكتاب
اليك ومن يكرم بمثل هذا لا ينبغي له ان يحزن لشيء يعرض له لذو
مغفرة اي لمن تاب وامن بك وذو عقاب اليم اي مولم لمن
اصر على التكذيب وعلى هذا فقوله تعالى ان ربك الاية مستانف
وقيل مفسر للمقول كانه قيل للرسل ان ربك لذو وجرى
على ذلك الزمخشري ونزل جوابا لقولهم هلا نزل القران بلغة
العجم ولو جعلناه اي هذا الذكر بما لنا من العظمة قرانا اي
على ما هو عليه من الجمع اعجميا اي لا يفصح لقالوا اي هولاء
المتعنتون لولا اي هلا ولم لا فصلت اي بينت
اياته حتى نفهمها وقولهم ءاعجمي اي اقران اعجمي
وعربي استفهام انكار منهم وقال مقاتل كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل على يسار غلام عامر
ابن الحضرمي وكان يهوديا اعجميا ابا فكيهة فقال المشركون
انما يعلمه يسار فضربه سيده وقال انك تعلم محمدا فقال هو
يعلمني فانزل الله تعالى هذه الاية وقرا قالون وابو عمرو بتحقيق الهمزة
الاولى وتسهيل الثانية وادخال الف بينهما وورش وابن كثير
وابن ذكوان وحفص بتسهيل الهمزة ولا ادخال واسقط هشام
الاولى والباقون بتحقيقهما وقوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم
قل هو اي هذا القران للذين امنوا اي اردنا وقوع الايمان
منهم هدى اي بيان لكل مطلوب وشفاء اي لما في صدورهم

من داء الكفر والهوى وقيل من الاوجاع والاسقام متعلق كما قال الرازي
بقولهم وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه الاية كانه تعالى
يقول ان هذا الكلام ارسلته اليكم بلغتكم لا بلغة اجنبية عنكم
فلا يمكنكم ان تقولوا قلوبنا في اكنة منه بسبب جهلنا بـ
هذه اللغة فكل من اعطاه الله طبعا مائلا الى الحق وقلبا داعيا الى
الصدق فان هذا القران يكون في حقه هدى وشفاء واما من غرق في بحر
الخذلان وشغف بمتابعة الشيطان فهو في ظلمة وعمى كما قال تعالى
والذين لا يؤمنون في اذانهم وقر اي ثقل فلا يسمعون سماعا ينفعهم
وهو عليهم عمى فلا يبصرون الداعي حق الابصار ثم قال الرازي
وكل من انصف علم ان التفسير على هذا الوجه الذي ذكرناه اولى مما ذكروه
اي انه متعلق بما قبله لان السورة تصير بذلك من اولها الى اخرها
كلاما واحدا منتظما مسوقا نحو غرض واحد انتهى ولما بان بهذا بعدهم
عن علياته وطردهم عن فنائه قال تعالى اولئك اي البعداء البغضاء
مثالهم مثال من ينادون اي يناديهم من يريد نداهم غير الله تعالى
من مكان بعيد اي هم كالمنادى من مكان بعيد لا يسمع ولا يفهم ما ينادى
به ولقد اتينا على ما لنا من العظمة موسى الكتاب اي التوراة
فاختلف اي وقع الاختلاف فيه وجه تعلقه بما قبله كانه قيل
لما انا لما اتينا موسى الكتاب فقبله بعضهم وهم اصحابك ورده
اخرون وهم الذين يقولون قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه ولولا
كلمة اي ارادة سبقت في الازل من ربك اي المحسن اليك
بتاخير الحساب والجزاء للخلائق الى يوم القيمة لقضي بينهم اي في
الدنيا فيما اختلفوا فيه من انصاف المظلوم من ظالمه قال تعالى بل الساعة
موعدهم ولكن نوخرهم الى اجل مسمى وانهم لفي شك اي المكذبين يحيط
بهم منه اي القضاء يوم الفصل مريب اي موقع في الريب وهو التهمة
والاضطراب بحيث لا يقدرون على التخلص من دائرته اصلا ثم قال تعالى
لنبيه صلى الله عليه وسلم من عمل صالحا اي كائنا من كان فلنفسه اي
فنفع عمله لها لا لاحد يتعداها والنفس فقيرة الى التزكية بالاعمال
الصالحة لانها محل النقائص فلذا يجزيها ومن اساء في عمله فعليها اي
على نفسه خاصة ليس عليك منه شيء فخفف عن نفسك اعراضهم
فانهم ان امنوا فنفع ايمانهم يعود اليهم وان كفروا فضرر كفرهم
يعود اليهم والله سبحانه وتعالى يوصل الى كل احد ما يليق به من
الجزاء وما ربك اي المحسن اليك بارسالك لتتميم مكارم الاخلاق
اي بذي ظلم بظلام .. اي هذا الجنس فلا يتصور ان يقع ظلم لاحد ه

منهم اصلا لان له الغنا المطلق والحكمة البالغة **اليه** اي المحسن اليك
لا الى غيره **يرد علم الساعة** اي لا سبيل الى معرفة وقت ذلك اليوم ولا
يعلمه الا الله تعالى وكذلك العلم بحدوث الحوادث المستقبلة في
اوقاتها المعينة ليس الا عند الله ثم ذكر من امثلة هذا الباب مثلين
قوله تعالى **وما تخرج من ثمرة** اي في وقت من الاوقات وقرا نافع وابن عامر
وحفص بالف بعد الراء جمعا والباقون بغير الف افرادا وقوله تعالى
من اكمامها جمع وكامة قال البقاعي تبعا للزمخشري بالكسر فيهما
وهو وعاء الطلع وكلما غطا على وجه الاحاطة شيا من شانه ان
يخرج فهو كم وقال الراغب الكم ما يغطي اليد من القميص وما يغطي الثمرة
وجمعه اكمام وهذا يدل على انه مضموم الكاف او جعله مشتركا
بين كم القميص وكم الثمرة ولا خلاف في كم القميص انه بالضم فيجوز ان
يكون في وعاء الثمرة لغتان دون كم القميص جمعا بين القولين
والمثال الثاني قوله تعالى **من اكمامها** حملا ناقصا او تاما واكد
النفي باعادة النافي ليشهد كل على حياله **وما تحمل من انثى** حملا احيا او ميتا
ولا تضع حال كونه متلبسا **بعلمه** لا لاحد غيره ومن ادعى علما به فليخبر ان ثمرة الحديقة
الفلانية والبستان الفلاني والبلد الفلاني تخرج في الوقت الفلاني
تحمل في الوقت الفلاني او لا تخرج العام شيا والمراة الفلانية تحمل في
الوقت الفلاني وتضع في وقت كذا او لا تحمل شيا ومن المعلوم
انه لا يحيط بهذا علما الا الله تعالى فان قيل قد يقول ان الرجل الصالح
من اصحاب الكشوف قولا فيصيب فيه وكذلك الكهان والمنجمون اجيب
بان اصحاب الكشوف اذا قالوا قولا فهو من الهام الله تعالى واطلاعهم اياه عليه
فكان من علمه الذي يرد اليه واما الكهان والمنجمون فلا يمكنهم القطع والجزم
في شيء مما يقولونه البتة وانما غايتهم ادعاء ظن ضعيف قل ما يصيب وعلم
الله تعالى هو العلم اليقين المقطوع به الذي لا يشاركه فيه احد
جل وعلا **ويوم يناديهم** اي المشركين بعد بعثهم من القبور
للفصل بينهم في سائر الامور اين شركاي اي الذين زعمتم
انهم يشفعون لكم في هذا اليوم وينجونكم من العقاب واليوم
قالوا اي المشركون **آذناك** اي اعلمناك **ما منا** واكدوا النفي
بادخال الجار **من شهيد** اي يشهد ان لك شريكا وذلك لما رأوا
العذاب تبروا من الاصنام وقيل ما منا احد يشاهدهم لانهم ضلوا
عنهم وضلت عنهم الهتهم فلا يبصرونها في ساعة التوبيخ وقيل
هذا كلام الاصنام كان الله تعالى يحييها وانها تقول ما منا من
شهيد اي احد يشهد بصحة ما اضافوا الينا من الشركة وعلى هذا

حملا ناقصا او تاما واكد النفي باعادة النافي ليشهد كل على حياله **ولا تضع** حملا

القدير

القدير فمعنى ضلالهم عنهم انهم لا ينفعونهم فكانهم ضلوا عنهم
وهو معنى قوله تعالى **وضل** اي ذهب وغاب وخفي **عنهم ما كانوا** اي
دايما **يدعون** في كل حين على وجه العبادة **من قبل** فهم لا يرونه فضلا
عن انهم يجدون نفعه **وظنوا** اي في ذلك الحال **ما لهم** وابلغ
في النفي بادخال الجار على المبتدا المؤخر فقال **من محيص** اي مهرب
وملجا ومعدل ولما بين تعالى من حال هولاء الكفار انهم بعد ان كانوا مصرين
على القول باثبات الشركاء في الاخرة بين تعالى ان الانسان في جميع
الاوقات متغير الاحوال فان احس بخير وقدرة تعاظم وان احس
ببلاء ومحنة ذل لقوله تعالى **لا يسام** اي لا يمل ولا يعجز **الانسان** اي الانس
بنفسه الناطق اعطافه الذي لم يتاهل للمعارف الالهية والطرق الشرعية
من دعاء الخير اي لا يزال يطلبه المال والصحة وغيرهما **وان مسه الشر** اي من
فقر وشدة وغيرهما **فيؤس** من فضل الله تعالى **قنوط** من رحمة الله
تعالى والمعنى ان الانسان في حال الاقبال لا ينتهي الى درجة الا ويطلب
الزيادة عليها وفي حال الادبار والحرمان يصير ايسا قانطا وهذا صفة
الكافر لقوله تعالى لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون تنبيه
في قوله تعالى فيؤس قنوط مبالغة من وجهين احدهما من طريق فعول
والثاني من طريق التكرير واليأس من صفة القلب والقنوط ان يظهر اثار
الياس في الوجه والاحوال الظاهرة ثم بين تعالى حال هذا الذي صار ايسا
قانطا بقوله تعالى **ولئن** اللام لام القسم **اذقناه** اي اتيناه كل
الانسان **رحمة** اي غنا وصحة **منا** اي بما لنا من العظمة والقدرة
من بعد ضراء اي شدة وبلاء **مسته** فانه ياتي بثلاثة انواع
من الاقاويل الفاسدة الموجبة للكفر والبعد من الله تعالى الاول منها ما حكاه
الله تعالى بقوله سبحانه **ليقولن** بمجرد ذوق تلك الرحمة على انها ربما كانت
بلاء عظيما لكونها استدراجا الى الهلاك **هذا** الامر العظيم **لي** اي
حقي مختص به وصل الي لاني استوجبته بعلمي وعملي ولا يعلم المسكين
ان احدا لا يستحق على الله شيا لانه ان كان عاريا من الفضايل
فكلامه ظاهر الفساد وان كان موصوفا بشيء من الفضايل والصفات
الحميدة فهي انما حصلت بفضل الله واحسانه النوع الثاني من كلامه
الفاسد قوله **وما اظن الساعة** اي القيامة **قايمة** اي ثابتة قيامها
فقطع الرجاء منها سواء عبر عن ذلك بلسان قاله وحاله او بلسان حاله
لكونه يفعل افعال الشاك فيها النوع الثالث من كلامه الفاسد
قوله **ولئن** اللام لام القسم **رجعت** اي على سبيل الفرض اي
ان هذا الكافر يقول لست على يقين من البعث وان كان الامر على ذلك

ورددت الى ربي الذي احسن الي بهذا التسخير الذي انا فيه ان لي عنده للحسنى اي الحالة الحسنى من الكرامة وهي الجنة كما اعطاني في الدنيا سيعطيني في الآخرة ولما حكى الله تعالى عنهم هذه الاقوال الثلاثة الفاسدة قال تعالى شأنه فلننبئن الذين كفروا بما عملوا فلنخبرنه الذين كفروا اي ستروا ما دلت عليه العقول وصرايح النقول لا ندع كثيرا ولا قليلا صغيرا و لا كبيرا فليرون عيانا ضد ما ظنوه في الدنيا من ان لهم الحسنى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقال ابن عباس لنقفنهم على مساوي اعمالهم ولنذيقنهم اي بعد اقامة الحجة عليهم بموازين القسط الوافية لمثاقيل الذر من عذاب غليظ اي شديد لا يدع جهة من اجسامهم الا احاط بها ولما حكى الله تعالى اقوال الذين نعم عليهم بعد وقوعه في الآفات حكى افعاله ايضا فقال واذا انعمنا اي بما لنا من العظمة على الانسان اي الواقف مع نفسه نعمة تليق بعظمتنا اعرض اي عن التعظيم لامر الله تعالى والشفقة على خلق الله ونأى اي ابعد بعدا جعل بيننا وبينه حجابا عظيما بجانبه اي ثنى عطفه متبخترا واذا مسه الشر اي هذا النوع قليله وكثيره فذو دعاء اي في كشفه وربما كانت نعمة باطنة وهو لا يشعر ولا يدعو الا عند المس وقد كان ينبغي له ان يشرع في الدعاء عند الوقع عند التوقع بل قبله تعرفا الى الله تعالى في الرخاء ليعرفه في الشدة وهو خلق شريف لا يفعله الا افراد خصهم الله بلطفه عريض اي مديد العرض جدا وما طوله فلا يسال عنه وهذا كناية عن النهاية في الكثرة تقول العرب اطال فلان الدعاء واعرض اي اكثر ثم امر الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى قل اي لهؤلاء المعرضين ارأيتم اي اخبروني ان كان اي هذا القرآن من عند الله الذي له الاحاطة بصفات الجلال والجمال ثم كفرتم به اي من غير نظر واتباع له دليل من اضل منكم هكذا كان الاصل ولكنه قال ممن هو في شقاق اي خلاف لاولياء الله تعالى بعيد اي عن الحق تنبيها على انهم صاروا كذلك فقد عرض نفسه لسطوات الله عز وجل سنريهم آياتنا في الآفاق قال ابن عباس يعني منازل الامم الخالية وفي انفسهم اي بالبلاء والامراض وقال قتادة يعني وقايع الله تعالى في الامم الخالية وفي انفسهم يوم بدر وقال مجاهد في الآفاق ما يفتح الله من القرى على محمد صلى الله عليه وسلم وفي انفسهم يوم فتح مكة وقال عطاء في الآفاق يعني اقطار السموات والارض من الشمس والقمر والنجوم في آفاق الليل والنهار والاضواء والظلال والظلمات والنبات والاشجار والانهار

وفي انفسهم

وفي انفسهم من لطايف الصنعة وبديع الحكمة في كيفية تكوين الاجنة في ظلمات الارحام وحدوث الاعضاء العجيبة والتركيبات الغريبة كقوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون تنبيه قال النووي في تهذيبه قال اهل اللغة الآفاق النواحي الواحد افق بضم الهمزة والفاء وافق باسكان الفاء ولما كان التقدير ولا نزال نكرر عليهم من الدلايل عطف عليه حتى يتبين لهم غاية البيان بنفسه من غير اعمال فكر انه اي القرآن الحق اي الكامل في الحقيقة الذي يطابق الواقع المنزل من الله تعالى بالبعث والحساب والعقاب فيعاقبون على كفرهم به ويجازي به وقيل الضمير في انه لدين الاسلام وقيل لمحمد صلى الله عليه وسلم اولم يكف بربك اي المحسن اليك بهذا البيان المعجز للانس والجان شهادة بان القرآن من عند الرحمن تنبيه الباء زايدة للتاكيد كانه قيل اولم تحصل الكفاية به ولا تكاد تزاد في الفاعل الا مع كفى وقوله تعالى انه على كل شيء شهيد بدل من بربك والمعنى اولم يكفهم في صدقك ان ربك لا يغيب عنه شيء ما وقد شهد لك فيه بالاعجاز لجميع الخلق بكل ما تضمنته آياته ونطقت به كلماته فيفيد اعظم بشارة بتمام الدين وظهوره على المعتدين ولما لم يبق بعد هذا النعت مقال ولا شبهة اصلا لضال قال تعالى مناديا على من استمر على عناده الا انهم اي هؤلاء الكفرة في مرية اي جحد وجدال وشك وضلال عن البعث من لقاء ربهم اي المحسن اليهم بان خلقهم ورزقهم لانكارهم البعث ثم كرر كونه قادرا على البعث وغيره بقوله تعالى الا انه اي المحسن اليهم بكل شيء اي من الاشياء جملها وتفصيلها كلياتها وجزئياتها اصولها وفروعها وغيبها وشهادتها ملكها وملكوتها محيط قدرة وعلما من كثيرها وقليلها كلياتها وجزئياتها فيجازيهم بكفرهم وقول البيضاوي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ السجدة اعطاه بكل حرف عشر حسنات

حديث موضوع

سورة شورى مكية وهي ثلاث وخمسون آية

وثمانماية وست وستون كلمة وثلاثة آلاف وخمسماية وثمانية وثمانون حرفا

بسم الله اي الذي احاط بصفات الكمال الرحمن الذي عمت رحمته ساير عباده الرحيم الذي خص اولياءه بما يرضاه الهيته من رحمته وقوله تعالى حم عسق تقدم في امثال هذه الفواتح وسئل الحسن بن الفضل لم تقطع حم عسق ولم يقطع كهيعص فقال لانها سورة اولها حم فجرت مجرى نظايرها فكان حم مبتدأ وعسق خبره ولانها

عدا لبين واخواتها مثل كهيعص والمص والمر عدت اية واحدة وقيل لان اهل التاويل
لم يختلفوا في كهيعص واخواتها انها حروف التهجي لا غير واختلفوا في حم فاخرجها
بعضهم من حيز الحروف وجعلها فعلا وقيل معنا حم اي قضي ما هو كاين روي
عكرمة عن ابن عباس انه قال ح حلمه م مجده ع علمه س سناوه ق قدرته
اقسم الله تعالى بها وقال شهر بن حوشب وعطا ابن ابي رباح ح حرب
قريش يعز فيها الذليل ويذل فيها العزيز في قريش م ملك يتحول من قوم
الي قوم ع عدو لقريش يقصدهم س سنين كسنين يوسف
تكون فيهم ق قدرة الله النافذة في خلقه وروي عن
ابن عباس انه قال ما من نبي صاحب كتاب الا واوحيت اليه حم عسق
فلذلك قال تعالى كذلك اي مثل هذا الايحا العظيم الشان يوحي اليك
اي ما دمت حيا لا ينقطع ذلك عنك والى اي واوحى الى الذين من قبلك اي
من الرسل الكرام والانبيا الاعلام ومن جملة ما اوحي اليهم
ان امتك اكثر الامم وانك اشرف الانبيا واخذ على كل منهم العهد
باتباعك وان يكونوا من انصارك واتباعك وقوله تعالى الله الذي
له الاحاطة باوصاف الكمال فاعل الايحا ولما كان نفوذ الامر دايرا على العزة
والحكمة قال تعالى العزيز اي الذي يغلب كل شي ولا يغلبه شي الحكيم الذي
يحكم ما يصنعه في اتقن محله فلذلك لا يقدر احد على نقض ما ابرمه
ولا نقص ما احكمه تنبيه كما تقرر من الله تعالى فاعل الايحا هو على قراة كسر
الحا من يوحي وهي قراة غير ابن كثير واما على قراة ابن كثير بفتح الحا فيجوز
ان يرتفع بفعل مضمر كانه من يوحيه فقيل الله كقوله يسبح له فيها بالغدو والاصال
رجال ويجوز ان يرتفع بالابتدا وما بعده خبر والجملة قايمة مقام الفاعل
وان يكون العزيز الحكيم خبرين او نعتين والجملة من قوله تعالى له ما في السموات
اي من الدواب والمعاني وما في الارض كذلك خبر اول او ثاني على حسب ما
تقدم في العزيز الحكيم قال الزمخشري لم يقل تعالى اوحي اليك
ولكن قال يوحي اليك على لفظ المضارع ليدل على ان ايحا مثله عادة وكونه
عزيزا يدل على كونه قادرا على ما لا نهاية له وكونه حكيما يدل على كونه عالما
بجميع المعلومات غنيا عن جميع الحاجات وقوله تعالى له ما في السموات
وما في الارض يدل على كونه متصفا بالقدرة الكاملة النافذة في جميع
اجزا السموات والارض على عظمهما وسعتهما بالايجاد والاعدام وان ما في
السموات وما في الارض خلقه وملكه ولما كان العلو مستلزما للقدرة
قال تعالى وهو العلي على كل شي علو رتبة وعظمة لا علو مكان وملابسة ومكانة
العظيم بالقدرة تنبيه قراة نافع ظ القهر والاستعلا وقوله تعالى تكاد
السموات قراة نافع والكسائي باليا التحتية والباقون بالفوقية وقوله تعالى

يتفطرن

يتفطرن اي يتشققن قراة شعبة وابو عمرو وبعد اليا نون ساكنة وكسر
الطا مخففة والباقون بعد اليا بتا فوقية مفتوحة وفتح الطا مشددة وقوله
تعالى من فوقهن في ضميره ثلاثة اوجه احدها انه عايد على السموات اي كل
واحدة منهن تتفطر فوق التي تليها من عظمة الله تعالى او من قول المشركين
اتخذ الرحمن ولدا كما في سورة مريم اي يبتدي انفطارهن من هذه الجهة
فمن لابتدا الغاية متعلق بما قبلها الثاني انه يعود على الارضين لتقدم ذكر
الارض الثاني انه يعود على فرق الكفار والجماعات الملحدين قاله الاخفش الصغير
قال الزمخشري كلمة الكفر اي على التفسير الثاني انما جات من الذين تحت
السموات فكان القياس ان يقال يتفطرن من تحتهن اي من الجهة التي
تحت جات الكلمة لكن بولغ في ذلك فجعلت موثرة من جهة الفوق فكانه
قيل يكدن يتفطرن من الجهة التي فوقهن دع الجهة التي تحتهن ونظيره
في المبالغة قوله عز وجل يصب من فوق روسهم الحميم يصهر به ما في
بطونهم فجعل الحميم موثرا في اجزايهم الباطنة انتهى ولما بين تعالى
ان سبب كيدودة انفطارهن جلال العظمة التي منها كثرة الملايكة
وشناعة الكفرين ذكر لها سببا اخر وهو عظم قول الملايكة فقال تعالى
والملايكة يسبحون اي يوقعون التنزيه لله تعالى متلبسين
بحمد ربهم اي باثبات الكمال للمحسن اليهم تسبيحا يليق بحقهم
ذلهم بذلك زجل واصوات لا تحملها العقول ولا تثبت لها الجبال
تنبيه عدل عن التانيث ولم يقل يسبحن مراعاة للمعنى الى التذكير
وضع الجمع اشارة الى قوة التسبيح وكثرة المسبحين فان قيل قوله تعالى
ويستغفرون لمن في الارض عام فيدخل فيه الكفار وقد لعنهم الله تعالى
فقال سبحانه اوليك عليهم لعنة الله والملايكة والناس اجمعين فكيف يكونون
لاعنين لهم ومستغفرين لهم اجيب بوجوه الاول انه عام مخصوص
باية غافر ويستغفرون للذين امنوا الثاني قوله تعالى لمن في الارض لا يفيد
العموم لانه يصح ان يقال استغفر لمن في الارض دون البعض ولو كان
صريحا في العموم لما صح ذلك الثالث يجوز ان يكون المراد بالاستغفار ان لا
يعاجلهم بالعقاب كما في قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض
ان تزولا الى ان قال انه كان حليما غفورا الرابع يجوز ان يقال انهم يستغفرون
لكل من في الارض اما في حق الكفار فطلب لهم الايمان واما في حق
المومنين فالتجاوز عن سياتهم فانا نقول اللهم اهد الكفار وزين
قلوبهم بنور الايمان وزين قلوبهم وازل عن قلوبهم خواطرهم وحشة
الكفر وهذا استغفار في الحقيقة وقوله تعالى الا ان الله اي الذي
له الاحاطة بصفات الكمال هو اي وحده الغفور الرحيم تنبيه

على أن الملائكة وإن كانوا يستغفرون للبشر إلا أن المغفرة المطلقة لله تعالى وهذا
يدل على أنه تعالى يعطي المغفرة التي طلبوها ويضم إليها الرحمة والذين اتخذوا من دونه
أي غير الله تعالى أولياء أي أندادا وشركاء بعيد ونهم كالأصنام الله
أي المحيط بصفات الكمال حفيظ أي رقيب ومراع وشهيد عليهم
على أعمالهم ولا يغيب عنه شيء من أعمالهم فهو إن شاء أبقاهم على كفرهم
وجازاهم عليه بما أعد لهم للكافرين وإن شاء تاب عليهم ومحى ذلك
عينا وأثرا ولم يعاقبهم وإن شاء محاه عينا وأبقى الأثر حتى يعاتبهم
وما أنت يا أشرف الرسل عليهم بوكيل حتى يلزمك أن تراعي
جميع أحوالهم من أقوالهم وأفعالهم فتحفظها وتقصيرهم على تركها ونحو ذلك
مما يتولاه الوكيل بما يقوم فيه مقام الموكل سواء قالوا لا تسمعوا
لهذا القرآن أم لا قالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا وغير ذلك إذ ما عليك
إلا البلاغ وكذلك أي ومثل ذلك الإيحاء أوحينا أي بما لنا من العظمة
إليك قرآنا عربيا أي جامعا لكل حكمة مع الفرق لكل ملتبس فهو بين
الخطاب واضح الصواب معجز الجنان لتنذر أي به أم القرى أي
أهل مكة التي هي أم الأرض وأصلها منها دحيت ولشرفها أي أوقع
الفعل عليها غد لها عداد العقلاء وغير ذلك إذ ما عليك إلا البلاغ
وقوله تعالى ومن حولها معطوف على أهل المقدر قبل أم القرى والمفعول
الثاني محذوف أي العذاب والمراد بمن حولها قرى الأرض كلها من أهل
البدو والحضر وأهل المدر والوبر والإنذار التخويف وتنذر أي الناس
يوم الجمع أي يوم القيامة يجمع الله تعالى فيه الأولين والآخرين وأهل السموات
والأرضين ويجمع الأرواح بالأجساد ويجمع بين العامل وعمله ويجمع بين الظالم
والمظلوم لا ريب أي لا شك فيه لأنه ركز في فطرة كل أحد وقوله تعالى
فريق يجوز فيه وجهان أحدهما أنه مبتدأ وساغ هذا في النكرة لأنه
مقام تفصيل وخبره في الجنة أي تفضلا منه ورحمة وهم الذين قبلوا
الإنذار وبالغوا في الحذار ويجوز أن يكون الخبر مقدرا تقديره منهم
فريق وساغ الابتدا بالنكرة حينئذ لشيئين تقديم خبرها جارا أو
مجرورا أو وصفها بالجار بعدها والثاني أنها خبر مبتدأ مضمر أي هم
المجموعون دل على ذلك قوله تعالى يوم الجمع وقوله تعالى وفريق في السعير
أي عدلا منه فيه ما مر وهم الذين خذلهم الله تعالى ووكلهم إلى أنفسهم
فإن قيل يوم الجمع يقتضي كون القوم مجتمعين والجمع بين الصفتين
محال أجيب بأنهم يجتمعون أولا ثم يصيرون فريقين قال القشيري
كما أنهم في الدنيا فريقان فريق في راحات الطاعة وحلاوة العبادات
وفريق في ظلمات الشرك وعقوبات الجحد والشك فلذلك عزاهم فريقان

فريق

فريق منهم أهل اللقاء وفريق هم أهل الشقاء وبالجد روى الإمام أحمد عن عبد الله
ابن عمرو قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم
قابضا على كفيه ومعه كتابان فقال أتدرون ما هذان الكتابان قلنا لا يا رسول
الله فقال للذي في يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين بأسماء
أهل الجنة وأسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم قبل أن يستقروا نطفا في
الأرحام إذ هم في الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم ولا ناقص منهم إجمال
من الله عليهم إلى يوم القيامة ثم قال للذي في يساره هذا كتاب من
رب العالمين بأسماء أهل النار وأسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم قبل
أن يستقروا نطفا في الأصلاب وقبل أن يستقروا نطفا في الأرحام إذ هم في
الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم ولا ناقص منهم إجمال من الله تعالى عليهم
إلى يوم القيامة فقال عبد الله بن عمرو ففيم العمل إذن قال اعملوا وسدد وا
وقاربوا فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أي عمل
وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أي عمل ثم قال فريق في
الجنة وفريق في السعير عدل من الله تعالى أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده
ولو شاء الله أي المحيط بجميع أوصاف الكمال لجعلهم أي المجموعين
أمة واحدة أي الثواب أو كالعذاب ولكنه لم يشأ ذلك بل شاء أن
يكونوا فريقين مقسطين وظالمين ليظهر فضله وعدله وأنه الجبار
واحد قهار لا يبالي بأحد وهو معنى قوله تعالى ولكن يدخل من يشاء أدخاله له
في رحمته بخلق الهداية في قلبه فتكون أفعالهم في مواضعها وهم المقسطون
ويدخل من يشاء في نقمته بخلق الضلالة في قلوبهم فيكونوا ظالمين
فلا تكون أفعالهم في مواضعها فالمقسطون ما لهم من عند ولا نكير
والظالمون أي العريقون في الظلم الذين سلطهم وهم الكافرون يدخلهم
في لعنته ما لهم من ولي أي يلي أمورهم ويجتهد في صلاحها فيدفع عنهم
العذاب ولا نصير ينصرهم من الهوان فيمنعهم من النار وعلى هذا
التقدير فالآية من الاحتباك وهو ظاهر ذكر الرحمة أولا دليلا على اللعنة
ثانيا والظلم وما معه ثانيا دليلا على أضداده أولا وهذا تقرير لقوله تعالى
الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل أي أنت لا تقدر تحملهم
على الإيمان ولو شاء الله لفعله لأنه أقدر منك لكنه تعالى جعل البعض
مؤمنا والبعض كافرا ولما حكى الله عنهم ذلك أولا أنهم اتخذوا من
دونه أولياء ثم قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لست عليهم بوكيل
أي لا يجب عليك أن تحملهم على الإيمان فإن الله تعالى لو شاء لفعله أعاد
ذلك الكلام على سبيل الإنكار بقوله تعالى أم اتخذوا من دونه أولياء
كالأصنام وهذه أم المنقطعة فتقدر ببل التي للانتقال وبهمزة الإنكار

او بالهمزة فقط او بل فقط اي ليس المتخذون اولياء فالله اي المختص بصفات الكمال
هو وحده الولي قال ابن عباس وليك يا محمد وولي من اتبعك والفا جواب
الشرط المقدر كانه ان ارادوا اولياء بحق فالله هو الولي لا ولي سواه وقيل هي
لمجرد العطف وجرى على هذا الجلال المحلي وعلى الاول الزمخشري وهو اي
ومن شان هذا الولي انه يحيي الموتى اي يجدد احياءه في كل وقت يشاء
وهو وحده لا شريك له على كل شيء قدير فهو الحقيق بان يتخذ وليا دون من
لا يقدر على شيء ولما منع تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان يحمل
الكفار على الايمان منع المومنين ان يشرعوا معهم في المخاصمات والمنازعات
لقوله تعالى وما اختلفتم اي انتم والكفار فيه من شيء اي من امور الدنيا
والدين فحكمه الى الله اي مفوض الى الذي هو الولي لا غيره يميز المحق من
المبطل بالنصر او الاثابة والمعاقبة وقيل وما اختلفتم فيه من تاويل
المتشابه فارجعوا فيه الى المحكم من كتاب الله ذلكم الله اي المحيط بجميع
صفات الكمال ربي اي الذي لا مربي غيره في ماض ولا حال ولا استقبال
عليه اي وحده توكلت اي اسلمت جميع امري واليه لا الى غيره
انيب اي ارجع بالتوبة اذا قصرت في شيء من فروع شرعه وارجع الى
كتابه اذا نابني امر من الامور من الامور فاعرف منه حكمه فافعلوا
انتم كذلك واجعلوه الحكم تفلحوا ولا تعدلوا عنه في شيء من الاشيا
تهلكوا وقوله تعالى فاطر اي مبدع السموات والارض خبر اخر
لذلكم او مبتدا خبره جعل لكم اي بعد ان خلقكم من الارض
من انفسكم ازواجا حيث خلق حوا من ضلع ادم فيكون بالسكون اليها
بقا نوعكم ومن اي وجعل لكم اي لاجلكم من الانعام اي التي
هي اموالكم وجمالكم وبها اعظم فوائدكم ازواجا اي ذكورا واناثا
يكون بها ابض بقاء نوعها يذرؤكم بالمعجمة اي يخلقكم ويكثركم من الذر
وهو البث فيه اي في هذا التدبير وهو جعل الناس والانعام
ازواجا ليكون بينهم توالد فانه كالمنبع للبث والتكثير فالضمير للاناسي
والانعام بالتغليب واختلف في الكاف في قوله تعالى ليس كمثله شيء
فجرى الجلال المحلي على انها زائدة لانه لا مثل له وجرى غيره على انها
ليست زائدة لانه اذا نفي عن من يناسبه ويسد مسده كان نفيه عنه
اولى وحاصله كما قال التفتازاني ان قولنا ليس كذاته شيء وقولنا ليس كمثله
شيء عبارتان كلاهما عن معنى واحد وهو نفي المماثلة عن ذاته
الاولى صحيح وهو نفي المماثلة الاولى عن ذاته الاولى صريح والثانية كناية
مشتملة على مبالغة وهي ان المماثلة منفية عمن يكون مثله وعلى صفته
فيكون على نفسه وهذا لا يستلزم وجود الاسم المثل الا ترى الى قولهم

بيان اولياء بمعنى فالله

نوعها

مثل الامير يفعل كذا ليس اعترافا بوجود المثل له فالمعنى هنا ان من ثبت مثله فكيف
بمثله وايضا مثل المثل مثل فيلزم من نفيه نفيهما وقال البغوي المثل
صلة اي ليس كهو شيء فادخل المثل للتوكيد كقوله تعالى فان امنوا بمثل
ما امنتم به انتهى وهذا كالتاويل الاول وقيل ان المراد بالمثل الصفة
وذلك ان المثل بمعنى المثل والمثل صفة كقوله تعالى مثل الجنة فيكون
المعنى ليس صفته تعالى شيئا من الصفات التي لغيره واما قوله تعالى
وله المثل الاعلى فمعناه ان له الوصف الاعلى الذي ليس لغيره مثله
ولا يشاركه فيه احد وهو اي والحال انه هو لا غيره السميع البصير
اي الكامل في السمع والبصر بكل ما يسمع ويبصر فان قيل هذا يفيد الحصر
مع ان العباد ايضا موصوفون بكونهم سميعين بصيرين اجيب بان
السمع والبصر لفظان مشتركان يحصول هاتين الصفتين على
سبيل الكمال التام والكمال في كل الصفات ليس الا لله تعالى وهذا هو المراد
من هذا الحصر له اي وحده مقاليد السموات والارض اي مفاتيح خزائنها
ومفاتيح خزائنهما من الامطار والنبات الاثبات وغيرهما وقد ثبت
انه ابدعهما وان له جميع ما فيهما مما اتخذ من دونه وليا وغيره قال
القشيري والمفاتيح الخزائن وخزائنه مقدوراته انتهى ولما حصر
الامر فيه دل عليه بقوله تعالى يبسط الرزق اي يوسعه لمن يشاء
امتحانا ويقدر اي يضيقه لمن يشاء ابتلاء كما وسع على فارس
والروم وضيق على العرب وفاوت في الافراد بين افراد من وسع عليهم
ومن ضيق عليهم فدل ذلك قطعا على انه لا شريك له وانه هو
المتصرف وحده فقطع بذلك افكار الموفقين من عباده عن غيره ليقبلوا
عليه وينفروا عما سواه فان عبادته هي المقاليد بالحقيقة استغفروا ربكم
انه كان غفارا الاية ومن يومن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات
تجري من تحتها الانهار ولو ان اهل الكتاب امنوا واتقوا لفتحنا عليهم
بركات ولو ان اهل الكتاب امنوا واتقوا لكفرنا عنهم
سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم الاية ثم علل ذلك بقوله تعالى
انه بكل شيء عليم اي فلا فعل له الا وهو جار على اتقن ما يكون
من قوانين الحكمة فيفعله على ما ينبغي ولما عظم وحيه الى محمد صلى الله
عليه وسلم بقوله تعالى كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله
العزيز الحكيم ذكر تفصيل ذلك بقوله تعالى شرع لكم اي طرق
وسن طريقا ظاهرا بينا واضحا لكم ايتها الامة الخاتمة من الطرق
الظاهرة المستقيمة من الدين وهو ما يعمل فيجازي عليه ما اي
الذي وصى به توصية عظيمة بعد اعلامه بانه شرعه نوحا في الزمان

ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض

الانذم وهو اول انبياء الشريعة قال مجاهد اوصيناك واياه يا محمد دينا
واحدا والذي اوحينا اليك اي من القران وشرايع الاسلام وما وصينا اي
بما لنا من العظمة الباهرة التي ظهرت بها تلك المعجزات به ابراهيم الذي
نجاه من كيد النمرود بالنار وغيرها ووهبنا له على الكبر اسمعيل واسحاق
وقرا هشام بفتح الهاء والف بعدها والباقون بكسر الهاء ويا بعدها
وموسى الذي انزلنا عليه التوراة موعظة وتفصيلا لكل شي وعيسى
الذي انزلنا عليه الانجيل هدى ونور وموعظة ودخرناه في سماياتنا
لتاييد شريعة الفاتح الخاتم صلى الله عليه وسلم ثم بين المشروع
الموصى به والموحى الى محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى
ان اقيموا اي ايها المشروع لهم من هذه الامة الخاتمة ومن
الامم الماضية الدين وهو الايمان بما يجب تصديقه والطاعة
في احكام الله تعالى ومحله النصب على البدل من مفعول شرع
او الرفع على الاستيناف كانه جواب وما ذلك المشروع او الجر على
البدل من هاية ولما عظمه بالامر بالاجتماع اتبعه بالتعظيم بالنهي عن
الافتراق بقوله تعالى ولا تتفرقوا فيه اي ولا تختلفوا في هذا
الاصل اما فروع الشروع المختلفة فقال تعالى لكل جعلنا منكم
شرعة ومنهاجا وقال قتادة الموصى به تحليل الحلال وتحريم الحرام
وقال الحكم تحريم الامهات والبنات والاخوات وقال مجاهد لم
يبعث نبيا الا وصاه باقامة الصلاة وايتاء الزكاة والاقرار لله تعالى
بالطاعة فذلك دينه الذي شرع وقيل هو التوحيد والبراءة من الشرك
وجرى على هذا الجلال المحلي والكل يرجع اليه كبر اي عظم وشق
على المشركين حتى ضاقت به صدورهم ما تدعوهم اليه اي ايها النبي
الفاتح الخاتم من الاجتماع ابدا على ما اجتمعوا عليه وقت الاضطرار
من وحدانية الواحد القهار فلاجل كبره عليهم هم يسعون في تفرقكم
فان تفرقتم كنتم نابعين العدو والحسود وخالفتم الولي الود وذكر تنبيه
تعالى على ان الامور كلها بيده بقوله تعالى الله الذي له مجامع العظمة
ونفوذ الامر يجتبي اي يختار اليه بالتوفيق للطاعة من يشاء اي من
يقبل الطاعة ولما بين تعالى امر كل الانبيا والامم بالاخذ بالدين
المتفق عليه كان لقايل ان يقول فلماذا نجدهم متفرقين اجاب بقوله
تعالى وما تفرقوا اي المشركون من قبلكم من اهل الكتاب وغيرهم
الا من بعد ما جاءهم العلم اي بالتوحيد او بمبعث الرسول صلى الله عليه وسلم
او بان التفرق ضلال متوعد عليه بغيا بينهم اي فعلوا ذلك للبغي وطلب
الرياسة فحملتهم الحمية النفسانية على ان ذهبت كل طايفة الى مذهب

ودعوا

ودعوا الناس اليه ونبحوا اما سواه طلبا للذكر والرياسة فصار ذلك سببا
لوقوع الاختلاف ثم اخبر تعالى انهم استحقوا العذاب بسبب هذا الفعل الا
انه تعالى اخر عنهم العذاب لان لكل عذاب اجلا مسمى اي وقتا معلوما وهذا
معنى قوله تعالى ولولا كلمة لا تبديل لها سبقت اي في الازل من ربك اي
المحسن اليك بجعلك خير الخلايق وامامهم بتاخيرهم الى اجل مسمى ضربه
لاجالهم ثم يجمعهم في الاخرة لقضي على ايسر وجه واسهله بينهم حين
الافتراق باهلاك الظالم وانجا المحق قال ابن عباس والذين ارتدا بهم نعم
المتفقين هم اليهود والنصارى لقوله تعالى في ال عمران وما اختلف الذين
اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم وقوله تعالى في سورة
لم يكن وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وكذلك
في قوله تعالى وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم اي المتفرقين من اليهود والنصارى
الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هذه الامة الذين
اورثوا القران ولما نسخ كتابهم ما تقدمه كان غيرهم كانه مات فورثوه
كما قال تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فكان حالهم
في تمكنهم من التصرف في الكتاب بالحفظ والفهم وعدم المنازعة في ادعايه
حال الوارث والموروث منه لفي شك اي من كتاب لا يعلمونه مما هو به ولا
يؤمنون به حق الايمان او من القران فيقولون انه سحر وشعر وكهانة ونحو ذلك
وقيل في شك من محمد صلى الله عليه وسلم وجرى على ذلك الجلال المحلي
منه مريب اي موقع في التهمة فلذلك اي التوحيد فادع يا اشرف
الخلق واستقم اي على الدعوة كما امرت اي كما امرك الله تعالى ولا تتبع
اي بعمل اهواءهم في شي ما فان الهوى لا يدعو الى خير والمقصود من كل احد
ان يفعل ما امر به وقل لجميع اهل الفرق وكل من يمكن له القول فانك الى جميع
الخلق امنت بما انزل الله اي الذي له العظمة الكاملة من كتاب اي جميع
الكتب المنزلة لا كالكفار الذين امنوا ببعض وكفروا ببعض روي ان رجلا
اتى عليا فقال يا امير المؤمنين ما الايمان او كيف الايمان قال الايمان على اربع
دعايم على الصبر واليقين والعدل والجهاد والصبر على اربع شعب
على الشوق والشفق والزهادة والترقب فمن اشتاق الى
الجنة سلى عن الشهوات ومن اشفق من النار رجع عن المحرمات ومن
زهد في الدنيا تهاون بالمصايب ومن ارتقب الموت سارع الى
الخيرات واليقين على اربع شعب تبصرة الفطنة وتاويل الحكمة
وموعظة العبرة وسنة الاولين فمن تبصر الفطنة تاول الحكمة ومن تاول الحكمة عرف العبرة ومن عرف العبرة عرف السنة ومن عرف السنة فكانما كان من الاولين

والعدل على اربع شعب على غامض الفهم وزهرة الحلم وروضة العلم وعلم الحكم
فمن فهم جمع العلم ومن علم لم يضل في الحلم ومن علم عرف شرايع الحلم ومن حلم
لم يفرط امره وعاش في الناس والجهاد على اربع شعب على الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر والصدق في المواطن وشنان الفاسقين فمن امر بالمعروف
شد ظهره ومن نهى عن المنكر ارغم انف المنافقين ومن صدق في المواطن
قضى الذي عليه ومن شنئ الفاسقين غضب لله وغضب الله تعالى له فقام
الرجل وقبل راسه وامرت اي ممن له الامر كله لاعدل اي لاجل ان
اعدل بينكم ايها المتفرقون في الاديان من العرب والعجم من الانس
والجن ثم علل ذلك بقوله الله اي الذي له الملك كله ربنا وربكم اي موجدنا
ومتولي جميع امورنا فلهذا امرنا بالعدل على سبيل العموم لان الكل عباده
لنا اعمالنا خاصة بنا لا تعدونا الى غيرنا ولكم اعمالكم خاصة بكم
لا تعدوكم الى غيركم فكل مجازي بعمله لا حجة اي لا خصومة بيننا وبينكم
وهذا قبل ان يومر بالجهاد كما قاله الجلال المحلي وقال ابن الخازن هذه الاية
منسوخة باية القتال وكذا قال البغوي ولكن قال في البيضاوي وليس في الاية
ما يدل على متاركة الكفار راسا حتى تكون منسوخة باية القتال الله
اي لهو احكم الحاكمين يجمع بيننا اي في المعاد لفصل القضاء واليه اي
لا الى غيره المصير اي المرجع حسا ومعنى لتمام عزته وشمول عظمته
والذين يحاجون في الله اي يوردون تشكيكا في دين الملك الاعظم
ليبعدوا الناس بعد ما دخلوا في نور الهدى الى ظلام الضلال من بعد ما استجيب
له اي استجاب الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم فاظهر دينه
على الدين كله قال قتادة هم اليهود قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل
نبيكم فنحن خير منكم فهذه خصومتهم وتشكيكهم او من بعد
ما استجاب للرسول صلى الله عليه وسلم الناس فاسلموا ودخلوا في
دينه لظهور معجزته حجتهم اي التي زعموها حجة داحضة اي
زايلة باطلة عند ربهم اي المحسن اليهم باضافة العقل الذي
جعلهم به في احسن تقويم وقال تلك المخاصمة ان اليهود قالوا الستم
تقولون ان الاخذ بالمتفق عليه اولى بالاخذ من المختلف فيه فنبوة موسى
عليه السلام وحقيقة التوراة معلومة بالاتفاق ونبوة محمد صلى الله
عليه وسلم ليست متفقا عليها فوجب الاخذ باليهودية فبين الله
تعالى هذه الحجة وذلك ان اليهود اجمعوا على انه انما وجب الايمان بموسى عليه فساد
السلام لاجل ظهور المعجزات على قوله وههنا ظهرت المعجزات على وفق قوله
محمد صلى الله عليه وسلم واليهود شاهدوا تلك المعجزات فاذا كان
ظهور المعجزة يدل على الصدق فههنا يجب الاعتراف بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم

وان كان

وان كان لا يدل على الصدق وجب في حق موسى ان لا يقروا بنبوته بظهور المعجزات لانه
يكون نبيا فقضا تنبيه والذين يحاجون مبتدا وحجتهم مبتدا ثان وداحضة خبر
المبتدا الثاني والثاني وخبره خبر الاول واعرب مكي حجتهم بدلا من الموصول
بدل اشتمال ولما تقرر تعالى هذه الدلايل خوف المنكرين بعذاب القيمة فقال
وعليهم اي زيادة على قطع الاحسان غضب اي عقوبة تليق بحالهم
المذموم ووصفهم المذموم ومنه الطرد فهم المطرودون عن بابه المبعدون
عن جنابه مهانون بحجابه ولهم مع ذلك عذاب شديد في الاخرة لا تصلون
الى حقيقته وصفه الله اي الذي له جميع الملك الذي انزل الكتاب اي
جنس الكتاب بالحق اي متلبسا على اكمل الوجوه بالامر الثابت الذي
لا يبدل والميزان اي الشرع الذي يوزن به الحقوق ويسوي بين الناس او
العدل قال مجاهد سمي العدل ميزانا لان الميزان آلة للانصاف والتسوية
وقال ابن عباس امر الله تعالى بالوفا ونهى عن البخس فيجب على العاقل ان يجتهد في
النظر والاستدلال ويترك طريقة اهل الجهل والتقليد ولما كان صلى الله
عليه وسلم يهددهم بيوم القيمة ولم يروا لذلك اثرا قالوا على سبيل
متى تقوم الساعة وليتها قامت حتى يظهر لنا الحق اهو الذي نحن عليه
ام الذي عليه محمد واصحابه قال تعالى وما يدريك يا اكمل الخلق لعل الساعة اي
التي تستعجلون بها قريب وذكر قريب وان كان صفة لموث لان الساعة في
معنى الوقت او البعث او على معنى النسب اي ذات قرب او على حذف مضاف
اي مجيء الساعة قريب قال مكي ولان تانيثها مجازي وهذا ممنوع اذ لا
يجوز الشمس طالع ولا القدر فابر تنبيه لعل معلق للفعل عن العمل وان
ما بعده سد مسد المفعولين ولما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الساعة
وعنده قوم من المشركين وقالوا مستهزئين متى تقوم الساعة نزل قوله تعالى
يستعجل بها اي يطلب ان تكون قبل الوقت لها الذين لا يؤمنون بها اي لا يتجدد
لهم ذلك اصلا وهم غير مشفقين منها ويظنون كذب القايل بها والذين امنوا
وان كانوا في اول درجات الايمان مشفقون اي خايفون خوفا عظيما منها
لان الله تعالى هداهم بايمانهم فصارت صدورهم معادن للمعارف وقلوبهم
منابع الانوار فايقنوا بما فيها من الاهوال الكبار فخافوا لالطافتهم ان يكونوا
مع صلاحهم من اهل النار ويعلمون انها الحق اعلاما بانهم على بصيرة من
امرها فهم لا يستعجلون بها فالاية من الاحتباك ذكر الاستعجال اولا دليلا
على حذف ضده ثانيا والاشفاق ثانيا روي ان رجلا سال النبي صلى الله عليه
وسلم بصوت جهوري في بعض اسفاره فناداه يا محمد فقال له صلى
الله عليه وسلم بنحو من صوته هاؤم فقال متى الساعة فقال صلى الله
عليه وسلم ويحك انها كاينة فما اعددت لها فقال حب الله تعالى ورسوله

فقال انت مع من احببت والفرض لم يجبه عن وقت الساعة بل امره بالاستعداد لها
ومن احب الله ورسوله فعل ما امر به واجتنب ما نهيا عنه فهي المحبة الكاملة
نسال الله الكريم من فضله ان يوفقنا واحبابنا لطاعته واجتناب معاصيه ٥
الا ان الذين يمارون اي يخاصمون ويجادلون في الساعة اي القيامة وما تحتوي
عليه لفي ضلال اي ذهاب جاير عن الحق بعيد جدا عن الصواب فان لها
من الادلة الظاهرة ما الحقها بالمحسوسات كما قال القايل لو كشف الغطا
ما ازددت يقينا ولما انزل عليهم الكتاب المشتمل على هذه الدلايل اللطيفة
كان ذلك من لطف الله تعالى بعباده كما قال عز وجل الله اي الذي له الامر كله
لطيف اي بالغ في العلم وايقاع الاحسان بعباده وقال ابن عباس حفي
بهم وقال عكرمة بار بهم وقال السدي رفيق بهم وقال القشيري اللطيف
العالم بدقايق الامور وظواهرها وغوامضها وقال الرازي هو اسم مركب
من اسم ورحمة ورفق خفي اما لطفه بالمومنين فواضح واما الكافر فاول لطفه
به ان لا يعاجله في الدنيا ولا يعذبه فوق ما يستحق في الاخرى وقال
مقاتل لطيف بالبر والفاجر حيث لم يهلكهم جوعا بمعاصيهم بدليل
قوله تعالى يرزق من يشا اي يرزقه ما يشاء على سبيل من السعة والضيق
والتوسعة لا مانع له شيء من ذلك فكل من رزقه الله تعالى من مومن وكافر
وذي روح فهو ممن يشا الله ان يرزقه قال جعفر الصادق اللطف
في الرزق من وجهين احدهما انه جعل رزقك من الطيبات والثاني انه لم
يدفعه اليك مرة واحدة وهو القوي اي القادر على ما يشاء العزيز
فلا يقدر احد ان يمنعه عن شيء يريده ولما بين هذا ان الرزق ليس الا في يده
اتبعه ما يزهد في طلب رزق البدن ويرغب في رزق الروح فقال تعالى
على سبيل الاستيناف من كان اي من شريف او دني يريد اي بعمله
حرث الاخرة اي اعمالها والحرث في اللغة الكسب نزد له اي نعطه
[illegible] راحدا عا[illegible] لها في حرثه قال مقاتل بان نعينه على
الاعمال الصالحة ونضاعف لواحدة بعشرة الى ما يشاء الله تعالى من
الزيادة وقال الزمخشري انه تعالى سمى ما يعمله العامل مما يطلب
به الفايدة حرثا على سبيل المجاز ومن كان اي من قوي او ضعيف يريد
بعمله حرث الدنيا اي ارزاقها التي تطلب بالكد والسعي وتنتهي مكتفيا
به موثرا له على الاخرة نوته منها اي على ما قسمناه له ولو تهاون به
ولم يطلبه لاناه وقرا ابو عمرو وشعبة وحمزة والكسائي بسكون الهاء
واختلس قالون كسرة الها وعن هشام اختلاس الكسرة والاشباع
والباقون باشباع الكسرة وما اي والحال انه طالب الدنيا بعمله ما له في
الاخرة من نصيب لان الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى

روي ابي بن كعب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بشر هذه الامة بالسنا والرفعة
والنصرة والتمكين في الارض فمن عمل منهم عمل الاخرة للدنيا لم يكن له في الاخرة من
نصيب
اي لان هذا تهاون بالاخرة فلم يوتها وهي اشرف من ان تقبل على من اعرض
عنها وتبعد عمن اقبل عليها حتى تهلكه في همها وغمها والاخرة تقبل على من
اقبل عليها اضعاف اقباله وتنادي من ادبر عنها لينتهي عن غيه وضلاله
فلما سمى الله تعالى كلا القسمين حرثا علمنا ان كل واحد منهما لا يحصل الا بتحمل
المشاق والمتاعب وصرف هذه المتاعب الى ما لا يكون في الزايد الباقي اولى
من صرفها لما يكون في التناقص والانقضا قال الرازي في اللوامع اهل
الارادة على اصناف مريد الدنيا ومريد الاخرة ومريد الحق جل وعلا
وعلامة ارادة الدنيا ان يرضى في زيادة دنياه بنقص دينه والاعراض
عن فقرا المسلمين وان تكون حاجاته في الدنيا مقصورة على الدنيا
وعلامة ارادة الاخرة بعكس ذلك واما علامة ارادة الله تعالى
كما قال تعالى يريدون وجهه طرح الكونين والعزلة عن الخلق
والخلاص من يد النفس انتهى والحاصل ان يستغرق اوقاته في
التوفية بحقوق الحق وحقوق الخلق وتزكية النفس لا طمعا
في جنة ولا خوفا من نار بل امتثالا لاجل الملك الاعلى لانه اهل
لذلك مع اعترافه بانه لن يقدر الله حق قدره ولما بين تعالى اعمال
الاخرة والدنيا اتبعه بيان ما هو الاصل في باب الضلالة
والشقاوة فقال تعالى ام اي بل لهم اي كفار مكة شركا اي
على زعمهم وهي شياطينهم شرعوا اي سنوا بالتزيين لهم
اي الكفار من الدين اي الفاسد في العبادات والعادات ما لم
ياذن به الله اي الملك الاعلى الذي لا امر لاحد معه كالشرك
وانكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاوهم اوثانهم وانما
اضيفت اليهم لانهم هم الذين اتخذوها شركا لله ولما كانت سببا
لضلالهم جعلت شارعة لدين ضلالتهم لهم كما قال ابراهيم عليه
السلام رب انهن اضللن كثيرا من الناس وقال ابن عباس
شرعوا لهم دينا غير دين الاسلام ولولا كلمة الفصل اي القضا
السابق بتاخير الجزا او ولولا الوعد بان الفصل يكون بينهم يوم
القيامة لقضي بينهم اي بين الذين امتثلوا امره والتزموا
شرعه وبين الذين اتبعوا ما شرعوه لمن سموهم شركا في اقرب
وقت ولكنه قد سبق القضا في الازل بمقادير الاشيا
وتحديدها على وجوه الحكمة فهي تجري على ما حد لها لا تقدم شي
ولا تاخر ولا تبدل ولا تغير وتنكشف لهم الامور وتظهر

تحيات المقدور فلا يقع الفصل الا في الاخره كما سبق به القضا وان الظالمين
بشرع مالم ياذن به الله من الشرك وغيره لهم عذاب اليم اي مولم بليغ
ايلامه ثم انه تعالى ذكر احوال اهل العقاب واحوال اهل الثواب مبتدا
بالاول منهما بقوله تعالى ترى اي في ذلك اليوم الظالمين اي
الواضعين الاشيا في غير مواضعها مشفقين اي خايفين اشد الخوف
كما هو حال من يحاسب من هو اعلا منه وهو مقصر مما كسبوا اي
عملوا معتقدين انه غاية ما ينفعهم وهو اي جزاوه ووباله الذي من
جنسه حتى كانه هو واقع بهم لا محالة سوا اشفقوا او لم
يشفقوا ثم ذكر الثاني بقوله تعالى والذين امنوا وعملوا الصالحات وهي
التي اذن الله تعالى فيها غير خايفين مما كسبوا لانه ماذون لهم في فعله
وهو مغفور لهم ما فرطوا فيه في روضات الجنات اي في الدنيا
بما يلذذهم به الله تعالى من لذايذ الاقوال والافعال والمعارف
والاحوال وفي الاخرة حقيقة بلا زوال وروضة الجنة
اطيب بقعة فيها وفيه تنبيه على ان عصاة المسلمين من اهل الجنة
لانه خص الذين امنوا وعملوا الصالحات بانهم في روضات الجنات
وهي البقاع الشريفة من الجنة فالبقاع التي دون تلك الروضات
لابد وان تكون مخصوصة بمن كان دون الذين امنوا وعملوا الصالحات
وقوله تعالى لهم ما يشاون عند ربهم يدل على ان تلك الاشيا حاضرة
عنده مهياة والعندية مجاز تنبيه عند ربهم يجوز ان يكون
ظرفا ليشاون قاله الحوفي او لاستقرار العامل في لهم قاله الزمخشري
وقوله تعالى ذلك اي الجزا العظيم الرتبة الجليل القدر هو
الفضل الكبير اي الذي يصغر ما لغيرهم في الدنيا يدل على ان
الجزا المرتب على العمل انما حصل بطريق الفضل من الله تعالى
لا بطريق الوجوب والاستحقاق وقوله تعالى ذلك اي الجزا
العظيم من الجنة ونعيمها مبتدا خبره الذي يبشر الله اي الملك
الاعظم والعايد وهو به محذوف تعظيما للمبشر به لان السياق
لتعظيمه بالاشارة وبجعلها باداة البعيد وبالوصف بالذي
وذكر الاسم الاعظم والتعبير بلفظ العباد في قوله تعالى عباده
مع الاضافة الى ضميره سبحانه ولما اشعر بصلاحهم بالاضافة نص
عليه بقوله تعالى الذين امنوا صدقوا بالغيب وعملوا تحقيقا لايمانهم
وعملوا الصالحات قرا نافع وابن عامر وعاصم بضم اليا وفتح البا الموحدة وكسر
الشين والباقون بفتح اليا وسكون البا وضم الشين مخففة من بشره
ولما كان كانه قيل فما تطلب في هذه البشارة لان الغالب ان المبشر وان لم

يسال

يسال يعطي بشارته كما وقع لكعب لما اذن الله تعالى بتوبته ركض راكض
على فرس وسعى ساع على رجليه فاوفى على جبل سلع ونادى يا كعب بن مالك
ابشر فقد تاب الله عليك فكان الصوت اسرع من الفرس فلما جاءه الذي
سمع صوته خلع له ثوبيه وهو لا يملك يومئذ غيرهما واستعار له قال الله
تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لمن توهم فيك ما جرت به عادة المبشر
لا اسالكم اي الان عليه اي المحبة العظيمة الواسعة اجرا
الا المودة اي مظروفة فيها بحيث تكون القربى موضعها للمودة وظرفا
لها لا يخرج شي من محبتكم عنها تنبيه في الاية ثلاثة اقوال اولها قال
الشعبي اكثر الناس علينا في هذه الاية فكتبنا الى ابن عباس نسأله عن
ذلك فكتب ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وسط
النسب من قريش ليس بطن من بطونهم الا وقد ولده وكان له فيهم قرابة
فقال الله عز وجل قل لا اسالكم عليه اجرا على ما ادعوكم اليه الا ان تودوا
القربى اي ما بيني وبينكم من القرابة والمعنى انكم قومي واحق من اجابني واطاعني
فان قد ابيتم ذلك فاحفظوا حق القربى وصلوا رحمي ولا توذوني والى
هذا ذهب مجاهد وقتادة وغيرهما ثانيها ما روي الكلبي عن ابن عباس ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كانت تنوبه نوايب وحقوق وليس في
يده سعة فقالت الانصار ان هذا الرجل هداكم وهو ابن اخيكم وجاركم
في بلادكم فاجمعوا له طايفة من اموالكم ففعلوا ثم اتوه بها فردها عليهم
ونزل قوله تعالى قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى اي الا ان
تودوا قرابتي وعترتي وتحفظوني فيهم قاله سعيد بن جبير وعمرو بن
شعيب ثالثها قال الحسن معناه الا ان تودوا الله وتتقربوا اليه
بالطاعة والعمل الصالح فالقربى على القول الاول القرابة التي بمعنى
الرحم وعلى الثاني بمعنى الاقارب وعلى الثالث فعلى بمعنى القرب
والتقرب والزلفى فان قيل طلب الاجرة على تبليغ الوحي لا يجوز لوجوه
احدها انه تعالى حكى عن اكثر الانبيا التصريح بنفي الطلب للاجرة
فقال تعالى في قصة نوح عليه السلام وما اسالكم عليه من اجر
الاية وكذا في قصة نوح عليه السلام هود وصالح ولوط وشعيب عليهم
السلام ورسولنا افضل الانبيا فبان يطلب الاجر على النبوة والرسالة
اولى ثانيها انه صلى الله عليه وسلم صرح بنفي طلب الاجر فقال قل
ما اسالكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين وقل ما سالتكم
من اجر فهو لكم ثالثها ان التبليغ كان واجبا عليه قال تعالى بلغ ما انزل
اليك من ربك الاية وطلب الاجر على اداء الواجب لا يليق باقل الناس
فضلا عن اعلم العلما رابعها ان النبوة افضل من الحكمة وقال تعالى

عنى

له

لكم

ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ووصف الدنيا بانها متاع قليل
فكيف يحسن بالعقل مقابلة اشرف الاشيا باخس الاشيا خامسها
ان طلب الاجر يوجب التهمة وذلك ينافي القطع بصحة النبوة فثبت بهذه
الوجوه انه لا يجوز من النبي صلى الله عليه وسلم ان يطلب اجرا البتة
على التبليغ والرسالة وههنا قد ذكر ما يجري طلب الاجرة وهو المودة
في القربى اجيب بانه لا نزاع في انه لا يجوز في طلب الاجر على التبليغ
واما قوله تعالى الا المودة في القربى فالجواب عنه من وجهين
الاول ان هذا من باب قوله
• ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتائب •
يعني لا اطلب منكم الا هذا وهذا في الحقيقة ليس اجرا لان حصول
المودة بين المسلمين امر واجب قال تعالى والمومنون والمومنات
بعضهم اوليا بعض وقال صلى الله عليه وسلم المومنون كالبنيان
يشد بعضه بعضا والايات والاخبار في هذا كثيرة واذا كان حصول
المودة بين المسلمين واجبا فحصولها في حق اشرف المرسلين اولى فقوله
تعالى الا المودة في القربى تقديره والمودة في القربى ليست اجرا
رجع الحاصل الى انه لا اجر البتة الثاني هذا استثنا منقطع كما مر تقديره
في الاية وتم الكلام عند قوله قل لا اسيلكم عليه اجرا ثم قال
الا المودة في القربى اي اذكركم قرابتي فيكم فكانه في اللفظ اجر
وليس باجر واختلفوا في قرابته عليه الصلاة والسلام فقيل هم
فاطمة وعلي وابناهما وفيهم نزل انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل
البيت ويطهركم تطهيرا وروي زيد بن ارقم عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله واهل بيتي اذكركم الله في اهل
بيتي فقيل لزيد بن ارقم فمن اهل بيته قال هم ال علي وال عقيل وال
جعفر وال عباس وروي ابن عمر عن ابي بكر قال ارقبوا محمدا في اهل
بيته وقيل هم الذين تحرم عليهم الصدقة من اقاربه ويقسم
فيهم الخمس وهم بنو هاشم وبنو المطلب الذين لم يفترقوا جاهلية
ولا اسلاما وقيل هذه الاية منسوخة واليه ذهب الضحاك بن مزاحم
والحسين بن الفضل قال البغوي وهذا قول غير مرضي لان مودة
النبي صلى الله عليه وسلم وكف الاذى ومودة اقاربه والتقرب الى الله تعالى
بالطاعة والعمل الصالح من فرايض الدين ولما كان التقدير فمن يقترف سيئة
فعليه وزرها ولكنه طوي لان المقام للبشارة كما يدل عليه ختم الاية
عطف عليه قوله تعالى ومن يقترف اي يكتسب ويخالط ويعمل بجد
واجتهاد وتعمد وعلاج حسنة اي ولو صغرت نزد اي بما لنا من العظمة له

اي في الحسنة

اي في الحسنة حسنا اي بمضاعفة الثواب ومن الزيادة ان يكون له مثل
اجر من اقتدى به فيها الى يوم القيمة لا ينقص من اجورهم شيا قيل نزلت
هذه الاية في ابي بكر الصديق وقيل المراد بها العموم في اي حسنة
كانت الا انها لما ذكرت عقب قوله ذكر المودة في القربى دل ذلك على ان
المقصود التاكيد في تلك المودة ان الله اي الذي لا يتعاظمه شي
غفور لكل ذنب تاب منه صاحبه او كان غير الشرك وان لم يتب منه
ان شاء فلا يصدن احدا سيئة عملها عن الاقبال على الحبيب شكور
اي فهو يجزي بالحسنة اضعافها وان قلت والشكور في حق الله تعالى
مجاز والمعنى ان الله تعالى يحسن الى المطيعين في ايصال الثواب اليهم
وفي ان يزيد عليه انواعا كثيرة من التفضيل ثم ذكر تعالى عن طعن الكفرة
في النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ام اي بل يقولون افترى
اي محمد صلى الله عليه وسلم على الله اي الذي احاط بصفات الكمال
فله العلم الشامل لمن يتقول عليه والقدرة التامة على عقابه
كذبا حين زعم ان القران من عنده وانه ارسله بهذا الدين فان
يشاء الله الذي له الاحاطة بالكمال يختم اي يربط على قلبك
بالصبر على اذاهم بهذا القول وغيره وقد فعل وقال قتادة
يعني يطبع على قلبك فينسيك القران وما اتاك فاخبرهم انه لو افترى
على الله كذبا لفعل به ما اخبر في هذه الاية اي انه لا يجترئ على
افترا الكذب الا من كان في هذه الحالة والمقصود من هذا الكلام المبالغة
في تقرير الاستبعاد ومثاله ان ينسب رجل بعض الامنا الى الخيانة
فيقول الامين ذلك لعل الله خذلني اعمى قلبي وهو لا يريد اثبات الخذلان
ولا عمى القلب لنفسه وانما يريد استبعاد صدور الخيانة عنه وقوله
تعالى ويمح الله اي الذي له الامر كله الباطل وهو قولهم افترى مستانف
غير داخل في جزاء الشرط لانه تعالى يمح الباطل مطلقا وسقطت
الواو منه لفظا لالتقاء الساكنين في الدرج وخطا حملا للخط على
اللفظ كما كتبوا سندع الزبانية عليه واما الحق فانه ثابت شديد
واما الحق فانه ثابت شديد مضاعف فلذا قال ويحق اي يثبت
على وجه لا يمكن زواله الحق اي كل ما من شانه الثبات لا اذن فيه واقره
بكلماته اي التي لو كان البحر مدادا لها لنفد وقد فعل الله تعالى ذلك
فمحى باطلهم واعلى كلمة الاسلام عليهم انه عليم اي بالغ العلم
بذات الصدور اي ما هو فيها مما يعلمه صاحبها ومما لا يعلمه فيبطل
باطله ويثبت حقه وان كره الخلايق مثل ذلك ولتعلمن نباه بعد حين
ولقد صدق الله تعالى ببركة هذا القران كلما كان بقوله صلى الله عليه وسلم

وابطل بسيف هذا البرهان كلما كانوا يخالفونه به ومن اصدق من الله قيلا
قال ابن عباس لما نزل قوله تعالى قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى وقع في
قلوب قوم منها شيء وقالوا يريد ان يحثنا على اقاربه من بعده فنزل جبريل فاخبره
انهم اتهموه فانزل الله تعالى هذه الاية فقال القوم يا رسول الله فانا نشهد انك
صادق فنزل **وهو** اي لا غيره **الذي يقبل التوبة عن عباده** بالتجاوز عن ما تابوا
عنه سئل ابو الحسن البوشنجي عن التوبة فقال اذا ذكرت الذنب فلا تجد له
حلاوة في قلبك وروي ان اعرابيا دخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فقال
اللهم اني استغفرك واتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلاته قال له علي رضي
الله عنه يا هذا ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين فقال
يا امير المومنين ما التوبة قال اسم يقع على ستة اشيا على الماضي من
الذنوب الندامة ولتضييع الفرايض الاعادة ورد المظالم واذاقة النفس
مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية واذابتها في الطاعة كما ربيتها
في المعصية والبكا بدل كل ضحك ضحكته وقال سهل بن عبد الله التوبة
الانتقال من الاحوال المذمومة الى الاحوال المحمودة وقال بعضهم هي
الندم على الماضي والترك في الحال والعزم على ان لا يعود اليه في المستقبل
وعن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله
اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة وروي انه
عليه الصلاة والسلام قال يا ايها الناس توبوا الى الله فاني اتوب
اليه في اليوم مرة وعن ابي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الله عز وجل يبسط يديه بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط
يديه بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وروي انه
صلى الله عليه وسلم قال ان الله جعل في المغرب بابا عرضه سبعين
عاما للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها وروي ان الله تعالى
يقبل توبة العبد ما لم يغرغر ولما كان القبول قد يكون في المستقبل
مع الاخذ بما مضى قال الله تعالى تفضلا منه ورحمة **ويعفو عن السيئات**
اي التي كانت التوبة عنها صغيرة كانت او كبيرة وعن غيرها فلا يواخذ بها ان
شاء لان التوبة تجب ما قبلها كما ان الاسلام الذي هو توبة خاصة يجب
ما كان قبله وروي انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الله اشد
فرحا بتوبة عبده حين يتوب اليه من احدكم كان على راحلته بارض فلاة
فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فايس منها فاتى شجرة فاضطجع في
ظلها قد ايس من راحلته فبينما هو كذلك اذ هو بها قائمة عنده فاخذ بخطامها
ثم قال من شدة الفرح اللهم انت عبدي وانا ربك اخطا من شدة الفرح
ويعلم اي والحال انه يعلم **ما تفعلون** فيجازي ويتجاوز عن اتقان وحكمة

بيان اتهموه

وقرا حمزة

وقرا حمزة والكسائي وحفص بالتاء الخطاب اقبالا على الناس عامة وهذا خطاب
للمشركين وقرا الباقون بالغيبة نظرا الى قوله تعالى عن عباده وقال بعد بعد
ويزيدهم من فضله ولما رغب بالعفو زاد بالاكرام فقال تعالى **ويستجيب**
اي يوجد بغاية العناية والطلب اجابة **الذين امنوا** اي دعا الذين اقروا
بالايمان في كل ما دعوا به او شفعوا فيه عنه لانه لولا ارادته لهم الاكرام بالايمان
لما امنوا وعدي الفعل بنفسه ولم يقل ويستجيب للذين امنوا تنبيها على
زيادة بره لهم ووصفهم به **وعملوا** تصديقا لدعواهم بالايمان **الصالحات**
فيثيبهم النعيم المقيم **ويزيدهم** اي مع ما دعوا لاجله ما لم يدعوا به ولم يخطر
على قلوبهم **من فضله** اي تفضلا منه عليهم ويجوز ان يكون الموصول
فاعلا اي يجيبون ربهم اذا دعاهم لقوله تعالى استجيبوا لله وللرسول
اذا دعاكم كاستجاب واجاب وقوله
وداع دعا يا من يجيب الى الندا ۔ فلم يستجبه عند ذلك مجيب
وقال عطا ابن عباس معناه ويثيب الذين امنوا وعملوا الصالحات
ويزيدهم من فضله سوى ثواب اعمالهم تفضلا منه وروي ابو صالح
عنه يشفعهم ويزيدهم من فضله قال في اخوان اخوانهم ثم اتبع المو
بذكر ضدهم فقال تعالى **والكافرون** اي العريقون في هذا الوصف القاطع
الذين منعتهم عراقتهم من التوبة والايمان **لهم عذاب شديد** بدل ما
للمومنين من الثواب والتفضل ولا يجيب دعاهم وما دعاء الكافرين الا
في ضلال فالاية من الاحتباك ذكر الاستجابة اولا دليلا على ضدها ولا
ولما قال تعالى انه يجيب دعا المومنين ورد سوال وهو ان المومن قد يكون
في شدة وبلية وفقر ثم يدعو فلا تظهر اثار الاجابة فكيف الجمع بينه وبين
قوله تعالى ويستجيب الذين امنوا فاجاب الله تعالى عنهم بقوله تعالى
ولو اي وهو يقبل ويستجيب والحال انه لو **بسط الله الرزق** لهم
هكذا كان الاصل ولكن قال **لعباده** لئلا يظن خصوصية ذلك
بالتائبين اذ لا فرق بين التائب وغيره **لبغوا** اي طغوا **في الارض** اي
لصاروا يريدون كلما يشتهون فيكثر القتل والسلب والنهب والضرب
ونحو ذلك من انواع الفساد وقال خباب بن الارت فينا نزلت هذه
الاية وذلك انا نظرنا الى اموال بني قريظة وبني النضير وبني قينقاع
وتمنيناها فنزلت وذكر في كون بسط الرزق موجبا للطغيان وجوه
الاول ان الله تعالى لو سوى في الرزق بين الكل امتنع كون البعض
محتاجا الى البعض وذلك موجب خراب العالم وتعطيل المصالح
ثانيها ان هذه الاية مختصة بالعرب فانه كلما اتسع رزقهم ووجد
من ما المطر ما يرويهم من الكلا والعشب ما يشبعهم اقدموا على

مومنين

النهب والغارة ثالثها ان الانسان متكبرا بالطبع فان وجد الغنا والقدرة
عاد الي مقتضي خلقته الاصلية وهو التكبر واذا وقع في شدة وبلية
ومكروه انكسر وعاد الي التواضع الي والطاعة وقال ابن عباس طلبهم منزلة
بعد منزلة ومركبا بعد مركب وملبسا بعد ملبس ولكن ينزل اي لعباده
من الرزق وقرا ابن كثير وابو عمرو بسكون النون وتخفيف الزاي والباقون
بفتح النون وتشديد الزاي بقدر اي تقديرهم ما يشاء اي ما اقتضته
مشيئته انه وقال تعالي بعباده ولم يقل بهم لئلا يظن ان
الامر خاص بمن وسع او ضيق عليهم خبير بصير يعلم جميع ظواهر
امورهم وبواطنهم فيقيم كل احد بما يصلح له من صلاح وفساد
وعدل وبغي روي انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم
عن جبريل عن الله عز وجل في حديث يقول الله عز وجل ما ترددت
في شي انا فاعله ترددي في قبض روح عبدي المومن يكره الموت
واكره مساءته ولا بد له منه وان من عبادي المومنين من لا يصلح ايمانه
الا الغنا ولو افقرته لافسده ذلك وان من عبادي المومنين لمن لا
يصلح ايمانه الا الصحة ولو اسقمته لافسده ذلك وان من عبادي
لمن لا يصلح حاله الا السقم ولو اصححته لافسده ذلك وذلك اني ادبر
امر عبادي بعلمي بقلوبهم اني عليم خبير وقرا ما يشا نافع وابن
كثير وابو عمرو بتسهيل الهمزة الثانية كاليا ولهم ايضا ابدالها
واوا والباقون بتحقيقها واذا وقف حمزة وهشام ابدلا الا الهمزة
الفا مع المد والقصر والروم والاشمام وهو اي لا غيره الذي
ينزل الغيث اي المطر الذي يغاث به الناس وقرا نافع وابن عامر
وحمزة والكسائي بتشديد النون وفتح الزاي والباقون بسكون
النون وتخفيف الزاي من بعد ما قنطوا اي يئسوا من نزوله وعلموا
انه لا يقدر على انزاله غيره ولا يقصد فيه سواه ليكون ذلك ادعي
لهم الي الشكر وقال تعالى وينشر رحمته اي يبسط مطره كما قال
تعالى وهو الذي يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته وان كان الاصل
بشرى لانه بين انه غيث فقال رحمته بيانا وتعميما فينزل
من السحاب المحمول بالريح من الماء ما لو اجتمع عليه الخلائق
ما اطاقوا حمله فتصبح الارض ما بين غدران وانهار ونبات
نجم واشجار وزهر وحب وثمار وغير ذلك من المنافع الصغار
والكبار فلله ما اعلى هذه القدرة الباهرة والاية الظاهرة
فيخرج من الارض التي هي من صلابتها يعجز عنها المقال مما هو
في لينه الين من الحرير وفي لطافته الطف من النسيم ومن

سوق

سوق الاشجار التي تنشي فيها المنابر اغصانا الطف من السنة العصافير
فما اجلف من ينكر اخراجه الموتى من القبور ويجيد عن ذلك بنوع من
الغرور وهو اي لا غيره الولي الذي لا احد اقرب منه الي عباده
في شي من الاشيا الحميد الذي يستحق بجامع الحمد مع انه يحمد
من يطيعه فيزيده من فضله ويحل حله دايما بجليله ومن اياته
العظيمة على استحقاقه لجميع صفات الكمال خلق السموات التي
تعلمونها انها متعددة لما ترون من امور الكواكب والارض اي
جنسها على ما هي عليه من السباءات وما اشتملا عليه من المنافع والخيرات
وقوله تعالى وما بث اي فرق ونشر يجوز ان يكون مجرور المحل عطفا
على السموات او مرفوعة عطفا على خلق على حذف مضاف اي وخلق ما
بث قال ابو حيان وفيه نظر لانه يوول الي الجر بالاضافة لخلق
المقدر فلا يعدل عنه فيهما اي السموات والارض من دابة
اي شي فيه اهلية الدبيب بالحياة والحركة من الجن والانس
والملايكة وسائر الحيوانات على اختلاف الوانها واصنافها
واشكالها ولغاتهم وطباعهم واجناسهم وانواعهم واقطارهم
ونواحيهم فان قيل كيف يجوز اطلاق الدابة على الملايكة اجيب
بوجوه اولها ما قد من ان الدابة عبارة عما فيه الروح والحركة انه
يضاف الفعل الي جماعة وان كان فاعله واحدا منهم ومنه قوله
تعالى يخرج منهما اللولو والمرجان ثالثها قال ابن عادل لا يبعد ان
يقال انه تعالى خلق في السموات انواعا من الحيوانات يمشون
مشي الاناسي على الارض وروي العباس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال بين السما السابعة والعرش بحر بين اسفله
واعلاه كما بين السما والارض ثم فوق ذلك ثمانية اوعال بين
ركبهن واظلافهن كما بين السما والارض ثم فوق ذلك العرش الحديث
وهو اي لا غيره على جمعهم اي هذه الدواب من ذوي
العقول وغيرهم للحشر بعد تفريقهم بالقلوب والابدان بالموت
وغيره اذا اي وقت يشا قدير اي بالغ القدرة كما كان بالغ القدرة
عند الايجاد من العدم يجمعهم في صعيد واحد يسمعهم الداعي
وينفذهم البصر ثم خاطب المومنين بقوله تعالى وما اصابكم
من مصيبة اي بلية وشدة فبما كسبت ايديكم اي من الذنوب
وقرا نافع وابن عامر بغير فا والباقون بالفا لان ما شرطية او
متضمنة معناه واما من اسقطها فقد استغنى بما في البا من
معنى السببية فان قيل الكسب لا يكون باليد بل بالقدرة

الغايه بها اجيب بان المراد من لفظ اليد القدرة وان كان هذا المجاز مشهور
مستعملا كان لفظ اليد في حق الله تعالى يجب حمله على القدرة تنزيها لله
تبارك وتعالى عن الاعضا واختلفوا فيما يحصل في الدنيا من الالام والاسقام
والقحط والغرق والمصايب هل هي عقوبات على ذنوب سلفت اولا فمن
انكر ذلك لوجوه اولها قوله تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت
بين ان ذلك انما يحصل يوم القيمة وقال تعالى مالك يوم الدين اي يوم الجزا
واجمعوا ان المراد منه يوم القيمة ثانيها مصايب الدنيا يشترك فيها
الزنديق والصديق فيمتنع ان تكون عقوبة على الذنوب بل حصول
المصايب للصالحين والمتقين اكثر منه للمذنبين ولهذا قال صلى
الله عليه وسلم خص البلا بالانبيا ثم الاوليا ثم الامثل فالامثل ثالثها ان
الدنيا دار تكليف فلو حصل الجزا فيها لكانت دار تكليف ودار جزاء معا
وهو محال وقال اخرون هذه المصايب تكون اجزية على ذنوب متقدمة
لهذه الاية ولما روى الحسن قال لما نزلت هذه الاية قال
صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما من خدش عود ولا عثرة
قدم ولا اختلاج عرق الا بذنب وما يعفو الله اكثر وقال علي بن
ابي طالب الا اخبركم بافضل اية في كتاب الله تعالى حدثنا
بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما اصابكم من مصيبة الاية
قال صلى الله عليه وسلم وسافسرها لك يا علي ما اصابكم من مرض او
عقوبة او بلا في الدنيا فبما كسبت ايديكم والله عز وجل اكرم من ان
يثني عليكم العقوبة في الاخرة وما عفى الله عنه في الدنيا فانه
احلم من ان يعود بعد عفوه وتمسكوا ايضا بقوله تعالى
بعد هذه الاية او يوبقهن بما كسبوا وذلك تصريح بان ذلك الاهلاك
بسبب كسبهم قيل لابي سليمان الداراني ما بال العقلا ازالوا اللوم
عمن اساء اليهم قال انهم علموا ان الله تعالى انما ابتلاهم بذنوبهم
وقرا هذه الاية واجاب الاولون بان حصول هذه المصايب
تكون من باب الامتحان في التكليف لا من باب العقوبة كما في حق
الانبيا والاوليا بل ذلك لزيادة درجات وفضايل وخصوصيات
اليها الا بها لان اعمالهم لم تبلغها فهي خير من الله تعالى لهم ويحمل قوله
تعالى بما كسبت على ان الاصلح عند اتيانكم بذلك الكسب
انزال هذه المصايب عليكم ويعفو عن كثير اي من الذنوب
بفضله ورحمته فلا يعاقب عليها ولولا عفوه وتجاوزه ما ترك على
ظهرها من دابة قال الواحدي بعد ان روى حديث علي وهذه ارجى
اية في كتاب الله تعالى جعل ذنوب المومنين صنفين صنف

كثيره عنهم بالمصايب وصنف عفى عنه في الدنيا وهو كريم لا يرجع في عفوه فهذه سنة
الله تعالى مع المومنين واما الكافر فانه لا يعجل له عقوبة حتى يوافي به يوم القيامة وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء
يوم القيمة وما لكم من دون الله اي فائتين ما قضي عليكم من المصايب وما لكم
من دون الله ولا في شي اراده سبحانه منكم كائنا ما كان من ولي اي يكون
متوليا لشي من اموركم بالاستقلال ولا نصير يدفع عنكم
شيا يريده سبحانه بكم ومن اياته اي الدالة على تمام قدرته واختياره
ووحدانيته الجوار في البحر كالاعلام اي كالجبال
قالت الخنساء في مرثية اخيها صخر وان صخرا لتاتم ورواه اغر ابلج
تاتم الهداة به كانه علم الجبل في راسه نار شبهت به اخاها وروي
ان النبي صلى الله عليه وسلم انشد قصتها هذه فلما وصل الراوي
هذا البيت قال قاتلها الله ما رضيت بتشبيهه بالجبل حتى جعلت
في راسه نارا وقال مجاهد الاعلام القصور واحدها علم وقال
الخليل بن احمد كل شي مرتفع عند العرب فهو علم فان قيل الصفة متى
لم تكن خاصة بموصوفها امتنع حذف الموصوف لا تقول مررت بماش
لان المشي عام وتقول مررت بمهندس وكاتب والجري ليس من الصفات
الخاصة فما وجه ذلك اجيب بان قوله تعالى في البحر قرينة دالة على
الموصوف فلذلك حذف ويجوز ان تكون صفة غالبة كالابطح والابرق
تولت العوامل دون موصوفها وقرا ابو عمرو باثبات اليا وقفا ووصلا
والباقون بحذفها وقفا ووصلا واما الجواري فحمزة والدوري عن الكسائي
ونافع الباقون ان يشا اي الله الذي حملكم فيها على ظهر الماء اية
بينة سقط اعتبارها عندكم لشدة الفكم لها يسكن الريح الذي
يسيرها وانتم مفتقرون اذا مرها اليكم لا سيما وقرا نافع بالف بعد اليا
جمعا والباقون بغير الف افرادا فيظللن اي فيتسبب عن ذلك
انهن يظللن اي يصرن ليلا او نهارا رواكد اي ثوابت لا تجري
على ظهره اي البحر ان في ذلك اي ما ذكر في حال السفن في سيرها
وركودها بما لا يقدر عليه الا الله تعالى بدليل ما للناس كافة من
الاجماع على التوجه اليه في ذلك خاصة والانخلاع مما سواه لايات
اي على احاطته سبحانه بجميع صفات الكمال لكل صبار اي في البلا
والشدة شكور اي على نعمائه وهو المومن الكامل يصبر في الشدة
ويشكر في الرخا فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر اي
او شيا في كل وقت اراده او يوبقهن اي يهلكهن بعصف الريح باهلهن
بما كسبوا اي اهلهن من الذنوب ويعف اي ان شاء عن كثير
من ذنوبهم فلا يعاقب فينجيهم بعوم او حمل على خشبة او غير ذلك

وان شاء يرسل الريح طيبة فينجيها ويبلغها اقصى المراد الى غير ذلك من
التقادير الداخلة تحت المشيئة وقوله تعالى **ويعلم** قراءة نافع وابن
عامر برفع الميم مستانف والباقون بالنصب معطوف على تعليل مقدر
اي ليغرقهم لينتقم منهم وليعلم **الذين يجادلون** اي عند النجاة
بالعفو **في اياتنا** اي يكذبون القران اي علم ظهور للناس **ما لهم من**
محيص اي مهرب من العذاب وجملة النفي سد مسد مفعولي
يعلم او النفي معلق عن العمل وقوله تعالى **فما اوتيتم** خطاب للمومنين
وغيرهم **من شيء** اي من اثاث الدنيا **فمتاع الحياة الدنيا** اي القريبة
الدنية لا نفع فيه لاحد الا مدة حياته وذلك جدير بالاعراض
عنهم وعما سببه من الاعمال الا ما يقرب الى الله تعالى **وما** اي
والذي **عند الله** اي الملك الاعظم اي المحيط بكل شيء قدرة وعلما
من نعم الدارين خير اي في نفسه واشد خيرية من النعم الدنيوية
المحضة لانقطاع نفعه فسماه متاعا تنبيها على حقارته وقلته
وجعله من متاع الدنيا تنبيها على انقراضه واما الاخرة فهي خير
وابقى والباقي خير من الخسيس الفاني ثم بين تعالى ان هذه الخيرية
انما تحصل لمن كان موصوفا بصفات الصفة الاولى قوله تعالى **الذين**
امنوا اي اوجدوا هذه الحقيقة **وعلى** اي والحال على **ربهم**
اي الذي لم يروا احسانا قط الا منه وحده بما رباهم من الاخلاص
يتوكلون اي يحملون جميع امورهم عليه كما يحمل غيرهم متاعه على
من يتوسم منه قوة على الحمل ولا يلتفتون في ذلك الى شيء غيره
اصلا لينتفي عنهم بذلك الشرك الخفي كما انتفى بالايمان الشرك
الجلي وهذا رد على من زعم ان الطاعة توجب الثواب لانه يتوكل
على عمل نفسه لا على الله تعالى فلا يدخل تحت الاية الصفة
الثانية قوله تعالى **والذين يجتنبون** اي يكلفون انفسهم ان يجانبوا
كبائر الاثم اي جنس الفعال الكبائر التي لا توجد الا ضمن افرادها
ويحصل بها دنس النفس فيوجب عقابا لها مع الجسم وعطف على
كبائر قوله تعالى **والفواحش** وهو ما انكره الشرع والعقل والطبع
والكبائر كل ذنب تعظم عقوبته كالقتل والزنا والسرقة
والفواحش ما عظم قبحه من الاقوال والافعال وقال مقاتل
ما يوجب الحد وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة النساء وقرا
حمزة والكسائي بكسر الباء الموحدة قبل الياء الساكنة وهي للجنس
فهي بمعنى قراءة الجمع كما قرا الباقون بفتح الموحدة والف بعدها
وبعد الالف همزة مكسورة والاولى ابلغ لشمولها الافراد

الصفة الثالثة

الصفة الثالثة قوله تعالى **واذا ما غضبوا** اي غضبا هو على حقيقته من امر
مغضب في العادة وبين بضمير المنفصل ان بواطنهم في غفرهم كظواهرهم
فقال تعالى **هم يغفرون** اي هم الاخصاء والاحقاء بانهم كلما
تجدد لهم غضب جددوا غفرا اي محوا للذنب عينا واثرا مع القدرة
على الانتقام فيحيا بايام تقتضي الصفح دون الانتقام ما لم يكن
من المظالم يبغي لانه لا يواخذ على مجرد الغضب الا متكبر والتكبر لا
يصلح لغير الاله وفي الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم ما انتقم لنفسه
قط الا ان تنتهك حرمات الله وروي ابن ابي حاتم عن ابراهيم النخعي
كان المومنون يكرهون ان يستذلوا وكانوا اذا قدروا عفوا الصفة
الرابعة قوله تعالى **والذين استجابوا** اي اوجدوا الاجابة بما لهم من العلم
الهادي الى سبيل الرشاد **لربهم** اي الداعي لهم الى اجابة احسانه
اليهم قال الرازي هي المراد من هذا تمام الانقياد فان قيل اليس
انه لما جعل الايمان فيه شرطا فقد دخل في الايمان اجابة الله تعالى
اجيب بانه يحمل هذا على الرضى بقضاء الله تعالى من صميم
القلب وان لا يكون في قلبه منازعة الصفة الخامسة قوله تعالى
واقاموا اي اداموا **الصلاة** الواجبة **وامرهم** ان كلما ينوبهم
مما يحوجهم الى تدبير **شورى بينهم** اي يتشاورون فيه مشاورة عظيمة
مبالغين بما لهم من قوة الباطن ولا يعجلون في امورهم والشورى مصدر
كالفتيا بمعنى التشاور الصفة السادسة قوله تعالى
ومما رزقناهم اي اعطيناهم بعظمتنا من غير حول منهم ولا قوة
ينفقون اي يديمون الانفاق في سبيل الله كرما منهم واذ قل
ما بايديهم اعتمادا على فضل الله تعالى لا يقبضون ايديهم كالمنافقين
والذين اذا اصابهم اي وقع بهم واثر فيهم وهو التمادي على الوقح
بالشر **هم ينتصرون** اي ينتقمون ممن ظلمهم بمثل ظلمه كما قال
تعالى **وجزاء سيئة سيئة مثلها** سميت الثانية سيئة لمشابهتها
للاولى في الصورة قال مقاتل يعني القصاص وهي الجراحات
والدما وقال مجاهد والسدي هو جواب القبيح اذا قال
اخزاك الله يقول اخزاك الله واذا شتمك فاشتمه بمثلها من غير ان
تعتدي قال سفيان بن عيينة قلت لسفيان الثوري عن ذلك
فقال اذ شتمك رجل فتشتمه او يفعل كذا فتفعل به فلم اجد عنده
شيئا فسالت هشام بن حجير عن ذلك فقال الجارح اذا جرح يقتص
منه وليس هو ان يشتمك وتشتمه وقد تكفلت هذه الجمل امهات
الفضائل الثلاث العلم والعفة والشجاعة على احسن الوجوه

فالمدح بالاستجابة والصلاة دعا الى العلم وبالنفقة الى العفة وبالانتصار
الى الشجاعة حتى لا يظن ان اذعانهم لما مضى مجرد ذل والقصر على المماثلة
دعا الى فضيلة التقسيط بين الكل وهي العدل وهذه الاخيرة
كافلة بالفضائل الثلاث فان من علم المماثلة كان عالما ومن قصد الوقوف
عنها كان عفيفا ومن قسر نفسه على ذلك كان شجاعا وقد ظهر من المدح
بالانتصار بعد المدح بالغفران ان الاول للعاجز والثاني للمتغلب المتكبر
بدليل البغي فان قيل هذه الاية مشكلة لوجهين الاول انه لما ذكر قبله
واذا ما غضبوا هم يغفرون كيف يليق ان يذكر معه ما يجري مجرى الضد
له وهو الذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون الثاني ان جميع الايات
دالة على ان العفو احسن قال تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى
وقال تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما وقال تعالى خذ العفو
وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين اجيب بان العفو على قسمين
احدهما ان يصير العفو سببا لتسكين الفتنة ورجوع الجاني عن
جنايته والثاني ان يصير العفو سببا لمزيد جراءة الجاني وقوة غيظه
وغضبه فايات العفو محمولة على القسم الثاني وحينئذ يزول
روي ان زينب اقبلت على عائشة تشتمها فنهاها النبي صلى الله
عليه وسلم عنها فلم تنته فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم
سبيها فان الله تعالى لم يرغب في الانتصار بل بين انه مشروع
فقط ثم بين ان مشروعيته مشروعة برعاية المماثلة بقوله
تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها ثم بين ان العفو اولى بقوله تعالى
فمن عفى اى باسقاط حقه كله او بالنقص عنه لتحقق البراءة
مما حرم من المجاوزة واصلح اي اوقع الاصلاح بين الناس بالعفو
والاصلاح لنفسه ليصلح الله ما بينه وبين الناس فيكون بذلك
منتصرا من نفسه لنفسه فاجره على الله اي المحيط بجميع صفات
الكمال فهو يعطيه على حسب ما يقتضيه مفهوم هذا الاسم الاعظم
وهذا سر لفتة الكلام اليه عن مظهر العظمة وقوله صلى الله
عليه وسلم ما زاد الله بعفو الا عزا انه لا يحب الظالمين اي لا يكرم
الواضعين لشيء في غير محله فيترتب عليهم عقابه ولمن انتصر اي
سعى في نصر نفسه بجهده بعد ظلمه اي بعد ظلم الغير له وليس
قاصدا للتعدي عن حقه ولو استغرق انتصاره جميع زمان التعدي
فاولئك اي المنتصرون لاجل دفع الظالم عنهم ما عليهم واكد
باثبات الجار فقال تعالى من سبيل اي عقاب ولا عتاب لانهم
فعلوا ما ابيح لهم من الانتصار روى النسائي عن عائشة قالت ما علمت

حتى دخلت على زينب وهي غضبى فاقبلت علي فاعرضت عنها حتى قال النبي
صلى الله عليه وسلم دونك فانتصري فاقبلت عليها حتى رأيتها قد
يبس ريقها في فمها ما ترد علي شيئا فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم
يتهلل وجهه واحتجوا بهذه الاية على ان سراية القود مهدرة لانه فعل
ماخوذون فيه فيدخل تحت هذه الاية انما السبيل اي الطريق
السالك الذي لا امنع منه اصلا على الذين يظلمون الناس اي يوقعون
بهم ظلمهم تعمدا عدوانا ويبغون اي يتجاوزون الحدود في الارض
بما يفسدها بعد اصلاحها بتهيئتها للصلاح طبعا وعلما وعملا
بغير الحق اي الكامل لان الفعل قد يكون بغيا وان كان مصحوبا
بحق كالانتصار المقترن بالتعدي فيه اولئك اي البعداء من الله
تعالى لهم عذاب اليم اي مؤلم يعم ايلامه ابدانهم وارواحهم
بما الموا من ظلموه ولمن صبر اي على الانتصار من غير انتقام ولا شكوى
وغفر اي صرح باسقاط العقاب والعتاب محى عين الذنب
واثره ان ذلك اي الفعل الواقع منه البالغ في العلو حدا لا يوصف
لمن عزم الامور اي معزوماتها بمعنى المطلوبات شرعا وروي انه صلى
الله عليه وسلم قال ما من عبد ظلم مظلمة يعفو عنها الا اعزه الله
بها نصرا ومن يضلل الله اي الذي له صفات الكمال بان لم يوفقه فما له من
ولي اي يتولى امره في الهداية بالبيان لما اخفاه الله تعالى عنه
من بعده اي من بعد اضلال الله تعالى له وهذا اصرح في جواز ان
الاضلال من الله تعالى وان الهداية ليست في مقدور احد سوى الله تعالى
وقال تعالى وترى الظالمين موضع وتراهم لبيان ان الضال لا يضع
شيئا في موضعه ولما كان عذابهم حتما عبر عنهم بالماضي فقال
لما راوا العذاب اي يوم القيامة المعلوم مصير الظالم اليه يقولون
اي مكررين لما اعتراهم من الدهش وغلبت على قلوبهم من الوجل
هل الى مرد اي الى دار العمل من سبيل اي طريق فيتمنون
حينئذ الرجوع الى الدنيا لتدارك ما فات من الطاعات الموجبة للنجاة
وتراهم اي في ذلك اليوم والضمير في قوله تعالى يعرضون
عليها يعود على النار لدلالة العذاب عليها ثم ذكر حالهم عند عرضهم
على النار بقوله تعالى خاشعين اي خاضعين حقيرين بسبب
ما لحقهم من الذل لانهم عرفوا اذ ذاك ذنوبهم وانكشفت لهم عظمة
من عصوه ينظرون اي يبتدئ نظرهم المكرر من طرف اي
تحريك الاجفان خفي اي ضعيف النظر يسارقون النظر الى
النار خوفا منها وذلة في انفسهم كما ينظر المقتول الى السيف

فلا يقدر يملا عينيه منه ولا يفتح عينيه انما ينظر ببعضها ويصح ان تكون من
بمعني الى اي بطرف خفي ضعيف من الذل فان قيل قد قال الله تعالى في صفة
الكفار انهم يحشرون عميا فكيف قال تعالى هنا انهم ينظرون من طرف خفي
اجيب بانهم يكونون في الابتدا هكذا ثم يصيرون عميا او ان هذا
في قوم وذاك في قوم اخرين وقيل ينظرون الى النار بقلوبهم والنظر بالقلب
خفي ولما وصف تعالى حال الكفار حكى ما يقوله المومنون فيهم فقال
تعالى **وقال** اي في ذلك الموقف الاعظم على سبيل التعيير لهم والتبكيت
والتوبيخ والتقريع **الذين امنوا** اي اوقعوا هذه الحقيقة سوا كان
ايقاعهم لها في ادنى الرتب او اعلاها **ان الخاسرين** اي الذين كملت
خسارتهم **الذين خسروا انفسهم** بما استغرقها من العذاب **واهليهم**
بمفارقتهم لهم اما في اطباق العذاب ان كانوا مثلهم في الخسران او في
دار الثواب ان كانوا من اهل الايمان **يوم القيمة** اي الذي هو يوم فوت
التدارك لانه للجزا لا للعمل لفوات شرطه بفوات الايمان بالغيب
لانكشاف الغطا وهذا القول يحتمل وقوعا في الدنيا او يوم القيامة
اذا رأوهم على تلك الصفة وقوله تعالى **الا ان الظالمين** اي الراسخين
في هذا الوصف **في عذاب مقيم** اي دايم يحتمل ان يكون من تمام كلام
المومنين وان يكون تصديقا من الله تعالى لهم **وما كان** اي صح ووجد
لهم واغرق في النفي فقال تعالى **من اوليا** اي فما لهم من ولي لان
النصرة اذا انتفت من الجمع انتفت من الواحد من باب اولى **ينصرونهم**
اي يوجدون نصرهم في وقت من الاوقات **من دون الله** اي الملك الاعظم
اي لا في الدنيا بان يقدروا على انقاذهم من وصف الظلم ولا في الاخرة
بانقاذهم من العذاب **ومن يضلل الله** اي يوجد اضلاله ايجادا مكيفا
بما افاده الفك على سبيل الاستمرار بعدم البيان او بعدم التوفيق
بعد البيان **فما له** بسبب اضلال من له صفات من له جميع صفات
الكمال واغرق تعالى في النفي فقال بقوله سبحانه **من سبيل** اي
طريق الى الحق في الدنيا والى الجنة في الاخرة ولما ذكر تعالى الوعد
والوعيد ذكر بعده ما هو المقصود فقال تعالى **استجيبوا لربكم**
اي اجيبوه بالتوحيد والعبادة فانه الذي لم تروا احسانا الا
هو منه **من قبل ان ياتي يوم** هو يوم القيمة **لا مرد له من الله** اي الذي
له جميع العظمة فانه اذا اتى به لا يرده واذا لم يكن له مرد منه لم يكن له
مرد من غيره ومتى عدم ذلك انتج قوله تعالى **ما لكم** واغرق في النفي بقوله تعالى
من ملجا اي تلجاون اليه **يومئذ** اي في ذلك اليوم وزاد في التاكيد
باعادة النافي وما في حيزه ابلاغا في التحذير فقال تعالى **وما لكم من نكير**

اي انكار

حكم اي انكار لما اقترفتموه لانه مدون في صحايف اعمالكم تشهد عليه السنتكم وجوارحكم
فان اعرضوا اي عن الاجابة لما دعوتهم اليه **فما ارسلناك** اي بما لنا من العظمة
عليهم حفيظا اي تقهرهم على امتثال ما ارسلناك به **ان عليك الا
البلاغ** لما ارسلناك به واما الهداية والاضلال فالينا وهذا كما قال
الجلال المحلي قبل الامر بالجهاد **وانا اذا اذقنا** اي بالعظمة التي لا يمكن
مخالفها **الانسان** اي بما جبلناه عليه من النقص وعدم التمالك **منا
رحمة** قال ابن عباس نوعا من انواع الاكرام من صحة او غنى او
نحو ذلك **فرح بها** اي بتلك الرحمة وافرد ضمير فرح نظرا للفظ الانسان
اشارة الى انه مطبوع على انه ليس عليه الا من نفسه ولو كان اهل الارض
كلهم على غير ذلك ونعمة الله وان كانت في الدنيا عظيمة الا انها بالنسبة
الى سعادات الاخرة كالقطرة بالنسبة الى البحر فلذلك سميت ذوقا
فبين تعالى ان الانسان اذا حصل له هذا القدر الحقير في الدنيا فرح به
وعظم غروره ووقع في العجب والكبر ويظن انه فاز بكل المنى ووصل الى
اقصى السعادات وهذه طريقة من ضعف اعتقاده في سعادات
الاخرة وجمع ضمير الانسان في قوله تعالى **وان تصبهم** باعتبار
معناه **سيئة** اي شي يسوءهم في الحال كالمرض والفقر والقحط **بما
قدمت ايديهم** اي قدموه وعبر بالايدي لان اكثر الافعال بها **فان
الانسان** اي الانس نفسه المعرض عن غيره بما هو طبع له بسبب
سيئة تضره **كفور** اي بليغ الكفران ينسي النعمة راسا ويذكر
البلية ويعظمها ولم يتامل سببها وتصدير الشرطية الاولى
باذا والثانية بان لان اذاقة النعمة محققة من حيث انها عادة مقتضية
بالذات بخلاف اصابة البلية واقامة علة الجزا مقامه ووضع الظاهر
موضع المضمر في الثانية للدلالة على ان هذا الجنس موسوم بكفران
النعمة فان كان في نعمة اشر وبطر وان كان في نقمة ايس وقنط فهذا
حال الجنس من حيث هو ومن وفقه الله تعالى جنبه ذلك كما قال
صلى الله عليه وسلم المومن اذا اصابه سرا شكر فكان خيرا وان اصابته
ضرا صبر فكان خيرا ولما ذكر تعالى اذاقة الانسان الرحمة واصابته
بعدها السيئة اتبع ذلك بقوله تعالى **لله** اي الملك الاعظم وحده
ملك السموات كلها على علوها وتطابقها وكبرها وعظمها وتباعد
اقطارها **والارض** جميعا على تباينها وتكاثفها واختلاف اقطارها
وسكانها واتساعها **يخلق** اي على سبيل التجدد والاستمرار
والاستمرار **ما يشا** وان كان على غير اختيار العباد لئلا يغتر الانسان
بما ملكه من المال والجاه بل اذا علم ان الكل ملك لله وملكه وانما حصل

له ذوت القدر انعاما من الله تعالى عليه فيصير ذلك حاملا له على مزيد الطاعة
ثم ذكر من اقسام تصرفه تعالى في العالم انه يخص بعض الناس بالاولاد
الاناث والبعض بالذكور والبعض بهما والبعض محروم من الكل كما قال تعالى
يهب اي يخلق **لمن يشاء** اولادا **اناثا** فقط ليس فيهن ذكر
ويهب لمن يشا الذكور فقط ليس فيهم انثى وقرا نافع وابن كثير
وابو عمرو بتسهيل الهمزة الثانية كاليا وبدل ايضا واوا خالصة والباقون
بتحقيقهما في الابتدا الجميع بالتحقيق واذا وقف حمزة وهشام ابدلا
الهمزة الفا مع المد والتوسط والقصر ولهما ايضا تسهيلها مع المد والقصر
والروم والاشمام **او يزوجهم** اي الاولاد فيجعلهم ازواجا اي
صنفين حال كونهم **ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما** اي لا يولد
له قال الرازي وفي الاية سؤالات الاول انه قدم الاناث في الذكر
على الذكور اولا ثم قدم الذكور على الاناث ثانيا فما السبب اي فما
الحكمة في هذا التقديم والتاخير والثاني انه نكر الاناث وعرف
الذكور وقال في الصنفين معا او يزوجهم ذكرانا واناثا
الثالث لما كان حصول الولد هبة من الله تعالى فيكفي في عدم حصوله
ان لا يهب فاي حاجة في عدم حصوله الى قوله تعالى ويجعل من يشا
عقيما الرابع هل المراد بهذا الحكم جمع معينون او الحكم على الانسان
المطلق ثم قال والجواب عن الاول ان الكريم يسعى في ان يقع
الختم على الخير والراحة فاذا وهب الانثى اولا ثم اعطى الذكر
بعدها فكانما نقله من الغم الى الفرح وهذا غاية الكرم اما اذا
الذكر اولا ثم اعطى الانثى ثانيا فكانه نقله من الفرح الى الغم
فذكر الله تعالى هبة الانثى اولا ثم ثنى بهبة الذكر حتى يكون
قد نقله من الغم الى الفرح فيكون اليق بالكرم وقيل من يمن
المراة تبكيرها بالانثى قبل الذكر لان الله تعالى بدا بالاناث
واما تقديم الذكور على ذكر الاناث ثانيا لان الذكر اكمل وافضل من
الانثى والافضل مقدم على المفضول واما الجواب عن تنكير الاناث
وتعريف الذكور فهو ان المقصود منه التنبيه على ان الذكر افضل
من الانثى واما قوله تعالى او يزوجهم ذكرانا واناثا وهو ان كل شيئين
يقترن احدهما بالاخر فهما زوجان وكل واحد منهما يقال له زوج
والكناية في يزوجهم عائدة على الاناث والذكور والمعنى يجعل
الذكور والاناث ازواجا اي يجمع له بينهما فيولد له الذكور
والاناث واما الجواب عن قوله تعالى عقيما فالعقيم هو الذي
لا يلد ولا يولد له يقال رجل عقيم وامراة عقيم واصل العقم القطع

ومنه

ومنه قيل الملك عقيم لانه تنقطع فيه الارحام بالقتل والعقوق واما الجواب
عن الرابع فقال ابن عباس يهب لمن يشا اناثا يريد لوطا وشعيبا عليهما
السلام لم يكن لهما الا البنات ويهب لمن يشاء الذكور يريد ابراهيم
عليه السلام لم يكن له الا الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا يريد محمدا
صلى الله عليه وسلم كان له من البنين ثلاث على الصحيح القاسم
وعبد الله وابراهيم ومن البنات اربعة زينب ورقية وام كلثوم
وفاطمة ويجعل من يشا عقيما يريد يحيى وعيسى عليهما السلام
وقال اكثر المفسرين هذا على وجه التمثيل وانما الحكم عام في كل
الناس لان المقصود بيان نفاذ قدرة الله تعالى في تكوين الاشيا
كيف شاء فلا معنى للتخصيص ثم انه تعالى ختم الاية بقوله تعالى
انه عليم اي بالغ العلم بمصالح العباد وغيرها **قدير** اي
شامل القدرة على تكوين ما يشاء ولما بين حال قدرته وعلمه وحكمته
اتبعه ببيان انه كيف يخص انبياءه بوحيه وكلامه فقال تعالى
وما كان اي وما صح **لبشر** من الاقسام المذكورة وحل المصدر
الذي هو اسم كان ليقع التصريح بالفاعل والمفعول على اتم
وجوهه فقال تعالى **ان يكلمه** واظهر موضع الاضمار اعظاما للوحي
وتشريفا لمقداره فقال تعالى **الله** اي يوجد الملك الاعظم
الجامع لصفات الكمال في قلبه كلاما **الا** ان يوحي اليه **وحيا** اي
كلاما خفيا يوجده فيه بغير واسطة بوجه خفي لا يطلع عليه
احد اما بمشافهة كما ورد في حديث المعراج واما بالهام او رؤيا
منام كما راى ابراهيم عليه السلام في المنام او بغير ذلك سوا خلق الله
تعالى في المتكلم به قوة السماع له وهو اشرف هذه الاقسام اولا
ومن الثاني قوله تعالى واوحينا الى ام موسى واوحى ربك الى النحل
واوحى في كل سما امرها **او** الا **من وراء حجاب** اي من وجه لا يرى
فيه المتكلم من السماع للكلام على وجه الجهر كما وقع لموسى عليه
السلام **او يرسل رسولا** من الملائكة اما جبريل عليه السلام
او غيره تنبيه ذكر المفسرون ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه
وسلم الا تكلم الله تعالى وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر
اليه فقال لم ينظر موسى الى الله عز وجل فانزل الله تعالى وما كان
لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا
فيوحي اي الرسول الى المرسل اليه اي يكلمه **باذنه** اي الله تعالى
ما يشاء اي الله عز وجل وقرا نافع برفع اللام من يرسل وسكون
اليا من يوحي والباقون بنصب اللام واليا اما القراءة الاولى

ففيها ثلاثة اوجه احدها انه رفع على انه مبتدا اي هو يرسل ثانيها انه
عطفا على وحيا على انه حال لان وحيا في تقدير الحال ايضا فكانه قال
الا موحيا او مرسلا ثالثها ان يعطف على ما يتعلق به من ورا اذ تقديره
او يسمع من ورا حجاب ووحيا في موضع الحال عطف عليه ذلك المقدر
المعطوف عليه او يرسل والتقدير او موحيا او مسمعا من ورا حجاب
او مرسلا واما القراءة الثانية ففيها ثلاثة اوجه ايضا احدها ان
يعطف على المضمر الذي يتعلق به من ورا حجاب اذ تقديره او يكلمه من وراء
حجاب وهذا الفعل المقدر معطوف على وحيا والمعنى الا بوحي او اسماع
من ورا حجاب او ارسال رسول ولا يجوز ان يعطف على يكلمه لفساد المعنى
اذ يصير التقدير وما كان لبشر ان يرسل الله رسولا بل يفسد لفظا
ومعنى وقال مكي لانه يلزم منه نفي الرسل ونفي المرسل اليهم
ثانيها ان ينصب بان مضمرة وتكون هي وما نصبته معطوفين على وحيا
ووحيا حال فيكون هنا ايضا حالا والتقدير الا موحيا او مرسلا ثالثها
انه عطف على معنى وحيا فانه مصدر مقدر بان والفعل والتقدير
الا ان يوحي اليه او بان يرسل ذكره مكي وابو البقا **انه** اي هذا الذي
له هذا التصرف العظيم في هذا الوحي الكريم **علي** اي بالغ العلو
جدا عن صفات المخلوقين **حكيم** يفعل ما يقتضيه حكمته فيكلم تارة
بواسطة وتارة بغير واسطة اما عيانا واما من ورا حجاب **وكذلك** اي
ومثل ايحائنا الى غيرك من الرسل **اوحينا** بما لنا من العظمة **اليك**
يا افضل الخلق **روحا** قال ابن عباس نبوة وقال الحسن رحمة وقال
السدي وحيا وقال الكلبي كتابا وقال الربيع جبريل وقال مالك بن
دينار القراءن وسمي الوحي روحا لانه مدبر الروح كما ان الروح مدبر البدن
وزاد عظمته بقوله تعالى **من امرنا** اي الذي نوحيه اليك ثم بين حال
نبيه صلى الله عليه وسلم قبل الوحي بقوله سبحنه وتعالى **ما كنت** اي
فيما قبل الاربعين التي مضت لك وانت بين ظهراني قومك **تدري**
اي تعرف قبل الوحي اليك **ما الكتاب** اي القراءن **ولا الايمان** اي
تفصيل الشرايع على ما جددناه لك بما اوحيناه اليك وهو صلى الله
عليه وسلم وان كان قبل النبوة قد كان مقرا بوحدانية الله تعالى وعظمته
فانه كان يصلي ويحج ويعتمر ويبغض اللات والعزى ولا ياكل ما ذبح
على النصب لكنه لم يكن يعلم الرسل على ما هم عليه ولا شك ان
الشهادة له صلى الله عليه وسلم نفسه بالرسالة ركن الايمان ولم
يكن له علم بذلك وكذلك الملايكة فصح نفي المنفي لفوات بفوات جزئه
وقال محمد بن اسحق بن خزيمة الايمان هنا الصلاة لقوله تعالى

وماكان

وماكان الله ليضيع ايمانكم اي صلاتكم وقيل هذا على حذف معناه ما كنت تدري
ما الكتاب ولا الايمان حين كنت طفلا في المهد وقيل الايمان عبارة عن الاقرار
بجميع ما كلف الله تعالى به وقال بعضهم صفات الله تعالى على قسمين منها
ما يمكن معرفته الا بالدلايل السمعية فهذا القسم الثاني لم تكن معرفته
حاصلة قبل النبوة تنبيه ما الاولى نافية والثانية استفهامية
والجملة الاستفهامية معلقة للدراية فهي في محل نصب لسدها مسد
مفعولين والجملة المنفية باسرها في محل نصب على الحال من الكاف
في اليك وفي الاية دليل على انه صلى الله عليه وسلم لم يكن متعبدا قبل النبوة
بشرع وفي المسئلة خلاف للعلماء فقيل كان يتعبد على دين ابراهيم
وقيل غيره والضمير في قوله تعالى **ولكن جعلناه نورا** يعود اما للروح واما
للكتاب واما لهما وهو اولى لانهما مقصود واحد فهو اولى كقوله تعالى
والله ورسوله احق ان يرضوه وقال ابن عباس يعني الايمان وقال السدي
يعني القراءن **نهدي** على عظمتنا **من نشاء** خاصة لا يقدر احد على هدايته
بغير مشيتنا **من عبادنا** بخلق الهداية في قلبه بالتوفيق فهذه لا يقدر
عليها احد غير الله تعالى واما الهداية بالتبيين والارشاد فهي قوله تعالى
وانك يا افضل الخلق **لتهدي** اي تبين وترشد واكد لانكارهم ذلك
الى صراط اي طريق واضح جدا **مستقيم** اي شديد الاستقامة وهو دين
الاسلام وقوله تعالى **صراط الله** اي الملك الاعظم الجامع لصفات الكمال
وقرا سراط في الموضعين قنبل بالسين وخلف بالاشمام اي بين الصاد
والزاي والباقون بالصاد الخالصة ثم وصف سبحنه نفسه بانه
مالك لما في السموات والارض بقوله تعالى **الذي له ما في السموات وما في الارض** خلقا
وملكا **الا الى الله** اي المحيط بجميع صفات الكمال الذي تعالى عن مثل
ومدان وهو الكبير المتعال لا الى غيره **تصير** اي على الدوام وان كانت
في الظاهر في ملك غيره بحيث يظن الجاهل ان ملكها مستقر له قال
ابو حيان اخبر بالمضارع والمراد به الديمومة كقوله زيد يعطي ويمنع
اي من شانه ذلك ولا يراد به حقيقة المستقبل **الامور** كلها من
الخلق والامر معنى وحسا كما كانت الامور كلها مبتداة منه وحده وفي
ذلك وعد للمطيعين ووعيد للمجرمين فيجازي كلا منهم بما يستحقه
من ثواب او عقاب وما قاله البيضاوي تبعا للزمخشري من انه صلى الله
عليه وسلم قال من قرا سورة حم عسق كان ممن تصلي عليه الملايكة
ويستغفرون ويسترحمون له حديث موضوع

سورة الزخرف مكية وهي تسع وثمانون اية

وثمانمائة وثلاث وثلاثون كلمة وثلاثة الاف واربعمائة حرف بسم الله
الذي له مقاليد الامور كلها فهو يعطي من يشاء وان طال سؤله الرحمن الذي
نال بره جميع خلقه حسب منازلهم عنده الرحيم الذي يقرب اليه من شاء
زلفى وان وصل في البعد الى الحد الاقصى وقد تقدم الكلام على قوله تعالى
حم والواو في قوله تعالى والكتاب اي القرآن المبين اي مظهر طريق
الهدى وما يحتاج اليه من الشريعة عاطفة ان جعلت حم قسما والا فهي
كانت للقسم وقوله تعالى انا جعلناه اي اوجدنا هذا الكتاب قرآنا
عربيا اي بلغة العرب جواب القسم وهذا عندهم من البلاغة
وهو كون القسم والمقسم عليه من واد واحد كقول ابي تمام
• وثناياك انها اغريض • اي طلع وبرد • وقبله •
• وكل ابيض طوى ولآل • توم وبرق وميض •
والتوم جمع تومة وهي حبة تعمل من الفضة كالدرة والوميض مصدر
ومض اي لمع لمعا خفيفا تنبيه احتج القائلون بحدوث القرآن
بهذه الآية من وجوه الاول انها تدل على ان القرآن مجعول والمجعول
هو المصنوع المخلوق الثاني انه وصفه بكونه قرآنا وهو انما سمي قرآنا
لانه جعل بعضه مقرونا بالبعض وما كان كذلك كان مصنوعا الثالث
وصفه بكونه عربيا وانما يكون عربيا لان العرب اختصت ببعض
بوضع الفاظه في اصطلاحهم وذلك يدل على انه مجعول والتقدير حم ورب
الكتاب المبين ويؤكد هذا بقوله صلى الله عليه وسلم يا رب طه
ويس ورب القرآن العظيم واجاب الرازي بان هذا الذي ذكرتموه
حق لانكم استدللتم بهذه الوجوه على كون الحروف المتواليات
والكلمات المتعاقبة محدثة وذلك معلوم بالضرورة من الذي نازعكم
فيه لعلكم يا اهل مكة لعلكم اي لتكونوا على رجاء عند من يصح منه
الرجاء من ان تفهموا معانيه واحكامه وبديع وصفه ونظامه فترجعوا
عن كل ما انتم فيه من المغالبة ولا بد ان يقع هذا الفعل فان القادر
فان القادر اذا عبر باداة الترجي حقق ما يقع ترجيه ليكون بين كلامه
وكلام العاجز فرق وقوله تعالى تعقلون اي القرآن عطف على انا اي مثبت
وانه في ام اي اصل الكتب وهو اللوح المحفوظ وقال قتادة ام الكتاب
اصل الكتاب وام كل شيء اصله قال ابن عباس اول ما خلق الله تعالى
القلم فامره ان يكتب ما يريد ان يخلق فالكتاب مثبت عنده في اللوح
المحفوظ كما قال تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ فان قيل ما الحكمة
في خلق هذا اللوح المحفوظ مع انه تعالى علام الغيوب يستحيل عليه
عليه السهو والنسيان اجيب بانه تعالى لما اثبت في ذلك احكام

حوادث



٣٢٦

حوادث المخلوقات ثم ان الملائكة اذا شاهدوا ان جميع الحوادث انما تحدث
على موافقة ذلك المكتوب استدلوا بذلك على كمال حكمته وعلمه وقيل
المراد بام الكتاب الآيات المحكمة لقوله تعالى هو الذي انزل عليك الكتاب
منه آيات محكمات هن ام الكتاب والمعنى ان سورة حم واقعة في الآيات
المحكمة التي هي الاصل والام وقرا حمزة والكسائي في الوصل بكسر الهمزة
والباقون بضمها واتفقوا في الابتداء بالهمزة على الضم وقوله تعالى
لدينا اي عندنا بدل من الجار قبله لعلي اي رفيع الشان في الكتب
لكونه معجزا من بينها حكيم اي ذو حكمة بالغة او محكم في ابواب البلاغة
والفصاحة افنضرب اي انهملكم فنضرب اي ننحي ونجاوز عنكم
الذكر اي القرآن وفي نصب قوله تعالى صفحا اوجه احدها انه
مصدر في معنى نضرب لانه يقال ضرب عن كذا واضرب عنه بمعنى
اعرض عنه وصرف وجهه عنه قال • طرفة •
• اضرب عنك الهموم طارقها • ضربك بالسيف قونس الفرس •
ونضرب بفتح الباء اصله اضربن بسكون الباء ونون التوكيد الخفيفة
فحذفت النون وحركت الباء بالفتح والطارق ما يطرق بالليل والقونس
منبت شعر الناصية وهو عظم نات بين اذني الفرس ثانيها انه
منصوب على الحال اي صافحين ثالثها ان يكون مفعولا من اجله وقيل
غير ذلك ان اي انفعل ذلك لان كنتم قوما مسرفين اي مشركين
لا نفعل ذلك وهو في الحقيقة علة مقتضية لترك الاعراض وقرا حمزة
والكسائي بكسر الهمزة على ان الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك
استجهالا لهم وما قبلها دليل الجزاء وقرا الباقون بفتحها وذكر تعالى نبينا
للنبي صلى الله عليه وسلم تاسية وتعزية وتسلية قوله سبحانه
وكم ارسلنا اي على ما لنا من العظمة من نبي في الاولين اي في الامم الماضين
ثم حكى حالهم الماضية بقوله تعالى وما اي والحال انه ما يأتيهم واغرق
في النفي بقوله تعالى من نبي اي في امة بعد امة او زمان بعد زمان
الا كانوا اي خلقا وطبعا به يستهزءون كما استهزأ قومك بك فلا
ينبغي ان تتاذى من قومك بتكذيبهم واستهزائهم لان المصيبة اذا
عمت خفت تنبيه كم خبرية مفعول مقدم ومن نبي تمييز وفي الاولين
يتعلق بالارسال او بمحذوف على انه صفة لنبي فاهلكنا اي
فتسبب عن الاستهزاء بالرسل انا اهلكنا اشد منهم اي من قريش
الذين يستهزءون بك بطشا اي قوة وكان الاصل الاضمار ولكنه
اصرف الضمير صارفا اسلوب الخطاب الى الغيبة اقبالا على نبيه
صلى الله عليه وسلم تسلية له والاغانى وعيدهم ومضى اي سبق

في ايات مثل اي صفة الاولين في الاهلاك وفي ذلك وعد لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ووعيد لهم بمثل ما جرى على الاولين واللام في قوله تعالى ولئن لام
قسم سألتهم اي سألت قومك من خلق السموات على علوها وسعتها
والارض على كثرة عجائبها وعظمها وقوله تعالى ليقولن حذف منه نون الرفع
لتوالي النونات والضمير لالتقاء الساكنين خلقهن العزيز الذي هو موصوف
بانه العزيز اي الذي لا يغالب العليم بما كان وما يكون تنبيه هذا الجواب
مطابق للسؤال من حيث المعنى اذ لو جاء على اللفظ لجيء فيه بجملة ابتدائية
كالسؤال فكان الجواب هنا الله كما في غيره من الايات لكنه عدل عنه الى
المطابقة المعنوية مكرر الفعل تاكيدا لاعترافهم زيادة في توبيخهم وتنبيها
على عظم غلطهم ولما تم الاخبار عنهم ابتداء دالا على نفسه بذكر
مصنوعاته فقال تعالى الذي جعل لكم ولو كان ذلك قولهم لقالوا لنا
الارض مهدا اي فراشا قارة ثابتة كالمهد للصبي ولو شاء لجعلها
مزلزلة لا يثبت فيها شيء كما ترون من بعض الجبال فالانتفاع بها انما حصل
لكونها واقفة ساكنة فانها لو كانت متحركة ما امكن الانتفاع بها في
الزراعة والابنية وستر عيوب الاحيا والاموات ولان المهد موضع
راحة الصبي فكانت الارض مهادا لكثرة ما فيها من الراحات وقرا الكوفيون
بفتح الميم وسكون الها والباقون بكسر الميم وفتح الها والف بعدها ،
وجعل لكم فيها سبلا اي طرقا تسلكونها وذلك ان انتفاع الناس
انما يكمل اذا سعوا في اقطار الارض فهيا تعالى تلك السبل ووضع عليها
علامات ليحصل الانتفاع ولو شاء لجعلها بحيث لا يسلك في مكان
منها كما جعل بعض الجبال كذلك ثم ذكر الغاية في ذلك فقال تعالى
لعلكم تهتدون اي لكي تهتدوا الى مقاصدكم في الاسفار وغيرها
فتتوصلون بها الى الاقطار الشاسعة والاقاليم الواسعة او لتهتدوا
الى الحق في الدين ● والذي نزل اي بحسب التدريج ولولا قدرته تعالى
الباهرة لكان دفعة واحدة او قريبا منها من السما اي المحل العالي
ما لزرعكم وثماركم وشرابكم بانفسكم وانعامكم بقدر اي بقدر حاجتكم
اليه من غير زيادة ولا نقصان لا كما انزل على قوم نوح بغير قدر حتى اغرقهم
فانشرنا به اي احيينا به اي الما بلدة اي مكانا يجتمع فيه للاقامة
ينتفعون باحيائه منتفعا ونون على دوام ابقائه ميتا اي قد كان
يبس نباته وعجز اهله عن ايصال ما اليه ليحيى به قال البقاعي
ولعله انث البلدة وذكر الميت اشارة الى ان بلوغها في الخلاء الضعف
والموت بلغ في الغاية بضعف ارضه في سقيها وضعف اهله عن احيائه
كذلك اي مثل هذا الاخراج العظيم الذي شاهدتموه من النبات

ن محركة

تخرجون

٣٢٧

تخرجون من قبوركم احياء والمعنى ان هذا الدليل كما دل على قدرة الله تعالى
وحكمته فكذلك يدل على قدرته وعلى البعث والقيامة ووجه التشبيه
انه جعلهم احياء بعد الاماتة كهذه الارض التي انتشرت بعد ما كانت
ميتة وقيل بل وجه التشبيه انه يعيدهم ويخرجهم من الارض بما
كالمني كما ينبت الارض بما المطر قاله ابن عادل وهذا ضعيف لان
ظاهر لفظ الاشارة الاعادة فقط دون هذه الزيادة ثم شرع تعالى في
اكمال ما تقتضيه الحال من الاوصاف فقال عز من قائل والذي خلق الازواج
اي الاصناف المتشاكلة التي لا يكمل شيء منها غاية الكمال الا بالاخر على ما
دبره سبحانه في نظام هذا الوجود كلها من النبات والحيوان وغير
ذلك من سائر الاكوان لم يشاركه في شيء منها احد وقال ابن عباس الازوا
الضروب والانواع كالحلو والحامض والابيض والاسود والذكر والانثى ج
وقال بعض المحققين كل ما سوى الله تعالى فهو زوج كالفوق والتحت
واليمين واليسار والقدام والخلف والمستقبل والذوات والصفات
والصيف والشتا والربيع والخريف وكونها ازواجا يدل على انها ممكنة
الوجود في ذواتها محدثة مسبوقة بالعدم فاما الحق تعالى فهو الفرد
المنزه عن الضد والند والمقابل والمعاضد فلهذا قال تعالى والذي
خلق الازواج كلها فهو مخلوق فدل هذا على ان خالقها فرد مطلق منزه عن
الزوجية قاله الرازي وايضا علما الحساب يبينون ان الفرد افضل
من الزوج من وجوه الاول ان الاثنين لا توجد الا عند حصول وحدتين
فالزوج محتاج الى الفرد والفرد هو الوحدة وهي غنية عن الزوج والغني
افضل من المحتاج الثاني ان الزوج يقبل القسمة بقسمين متساويين
والفرد لا يقبل القسمة وقبول القسمة انفعال وتاثر وعدم قبولها
قوة وشدة فكان الفرد افضل من الزوج ثم ذكر وجوها اخر تدل على ان
الفرد افضل من الزوج واذا كان كذلك ثبت ان الازواج ممكنات ومخلوقات
وان الفرد هو القائم بذاته المستقل بنفسه الغني عما سواه وجعل
لكم من الفلك اي السفن العظام في البحر والانعام كالابل في البر
ما تركبون وحذف العائد لفهم المعنى تغليبا للمتعدي بنفسه في
الانعام على المتعدي بواسطة في الفلك والعائد مجرور في الاول اي فيه
منصوب في الثاني وذكر الضمير وجمع الظهور في قوله تعالى لتستووا نظرا
للفظ ما ومعناها ولما اتم النعمة بخلق ما تدعو اليه الحاجة وجعله على وجه
دال على ما له من الصفات ذكر ما ينبغي ان يكون من غايتها على ما هو المتعارف
بينهم من شكر المنعم فقال دالا على عظم قدر النعمة وبعد غايتها وعلو
امر الزاجر بحرف التراخي ثم تذكروا اي بقلوبكم بصرف القول الى وجه

على ظهوره

للتربية حتى ان تذكر احسانه للانتهاء عن كفرانه والاقبال على شكرانه فقال تعالى
نعمة ربكم اي الذي احسن اليكم بنعمة تسخيرها لكم وما تعرفونه من غيرها
اذا استويتم عليه اي على ما تركبونه وذلك التذكر هو ان يعرف ان الله تعالى
خلق البحر وخلق الرياح وخلق جرم السفينة على وجه يمكن الانسان من تصريف
هذه السفينة الى اي جانب شاء فاذا تذكر ان خلق البحر وخلق الرياح
وخلق السفينة على هذه الوجوه القابلة لتصرف الانسان ولتحريكاته انما
هو من تدبير الحكيم العليم القدير عرف ان ذلك نعمة من الله تعالى فيحمله ذلك على
الانقياد لطاعة الله تعالى وعلى الاشتغال بالشكر لنعم الله تعالى التي
لا نهاية لها ولما كان تذكر النعمة يبعث الجنان واللسان والاركان على
الشكر لمن اسداها قال عز من قائل وتقولوا اي بالسنتكم
جمعا بين القلب اللسان سبحان الذي اي بعلمه الكامل وقدرته التامة
لنا هذا اي الذي ركبناه سفينة او دابة وما اي والحال انا ما
كنا له مقرنين اي مطيقين والمقرن المطيق للشي الضابط له
من اقرنه اي طاقه قال الواحدي كان اشتقاقه من قولك صرت
له قرنا ومعنى قرن فلان اي مثله في الشدة وقيل ضابطين وقال
ابو عبيدة قرن لفلان اي ضابط له والقرن الحبل ومعنى الاية ليس عندنا
من القوة والطاقة ان نقرن هذه الدابة والفلك وان نطيقها فسبحان
من سخر لنا هذا بقدرته وحكمته روى الزمخشري عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى
على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا وما
كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون وروى احمد وابو داوود والترمذي
وقال حسن صحيح عن علي انه وضع رجله في الركاب وقال بسم الله
فلما استوى على الدابة قال الحمد لله الذي سخر لنا هذا الاية ثم حمد
ثلاثا وكبر ثلاثا ثم قال لا اله الا الله ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب
الا انت ثم ضحك فقيل لم تضحك يا امير المومنين قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فعل ما فعلت فقلنا ما يضحكك يا رسول الله قال ان ربك يعجب من
عبده اذا قال العبد لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب
الا انت ويقول علم عبدي انه لا يغفر الذنوب غيري وروى احمد عن
ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اردفه على دابة فلما
استقر عليها كبر ثلاثا وحمد الله ثلاثا وسبح ثلاثا وهلل الله تعالى
واحدة وضحك ثم اقبل عليه فقال ما من امرئ يركب دابة فيصنع كما صنعت
الا اقبل الله عليه يضحك كما ضحكت اليك ولما كان راكب الفلك في
خطر الهلاك وراكب الدابة كذلك ايضا لان الدابة قد يحصل لها ما يوجب

هلاك

هلاك الراكب وكذا السفينة قد تنكسر فوجب على الراكب ان يذكر امر الموت
ويقول وانا الى ربنا اي المحسن الينا بالاقدار على هذه التنقلات على هذه
المراكب لا الى غيره لمنقلبون اي لصائرون بالموت وما بعده الى الدار
الاخرة انقلابا لا اياب معه الى هذه الدار فالاية منبهة بالسير الدنيوي
على السير الاخروي واكد لاجل انكارهم البعث ولما قال تعالى ولئن سالتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله بين انهم مع اقرارهم بذلك جعلوا
من عباده جزءا كما قال تعالى وجعلوا له من عباده الذين ابدعهم كما ابدع
غيرهم جزءا اي ولدا هو لحصرهم في الانثى احد قسمي الاولاد وكل ولد
فهو جزء من والده قال صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة مني
ومن كان له جزء كان محتاجا فلم يكن الها وذلك بقولهم الملائكة بنات الله
فثبت بذلك طيش عقولهم وسخافة رايهم وقرا شعبة بضم
الزاي والباقون بسكونها وهما لغتان واذا وقف حمزة نقل حركة الهمزة
الى الزاي ولما كان هذا في غاية الغلظ من الكفر قال موكدا لانكارهم
ان يكون كفرا ان الانسان اي هذا النوع الذي هو بعضه لكفور
مبين اي بين الكفر في نفسه ومناد عليها بالكفر وقوله تعالى
ام اتخذ اي اعالج هو نفسه فاخذ هو بعد المعالجة وهو خالق الخلق
كلهم مما يخلق اي يجدد ابداعه في كل وقت بنات استفهام
توبيخ وانكار اي فلم يقدر بعد التكلف والتعب على غير البنات
التي هي ابغض الجزئين اليكم ثم عطف على قوله تعالى اتخذ ليكون
منفيا على ابلغ وجه لكونه في حيز الانكار واصفاكم وهو السيد
الكامل وانتم عبيده اي اخلصكم بالبنين اللازم من قولكم
السابق ثم بين كون البنات ابغض اليهم بقوله تعالى واذا اي
جعلوا ذلك والحال انه اذا بشر اي من اي مبشر كان احدهم اي
احد هولاء البعداء البغضاء بما ضرب اي جعل للرحمن الذي لا نعمة على
شي من الخلق الا وهي منه مثلا اي شبها بنسبة البنات اليه
لان الولد يشبه الوالد والمعنى اذا اخبر احدهم بالبنت تولد
له ظل اي صار وجهه مسودا اي شديد السواد لما يعتريه
من الكابة وهو كظيم اي ممتلي غما فكيف تنسب البنات اليه تعالى
هذا ما لا يرضى عاقل اي يمر بفكره فضلا عن ان يتفوه به وقوله
تعالى اومن ينشو اي على ما جرت به عوائدكم في الحلية يجوز
في من وجهان احدهما ان تكون في محل نصب مفعولا بفعل مقدر
اي او يجعلون من ينشا في الحلية والثاني انه مبتدا وخبره
محذوف تقديره او من ينشا جزاء او ولدا وجعلوه لله جزءا

والمعنى ان الذي يتزين في الحلية يكون ناقصة الذات لانه لولا
نقصانها في ذاتها لما احتاجت الى تزيين نفسها بالحلية وقرا حمزة
والكسائي وحفص بضم اليا وتشديد الشين اي يربي والباقون وفتح النون
بفتح اليا وسكون النون وتخفيف الشين واذا وقف حمزة وهشام
ابدلا الهمزة الفا ولهما ايضا تسهيلها والروم والاشمام ثم بين نقصان
حالها بطريق اخر بقوله تعالى وهو في الخصام اي المجادلة اذا احتيج
اليها فيها غير مبين اي مظهر الحجة لضعفه عنها بالانوثة
قال قتادة في هذه الاية قل ما تتكلم امراة فتريد ان تتكلم
بحجتها الا تكلم بالحجة عليها ثم بين تعالى جرأتهم على ما لا ينبغي لعاقل ان
يتفوه به بقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم متصفون باشرف
الاوصاف وهوانهم عباد الرحمن اي العام النعمة الذين ما عصوه
طرفة عين اناثا وذلك انزال في الاوصاف خلقا وخلقا ذانا
وصفة فهذا كفر ثالث كالكفر من قبله وقرا نافع وابن كثير
وابن عامر بكسر العين وبعدها نون ساكنة ونصب الدال
والباقون بعد العين باء موحدة مفتوحة وبعدها الف ورفع الدال
ثم قال تعالى تهكما لهؤلاء القائلين ذلك وتوبيخا لهم وانكارا
عليهم اشهدوا اي احضروا خلقهم اي خلقي اياهم فشاهدوهم
اناثا فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وقرا حمزة بهمزتين الاولى
مفتوحة والثانية مضمومة مسهلة كالواو وسكون الشين وادخل
قالون بينهما الفا ولم يدخل ورش والباقون بهمزة واحدة مفتوحة
وفتح الشين ستكتب بكتابة من وكلناهم بهم من الحفظة الذين
لا يعصوننا نحن نقدرهم على جميع ما نامرهم به شهادتهم اي قولهم
فيهم انهم اناث الذي لا ينبغي ان يكون الا بعد تمام المشاهدة
فهو قول ركيك سخيف ضعيف بما اشار اليه التانيث
ويسألون عنها عند الرجوع الينا قال الكلبي ومقاتل
لما قالوا هذا القول سألهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما يدريكم
انهم اناث فقالوا سمعنا من ابائنا ونحن نشهد انهم لم يكذبوا
فقال تعالى ستكتب شهادتهم ويسألون عنها في الاخرة هذا
يدل على ان القول بغير دليل منكر وان التقليد حرام يوجب الذم
العظيم قال المحققون هؤلاء الكفار كفروا في هذا القول
من ثلاثة اوجه اولها اثبات الولد ثانيها ان ذلك الولد بنت
ثالثها الحكم على الملائكة بالانوثة تنبيه قال البقاعي يجوز ان
يكون في السين استعطاف الى التوبة قبل كتابة ما قالوا ولا علم لهم به

فانه قد روى ابو امامة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كاتب
الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل
وكاتب الحسنات امين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة
كتبها صاحب اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين
لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح الله او يستغفر
ثم نبه سبحانه على انهم عبدوهم وهم مع ادعائهم الانوثة فيهم فقال تعالى
معجبا منهم في ذلك وفي جعل قولهم حجة دالة على صحة مذهبهم ولو
من اوهى الشبه وقالوا اي بعد عبادتهم لهم ونهيهم عن عبادة
غير الله تعالى لو شاء الرحمن اي الذي له عموم الرحمة ما عبدناهم
اي الملائكة فعبادتنا اياهم بمشيئته فهو راض بها ولولا انه راض
بها لعجل لنا العقوبة فاستدلوا بنفي مشيئته عدم العبادة
على الرضا بها وذلك باطل لان المشيئة ترجيح بعض الممكنات
على بعض مامورا كان او منهيا حسنا كان او غيره ولذلك
جهلهم فقال تعالى ما لهم بذلك اي المقول من الرضا بعبادتها
من علم ان اي ما هم الا يخرصون اي يكذبون في هذه النتيجة
التي زعموا انها التي دلتهم على رضا الله تعالى بكفرهم فيترتب
عليهم العقاب ولما بين تعالى بطلان قولهم بالعقل اتبعه ببطلان
قولهم بالنقل فقال تعالى ام اتيناهم اي على ما لنا من العظمة
كتابا اي جامعا لما يريدون اعتقاده من اقوالهم هذه
من قبله اي القران اخبرناهم فيه انا جعلنا الملائكة اناثا
وانا لا نرضى الا ما هو حق نرضاه ونامر به فهم اي فتسبب
عن هذا الاتيان انهم به وحده مستمسكون اي موجودون
للامساك به فياخذون بما فيه لم يقع ذلك ولما بين تعالى انه لا دليل
لهم على صحة قولهم البتة لا من العقل ولا من النقل بين انه لا
حامل لهم يحملهم عليه الا التقليد بقوله تعالى بل قالوا انا وجدنا
اباءنا اي وهم ارجح منا عقولا واصح منها افهاما على امة اي
طريقة عظيمة يحق لها ان تقصد وتؤم كما اكدوا وقطعوا لرجاء
المخالف عن لفتهم عن ذلك فقالوا وانا على اثارهم اي خاصة
لا على غيرها مهتدون اي متبعون فلم نات بشيء من عند انفسنا
ولا غلطنا في الاتباع واقتفاء الاثار فلا اعتراض علينا بوجه
هذا قولهم في الدين بل في اصوله التي من ضل في شيء منها هلك
ولو ظهر لاحد منهم خلل في سعي ابيه الدنيوي الذي به يحصل
الدينار والدرهم ما اقتدى به اصلا وخالفه اي مخالفة ما هذا

الا قصور نظر ومحض عناد ثم اخبر تعالى ان غيرهم قال هذه المقالة بقوله
سبحانه وكذلك اي ومثل هذه المقالة المتناهية في البشاعة
قالت الامم الماضية مع اخوانك الانبيا عليهم السلام ثم فسر
ذلك بقوله تعالى ما ارسلنا اي مع ما لنا من العظمة من قبلك
اي في الازمنة السالفة في قرية واغرق في النفي بقوله تعالى
من نذير وبين بهذا ان موضع الكراهة والخلاف الانذار على
مخالفة الاهوا الا قال مترفوها اي اهل الترفه بالضم وهي النعمة
والطعام الطيب والشي الطريف بكونه خاصا بالمترف وذلك
موجب لقلة الهم وللراحة والبطالة انا وجدنا اباءنا وهم اعرف
منا بالامور على امة اي امر جامع يستحق ان يقصد ويؤم
ثم اكدوا كما اكد هولاء فقالوا وانا على اثارهم اي لا على
غيرها مقتدون اي راكبون سنن طريقهم لازمون لها ففي هذا
تسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم قل اي يا افضل
الخلق لهولاء البعدا البغضا اولو اي اتتبعون ذلك ولو جئتكم
باهدى اي امر اعظم في الهداية واوضح في الدلالة مما وجدتم
اي ايها المقتدون بالاباء عليه اباءكم كما تضمن قولكم انكم
تقتفون في اتباعهم بالاثار في اعظم الاشيا وهو الدين الذي
الخسارة فيه خسارة للنفس وانتم تخالفونهم في امر النفس
الدنيا اذا وجدتم طريقا اهدى في التصرف فيها من طريقهم
ولو كان يسيرا ويفتخر احدكم بانه ادرك من ذلك ما لم يدركه
ابوه فحصل من المال اكثر مما حصل فيا له من نظر ما اقصره
ومتجر ما اخسره وقرا ابن عامر وحفص قال بصيغة الماضي
اي قال المنذر او الرسول وهو النبي صلى الله عليه وسلم
والباقون قل بصيغة الامر للنبي صلى الله عليه وسلم ثم اجابوه
بان قالوا موكدين رد الما قطع به كل عاقل سمع هذا الكلام
من انهم يبادرون النظر في الدليل والرجوع الى سوا السبيل
انا بما ارسلتم به اي انت ومن قبلك كافرون اي ساترون لما ظهر
من ذلك جهدنا حتى لا يظهر لاحد ولا يتبعكم فيه مخلوق وان
كان اهدى مما كان عليه اباونا فعند هذا لم يبق لهم عذر فلهذا
قال تعالى فانتقمنا اي بما لنا من العظمة التي استحقوا بها
منهم فاهلكناهم بعذاب الاستيصال ثم عظم امر النقمة
بالامر بالنظر فيها في قوله فانظر يا افضل الرسل كيف كان
عاقبة اي اخر امر المكذبين لرسلنا فانهم هلكوا اجمعون

ونجا المومنون اجمعون فليحذر من رد رسالتك من مثل ذلك وهذا تهديد
عظيم لكفار قريش ثم بين تعالى وجها اخر يدل على فساد التقليد بقوله
تعالى واذ اي واذكر يا افضل الخلق اذ قال ابراهيم اي الذي هو اعظم
ابائهم ومحط فخرهم والمجمع على محبته وحقية دينه منهم ومن اهل
الكتاب وغيرهم لابيه من غير ان يقلده كما قلدتم انتم اباءكم وقومه
الذين كانوا هم القوم في الحقيقة لاحتوائهم على ملك جميع الارض
انني براء اي بري مما تعبدون اي في الحال والاستقبال
الا الذي فطرني اي خلقني فانه سيهدين اي يرشدني
لدينه ويوفقني لطاعته تنبيه في هذا الاستثنا اوجه احدها
انه استثنا منقطع لانهم كانوا عبدة اصنام فقط ثانيها انه
متصل لانه روي انهم كانوا يشركون مع الباري غيره ثالثها ان تكون
الا صفة بمعنى غير على ان تكون ما نكرة موصوفة قاله الزمخشري
قال ابو حيان وانما اخرجها في هذا الوجه عن كونها موصولة لانه
يرى ان الا بمعنى غير لا يوصف بها الا النكرة وفيها خلاف وعلى
هذا يجوز ان تكون موصولة والا بمعنى غير صفة لها وجعلها اي
ابراهيم كلمة اي كلمة التوحيد المفهومة من قوله انني الى سيهدين
باقية في عقبه اي ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله تعالى لانه
عليه السلام مجاب لدعوة وقال ومن ذريتي ربنا وابعث فيهم
رسولا منهم يتلوا عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم
لعلهم اي اهل مكة يرجعون عما هم عليه الى دين ابيهم فانهم
اذا ذكروا ان اباهم الاعظم الذي بنا لهم البيت واورثهم الفخر قال
ذلك تابعوه قال الله تعالى بل متعت هولاء اي الذين يحضرونك
من المشركين واعدا الدين واباءهم اي مددت لهم في الاعمار
مع اسباغ النعم وسلامة الابدان من البلايا والنقم ولم اعاجلهم
بالعقوبة فابطرتهم نعمتي وتمادي بهم ركوب ذلك الباطل
حتى جاءهم الحق اي القران ورسول مبين اي مظهر لهم الاحكام
الشرعية وهو محمد صلى الله عليه وسلم ولما جاءهم الحق اي الكامل
في حقيته بمطابقة الواقع اياه من غير لبس ولا اشتباه وهو
القران العظيم قالوا مكابرة وعنادا او حسدا من غير وقفة
ولا تامل هذا مشيرين الى الحق الذي يطابق الواقع فلا شي
اثبت منه وهو القران الكريم سحر اي خيال لا حقيقة له
وانا به كافرون اي عريقون في ستره بخصوصه حتى لا يعرفه
احد ولا يكون له تابع ثم ذكر تعالى نوعا اخر من كفرهم بقوله تعالى

وقالوا لولا أي هلا نزل أي من المنزل الذي ذكره محمد صلى الله عليه وسلم وعنوا مرادهم ونفوا اللبس فقالوا هذا القرآن أي الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وادعى انه جامع لكل خير على رجل من القريتين أي مكة والطايف عظيم لانهم قالوا منصب الرسالة منصب شريف فلا يليق الا برجل شريف وصدقوا في ذلك الا انهم ضموا اليه مقدمة فاسدة وهي ان الرجل الشريف عندهم هو الذي يكون كثير المال والجاه ومحمد صلى الله عليه وسلم ليس كذلك فلا تليق رسالة الله تعالى به وانما يليق هذا المنصب برجل عظيم الجاه كثير المال يعنون الوليد بن المغيرة بمكة[2] ومن الطايف حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي تنبيه قوله تعالى من القريتين فيه حذف مضاف فقدره بعضهم من رجلي القريتين فتسب الى كليهما ثم رد الله تعالى عليهم بقولهم اعتراضهم منكرا له عليهم موبخا لهم بما معناه انه ليس الامر مردودا ولا موقوفا عليهم بل الى الله تعالى وحده والله اعلم حيث يجعل رسالته بقوله تعالى أهم أي هولاء الجهلة العجزة يقسمون أي على التجدد والاستمرار رحمة ربك أي اكرام المحسن اليك وانعامه وتشريفه بانواع اللطف والبر واعظامه بما رباك له من تخصيصك بالارسال اليهم لانقاذهم من الضلال وجعلك وانت افضل العالمين الرسول اليهم فيفضلوا بفضيلتك مع انك اشرفهم نسبا وافضلهم حسبا واشرفهم عقلا واصفاهم لبا وارحمهم قلبا ليتصرفوا في تلك الرحمة التي هي روح الوجود وسر الامر بحسب شهواتهم وهم لا يقدرون على التصرف في المتاع الزايل بمثل ذلك كما قال تعالى نحن قسمنا بما لنا من العظمة بينهم أي في الامر الذي يعمهم ويجب تخصيص كل منهم بما لديه معيشتهم التي يعيد وتها رحمة ويقصرون عليها النعمة في الحياة الدنيا التي هي ادنى الاشياء عندنا واشارنا بتسميتها الى انها حياة ناقصة لا يرضاها عاقل واما الاخرة فعبر عنها بالحيوان لانا لو فسمها اليهم لتغانوا على ذلك فلم يبق منهم احد فكيف يدخل في الوهم ان نجعل اليهم شيا من الكلام في امر النبوة التي هي روح الوجود وبها سعادة الدارين ورفعنا بما لنا من نفوذ الامر بعضهم وان كان ضعيف البدن قليل العقل فوق بعض وان كان قويا عزيز العقل درجات في الجاه والمال ونفوذ الامر وعظم القدر لينتظم حال الوجود فانه لا بد في انتظامه من تشارك الموجودين وتعاونهم فقفا وتنا بينهم في الجثث والقوي والهمم ليتقسموا الصنايع والمعارف ويكون كل ميسرا لما خلق وجاعلا لما هي لتعاطيه فلم يقدر احد منا في او غنى

ان يعدو

[2] وعروة بن مسعود بالطايف قاله قتادة وقال مجاهد عتبة ابن ربيعة من مكة وعبد يا ليل الثقفي من الطايف وقال ابن عباس هو الوليد بن المغيرة من مكة م

ان يعدو قدره ويرتقي فوق منزلته ثم علل ذلك بما يثمره عمارة الارض بقوله تعالى ليتخذ أي بغاية جهده بعضهم بعضا سخريا أي ليستخدم بعضهم بعضا فيسخر الاغنيا باموالهم الاجرا الفقرا بالعمل بعضهم بعضا بسبب المعاش هذا بماله وهذا باعماله فيلتيم قوام العالم لان المقادير لو تساوت لتعطلت المعايش فلم يقدر احد منهم ان ينفك عما جعلناه اليه من هذا الامر الذي فكيف يطمعون في الاعتراض في امر النبوة اسموا عاقل ان يتولى قسم النافع فقص ونكل العالي الى غيرنا قال ابن الجوزي فاذا كانت الارزاق بقدر الله تعالى لا بحول المحتال وهي دون النبوة فكيف تكون النبوة انتهى وهذا هو المراد بقوله تعالى صارفا القول من مظهر العظمة الى الوصف بالاحسان لاظهار الشرف النبي صلى الله عليه وسلم ورحمة ربك أي المربي لك والمدبر لامرك بارسالك وانارة الوجود برسالتك التي هي لعظمها جديرة بان تضاف اليه ولا يسمى غيرها رحمة خير مما يجمعون من حطام الدنيا الفاني فانه وان تاتي فيه خير في استعماله في وجوه البر بشرطه فهو بالنسبة الى النبوة وما قاربها مما قاربها مهانة الاعراض عن الدنيا متلاش وقيل المراد بالرحمة الجنة وجرى عليه البغوي وتبعه الجلال المحلي وابن عادل وجرى على الاول البيضاوي وتبعه البقاعي وهو الظاهر من الاية الكريمة فايدة اتفق القرا هنا على قراءة سخريا بضم السين ثم بين تعالى حقارة الدنيا وخستها التي يتحزبون بها بقوله تعالى ولولا ان يكون الناس أي اهل التمتع بالاموال لما فيهم من الاضطرار والانس بانفسهم امة واحدة أي في الضلال بالكفر لاعتقادهم ان اعطانا المال دليل على محبتنا لمن اعطيناه لحبهم الدنيا وجعلها محط انظارهم وهمهم الا من عصمهم الله تعالى لجعلنا أي في كل زمان وكل مكان بما لنا من العظمة التي لا يقدر احد على معارضتها لحقارة الدنيا عندنا وبغضنا اليها لمن يكفر بالرحمن وقوله تعالى أي العام الرحمة دليل على حقارة الدنيا من جهة اعطايها الابعد الممقوت وعلى ان صفة الرحمة مقتضية لتناهي بسط النعم على الكافر لولا العلة التي ذكرها الله تعالى من الرفق بالمومنين وقوله تعالى لبيوتهم بدل من لمن بدل اشتمال باعادة العامل واللامان للاختصاص سقفا من فضة قال البقاعي كانه خصها أي الفضة لافادتها النور وقراه ابو عمرو وورش وحفص بضم البا الموحدة والباقون بكسرها وقرا ابن كثير وابو عمرو سقفا بفتح السين وسكون القاف على ارادة الجنس والباقون بضمهما جميعا وقوله تعالى ومعارج جمع معرج وهو السلم أي من فضة ايضا وسميت للمصاعد من الدرج معارج لان المشي عليها

ليرتن

عجي

ب

مثل مشي الاعرج عليها خاصة لتيسر امرها لهم يظهرون اي يعلون ويرتقون
على ظهورها الى المعالي ولبيوتهم ابوابا من فضة ايضا وقوله تعالى وسررا اي من فضة
جمع سرير ودل على هذا وبالهم وصفا او فاتهم واحوالهم بقوله تعالى عليها يتكئون وكل
ما هو اعظم من الفضة بقوله تعالى وزخرفا اي ذهبا وزينة عامة كاملة تنبيه
زخرفا يجوز ان يكون منصوبا بجعل اي وجعلنا لهم زخرفا وجوز الزمخشري ان ينتصب
عطفا على محل من فضة كانه قيل سقفا من فضة وذهب فلما حذف الخافض انتصب
اي بعضها كذا وبعضها كذا وقيل الزخرف هو الذهب لقوله تعالى او يكون لك
بيت من زخرف فيكون المعنى ويجعل مع ذلك ذهبا كثيرا وقيل الزخرف الزينة
لقوله تعالى حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت فيكون المعنى نعطيهم زينة
عظيمة في كل باب وان كل ذلك اي الامر البعيد من الخير لكونه في الاول مبعدا لما
يرضينا لما متاع الحياة الدنيا اي التي اسمها دال على دناءتها يتمتع به فيها ثم يزول
وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بتشديد الميم بعد فتح اللام بمعنى الا وتكون ان
نافية اي وما كل ذلك الا متاع الحياة الدنيا وقرا الباقون بالتخفيف فتكون ان هي
المخففة من الثقيلة اي وان كل ذلك لمتاع الحياة الدنيا والاخرة
اي الجنة التي لا دار تعدلها بل لا دار في الحقيقة الا هي عند ربك اي
المحسن اليك بان جعلك يا افضل الخلق للمتقين اي الذين هم دائما واقفون
عن ادنى تصرف الا بدليل لا يشاركهم فيها غيرهم من الكفار وهذا لما ذكر عمر
كسرى وقيصر وما كانا فيه من النعم قال النبي صلى الله عليه وسلم
الا ترضى ان تكون لهم الدنيا ولنا الاخرة وقال صلى الله عليه وسلم لو كانت
الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها قطرة ماء وروى المستورد
ابن شداد قال كنت في الركب الذين وقفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
على السخلة الميتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اترى هذه هانت
على اهلها حتى القوها قالوا من هوانها القوها قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم فالدنيا اهون على الله من هذه على اهلها اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن
المومن وجنة الكافر وعن قتادة بن النعمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اذا احب الله عبدا حماه من الدنيا كما يظل احدكم يحمي سقيمه الماء قال البقاعي
ولا يبعد ان يكون ما صار اليه الفسقة من الجبابرة من زخرفة الابنية
وتذهيب السقوف وغيرها من مبادي الفتنة بان يكون الناس امة واحدة
في الكفر قرب الساعة حتى لا تقوم الساعة على من يقول الله او فزمن الدجال
لان من يبقى اذ ذاك على الحق في غاية القلة بحيث انه لا عداد لهم في كلام
جانب الكفرة لان كلام الملوك لا يخلو عن حقيقة وان خرج مخرج الشرط
فكيف بملك الملوك فان قيل لما بين تعالى انه لو فتح على الكافر ابواب النعم لصار

ذلك

ذلك سببا لاجتماع الناس على الكفر فلم لم يفعل ذلك بالمسلمين حتى يصير سببا لاجتماع
الناس على الاسلام اجيب بان الناس على هذا التقدير كانوا يجتمعون على الاسلام
لطلب الدنيا وهذا الايمان ايمان المنافقين فاقتضت الحكمة ان لا يجعل ذلك
للمسلمين حتى ان كل من دخل في الاسلام يدخل لمتابعة الدليل ولطلب رضوان
الله تعالى ومن يعش اي يعرض عن ذكر الرحمن الذي عمت رحمته فلا رحمة
على احد الا وهي منه كما فعل هؤلاء حين متعناهم واباءهم حيث ابطرهم ذلك ولم
شيء ليس بجد انما اعرضوا عن الآيات والدلائل فلم ينظروا فيها الا نظرا ضعيفا
كنظر من عشا بصره وهو من ساء بصره بالليل والنهار نقيض اي نسبب
له عقابا على اعراضه عن ذكر الله شيطانا اي شخصا ناريا بعيدا من
الرحمة يكون غالبا عليه مثل قيض البيضة وهو القشر الداخل فهو له قرين
شديد ودية لا يفارقه فلا يمكنه التخلص منه ما دام متعاميا عن ذكر الله تعالى
فهو يزين له العمى ويخيل اليه انه على عين الهدى كما ان من يتبصر بذكر الرحمن
يسخر له ملك فهو له ولي يبشره بكل خير فذكر الله حصن حصين من
الشيطان الرجيم متى خرج العبد منه اسره العدو كما ورد في الحديث
وانهم اي القرناء ليصدونهم اي العاشين عن السبيل اي الطريق الذي
من حاد عنه هلك لانه لا طريق في الحقيقة سواه ويحسبون اي العاشون
مع سيرهم في المهالك لتزيين القرناء باحضار الحظوظ والشهوات وابعاد
المواعظ انهم مهتدون اي عريقون في هذا الوصف لما يستدرجون به من
التوسعة عليهم والتضييق على الذاكرين تنبيه ذكر الانسان والشيطان
بلفظ الجمع لان قوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين
يفيد الجمع وان كان اللفظ على الواحد قال ابو حيان ان ضميري النصب
في وانهم ليصدونهم عائدان على من من حيث معناها واما لفظها اولا فافرد في له وله
ثم راعى معناها الجمع في قوله تعالى وانهم ليصدونهم والضمير المرفوع على الشيطان
لان المراد به الجنس ولان كل كافر معه قرين وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين
والباقون بكسرها وقرا حتى اذا جاءنا نافع وابن كثير وابن عامر وابو بكر بمد
الهمزة بعد الجيم على التثنية اي جاء العاشي قال اي العاشي ندما وتحسرا
لا انتفاع له به لفوات محله وهو دار العمل يا ليت بيني وبينك ايها القرين
بعد المشرقين اي ما بين المشرق والمغرب على التغليب قاله ابن جرير
وغيره او مشرق الشتاء والصيف اي بعد احدهما عن الاخر ثم سبب عن
هذا التمني قوله له جامعا انواع المذام فبئس القرين والمخصوص بالذم
محذوف اي انت لانك الذي اضللتني واوصلتني الى هذا العيش الضنك
والمحل الدحض قال ابو سعيد الخدري اذا بعث الكافر زوج بقرينه من
الشياطين فلا يفارقه حتى يصير الى النار وفاعل قوله تعالى ولن ينفعكم

قولان احدهما انه ملفوظ به وهو انكم وما في حيزها التقدير ولن ينفعكم اشتراككم
في العذاب بالتاسي كما ينفعكم الاشتراك في مصايب الدنيا فيتاسي المصاب
بمثله ومنه قول الخنسا

ولولا كثرة الباكين حولي * على موتاهم لقتلت نفسي
وما يبكون مثل اخي ولكن * اعزي النفس عنه بالتاسي

والثاني انه مضمر تقديره بعضهم ضمير التمني المدلول عليه بقوله يا ليت
بيني اي لن ينفعكم اليوم تمنيكم البعد وبعضهم لن ينفعكم اجتماعكم وبعضهم
ظلمكم وجحدكم وعبارة من عبر ان الفاعل محذوف مقصوده الاضمار المذكور
لا الحذف اذ الفاعل لا يحذف الا في مواضع ليس هذا منها والمعنى لن ينفعكم
اليوم في الاخرة اذ ظلمتم اي اشركتم في الدنيا انكم في العذاب مشتركون اي
لا ينفعكم الاشتراك في العذاب ولا يخفف الاشتراك عنكم لان لكل واحد
من الكفار والشياطين الحظ الاوفر من العذاب وقال مقاتل
لن ينفعكم الاعتذار والندم اليوم فانتم وقرناوكم اليوم مشتركون في
العذاب كما كنتم تشتركون في الدنيا تنبيه استشكل المعربون
هذه الاية ووجهه ان قوله تعالى اليوم ظرف حالي واذ ظرف ماضي وينفعكم
مستقبل لاقترانه بلن التي لنفي المستقبل والظاهر انه عامل في الظرفين
وكيف يعمل الحدث المستقبل الذي لم يقع بعد في ماض اوظرف هذا مما
لا يجوز اجيب عن اعماله في الظرف الحالي على سبيل قربه منه لان
الحال قريب من الاستقبال فيجوز قال تعالى فمن يستمع الان وقال الشاعر
ساسعي الان اذ بلغت اباها * وهو اقناعي والا فالمستقبل يستحيل
وقوعه في الحال عقلا واما قوله تعالى اذ ففيها للناس وجه كثيرة
قال ابن جني راجعت ابا علي فيها مرارا فاخر ما حصلت منه اذ الدنيا
والاخرة متصلتان وهما سوا في حكم الله تعالى وعلمه فاذ بدل من اليوم
حتى كانه مستقبل اوكان اليوم ماض والى هذا نحا الزمخشري على معنى اذ
تبين وصح ظلمكم ولم يبق لاحد ولا لكم شبهة في انكم كنتم ظالمين
ونظيره اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة * اي تبين اني ولد كريمة
ولما وصفهم في الاية المتقدمة بالعشي وصفهم بالصمم والعمى بقوله تعالى
افانت اي وحدك من غير ارادة الله تعالى تسمع الصم وقد اصممناهم
بما صببنا في مسامع الهامهم من رصاص الشقا او تهدي العمي الذين
اعميناهم بما اغشينا به ابصار بصايرهم من اغشية الخسارة روي
انه صلى الله عليه وسلم كان يجتهد في دعا قومه وهم لا يزيدون الا غيا
على الكفر وعنادا في الغي فنزلت اي هم في النفرة عنك وعن دينك بحيث
اذا اسمعتهم القران كانوا كالصم واذا اريتهم المعجزات كانوا كالعمي

اتوكد

وقوله تعالى ومن كان اي جبلة وطبعا في ضلال مبين عطف على العمي باعتبار
تغاير الوصفين وفيه اشعار بان الموجب لذلك تمكنهم في ضلال
لا يخفى بين في نفسه انه ضلال وانه محيط بالضال مظهر لكل احد
ذلك فهو بحيث لا يخفى على احد فالمعنى ليس شي من ذلك اليك بل هو
الى الله تعالى القادر على كل شي واما انت فليس عليك الا
البلاغ فلا تتعب نفسك فاما نذهبن بك اي من بين اظهرهم
بموت او غيره وما مزيدة موكدة بمنزلة لام القسم في استجلاب
النون الموكدة فانا منهم اي الذين تقدم التعريض بانهم صم عمي
ضلال لانهم لم تنفعهم مشاعرهم منتقمون اي بعد فراقك
لان وجودك بين اظهرهم هو سبب تاخير العذاب عنهم او
نرينك وانت بينهم الذي وعدناهم اي من العذاب وعبر فيه
بالوعد ليدل على الخير بلفظه وعلى الشر باسلوبه فانا
اي بما لنا من العظمة التي انت اعلم الخلق بها عليهم اي على
عقابهم مقتدرون اي على كلا التقديرين واكد بان لان افعالهم
افعال من ينكر قدرته وكذا بالاتيان بنون العظمة وصيغة
الافتعال فاستمسك اي اطلب واوجد بجد عظيم على كل حال
الامساك بالذي اوحي اليك من حين نبوتك والى الان في الانتقام
منهم وفي غيره انك على صراط اي طريق واسع واضح جدا مستقيم
اي موصل الى المقصود ولا يصح اصلا ان يلحقه شي من عوج
وانه اي الذي اوحي اليك في الدين والدنيا لذكر اي لشرف
عظيم جدا وموعظة وبيان لك ولقومك قريش خصوصا لنزوله
بلغتهم والعرب عموما وسائر من اتبعك ولو كان من غيرهم روي
الضحاك عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
اذا سئل لمن هذا الامر بعدك لم يخبر بشي حتى نزلت هذه الاية
فكان بعد ذلك اذا سئل لمن هذا الامر بعدك قال لقريش وروي
ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال هذا الامر
في قريش ما بقي منهم اثنان وروى معاوية قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا الامر في قريش لا يعاديهم
احد الا كبه الله على وجهه ما اقاموا الدين وقال مجاهد القوم
هم العرب فالقران لهم شرف اذ نزل بلغتهم ثم يختص بذلك
الشرف الاخص فالاخص من العرب حتى يكون الاكثر لقريش ولبني
هاشم وقيل ذكر لك بما اعطاك من الحكمة ولقومك من المومنين
بما هداهم الله به وسوف تسالون اي عن القران يوم القيامة

بيان بلغتهم

وعن ايامكم بحقه وكيف كنتم في العمل به والاستجابة له وقال الكلبي نسالون
هل دينكم شكرا انعامنا عليكم بهذا الذكر الجميل وقال مقاتل يقال
لمن كذب به لم كذبت فيسال سوال توبيخ وقيل يسال هل علمتم
بما دل عليه القرآن من التكاليف وروي عطا عن ابن عباس قال لما
اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم الي المسجد الاقصى الي السموات
العلى بعث له ادم وولده من المرسلين عليهم السلام فاذن
جبريل عليه السلام ثم اقام وقال يا محمد تقدم فصلى بهم فلما
فرغ من الصلاة قال له جبريل واسئل من ارسلنا اي على ما لنا من
العظمة من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن اي غيره الهة
يعبدون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اسئل قد
اكتفيت ولست شاكا فيه وهذا قول الزهري وسعيد بن جبير
وابو زيد قالوا جمع له الرسل ليلة اسري به وامر ان يسالهم فلم يسال
ولم يشك وقال اكثر المفسرين سل مومني اهل الكتاب
الذين ارسلت اليهم الانبيا هل جاءتهم الرسل الا بالتوحيد
وهو قول مجاهد والسدي وقتادة ولم يسئل النبي صلى الله
عليه وسلم على واحد من القولين لان المراد من الامر بالسوال التقرير
لمشركي قريش انه لم يات رسول من الله تعالى ولا كتاب بعبادة
غير الله تعالى ولما طعن كفار قريش في نبوة محمد صلى الله عليه
وسلم بكونه فقيرا عديم الجاه والمال بين الله تعالى ان موسى عليه
السلام بعد ان اورد المعجزات القاهرة التي لا يشك في صحتها
عاقل اورد عليه فرعون هذه الشبهة التي ذكرها كفار قريش
فقال تعالى ولقد ارسلنا اي بما ظهر من عظمتنا موسى اي الذي
كان يري فرعون انه احق الناس بعظمته لانه رباه وكفله باياتنا
التي قهر بها عظما الخلق وجبابرتهم فدل ذلك على صحة دعواه الى
فرعون الذي ادعى انه الرب الاعلى وملايه اي القبط فقال
اي بسبب ارسالنا اني رسول رب العالمين اي مالكهم ومدبرهم ومربيهم
فقالوا له ايت باية فاتى بها فلما جاءهم باياتنا اي باية اليد والعصا
اللتين شهدوا فيهما عظمتنا ودلهم ذلك على قدرتنا على جميع
الايات اذا هم اي باجمعهم منها يضحكون اي فاجوا المجي
اليها من غير توقف ولا تامل بالضحك سخرية واستهزاء قيل انه
لما القى عصاه وصارت ثعبانا فلما اخذه صار عصا كما كان ضحكوا
ولما اعرض عليهم اليد البيضاء ثم عادت كما كانت ضحكوا وما اي
والحال انا ما نريهم اي على ما لنا من الجلال والعلو واغرق في البغ

باثبات الجار فقال تعالى من اية اي من ايات العذاب كالطوفان وهو ما دخل
بيوتهم ووصل الى حلوق الجالسين سبعة ايام والجراد الا هي اكبر اي في
الرتبة من اختها اي التي تقدمت عليها بالنسبة الى علم الناظر
لها واخذناهم اي اخذ قهر وغلبة بالعذاب اي انواع العذاب كالدم
والقمل والضفادع والبرد الكبار الذي لم يعهد مثله ملتهبا
بالنار وموت الابكار فكانت ايات على صدق موسى عليه السلام بما لها
من الاعجاز وعذابا لهم في الدنيا موصولا بعذاب الاخرة فيا لها من
قدرة باهرة وحكمة ظاهرة لعلهم يرجعون اي ليكون حالهم عند ناظرهم
الجاهل بالعواقب حال من يرجي رجوعه ولما عاينوا العذاب قالوا
لموسى اي فرعون بالمباشرة واتباعه بالموافقة له يا ايه الساحر
فنادوه بذلك في تلك الحالة لشكيمتهم وفرط حماقتهم او لانهم
كانوا يسمون العالم الماهر ساحرا ادع لنا ربك اي المحسن اليك
بما يفعل معك من هذه الافعال التي نهيتنا بها اكراما لك بما
اي بسبب ما عهد عندك اي من كشف العذاب عنا ان آمنا اننا
لمهتدون اي مومنون فلما كشفنا اي على ما لنا من العظمة التي
ترهب الجبال عنهم العذاب اي الذي انزلناه بهم اذا هم ينكثون
اي فاجاوا الكشف بتجديد النكث بالخلاف بعد الخلاف ونادى
فرعون اي زيادة على نكثه في قومه اي الذين هم في غاية
القيام معه وامر كلا منهم ان يشيع قوله اشاعة تعم البعيد كما
تشمل القريب فتكون كانها مناداة اعلاما بانه مستمر على الكفر
لئلا يظن بعضهم انه رجع فيرجعوا ولما كان كانه قيل ثم نادى
اجاب بقوله قال اي خوفا من ايمان القبط لما راى من ان ما شاهدوا
من باهر الايات مثله يزلزل وياخذ القلوب يا قوم مستعطفا
لهم باعلامهم انه لحمة واحدة ومستنهضا بوصفهم بانهم ذوو قوة على
ما يحاولونه مقررا لهم على غدرهم في نكثه بقوله اليس لي اي
وحدي ملك مصر اي كله فلا اعتراض على من بني اسرائيل ولا غيرهم
وهذه اي والحال ان هذه الانهار اي انهار النيل قال
البيضاوي ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط
ونهر تنيس وقال البقاعي كانه كان قد اكثر من تشقيق الخلجان
الى بساتينه وقصوره ونحو ذلك من اموره فقال تجري من تحتي
اي تحت قصري او امري او بين يدي في جناني وزاد في التقرير بقوله
افلا تبصرون اي هذا الذي ذكرته لكم فتعلموا بصائر اموركم قلوبكم
انه لا ينبغي لاحد ان ينازعني وهذا لعمري قول ضعيف واللعن عراه

هم

ام انا خير مع ما وصف لكم من ضخامتي وما لي من القدرة على اجراي المياه
التي بها حياة كل شي **من هذا** وكني عنه باشارة القريب عن تحقيره ثم وصفه
بما يبين مراده بقوله **الذي هو مهين** اي ضعيف حقير ذليل لانه يتعاطى
اموره بنفسه وليس له ملك ولا قوة يجري بها نهرا ولا ينفذ بها امرا
ولا يكاد يبين اي لا يقرب من ان يعرب عن معنى من المعاني لما في
لسانه من الحبسة فلا هو قادر في نفسه ولا له قوة بلسانه على
تصريف المعاني وتنويع البيان ليستجلب القلوب ويبعث الالباب
فيكثر اتباعه ويفخم امره وقد كذب في جميع قوله فقد كان موسى عليه
السلام ابلغ اهل زمانه قولا وفعلا بتقدير الله تعالى الذي ارسله له
وامره اياه ولكن المعجب اسند هذا الى ما بقي في لسانه من الحبسة
تخييلا لاتباعه لان موسى عليه السلام ما دعى بازالة جميع حبسته
بل بعقدة منها فانه قال واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي
تنبيه في ام من قوله ام انا خير اقوال احدها انها منقطعة
فتقدر ببل التي للاضراب الانتقالي وبالهمزة التي للانكار والثاني انها
بمعنى بل فقط كقوله
بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى ۔ وصورتها ام انت في العين املح
اي بل انت الثالث انها منقطعة لفظا متصلة معنى قال ابو البقا
ام هنا منقطعة في اللفظ لوقوع الجملة بعدها في اللفظ وهي في المعنى
متصلة معادلة اذ المعنى انا خير منه ام لا وايا ما خير قال ابن عادل
وهذه عبارة غريبة ان تكون منقطعة لفظا متصلة معنى وذلك
انهما معنيان مختلفان فان الانقطاع يقتضي اضرابا اما ابطالا واما
انتقالا ثم ان فرعون اللعين ظن ان القرب من الملوك والغلبة على الامور
لا تكون الا بكثرة الاعراض الدنيوية والتحلي بحلي الملوك ولذا قال
فلولا اي فهلا **القي عليه** من عند مرسله الذي يدعي انه الملك
بالحقيقة **اسورة** وقرا حفص بسكون السين ولا الف بعدها
كاحمرة والباقون بفتح السين والف بعدها فاسورة جمع سوار
كحمار واحمرة وهو جمع قلة واساور جمع اسوار بمعنى سوار
يقال سوار المراة واسوارها والاصل اساوير بالياء فعوض من
حرف المد تاء التانيث كزنديق وزنادقة وبطريق وبطارقة
وقيل بل هي جمع اسورة فهي جمع الجمع قاله الزجاج والسوار ما يوضع
في المعصم من الحلية **من ذهب** ليكون ذلك امارة له على صحة
دعواه كما نفعل نحن عند انعامنا على احد من عبيدنا بالارسال
الى ناحية من النواحي لهم من المهمات اذ كان من عادتهم انهم اذا جعلوا
واحدا

واحدا منهم رئيسا لهم سوروه بسوار من ذهب وطوقوه بطوق من ذهب
فطلب فرعون من موسى عليه السلام مثل عادتهم **او جاء معه** اي صحبه
عند ما جاء الينا بهذا النبا الجسيم والملم العظيم **الملئكة** اي هذا
النوع واشار الى كثرتهم بما بين من الحال بقوله **مقترنين** اي يقارن
بعضهم بعضا بحيث يملؤن الفضا ويكونون في غاية القرب منهم بحيث
يكون مقارنا لهم ليجاب الى هذا الامر الذي جاء يطلبه كما نفعل نحن اذا
ارسلنا رسولا الى امر يحتاج الى دفاع وخصام ونزاع فكان حاصل امره
كما ترى انه تعزز باجراء المياه فاهلكه الله تعالى بها ايما الى ان من
تعزز بشي دون الله اهلكه الله تعالى به واستصغر موسى عليه
السلام وعابه بالفقر والعي فسلطه الله تعالى عليه اشارة الى انه
ما استصغر احد شيا الا غلبه افاده القشيري **فاستخف** اي
بسبب هذه الخدع التي سحرهم بها في هذا الكلام الذي هو في الحقيقة
محقر له موهن لامره قاصم لملكه عند من له لب **قومه** الذين لهم
قوة عظيمة فحملهم بغروره على ما كانوا بها بين له من خفة الحلم **فاطاعوه**
بان اقروا بملكه واعترفوا بربوبيته وردوا امر موسى عليه السلام
انهم كانوا اي بما في جبلاتهم من الشر **قوما فاسقين** اي عريقين في
الخروج عن طاعة الله تعالى الى معصيته فلذلك اطاعوا ذلك الفاسق
فلما اسفونا اي اغضبونا في الافراط في العناد والعصيان منقول
من اسف اذا اشتد غضبه حكي ان ابن جريج غضب في شي فقيل
له اتغضب يا ابا خالد فقال قد غضب الذي خلق الاحلام
ان الله تعالى فلما اسفونا اي اغضبونا **انتقمنا منهم** اي اوقعنا بهم
على وجه المكافاة بما فعلوا برسولنا عليه السلام عقوبة عظيمة
منكرة مكروهة كانها بعلاج **فاغرقناهم اجمعين** اي اهلاك نفس
واحدة لم يفلت منهم احد على قوتهم وكثرتهم وشدتهم تنبيه
ذكر لفظ الاسف في حق الله تعالى وذكر لفظ الانتقام كل واحد
منهما من المتشابهات التي يجب تاويلها فمعنى الغضب في حق الله
تعالى ارادة العقاب ومعنى الانتقام ارادة العقاب بجرم
سابق وقال بعض المفسرين معنى اسفونا احزنوا اولياءنا
فجعلناهم اي باخذنا لهم على هذه الصورة من الاغراق وغيره
مما تقدم **سلفا** اي متقدما لكل من يهلك بعدهم اهلاك غضب
في الهلاك في الدنيا والعذاب في الاخرة او قدوة لمن يريد العلو في الارض
فيكون عاقبته في الهلاك في الدارين او احدهما عاقبتهم كما قال تعالى
وجعلناهم ايمة يدعون الى النار **ومثلا** اي حديثا عجيب الشان

سائراً سير المثل **للآخرين** اي الذين خلفوا بعدهم من زمنهم الي آخر الدهر
فيكون حالهم عظة للناس واصلا لا لآخرين فما يريد به الخير وفي لمثل خير
برده عن غيه ومن اريد به الشر اقتدي به في الشر وقرا حمزة والكسائي بضم
السين واللام والباقون بفتحهما فاما الاولي فتحتمل ثلاثة اوجه احدها انه
جمع سليف كرغيف ورغف وسمع القاسم بن معن من العرب سليف من
الناس كالفريق منهم والثاني انه جمع سالف كصابر وصبر والثالث انها جمع
سلف كاسد واسد واما الثانية فتحتمل وجهين احدهما ان يكون
جمع السالف كحارس وحرس وخادم وخدم وهذا في الحقيقة اسم جمع
لا جمع تكسير اذ ليس في ابنية التكسير صيغة فعل والثاني انه
مصدر يطلق على الجماعة تقول سلف الرجل يسلف سلفا اي تقدم
والسلف كل شي قدمه من عمل صالح او قرض وسلف الرجل اباوه
المتقدمون والجمع اسلاف وسلاف وقال طفيل
ما سلفوا سلفا قصد السبيل عليهم ٭ صروف المنايا والرجال تقلب
واختلف في سبب نزول قوله تعالى **ولما ضرب ابن مريم مثلا** فقال ابن عباس
واكثر المفسرين نزلت في مجادلة عبد الله بن الزبعري مع النبي صلى الله
عليه وسلم في شان عيسي عليه السلام لما نزل قوله تعالى انكم وما
تعبدون من دون الله حصب جهنم كما تقدم في سورة الانبيا والمعني
ولما ضرب عبد الله بن الزبعري عيسي بن مريم مثلا وجادل رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعبادة النصاري اياه **اذا قومك** اي من قريش **منه** اي
من هذا المثل **يصدون** اي يرفع لهم ضجيج فرحا بسبب ما رأوا من سكوت
النبي صلى الله عليه وسلم فان العادة قد جرت بان احد الخصمين اذا انقطع
اظهر الخصم الثاني الفرح والضجيج وقال قتادة يقولون ما يريد محمد
منا الا ان نعبده ونتخذه الها كما عبدت النصاري عيسي **وقالوا آلهتنا**
اي التي نعبدها من الاصنام **خير ام هو** قال قتادة يعنون محمدا صلى
الله عليه وسلم فنعبده ونطيعه ونترك آلهتنا وقال السدي وابن زيد
يعنون عيسي عليه السلام قالوا يزعم محمد ان كل ما عبد من دون الله فهو
في النار فنحن نرضي ان تكون آلهتنا مع عيسي وعزير والملائكة في النار قال
الله تعالى **ما ضربوه** اي المثل **لك الا جدلا** اي خصومة بالباطل لعلمهم
ان لفظ لغير العاقل فلا يتناول من ذكر **بل هم قوم** اي اصحاب قوة على
القيام فيما يجادلونه **خصمون** اي شديدوا الخصام روي الامام احمد
عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ضل قوم بعد
هدي كانوا عليه الا اوتوا الجدل وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم بكسر الصاد
والباقون بضمها وهما بمعني واحد يقال صد يصد كعكف يعكف ويعكف

ويعرش ويعرش وقيل الضم من الصدود وهو الاعراض وقرا الكوفيون
آلهتنا بتحقيق الهمزتين والباقون بتسهيل الثانية واتفقوا على ابدال الثالثة
الفا ثم انه تعالي بين ان عيسي عبد من عبيده الذين انعم عليهم بقوله تعالى **ان**
اي ما **هو** اي عيسي عليه السلام **الا عبد** اي وليس هو باله **انعمنا** اي
بما لنا من العظمة **عليه** اي بالنبوة والاقتدار على الخوارق **وجعلناه** اي بما خرق
به العادة في ميلاده وغير ذلك من اياته **مثلا** اي امرا عجيبا كالمثل لغرابته من
انثي فقط بلا واسطة ذكر كما خلقنا ادم من غير ذكر وانثي وشرفناه بالنبوة
مثلا لبني اسرائيل الذين هم اعرف الناس به بعضهم بالمشاهدة وبعضهم
بالنقل القريب فيعرفون به قدرة الله تعالى على ما يشا حيث خلقه من غير
اب **ولو نشا** اي على ما لنا من العظمة **لجعلنا** ما هو اغرب مما صنعناه من
امر عيسي **منكم** اي جعلا مبتدا منكم اما بالتوليد كما جعلنا عليه كلام
من انثي من غير ذكر وجعلنا ادم عليه السلام من تراب من غير انثي ولا ذكر
واما بالبدلية **ملائكة في الارض يخلفون** اي يخلفونكم في الارض
والمعني ان حال عيسي وان كانت عجيبة فالله تعالى قادر على ما هو اعجب
من ذلك وان الملائكة مثلكم من حيث انها ذوات ممكنة يحتمل خلقها توليدا
كما جاز خلقها ابداعا فمن اين لهم استحقاق الالوهية والانتساب الي
الله تعالى **وانه** اي عيسي عليه السلام **لعلم للساعة** اي نزوله سبب
للعلم بقرب الساعة التي هي اعلام الخلائق كلهم بالموت فنزوله من
اشراط الساعة يعلم به قربها قال صلى الله عليه وسلم ليوشكن
ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا يكسر الصليب ويقتل الخنزير
ويضع الجزية ويهلك في زمنه الملل كلها الا الاسلام ويروي انه ينزل على
ثنية بالارض المقدسة يقال لها افيق وبيده حربة وعليه ممصرتان وشعر
راسه دهين يقتل الدجال وياتي بيت المقدس والناس في صلاة العصر
وروي في صلاة الصبح فيتاخر الامام فيقدمه عيسي عليه السلام
ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنزير ويكسر
الخنزير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنايس ويقتل النصاري الا
من امن به وقال النبي صلى الله عليه وسلم كيف انتم اذا نزل ابن مريم
فيكم وامامكم منكم وقال الحسن وجماعة وانه اي القران لعلم للساعة
يعلمكم قيامها ويخبركم احوالها واهوالها **فلا تمترن بها** حذف منه نون
الرفع للجزم وواو الضمير لالتقا الساكنين من المرية وهي الشك اي
لا تشكن فيها وقال ابن عباس لا تكذبوا بها **واتبعون** اي اوحدوا واتبعكم
في **هذا** اي كل ما امرتكم به من هذا وغيره **صراط** اي طريق واضح
مستقيم اي لا عوج له وقرا ابو عمرو باثبات اليا في الوصل دون الوقف

والبعقون بغير يا وفتحا وصلا ولا يصدنكم الشيطان اي عن هذا الطريق الواضح
الواسع المستقيم الموصل الى المقصود بايسر سعي انه لكم اي عامة واكد
الخبر لان افعاله افعال من يكن عداوته عدو مبين اي واضح
العداوة في نفسه مناد بها وذلك بابلاغه في عداوة ابيكم ادم عليه السلام
حين ازلكم بازالته عن محل الراحة الى موضع النصب عداوة ناشئة عن الحسد
لا تنفك ابدا ولما جاء عيسى اي الى بني اسرايل بالبينات اي المعجزات اي
بايات الانجيل وبالشرايع الواضحات قال منبها لهم قد جئتكم بما
يدلكم قطعا على اني اية من عند الله وكلمة منه بالحكمة اي الامر المحكم الذي
لا يستطاع نقضه ولا يدفع بالمعاندة لاخلصكم بذلك مما وقعتم فيه من
الضلال ولابين لكم اي بيانا واضحا بعض الذي تختلفون اي الان
فيه ولا تزالون تجددون الخلاف بسببه فان قيل لم يبين لهم
كل الذي يختلفون فيه اجيب بانه بين لهم ما يكون من امر الدين لا ما يتعلق
بامر الدنيا فان الانبيا لم تبعث لبيانه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
انتم اعلم بامر دنياكم ويحتمل ان يكون المراد انه يبين لهم بعض المتشابه
وهو ما يكون بيانه كافيا في رد بقية المتشابه الى المحكم بالقياس عليه
فان الشان في كل كتاب ان يجمع المحكم والمتشابه فالمحكم ما ليس فيه لبس
والمتشابه ما يكون ملتبسا وفيه ما يرده الى المحكم لكن على طريق
الرمز والاشارة التي لا يذوقها الا اهل البصاير ليتبين بذلك الصادق
من الكاذب فالصادق الذي رسخ علما وايمانا يرد المتشابه منه الى
المحكم او يعجز فيقول الله اعلم بمراده ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا
ولا يتزلزل والكاذب يتبع المتشابه فيجريه على ظاهره كاهل الاتحاد
الجوامد المفتونين او يؤوله بحسب هواه بما لا ينبني على قواعد العلم
ولا يوافق المحكم فيفتتن ولما بين لهم الاصول والفروع قال فاتقوا الله
اي خافوا من له الملك العظيم من الكفر والاعراض عن دينه لانه له كل شي منكم
ومن غيركم ومن العلوم لكل ذي عقل انه لا يتصرف في ملك الغير بوجه من
الوجوه الا باذنه واطيعون اي فيما ابلغه عنه اليكم من التكاليف فطاعتي
لامره بما يرضيه لموثرة التقوى وكلما زاد المتقي في اعمال الطاعة زادت تقواه
ربي اي النبي المختص بالجلال والجمال فكان اهلا لان يتقى ان الله اي وحده
وربكم اي المحسن الي واليكم فاعبدوه اي بما امركم به لانه صدقني
وامركم باتباعي بما اظهر على يدي فصار هو الامر لكم لا انا هذا اي الامر
العظيم الذي ادعوكم اليه صراط اي طريق واسع جدا واضح مستقيم
لا عوج فيه ولما كان الطريق الواضح القويم موجبا للاجتماع عليه والوفاق
عند سلوكه بين تعالى انهم اختلفوا فيه بقوله تعالى فاختلف الاحزاب اي

الفرق

الفرق المتحزبة من بينهم اي اختلافا ناشيا ابتدا من بني اسرايل في عيسى انه هو
الله او ابن الله او ثالث ثلاثة وقوله تعالى فويل كلمة عذاب للذين ظلموا اي
وضعوا الشي في غير موضعه بما قالوه في عيسى عليه السلام من عذاب
يوم اليم اي مولم واذا كان اليوم مولما فما الظن بعذابه هل ينظرون اي هل
ينظرون كفار مكة او الذين ظلموا الا الساعة اي ساعة الموت العام والبعث
والقيام فان ذلك لتحقق امره كانه موجود منظور اليه وقوله تعالى ان تاتيهم
بدل من الساعة فان قيل قوله تعالى بغتة اي فجاة يفيد قوله تعالى
وهم لا يشعرون اي بوقت مجيئها قبله اجيب بانه يجوز ان تاتيهم بغتة
وهم يعرفونه بسبب انهم يشاهدونه الاخلا اي الاحبا في الدنيا على
المعصية وقوله تعالى يومئذ اي يوم القيمة متعلق بقوله تعالى بعضهم
لبعض عدو اي يتعادون في ذلك اليوم لانقطاع العلق لظهور ما كانوا
يتخالون له سببا للعذاب الا المتقين اي المتحابين في الله على طاعة الله
الله تعالى وهم الموحدون الذين يخالل بعضهم بعضا على الايمان والتقوى
فان خلتهم لا تصير عداوة روى ابو ثور عن معمر عن قتادة عن ابي اسحاق ان
عليا قال في الاية خليلان مومنان وخليلان كافران فمات احد المومنين
فقال يا رب ان فلانا كان يامرني بطاعتك وطاعة رسولك ويامرني بالخير
وينهاني عن الشر ويخبرني اني ملاقيك يا رب فلا تضله بعدي واهده
كما هديتني واكرمه كما اكرمتني فاذا مات خليله المومن جمع بينهما فيقول
ليثن احدكما على صاحبه فيقول نعم الاخ ونعم الخليل ونعم الصاحب قال
ويموت احد الكافرين فيقول يا رب ان فلانا كان ينهاني عن طاعتك وطاعة
رسولك ويامرني بالشر وينهاني عن الخير ويخبرني اني غير ملاقيك فبيس
الاخ وبيس الخليل وبيس الصاحب ثم بين تعالى ما يلقى المومنين به من
توادد وافيه سبحانه تشريفا لهم وتسكينا لما يقتضيه ذلك المقام
من الاهوال بقوله تعالى يا عبادي فاضافهم الى نفسه اضافة تشريف
لان عادة القران جارية بتخصيص لفظ العباد بالمومنين المطيعين
المتقين وفيه انواع كثيرة توجب المدح اولها ان الحق سبحانه وتعالى
خاطبهم بنفسه من غير واسطة وهذا تشريف عظيم بدليل انه تعالى
لما اراد تشريف محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى سبحن الذي اسرى
بعبده وثانيها قوله تعالى لا خوف اي بوجه من الوجوه عليكم اليوم اي
في يوم الاخرة مما يجري به من الاهوال والامور الشداد والزلزال وثالثها
قوله تعالى ولا انتم تحزنون اي لا يتجدد لكم حزن على شي فات في وقت من
الاوقات الاتية لانكم لا يفوتكم شي تسرون به وقرا شعبة بفتح اليا
في الوصل وسكنها نافع وابو عمرو وابن عامر وسكنها الباقون وقوله تعالى

الذين امنوا اي اوجدوا هذه الحقيقة يجوز ان يكون نعتا لعبادي او بدلا
منه او عطف بيان له او مقطوعا منصوبا بفعل اي اعني الذين امنوا او
مرفوعا وخبره مضمر تقديره يقال لهم ادخلوا الجنة قال مقاتل اذا وقع
الخوف يوم القيمة نادي منادي يا عباد لا خوف عليكم اليوم فاذا سمعوا
النداء رفعوا الخلايق رؤوسهم فيقال الذين امنوا بآياتنا الظاهرة عظمها
في نفسها ولاءو نسبتها الينا ثانيا وكانوا اي دائما لمالهم كالجبلة والخلق
مسلمين اي منقادين للاوامر والنواهي اتم انقياد فبذلك يعدلون
الي حقيقة التقوي فينكس اهل الاديان الباطلة رؤوسهم فبرحا بهم
على احسن الوجوه ثم يقال لهم ادخلوا الجنة ولما كان السرور لا يكمل
الا بالرفيق السار قال تعالي انتم وازواجكم اي نساؤكم اللاتي
كن مشاكلات لكم في الصفات واما قرناؤهم من الرجال فدخلوا في
قوله تعالي وكانوا مسلمين تحبرون اي تسرون وتنعمون والحبرة هو
المبالغة في الاكرام على احسن الوجوه وقوله تعالي يطاف
قبله محذوف اي يدخلون يطاف عليهم اي المتقين الذين جعلناهم
بهذا النداء ملوكا بصحاف من ذهب فيها من الوان الاطعمة والفواكه
والحلوي ما لا يدخل تحت الوهم والصحاف جمع صحفة كجفنة وجفان
قال الجوهري الصحفة كالقصعة وقال الكسائي اعظم القصاع
الجفنة ثم القصعة تسع العشرة ثم الصحفة تشبع الخمسة ثم
المكيلة تسع الرجلين والثلاثة والصحيفة الكتاب جمع صحف
وصحايف ولما كانت آلة الشرب في الدنيا اقل من آنية الاكل جري على
ذلك المعهود فعبر بجمع القلة في قوله تعالى واكواب جمع كوب وهو
كوز مستدير مدور الراس لا عروة له ايذانا بانه لا حاجة اصلا
الي تعليق شي لتبريد او صيانة عن اذي او نحو ذلك وقيل هو
كالابريق الا انه لا عروة له وقيل انه لا خرطوم له وقيل انه لا عروة له
ولا خرطوم معا قال الجواليقي ليتمكن الشارب من اين شاء
فان العروة تمنع من ذلك وقال عدي
متكا تصفق ابوابه • يطوف عليه العبد بالكوب •
ثم انه تعالى لما ذكر التفصيل ذكر بيانا كليا فقال وفيها اي الجنة
ما تشتهي الانفس من الاشيا المعقولة والمسموعة والملموسة
جزاء لهم بما منعوا انفسهم من الشهوات في الدنيا وتلذ الاعين من
الاشياء المبصرة التي اعلاها النظر الي وجهه الكريم جزاء ما يحملوه
من مشاق الاشتياق وروي ان رجلا قال يا رسول الله افي الجنة
خيل فقال اني احب الخيل فقال ان يدخلك الله الجنة فلا تشا ان

بركبك

تركب فرسا من ياقوتة حمرا فتطير بك في اي الجنة شئت الا فعلت فقال
اعرابي يا رسول الله افي الجنة ابل فاني احب الابل فقال يا اعرابي ان
ادخلك الله الجنة اصبت فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك وقرا
نافع وابن عامر وحفص تشتهيه بعد اليا باثبات العايد على الموصول كقوله
تعالي الذي يتخبطه الشيطان والباقون بحذفها بعد اليا كقوله تعالي
اهذا الذي بعث الله وهذه القراءة شبيهة بقوله تعالى وما عملته
ايديهم وهذه الهاء في هذه السورة رسمت في مصاحف المدينة
والشام وحذفت من غيرها وقد وقع لابي عبد الله الفاسي شارح
القصيدة وهم فسبق قلمه فكتب الهاء منه محذوفة في مصاحف
المدينة والشام ثابتة في غيرها اراد ان يكتب ثابتة في مصاحف
المدينة والشام محذوفة في غيرها فعكس ولما كان ذلك لا يكمل
الا بالدوام قال تعالي عايدا الي الخطاب لانه اشرف واكد
وانتم فيها خالدون لبقائها وبقاء كل ما فيها فلا كلفة عليهم
اصلا من خوف من زوال ولا خوف من فوات ثم اشار الي فخامتها
باداة البعد فقال تعالي وتلك الجنة اي العالية المقام التي اورثتموها
شبه جزاء العمل بالميراث لانه يخلفه عليه العامل وقرا ابو عمرو وهشام
وحمزة والكسائي بادغام الثاء المثلثة في المثناة واظهرها الباقون
بما اي بسبب ما كنتم تعملون اي مواظبين على ذلك لا تفترون
لان العمل كان لهم كالجبلة التي جبلوا عليها فالمنة لربهم في الحقيقة
بما زكي لهم انفسهم ولما ذكر سبحانه الطعام والشراب ذكر
الفاكهة فقال لكم فيها فاكهة اي ما يؤكل تفكها وان كان لحما
وخبزا كثيرة ودل على الكثرة وعلى دوام النعمة بقصد التفكه
لكل شي فيها بقوله تعالي منها اي لا من غيرها مما يحظ فيه
التفوت تاكلون فلا تنفذ ابدا او لا تتاثر باكل الاكلين لانها
على صفة الماء النابع لا يؤخذ منها شي الا خلف مكانه مثله في الحال
ورد في الحديث انه لا ينزع رجل من الجنة ثمرة الا نبت مكانها
مثلاها تنبيه لما بعث الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم
الي العرب وكانت في ضيق شديد بسبب الماكول والمشروب
والفاكهة ذكر الله تعالي هذه المعاني مرة بعد اخري تكميلا لرغا تهم
وتقوية لدواعيهم ومن في قوله تعالي منها تاكلون تبعيضية
او ابتدائية وقدم الجار لاجل الفاصلة ولما ذكر سبحانه الوعد
اردفه بالوعيد على الترتيب المستمر في القران فقال تعالي ان
المجرمين اي الراسخين في قطع ما امر الله به ان يوصل

في عذاب جهنم اي النار التي من شانها التلقي لاهلها بالتجهم والكراهة والعبوس كما كان يعمل عند قطعه لاوليا الله تعالى خالدون لان اجرامهم كانت طبعا لهم لا ينفكون عنه اصلا ما بقوا لا يفتر عنهم اي لا يقصد اضعافه بنوع من الضعف فنفي التفتير نفي الفتور من غير عكس قال البيضاوي وهو من فترت عنه الحمى اي سكنت قليلا والتركيب للضعف وهم فيه اي العذاب مبلسون اي ساكتون سكوت ياس من النجاة والفرج وعن الضحاك يجعل المجرم في تابوت من نار ثم يقفل عليه فيبقى خالدا لا يرى ولا يرى وما ظلمناهم بنوع من الظلم ولكن كانوا جبلة وطبعا وعملا وصنعا هم الظالمين لانهم بارزوا المنعم عليهم بالعظائم ونووا انهم لا ينفكون عن ذلك ما بقوا والاعمال بالنيات ولما كان مفهوم الابلاس السكوت بين تعالى انهم لبثوا ساكتين وانما بقوله تعالى ونادوا ثم بين ان المنادي خازن النار بقوله تعالى موكدا لبيان البعد بادائه يا مالك ليقض اي سله سؤالا حتما ان يقضي القضا الذي لا قضا مثله وهو الموت على كل واحد منا وجروا على عادتهم في الغباوة والجلافة فقالوا علينا ربك اي المحسن اليك فلم يرد الله تعالى عليهم احسانا وهم في تلك الحال ولا شك ان احسانه ما انقطع عن موجود اصلا واقل ذلك انه لا يعذب احدا منهم فوق استحقاقه ولذلك جعل النار دركات كما جعل الجنة درجات فاجاب مالك عليه السلام بان قال موكدا قطعا لاطماعهم لان كلامهم هذا هو بحيث يفهم الرجا واعلاما بان رحمة الله التي هي موضع الرجا خاصة بغيرهم انكم ماكثون اي دايما ابدا لا خلاص لكم بموت ولا غيره وليس في القران متى اجابهم هل اجابهم في الحال او بعد مدة لكن روي ابن عباس ان اهل النار يدعون مالكا خازن النار يقولون ليقض علينا ربك ليميتنا ربك فنستريح فيجيبهم مالك بعد الف سنة انكم ماكثون مقيمون في العذاب وعن عبد الله ابن عمرو بن العاص يجيبهم بعد اربعين وعن غيره ماية سنة واختلفوا في ان قولهم يا مالك ليقض علينا ربك على اي وجه طلبوه فقال بعضهم على التمني وقال اخرون على وجه الاستغاثة والا فهم عالمون بانه لا خلاص لهم من ذلك العقاب ثم انه تعالى ذكر ما هو كالعلة لذلك الجواب بقوله تعالى لقد جئناكم اي في هذه السورة خصوصا وجميع القران عموما بالحق اي على لسان الرسل وقرا نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم باظهار الدال عند الجيم والباقون

بالادغام

بالادغام ولكن اكثركم للحق كارهون لما فيه من المنع من الشهوات فلذلك انتم تقولون انه ليس بحق لاجل كراهتكم فقط لا لاجل ان في حقيقته نوعا من الخفا فان قيل كيف قال ونادوا يا مالك بعد ان وصفهم بالابلاس اجيب بانها ازمنة متطاولة واحقاب ممتدة فتختلف بهم الاحوال فيسكتون اوقاتا لغلبة الياس ويستغيثون اوقاتا لشدة ما بهم روي انه يلقى على اهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيقولون ادعوا مالكا فيدعون يا مالك ليقض علينا ربك ولما ذكر تعالى كيفية عذابهم في الاخرة ذكر بعده كيفية مكرهم وفساد باطنهم في الدنيا فقال تعالى ام ابرموا امرا اي في المكر برسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رد امرنا ومعادات اوليائنا مع علمهم بانا مطلعون عليهم فانا مبرمون اي محكمون امرا في مجازاتهم اي مبرمون كيدنا كما ابرموا كيدهم كقوله ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون وقال مقاتل نزلت في تدبيرهم في المكر في دار الندوة تنبيه ام منقطعة والابرام الاتقان واصله في الفتل يقال ابرم الحبل اي اتقن فتله وهو الفتل الثاني والاول يقال له سحيل قال زهير

لعمري لنعم السيدان وجدتما ... على كل حال من سحيل ومبرم

ام يحسبون اي على ما لنا من العظمة المقتضية لجميع صفات الكمال انا لا نسمع سرهم اي كلامهم الخفي ولو كان في الضماير فيما بينهم والسر ما حدث به الشخص نفسه او غيره في مكان خال ولما كان ربما وقع في الاوهام ان المراد بالسمع انما هو العلم لانه اسر ما يخفى وهو يعلم ما في الضماير وهي فيما يعلم حقق ان المراد به حقيقته بقوله تعالى ونجواهم اي تناجيهم في كلامهم المرتفع فيما بينهم حتى كانهم على نجوة اي مكان عال فيعلم ان المراد حقيقة السمع وانه تعالى يسمع كل ما يمكن ان يسمع بلى نسمع الصنفين كليهما على حد سوا ورسلنا وهم الحفظة من الملايكة على ما لهم من العظمة بنسبتهم الينا لديهم اي عندهم وقرا حمزة بضم الها والباقون بكسرها يكتبون اي يجددون الكتابة كلما تجدد ما يقتضيها لان الكتابة اوقع في التهديد لان من علم ان اعماله محصاة مكتوبة تجنب ما يخاف عاقبته وعن يحيى بن معاذ الرازي من ستر من الناس ذنوبه وابداها للذي لا يخفى عليه شي في السموات فقد جعله اهون الناظرين اليه وهو من علامات النفاق ولما تقدم اول السورة تبكيتهم والتعجب منهم في ادعايهم لله ولدا من الملايكة وهددهم بقوله ستكتب شهادتهم

وبيان لوقوعه امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم قل ايها لهولاء المبعضين البعضا ان كان للرحمن اي العام الرحمة ولد اي على زعمهم والمراد به الجنس لادعائهم في الملئكة وعيرهم في غيرهم فانا في الرتبة وقرا نافع بمد الالف بعد النون والباقون بغير مد اول العابدين للرحمن العبادة التي هي العبادة ولا يستحق غيرها الحقيقي عبادة وهي الخالصة فانا لا اعبد غيره لا ولدا ولا غيره ولم يشا الرحمن ان اعبد الولد او يكون المعنى انا اول العابدين للرحمن على وجه الاخلاص لم اشرك به شيئا اصلا في وقت من الاوقات مما تسمونه ولدا او شريكا او غيره ولو شاء ما عبدته على وجه الاخلاص ولا شك عندكم وعند غيركم ان من اخلص لاحد كان اولى من غيره برحمته فلو ان الاخلاص له ممنوع ما شاءه لي ولان عبادة غيره ممنوعة لشاءها لي ولو ان له ولدا لشاء عبادته فان عموم رحمته لكافة خلقه لكونهم خلقه وخصوصها بي لكوني عبده خالصا يمنع على زعمكم من ان يبتغيني وانا اخلص له فبطلت شبهتكم بمقابل باقوى منها وهذا مما علق بشي وهو بنقيضه اولى وقال الزمخشري ان كان للرحمن ولد وثبت ببرهان صحيح توردونه وحجة واضحة تستدلون بها فانا اول من يعظم ذلك الولد واسبقكم الى طاعته والانقياد كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم ابيه وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل وهو المبالغة في نفي الولد والاطناب فيه وان لا يترك الناطق به شبهة الا مضمحلة مع الترجمة عن نفسه لثبات القدم في باب التوحيد وذلك انه علق العبادة بكينونة الرحمة وهي محال في نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها فهو في صورة اثبات الكينونة والعبادة تقيسها على ابلغ الوجوه واقواها ثم قال وقد تمحل الناس بما اخرجوه من هذا الاسلوب الشريف المليء بالنكت والفوايد المستقل باثبات التوحيد على ابلغ وجوهه فقيل ان كان للرحمن ولد في زعمكم فانا اول العابدين الموحدين لله المكذبين قولكم باضافة الولد اليه وقيل ان كان للرحمن ولد في زعمكم فانا اول الانفين من ان يكون له ولد من عبد بعبد اذا اشتد انفه فهو عبد وعابد انتهى وقال ابن عباس ان نافية اي ما كان له ولد فانا اول من يعبده ربه وما علمت له ولدا ولو كان له ولد اهلته فعبدته تقربا اليه بعبادة ولده وروي ان النضر بن عبد الدار بن قصي قال ان الملئكة بنات الله فنزلت فقال النضر الا ترون انه قد صدقني فقال له الوليد بن المغيرة ما صدقك ولكن قال ما كان للرحمن ولد فانا اول الموحدين من اهل مكة ان لا ولد له ثم انه تعالى نزه نفسه فقال

سبحان رب اي مبدعي ومالكي السموات والارض اي اللذين كل ما فيهما ومن فيهما مقهور مربوب محتاج لا يصح ان يكون له منه سبحانه نسبة بغير العبودية بالايجاد والتربية ولما كانت خاصة الملك ان يكون له ما لا يصل اليه غيره بوجه اصلا قال محققا لملكه بجميع ما سواه ومن سواه وملكه له ولم يعد العطف لان العرش من السموات رب العرش اي المختص به لكونه خاصة الملك الذي وسع كرسيه السموات والارض عما يصفون اي يقولون من الكذب من ان له ولدا او شريكا وذلك ان اله العالم يجب ان يكون واجب الوجود لذاته وكل ما كان كذلك فهو لا يقبل التجزي بوجه من الوجوه والولد عبارة عن ان ينفصل عن الشي جزء فيتولد عن ذلك الجزء شخص مثله وهذا انما يعقل فيما تكون ذاته قابلة للتجزي والتبعيض واذا كان ذلك محالا في حق اله العالم امتنع اثبات الولد ولما ذكر تعالى هذا البرهان القاطع قال تعالى مسببا عن ذلك فذرهم اي اتركهم على اسوا احوالهم يخوضوا اي يفعلون في باطلهم فعل الخائض في الما ويلعبوا اي يفعلوا فعل اللاعب في دنياه حتى يلاقوا اي يفعلوا التضرم اعمارهم في فعل ما لا ينفعهم فعل المجتهدين في ان يلقوا يومهم الذي يوعدون اي يوعد لا خلف فيه وهو يوم القيمة فيظهر فيه وعيدهم والمقصود منه التهديد لانه تعالى ذكر حجة قاطعة على فساد ما ذكروا فلم يلتفتوا اليها لاجل استغراقهم في طلب المال والجاه والرياسة فتركهم في ذلك الباطل واللعب حتى يصلوا الى ذلك اليوم الموعود به ثم زاد في التنزيه فقال تعالى وهو الذي في السما اله اي معبود لا يشرك به وفي الارض اله متوجه الرغبات اليه في جميع الاحوال وتخلص اليه في جميع اوقات الاضطرار فقد وقع الاجماع من جميع من في السموات والارض على المشية فثبت استحقاقه لهذه الرتبة وثبت احقاقه باستحقاقه فيها في الشدايد وباقي الاوقات كذلك من غير فرق لانه لا شريك له في هذا الاستحقاق فعبادة غيره باطلة وقرا ابو عمرو باسقاط الهمزة الاولى مع المد والقصر وقرا قالون والبزي بتسهيلها مع المد والقصر وقرا ورش وقنبل بتسهيل الثانية وابدالها ايضا الفا وقرا الباقون بتحقيقهما تنبيه كل من الظرفين متعلق بما بعده لان اله بمعنى معبود اي معبود في السما ومعبود في الارض وحينئذ يقال الصلة لا تكون الا جملة او ما في معناها تقديرها وهو الظرف وعدبله ولا شي مهما هنا واجيب بان المبتدا

حذف لدلالة المعنى عليه وذلك المحذوف هو العايد تقديره وهو الذي
في السما اله وهو في الارض اله وانما حذف لطول الصلة بالمعمول فان الجار
متعلق باله ومثله ما انا بالذي قايل لك سوا وهو الحكيم اي البليغ
الحكمة في تدبير خلقه العليم اي البالغ في علمه بمصالحهم وتبارك
اي وثبت ثباتا لا يشبهه ثبات لانه لا زوال له مع اليمن والبركة
وكل كمال فلا شبيه له حتى يدعي انه له ولدا او شريكا ثم وصفه بما
يبين تباركه واختصاصه بالالهية فقال عز من قايل الذي له
ملك السموات اي كلها والارض كذلك وما بينهما اي وبين كل
اثنين منهما والدليل على هذا الاجماع القاهر على توحيده عند الاضطرار
وعنده اي وحده علم الساعة اي العلم بالتي تقوم القيامة
فيها واليه اي وحده لا الي غيره يرجعون بايسر امر تحقيقا
للحكم وقطعا للنزاع في وحدانيته وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي
بالياء التحتية على الغيبة والباقون بالفوقية على الالتفات للتهديد
ولا يملك اي بوجه من الوجوه في وقت ما الذين يدعون اي يعبد
اي الكفار من دونه اي الله تعالى الشفاعة كما زعموا انهم شفعاؤهم
عند الله وقوله تعالى الا من شهد بالحق اي قال لا اله الا الله فيه
قولان احدهما انه متصل ان اريد بالموصول كل ما عبد من دون الله
والمعنى لا يقدروا هو لا ان يشفعوا لاحد الا من شهد بالحق
وهم يعلمون اي يقلوبهم ما شهدوا به بالسنتهم وهم عيسى وعزير
والملايكة فانهم يملكوا ان يشفعوا المومنين بتمليك الله اياهم لها والثاني
هو منقطع ان خص بالاصنام ولين سالتهم اي الكفار مع ادعائهم
الشريك من خلقهم اي العابدين والمعبودين معا ليقولن الله اي الذي
له جميع صفات الكمال لتعذر المكابرة من فرط ظهوره فانى اي فكيف
واي جهة بعد ادن اثبتوا له الخلق والامر يوفكون اي يصرفون عن
اتباع رسولنا الامر لهم بتوحيدنا في العبادة كما انا توحدنا في الخلق وقرا
وقيله اي قول محمد صلى الله عليه وسلم عاصم وحمزة بخفض اللام والها
على معنى وعنده علم الساعة وعلم قيله والباقون بنصب اللام ورفع اللام
على المصدر بفعله المقدر اي وقال يا رب ان هولاء قوم اي اقويا على
الباطل ولم يضفهم الي نفسه بان يقول قومي ونحو ذلك من العبارات
ولا سماهم باسم قبيلتهم لما شانهم من حالهم لا يومنون اي لا يتجدد
منهم هذا الفعل اصلا فاصفح اي اعف عفو من لا عرض عنهم صفحا
فلا يلتفت اليهم بغير التبليغ وقل اي لهم سلام اي شاني الان
متاركتكم بسلامكم مني وسلامتي منكم قال ابن عباس وهذا منسوخ

بالسيف

بالسيف وقال الرازي وعندي التزام النسخ في مثل هذه المواضع مشكل لان
الامر لا يفيد بالفعل الامرة واحدة فسقطت دلالة اللفظ فاي حاجة الي
التزام النسخ وايضا فاللفظ المطلق قد يقيد بحسب العرف فاذا كان
كذلك فلا حاجة الي التزام النسخ انتهى وجرى على النسخ الجلال المحلي
فقال وهذا قبل ان يومر بقتالهم وقوله تعالى فسوف يعلمون فيه تهديد
لهم وتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وقرا نافع وابن عامر بتاء الخطاب
التفاتا والباقون بياء الغيبة نظرا لما تقدم وما قاله البيضاوي تبعا
للزمخشري من ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة الزخرف كان ممن يقال
له يوم القيمة يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون حديث موضوع

سورة الدخان مكية

وقيل الا قوله تعالى انا كاشفوا العذاب قليلا الاية وهي ست او سبع او
تسع وخمسون اية وثلثماية وستة واربعون كلمة والف واربعماية وواحد
وثلاثون حرفا بسم الله الملك الجبار الواحد القهار الرحمن
الذي بنعمته سائر مخلوقاته الرحيم بالمل وداده وقوله تعالى حم
قراه ابن ذكوان وشعبة وحمزة والكسائي بامالة الحا محضة وقراه ورش
بالامالة
وابو عمرو بين بين والباقون بالفتح وتقدمت الاشارة الي شي من اسرار
اخواتها وقوله تعالى والكتاب المبين فيه احتمالان الاول ان يكون التقدير
هذه حم والكتاب المبين كقولك هذا زيد والله الثاني ان يكون التقدير
حم والكتاب المبين انا انزلناه فيكون في ذلك تقدير قسمين على شي واحد
ويجوز ان يكون انا انزلناه جواب القسم وان يكون اعتراضا والجواب
قوله تعالى انا كنا منذرين واختاره ابن عطية وقيل انا كنا مستانف
ب وان يكون صفة لليلة وما بينهما اعتراض تنبيه يجوز ان يكون المراد بالكتاب
هنا الكتب المتقدمة المنزلة على الانبيا كما قال تعالى لقد ارسلنا رسلنا
يكون مع بالبينات وانزلنا معهم الكتاب ويجوز ان المراد به اللوح المحفوظ قال الله
تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب وقال تعالى وانه في ام
الكتاب لدينا لعلي حكيم ويجوز ان يكون المراد به القران واقتصر على
ذلك البيضاوي وتبعه الجلال المحلي وعلى هذا فقد اقسم بالقران
انه انزل القران في ليلة مباركة وهذا النوع من الكلام يدل على غاية تعظيم
القران فقد يقول الرجل اذا اراد تعظيم الرجل له اليه حاجة استشفع لك
اليك واقسم بحقك عليك وجاء في الحديث اعوذ برضاك من سخطك
وبعفوك من عقوبتك وبك منك لا احصي ثناء عليك والمبين هو المشتمل
على بيان ما بالناس حاجة اليه في دينهم ودنياهم فوصفه بكونه مبينا

وان كانت حقيقة الابانة لله تعالى لان الابانة حصلت به كقوله تعالى ام انزلنا
عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون فوصفه بالتكلم اذ كان غاية
في الابانة فكانه ذو لسان ناطق مبالغة في وصفه واختلف في قوله تعالى
في ليلة مباركة فقال قتادة وابن زيد واكثر المفسرين هي ليلة القدر
وقال عكرمة وطائفة انها ليلة البراة وهي ليلة النصف من شعبان واحتج
الاولون بوجوه الاول قوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر فقوله تعالى
انا انزلناه في ليلة مباركة يجب ان تكون هي تلك الليلة المسماة بليلة
القدر لئلا يلزم التناقض ثانيها قوله تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه
القران فقوله تعالى ههنا انا انزلناه في ليلة مباركة فيجب ان تكون هذه
الليلة المباركة في رمضان فثبت انها ليلة القدر ثالثها قوله تعالى في صفة
ليلة القدر تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر وقال تعالى
ههنا فيها يفرق كل امر حكيم وقال ههنا رحمة من ربك وقال تعالى
في ليلة سلام هي واذا تقاربت الاوصاف وجب القول بان احدى الليلتين
هي الاخرى رابعها نقل محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن قتادة انه
قال نزلت صحف ابراهيم في اول ليلة من رمضان والتوراة لست ليال منه
والزبور لثنتي عشرة ليلة مضت منه والقران لاربع وعشرين مضت
من رمضان والليلة المباركة هي ليلة القدر خامسها ان ليلة القدر انما
سميت بهذا الاسم لان قدرها وشرفها عند الله عظيم ومعلوم انه ليس
قدرها وشرفها بسبب نفس الزمان لان الزمان شيء واحد في الذات والصفات
فيمتنع كون بعضه اشرف من بعض لذاته فثبت ان شرفه وقدره بسبب
انه حصل فيه امور شريفة لها قدر عظيم ومن المعلوم ان منصب الدين
اعظم من مناصب الدنيا واعظم الاشياء واشرفها منصبا في الدين هو القران
لانه ثبت به نبوة محمد صلى الله عليه السلام وبه ظهر الحق بين الحق والباطل
كما قال تعالى في صفته ومهيمنا وبه ظهرت درجات ارباب السعادات ودركات
ارباب الشقاوات فعلى هذا لا شيء الا والقران اعظم قدرا واعلى ذكرا واعظم
منصبا وحيث اطبقوا على ان ليلة القدر هي التي وقعت في رمضان علمنا ان القران
انما انزل في تلك الليلة وهذه ادلة ظاهرة واضحة واحتج الاخرون على انها ليلة
النصف من شعبان بوجوه اولها ان لها اربعة اسماء الليلة المباركة وليلة البراة
وليلة الصك وليلة الرحمة وقيل بينها وبين ليلة القدر اربعون ليلة
وقيل في تسميتها ليلة الصك والبراة ان البندار اذا استوفى الخراج
من اهله كتب لهم البراة كذلك الله تعالى يكتب لعباده المومنين البراة في هذه
الليلة ثانيها انها مختصة بخمس خصال الاولى قال تعالى فيها يفرق كل امر حكيم
والثانية فضيلة العبادة فيها روى الزمخشري انه صلى الله عليه وسلم

قال

قال من صلى في هذه الليلة مائة ركعة ارسل الله اليه مائة ملك ثلاثون يبشرونه
بالجنة وثلاثون يؤمنونه من عذاب النار وثلاثون يدفعون عنه
آفات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكايد الشيطان ثالثها نزول الرحمة
قال صلى الله عليه وسلم ان الله يرحم امتي في هذه الليلة بعدد شعر
اغنام بني كلب رابعها حصول المغفرة قال صلى الله عليه وسلم
ان الله يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة الا الكاهن والساحر ومدمن
الخمر وعاق والديه والمصر على الزنا خامسها انه تعالى اعطى رسول الله
صلى الله عليه وسلم في هذه الليلة تمام الشفاعة في امته قال
الزمخشري وذلك انه سال ليلة الثالث عشر من شعبان في امته
فاعطي الثلث منها ثم سال ليلة الرابع عشر فاعطي الثلثين ثم سال
ليلة الخامس عشر فاعطي الجميع الا من شرد على الله شراد البعير انتهى
وروي ان عطية الحروري سال ابن عباس عن قوله تعالى انا انزلناه في
ليلة مباركة وقوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر كيف يصح ذلك مع
ان الله تعالى انزل القران في جميع الشهور فقال ابن عباس يا ابن الاسود
لو هلكت انا ووقع في نفسك هذا ولم تجد جوابه لهلكت نزل القران
جملة من اللوح المحفوظ الى البيت المعمور في السما الدنيا ثم نزل
بعد ذلك في انواع الوقايع حالا فحالا قال قتادة وابن زيد انزل
الله تعالى القران في ليلة القدر من ام الكتاب الى السما الدنيا ثم نزل به
جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما في عشرين
سنة وقوله تعالى **انا** اي بعلو ما لنا من العظمة **كنا** اي دائما
لعبادنا **منذرين** اي مخوفين استيناف يبين به المقتضي للانزال
وكذلك قوله تعالى **فيها** اي الليلة المباركة سواء قلنا انها
ليلة القدر او ليلة النصف **يفرق** اي ينشر ويبين ويفصل له
ويوضح مرة بعد مرة **كل امر حكيم** اي محكم الامر لا يستطاع ان
يطعن فيه بوجه من جميع ما يوحي به من الكتب وغيرها والارزاق
والاجال والنصر والهزيمة والخصب والقحط وغيرها من جميع
اقسام الحوادث وجزئياتها في اوقاتها واماكنها ويبين ذلك
للملائكة من تلك الليلة الى مثلها من العام المقبل فيجدونه سواء
فيزدادون بذلك ايمانا قال ابن عباس يكتب من ام الكتاب في ليلة
القدر ما هو كائن في السنة من الخير والشر والارزاق والاجال
حتى الحجاج يقال يحج فلان وفلان وقال الحسن ومجاهد وقتادة
يبرم في ليلة القدر في شهر رمضان كل عمل واجل وخلق ورزق
وما يكون في تلك السنة وقال عكرمة في ليلة النصف من شعبان

يبرم فيها امر السنة وتنسخ الاحيا من الاموات فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم
احد قال صلى الله عليه وسلم تقطع الاجال من شعبان الى شعبان حتى
ان الرجل لينكح ويولد له وقد خرج اسمه في الموتى وعن ابن عباس رضي الله عنه يقضي
الاقضية في ليلة النصف من شعبان ويسلمها الى اربابها في ليلة القدر
وروي ان الله تعالى انزل القرآن من اللوح المحفوظ في ليلة البراءة ووقع
الفراغ في ليلة القدر فدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة
الحروب الى جبريل وكذلك الزلازل والصواعق والخسف ونسخة
الاعمال قال ابن عادل الى اسرافيل وقال الزمخشري الى اسماعيل
صاحب سما الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصايب الى ملك
الموت قال الزمخشري وعن بعضهم يعطي كل عامل بركات
اعماله فيلقي على السنة الخلق مدحه وعلى قلوبهم هيبته
وقوله تعالى **امرا** اي فرقا حال من فاعل انزلناه امرين او مامورا
به كاينا **من عندنا** على مقتضى حكمتنا وقوله تعالى **انا كنا**
اي ازلا وابدا **مرسلين** جواب ثالث او مستانف او بدل
من قوله انا كنا منذرين اي لنا صفة الارسال بالقدرة عليها
في كل حين والارسال لمصالح العباد لا بد فيه من الفرقان
بالبشارة والنذارة وغيرها حتى لا يكون لبس فلا يكون لاحد
على الله تعالى حجة قال البقاعي وهذا الكلام المنتظم والقول الملتحم
بعضه ببعض المتراصف اجمل رصف في وصف ليلة الانزال
دال على انه لم ينزل صحيفة ولا كتابا الا في هذه الليلة فيدل
على انها ليلة القدر للاحاديث الواردة في ان الكتب كلها نزلت فيها
وكذلك قوله تعالى في سورة القدر تنزل الملئكة والروح فيها
باذن ربهم من كل امر فان الوحي الذي هو يجمع ذلك هو روح الامر
الحكيم ثم بين تعالى حال الرسالات بقوله تعالى **رحمة** وعدل
لاجل ما اقتضاه التعبير بالرحمة عما كان من اسلوب التكلم بالعظمة
من قوله منا الى قوله تعالى **من ربك** اي المحسن اليك بارسالك
وارسال كل نبي مضى من قبلك فان رسالاتهم كانت لب لا انذار في
العبادات وتمهيد الشرايع في البلاد حتى استنارت القلوب
واطمانت النفوس بما صارت تعهد من شرع الشرايع وتوطية
الاديان فتسهلت طرق الرب لتعميم رسالتك حتى ملات
انوارك الافاق فكنت نتيجة كل من تقدمك من الرفاق وقال
ابن عباس معنى رحمة من ربك اي رافة مني بخلقي ونعمة عليهم
بما بعثنا عليهم من الرسل وقال الزجاج انزلناه في ليلة مباركة

انه هو

انه هو اي وحده **السميع العليم** اي ان تلك الرحمة كانت رحمة في
الحقيقة لان المحتاجين اما ان يذكروا حاجاتهم بالسنتهم او لم يذكروا
فان ذكروها فانه سميع وان لم يذكروها فانه تعالى عالم بها **رب** اي
مالك ومنشي ومدبر **السموات** اي جميع الاجرام العالية **والارض**
وما بينهما مما تشاهدون من هذا الفضا وما فيه من الهوا وغير
مما تعلمون من اكساب العباد وغيرها مما لا تعلمون ومن المعلوم انه
ذو العرش والكرسي فعلم بهذا انه مالك الملك كله وقرا عاصم
وحمزة والكسائي بخفض البا الموحدة على البدل او البيان ا ه والنون ها
والباقون برفعها على اضمار مبتدا خبره لا اله الا هو والمقصود
من هذه الاية ان المنزل اذا كان موصوفا بهذه الجلالة
والكبريا كان المنزل الذي هو القرآن في غاية الشرف والرفعة
فان قيل ما معنى الشرط الذي هو قوله تعالى **ان كنتم موقنين**
اجيب بانهم كانوا يقرون بان للسموات والارض ربا وخالقا
فقيل لهم ان كنتم يا اهل مكة موقنين بانه تعالى رب السموات
والارض فايقنوا بان محمدا عبده ورسوله ولما ثبت بهذا النظر
الشافي ربوبيته وبعدم اختلال التدبير على طول الزمان
وحدانيته انتج ذلك قوله تعالى **لا اله الا هو** والا لنازعه
في امرهما منازع او امكن ان يكون منازعا فيكون محتاجا لا محالة
والا لدفع عنه من يمكن نزاعه له وخلافه اياه فلا يكون للتدبير
والقهر لكل من يخالف رسله والانجا لكل من يوافقهم على
ممر الزمان وطول الدهر ومر الحدثان على نظام مستمر وحال ثابت
مستقر ولما ثبت ان لا مدبر للوجود غيره ثبت قوله تعالى **يحيي**
ويميت لان ذلك من اجل ما فيهما من التدبير وهو تنبيه
على تمام دليل الوحدانية لانه لا شي ممن فيهما يبقى ليسند التدبير
اليه ويحال شي من الامر عليه فهما جملتان الاولى نافية لما اثبتوه
من الشركة والثانية مثبتة لما نفوه من البعث **ربكم** اي
الذي افاض عليكم ما تشاهدون من النعم في الارواح وغيرها
ورب ابايكم الاولين اي الذين افاض عليهم ما افاض عليكم
ثم سلبهم ذلك كما تعلمون فلم يقدر احد منهم على ممانعة ولا
طمع في منازعة بدفع بنوع مدافعة **بل هم** اي بضمايرهم
في شك اي من البعث **يلعبون** اي يفعلون دايما فعل
اللاعب التارك لما هو فيه من احد الجد الذي لا مرية فيه الى
اللعب الذي لا فايدة فيه ولا ثمرة له بوجه استهزايك

يا اشرف الرسل فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اعني عليهم بسبع كسبع يوسف
قال تعالى **فارتقب** اي انتظر بكل جهدك عاليا عليهم ناظرا لاحوالهم
نظر من هو حارس لها **يوم تاتي السماء بدخان مبين** اي ظاهر **يغشى الناس** اي
المهددون بهذا فقالوا عندا تيانه **هذا عذاب اليم** اي يخلص وجعه
الى القلب فيبلغ في المه كما كنتم تولمون من يدعوكم الي الله تعالى واختلف
في هذا الدخان فروي ابو الضحى عن مسروق قال بينما رجل
يحدث في كندة قال يجيي دخان يوم القيامة فياخذ باسماع
المنافقين وابصارهم ويأخذ المومن كهيئة الزكام ففزعنا
فاتينا ابن مسعود وكان متكيا فغضب فجلس فقال من علم
فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله اعلم فان من العلم ان تقول لما لا تعلم لا اعلم
فان الله تعالى قال لنبيه قل ما اسئلكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين
فان قريشا ابطاوا عن الاسلام فدعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال
اللهم اعني عليهم بسبع كسبع يوسف فاخذتهم سنة حتى هلكوا فيها
واكلوا الميتة والعظام ويري الرجل ما بين السما والارض كهيئة الدخان
فجاء ابو سفيان فقال يا محمد جئت تامر بصلة الرحم وان قومك قد هلكوا
فادع الله فقرا يوم تاتي السما السما بدخان مبين الي قوله عايدون وهذا
قول ابن عباس ومقاتل ومجاهد واختار الفرا والزجاج وهو قول
ابن مسعود وكان ينكر ان هذا يكون الدخان الا هذا الذي اصابهم من
شدة الجوع كالظلمة في ابصارهم حتى كانوا كانهم يرون دخانا وذكر
ابن قتيبة في تفسير الدخان في هذه الحالة وجهين الاول ان في
سنة القحط يعظم يبس الارض بسبب انقطاع المطر يرتفع الغبار
الكثير ويظلم الهوا وذلك يشبه الدخان ويقولون كان بيننا
امر ارتفع له دخان ولهذا يقال للسنة المجدبة الغبرا الثاني ان
العرب يسمون الشي الغالب بالدخان والسبب فيه ان الانسان
اذا اشتد خوفه او ضعفه اظلمت عيناه ويري الدنيا كالمملوة
من الدخان ونقل عن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه انه دخان
يظهر في العالم وهو احدي علامات القيامة ويروي ايضا عن ابن
عباس في المشهور عنه لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
اول الايات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن
تسوق الناس الي المحشر تبيت معهم اذا باتوا وتقيل معهم اذا قالوا
قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الاية وقال يملا ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما
وليلة واما المومن فيصيبه كالزكمة واما الكافر فهو كالسكران

يخرج

يخرج من منخريه واذنيه ودبره وتكون الارض كلها كبيت اوقد فيه النار قال
صلى الله عليه وسلم بادروا باعمال ستا وذكر منها طلوع الشمس من مغربها
والدخان والدابة رواه الحسن واحتج الاولون بانه تعالى حكي عنهم بانهم
يقولون **ربنا اكشف عنا العذاب** ثم عللوا ذلك بما علموا انه الموجب
للكشف فقالوا موكدين **انا مومنون** اي عريقون في وصف الايمان
فاذا حمل علي القحط الذي وقع بمكة استقام فانه نقل ان الامر
لما اشتد علي اهل مكة مشي اليه ابو سفيان فناشده الله والرحم
وواعده ان دعا لهم وازال عنهم تلك البلية ان يومنوا به فلما ازالها
الله عنهم رجعوا الي شركهم اما اذا حمل علي ان المراد منه ظهور علامة مكة
من علامات القيامة لا يمكنهم ان يقولوا ربنا اكشف عنا العذاب
انا مومنون ولم يصح ايضا ان يقال انا كاشفوا العذاب قليلا انكم
عايدون قال البقاعي ويصح ان يراد به بعد طلوع الشمس من
مغربها روي الشيخان عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا
طلعت وراها الناس امنوا اجمعين وذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها
ثم قرا الاية **انى** اي كيف ومن اين **لهم الذكري** اي هذا التذكر
العظيم الذي وصفوا به انفسهم وقرا حمزة والكسائي بالامالة
محضة وقرا ابو عمرو بالامالة بين بين وورش بالفتح وبين اللفظين
والباقون بالفتح وكذلك الكبري **وقد** اي والحال انه قد **جاءهم** ما هو
اعظم من ذلك وادخل في وجوب الطاعة **رسول مبين** اي ظاهر غاية
الظهور وموضح غاية الايضاح وهو محمد صلى الله عليه وسلم واظهر دال
قد نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم وادغمها الباقون **ثم تولوا**
عنه اي اطاعوا ما دعاهم الي الادبار عنه من دواعي الهوي
ونوازع الشهوات والحظوظ **وقالوا** اي زيادة على اساءتهم بالتولي **معلم**
اي علمه غيره القران من البشر قال بعضهم فعلمه غلام اعجمي
لبعض ثقيف وقال اخرون انه **مجنون** اي يلقون الجن اليه
هذه الكلمات حال ما يعرض له الغشي **انا** اي على ما لنا من العظمة
كاشفوا العذاب اي بدعا النبي صلى الله عليه وسلم فانه دعا فرفع القحط
قليلا اي زمنا يسيرا فقيل الي يوم بدر وقيل ما بقي من اعمارهم
انكم عايدون اي ثابت عودكم عقب كشفنا عنكم الي الكفران
لما في جبلاتكم من العوج وطباعكم من المبادرة الي الزلل فاياكم هذا
الذي اخبر تم برسوخه عرض زايل وخيال باطل وقوله تعالى **يوم**
نبطش اي بما لنا من العظمة **البطشة الكبري** اي يوم بدر

منصوب باذكر او بدل من يوم تاتي والبطش الاخذ بقوة انا منتقمون
اي منهم في ذلك اليوم وهو قول ابن عباس واكثر العلماء وفي رواية عن
ابن عباس انه يوم القيمة ولقد فتنا اي اختبرنا بما لنا من العظمة فعل
الغائب وهو المختبر الذي يريد ان يعلم حقيقة الشيء بالاملاء والتمكين
ثم الارسال قبلهم اي هولاء العرب ليكون ما مضى من خبرهم عبرة
لهم قوم فرعون اي مع فرعون لانه لما كان فتنة لقومه كان فتنة له
لان الكبير ارسخ في الفتنة بما احاط به من الدنيا وسياتي التصريح
به في اخر القصة وجاءهم اي فرعون وقومه زيادة في فتنتهم رسول
كريم هو موسى عليه السلام قال الكلبي كريم على ربه بمعنى
انه تعالى اعطاه انواعا كثيرة من الاكرام وقال مقاتل حسن الخلق
وقال الفرا يقال فلان كريم قومه قيل ما بعث نبي الا من
اشراف قومه واكرمهم ثم فسر ما بلغهم من الرسالة بقوله ان ادوا
الي ما ادعوكم اليه من الايمان اي اظهروا طاعتكم بالايمان لي يا
عباد الله اي اطلقوا بني اسرائيل ولا تعذبوهم وارسلوهم معي
كقوله ارسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم اني لكم خاصة بسبب
ذلك رسول اي من عند من لا تكون الرسالة الكاملة الا منه
امين اي بالغ الامانة لان الملك الديان لا يرسل الا من كان
كذلك وقوله عليه السلام وان لا تعلوا معطوف على ان الاولى
اذ هذه مقطوعة في الرسم والمعنى لا تتكبروا على الله تعالى
باهانة وحيه ورسوله اني اتيكم بسلطان اي برهان مبين
اي بين على رسالتي فتوعدوه حتى قال لهم ذلك بالرجم فقال
واني عذت اي تحصنت اعتصمت وامتنعت بربي الذي
رباني على ما اقتضاه لطفه واحسانه الي وربكم الذي اعاذني
من تكبركم وقوة مكنتكم ان ترجمون اي ان يتجدد في وقت من
الاوقات قتل منكم فان قلت اني اخاف ان يقتلون فقال
تعالى سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون
اليكما باياتنا فهو من اعظم اياتي ان لا تصلوا الي مع قوتكم وكثرتكم
الي قتلي مع انه لا قوة لي بغير الله الذي ارسلني وقال ابن عباس
ان ترجمون بالقول وهو الشتم وتقولوا هو ساحر وقرا ابو عمرو
وحمزة والكسائي بادغام الذال في التا والباقون بالاظهار وقرا
ورش باثبات اليا بعد النون في ترجمون في الوصل دون الوقف
والباقون بغير يا وقفا ووصلا وكذلك فاعتزلون ولما كان
التقدير فان امنتم بذلك وسلمتم لي افلحتم عطف عليه قوله

وان لم

وان لم تؤمنوا لي اي تصدقوا لاجلي ما اخبرتكم به فاعتزلون اي كونوا بمعزل
مني لا علي ولا لي فلا تتعرضوا لي بسوء فانه لا يليق دعايكم الي ما فيه فلاحكم
والفاء في قوله تعالى فدعا تدل على انه متصل بمحذوف قبله وتاويله
انهم كفروا ولم يؤمنوا فدعا موسى عليه السلام ربه الذي احسن
اليه سياسته وسياسة قومه ثم فسر ما دعا به بقوله ان هولاء
اي الحقيرون الاراذل قوم لهم قوة على القيام فيما يحاولونه مجرمون
اي موصوفون بالعراقة في قطع ما امرت به ان يوصل فان قيل الكفر اعظم
حالا من الجرم فما السبب في انه جعل الكفار مجرمين حين اراد المبالغة
في ذمهم اجيب بان الكافر قد يكون عدلا في دينه وقد يكون فاسقا في
دينه والفاسق في دينه اخس الناس ثم تسبب عن دعايه لانه مما
يستجاب دعاوه قوله تعالى فاسر بعبادي اي بني اسرائيل الذين
ارسلناك لاسعادهم باستنقاذهم ممن يظلمهم وتفريغهم لعبادتي
وقوله تعالى ليلا نصب على الظرفية والاسرا سير الليل فذكر الليل
تاكيدا بغير اللفظ وانما امره بالسير ليلا بالليل لانه اوقع بالقبط موت
الابكار ليلا فامر فرعون موسى عليه السلام ان يخرج بقومه خوفا من
ان يموت مع القبط ولما علم الله تعالى انهم ان تاخروا الى ان يطلع الفجر
ويرتفع عنهم الموت منعوهم الخروج وان تاخروا الى اخر الليل ادركوهم
قبل الوصول الى البحر فقتلوهم علل هذا الامر بقوله موكدا لهم
لان حال القبط عند ما امروهم بالخروج كان حال من لا يقصد له الرجوع
في قوله انكم متبعون اي مطلوبون بغاية الجهد من عدوكم فلا يغرنكم
ما هم فيه عند امركم بالخروج من جزع من اقامتكم بين اظهرهم وسوالهم
لكم في الخروج عنهم بسبب وقوع الموت الناشي فيهم فان القلوب
بيد الله تعالى فهو يثني قلب فرعون بعد روية هذه الايات
حين يرتفع عنهم الموت ويفرغون من دفن موتاهم فيطلبكم لما دبرته
في القدم من سياستكم باغراقهم اجمعين ليظهر مجدي بذلك وارفع
عنهم روع مدافعتهم فاني اعلم انه لا قوة لكم ولا طاقة بهم فلا يكلفكم
لمباشرة شيء من امورهم وقرا نافع وابن كثير فاسر بوصل الهمزة
بعد الفا والباقون بقطعها قال الزمخشري وفيه وجهان اضمار
القول بعد الفا اي فقال اسر بعبادي وجواب شرط مقدر
كانه قال ان كان الامر كما تقول فاسر بعبادي قال ابو حيان وكثيرا
ما يدعي حذف الشرط ولا يجوز الا لدليل واضح كان يتقدمه الامر
او ما اشبهه يقال سرى واسرى لغتان ولما امره بالاسرا امره
بما يفعل فيه فقال تعالى واترك البحر اي اذا سريت بهم وتبعك

العدو وصلت اليه وامرناك بضربه ليبفتح لتدخلوا فيه فدخلتم وبحيتم
رهواً بعد خروجكم منه باجمعكم وفي الرهو وجهان احدهما انه
الساكن اي اتركه ساكنا قال الاعشي

يمشين رهوا فلا الاعجاز خاذلة ولا الصدور على الاعجاز تتكل

اي مشيا ساكنا على هينة بحيث يبقي المرتفع من مايه مرتفعا والمنخفض
منخفضا كالجدار وطريقه الذي سرتم به يابسا واسير سهل على
الحالة التي دخلتم فيها لان موسي لما جاوز البحر اراد ان يضربه بعصاه
فينطبق كما ضرب به فانفلق فامر ان يتركه ساكنا على هيئته قارا على
حاله ليدخله القبط فاذا حصلوا فيه اطبقه الله تعالى والثاني ان الرهو
الفجوة الواسعة وعن بعض العرب انه راي جملا فالجا فقال سبحان
الله رهوا بين سنامين اي اتركه مفتوحا على حاله منفرجا انهم جند
مغرقون اي متمكنون في هذا الوصف وان كان لهم وصف القوة والتجمع
الذي يحطه النجدة الموجبة للعلو في الامور ولما اخبر تعالى عن غرقهم اخبر
عن متخلفهم بقوله تعالى كم تركوا اي كثيرا ترك الذين سبق الحكم
باغراقهم فغرقوا من جنات اي بساتين هي في غاية ما يكون من طيب
الارض وكثرة الاشجار وذكا الثمار والنبات وحسنها الذي يستر
الهموم ودل على كرم الارض بقوله تعالى وعيون وزروع اي مجلس
شريف اي ماهو دون الاشجار وقرا ابن كثير وابن ذكوان وشعبة وحمزة
بكسر العين والباقين بضمها ثم اخبر عن منازلهم بقوله تعالى ومقام كريم
اي مجلس شريف مؤهل لان يقوم الانسان فيه لانه في النهاية فيما يرضيه
ونعمة وهي اسم للتنعم بمعنى الترفه والعيش اللين الرغد كانوا فيها
اي دايما فاكهين اي فعلهم في عيشهم فعل المتفكه المترفه لا فعل
من يضطر الي اقامة نفسه وقوله تعالى كذلك خبر لمبتدا مضمر اي
الامر كما اخبرنا به من تنعيمهم واخراجهم واغراقهم وانهم تركوا جميع ما
كانوا فيه لم يغن عنهم شي منه فلا يغتر احد بما ابتليناه من النعم
ليلا نصنع به من الاهلاك ما صنعنا بهم وقوله تعالى واورثناها اي
تلك الامور العظيمة عطف على تركوا قوما اي ناسا ذوي قوة على القيام
فيما يحاولونه وحقق انهم غيرهم تحقيقا لاغراقهم بقوله تعالى اخرين
ليسوا منهم في شي وهم بنو اسرايل وقيل غيرهم لانهم لم يعودوا الي مصر
بل سكنوا الارض المقدسة وقيل انتقل ملكهم من الارض المقدسة بمصر فورثوا
كنوزها واموالها ونعمها ومقامها الكريم وقوله تعالى فما بكت عليهم
السما والارض مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم لهوانهم واذا لم تبك المساكن
فما ظنك بالساكن الذي هو منو نقول العرب اذا مات رجل خطير في تعظيم مهلكه

خ الفالج من الجمال ماله سنامان اهـ من خط المولف

بكت عليه

بكت عليه السما والارض وبكت له الريح واظلمت له الشمس قال الفرزدق

فالشمس طالعة ليست بكاسفة تبكي عليك نجوم الليل والقمرا

وقالت الخارجية

ايا شجر الخابور مالك مورقا كانك لم تجزع على ابن طريف

وقال جرير

لما اتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجبال الخشع

وذلك على سبيل التخييل والتمثيل مبالغة في وجوب الجزع والبكا عليه قال
الزمخشري وكذلك ما يروي عن ابن عباس من بكا المصلي المومن واثاره
في الارض ومصاعد عمله ومهابط رزقه في السما تمثيل ونفي ذلك عنهم في قوله
تعالى فما بكت عليهم السما والارض تهكم بهم وبحالهم المنافية لحال من
يعظم فقده فيقال فيه بكت عليه السما والارض اهـ وروي انس بن مالك
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من مسلم الا وله في السما بابان
باب يخرج منه رزقه وباب يدخل منه عمله فاذا مات وفقداه بكيا عليه
وتلى هذه الاية وقال علي انه من اذا مات بكاه مصلاه من الارض ومصعد
عمله من السما وعن الحسن فما بكى عليهم الملايكة والمومنون بل كانوا بهلاكهم
مسرورين بمعنى فما بكى عليهم اهل السما واهل الارض وقال عطا بكا السما
حمرة اطرافها وقال السدي لما قتل الحسين بن علي بكت عليه السما وبكاوها
ها حمرتها وقرا ابو عمرو عليهم في الوصل بكسر الها والميم وحمزة والكسائي
بضمهما والباقون بكسر الها وضم الميم واما الوقف فحمزة بضم الها والباقون
بالكسر وما كانوا منظرين اي لما جاء وقت هلاكهم لم يمهلوا الى وقت اخر
لتوبة وتدارك تقصير ولما كان انقاذ بني اسرايل من القبط امرا باهرا لا يكاد
يصدق فضلا عن ان يكون باهلاك اعدايهم اكد سبحانه الاخبار بذلك
اشارة الي ما يحق له من العظمة تنبيها على انه قادر ان يفعل بهذا النبي
واتباعه كذلك وان كانت قريش يرون ذلك محالا وانهم في قبضتهم
فقال تعالى ولقد نجينا اي بما لنا من العظمة تنجية عظيمة بني اسرايل
عبدنا المخلص لنا من العذاب المهين اي من استعباد فرعون وقتله ابنايهم
وقوله تعالى من فرعون بدل من العذاب او جعله عذابا لافراطه في التعذيب
بيـ او حال من المهين اي واقعا من جهته انه كان عاليا اي في جبلته العراقة
في العلو من المسرفين اي العريقين في مجاوزة الحدود ولقد اخترناهم
اي بني اسرايل بما لنا من العظمة على علم اي عالمين بانهم احقا بان يختاروا
او يجوز ان يكون المعنى مع علمنا بانهم يزيغون ويفرط منهم الفرطات
في بعض الاحوال ثم بين المفضل عليه بعد ان بين المفضل بقوله تعالى
على العالمين اي الموجودين في زمانهم بما انزلنا عليهم من الكتب

وارسلنا اليهم من الرسل وقيل على الناس جميعا لكثرة الانبيا فيهم وقيل تام
دخله التخصيص ثم بين تعالى اثار الاخبار بقوله **واتيناهم** اي على
ما لنا من العظمة **من الايات** اي العلامات الدالة على عظمتنا واختيارنا
من حين اتى موسى عبدنا عليه السلام فرعون الى ان فارقهم بالوفاة وبعد
وفاته على ايدي المقررين الشريعة عليهم السلام **ما فيه بلاء** اي اختبار
مثله يميل من ينظره او يسمعه الى غير ما كان عليه وذلك بغرق البحر وتظليل
الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك مما رووه من الايات التسع **مبين**
اي بين في نفسه موضح لغيره **ان هولاء** اشارة الى كفار قريش لان الكلام فيهم
وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على انهم مثلهم في الاصرار على الضلال
والانذار عن مثل ما حل بهم **ليقولون** اي بعد قيام الحجة البالغة عليهم مبالغين
في الانكار **ان هي** اي ما هي وقولهم **الا موتتنا** على حذف مضاف اي ما الحياة
الا حياة موتتنا **الاولى** التي كانت قبل نفخ الروح كما سيأتي ان شاء الله تعالى
في الجاثية اذ هي لاحياتنا الدنيا قال الجلال المحلي ان هي ما الموتة
التي بعدها الحياة الا موتتنا الاولى وهم نطف وقرا حمزة والكسائي
بلا امالة محضة وابو عمرو بين بين وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون
بالفتح **وما نحن بمنشرين** اي بمبعوثين اي بحيث نصير ذوي حركة اختيارية
ننتشر بها بعد الموت يقال نشره وانشره احياه ثم احتجوا على نفي الحشر
والنشر بقولهم **فاتوا** اي ايها الزاعمون انا نبعث بعد الموت **باباينا**
اي لكوننا نعرفهم ونعرف وفور عقلهم **ان كنتم صادقين** اي ثابتا
صدقكم في انا نبعث يوم القيامة احياء بعد الموت ثم خوفهم الله تعالى
بمثل عذاب الامم الخالية فقال تعالى **اهم خير** اي في الدين والدنيا **ام قوم
تبع** اي ليسوا خيرا منهم فهو استفهام على سبيل الانكار قال ابو
عبيدة ملوك اليمن كل واحد منهم يسمى تبعا لان اهل الدنيا كانوا
يتبعونه في الجاهلية موضع الخليفة في الاسلام وهم الاعاظم في ملوك
العرب وقال قتادة هو تبع الحميري وكان من ملوك اليمن سمي بذلك
لكثرة اتباعه وكان هذا يعبد النار فاسلم ودعا قومه وهم حمير الى الاسلام
فكذبوه ولذلك سمى الله تعالى قومه ولم يذمه وعن النبي صلى الله عليه وسلم
لا تسبوا تبعا فانه كان قد اسلم وعنه صلى الله عليه وسلم ما ادري اكان
تبع نبيا او غير نبي وعن عائشة قالت لا تسبوا تبعا فانه كان رجلا صالحا
وذكر عكرمة عن ابن عباس انه كان تبع الاخر وهو ابو كرب اسعد بن مليك
وكان سار بالجيوش نحو المشرق وحير الحيرة وبنا فصكر سمرقند وملك
بتومه الارض طولها وكان اقرب الملكين الى قريش زمانا ومكانا وكان بمكة
المشرفة مما ليس لغيره من الاثار قال الرازي في اللوامع هو اول من كسا البيت

موضع تبع

الجزء ١

وبحر بالشعب ستة الاف بدنة واقام به ستة ايام وطاف به وحلق قال
البغوي بعد ان ذكر قصته مع الانصار لما قتل ابنه غيلة في المدينة الشريفة
وما وعظ به اليهود في الكف عن خراب المدينة لانها مهاجر نبي من قريش
انه صدقهم وتبع دينهم وذلك قبل نسخه وعن الرياشي امن تبع بالنبي
صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث بسبعمائة عام فان قيل ما معنى قوله
تعالى اهم خير في القوة والشوكة كقوله اكفاركم خير من اوليكم بعد
ذكر الفرعون ويجوز في قوله تعالى **والذين من قبلهم** اي مشاهير الامم
كمدين واصحاب الايكة والرس وثمود وعاد ثلاثة اوجه احدها
ان يكون معطوفا على قوم تبع ثانيها ان يكون مبتدا خبره **اهلكناهم** اي
بعظمتنا وان كانوا اصحاب مكنة وقوة واما على الاول فاهلكناهم اما
مستانف واما حال من الضمير المستكن في الصلة ثالثها ان يكون منصوبا
بفعل مقدر يفسره اهلكناهم ولا محل لاهلكناهم حينئذ **انهم كانوا** اي
جبلة وطبعا **مجرمين** اي عريقين في الاجرام فليحذر هولاء ان ارتكبوا
مثل افعالهم من مثل حالهم ولما انكر تعالى على كفار مكة قولهم ووصفهم
بانهم اضعف ممن كان قبلهم ذكر الدليل القطعي على صحة القول بالبعث
والقيامة فقال تعالى **وما خلقنا السموات** اي على عظمها واتساع كل واحد
منها واحتوائها لما تحتها وجمعها لان العمل كلما ازداد كان ابعد عن العبث ولما
كان الدليل على تطابق الارض دقيقا وحدها بقوله تعالى **والارض** اي
على ما فيها من المنافع **وما بينهما** اي النوعين وبين كل واحد منهما وما
يليها **لاعبين** اي على ما لنا من العظمة التي يدرك منزله ادنى عقل تعاليها
عن اللعب لانه لا يفعله الا ناقص ولو تركنا الناس يبغي بعضهم
على بعض كما تشاهدون ثم لا ناخذ لضعيفهم بحقه من قويهم لكان خلقنا
لهم لعبا بل اللعب اخف منه ولم نكن على ذلك التقدير مستحقين
لصفة القدوسية وقد تقدم تقرير هذا الدليل في اول سورة
يونس وفي اخر المومنين عند قوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا
وفي ص عند قوله تعالى وما خلقنا السما والارض وما بينهما باطلا
ما خلقناهما اي السموات والارض مع ما بينهما وقوله تعالى
الا بالحق حال اما من الفاعل وهو الظاهر واما من المفعول اي
الا محقين في ذلك يستدل به على وحدانيتنا وقدرتنا وغير ذلك
او متلبسين بالحق **ولكن اكثرهم** اي هولاء الذين انت بين اظهرهم
وهم يقولون ان هي الا موتتنا الاولى وكذا من نحا نحوهم **لا
يعلمون** اي انا خلقنا الخلق بسبب اقامة الحق فهم لاجل ذلك
يجترئون على المعاصي ويفسدون في الارض اي لا يرجون ثوابا

القاطع

ولا يخافون عقابا ولو تذكروا ما ذكرناه في جبلاتهم لعلموا علما ظاهرا انه الحق
الذي لا يعدل عنه كما يتولى حكامهم المناصب لاجل اظهار الحكم بين رعاياهم
ويشترطون الحكم بالحق ويوكدون على انفسهم انهم لا يتجاوزونه ولما ذكر
الدليل على اثبات البعث والقيامة ذكر عقبه يوم الفصل فقال تعالى
ان يوم الفصل اي يوم القيمة يفصل الله تعالى فيه بين العباد وقال
الحسن سمي بذلك لان الله تعالى يفصل فيه بين اهل الجنة واهل النار
وقيل يفصل فيه بين المومن وما يكرهه وبين الكافر وما يريده ميقاتهم
اي موعدهم الذي ضرب لهم في الازل وانزلت به الكتب على السنة الرسل
اجمعين لا يتخلف عنه احد ممن مات من الجن والانس والملائكة وجميع
الحيوانات وقوله تعالى يوم لا يغني اي بوجه من الوجوه بدل من يوم
الفصل او منصوب باضمار اعني او صفة لميقاتهم ولا يجوز ان
ينتصب بالفصل نفسه لما يلزم من الفصل بينهما باجنبي وهو
ميقاتهم مولى من قرابة او غيرها عن مولى بقرابة او غيرها اي لا يدفع
عنه شيئا من الاشياء كثر او قل ولا هم اي الغنمان(؟) ينصرون
اي ليس لهم ناصر يمنعهم من عذاب الله تعالى تنبيه المولى اما في
الدين او في النسب او العتق وكل هولاء يسمون بالمولى فلما لم تحصل
النصرة منهم فبان لا تحصل ممن سواهم اولى ونظير قوله هذه الاية
تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا الى قوله تعالى ولا هم ينصرون
وقال الواحدي المراد بقوله تعالى مولى عن مولى الكفار لانه ذكر بعده
المومن فقال تعالى الا من رحم الله اي اراد اكرامه الملك الاعظم والمومنون
يشفع بعضهم لبعض باذن الله تعالى في الشفاعة لاحدهم فيلزم الشافع فيه
وقال ابن عباس يريد المومن فانه يشفع له الانبياء والملائكة تنبيه يجوز
في الا من رحم اوجه احدها وهو قول الكسائي انه منقطع ثانيها انه متصل
تقديره لا يغني قريب عن قريب الا المومنين فانه يوذن لهم في الشفاعة
فيشفعون كما مر ثالثها ان يكون مرفوعا على البدلية من مولى الاول
ويكون يغني بمعنى ينفع قاله الحوفي رابعها انه مرفوع المحل على البدل
من واو ينصرون اي لا يمنع من العذاب الا من رحمه الله انه اي وحده
هو العزيز اي المنيع الذي لا يقدح في عزته عفو ولا عقاب بل ذلك
دليل على عزته فانه يفعل ما يشاء فيمن يشاء من غير مبالاة باحد
الرحيم الذي لا يمنع عزته ان يكرم من يشاء ولما ذكر وصف تعالى اليوم
ذكر بعده وعيد الكفار فقال سبحانه ان شجرت الزقوم هي من اخبث
الشجر المر بتهامة ينبتها الله تعالى في الجحيم وقدم الكلام عليها في
الصافات ورسمت بالتاء المجرورة فوقف عليها ابو عمرو وابن كثير

في بعضهم ٣

والكسائي

٣٤٧

والكسائي ووقف الباقون بالتاء على الرسم طعام الاثيم اي المبالغ في
اكتساب الاثام حتى صارت به الى الكبر قال اكثر المفسرين هو ابو جهل
كالمهل اي وهو ما يمهل في النار حتى يذوب من ذهب او فضة ومن
كل ما في معناهما من المنطبعات سواء كان من صفر او حديد او رصاص وقيل
هو عكر القطران وقيل عكر الزيت وقرأ يغلي في البطون اي من شدة
الحر ابن كثير وحفص بالياء التحتية على ان الفاعل ضمير يعود على طعام وجوز
ابو البقاء ان يعود على الزقوم وقيل يعود على المهل نفسه والباقون بالتاء
الفوقية على ان الفاعل ضمير الشجرة تغلي اي مثل غلي الحميم اي الماء الذي
تناهى حره مما يوقد تحته وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لو ان قطرة من الزقوم قطرت في الدنيا لافسدت على اهل الدنيا معايشهم
فكيف بمن يكون طعامه ويقال للزبانية خذوه اي هذا الاثيم اخذ قهر
فلا تدعوه يملك من امره شيئا فاعتلوه اي جروه بقهر بغلظة وعنف
وسرعة الى العذاب والاهانة بحيث يكون كانه محمول وقرا ابن نافع
وابن كثير وابن عامر بضم التاء والباقون بكسرها وهما لغات
في مضارع عتل قال البقاعي وقراءة الضم ادل على تناهي الغلظة والشدة
من قراه بالكسر الى سواء الجحيم اي وسط الجحيم اي النار التي هي غاية في
الاضطرام والتوقد وهي موضع خروج الشجرة التي هي طعامه ثم
صبوا فوق راسه ليكون المصبوب محيطا بجميع جسده من
عذاب الحميم اي من الحميم الذي لا يفارقه العذاب فهو ابلغ مما في
اية يصب من فوق رؤسهم الحميم ويقال له توبيخا وتقريعا ذق
اي العذاب انك واكد بقوله انت اي وحدك دون هولاء الذين يخبرون بحقارتك
بزعمك وقولك ما بين جبليها اعز واكرم مني وقرا الكسائي بفتح الهمزة بعد
القاف على معنى العلة اي لانك وقيل تقديره ذق انك انت العزيز والباقون
بالكسر على الاستئناف المفيد للعلة فتتحد القراءتان معنى
وهذا الكلام الذي ذكر على سبيل التهكم اغيظ للمستهزئ به ومثله
قول جرير لشاعر سمى نفسه زهرة اليمن

الم تكن في رسوم قد رسمت بها ۔ من كان موعظة يا زهرة اليمن

وكان هذا الشاعر قد قال

ابلغ كليبا وابلغ عنك شاعرها ۔ اني الاغر واني زهرة اليمن

او يقال لهم ان هذا اي الذي ترون من العذاب ما كنتم به اي
جبلة وطبعا تمترون اي تتجادلون انفسكم وتحملونها على الشك فيه
وتردونها عما الهمها من الفطرة الاولى من التصديق بالممكن لاسيما من
جرب صدقه وظهرت خوارق العادات على يده بحيث كنتم لشدة

الجحيم ٢

يخبرون بحقارتك العزيز الكريم

عذاب الحميم ٣

ردكم له كانهم مخصوصون بالشك ولما ذكر تعالى وعيد الكفار اردفه بايات الوعد فقال **ان المتقين** اي المتقين في هذا الوصف **في مقام** اي موضع اقامة لا يريد الحال فيه تحولا عنه **امين** اي يامن صاحبه فيه من كل ما لا يحبه وقرا نافع وابن عامر بفتح الميم والباقون بضمها على المصدر اي في اقامة وقوله تعالى **في جنات** اي بساتين تقصر العقول عن ادراك كل وصفها بدل من قوله تعالى في مقام امين او خبر ثان وقرا **وعيون** ابن كثير وابن ذكوان وشعبة وحمزة والكسائي بكسر العين والباقون بضمها ولما كان لا يتم العيش الا بكسوة البدن اشار الى ذلك بقوله تعالى **يلبسون** ودل على الكثرة جدا بقوله تعالى **من سندس** وهو ما رق من الحرير يعمل وجوها **واستبرق** هو ما غلظ منه يعمل بطاين وسمي بذلك لشدة بريقه وقوله تعالى **متقابلين** اي في مجلسهم ليستانس بعضهم ببعض حال من الضمير المستكن في الجار او خبر لان فيتعلق الجار به او مستانف فان قيل الجلوس على هذه الهيئة موحش لان كل واحد منهم يصير مطلعا على ما يفعل الاخر وايضا فقليل الثواب اذا اطلع على كثيره ينغص عليه اجيب بان احوال الاخرة ليست كاحوال الدنيا وقد قال تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل وقوله تعالى **كذلك** يجوز فيه وجهان احدهما النصب نعتا لمصدر اي نفعل بالمتقين فعلا كذلك ولما كان ذلك لا يتم السرور به الا بالازواج قال تعالى **وزوجناهم** اي قرناهم كما تقترن الازواج وليس المراد به العقد لان فايدة العقد الحل والجنة ليست بدار تكليف من تحليل او تحريم **بحور** اي جوار بيض حسان نقيات الثياب **عين** اي واسعات الاعين قال البيضاوي واختلف في انهن نساء الدنيا او غيرها ولما كان الشخص في الدنيا يجتني كلف النفقات وصف ما هنالك من سعة الخيرات فقال تعالى **يدعون** اي يطلبون طلبا هو غاية المسرة **فيها** اي الجنة اي يوتون **بكل فاكهة** اي لا يمتنع عليهم صنف من الاصناف لبعد مكان ولا فقدان ولا غير ذلك من الشان وفي ذلك ايذان بانه مع سعته ليس فيه شي لاقامة البنية وانما هو للتفكه والتلذذ حال كونهم مع ذلك **امنين** في غاية الامن من كل خوف **لا يذوقون فيها** اي الجنة **الموت** لانها دار خلود لا دار فناء وقوله تعالى **الا الموتة الاولى** فيه اوجه احدها انه استثنا منقطع اي لكن الموتة الاولى قد ذاقوها ثانيها انه متصل لها وتاولوه بان المومن عند موته في الدنيا يصير بلطف الله كانه في الجنة لاتصاله باسبابها ومشاهدته اياها وما يعطاه من نعيمها فكانه مات فيها ثالثها ان الا بمعنى بعد اي لا يذوقون فيها الموت بعد الموتة الاولى في الدنيا واختاره

لعله وقرا نافع وابن عامر بضم الميم والباقون بفتحها

اي سوى الموتة التي ذاقوها في الدنيا كما في قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف اي سوى ما قد سلف ان الا بمعنى بعد

الطبري

الطبري لكن نوزع بان الا بمعنى بعد لم يثبت وقد يجاب بان من حفظ حجة على من لم يحفظ خامسها قال الزمخشري اريد ان يقال لا يذوقون فيها الموت البتة فوضع قوله الا الموتة الاولى موضع ذلك لان الموتة الثانية محال ذوقها في المستقبل فهو من باب التعليق بالمحال كانه قيل ان كانت الموتة الاولى يستقيم ذوقها في المستقبل فانهم يذوقونها سادسها المراد بالمتقين اعم من الراسخين وغيرهم وان ضمير ما فيها يرجع للاخرة فالعاصي اذا اراد الله تعذيبه بالنار يذيقه فيها موتة اخرى كما جاء في الاحاديث الصحيحة فيكون على الجميع ان الموتة الاولى في الجنة المجازية فلا يكون ذلك تعليقا بالمحال وذلك ان المتقي لم يزل فيها في الدنيا قال بعض العلما الدنيا اذا خضعت في حق المتقي فانها جنة صغرى لتوليه سبحانه اياه فيها وقربه منه ونظره اليه وذكره له وعبادته اياه وشغله به وهو معه اينما كان فان قيل اهل النار لا يذوقون الموت اصلا فلم بشر اهل الجنة بهذا مع ان اهل النار يشاركونهم فيه اجيب بان البشارة ما وقعت بدوام الحياة فقط بل مع حصول تلك الخيرات والسعادات فافترقا **ووقاهم** اي المتقين **عذاب الجحيم** اي التي تقدم انها لكل كفار اثيم واما غير المتقين من العصاة فيدخل الله تعالى من اراد منهم النار فيعذب كل منهم على قدر ذنوبه ثم يميتهم فيها ويستمرون الى ان ياذن الله بالشفاعة فيهم فيخرجهم ثم يحييهم بما يرش عليهم من ما الحياة ثم يدخلهم الله تعالى الجنة روي عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل اناس في النار حتى اذا صاروا فحما ادخلوا الجنة فيقول اهل الجنة من هولا فيقال لهم الجهنميون وروي انه صلى الله عليه وسلم قال يعذب ناس من اهل التوحيد في النار حتى يكونوا فيها حمما ثم تدركهم الرحمة فيخرجون ويطرحون على ابواب الجنة فيرش عليهم اهل الجنة الما فينبتون كما ينبت الغثا في حمالة السيل ثم يدخلون الجنة وقوله تعالى **فضلا** مفعول لاجله اي فعل ذلك بهم لاجل الفضل وجعله ابو البقا منصوبا بمقدر اي تفضلنا بذلك فضلا اي تفضلا تنبيه احتج اهل السنة بهذه الاية على ان الثواب يحصل من الله فضلا واحسانا وان كل ما وصل اليه العبد من الخلاص من النار والفوز بالجنة فانما يحصل بفضل الله تعالى **فضلا من ربك** اي المحسن اليك بكمال احسانه الى اتباعك احسانا يليق بك قال الرازي في اللوامع روية الفضل في جميع الاحوال ولما عظمه تعالى باظهار هذه الصفة مضافة اليه صلى الله عليه وسلم زاد في تعظيمه بالاشارة باداة البعد فقال تعالى **ذلك** اي الفضل العظيم الواسع **هو** اي خاصة **الفوز** اي الظفر بجميع المطالب **العظيم** لانه خلاص عن المكاره ولم يدع جهة من الشرف الا ملاها وهذا يدل على ان هذا الفضل اعلى من

درجات الثواب المستحق لانه تعالى وصفه بكونه فوزا عظيما وايضا فان الملك العظيم اذا اعطى الاجير اجرته ثم خلع على انسان اخر فان تلك الخلعة اعلى من اعطاء الاجرة ولما بين تعالى الدليل وشرح الوعد والوعيد قال تعالى فانما يسرناه اي سهلنا القران سهولة كبيرة بلسانك اي هذا العربي وهم عرب تجمعهم الفصاحة لعلهم يتذكرون اي يفهمونه فيتعظون به وان لم يتعظوا به ولم يؤمنوا به فارتقب اي فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون اي منتظرون ما يحل بك مفعولا الارتقاب محذوفان اي فارتقب النصر من ربك انهم مرتقبون بك ما يتمنونه من الدوائر والغوائل ولن يضرك ذلك وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري انه صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة حم الدخان ليلة جمعة اصبح مغفورا له رواه الترمذي وزاد الزمخشري من قرا حم الدخان في ليلة اصبح يستغفر له سبعون الف من الملائكة ملك ورواه البغوي عن ابي هريرة قال ابن عادل قال ابو امامة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرا حم الدخان ليلة الجمعة او يوم الجمعة بنا الله له بيتا في الجنة

سورة الجاثية مكية

الا قل للذين امنوا يغفروا الاية وهي سبع وثلاثون اية واربعماية وثمانون كلمة والفان وماية واحدى وتسعون حرفا بسم الله الذي تفرد بتمام العز والكبريا الرحمن الذي احكم رحمته بالبيان العلم للسعداء والاشقياء الرحيم الذي خص بملابسة طاعته الاولياء وتقدم الكلام على قوله تعالى حم ثم ان جعلتها اسما مبتدا مخبرا عنه بقوله تعالى تنزيل الكتاب اي الجامع لكل خير لم يكن بد من حذف مضاف تقديره تنزيل حم تنزيل الكتاب وقوله تعالى من الله اي المحيط بصفات الكمال صلة للتنزيل وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل الكتاب مبتدا والظرف خبرا العزيز في ملكه الحكيم في صنعه ولما كانت الحواميم كما روى ابو عبيدة في كتاب الفضايل عن ابن عباس لباب القران حوت ذكر ما ذكر في البقرة من قوله تعالى خلق ليكون ما هنا اشمل فقال تعالى ان في السموات اي ذواتها بما لها من الدلالة على صانعها وخلقها على ما فيها من العبر بما فيهما من المنافع وعظيم الصنعة وما لهما من الشفوف الدال على تعددها بما فيهما من الكواكب والارض كذلك وبما حوت من المعادن والمعاين لايات اي دلالات على وجود الاله القادر الفاعل المختار فان من المعلوم انه لا بد لكل ذلك من صنعه صانع متصف بذلك وقال تعالى للمؤمنين لانهم برسوخهم في هذا الوصف الشريف اهل للنظر لان ربهم يهديهم بايمانهم فشواهد الربوبية لهم منهما

لايحة وادلة الهية فيها واضحة ولما ذكر سبحانه في النظر في ايات الافاق اتبعها ايات الانفس بقوله تعالى وفي خلقكم اي خلق كل منكم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة الى ان صار انسانا المخالف لخلق الارض التي انتم منها بالاختيار والعقل والانتشار والقدرة على النار والضار وما اي وخلق اي وفي خلق ما يبث اي ينشر ويفرق بالحركة الاختيارية بشاغل سبيل التجدد والاستمرار من دابة مما تعلمون ومما لا تعلمون مما في ذلك من المنافع مشاركتكم بالاختيار والهداية للمنافع بادراك الجزئيات ومخالفتكم في الصورة والعقل وادراك الكليات وغير ذلك من مخالفة الاشكال والطبايع والمنافع وغير ذلك ايات دالة على قدرة الله تعالى ووحدانيته وقرا حمزة والكسائي بكسر التاء حملا على اسم ان لو الباقون بالرفع حملا على محل ان واسمها قال تعالى لقوم وفيهم اهلية القيام بما يحاولونه يوقنون اي يتجدد لهم العروج في درجات الايمان الى ان يصلوا الى شرف الايمان فلا يخالجهم شك في وحدانيته واختلاف الليل والنهار بذهاب احدهما ووجود الاخر بعد ذهابه على التعاقب اية منكرة للدلالة على القدرة على الايجاد بعد الاعدام بالبعث وغيره وما انزل الله اي الذي تمت عظمته فنفذت كلمته من السما من رزق اي مطر وغيره من الاسباب المهيئة لاخراج الرزق فاحيا به اي بسببه الارض اي الصالحة للحياة ولذلك قال تعالى بعد موتها اي يبسها وتهشم ما كان فيها من النبات وتصريف اي تحويل الرياح باختلاف جهاتها واحوالها وقرا حمزة والكسائي بالتوحيد والباقون بالجمع وقوله تعالى ايات فيه القراءتان المتقدمتان اما الرفع فظاهر واما الكسر ففيه وجهان احدهما انها معطوفة على اسم ان والخبر قوله وفي خلقكم كانه قيل وان في خلقكم وما يبث من دابة ايات وان في ان تكون كررت تاكيدا لايات الاولى ويكون في خلقكم معطوفا على في السموات كرر معه حرف الجر توكيدا ونظيره ان تقول ان في بيتك زيدا وان في السوق زيدا فزيدا الثاني تاكيد للاول كانك قلت زيدا زيدا في بيتك وفي السوق وليس في هذه عطف على معمولي عاملين البتة ولما كانت هذه الاية اوضح دلالة من بقيتها على البعث قال تعالى فيها لقوم يعقلون الدليل فيؤمنون وابدى بعض المفسرين معنى لطيفا فقال ان المنصفين اذا نظروا في السموات والارض وانهما لا بد لهما من صانع امنوا واذا نظروا في خلق انفسهم ونحوها ازدادوا ايمانا فايقنوا فاذا نظروا في ساير الحوادث عقلوا واستحكم علمهم ولما ذكر هذه الايات العظيمات قال تعالى مشيرا الى علو رتبتها باداة البعد تلك اي الايات المذكورة ايات الله اي حجج المحيط بصفات الكمال التي لا شي اجل منها الدالة

على وحدانيته تتلوها اي نقصها عليك سوآ كانت مرئية ام مسموعة
متلبسة بالحق اي الامر الثابت الذي لا يستطاع تحويله لبين سحر
ولا كذب فباي حديث اي خبر عظيم صادق يتجدد علمه به يستحق ان
يتحدث به واستغرق كل حديث فقال تعالى بعد الله اي حديث
الملك الاعظم وهو القرآن وآياته اي حججه يؤمنون اي كفار
مكة اي لا يؤمنون وقرا ابن عامر وشعبة والكسائي بتا الخطاب والمراد بالـ
ذلك الخطاب مصروفا لخطاب النبي صلى الله عليه وسلم نتلوها عليك
بالحق والباقون بيا الغيبة ردوع على قوله تعالى وفي خلقكم وهو اقوي تبكيتا
ولما بين الآيات للكفار وبين انهم اذا لم يؤمنوا بها بعد ظهورها فباي
حديث بعده يؤمنون اتبعه بوعيد عظيم لهم فقال تعالى ويل لكل افاك اي
مبالغ في صرف الحق عن وجهه اثيم اي مبالغ في اكتساب الاثم ومن
بيني مصرا على الانكار والاستكبار قال المفسرون يعني النضر بن الحارث
والآية عامة في من كان موصوفا بهذه الصفة ونسر هذا بقوله تعالى يسمع
آيات الله اي الدلالات الملك الاعظم الظاهرة حال كونها تتلى عليه بجميع
ما فيها وهي القرآن من سهولة فهمها وعذوبة لفظها الفاظها وظهور معانيها
وجلالة مقاصدها مع الاعجاز وهي القرآن العظيم فكيف اذا كان التالي
اشرف الخلق وقرا حمزة والكسائي بامالة محضة وورش بالفتح وبين
اللفظين والباقون بالفتح ثم يصر اي يدوم دواما عظيما على قبح ما هو
فيه حال كونه مستكبرا اي طالبا الكبر عن الاذعان وموجدا له
كان اي كانه لم يسمعها اي حاله عند السماع وقبله وبعده
على حد سوا فبشره اي على هذا الفعل الخبيث بعذاب اليم اي مولم
والبشارة على الاصل والتهكم وقرا ابن كثير وحفص اليم بالرفع والباقون
بالجر واذا علم اي بلغ من آياتنا اي القرآن شيئا وعلم انه من
آياتنا اتخذها هزوا اي مهزوا بها تنبيه في الضمير المؤنث وجهان
احدهما انه عائد على آياتنا يعني القرآن والثاني انه يعود على شي وان كان
مذكرا لانه بمعنى الآية كقول ابي العتاهية
نفسي بشي من الدنيا معلقة * الله والقايم المهدي يكفيها
لانه اراد بشي جارية يقال لها عتبة والمعنى اتخذ ذلك الشي هزوا
الا انه تعالى قال اتخذها للاشعار بان هذا الرجل اذا احس
بشي من الكلام انه من جملة الآيات المنزلة على محمد صلى الله عليه وسلم
خاض بالاستهزا بجميع الآيات ولم يقتصر على الاستهزا بذلك الواحد
وقوله تعالى اولئك لهم عذاب مهين اي ذو اهانة اشارة الى معنى كل
افاك اثيم ليدخل فيه جميع الافاكين فحمل اولا على لفظها فافرد

ثم

ثم على معناها فجمع كقوله تعالى كل حزب بما لديهم فرحون ثم وصف تعالى كيفية ذلك
العذاب فقال من ورائهم اي امامهم لانهم في الدنيا جهنم قال الزمخشري
والورا اسم للجهة التي يواريها الشخص من خلف او قدام قال *
اليس ورائي ان تراخت منيتي * ادب مع الولدان ازحف كالنسر *
ومنه قوله تعالى من ورائهم اهـ ثم بين تعالى ان ما ملكوه في الدنيا لا ينفعهم بقوله
تعالى ولا يغني اي ولا يدفع عنهم ما كسبوا من الاموال في رحلهم ومنا جرمهم
والاولاد شيئا من الاغنا وقوله تعالى ولا ما اتخذوا من دون الله اوليا اي
من الاوثان عطف على ما كسبوا وما فيهما اما مصدرية او بمعنى الذي اي
لا يغني عنهم كسبهم ولا اتخاذهم او الذي كسبوه ولا الذي اتخذوه ولهم
عذاب عظيم لا يدع جهة من جهاتهم ولا زمانا من ازمانهم ولا عضوا من
اعضائهم الا ملاه فان قيل قال تعالى في الاول مهين وفي الثاني عظيم
فما الفرق بينهما اجيب بان كون العذاب مهينا يدل على حصول الاهانة مع
العذاب وكونه عظيما يدل على كونه بالغا اقصى الغايات في الضرر وقوله تعالى
هذا هدى اشارة الى القرآن يدل عليه قوله تعالى والذين كفروا بآيات بهم
ربهم اي القرآن اي هذا القرآن كامل في الهداية كما تقول زيد رجل اي كامل في
الرجولية وايما رجل لهم عذاب كاين من رجز اي شديد العذاب اليم
اي بليغ الايلام ولما ذكر سبحانه ذكر الربوبية ذكر بعد آثارها وما فيهما من آياته
فقال مستانفا دالا على عظمتها بالاسم الاعظم الله اي الملك الاعلى
المحيط بجميع صفات الكمال الذي سخر اي وحده من غير حول منكم في
ذلك بوجه من الوجوه لكم البحر ايها الناس بركم وفاجركم بما جعل فيه
مما لا يقدر عليه الا واحد لا شريك له فاعل بالاختيار من القابلية
للستر فيه من الرقة والليونة لتجري الفلك اي السفن فيه بامره اي
باذنه ولو كانت موقرة باثقال الحديد الذي يغوص فيه اخف شي
منه كالابرة وما دونها ففي ذلك دلالة ظاهرة على وحدانيته لان
جريان الفلك على وجه البحر لا يحصل الا بثلاثة اشيا احدها الرياح
التي توافق المراد وثانيها خلق وجه الما على وجه الملاسة التي يجري
عليها الفلك وثالثها خلق الخشبة على وجه يبقى طافية ولا تغرق
فيه وهذه الاحوال لا يقدر عليها احد من البشر ولتبتغوا اي تطلبوا
بشهوة نفس واجتهاد بما تحملون فيه من البضايع وتتوصلون اليه من
الاماكن والمقاصد والغوص على اللولو والمرجان وغير ذلك من فضله
لم يصنع شيئا منه سواه ولعلكم تشكرون نعمه على ذلك وسخر لكم
ما في السموات من شمس وقمر ونجم بها وغير ذلك بحيث لا يمكنكم
الوصول اليه بوجه وما في الارض من دابة وشجر ونبات وانهار

وغيره ولوشاء لجعله كما في السما لا وصول لكم اليه وقوله تعالى **جميعا** تاكيد
لما دل عليه ما مضى من العموم وقيل حال مما في السموات وما في الارض
وقوله تعالى **منه** حال اي سخرها كاينة منه تعالى لا صنع لاحد غيره في
شي من ذلك قال ابن عباس كل ذلك رحمة منه وقال الزجاج كل ذلك
بفضل منه واحسان وقال بعض العارفين سخر لك الكل لئلا يسخرك
بشي منها فتكون مسخرا لمن سخر لك الكل وهو الله تعالى فانه يقبح بالمخدوم
ان يخدم خادمه **ان في ذلك** اي الامر العظيم من تسخيره لنا كل شي في
الكون **لايات** اي دلالات واضحات على انه هو بالانفات الي غيره في ضلال
مبين بعد تسخيره لنا ما لنا من الاعضا والقوي على هذا الوجه البديع مع
ان من هذا المسخر لنا ما هو اقوى منا **لقوم** اي ناس فيهم اهلية القيام
بما يجعل اليهم **يتفكرون** فيعلمون انه المتوحد باستحقاق الالهية
فلا يشركون به شيا واختلف في سبب نزول قوله تعالى **قل** اي يا افضل
الخلق **للذين امنوا** ادعوا التصديق بكل ما جاهم عن الله تعالى **يغفروا** اي
يستروا ستراً بالغا **للذين لا يرجون ايام الله** اي مثل وقايع الملك الاعظم
المحيط بصفة الكمال فقال ابن عباس نزلت في عمر بن الخطاب وذلك انهم
نزلوا في غزاة بني المصطلق على بير يقال له المريسيع فارسل عبد الله بن ابي
غلامه ليستقي الماء فابطا عليه فلما اتاه قال له ما حبسك قال
غلام عمر قعد على طرف البير فما ترك احدا يستقي حتى ملاء قرب النبي
وقرب ابي بكر فقال عبد الله ما مثلنا ومثل هولاء الا كما قيل سمن كلبك
ياكلك فبلغ ذلك عمر فاشتمل سيفه يريد التوجه له فانزل الله تعالى
هذه الاية وقال رجل من بني غفار شتم عمر بمكة فهم عمر ان يبطش به
فنزلت وامر بالعفو والتجاوز وروي ميمون بن مهران ان فنحاص اليهودي
لما نزل قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قال احتاج رب
محمد فسمع ذلك عمر فاشتمل على سيفه وخرج في طلبه فبعث النبي صلى
الله صلى الله عليه وسلم اليه فرده وقال القرطبي والسدي نزلت
في ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل مكة كانوا
في اذى كثير من المشركين قبل ان يومروا بالقتال فشكوا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ثم نسختها اية القتال قال الرازي
وانما قالوا بالنسخ لانه يدخل تحت الغفران ان لا يقتلوا ولا يقاتلوا
فلما امر الله تعالى بالمقاتلة كان نسخا والاقرب ان يقال انه محمول على
ترك المنازعة وعلى التجاوز فيما يصدر عنهم من الكلمات الموذية وقال
ابن عباس لا يرجون ايام الله اي ثوابه ولا يخافون عقابه ولا يخشون
مثل عذاب الامم الماضية وتقدم تفسير ايام الله عند قوله تعالى وذكرهم

بايام الله

بايام الله وقوله تعالى **ليجزي قوما بما كانوا يكسبون** علة للامر والقوم هم المومنون
او الكافرون او كلاهما فيكون التنكير للتعظيم او التحقير او للتنويع او لكسب
المغفرة او الاساة او ما يعمهما وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي بالنون لنجزي
نحن بما لنا من العظمة والباقون باليا التحتية اي ليجزي الله سبحانه ولما
رغب سبحانه ورهب وقرر انه لا بد من الجزا اذ في الترغيب والترهيب
بان النفع والضر لا يبعد وهم فقال تعالى شارحا للجزا **من عمل صالحا** قل
او جل **فلنفسه** اي خاصة عمله يري جزاه في الدنيا والاخرة وهذا
مثل ضربه الله تعالى للذين يغفرون **ومن اسا** كذلك **فعليها** خاصة
اساته كذلك وهذا مثل ضربه الله تعالى للكفار الذين كانوا يوذون
الرسول والمومنين وذلك في غاية الظهور لانه لا يسوغ في عقل عاقل
ان ملكا يدع عبيده من غير جزا ولا سيما اذا كان حكيما وان كانت نقايص
النفوس غطت على كثير من العقول ذلك **ثم** اي بعد الابتلا بالاء
في الدنيا والحبس في البرزخ **الى ربكم** اي المالك لكم لا الى غيره **ترجعون**
اي تصيرون فيجازي المصلح والمسي **ولقد اتينا** اي على ما لنا من العظمة
بني اسرايل الكتاب اي الجامع للخيرات وهو يعم التوراة والانجيل والزبور
والفرقان وغيرها مما انزل على انبيايهم **والحكم** اي العلم والعمل الثابتين
اثبات الاحكام بحيث لا يتطرق اليهما فساد بما للعلم من الزينة بالعمل
وللعمل من الاء تقان بالعلم **والنبوة** التي تدرك بها الاخبار العظيمة
التي لا يمكن ابلاغ الخلق عليها بلوغ اكتساب منهم فاكثرنا فيهم من الانبيا
ورزقناهم بما لنا من العظمة لاقامة ابدانهم **من الطيبات** اي الحلالات
من المن والسلوي وغيرها **وفضلناهم** اي بما لنا من العزة **على العالمين**
قال اكثر المفسرين عالمي زمانهم وقال ابن عباس لم يكن احد من العالمين
اكرم على الله ولا احب اليه منهم اي لما اتاهم من الايات المرئية والمسموعة
واكثر فيهم من الانبيا مما لم يفعل لغيرهم ممن سبق وكل ذلك فضيلة
ظاهرة واتيناهم مع ذلك **بينات من الامر** اي الموحى به الى
انبيايهم من الادلة القطعية والاحكام والمواعظ المويدة بالمعجزات
ومن صفات الانبيا الاتين بعدهم وغير ذلك مما هو في غاية الوضوح لمن
قضينا بسعادته وذلك امر يقتضي الالفة والاجتماع وقد كانوا
متفقين في غاية وهم في زمن الضلال لا يختلفون الا اختلافا
يسيرا لا يضر مثله ولا يعد اختلافا فلما جاءهم العلم اختلفوا كما قال
تعالى **فما اختلفوا** اي اوقعوا الاختلاف والافتراق بغاية جهدهم
الا من بعد ما جاءهم العلم اي الذي من شانه الجمع على العلوم فكان هو سبب
الاجتماع سببا لهم في الافتراق **بغيا** اي للمجاوزة في الحد ودالي

ملاء

اقتضاها الهم طلب الرياسة والحسد وغيرهما من نقايص النفوس بينهم
اي وافعا فيهم لم يعدهم الي غيرهم وقد كانوا قبل ذلك وهم تحت ايدي
القبط في غاية الاتفاق واجتماع الكلمة علي الرضا بالذل ولذلك اسند
قوله تعالى الذي اقتضاه الحال علي ما يشاهد من العباد من افعال الملوك
فيمن خالف اوامرهم موكدا لاجل انكارهم ان ربك اي المحسن اليك
يقضي بينهم اي باحصاء الاعمال والجزاء عليها يوم القيمة اي الذي
ننكره قومك الذين قام برسالتك فيما كانوا اي لما لهم كالجبلة فيه
يختلفون بغاية الجهد والمعنى انه لا ينبغي للمحق المبطل بطلب لدنيا
فانها وان ساوت نعم المحق او زادت عليها فانه سيري في الاخرة ما يسوءه
وذلك كالزجر لهم ولما بين تعالى انهم اعرضوا عن الحق بغيا وحسدا
امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يعدل عن تلك الطريقة وان يتمسك
بالحق وان لا يكون له غرض سوى اظهار الحق فقال تعالى ثم اي بعد
فترة من رسلهم ومجاوزة زمن كثيرة عالية علي رتبة شريعتهم جعلناك
اي بما لنا من العزة والقدرة على شريعة اي طريقة واسعة عظيمة
ظاهرة مستقيمة سهلة موصلة الي المقصود نبي جدير بان
يشرع الناس فيها ويخالطوها ابتداء من الامر اي امر الدين الذي هو حياة
الارواح كما ان الارواح حياة الاشباح فاتبعها اي اتبع بغاية جهدك
شريعتك الثابتة بالحجج ولا تتبع اهوا اي ارا الذين لا يعلمون اي لا علم
لهم او لهم علم لكنهم يعملون عمل من ليس لهم علم اصلا من كفار العرب
وغيرهم قال الكلبي ان راسا قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم
وهو بمكة ارجع الي دين ابائك فهم كانوا افضل منك واسن فانزل الله تعالى
هذه الاية ثم علل هذا النهي مهددا بقوله تعالى موكدا انهم واكد النفي
فقال عز من قايل لن يغنوا عنك اي لا يجددوا لهم نوع اغنا مبتدا
من الله اي المحيط لكل شي قدرة وعلما شيا اي من اغنا اي ان اتبعتهم
كما انهم لن يقدروا لك علي شي من اذى ان خالفتهم وناصبتهم وان
الظالمين اي الفريقين في هذا الوصف وهم الكفرة وكان الاصل ولكنهم
ولكنه تعالى اظهر للاعلام بوصفهم بعضهم اوليا بعض اذ الجنسية
علة الانضمام فلا تولهم باتباع اهوايهم والله اي الذي له جميع صفات
الكمال ولي المتقين اي الذين همتهم الاعظم الاتصاف باتخاذ الوقايات
المنجية لهم من سخط الله تعالى والمعنى ان الظالمين يتولى بعضهم بعضا
في الدنيا واما في الاخرة فلا ولي لهم ينفعهم في ايصال الثواب وازالة
العقاب واما المتقون المهتدون فالله سبحانه وليهم وناصرهم هذا
اي الوحي المنزل وهو القران بصاير اي معالم للناس اي في الحدود

ئلا نتولهم

والاحكام

والاحكام
فيبصرون بها ما ينفعهم وما يضرهم وهدى اي قايدا الي كل خير مانع من كل زيغ
ورحمة اي كرامة وفوز ونعمة لقوم يوقنون اي ناس فيهم قوة القيام
بالوصول الي العلم الثابت وبتجديد الترقي في درجاته الي ما لا نهاية له وقوله
تعالى ام حسب منقطعة فتقدر ببل والهمزة او ببل وحدها او بالهمزة
وحدها ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان الذين اجترحوا اي اكتسبوا
ومنه الجوارح وفلان جارحة اهله اي كاسبهم وقال تعالى ويعلم ما جرحتم
بالنهار السيات اي الكفر والمعاصي ان نجعلهم اي بما لنا من العظمة
المانعة من الظلم المقتضية للحكمة كالذين امنوا وعملوا تصديقا لاقرارهم
الصالحات بان نتركهم بغير حساب للفصل بين المحسن والمسيء ولما كانت
المماثلة مجملة بينها استينافا بقوله تعالى سوا اي مستويا استواء عظيما
محياهم ومماتهم اي حياتهم ومماتهم وزمان ذلك ومكانه في الارتفاع
والسفول واللذة والكدر وغير ذلك من الاعيان والمعاني وقرا حمزة والكسا
وحفص سوا بالنصب علي الحال من الضمير المستتر في الجار والمجرور وهما
كالذين امنوا اي احسبوا ان نجعلهم مثلهم في حال استوا محياهم
ومماتهم مبتدا ومعطوف والجملة بدل من الكاف والضميران للكفار والمعنى
احسبوا ان نجعلهم في الاخرة في خير المومنين اي في رغد من العيش مساو
لعيشهم في الدنيا قالوا للمومنين لين بعثنا لنعطى من الخير مثل ما تعطون
قال تعالى علي وفق انكاره بالهمز سا ما يحكمون اي ليس الامر كذلك
فهم في الاخرة في العذاب على خلاف عيشهم في الدنيا والمومنون في الاخرة
في الثواب باعمالهم الصالحات في الدنيا من الصلاة والزكاة والقيام وغير
ذلك وما مصدرية بيس حكما حكمهم هذا ولما بين تعالى ان المومن لا يساوي
الكافر في درجات السعادة اتبعه بالدلايل الظاهرة علي صحة ذلك
فقال تعالى وخلق الله اي الذي له جميع اوصاف الكمال السموات والارض
وقوله تعالى بالحق متعلق بخلق وقوله تعالى ولتجزى اي بايسر امر
كل نفس اي منكم ومن غيركم معطوف علي بالحق في المعنى لان كلا
منهما سبب فعطف العلة علي مثلها او انه معطوف علي معلل محذوف
والتقدير خلق هذا العالم اظهارا للعدل والرحمة وذلك لا يتم الا
اذا حصل البعث والقيامة وحصل التفاوت بين الدركات والدرجات
من المحقين والمبطلين بما اي بسبب ما كسبت من خير او شر
وهم اي والحال انهم لا يظلمون اي لا يوجد من موجد ما في وقت من
الاوقات جزاؤهم في غير موضعه وهذا على ما جرت به عوايدكم في العدل
والفضل ولو وجد منه سبحانه وتعالى وعز ذلك لم يكن ظلما منه لانه المالك
المطلق والملك الاعظم فلو عذب اهل سمواته واهل ارضه كلهم لكان

غير ظالم في نفس الامر فهذا الخطاب انما هو على ما يتعارفونه من اقامة الحجة لغة
الامر ثم عاد سبحانه الي شرح احوال الكفار وقبايح طرايقهم فقال **افرايت**
اي اعلمت علما هو في تيقنه كالمحسوس بحاسة البصر التي هي اثبت الحواس
من اتخذ اي بغاية جهده **الهه هواه** اي ما يهواه من حجر بعد حجر يراه
لحسن روي عن رجا العطاردي وهو ثقة ادرك الجاهلية ومات سنة
خمس ومايه عن مايه وعشرين سنة قال كنا نعبد الحجر فاذا وجدت
حجرا احسن منه القيناه واخذنا الاخر فاذا لم نجد حجرا اخذنا حثوة
من تراب فحلبنا عليها ثم طفنا به قال الاصبهاني سئل ابن المقفع عن الهوا
فقال هوان سرقت نونه فظهر من قال
نون الهوان من الهوا مسروقة • فاسير كل هوا اسير هوان
وقال اخر
ان الهوا لهو الهوان بعينه • فاذا هويت فقد لقيت هوانا
واضله الله اي بما له من الاحاطة **على علم** منه تعالى اي عالما بانه
من اهل الضلالة قبل خلقه **وختم** زيادة على الاضلال الخاص
على سمعه فلا فهم له في الايات المسموعة **وقلبه** اي فهو لا يعي
ما من حقه وعيه **وجعل على بصره غشاوة** اي ظلمة فلم يبصر الهوا
ويقدر هنا المفعول الثاني لرايت اي ايهتدي وقرا حمزة والكسائي
بفتح الغين وسكون الشين والباقون بكسر الغين وفتح الشين
والف بعد الشين واذا صار بهذه المثابة **فمن يهديه** واشار تعالى
الى قدرته عليه بقوله سبحانه **من بعد الله** اي اذا اراد الله اضلاله
الذي له الاحاطة بكل شيء اي لا يهتدي **افلا تذكرون** اي الم يكن لكم
نوع تذكر فتتعظون وفيه ادغام احدى التائين في الذال **وقالوا** اي
في انكارهم البعث مع اعترافهم بانه تعالى قادر على كل شي **ما هي** اي
الحياة **الا حياتنا** اي ايها الناس **الدنيا** اي هذه التي نحن بها
نموت ونحيى فان قيل الحياة مقدمة على الموت في الدنيا فمنكروا
القيامة كان يجب ان يقولوا نحيى ونموت فما السبب في تقدم ذكر
الموت على الحياة اجيب من وجوه اولها بان المراد بقولهم نموت
حال كونهم نطفا في اصلاب الابا وارحام الامهات وبقولهم نحيى
ما حصل بعد ذلك في الدنيا ثانيها نموت نحن ونحيى بسبب بقا الاولاد
ثالثها قال الزجاج الواو للاجتماع والمعنى يموت بعض ويحيى بعض
رابعها قال الرازي انه تعالى قدم ذكر الحياة فقال ان هي الا حياتنا
الدنيا ثم قال بعده نموت ونحيى يعني ان تلك الحياة منها ما يطرا عليها
الموت وذلك في حق الذين ماتوا ومنها ما لم يطرا عليها الموت بعد ذلك

وهو في حق

وهو في حق الذين لم يموتوا بعد وقال البيضاوي يحتمل انهم ارادوا به التناسخ
وهو ان روح الشخص اذا خرجت تنتقل الى شخص اخر فيحيى بعد ان لم يكن فان
فان عقيدة اكثر عبدة الاوثان **وما يهلكنا** اي بعد الحياة **الا الدهر**
اي مر الزمان الطويل بغلبته علينا وطول العمر واختلاف الليل والنهار من دهره
اذا غلبه **وما** اي قالوه والحال انه ما **لهم بذلك** اي المقول البعيد من
الصواب وهو انه لا حياة بعد هذه وان الاهلاك منسوب الى الدهر
على انه موثر بنفسه واغرق في النفي فقال تعالى **من علم** اي لا كثير ولا قليل **ان**
اي ما **هم الا يظنون** اي بتجربة ان الانسان كلما تقدم في السن
ضعف وانه لم يرجع احد من الموتى هذا ظنهم الفاسد روى ابو
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى
لا يقل ابن ادم يا خيبة الدهر فاني انا الدهر ارسل الليل والنهار فاذا
شيت قبضتهما وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يسب احدكم الدهر فان الدهر هو الله ولا يقولن للعنب الكرم
فان الكرم هو الرجل المسلم ومعنى الحديث ان العرب كان من شانها
ذم الدهر وسبه عند النوازل لانهم كانوا ينسبون اليه
ما يصيبهم من المصايب والمكاره فيقولون اصابتهم قوارع الدهر
وابادهم الدهر كما اخبر الله تعالى عنهم فاذا اضافوا الى الدهر
ما نالهم من الشدايد سبوا فاعلها فكان يرجع سبهم الى الله
تعالى اذ هو الفاعل في الحقيقة للامور التي يضيفونها الى الدهر فنهوا
عن سبه **واذا تتلى** اي تتابع بالقراءة من اي تال **عليهم اياتنا** اي
على ما لها من العظمة في نفسها وبالاضافة الينا حال كونها **بينات**
اي في غاية المكنة في الدلالة على البعث فلا عذر لهم في ردها **ما
كان** اي بوجه من وجوه الكون **حجتهم** اي قولهم الذي ساقوه
مساق الحجة **الا ان قالوا ائتوا بابائنا** اي احيا **ان كنتم صادقين** اي
انا نبعث فهو لا يستحق ان يسمى شبهة فسمي حجة لزعمهم او لان
من كانت حجته فليست له البتة حجة كقوله • تحية بينهم ضرب وجيع
ثم ان الله تعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يجيبهم بقوله تعالى
قل الله اي المحيط علما وقدرة **يحييكم** اي حين كنتم نطفا **ثم
يميتكم** بان يخرج ارواحكم من اجسادكم فتكونون
كما كنتم قبل الاحيا لا تشاهدون **ثم يجمعكم** اي بعد التمزق فيعيد
فيكم ارواحكم كما كانت بعد طول الرقاد منتبهين **الى يوم القيامة**
اي القيام الاعظم لكونه عاما لجميع الخلايق **لا ريب** اي لا شك
بوجه من الوجوه **فيه** بل هو معلوم علما قطعيا ضروريا

ولكن اكثر الناس اي هم القايلون ما ذكر لايعلمون اي لايتجدد لهم علم لما لهم
من النفوس والتردد والسفول عن اوج العقل الي حضيض الجهل فهو وافقو
مع المحسوسات لايلوح لهم ذلك مع ماله من الظهور وقوله تعا ولله
اي الملك الاعظم وحده ملك السموات اي كلها والارض التي ابتدأكم
منها تعميم للقدرة بعد تخصيصها ويوم تقوم الساعة اي توجد وتتحقق
تحقق القايم الذي هو علي كمال تمكنه وتمام امره الناهض باعبا ما يريد
ثم كرر للتاكيد والتهويل قوله تعا يومئذ اي اذ تقوم تخسرون
هكذا كان الاصل ولكنه قال تعالى للتعميم والتعليق بالوصف
يخسر المبطلون اي الداخلون في الباطل العريقون فيه الانصاف
به الذين كانوا لايرضون بقضاء ثبت به الحياة والعقل والصحة
كانها راس مال والتصرف عنها بطلب السعادة الاخروية يجري مجرى
تصرف التاجر في ماله لطلب الربح والكفار قد اتعبوا انفسهم
في تصرفاتهم بالكفر والاباطيل فلم يجدوا في ذلك اليوم الا الحرمان
والخذلان ودخول النار وذلك في الحقيقة نهاية الخسران وترى
اي في ذلك اليوم كل امة اي اهل دين جاثية اي مجتمعها لاتختلط
غيرها وهي مع ذلك باركة علي الركب رعبا واستيفازا لما لعلها
تومر به جلسة المخاصم بين يدي الحاكم ينتظر القضاء الحاتم والامر
الجازم اللازم لشدة ما يظهر لها من هول ذلك اليوم كل امة من
الجاثين تدعي الي كتابها اي الذي انزل عليها وتعبدها الله تعالى به
والذي نسخته الحفظة من اعمالها ليطبق احدهما بالاخر فمن وافق كتابه
ما امر به من كتاب ربه نجا ومن خالفه هلك ويقال لهم حالة الدعا اليوم
تجزون اي علي وفق الحكمة بايسر امر ما اي عين الذي كنتم بما هو
لكم كالجبلات تعملون اي مصرين عليه غير راجعين فيه من خير او شر
فان قيل الجثو علي الركب انما يليق بالخايف والمومنون لاخوف عليهم
يوم القيمة اجيب بان الجاثي القايم الامن يشارك المبطل في مثل هذه
الحالة الي ان يظهر كونه محقا هذا كتابنا اي الذي انزلناه علي السنة
رسلنا ينطق اي يشهد شهادة هي في بيانها كالنطق عليكم بالحق
اي الامر الثابت الذي يطابقه الواقع من اعمالكم وذلك بان يقول من
عمل كذا فهو عاص ومن عمل كذا فهو مطيع فينطق علي ما عملتموه
سوا بسوا من غير زيادة ولا نقصان وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ
ولما كانت العادة جارية في الدنيا باقامة الحقوق بكتابة الوثايق
وكانوا كانهم يقولون ومن يحفظ اعمالنا علي كثرتها مع طول المدة وبعد
الزمان فقال تعالى مجيبا عن ذلك انا اي علي ما لنا من العظمة

المغنية عن الكتابة كنا علي الدوام نستنسخ ما كنتم طبعا وخلقا تعملون
قولا وفعلا ونية اي نامر الملايكة ان تكتبها واثباتها عليكم وقيل نستنسخ
اي ناخذ نسخة وذلك ان الملكين يرفعان عمل الانسان فيثبت الله تعا لي
منه ما كان له ثواب او عقاب ويطرح منه اللغو نحو قولهم هلم واذهب
والاستنساخ من اللوح المحفوظ تنسخ الملايكة كل عام ما يكون من
اعمال بني ادم والاستنساخ لايكون الا من اصل كما ينسخ من كتاب كتاب
وقال الضحاك نستنسخ اي نثبت وقال السدي وقال الحسن
نحفظ ثم بين تعا احوال المطيعين بقوله تعا فاما الذين امنوا اي من الامم
الجاثية وعملوا اي تصديقا لدعواهم الايمان الصالحات اي الطاعات
فوصفهم بالعمل الصالح بعد وصفهم بالايمان يدل علي ان العمل الصالح
مغاير للايمان زايد عليه فيدخلهم اي في ذلك اليوم ربهم اي المحسن
اليهم بالتوفيق للايمان في رحمته التي من جملتها الجنة والنظر الي وجهه
الكريم الذي هو الغاية القصوي وتقول لهم الملايكة تشريفا سلام عليكم
ايها المومنون ودل علي عظمة الرحمة بقوله تعا ذلك اي الاحسان
العالي المنزلة هو اي لا غيره الفوز المبين اي الظاهر الذي لايخفي علي
احد شي من امره لانه لايشوبه كدر اصلا ولا نقص بخلاف ما كان
من اسبابه في الدنيا فانها مع كونها كانت فوزا كانت خفية جدا
علي غير الموفقين ثم بين تعا احوال الفريق الاخر بقوله تعا واما الذين كفروا
اي ستروا ما امر الله تعا به افلم اي فيقال لهم الم تكن فالم تكن
افلم تكن اياتي علي ما لها من عظمة اضافتها الي واعظمها القران
تتلي اي تواصل قراءتها من اي تال كان فكيف اذا كانت في حالة
الوصول اليه بواسطة الرسل تلاوة مستعلية عليكم لايقدرون علي
رفع شي منها تنبيه حذف المقول المعطوف عليه كما تقرر اكتفا بالمقصود
واستغنا بالقرينة فاستكبرتم اي فتسبب عن تلاوتها التي من
شانها ايراث الخشوع والاخبات والخضوع ان طلبتم الكبر لانفسكم
وجد تموه علي رسلي واياتي وكنتم قوما اي ذوي قيام وقدرة علي ما تحاولو نه
مجرمين اي عريقين في قطع ما يستحق الوصل وذلك هو الخسران
المبين واذا اي وكنتم اذا قيل اي من اي قايل كان ولو علي
سبيل التاكيد ان وعد الله اي الذي كل احد يعلم انه محيط بصفة
الكمال حق اي ثابت لامحيل عنه مطابق للواقع من البعث وغيره
لان اقل الملوك لايرضي بان يخلف وعده فكيف به سبحانه وتعا فكيف
اذا كان الاخلاف فيه مناقضا للحكم وقرا حمزة والساعة بالنصب عطفا
علي وعد الله والباقون برفعها وفيه ثلاثة اوجه احدها الابتدا

وما بعدها من الجملة المنفية وهو قوله تعالى لا ريب اي لا شك فيها خبرها
ثانيها العطف على محل اسم ان لانه قبل دخولها مرفوع بالابتدا ثالثها انه عطف
على محل ان واسمها معا لان بعضهم كالفارسي والزمخشري يرون ان لان
واسمها موضعا وهو الرفع بالابتدا قلتم اي راضين لانفسكم بتخصيص
الجهل ما ندري اي لان دراية علم ولو بذلنا جهدنا في محاولة الوصول اليه
ما الساعة اي لا نعرف حقيقتها فضلا عما تخبرونا به من احوالها تنبيه
الساعة هنا مرفوعة باتفاق ان اي ما نظن اي نعتقد ما تخبرونا به عنها
الا ظنا واما وصوله الي درجة العلم فلا وما نحن واكدوا النفي فقالوا
بمستيقنين اي بموجود عندنا اليقين في امرها قال الرازي القوم
كانوا في هذه المسئلة على قولين منهم من كان قاطعا بنفي البعث والقيامة
وهم المذكورون في قوله تعالى وقالوا ما هي الا حياتنا ومنهم من كان شاكا
متحيرا فيه لانهم لكثرة ما سمعوه من الرسل عليهم السلام ولكثرة ما سمعوه
من دلايل القول بصحته صاروا شاكين فيه وهم المذكورون في هذه
الاية ويدل على ذلك انه حكى تعالى مذهب اوليك القاطعين ثم اتبعه
بحكاية قول هولاء فوجب كون هولاء معاندين الفريق الاول ولما وصلوا
الى حد عظيم من العناد التفت الى اسلوب الغيبة اعراضا عنهم ايذانا
بشدة الغضب عليهم فقال تعالى وبدا اي ولم يزالوا يقولون ذلك
الى ان بدت لهم الساعة بما فيها من الارجاف والزلازل والاهوال وظهر
لهم غاية الظهور سيئات ما عملوا في الدنيا فتمثلت لهم وعرفوا
مقدار جزائها واطلعوا على جميع ما يلزم على ذلك وحاق اي احاط بهم
على حال القهر والغلبة قال ابو حيان ولا يستعمل الا في المكروه ما كانوا جبلة
وطبعا به يستهزءون اي يوجدون الهزء به على غاية الشهوة واللذة
ايجاد من هو طالب لذلك وهذا كالدليل على ان هذه الفرقة لما قالوا ان
نظن الا ظنا انما ذكروا استهزاء وسخرية فصار هذا الفريق اشر من الفريق
الاول لان الاولين كانوا منكرين وما كانوا مستهزءين وهولاء ضموا
الاصرار على الانكار الاستهزاء وقرا حمزة في الوقف بتسهيل الهمزة
بعد الزاي كالواو وله ايضا ابدالها يا ونقل عنه ايضا غير ذلك
اي لهم على اقطع الاحوال واشدها قولا لا امتناع له فكانه يلبسنا
كل قايل وقيل اليوم ننساكم اي نترككم في العذاب كما نسيتم لقا
يومكم هذا اي كما تركتم الايمان والعمل للقايه وقيل نجعلكم كالشي
المنسي غير المبالي به كما لم تبالوا انتم بلقا يومكم هذا ولم تلتفتوا اليه
وماواكم النار ليس لكم براح عنها وما لكم من ناصرين ينقذونكم من
ذلك بشفاعة ولا مظاهرة فجمع الله تعالى عليهم من وجوه العذاب

ثلاثة اشيا قطع الرحمة عنهم وصيرورة ماواهم النار وعدم الانصار لانهم
اتوا بثلاثة انواع من الاعمال القبيحة وهي الاصرار على انكار الدين الحق
والاستهزاء به والسخرية والاستغراق في حب الدنيا وهو المراد بقوله تعالى
ذلكم اي العذاب العظيم بانكم اتخذتم اي بتكليف منكم لانفسكم
ايات الله اي الملك الاعظم ولم تتفكروا فيها وقرا اتخذتم ابن كثير
وحفص باظهار الذال عند التا والباقون بالادغام هزوا وغرتكم الحياة الدنيا
الدنية لضعف عقولكم فاثرتموها لكونها حاضرة وانتم كالبهائم فقلتم لا حياة
غيرها ولا بعث ولا حساب ولو تعقلتم وصفكم الله بذلك لاداكم ذلك الى
الاقرار بالاخرة فاليوم اي بعد ابوابهم فيها لا يخرجون منها اي النار
لان الله تعالى لا يخرجهم ولا يقدر غيره على ذلك وقرا حمزة والكسائي
بفتح اليا التحتية وضم الراء والباقون بضم اليا وفتح الرا ولا هم
يستعتبون اي يطلب منهم الاعتاب وهو الاعتذار لانه لا
يقبل ذلك اليوم عذر ولا توبة ولما تم الكلام في المباحث الروحانية
ختم السورة بتحميد الله تعالى فقال عز من قايل فلله اي الذي له الامر كله
الحمد اي الاحاطة بجميع صفات الكمال رب السموات اي ذات العلو
والاتساع والبركات ورب الارض اي ذات القبول للواردات رب
العالمين اي خالق ما ذكر اذ الكل نعمة منه دال على كمال قدرته
فاحمدوا الله الذي هو خالق السموات والارضين وخالق كل العالمين
من الاجسام والارواح والذوات والصفات فان هذه توجب الحمد
والثنا على كل من المخلوقين والمربوبين ولما افاد ذلك غناه الغنا المطلق
وسيادته وانه لا كفو له عطف عليه بعض اللوازم لذلك تنبيها على مزيد
الاعتنا به لدفع ما يتوهمون من ادعا الشركة التي لا يرضونها لانفسهم
فقال تعالى وله اي وحده الكبريا اي الكبر الاعظم الذي لا نهاية له
في السموات كلها والارض جميعها اللتين فيهما اية للمومنين روي عن
ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله
عز وجل الكبريا ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما ادخلته
النار وفي رواية عذبته وفي رواية قصمته وهو وحده العزيز الذي
يغلب كل شي ولا يغلبه شي الحكيم الذي يضع الاشيا في انفس مواضعها
ولا يصنع شيا الا كذلك كما احكم امره ونهيه وجميع شرعه واحكم نظم
هذا القران نجوما وايات وفواصل وغايات بعد احكام معانيه وتنزيله
فصار معجزا في نظمه ومعناه وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري من
انه صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة حم الجاثية ستر الله
عورته وسكن روعته يوم الحساب حديث موضوع

سورة الاحقاف مكية

الاقل ارايتم ان كان من عند الله والا فاصبر كما صبر اولوا العزم الاية والا
ووصينا الانسان بوالديه الثلاث ايات وهي خمس وثلاثون اية وثمانية
واربع واربعون كلمة والفان وخمسمائة وخمسة وتسعون حرفا بسم الله
الذي لا يذل من والى ولا يعز من عادي الرحمن الذي سبقت رحمته
غضبه الرحيم الذي خص حزبه بعمل الابرار للفوز في دار القرار وتقدم
الكلام على قوله تعالى حم مرارا وقرا ابن ذكوان وشعبة وحمزة والكسائي
بامالة الحا محضة وقرا ورش وابو عمرو بامالتها بين بين وفتحها الباقون
وقيل المراد بحم حكمة محمد النبي هي النهاية في الصواب والسداد احكمها
الذي احاطت قدرته فهو لا يخلف الميعاد وقوله تعالى تنزيل الكتاب اي
الجامع لجميع الخيرات بالتدريج على حسب المصالح من الله اي الجبار المتكبر
المختص بصفات الكمال العزيز في ملكه الحكيم في صنعه لانه لم يفعل
شيئا الا في اوفق محاله وانه الخالق للخير والشر وانه يعز اولياءه ويذل
اعداءه ما خلقنا اي على ما لنا من العظمة الموجبة للتفرد بالكبرياء
السموات والارض على ما فيهما من الايات وما بينهما الا خلقا متلبسا
بالحق اي الامر الثابت من القدرة التامة والتصرف المطلق ليدل
على قدرتنا ووحدانيتنا واجل اي وبتقدير اجل مسمى ينتهي اليه
وهو يوم القيمة والذين كفروا عما انذروا اي خوفوا به من القران
من هول ذلك اليوم الذي لا بد لكل خلق من انتهائه اليه معرضون اي
لا يؤمنون به ولا يهتمون للاستعداد له ثم قال الله تعالى لنبيه
صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء المعرضين انفسهم لغاية الخطوب
منكرا عليهم تبكيتا وتوبيخا ارايتم اي اخبروني عن حال الهتكم
بعد تامل ورؤية باطنة ما تدعون اي تعبدون ثم نبه على سفولهم بقوله
تعالى من دون الله اي الملك الاعظم الذي كل شي دونه فلا كفو
له مفعول اول وقوله تعالى ماذا خلقوا مفعول ثان وقوله تعالى من الارض
بيان ما اي ليصح ادعاؤهم شركا فيها باختراع ذلك الجزء ام لهم اي
الذين تدعونهم شرك اي مشاركة في خلق السموات
اي بنوع من انواع الشركة مع الله تعالى وام بمعنى همزة الانكار ولما كان الدليل
احد شيئين سمع وعقل قال تعالى ايتوني بكتاب اي منزل على دعواكم في
هذه الاصنام انها خلقت شيئا او انها تستحق ان تعبد تنبيه ابدل
ورش والسوسي الهمزة من ايتوني في الوصل يا وحققها الباقون واما
الابتدا بها فجميع القرا ابدلوها يا بعد الابتدا بهمزة الوصل مكسورة

اروني اي اخبروني تاكيد لقوله نسخه

من قبل هذا اي القران الذي انزل على كالتوراة والانجيل والزبور وهذا من
اعلام النبوة فانها كلها شاهدة بالوحدانية لواديها اتت لتشهد بجليه ولما ذكر
الاعلى الذي لا يجب التكليف الا به وهو النقل القاطع سهل عليهم فنزل
الى ما دونه فقال او اثارة اي بقية من علم يؤثر عن الاولين بصحة دعواكم
في عبادة الاصنام انها تقربكم الى الله تعالى وقال المبرد اثارة ما يؤثر
من علم كقولك هذا الحديث يؤثر عن فلان ومن هذا المعنى سميت الاخبار
والاثار يقال جاء في الاثر كذا وكذا وقال الواحدي وكلام اهل
اللغة في هذا الحرف يدور على ثلاثة اقوال الاول الاثارة واشتقاقها
من اثرت الشي اثيره اثارة كانها بقية تستخرج فتثار
والثاني من الاثر الذي هو الرواية والثالث من الاثر بمعنى العلامة
وقال الكلبي في تفسير الاثارة اي بقية من علم يؤثر عن الاولين
اي يسند اليهم وقال مجاهد وعكرمة ومقاتل رواية عن الانبياء
قال الرازي وههنا قول اخر واثارة من علم هو علم الخط الذي
يخط في الرمل والعرب كانوا يخطونه وهو علم مشهور وروي انه صلى الله
عليه قال كان نبي من الانبيا يخط فمن وافق خطه خطه علم علمه
فعلى هذا الوجه معنى الاية ايتوني بعلم من قبل هذا الخط الذي
تخطونه في الرمل يدل على صحة مذهبكم في عبادة الاصنام فان صح
تفسير الاية بهذا الوجه كان ذلك من باب التهكم بهم وباقوالهم
ودلايلهم ثم اشار الى تعريفهم بالكذب ان لم يقيموا دليلا على دعواهم
بقوله ان كنتم صادقين اي عريقين في الصدق على ما تدعون
لانفسكم ولما ابطل سبحانه قولهم في الاصنام بعدم قدرتها اتبعه ابطاله
لعدم علمها بقوله تعالى ومن اضل وهو استفهام بمعنى النفي اي لا احد
اضل ممن يدعو اي يعبد ما لا قدرة له ولا علم ومن انتفت قدرته وعلمه
لم تصح عبادته بديهة العقل وارشد الى سفولها بقوله تعالى من
يدعو من دون الله اي من ادنى رتبة من رب الذي له صفات الكمال فهو يعلم كل شي
ويقدر على كل شي فهو بحيث يجيب الدعا ويكشف البلا ويحقق الرجا
اذا شاء ويدبر عبده لما يعلم من سره وعلنه بما لا يقدر هو على تدبير نفسه
به ويريد العبد في كثير من الاشيا ما لو وكل فيه الى نفسه واجيب الى
طلبته كان فيه حتفه فيدبره سبحانه بما يشتد كراهته له
فينكشف الحال عن انه لم يكن له فرج الا فيه من لا يستجيب له اي لا توجد
الاجابة ولا يطلب ايجادها من الاصنام وغيرها لانه لا اهلية له
لذلك والمعنى انه لا احد ابعد عن الحق واقرب الى الجهل ممن يدعو
من دون الله الاصنام فيتخذها الهة ويعبدها وهي اذا دعيت

لا تسمع ولا تجيب لا في الحال ولا في المآل الى يوم القيامة وانما جعل ذلك
غاية لان يوم القيامة قد قيل ان الله تعالى يحييها ويخاطب من يعبدها
فلذلك جعله الله تعالى حدا وقيل المراد عبدة الملائكة وعيسى وانهم يوم
القيمة يظهرون عبادة هولاء العابدين وهم عن دعائهم اي دعاء المشركين
اياهم غافلون اي لهم هذا الوصف لا ينفكون عنه لا يعلمون من
يدعوهم ومن لا يدعوهم وعبر بالغفلة التي هي من اوصاف العقلا للجماد
ان كان المراد اعم من الاصنام وغيرها ممن عبد ومن عقلا الانس
وغيرهم ولما غيا سبحانه بيوم القيمة فانهم انهم يستجيبون لهم فيه
بين ما يجاورونهم به اذ ذاك فقال تعالى واذا حشر اي جمع
بكره على ايسر وجه واسهل امر الناس اي يوم القيمة كانوا
اي المدعون لهم اي الداعين اعداء ويعطيهم الله تعالى قوة الكلام
فيخاطبونهم بكل ما يخاطب به العدو عدوه وكانوا اي المعبودون
بعبادتهم اي الداعين وهم المشركون اياهم كافرين
اي جاحدين لانهم كانوا عنها غافلين كما قال تعالى في سورة
يونس عليه السلام وقال شركاؤهم ما كانوا ايانا يعبدون
ثم بين تعالى انهم في نهاية الغاوة بانكارهم لا شي ابين منه بقوله
تعالى واذا تتلى اي تقرا من اي قاري كان على وجه المتابعة عليهم
اي هولاء البعدا البغضا اياتنا التي لا اعظم منها في انفسها
باعتنا فيها الينا وهي القران وقوله تعالى بينات اي ظاهرا
حال قالوا هكذا كان الاصل ولكنه تعالى بين الوصف الحامل لهم
على القول فقال تعالى اي ستروا تلك الانوار التي ابرزتها لك
انتدوه لها هكذا كان الاصل ولكن قال تعالى للحق اي لاجله
لما اي حين جاءهم اي من غير تنظر وتامل هذا اي الذي
تتلى سحر اي خيال لا حقيقة له مبين اي ظاهر في انه
خيال باطل وقوله تعالى ام يقولون افتراه اضراب عن ذلك لتسميتهم
اياه سحرا الى ذكر ما هو اشنع وانكار له وتعجب ثم بين تعالى بطلان
شبهتهم بقوله تعالى قل اي يا اشرف الخلق ان افتريته اي
تعمدت كذبه على زعمكم وانما انا اريد به نصيحتكم فالذي افتريته
عليه وانسبه اليه يعاقبني على ذلك ولا يتركني اصلا وهو
معنى قوله فلا تملكون اي ايها المنصوحون بوجه من الوجوه
ولا في وقت من الاوقات لي من الله اي الملك الحليم شيا من
الاشيا لما يرد عني انتقامه لان الملك لا يترك من كذب عليه
مطلق كذب فكيف بمن يتعمد الكذب عليه في الرسالة بامور

عظيمة

قال الذين كفروا

١٣٥٨

عظيمة وملازمة صباحا ومساءا اي حامل لي حينئذ على افترائه ثم علل ما افاد
الكلام من وجوب الانتقام بقوله هو اي الله سبحانه اعلم اي منكم
ومن كل احد بما تفيضون فيه اي تخوضون فيه من التكذيب بالقران
والقول فيه بانه سحر كفى به شهيدا اي شاهدا بليغ الشهادة لانه
اعلم بجميع احوالنا بيني وبينكم اي ان القران جا من عنده فيشهد
لي بالصدق ولكم بالكذب وقد شهد بصدقي بعجزكم عن معارضة شي
منه هذا الكتاب الذي اثبت به فثبت بذلك انه كلامه لاني لا اقدر
على ما تقدرون عليه فرادى ولا مجتمعين وانتم عرب مثلي بل وانا
امي وفيكم انتم الكتبة والذين خالطوا العلما وسمعوا الاحاديث
الامم وضربوا بعد بلاد العرب في بلاد العجم فظهر بذلك ظهور الشمس
انكم كاذبون وهو اي وحده الغفور اي الذي من شانه ان يمحو
الذنوب اعيانها واثارها فلا يعاقب عليها ولا يعاتب الرحيم اي الذي يكرم
بعد المغفرة ويتفضل بالتوفيق لما يرضيه قال الزجاج هذا دعا الى التوبة
ومعناه غفور لمن تاب منكم رحيم به ولما حكى تعالى طعنهم في كون القران
معجزا بقولهم انه يختلقه من عند نفسه ثم ينسبه الى انه كلام الله تعالى
على سبيل الفرية حكى عنهم شبهة اخرى وهو انهم كانوا يقترحون
عليه معجزات عجيبة ويطالبونه بان يخبرهم عن المغيبات فاجاب الله تعالى
عن ذلك بقوله تعالى قل اي لهولاء الذين ينسبونك الى الافترا ما كنت
اي كونا ما بدعا اي منشا مبتدعا محدثا مخترعا بحيث اكون
اجنبيا منقطعا من الرسل اي لم يتقدم لي منهم مثال في اصل ما
جيت به وهو التوحيد ومحاسن الاخلاق بل قد تقدمني رسل كثيرون
اتوا بمثل ما اتيت به ودعوا اليه كما دعوت اليه وصدقهم الله تعالى
بمثل ما صدقني به فثبت بذلك رسالتهم وتبصد بهم من صدقهم من قومهم
وشقي من كذبهم فانظروا الى اثارهم واسالوا عن سيرهم من اتباعهم
وانصارهم واشياعهم تنبيه البدع والبديع من كل شي المبدا والبدعة
واخترع مما لم يكن موجودا قبله وفي الحديث كل بدعة ضلالة وكل ضلالة
في النار قال البقاعي معناه والله اعلم انه يبتدع ما يخالف السنة
فاذا احدث ما يخالفها كان باحداثه ضالا مشركا وكان ما احدث في
النار ولم يدخل تحت هذا ما يخترعه الانسان من افعال البر التي
بدعة لعدم فعله قبل ذلك فيخرج عما ذكرا انتهى وقال ابن عبد السلام
البدعة منقسمة الى واجبة ومحرمة ومندوبة ومكروهة ومباحة
قال والطريق في ذلك ان تعرض البدعة على قواعد الشريعة
فان دخلت في قواعد الايجاب فهي واجبة كالاشتغال بعلم النحو

وسعدهم

اوفي قواعد التحريم فمحرمة كمذهب القدرية والمجسمة والرافضة قال والرد
على هولاء من البدع الواجبة اوفي قواعد المندوب فمندوبة كبنا الربط
والمدارس وكل احسان لم يحدث في العصر الاول كصلاة التراويح اوفي قواعد
المكروه فمكروهة كزخرفة المساجد وتزويق المصاحف اوفي قواعد المباح
فمباحة كالمصافحة عقب الصبح والعصر والتوسيع في الماكل والملابس وروى
البيهقي باسناده في مناقب الشافعي رضي الله عنه انه قال المحدثات
ضربان احدهما ما خالف كتابا او سنة او اجماعا فهو بدعة وضلالة
والثاني ما احدث من الخير فهو غير مذموم واختلف في تفسير قوله تعالى
عن قوله صلى الله عليه وسلم وما ادري ما يفعل بي ولا بكم على وجهين
احدهما ان يحمل ذلك على احوال الدنيا والثاني ان يحمل على احوال الاخرة
اما الاول ففيه وجوه احدها ان معناه لا ادري ما يصير امري وامركم
ومن الغالب منا ومن المغلوب ثانيها قال ابن عباس في رواية الكلبي
لما اشتد البلا باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بمكة راى في المنام
انه يهاجر الى ارض ذات نخل وشجر وماء فقصها على اصحابه
فاستبشروا بذلك وراوا ان ذلك فرج مما بهم من اذى المشركين
ثم انهم مكثوا برهة من الدهر لا يرون اثر ذلك فقالوا يا رسول الله
ما راينا الذي قلت متى نهاجر الى الارض التي رايتها في المنام فسكت
النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى قل ما كنت بدعا من الرسل
وما ادري ما يفعل بي ولا بكم هو شي رايته في المنام ان اي
ما اتبع اي بغاية جهدي وجدي الا ما اي الذي يوحى اي يجدد
القاوه ممن لا يرجى يجوز سواه الي على سبيل التدريج لا يطلع عليه
حتى اطلاعه غيري ثالثها قال الضحاك لا ادري ما تؤمرون به ولا
ما اومر به من التكاليف والشرايع ولا من الابتلا والامتحان وما انا
اي باخباري لكم عما يوحى الي الا نذير مبين اي بين الانذار
رابعها كانه يقول ما ادري ما يفعل بي في الدنيا اموت او اقتل
كما قتل الانبيا قبلي ولا ادري ما يفعل بكم ايها المكذبون اترمون
بالحجارة من السما او يفعل بكم ما يفعل بسائر الامم قال السدي
ثم اخبره الله تعالى انه يظهر دينه على الاديان بقوله تعالى هو
الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وقال
في امته وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم
يستغفرون فاخبر الله تعالى ما يصنع به وبامته واما من حمل
الاية على احوال الاخرة فروي عن ابن عباس بانه قال لما نزلت هذه
الاية فرح المشركون والمنافقون واليهود وقالوا كيف نتبع نبيا

لا يدري

لا يدري ما يفعل به ولا بنا فانزل الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر
لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر الى قوله تعالى وكان ذلك عند الله فوزا عظيما
فقالت الصحابة هنيئا لك يا رسول الله قد علمنا ما يفعل بك فما يفعل بنا
فانزل الله عز وجل ليدخل المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار
الاية وانزل وبشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا فبين لهم ما يفعل
به وبهم ولهذا قال انس والحسن وعكرمة وقالوا انما قال هذا قبل ان يخبر
بغفران ذنبه لانه انما اخبر به عام الحديبية فنسخ ذلك قال الرازي
واكثر المحققين استبعدوا هذا القول من وجهين احدهما ان النبي لا بد
وان يعلم من نفسه ومتى علم كونه نبيا علم انه لا تصدر عنه الكبائر
وانه مغفور له واذا كان كذلك امتنع كونه شاكا في انه هل هو مغفور له او لا
ثانيهما ان الانبياء ارفع حالا من الاولياء وقد قال تعالى في حقهم ان الذين
قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون فكيف يعقل
ان يبقى الرسول الذي هو رئيس الانبياء وقدوة الاولياء شاكا في انه هل هو من
المغفور لهم فثبت ضعف هذا القول قل يا افضل الخلق لهولاء المصرين
على التكذيب ارايتم اي اخبروني ان كان اي هذا الذي اتيتكم به
وهو القران من عند الله اي الملك الاعظم وكفرتم به اي ايها
المشركون وشهد شاهد واحد او اكثر من بني اسرائيل اي الذي جرت
عادتكم ان تستفتوهم وتشفوا بهم على مثله اي مثل ما في القران من
ان من وحد فقد امن ومن اشرك فقد كفر وان الله تعالى انزل ذلك
في التوراة والانجيل وجميع اسفارهم فتطابقت عليه كتبهم وتظافرت
به رسلهم وتواترت على الدعا اليه وامر به انبياوهم عليهم السلام
فامن اي هذا الذي شهد هذه الشهادة واستكبرتم اي وجدتم
الكبر بالاعراض عنه طالبين بذلك الرياسة والفخر فكنتم بعد شهادة هذا
الشاهد معاندين من غير شبهة فضللتم ووضعتم الشي في غير موضعه
فاسد عليكم باب الهداية واختلف في هذا الشاهد فقال قتادة والضحاك
واكثر المفسرين هو عبد الله بن سلام شهد بنبوة المصطفى صلى الله عليه وسلم
وامن بها واستكبرت اليهود فلم يومنوا به كما روى انس قال سمع عبد الله بن
سلام بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاه فنظر الى وجهه
فعلم انه ليس بوجه كذاب وتامله فتحقق انه النبي المنتظر فقال له اني
سايلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة وما اول
طعام اهل الجنة وما ينزع الولد الى ابيه او الى امه فقال صلى الله عليه وسلم
اخبرني بهن جبريل انفا قال جبريل قال نعم قال ذلك عدو اليهود
من الملايكة فقرا من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله

ثم قال اول اشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب واما اول طعام تاكله اهل الجنة فزيادة كبد الحوت واما الولد فاذا سبق ماء الرجل نزعه وان سبق ماء المراة نزعت فقال اشهد انك لرسول الله حقا ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وان علموا باسلامي قبل ان تسالهم عني بهتوني عندك فجاءت اليهود فقال النبي صلى الله عليه وسلم اي رجل عبد الله فيكم فقالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا قال افرايتم ان اسلم عبد الله بن سلام فقالوا اعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه فقال هذا ما كنت اخاف منه يا رسول الله قال سعيد بن ابي وقاص ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لاحد يمشي على الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزلت هذه الاية **وشهد شاهد من بني اسرائيل** وقيل الشاهد هو موسى بن عمران قال الشعبي قال مسروق في هذه الاية والله ما نزلت في عبد الله بن سلام لان الحم نزلت بمكة وانما اسلم عبد الله بن سلام بالمدينة قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعامين فكيف يمكن حمل هذه الاية المكية على حادثة وقعت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وانما نزلت الاية في محاجة كانت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت بالمدينة واجاب الكلبي بان السورة مكية الا هذه الاية فانها مدنية وان الله تعالى امر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يضعها في هذه السورة المكية في هذا الموضع المعين وقيل المراد بالشاهد موسى ومثل القرءان هو التوراة فشهد موسى على التوراة ومحمد على الفرقان فكل واحد يصدق الاخر لان التوراة مشتملة على البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرءان مصدق للتوراة وجواب الشرط محذوف دل عليه قوله تعالى **ان الله** اي الملك الاعظم ذا العزة والحكمة **لا يهدي القوم** اي الذين لهم قوة على القيام بما يريدون **الظالمين** اي الذين من شانهم وضع الامور في غير مواضعها فلاجل ذلك لا يهديكم اذ لا احد ارسخ منكم في الظلم الذي تسبب عنه هلاككم **وقال الذين كفروا** اي تعمدوا تغطية الحق **للذين** اي لاجل ايمان الذين **امنوا** اي سبقوهم الى الايمان **لو كان** ايمانهم بالقرءان **خيرا** اي من جملة الخيور **ما سبقونا اليه** ونحن اشرف منهم واكثر اموالا واولادا واعلم بتحصيل العز والسودد الذي هو مناط الخير كما لم يسبقونا الى شيء من هذه الخيرات التي نحن فائزون بها وهم صفر منها لكن ليس بخير فلهذا سبقونا اليه **واذ** اي وحين **لم يهتدوا به** اي بالقرءان كما اهتدى به اهل الايمان **فسيقولون هذا** اي القرءان الذي سبقتم اليه **افك** اي شيء

لعله شد

معروف عن وجهه الى قفاه **قديم** اي افك غيره وعثر هو عليه فاتى به ونسبه الى الله تعالى كما قالوا اساطير الاولين **ومن** اي قالوا ذلك والحال انه كان في بعض الزمن الذي من **قبله** اي القرءان **كتاب موسى** كليم الله تعالى حال كون كتابه وهو التوراة **اماما** اي يستحق ان يؤمه كل من سمع به **ورحمة** لما فيه من نعم الدلائل على الله تعالى والبيان الشافي وفي الكلام محذوف تقديره وتقدمه كتاب موسى اماما ورحمة ولم يهتدوا به كما قال تعالى في الاية الاولى واذ لم يهتدوا به **وهذا** اي القرءان **كتاب** اي جامع لجميع الخيرات **مصدق** اي الكتاب موسى عليه السلام وغيرهما من الكتب التي تصح نسبتها الى الله تعالى في ان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول من عند الله تعالى وقوله تعالى **لسانا** حال من الضمير في مصدق وقوله **عربيا** صفة للسان وهو المسوغ لوقوع هذا الجامد حالا اي في اعلى طبقات اللسان العربي مع كونه اسهل الكتب تناولا وابعدها عن التكليف ليس هو بحيث يمنعه علوه بفخامة الالفاظ وجلالة المعاني ودقة الاشارة وسهولة الفهم وقرب التناول وقوله تعالى **لينذر** اي الكتاب بحسن بيانه وعظم شانه **الذين ظلموا** اي سواء كانوا عريقين في الظلم ام لا علة مصدق وقرا نافع وابن عامر بالتاء خطابا اي ايها الرسول والباقون بالياء غيبة بخلاف عن البزي **وبشرى** اي كاملة **للمحسنين** اي المؤمنين بان لهم الجنة ولما قرر دلائل التوحيد والنبوة وذكر شبهات المنكرين واجاب عنها ذكر بعد ذلك طريقة المحققين فقال تعالى **ان الذين قالوا ربنا** اي خالقنا ومولانا والمحسن الينا **الله** وحده **ثم استقاموا** اي جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم والاستقامة في الامور التي هي منتهى العلم وثم للدلالة على تاخر رتبة العمل وتوقف اعتباره على التوحيد **فلا خوف عليهم** اي من لحوق مكروه **ولا هم يحزنون** اي على فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط **اولئك** اي العالو الدرجات **اصحاب الجنة خالدين فيها** خلود الا اخر له جوزوا بذلك **جزاء بما** اي بسبب ما **كانوا** اي طبعا وخلقا **يعملون** اي على سبيل التجديد المستمر ولما كان رضاء الله تعالى في رضى الوالدين وسخطه في سخطهما كما ورد به الحديث عليهما بقوله تعالى **ووصينا** اي بما لنا من العظمة **الانسان** اي هذا النوع الذي انس بنفسه **بوالديه** وقرا **احسانا** نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر بضم الحاء وسكون السين وقرا الكوفيون بسكون الحاء وقبلها همزة مكسورة وفتح السين وبعدها الف فهو منصوب

علي المصدر بفعل مقدر اي ووصيناه ان يحسن اليهما احسانا ومثله
حسنا وقرا حملته امه كرها اي علي مشقة ووضعته كرها اي بمشقة
الكوفيون وابن ذكوان بضم الكاف فيهما والباقون بالفتح وهما لغتان
بمعني واحد مثل الضعف والضعف وقيل المضموم اسم والمفتوح
مصدر وليس المراد ابتدا الحمل فان ذلك لا يكون مشقة لقوله تعالى
فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما اثقلت فحينئذ حملته
كرها ووضعته كرها تنبيه دلت الاية علي ان حق الام اعظم لانه تعالي
قال ووصينا الانسان بوالديه حسنا فذكرهما معا ثم خص الام
بالذكر فقال حملته امه كرها ووضعته كرها وذلك يدل علي ان حقها
اعظم وان وصول المشاق اليها بسبب الولد كثيرة والاخبار كثيرة في هذا
الباب وحمله وفصاله اي من الرضاع ثلاثون شهرا كل ذلك بيان لما
تكابده الام في تربية الولد ومبالغة في الوصية بها وفي ذلك علي ان اقل
مدة الحمل ستة اشهر لانه لما كان مجموع مدة الحمل والرضاع ثلاثون شهرا
وقال تعالي والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين فاذا اسقطنا
الحولين الكاملين وهي اربعة وعشرون شهرا من ثلاثين بقي مدة الحمل
ستة اشهر روي عكرمة عن ابن عباس قال اذا حملت المراة تسعة
اشهر ارضعت احدي وعشرين شهرا وان حملت ستة اشهر ارضعت
اربعة وعشرين شهرا وروي عن ابي بكر ان امراة رفعت اليه وقد ولدت
لستة اشهر فامر برجمها فقال عمر لا رجم عليها وذكر الطريق المتقدمة
وعن عثمان نحوه وانه هم بذلك فقرا ابن عباس عليه الاية واما مدة اكثر
اكثر الحمل فليس في القران ما يدل عليه واختلف الايمة في ذلك فقد
الشافعي اربع سنين وقوله تعالى حتى اذا بلغ اشده لا بد فيه من جملة محذوفة
تكون حتى غاية لها اي عاش واستمرت حياته حتى اذا بلغ اشده قال ابن عباس
في رواية عطا الاشد ثمانية عشر سنة وقيل نهاية قوته وغاية شبابه
واستوائه وهو ما بين ثماني عشر سنة الى اربعين سنة فذلك قوله
تعالى وبلغ اربعين سنة وقال السدي والضحاك نزلت في ابي بكر الصديق
وابيه ابي قحافة عثمان بن عمرو وامه ام الخير بنت صخر بن عمرو وقال
علي بن ابي طالب الاية في ابي بكر الصديق اسلم ابواه جميعا ولم يجتمع
لاحد من المهاجرين ابواه غيره اوصاه الله تعالى بهما وقال السدي
والضحاك ولزم ذلك من بعده وكان ابو بكر يصحب النبي صلى
الله عليه وسلم وهو ابن ثماني عشر سنة والنبي صلى الله عليه وسلم
ابن عشرين سنة في تجارته الى الشام فلما بلغ اربعين سنة ونبا
النبي صلى الله عليه وسلم آمن به ثم آمن ابواه ثم ابنه عبد الرحمن

سعد بن ابي وقاص وقيل نزلت في ابي بكر

ابو عتيق

٣٦١

ابو عتيق ثم ان ابا بكر دعا ربه بان قال رب اوزعني اي الهمني وقرا ورش والبزي
بفتح اليا في الوصل والباقون بسكونها ان اشكر نعمتك التي انعمت اي بها
علي وعلى اولادي وعلى والدي وهي التوحيد واكثر المفسرين على ان الاشد
ثلاث وثلاثون قال الرازي مراتب الحيوان ثلاثة لان بدن الحيوان لا يكون
الا برطوبة غريزية وحرارة غريزية والرطوبة الغريزية زايدة في اول العمر ناقصة
في اخره والانتقال من الزيادة الى النقصان لا يعقل حصوله الا اذا حصل
الاستوا في وسط هاتين المدتين فثبت ان مدة العمر منقسمة الى ثلاثة اقسام
فاولها ان تكون الرطوبة الغريزية زايدة علي الحرارة الغريزية وحينئذ تكون
الاعضاء عظيمة التمدد في ذواتها وزيادتها في الطول والعرض والعمق وهذا
هو سن النشو والثانية وهي المرتبة الثانية المتوسطة ان تكون المرتبة
المتوسطة الغريزية وافية بحفظ الحرارة الغريزية من غير زيادة ولا
نقصان وهذا هو سن الوقوف وهو حين الشباب والمرتبة الثالثة
ان تكون الرطوبة الغريزية ناقصة عن الوفا بحفظ الحرارة الغريزية ثم
هذا النقصان علي قسمين فالاول هو النقصان الخفي وهو سن الكهولة
والثاني هو النقصان الظاهر وهو سن الشيخوخة قال المفسرون لم
يبعث نبي قط الا بعد الاربعين سنة قال الرازي وهذا يشكل بعيسى
عليه السلام فانه تعالى جعله نبيا من اول عمره الا انه يجب ان يقال الاغلب
انه ما جا الوحي الا بعد الاربعين وهكذا كان الامر في حق نبينا محمد صلى
الله عليه وسلم ثم ان ابا بكر دعا ايضا فقال وان اعمل صالحا ترضاه قال ابن عباس
اجاب الله تعالى دعا ابي بكر فاعتق تسعة من المومنين يعذبون في الله منهم
بلال ولم يرد شيا من الخير الا اعانه الله تعالى عليه ودعا ايضا فقال
واصلح لي في ذريتي فاجاب الله دعاه فلم يكن له ولد الا امن فاجتمع له
اسلام ابويه واولاده جميعا وادرك ابواه عبد الرحمن وابن ابنه عتيق
النبي صلى الله عليه وسلم وهم مومنون ولم يكن ذلك لاحد من الصحابة
تنبيه اصلح يتعدي بنفسه لقوله تعالى واصلحنا له زوجه وانما تعدي
بفي لتضمنه معنى الطف بي في ذريتي او لانه جعل الذرية ظرفا للاصلاح
والمعنى هب الصلاح في ذريتي واوقعه فيهم اني تبت اي رجعت اليك
عن كل ما يقدح في الاقبال عليك واكد اعلاما بان حاله في الاقبال
علي الشهوات حال من يبعد منه الاقلاع فينكر اخباره به وكذا قوله
واني من المسلمين اي الذين اسلموا بظواهرهم وبواطنهم فانقادوا
اتم انقياد اولئك اي العالو الرتبة القايلون هذا القول ابو بكر وغيره
الذين نتقبل باسهل وجه عنهم وقرا بصيغة الفعل المبني الى انه
يعمل في قبوله عمل المعتني والتقبل من الله هو ايجاب الثواب له على عمله

وقوله تعالى احسن ما عملوا اي اعمالهم الصالحة التي عملوها في الدنيا فان
قيل كيف قال تعالى احسن والله تعالى يتقبل الاحسن وغيره دونه
اجيب بوجهين احدهما ان المراد بالاحسن الحسن كقوله تعالى
واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم وكقوله الناقص والاشج اعدلا
بني مروان اي عادلا بني مروان ثانيهما ان الحسن من الاعمال هو المباح
الذي لا يتعلق به ثواب ولا عقاب والاحسن ما يغاير ذلك وهو المندوب
او الواجب ولما كان الانسان محل النقصان وان كان محسنا نبه على
ذلك بقوله تعالى ونتجاوز اي بوعد لا يخلف عن سيئاتهم اي فلا نعاقبهم
عليها وقرا حمزة والكسائي وحفص بنون مفتوحة قبل الفوقية من نتجاوز
والباقون بيا مضمومة قبل الفوقية من يتقبل ويتجاوز ورفع احسن
وقوله تعالى في اصحاب الجنة في محل الحال اي كائنين في جملة اصحاب الجنة
كقولك اكرمني الامير في اصحابه اي في جملتهم وقيل خبر مبتدا مضمر
اي هم في اصحاب الجنة وقوله تعالى وعد الصدق مصدر مؤكد لمضمون الجملة
السابقة لانه قوله تعالى اولئك الذين نتقبل عنهم في معنى الوعد فيكون
قوله تعالى يتقبل ويتجاوز وعد من الله تعالى لهم بالتقبل والتجاوز
والمعنى يعامل من صفته ما قدمنا بهذا الجزاء وذلك وعد من الله تعالى
صدق لكونه مطابقا للواقع الذي كانوا يوعدون اي يقع لهم الوعد به
في الدنيا ممن لا اصدق منه وهم الرسل عليهم السلام حين اخبروا
بقوله تعالى وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات ولما وصف تعالى الولد
البار بوالديه وصف الولد العاق لهما بقوله تعالى والذي قال لوالديه اف لكما
والمراد به الجنس وقال ابن عباس والسدي نزلت في عبد الله بن ابي
وقيل في عبد الرحمن بن ابي بكر قبل اسلامه كان ابواه يدعوانه الى
الاسلام وهو يابى وهو قوله اف لكما وقال الحسن وقتادة انها نزلت
في كل كافر عاق لوالديه وعلى ثبوت انها نزلت في من تقدم لا ينافي ان المراد هو
الجنس فان خصوص السبب لا يوجب التخصيص وفي اف قراآت ذكرت
في سورة بني اسرائيل اتعدانني اي على سبيل الاستمرار بالتجديد
في كل وقت وقرا هشام بادغام النون الاولى في الثانية وفتح اليا نافع
وابن كثير وسكنها الباقون ان اخرج اي مخرج ما يخرجني من
الارض بعد ان غبت فيها وصرت ترابا يحييني كما كنت اول مرة وقد
اي والحال انه قد خلت اي مضت على سنن الموت القرون اي الامم
الكثيرة مع ضلالتهم من قبلي اي قرنا بعد قرن وتطاولت
الازمان ولم يخرج منهم احد من القبور وهما اي والحال انهما كلما قال
لهما ذلك يستغيثان الله اي يطلبان ان يدعا بهما من له جميع الكمال

ان يغيثهما

ان يغيثهما بالهامه قبول كلامهما ويقولان له ان لم ترجع ويلك اي هلاكك بمعنى
هلكت آمن اي اوقع الايمان الذي لا ايمان غيره وهو الذي ينقذ من كل هلكة
ويوجب كل فوز بالتصديق بالبعث وبكل ما جاء عن الله ثم عللا امرهما على هذا الوجه
موكدين في مقابلة انكاره بقولهما ان وعد الله اي الملك المحيط بجميع صفات
الكمال حق اي ثابت اعظم ثبات لانه لو لم يكن حقا لكان نقصا من جهة
الاخلاف الذي لا يرضاه لنفسه اقل الملوك فكيف بملك الملوك فيقول مسببا
عن قولهما وعقبا لهما ما هذا اي الذي تذكرانه من البعث الا اساطير اي
اكاذيب الاولين التي كتبوها اولئك اي البعداء من العقل والمروة وكل خير
الذين حق اي ثبت ووجب عليهم القول اي الكامل في بابه بانهم اسفل السافلين
وهذا كما قال البيضاوي يرد من قال انها نزلت في عبد الرحمن بن ابي
بكر لانه يدل على انه من اهلها لذلك وقد جب عنه ان كان لاسلامه وقال
البقاعي وهذا يكذب من قال انها نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر فانه اسلم
وصار من اكابر الصحابة تحقق له الجنة ولما اثبت لهم هذه الشنعة
بين كثرة من شاركهم فيها بقوله تعالى في اي كائنين في امم اي خلائق كانوا
بحيث يقصدهم الناس ويتبع بعضهم بعضا قد خلت اي تلك الامم
من قبلهم فكانوا قدوتهم واعاد الجار لان المحكوم عليه بعض السالفين
من الجن لان العرب كانت تستعظمهم وتستجير بهم وذلك لانهم
يتظاهرون لهم ويؤذونهم ولم ينقطع اذاهم لهم وتسلطهم عليهم ظاهرا
وباطنا الا بالقرآن فانهم احرقهم بانواره وجلاهم عن تلك البلاد بجلي
آثاره والانس ولا نفعهم كثرتهم ولا اغنت عنهم قوتهم
وقوله تعالى انهم اي كلهم كانوا اي جبلة وطبعا وخلقا لا يقدرون
على الانفكاك عنه خاسرين اي عريقين في هذا الوصف تعليل
للحكم على الاستئناف ولكل درجات مما عملوا قال ابن عباس يريد من
سبق الى الاسلام فهو افضل ممن تخلف عنه ولو ساعة وقال مقاتل
ولكل من الفريقين يعني البار بوالديه والعاق لهما درجات في الايمان والكفر
والطاعة والمعصية فان قيل كيف يجوز اطلاق لفظ الدرجات
على اهل النار وقد روي في الجنة درجات والنار دركات اجيب عنها من وجوه احدها
ان ذلك على جهة التغليب وثانيها قال ابن زيد درج اهل الجنة تذهب
علوا ودرج اهل النار هبوطا وثالثها المراد بالدرجات المراتب
المتزايدة فدرجات اهل الجنة في الخيرات والطاعات ودرجات اهل
النار في المعاصي والسيئات وقوله تعالى وليوفيهم اعمالهم اي جزاءها
معلله محذوف تقديره جزاهم بذلك وقرا ابن كثير وابو عمرو وهشام
وعاصم باليا التحتية اي الله والباقون بالنون اي ونحن وقوله تعالى

ثم لا يظلمون اي شيئاً بنقص للمومنين ولا بزيادة للكافرين اما
استيناف او حال موكدة ويوم اي واذكر يا افضل الخلق لهولا يوم
يعرضون هكذا كان الاصل ولكنه تعالي اظهر الوصف الذي اوجب لهم
الخزي بقوله تعالي يعرض الذين كفروا على النار اي يصلون لهيبها ويقلبون
فيها كما يعرض اللحم الذي يشوي وقيل تعرض عليهم النار ليروا اهوالها
مقولا لهم على سبيل التنديم والتفريع والتوبيخ والتشنيع لانهم لم يذكروه
تعالى حق ذكره عند شهواتهم بل نالوها عند مخالفة امره سبحانه
وتعالي اذهبتم طيباتكم اي لذاتكم باتباعكم الشهوات وقرا ابن كثير
وابن عامر قبل الذال بهمزتين مفتوحتين الاولي محققة بلا خلاف
والثانية مسهلة بخلاف عن هشام وادخل هشام بينهما الفا ولم
يدخل ابن كثير وابن ذكوان والباقون بهمزة واحدة محققة في حياتكم
الدنيا اي القريبة الدنية المؤذن وصفها لمن يعقل بحياة اخري بعدها
فكان سعيكم في حركاتكم وسكناتكم لاجلها حتي نلتموها واستمتعتم
اي طلبتم واوجدتم انتفاعكم بها وجعلتموها غاية حظكم في رفعتكم
ونعمتكم والمعني ان ما قدر لكم من الطيبات والدرجات فقد استوفيتموه
في الدنيا فلم يبق لكم بعد استيفاحظكم شيء منها وعن عمر رضي الله تعالى عنه
لو شئت لكنت اطيبكم طعاما واحسنكم لباسا ولكني استبقي طيباتي
قال الواحدي ان الصالحين يوثرون التقشف والزهد في الدنيا رجاء ان
يكون ثوابهم في الاخرة اكمل لان هذه الاية لا تدل على المنع من التمتع لانها
وردت في حق الكافر وانما وبخ الله تعالى الكافر لانه تمتع بالدنيا ولم يود شكر
المنعم فلا يوبخ بتمتعه ويدل على ذلك قوله تعالى قل من حرم زينة الله
التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق نعم لا ينكر ان الاحتراز عن التنعم
اولي لان النفس اذا اعتادت التنعم صعب عليها الاحتراز والانقياد
وحينئذ ربما حمل الميل الي تلك الطيبات على فعل ما لا ينبغي روي عمر انه
قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو على رمال حصير
قد اثر الرمال بجنبه فقلت يا رسول الله ادع الله تعالى ان يوسع على امتك
فان فارس والروم قد وسع عليهم وهم يعبدون غير الله تعالى فقال صلى الله
عليه وسلم اولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا وعن عائشة
قالت ما شبع ال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز الشعير يومين
متتابعين حتي قبض صلى الله عليه وسلم وعنها انها قالت كان يأتي علينا
الشهر ما نوقد فيه نارا وما هو الا الما والتمر وعن ابن عباس قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة طاويا واهله لا يجدون
عشا وكان اكثر خبزهم خبز الشعير والاحاديث فيه كثيرة ولما كانت

الاستهانة

الاستهانة بالاوامر والنواهي استهانة بيوم الجزا سبب عنه قوله تعالى
فاليوم تجزون اي على اعراضكم عنا عذاب الهون اي الهوان العظيم
المجتمع الشديد الذي فيه ذل وخزي بما كنتم اي جبلة وطبعا تستكبرون
اي تطلبون الترفع وتوجدونه على الاستمرار في الارض التي هي لكونها
ترابا وموضوعة على الزوال والخراب احق شي بالتواضع والذل والهوان
بغير الحق اي الامر الذي يطابق الواقع وهو اوامرنا ونواهينا وبما كنتم
اي على الاستمرار تفسقون اي بسبب الاستكبار الباطل والفسوق
عن طاعة الله تنبيه دلت الاية على ان الكفار مخاطبون بفروع الاسلام
لان الله تعالى علل عذابهم بامرين اولهما الكفر وثانيهما الفسق وهذا الفسق
لا بد وان يكون مغايرا لذلك الكفر لان العطف يوجب المغايرة فثبت ان
فسق الكفار يوجب العقاب في حقهم ولا معنى للفسق الا ترك
الماموراث وفعل المنهيات ولما كان قوم عاد اكثر اموالا وقوة وجاها
من اهل مكة ذكر تعالى قصتهم فيعتبروا فيتركوا الاغترار بما وجدوه
في الدنيا فقال عز من قائل واذكر يا اشرف الرسل لهولا الذين
لا يتعظون اخا عاد وهو اخوك هود عليه السلام الذي كان بين قوم
اشد من قومك ولم تخف عاقبتهم وامرهم ونهاهم ونجيته منهم فهو
لك قدوة وفيه اسوة ولقومك في قصدهم اياك بالاذي من امره موعظة
وقوله تعالى اذ انذر بدل اشتمال من اخا قومه اي الذين لم قوة على القيام
فيما يحاولونه بالاحقاف قال ابن عباس واد بين عمان ومهرة وقال مقاتل
كانت منازل عاد باليمن بحضرموت بموضع يقال له مهرة اليها تنسب الابل
المهرية وكانوا اهل عمد سيارة في الربيع فاذا هاج العود رجعوا الى منازلهم
وكانوا من قبيلة ارم قال قتادة وذكر لنا ان عادا كانوا حيا من اليمن
كانوا اهل رمل مشرفين على البحر بارض يقال لها الشحر وقد اي والحال
قد خلت النذر اي مرت ومضت الرسل الكثيرون من بين يديه اي من قبل
هود كنوح وشيث وادم عليهم السلام ومن خلفه اي بعده والمعنى
ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون
نحو انذاره والجملة حال او اعتراض ولما اشار الي كثرة الرسل ذكر وحدهم
في اصل الدعا فقال مفسرا للانذار معبرا بالنهي ان لا تعبدوا اي ايها
العباد المنذرون بوجه من الوجوه شيئا من الاشيا الا الله اي الملك الذي
لا ملك غيره ولا خالق سواه ولا منعم الا هو فان اراكم تشركون به من لم يشركه
في شي من تدبيركم والملك لا يقر على مثل هذا اني اخاف عليكم لكونكم
قومي واعز الناس على عذاب يوم عظيم اي لا بدع جهة الامهال عذابه
ان اصررتم على ما انتم فيه من الشرك قالوا له في جوابه

منكرين عليه اجئتنا اي ياهود لتافكنا لتصرفنا عن وجه امرنا الى قفاه عن الهتنا فلا نعبدها ولا نعتد بها فاتنا بما تعدنا من العذاب سموا الوعيد وعدا ان كنت اي بقال عنك كونا تابنا من الصادقين في انك رسول من الله وانه ياتينا بما تخافه علينا من العذاب ان اصرنا قال اي هود مكذبا لهم في نسبتهم اليه ادعا شي من ذلك انما العلم اي المحيط بكل شي عذابكم وغيره عند الله اي المحيط بجميع صفات الكمال فهو يعلم ما توعدون به على من يشاء ان شا ولا علم لي الى الان ولا لكم بشي من ذلك ولا قدرة وابلغكم اي في الحال والاستقبال وقرا ابو عمرو بسكون البا الموحدة وتخفيف اللام والباقون بفتح الموحدة وتشديد اللام ما ارسلت به ممن لا مرسل في الحقيقة غيره سوا كان وعدا او وعيدا ام غير ذلك ولم يذكر الغاية لان ما ارسل به صالح لهم ولغيرهم ولكني اراكم اي اعلمكم علما كالروية وقرا نافع والبزي وابو عمرو بفتح الياء والباقون بسكونها وامال الالف بعد الرا ورش بين بين واما لها ابو عمرو والكساي محضة والباقون بالفتح قوما تجهلون اي باستعجال العذاب فان الرسل بعثوا مبلغين منذرين لا مقترحين فلما راوه اي العذاب الذي توعدهم به عارضا اي سحابا اسود بارزا في الافق ظاهر الامر عند من له اهلية النظر حال كونه قاصدا اليهم مستقبل اوديتهم اي طالبا لان يكون مقابلا لها وموجدا لذلك قالوا على عادة جهلهم مشيرين اليه باداة القرب الدالة على انهم في غاية الجهل لان جهلهم به استمر حتى كاد ان يوافقهم هذا عارض اي سحاب معترض في عرض السماء اي ناحيتها ممطرنا قال المفسرون كان حبس عنهم المطر اياما فساق الله اليهم سحابة سودا فخرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما راوها استبشروا وقالوا هذا عارض ممطرنا فقال الله تعالى بل هو اي هذا العارض الذي ترونه ما استعجلتم اي طلبتم العجلة في اتيانه وقوله تعالى به ريح بدل من ما فيها عذاب اليم اي شديد الايلام روي انها كانت تحمل الفسطاط فتحملها في الجو وتحمل الظعينة في الجو فتحملها وهودجها حتى ترى كانها جرادة وكانوا يرون ما كان خارجا عن منازلهم من الناس والمواشي تطير بهم الريح بين السما والارض ثم تقذف بهم ثم وصف تلك الريح بقوله تعالى تدمر اي تهلك اهلاكا عظيما شديدا كل شي اي اتت عليه من الحيوان والناس وغيرهما هذا شانها فمن سلم منها كهود عليه السلام

ومن امن به

ومن امن به فسلامته امر خارق كما ان امرها في اهلاك كل ما مرت عليه امر خارق للعادة بامر ربها اي المبدع لها والمربي والمحسن بالانتقام من اعدايه فان قيل ما فايدة اضافة الرب الى الريح اجيب بان فايدة ذلك الدلالة على ان الريح وتصريف اعنتها مما يشهد بعظم قدرته لانها من اعاجيب خلقه واكابر جنوده وذكر الامر وكونها مامورة من جهته عز وعلا يعضد ذلك ويقويه فليس من تاثير الكواكب والقرانات قيل اول من ابصر العذاب امراة منهم قالت رايت ريحا فيها كشهب النار وروي ان اول ما عرفوا به انه عذاب اليم انهم راوا ما كان في الصحرا من رجالهم ومواشيهم تطير بهم الريح بين السما والارض فدخلوا بيوتهم وغلقوا ابوابهم فقلعت الريح الابواب وصرعتهم وامال الله عليهم الاحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام لهم انين ثم امر الله الريح فكشفت عنهم الرمال وحملتهم فرمت بهم في البحر وروي ان هودا لما احس بالريح خط على نفسه وعلى المومنين خطا الى جنب عين تنبع وكانت الريح التي تصيبهم ريحا طيبة هادية والريح التي تصيب قوم عاد ترفعهم من الارض وتطير بهم الى السماء وتضرب بهم على الارض وعن ابن عباس اعتزل هود ومن معه في حظيرة ما يصيبهم من الريح الا ما تلين على الجلود وتلذه الانفس وانها لتمر من عاد بالظعن بين السما والارض وتدمغهم بالحجارة واثر المعجزة انما ظهر في تلك الريح من هذا الوجه قال صلى الله عليه وسلم ما امر الله خازن الريح ان يرسل على عاد الا مقدار الخاتم وذلك القدر اهلكهم بكليتهم كما قال تعالى فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم اي فجاتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا بحيث لو حضرت بلادهم لا ترى الا مساكنهم وقرا عاصم وحمزة بالياء التحتية المضمومة ورفع النون من مساكنهم لقيامه مقام الفاعل والباقون بالتاء الفوقية مفتوحة مبنيا للفاعل ونصب مساكنهم مفعولا به وامال الالف بعد الرا ورش بين بين وابو عمرو وحمزة والكساي محضة وكذلك من القرى كذلك اي مثل هذا الجزاء الهايل في اصله او جنسه او شخصه من الاهلاك نجزي بعظمتنا دايما اذا شينا القوم المجرمين اي العريقين في الاجرام الذين يقطعون ما حقه الوصل وذلك الجزا هو الاهلاك على هذا الوجه الشنيع وروي انه صلى الله عليه وسلم كان اذا راى الريح فزع وقال اللهم اني اسالك خيرها وخير ما ارسلت اليه واعوذ بك من شرها وشر ما ارسلت به واذا راي مخيله اي سحابة

تهم

قام وقعد وجاء وذهب وتغير لونه فنقول له يارسول الله ما نخاف فيقول
اني اخاف ان يكون مثل قوم عاد حيث قالوا هذا عارض ممطرنا فاحذروا ايها العرب
مثل ذلك ان لم ترجعوا فان قيل قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت
فيهم فكيف يحصل التخويف اجيب بان ذلك كان قبل نزول الاية ثم اخبر
تعالى عن مكنة عاد بقوله سبحانه ولقد مكناهم اي مكنا تظهر له عظمتنا
به اي في الذي ما نافية اي ما مكناكم يا اهل مكة فيه من قوة
الابدان وطول الاعمار وكثرة الاموال وغيرها ثم انهم مع ذلك ما نجوا
من عقاب الله تعالى فكيف يكون حالكم تنبيه قال البقاعي وجعل
النافي ان لانها ابلغ من ما لان ما تنفي تمام الفوت لتركيبها من الميم والالف
التي حقيقة ادراكها فوت تمام الادراك وان تنفي ادنى مظاهر مدخولها
فكيف بما وراه من تمامه لان الهمزة اول مظهر لفوت الالف والنون لمطلق
لمطلق الاظهار هذا الي ما في ذلك من عذوبة اللفظ وصونه عن ثقل التكرار
الي غير ذلك من بديع الاسرار انتهى وقال الزمخشري ان نافية اي فيما
مكناكم الا ان لان احسن في اللفظ لما في مجامعة ما بمثلها من التكرار
المستبشع ومثله مجتنب الا ترى ان الاصل في مهما ما ما فلبشاعة
التكرير قلبوا الالف هاء ولقد اغث ابو الطيب في قوله لعمرك ما ما بان منك لضارب
وما ضره لو اقتدى بعذوبة لفظ التنزيل فقال لعمرك ما ان بان منك لضارب
وقد جعلت ان صلة مثلها فيما انشده الاخفش
يرجي المرء ما ان لا يراه ۝ وتعرض دون ادناه الخطوب ۝
ويؤول بانا مكناهم في مثل ما مكناكم فيه والوجه هو الاول وجعلنا لهم
اي على ما اقتضته عظمتنا سمعا وافرده لقلة التفاوت فيه
في انوار الابصار وكذا في قوله تعالى وابصارا اي فتحنا عليهم ابواب النعم
واعطيناهم سمعا فما استعملوه في سماع الدلايل واعطيناهم ابصارا
فما استعملوها في دلايل ملكوت السموات والارض واعطيناهم افيدة
اي قلوبا فما استعملوها في طلب معرفة الله تعالى بل صرفوا كل هذا القوى
الي طلب الدنيا ولذاتها فلا جرم قال تعالى فما اغنى عنهم في حال
ارسالنا اليهم الرحمة على لسان هود عليه السلام ثم النقمة بيد الريح
سمعهم واكد النفي بتكرار النافي بقوله تعالى ولا ابصارهم وكذا في قوله تعالى
ولا افيدتهم لما اردنا اهلاكهم واكد باثبات الجار بقوله تعالى من شيء
اي من الاشياء وان قل وقال الجلال المحلي ان من زايدة وقوله تعالى اذ
معمولة لاغنى واشربت معنى التعليل اي لانهم كانوا اي طبعا وخلقا
يجحدون اي يجرون على مر الزمان الجحد بايات الله اي الانكار لما يعرف
من دلايل الملك الاعظم وحاق اي نزل بهم ما كانوا به يستهزءون

لانهم

وكذا في قوله تعالى وافيدة م

لانهم كانوا يطلبون نزول العذاب على سبيل الاستهزا ولما تم المراد من الاخبار
باهلاكهم على حالهم من المكنة العظيمة ليتعظ بهم من سمع امرهم اتبعهم من كان
مشاركا لهم في التكذيب فشاركهم في الهلاك فقال تعالى ولقد اهلكنا اي
بما لنا من العظمة ما حولكم يا اهل مكة من القرى كحجر ثمود وعاد وارض
سدوم وسبا ومدين والايكة وقوم لوط وفرعون واصحاب الرس وغيرهم
ممن فيهم معتبر وصرفنا اي بينا الايات اي الحجج البينات لعلهم اي
الكفار يرجعون اي ليكونوا عند من يعرف حالهم في رويتها الايات حال
من يرجع عن الغي الذي كان يركبه لتقليد او شبهة كشفتها الايات
وفضحتها الدلالات فلم يرجعوا فكان عدم رجوعهم سبب اهلاكهم
فلولا اي فهلا ولم لا نصرهم الذين اي نصرهم ولا الهة لكن الذين اتخذوا
اي اجتهدوا في صرف انفسهم عن دواعي العقل حتى اخذوا من
دون الله اي الملك الذي هو اعظم من كل عظيم قربانا اي يتقربا
الي الله تعالى الهة معه وهم الاصنام ومفعول اتخذ الاول ضمير محذوف
يعود على الموصول اي هم وقربانا المفعول الثاني والهة بدل منه
بل ضلوا اي غابوا عنهم وقت نزول النقمة وقرا الكسائي بادغام
اللام في الضاد والباقون بالاظهار وذلك اي اتخاذهم الاصنام الهة
قربانا افكهم اي كذبهم وما كانوا اي على وجه الدوام لكونه في طباعهم
يفترون اي يتعمدون كذبه لان اصرارهم عليه عليه بعد مجي الايات
لا يكون الا كذلك لان من نظر فيها مجرد انفسه عن الهوي اهتدي
واذ اي واذكر اذ صرفنا اي املنا اليك نفرا وهو اسم يطلق على
ما دون العشرة وسياتي في ذلك خلاف من الجن اي جن نصيبين
اليمن او جن نينوى يستمعون القران اي يطلبون سماع الذكر الجامع لكل
خير الفارق بين كل ملتبس وانت في صلاة الفجر في نخلة تصلي في
باصحابك فلما حضروه اي صاروا بحيث يسمعونه قالوا اي قال
بعضهم ورضي الاخرون انصتوا اي اسكتوا وميلوا بكلياتكم واستمعوا
حفظا للادب على بساط الخدمة وفيه تادب مع العلم في تعلمه قال
القشيري فاهل الحضور صفتهم الذبول والسكون والهيبة والوقار
تنبيه ذكروا في كيفية هذه الواقعة قولين احدهما قال سعيد
ابن جبير كان الجن تستمع فلما رجموا قالوا هذا الذي حدث في السما انما
حدث لشي في الارض فذهبوا يطلبون السبب وكان قد اتفق
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما ايس من اهل مكة ان يجيبوه خرج الى
الطايف ليدعوهم الي الاسلام فلما انصرف الى مكة وكان ببطن نخلة قام
يقرا القران فمر به نفر من اشراف نصيبين كان ابليس بعثهم

لعرف السبب الذي اوجب حراسة السما بالرجم فسمعوا القرآن فعرفوا ان ذلك هو
السبب والقول الثاني ان الله تعالى امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان ينذر الجن
ويدعوهم الى الله تعالى ويقرا عليهم القرآن فصرف الله تعالى اليه نفرا من الجن يستمعو
نه القرآن وينذرون قومهم روي ان الجن كانوا يهودا لان في الجن مللا كما في
الانس من اليهود والنصارى وعبدة الاوثان والمجوس واطبق المحققون
على ان الجن مكلفون سئل ابن عباس هل للجن ثواب قال نعم لهم ثواب
وعليهم عقاب يلتقون في ابواب الجنة ويزدحمون على ابوابها وروي
الطبراني عن ابن عباس ان اولئك الجن كانوا سبعة نفر من اهل نصيبين
فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا الى قومهم وعن زر ابن
حبيش كانوا تسعة احدهم زوبعة وعن قتادة ذكر لنا انهم صرفوا اليه
من نينوى وروي في الحديث ان الجن ثلاثة اصناف صنف لهم اجنحة
يطيرون في الهوا وصنف حيات وكلاب وصنف يحلون ويظعنون
واختلفت الروايات هل كان عبد الله بن مسعود مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليلة الجن وروي عن انس قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم
وهو بظاهر المدينة اذ اقبل شيخ يتوكا على عكازة فقال النبي صلى الله عليه
وسلم انها لمشية جني ثم اتى فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال
النبي صلى الله عليه وسلم انها لنغمة جني فقال الشيخ اجل يا رسول الله
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم من اي الجن انت فقال يا رسول الله
انا هام بن هيم بن لاقيس بن ابليس فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
لا ارى بينك وبين ابليس الا ابوين قال اجل يا رسول الله قال
كم اتى عليك من العمر قال اكلت عمر الدنيا الا القليل كنت حين قتل
قابيل هابيل غلاما ابن اعوام فكنت اتشرف على الاكام واصطاد
الهام واورش بين الانام فقال النبي صلى الله عليه وسلم بئس
العمل فقال يا رسول الله دعني من العتب فاني ممن امن مع نوح عليه السلام
وعاتبته في دعوته فبكى وابكاني وقال والله اني لمن النادمين واعوذ
بالله ان اكون من الجاهلين ولقيت هودا فعاتبته في دعوته فبكا وابكاني
وقال والله اني لمن النادمين واعوذ بالله ان اكون من الجاهلين ولقيت
ابراهيم وامنت به وكنت بينه وبين الارض اذ رمي به في المنجنيق
وكنت معه في النار اذ القي فيها وكنت مع يوسف اذ القي في الجب فسبقته
الى قعره ولقيت موسى بن عمران بالمكان الاثير وكنت مع عيسى بن مريم
فقال لي ان لقيت محمدا فاقرا عليه السلام قال انس فقال النبي صلى
الله عليه وسلم وعليه السلام وعليك السلام يا هام ما حاجتك
قال ان موسى عليه السلام علمني التوراة وان عيسى علمني الانجيل

فعلمني

٣٦٦

فعلمني القرآن قال انس فعلمه النبي صلى الله عليه وسلم سورة الواقعة وعم يتساءلون
واذا الشمس كورت وقل يا ايها الكافرون وسورة الاخلاص والمعوذتين **فلما قضي**
اي فرغ من قرائته **ولوا** اي رجعوا **الى قومهم** الذين فيهم قوة القيام بما يحاولونه
منذرين اي مخوفين لهم ومحذرين عواقب الضلال بامر من رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ابن عباس جعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا الى قومهم ولما كان
قبل ما قالوا لهم في انذارهم قيل **قالوا يا قومنا** مترفقين لهم مترققين بهم بذكر ما يدل
على انهم منهم يهمهم ما يهمهم **انا سمعنا** اي ما بيننا وبين القاري واسطة
واشاروا الى انهم انه لم ينزل بعد التوراة شي جامع لجميع ما يراد منه مغن عن
جميع الكتب غير هذا وبذلك عرفوا انه ناسخ لجميع الشرايع بقولهم **كتابا**
اي ذكرا جامعا لا كما نزل بعد التوراة على بني اسرائيل **انزل** اي ممن لا امر ل
غيره وهو ملك الملوك لان عليه من رونق الكتب الالهية ما يوجب القطع
لسامعه بانه منها فكيف اذا انضم لذلك الاعجاز وعلموا قطعا بعربيته
انه عربي وبانهم كانوا يضربون مشارف الارض ومغاربها ويسمعون
قراة الناس لما يحدثونه من الحكم والخطب والكهانة والرسايل والاشعار
فانه مباين لجميع ذلك **من بعد موسى** فلم يعتدوا بما انزل بين هذا الكتاب ب
وبين التوراة من الانجيل وما بينه لانه لا يساوي التوراة في الجمع
وروي عن عطا والحسن انما قالوا ذلك لانهم كانوا يهودا وعن ابن عباس ان الجن
ما سمعوا امر عيسى فلذلك قالوا من بعد موسى ولما اخبروا بانه منزل
اتبعوه بما يشهد له بالصحة بقولهم **مصدقا لما بين يديه** اي من جميع
كتب بني اسرائيل الانجيل وما قبله ثم بينوا تصديقه بقولهم **يهدي**
الى الحق اي الامر الثابت الذي يطابق الواقع فلا يقدر احد على ازالة
شي مما يخبر به الكامل في جميع ذلك **والى طريق** يوصل الى المقصود
مستقيم لا عوج فيه **يا قومنا** الذين لهم قوة العلم والعمل
اجيبوا داعي الله اي الملك الاعظم المحيط بصفات الكمال فان دعوة
هذا الداعي عامة لجميع الخلق فالاجابة واجبة على كل من بلغه امره وفي
هذه الاية دلالة على انه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى الجن كما كان
مبعوثا الى الانس قال مقاتل لم يبعث الله نبيا الى الجن والانس
قبله **وامنوا به** اي اوقعوا التصديق بسبب الداعي وهو النبي صلى
الله عليه وسلم لا بسبب اخر فان المفعول معه مفعول مع الله تعالى
فان قيل قوله تعالى اجيبوا داعي الله امر باجابته في كل ما امر به فيدخل
فيه الامر بالايمان فكيف قال وامنوا به اجيب بانه انما ذكر الايمان على
التعيين لانه اهم الاقسام واشرفها وقد جرت عادة القرآن بان
يذكر اللفظ العام ثم يعطف عليه اشرف انواعه كقوله تعالى وملايكته

ورسله وجبريل وميكال وقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح
ولما امر تعالى بالايمان ذكر فايدته بقوله تعالى **يغفر لكم** اي الله تعالى **من ذنوبكم**
اي بعضها من الشرك وما شابهه مما هو حق لله تعالى وكذا ما يجازي به صاحبه
في الدنيا بالعقوبات والنكبات والهموم ونحوها مما اشار اليه قوله تعالى
وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير واما المظالم
فلا تغفر الا برضا اربابها وقيل من زائدة والتقدير يغفر لكم ذنوبكم
وقيل بل فايدته ان كلمة من هنا لابتدا الغاية والمعنى انه يقع ابتدا
الغفران بالذنوب ثم ينتهي الى غفران ما صدر عنكم من ترك الاولى والاكمل
ويجركم اي يمنعكم منع الجار لجاره لكونه بالتحيز الى داعيه صونه
من حزبه **من عذاب اليم** قال ابن عباس فاستجاب لله لهم من قومهم
نحو سبعين رجلا من الجن فرجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فوافوه بالبطحا فقرا عليهم القرآن وامرهم ونهاهم تنبيه اختلفوا
في ان الجن هل لهم ثواب ام لا فقيل لا ثواب لهم الا النجاة من النار ويقال
لهم كونوا ترابا مثل البهائم واحتجوا على ذلك بقوله تعالى ويجركم من
عذاب اليم وهو قول ابي حنيفة والصحيح ان حكمهم حكم بني ادم يستحقون
الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية وهو قول ابن ابي ليلى ومالك
وتقدم عن ابن عباس ايضا نحو ذلك قال الضحاك يدخلون الجنة وياكلون
ويشربون لان كل دليل دل على ان البشر يستحقون الثواب فهو بعينه
قائم في حق الجن والفرق بينهما بعيد جدا وذكر القاضي في تفسيره حديثا
انهم يدخلون الجنة فقيل هل يصيبون من نعيمها قال يلهمهم الله تسبيحه
وذكره فيصيبهم من لذته ما يصيبه بنو ادم من نعيم الجنة وقال ارطاة
ابن المنذر سالت ضمرة بن حبيب هل للجن ثواب قال نعم وقرا لم يطمثهن
انس قبلهم ولا جان وقال عمر بن عبد العزيز ان مؤمني الجن حول الجنة في
ربض ورحاب وليسوا فيها ولما افهم كلامهم انهم ان لم يجيبوا ابتغهم منهم
بالعذاب الاليم ابتغوه ما هو اغلظ انذارا منه فقالوا **ومن لا يجب**
اي يتجدد منه ان يجيب **داعي الله** اي الملك الذي لا كفؤ له **فليس
بمعجز** اي لا يعجز الله عز وجل بالهرب منه **في الارض** فيفوته فانه اي مكان
مكان سلك فيها هو في ملكه وقدرته محيطة به **وليس له من دونه**
اي الله سبحانه الذي لا مجير عليه **اولياء** يفعلون لاجل ما يفعل القريب
مع قريبه من الذب عنه والاستنفاع به والاقتدا **اولئك** اي البعيدون
من كل خير **في ضلال مبين** ظاهر في نفسه انه ضلال مظهر لكل احد قبح احاطته
بهم تنبيه ملهما همزتان مضمومتان من كلمتين ولا نظير لهما في
القرآن العظيم قرا قالون والبزي بتسهيل الاولى كالواو مع المد والقصر

وسهل الثانية ورش وقنبل بعد تحقيق الاولى ولهما ايضا ابدال الثانية الفا واسقط
الاولى ابو عمرو مع المد والقصر والباقون بتحقيقهما وهم على مراتبهم في المد **اولم يروا**
اي يعلموا علما هو في الوضوح كالروية **ان الله** ودل على ما دل عليه هذا الاسم
الاعظم بقوله تعالى **الذي خلق السموات** على ما احتوت عليه بما يعجز الوصف عن العبر
والارض على ما اشتملت عليه من الايات المدركة بالعيان والخبر **ولم يعي**
اي ولم يتعب ولم يعجز **بخلقهن** اي بسبب من الاسباب فانه لو حصل له
شي من ذلك ادى الى نقصان فيهما او في احدهما واكد الانكار المتضمن
للنفي بزيادة الجار في خبران فقال **بقادر** اي قدرة عظيمة **على ان يحيي**
اي على سبيل التجديد مستمرا **الموتى** والامر فيهم كونه اعادة وكونهم
جزأ يسيرا مما ذكر اختراعه اصغر شانا واسهل صنعا واجاب بقوله
تعالى **بلى** لان هذا الاستفهام الانكاري في معنى النفي اي قد علموا انه
قادر على ذلك علما هو في اتقانه بالبصر لانهم يعلمون انه المخترع لذلك
وان الاعادة اهون من الابتدا في مجاري عاداتهم ولكنهم عن هذا غافلون
لانهم عنه معرضون وقوله تعالى **انه على كل شي قدير** تقرير للقدرة على وجه
عام يكون كالبرهان على المقصود كانه لما صدر السورة بتحقيق المبدا
اراد ختمها باثبات المعاد ولما اثبت البعث بما قام من الدلائل ذكر بمحا
بعض ما يحصل في يومه من الاهوال بقوله تعالى **ويوم** اي واذكر يوم
يعرض اي باسير امر من اوامرنا **الذين كفروا** اي ستروا بعقولهم وعناد بهم
الادلة الظاهرة **على النار** عرض الجند على الملك فيسمعوا من تغيظها
وزفيرها ما لو قدر ان احدا يموت في ذلك اليوم لماتوا من معاينته
وهايل رؤيته ثم يقال لهم **اليس هذا** اي الامر الذي كنتم به توعدون ون
ولرسلنا في اخباره تكذبون **بالحق** اي الامر الثابت الذي يطابقه الواقع
ام هو خيال وسحر **قالوا** اي مصدقين حيث لا ينفعهم التصديق **بلى**
وما كفاهم البدار الى تكذيب انفسهم حتى اقسموا عليه بقولهم **وربنا**
اي انه لحق هو اثبت الاشيا وليس فيه شي مما يقارب السحر تنبيه
المقصود من هذا الاستفهام التهكم والتوبيخ على استهزائهم بوعد الله
تعالى ووعيده **قال فذوقوا العذاب** اي باشروه مباشرة الذائق باللسان
ومعنى الامر الاهانة بهم والتوبيخ لهم ثم صرح بالسبب فقال تعالى **بما
كنتم** اي خلقا مستمرا **تكفرون** في دار العمل ولما قرر تعالى المطالب
الثلاثة وهي التوحيد والنبوة والمعاد واجاب عن الشبهات اردفه بما يجري
مجرى الوعظ والنصيحة لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وذلك لان الكفار
كانوا يؤذونه ويوحشون صدره فقال تعالى **فاصبر** اي على مشاق ما ترى
في تبليغ الرسالة وعلى اذى قومك قال القشيري الصبر هو الوقوف

بحكم الله والثبات من غير تثبت ولا استكراه **كما صبر اولوا العزم** اي الثبات والجد في الامور وقال ابن عباس اولوا الحزم وقوله تعالى **من الرسل** يجوز فيه ان تكون من تبعيضية وعلى هذا فالرسل اولوا عزم وغير اولي عزم ويجوز ان تكون للبيان وعليه جرى الجلال المحلي فكلهم على هذا اولوا عزم وحزم وراي وكمال عقل وانما ادخلت من للتجنيس لا للتبعيض كما يقال اشتريت اكسية من الخز واردية من البز وقال بعضهم الانبياء كلهم اولوا العزم الا يونس لعجلة كانت الا ترى انه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ولا تكن كصاحب الحوت وقال قوم هم نجبا الرسل وهم المذكورون في سورة الانعام وهم ثمانية عشر لقوله تعالى بعد ذكرهم اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال الكلبي هم الذين امروا بالجهاد واظهروا المكاشفة مع اعداء الله تعالى وقيل هم ستة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى وابراهيم صبر على النار واسحق صبر على الذبح ويعقوب صبر على فقد ولده ويوسف صبر في الجب والسجن [في الهامش: وذهاب بصره] وايوب صبر على الضر وقال ابن عباس وقتادة هم نوح وابراهيم وموسى وعيسى اصحاب الشرايع ثم مع محمد صلى الله عليه وسلم خمسة ونظمهم بعضهم في بيت فقال

محمد ابراهيم موسى كليمه ۰ فعيسى فنوح هم اولوا العزم فاعلم

قال البغوي ذكرهم الله تعالى على التخصيص في قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وفي قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الاية وعن مسروق قال قالت عايشة [في الهامش: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عايشة] ان الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لال محمد يا عايشة ان الله لم يرض لاولي العزم الا الصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها ولم يرض الا ان كلفني ما كلفهم فقال تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل واني والله لا بد من طاعته والله لاصبرن كما صبروا ولاجهدن كما جهدوا ولا قوة الا بالله ولما امره تعالى بالصبر الذي هو من اعلى الفضايل نهاه عن العجلة التي هي من امهات الرذايل فقال عز من قايل **ولا تستعجل لهم** اي تطلب العجلة وتوجد لما تجد ان تفعل شيئا مما يسوءهم في غير حينه الاليق به فانه نازل بهم في وقته لا محالة قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم ضجر من قومه واحب ان ينزل الله العذاب بمن ابى من قومه فامر بالصبر وترك الاستعجال ثم اخبر ان ذلك العذاب اذا نزل بهم يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبونها ساعة من نهار فقال تعالى **كانهم يوم يرون ما يوعدون** اي من العذاب في الاخرة **لم يلبثوا** اي في الدنيا

الا ساعة

الا ساعة من نهار لما يستقصروا امد لبثهم في الدنيا والبرزخ كانه ساعة من نهار او كانه لم يكن لهول ما عاينوا الان ما مضى وان كان طويلا صار كانه لم يكن قال الشاعر

كان شيئا لم يكن اذا مضى ۰ كان شيئا لم يكن اذا اتى ۰

تنبيه تم الكلام ههنا وقوله تعالى **بلاغ** خبر مبتدا محذوف مقدره بعضهم تلك الساعة بلاغ لدلالة قوله تعالى الا ساعة من نهار وبعضهم هذا اي القران بلاغ اي تبليغ من الله تعالى اليكم وجرى عليه الجلال المحلي **فهل** اي لا **يهلك** اي بالعذاب اذا نزل **الا القوم** اي الذين هم اهل القيام بما يحاولونه من اللدد **الفاسقون** اي العريقون في ادامة الخروج عن الانقياد والطاعة وهم الكافرون قال الزجاج تاويله لا يهلك مع فضل الله ورحمته الا القوم الفاسقون ولهذا قال قوم ما في الرجاء رحمة الله اقوى من هذه الاية وما قاله البيضاوي تبعا للزمخشري من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة الاحقاف كتب الله له عشر حسنات بكل رملة في الدنيا حديث موضوع



سورة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مكية

وتسمى القتال والذين كفروا وهي ثمان وثلاثون اية وخمسماية وتسع وثلاثون كلمة والفان وثلاثماية وتسعة واربعون حرفا ۰

بسم الله الملك الاعظم الذي لا مرجع للذب عن حماه **الرحمن** الذي عمت رحمته تارة بالبرهان وتارة بالسيف واللسان **الرحيم** الذي خص حزبه بالحفظ في طريق الجنان واختلف في قوله **الذين كفروا** منهم فقيل هم الذين كانوا يطعمون الجيش يوم بدر منهم ابو جهل والحارث ابنا هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وغيرهم وقيل كفار قريش وقيل اهل الكتاب وقيل كل كافر لانهم ستروا انوار الادلة وضلوا عن علم **وصدوا** اي امتنعوا بانفسهم ومنعوا غيرهم لغرابتهم في الكفر **عن سبيل الله** اي الطريق الرحب المستقيم الذي شرعه الملك الاعظم **اضل** اي ابطل ابطالا اعظيما يزيل العين والاثر **اعمالهم** كاطعام الطعام وصلة الارحام وفك الاسارى وحفظ الجوار وغير ذلك فلا يرون لها في الاخرة ثوابا من فضله تعالى تنبيه اول هذه السورة مناسب لاخر السورة المتقدمة ولما ذكر تعالى اهل الكفر معبرا عنهم بادنى طبقاتهم ليشمل من فوقهم ذكر اضدادهم كذلك ليعم من كان منهم من جميع الفرق بقوله تعالى **والذين امنوا** اي اقروا بالايمان باللسان **وعملوا** تصديقا لدعواهم **الصالحات** اي الاعمال

الكاملة في الصلاح بناسبها على الايمان ولما كان هذا الوصف لا يخص
اتباع محمد صلى الله عليه وسلم خصهم بقوله تعالى وآمنوا اي مع ذلك
بما نزل اي ممن لا منزل الا هو منجما متفرقا ليجددوا ابدا الايمان به اجمالا
الايمان بكل نجم منه على محمد النبي الامي العربي القرشي المكي المدني الذي
يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل صلى الله عليه وسلم وقوله
تعالى وهو اي هذا الذي نزل عليه صلى الله عليه وسلم موصوف بانه الحق
اي الكامل في الحقية ينسخ ولا ينسخ كائنا من ربهم المحسن اليهم بارساله
اما احسانه الى امته فواضح واما سائر الامم فبكونه هو الشافع فيهم
الشفاعة العظمى يوم القيمة وامنه بي الشاهد لهم جملة معترضة
وقرا قالون وابو عمرو والكسائي وهو بسكون الها والباقون بضمها كفر
عنهم سيئاتهم اي سترا عمالهم السيئة بالايمان وعملهم الصالح واصلح
بالهم اي حالهم في الدين والدنيا بالتوفيق والتاييد ذلك اي الامر
العظيم الذي ذكر هنا من جزا الطائعين بان اي بسبب ان الذين كفروا اي
ستروا مرائي عقولهم اتبعوا اي بغاية جهدهم ومعالجتهم الباطل من
العمل الذي لا حقيقة له في الخارج تطابقه وذلك هو الابتداع والميل مع الهوا
فضلوا وان الذين آمنوا اي ولو كانوا في اقل درجات الايمان اتبعوا
اي بغاية جهدهم الحق الذي له واقع يطابقه وذلك هو الحكمة وهو
العلم بموافقة العمل وهو معرفة المعلوم على ما هو عليه من ربهم اي
الذي احسن اليهم بايجادهم وما سببه من حسن اعتقادهم فاهتدوا
كذلك اي مثل هذا الضرب العظيم الشان يضرب الله اي الذي له
الاحاطة بجميع صفات الكمال للناس اي كل من فيه قوة الاضطراب
والحركة امثالهم اي امثال انفسهم او امثال الفريقين المتقدمين
او امثال جميع الاشيا التي يحتاجون الى بيان امثالها مبينا لها مثل
هذا البيان ليأخذ كل احد من ذلك جزا حاله فقد علم من ذلك المثل ان
من اتبع الباطل اضل الله تعالى عمله ووفر سيئاته وافسد باله ومن اتبع
الحق عمل به ضد ذلك كائنا من كان وهو غاية الحث على طلب العلم في
كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والعمل بها ولما بين
تعالى ان الذين كفروا اضل اعمالهم وان اعتبار الانسان بالعمل ومن لا
عمل له فهو همج اعدامه خير من وجوده سبب عنه قوله تعالى فاذا
لقيتم الذين كفروا ايها المومنون في المحاربة وقوله تعالى فضرب
الرقاب اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر
فانيب منابه مضافا الى المفعول ضما الى التاكيد والاختصار والحكمة
في اختيار ضرب الرقبة دون غيرها من الاعضا ان المومن هنا ليس بدافع

انما هو دافع ولذلك ان من يدفع الصائل لا ينبغي ان يقصد اولا مقتله بل يتدرج
ويضرب غير المقتل فان اندفع فذاك ولا يرتقي الى درجة الاهلاك فاخبر تعالى
انه ليس المقصود دفعهم عنكم بل المقصود رفعهم من وجه الارض فاذا
ينبغي ان يكون قصدكم اولا الى قتلهم بخلاف دفع الصائل فالرقبة
اظهر المقاتل لان قطع الحلقوم والاوداج مستلزم للموت لكن في الحرب
لا يتهيا ذلك والرقبة ظاهرة في الحرب ففي ضربها حز العنق وهو
مستلزم للموت بخلاف سائر المواضع ولا سيما في الحرب وفي قوله تعالى
لقيتم ما ينبي عن مخالفتهم الصائل لان قوله تعالى لقيتم يدل على ان
القصد من جانبهم بخلاف قولنا لقيكم ولذلك قال تعالى في غير هذا الموضع
فاقتلوهم حيث ثقفتموهم حتى اذا اثخنتموهم اي اكثرتم فيهم القتل وهذه غاية
للامر بضرب الرقاب لا لبيان غاية القتل فشدوا اي فامسكوا عن
القتل واسروهم فشدوا الوثاق اي ما يوثق به الاسرا وقوله تعالى
فاما منا بعد اي في جميع الازمان ما بعد الاسر واما فدا فيه وجهان
اشهرهما انهما منصوبان على المصدر بفعل لا يجوز اظهاره والتقدير فاما
ان تمنوا منا اي باطلاقهم من غير شي واما ان تفدوا فدا اي تفادوهم
بمال او اسرى مسلمين ومثل هذا قول القايل

لاجهدن فاما درء واقعة ٭ تخشى واما وقوع السول والامل

والثاني قاله ابو البقا انهما مفعولان بهما العامل مقدر تقديره اولوهم
منا او اقبلوا منهم فدا قال ابو حيان وليس باعراب نحوي وقوله تعالى
حتى تضع الحرب اوزارها اي اثقالها من السلاح وغيره بان يسلم الكافر او يدخل
في العهد مجاز وقيل هو من مجاز الحذف اي اهل الحرب وهو غاية للقتل
والاسر والمعنى اثخنوا المشركين بالقتل والاسر حتى يدخل اهل الملل كلها في
الاسلام ويكون الدين كله لله فلا يكون بعده جهاد ولا قتال وذلك عند
نزول عيسى عليه السلام وجاء في الحديث الجهاد ماض منذ بعثني الله
الى ان يقاتل آخر امتي الدجال وقال الكفر حتى لا يبقى مسلم او مسالم فتنبه
اختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال قوم هي منسوخة بقوله تعالى فاما تثقفنهم
في الحرب فشرد بهم من خلفهم وبقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
واليه ذهب قتادة والضحاك والسدي وابن جريج وهو قول الاوزاعي
واصحاب الراي وقالوا لا يجوز المن على من وقع في الاسر من الكفار ولا الفدا
وذهب الآخرون الى ان الآية محكمة والامام بالخيار في الرجال العاقلين من الكفار
اذا وقعوا في الاسر بين ان يقتلهم او يسترقهم او يفاديهم بالمال او
باسارى المسلمين واليه ذهب ابن عمر وبه قال الحسن وعطا واكثر الصحابة
والعلما وهو قول الثوري والشافعي واحمد واسحاق قال ابن عباس لما كثر المسلمون

واشتد سلطانهم انزل الله تعالى في الاساري فاما منا بعد واما فدا وهذا هو
الاصح والاختيار لانه عمل به صلى الله عليه وسلم والخلفا بعده روي
البخاري عن ابي هريرة قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم خيلا قبل نجد
فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن اثال فربطوه في سارية
من سواري المسجد فخرج اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عندك
يا ثمامة فقال عندي خير يا محمد ان تقتلني تقتل ذا دم وان تنعم تنعم على شاكر
وان كنت تريد المال فسل ما شئت حتى كان الغد فقال له صلى الله عليه
وسلم ما عندك يا ثمامة قال عندي ما قلت لك ان تنعم تنعم على شاكر فتركه
حتى اذا كان بعد الغد قال ما عندك يا ثمامة قال عندي ما قلت لك قال
اطلقوا ثمامة فانطلق الى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد
فقال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله والله ما كان على الارض
ابغض الي من وجهك فقد اصبح وجهك احب الوجوه الي والله ما كان من دين
ابغض الي من دينك فاصبح دينك احب الدين الي والله ما كان من بلد ابغض
الي من بلدك فقد اصبح بلدك احب البلاد الي وان خيلك اخذتني وانا اريد
العمرة ماذا ترى فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم وامره ان يعتمر فلما
قدم مكة قال له قايل صبوت قال لا ولكن اسلمت مع محمد صلى الله عليه وسلم
وعن عمران بن حصين قال اسر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
رجلا من عقيل فاوثقوه وكانت ثقيف قد اسرت رجلين من اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم ففداه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجلين اللذين اسرتهما
ثقيف وقوله تعالى **ذلك** يجوز ان يكون خبر مبتدا مضمر اي الامر ذلك وان ينتصب
باضمار افعلوا قال الرازي ويحتمل ان يقال ذلك واجب او يقدم كما يقول
القايل ان فعلت فذلك اي فذلك مقصود ومطلوب قال المفسرون ومعناه
ذلك الذي ذكرت وبينت من حكم الكفار **ولو يشا الله** اي الملك الاعظم
الذي له جميع الكمال **لانتصر منهم** اي بنفسه من غير انتصار احد اعظم فيهلكهم
بان لا يبقي منهم احدا او كفاهم امرهم بغير قتال **ولكن** امرهم بذلك **ليبلوا** اي
يختبر **بعضكم ببعض** اي يفعل في ذلك فعل المختبر ليرتب عليه الجزا فيصير
من قتل من المومنين الى الجنة ومن قتل من الكافرين الى النار فان قيل ما فايدة الابتلا
مع حصول العلم عند المبتلي فاذا كان الله تعالى عالما بجميع الاشياء فاي فايدة
فيه اجيب بان هذا السوال كقول القايل لم عاقب الكافر وهو مستغن ولم
خلق النار محرقة وهو قادر على ان يخلقها بحيث تنفع ولا تضر وجوابه لا يسال
عما يفعل ونزل يوم احد لما فشى في المسلمين القتل والجراحات **والذين قتلوا**
في سبيل الله اي لاجل تسهيل طريق الملك الاعظم المتصف بجميع صفات
الكمال **فلن يضل** اي يضيع ويبطل **اعمالهم** وقرا ابو عمرو وحفص بضم القاف

وكسر التاء مبنيا للمفعول على معنى انه اصاب القتل بعضهم كقوله تعالى قتل معه
ربيون والباقون بفتح القاف والتاء والف بينهما اي جاهدوا **سيهديهم** اي ايام
حياتهم في الدنيا الى ارشد الامور وفي الاخرة الى الدرجات بوعد لا خلف فيه
ويصلح بالهم اي يرضي خصماهم ويقبل اعمالهم **ويدخلهم الجنة** اي الكاملة في
النعيم **عرفها** اي اعلمها وبينها **لهم** بما يعلم به كل احد منزلته ودرجته من الجنة
قال مجاهد يهتدي اهل الجنة الى مساكنهم منها لا يخطئون كانهم كانوا سكانها
منذ خلقوا يستدلون عليها وعن مقاتل ان الملك الذي وكل بحفظ عمله في الدنيا
يمشي بين يديه فيعرفه كل شي اعطاه الله تعالى وعن ابن عباس عرفها لهم طيبها من العرف
وهو الريح الطيبة يقال طعام معرف اي مطيب **يا ايها الذين امنوا** اي اقروا بذلك
ان تنصروا الله اي دينه ورسوله صلى الله عليه وسلم **ينصركم** اي على عدوكم
فان الناصر لا يعزه من عدد او عدد **ويثبت اقدامكم** اي في القيام بحقوق الاسلام
والمجاهدة مع الكفار ولما بين تعالى ما لاهل الايمان بين ما لاهل الكفران بقوله
تعالى **والذين كفروا** وهو مبتدا اي ستروا ما دل عليه العقل وقادت اليه الفطرة
الاولى وخبره تعسوا يدل عليه قوله تعالى **فتعسا لهم** اي هلاكا وخيبة
من الله تعالى وقال ابن عباس اي بعدا لهم وقيل التعس الجر على الوجه والنكس
الجر على الراس وقوله تعالى **واضل اعمالهم** عطف على تعسوا اي ابطلها وان كانت
ظاهرة الاتقان لاجل تضييع الاساس وهو الايمان وقوله تعالى **ذلك** يجوز
ان يكون مبتدا والخبر الجار بعده او خبر مبتدا مضمر اي الامر ذلك **بانهم** اي
بسبب انهم **كرهوا ما انزل الله** اي الملك الاعظم الذي لا نعمة الا منه من القران
وما انزل الله تعالى فيه من التكاليف والاحكام لانهم قد الفوا الاهمال والملاذ والغنا
والشهوات والملاذ فشق عليهم ذلك ونفاظهم والذي انزله من القران وغيره
هو روح الوجود الذي لا بقا بدونه فلما كرهوا الروح الاعظم بطلت ارواحهم
فتبعها اشباحهم وهو معنى قوله تعالى مسببا بالمعنى اضلاله اعمالهم
فاحبط اي ابطل ابطالا لا صلاح معه **اعمالهم** بسبب انهم افسدوها
بنياتهم فصارت وان كانت صورها صالحة ليس لها ارواح لكونها واقعة على
غير ما امر به الله الذي لا امر الا له ولا يقبل من العمل الا ما احله ورسمه ثم
خوف الكفار بقوله تعالى **افلم يسيروا في الارض** اي التي فيها اثار الوقايع **فينظروا**
كيف كان عاقبة اي اخر امر **الذين من قبلهم دمر الله** اي اوقع الملك الاعظم
الهلاك **عليهم** بما عم اهلهم واموالهم وكل من نفعهم ومفاخرهم وعدل عن ان يقول
وللهوان الى قوله تعالى **وللكافرين** تعميما وتعليقا للحكم بالوصف وهو العراقة في الكفر
امثالها اي امثال عاقبة من قبلهم **ذلك** اي الامر العظيم وهو نصر المومنين
وقهر الكافرين **بان الله** اي بسبب ان الملك الاعظم المحيط بصفات الكمال
مولى اي ولي وناصر **الذين امنوا** فهو يفعل معهم بما له من الجلال والجمال

مايفعل القريب بقريبه الحبيب له قال القشيري ويصح ان يقال ارجى اية في القران
هذه الاية لان الله تعالى لم يقل الله هادي العباد واصحاب الاوراد والاجتهاد بل
علق ذلك بالايمان وان الكافرين اي الفريقين في هذا الوصف لا مولى لهم
فيدفع العذاب عنهم وهذا لا يخالف قوله تعالى وردوا الى الله مولاهم الحق فان
المولى فيه بمعنى المالك ثم ذكر سبحانه وتعالى ما للفريقين بقوله تعالى ان الله
اي الذي له جميع الصفات يدخل الذين امنوا اي اوقعوا التصديق وعملوا تصديقا
لما ادعوا ايمانهم اوقعوه الصالحات اي الطاعات جنات اي بساتين عظيمة
الشان موصوفة بانها تجري من تحتها اي من تحت قصورها الانهار فهي
دايمة النمو والبهجة والنضارة والثمرة والذين كفروا يتمتعون اي في الدنيا بالملاذ
كما تتمتع الانعام ناسين ما امر الله تعالى معرضين عن كتابه ويأكلون على
سبيل الاستمرار كما تأكل الانعام اي اكل التذاذ وفرح من غير تخيم موضع كان
وكيف كان الاكل من غير تمييز الحرام من غيره اذ ليس لهم همة الا بطونهم وفروجهم
لا يلتفتون الى الاخرة لان الله تعالى اعطاهم الدنيا ووسع عليهم فيها وفرغهم لها
حتى شغلهم عنه هوانا بهم وبغضا لهم فيدخلهم نارا وقودها الناس والحجارة كما
قال تعالى والنار مثوى لهم اي منزل ومقام ومصير ولما ضرب الله تعالى
لهم مثلا بقوله تعالى افلم يسيروا في الارض ولم ينفعهم مع ما تقدم من الدلايل
ضرب للنبي صلى الله عليه وسلم مثلا تسلية له فقال تعالى وكاين اي وكم
من قرية اريد اهلها اي كذبت رسولها هي اشد قوة واكثر عددا من
قريتك مكة اي اهلها وقوله تعالى التي اخرجتك روعي فيه لفظ قرية
وقوله تعالى اهلكناهم اي بانواع العذاب روعي فيه معنى قرية الاولى
فلا ناصر لهم يدفع عنهم الهلاك كذلك نفعل بهم فاصبر كما صبر رسلهم
قال ابن عباس لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى الغار
التفت الى مكة وقال انت احب ارض الله الى الله واحب بلاد الله الي
ولو ان المشركين لم يخرجوني لم اخرج منك فانزل الله هذه افمن
كان اي في جميع احواله على بينة اي حجة ظاهرة البيان في انها
حق من ربه اي المدبر والمربي له المحسن اليه وهم النبي صلى الله عليه
وسلم والمومنون كمن زين له بتزيين الشيطان بتسليطنا له عليه
سوء عمله فراه حسنا وهم ابو جهل والكفار واتبعوا اهواءهم في ذلك فلا شبهة
لهم في شيء من اعمالهم السيئة فضلا عن دليل ولما ذكر ذكر الجنة في هذه
السورة بين صفتها بقوله تعالى مثل اي صفة الجنة اي البساتين
العظيمة التي تستر داخلها من كثرة اشجارها التي وعد المتقون اي الذين
حملتهم تقواهم بعد الوقوف على فعل لم يدل عليه دليل على ان امتنعوا
منه فامتنعوا ابعادا للتهجم عليه من امور الدين بيتنبه اختلف في اعراب

هذه

هذه الاية على اوجه احدها ان مبتدا وخبره مقدم قدره النضر بن شميل
مثل الجنة ما تسمعون فما تسمعون خبره وفيها انهار مفسر له وقدره سيبويه
فيما يتلى عليكم مثل الجنة والجملة بعدها ايضا مفسرة للمثل ثانيها ان مثل زايدة
تقديره الجنة التي وعد المتقون فيها انهار ونظير زيادة مثل هنا
زيادة اسم في قول القايل
الى الحول ثم اسم السلام عليكما ثالثها ان مثل الجنة مبتدا والخبر
قوله تعالى كمن هو خالد في النار فقدره ابن عطية امثل اهل الجنة كمن هو
خالد فقدر حرف الانكار ومضافا ليصح وقدره الزمخشري امثل الجنة
كمثل من هو خالد والجملة من قوله تعالى فيها انهار حال من الجنة اي
مستقرة فيها انهار من ماء ولما كان ما الدنيا يختلف لطعوم مع اتحاد
الارض ببساطها وشدة اتصالها للدلالة على ان فاعل ذلك قادر مختار
وقد يكون اسنا اي متغيرا عن الماء الذي يشرب بريح منتنة من اصل
خلقته او من عارض عرض له من منبعه او مجراه قال تعالى غير اسن اي
ثابت له في وقت ما شيء من الطعم او اللون او الريح بوجه من الوجوه
وان طالت اقامته وان اضيف اليه غيره فانه لا يقبل التغير بوجه
بخلاف ما الدنيا فيتغير لعارض وقرا ابن كثير بقصر الهمزة والباقون
بمدها وهما لغتان وانهار من لبن ولما كان التغير غير محمود قال تعالى
لم يتغير طعمه اي بنفسه عن اصل خلقته وان اقام مدى الدهر
بخلاف لبن الدنيا لخروجه من الضرع وهذا يفهم انهم لو ارادوا
تغييره لشهوة اشتهوها تغير وانه مع طيبه على انواع كثيرة كما كان
في الدنيا متنوعا وانهار من خمر ولما كان الخمر يكره طعمها وانما يشربها
شاربوها لاثرها وانه متى تغير طعمها زال اسمها عرف ان كل ما في خمر
الجنة في غاية الحسن غير متعرض لطعم فقال تعالى لذة اي لذيذة
للشاربين في طيب الطعم وحسن العاقبة بخلاف خمر الدنيا فانها
كريهة عند الشرب وانهار من عسل ولما كان عسل الدنيا
لا يوجد الا مخلوطا لخروجه من بطون النحل بالشمع وغيره من القذى
قال تعالى مصفى اي صاف صفا ما اجتهد في تصفيته من ذلك
وهذا الوصف ثابت له دايما لا انفكاك له في وقت ما تنبيه
قال ابو حيان في حكمة ترتيب هذه الانهار انه بدا بالماء الذي لا يستغنى
عنه المشروبات ثم باللبن اذ كان يجري مجرى المطعومات في كثير من
اوقات العرب ثم بالخمر لانه اذا حصل الري والمطعم تشوقت النفس
الى ما يلتذ به ثم بالعسل لان فيه الشفا في الدنيا مما يعرض من المطعوم
والمشروب انتهى فان قيل ما الحكمة في قوله تعالى في الخمر لذة للشاربين

ولم يتغير في اللبن لم يتغير طعمه للطاعمين ولا ل في العسل مصفى للناظرين
اجاب الرازي بان اللذة تختلف باختلاف الاشخاص فرب طعام يلتذ به
شخص ويعافه الاخر فقال لذة للشاربين باسرهم ولان الخمر كريهة
الطعم في الدنيا فقال لذة اي لا يكون في خمرة الاخرة كراهة طعم واما
الطعم واللون فلا يختلف باختلاف الناس فان الحلو والحامض وغيرهما يدركه
كل احد لكن قد يعافه بعض الناس ويلتذ به البعض مع اتفاقهم على ان له طعما
واحدا وكذلك اللبن فلم يكن للتصريح بالتعميم حاجة فائدة عن كعب الاحبار
انه قال نهر دجلة نهر ما اهل الجنة ونهر الفرات نهر لبنهم ونهر مصر
نهر خمرهم ونهر سيحان وجيحان نهر عسلهم وهذه الانهار الاربعة تخرج
من نهر الكوثر وقال ابن عبد الحكم في فتوح مصر ان كعب الاحبار
سئل هل تجد لهذا النيل في كتاب الله خبرا فقال اي والذي فلق
البحر لموسى اني لاجده في كتاب الله ان الله عز وجل يوحي اليه في كل عام
مرتين يوحي اليه عند جريه ان الله يامرك ان تجري فيجري ما كتب الله
تعالى له ثم يوحي اليه بعد ذلك يا نيل غر حميدا وعن كعب رضي الله عنه انه قال
اربعة انهار من الجنة وضعها الله في الدنيا فالنيل نهر العسل في الجنة
ونهر الفرات نهر الخمر في الجنة وسيحان نهر الماء في الجنة وجيحان نهر
اللبن في الجنة وعنه ايضا انه قال النيل في الاخرة يكون عسلا
اغزر ما يكون من الانهار التي سمى الله عز وجل ودجلة في الاخرة
لبنا يكون اغزر ما يكون من الانهار التي سمى الله عز وجل وجيحان
ماء اغزر ما يكون من الانهار التي سمى الله عز وجل واصل هذا
هذا كله ما في الصحيح في وصف الجنة عن ابي هريرة ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال سيحان وجيحان والنيل والفرات من انهار الجنة
ولما كانت الثمار الذ مستطاب بعد سائغ الشراب قال تعالى
ولهم فيها وقوله تعالى من كل الثمرات فيه وجهان احدهما ان هذا الجار
صفة لمقدر ذلك المقدر مبتدا وخبره الجار قبله وهو لهم وفيها متعلق
بما تعلق به والتقدير ولهم فيها زوجان من كل الثمرات كانه انتزعه من
قوله تعالى فيهما من كل فاكهة زوجان وقدره بعضهم صنف والاول كما قال
ابن عادل اليق ثانيهما ان من مزيدة في المبتدا ومغفرة من ربهم فهو راض
عنهم مع احسانه اليهم بما ذكر بخلاف سيد العبيد في الدنيا فانه يكون
مع احسانه اليهم ساخطا عليهم وقوله تعالى كمن هو خالد في النار خبر
مبتدا مقدر اي اءمن هو في هذا النعيم كمن هو مقيم اقامة لا انقطاع لها في
النار التي لا ينطفي لهيبها ولا ينفك اسيرها ووحد لان الخلود يعم
من فيها على حد سواء وسقوا اي عوض ما ذكر من شراب اهل الجنة ماء حميما

هو في غاية الحرارة فقطع امعاءهم اي مصارينهم فخرجت من ادبارهم وهو
جمع معا بالقصر والفه عن ياء لقولهم معيان ومنهم من يستمع اليك اي في خطب
الجمعة وهم المنافقون والضمير في قوله تعالى ومنهم يحتمل ان يعود الى الناس
كما قال تعالى في سورة البقرة ومن الناس من يقول امنا بالله بعد ذكر الكفار
ويحتمل ان يعود الى اهل مكة لان ذكرهم سبق في قوله تعالى هي اشد قوة من
قريتك التي اخرجتك ويحتمل ان يرجع الى معنى قوله تعالى هو خالد في
النار وسقوا ماء حميما اي ومن الخالدين في النار قوم يستمعون اليك حتى
وا استمرارهم لا تفهمهم في الاصغاء حتى اذا خرجوا اي المستمعون
والسامعون من عندك اي الفريقان تعاميا واستهزاء قالوا للذين
اوتوا العلم بسبب تهيئة الله تعالى لهم من صفاء الافهام لتجردهم عن
النفوس والحظوظ وانقيادهم لما تدعوا الفطرة الاولى منهم ابن مسعود
وابن عباس ماذا قال اي النبي صلى الله عليه وسلم انفا اي قبل
افتراقنا وخروجنا عنه روى مقاتل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
يخطب ويعيب المنافقين فاذا خرجوا من المسجد سالوا عبد الله
ابن مسعود استهزاء ماذا قال محمد انفا اي الساعة اي لا نرجع اليه
وقرا البزي بقصر الهمزة بخلاف عنه والباقون بالمد وهما لغتان بمعنى
واحد وهما اسما فاعل كحاذر وحذر اولئك اي البعداء من كل خير الذين
طبع الله اي الملك الاعظم على قلوبهم اي بالكفر فلم يفهموا فهم
الانتفاع لان مثل هذا الجحود لا يكون الا بذلك واتبعوا اي بغاية جهدهم
اهواءهم اي بالكفر والنفاق فلذلك نبههم ونوه باعظم الكلام ويحملون
على جميع الحطام فهم اهل النار والمثل لهم قبل اية مثل الجنة بانهم
زين لهم سوء عملهم ثم ذكر تعالى اضداد هؤلاء بقوله سبحانه والذين اهتدوا
اي اجتهدوا باستماعهم منك بالصدق في الايمان والتسليم ٥
والاذعان بانواع المجاهدات وهم المؤمنون زادهم اي الله الذي
طبع على قلوب الكفرة هدى بان شرح صدورهم ونورها بانوار
المشاهدات فصارت اوعية للحكمة واتاهم تقواهم اي الهمهم
ما يتقون به النار قال ابن برجان التقوى عمل الايمان كما ان
اعمال الجوارح عمل الاسلام فهل اي ما ينظرون اي ينتظرون
وجرده اشارة الى شدة قربها الا الساعة وقوله تعالى ان تاتيهم
اي الكافرين بدل اشتمال من الساعة اي ليس الامر الا ان تاتيهم
بغتة اي فجاءة من غير شعور بها ولا استعداد لها وقوله تعالى
فقد جاء اشراطها جمع شرط بسكون الراء وفتحها قال ابو الاسود
فان كنت قد ازمعت بالصرم بيننا ٭ فقد جعلت اشراط اوله تبدو

والاشراط العلامات ومنه اشراط الساعة واشرط الرجل نفسه اي الزمها امورا
قال اوس فاشرط فيها نفسه وهو معصم فالقى باسباب له وتوكلا والشرط القطع
ايضا مصدر شرط الجلد يشرطه شرطا قال السهيلي عن ابن سعد عن انس قال
رايت النبي صلى الله عليه وسلم قال باصبعيه هكذا الوسطى والتي تلي الابهام
بعثت انا والساعة كهاتين وعن انس قال لاحدثنكم بحديث سمعته من رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ان من اشراط الساعة ان يرفع العلم ويكثر الجهل
ويكثر الزنا ويكثر شرب الخمر ويقل الرجال ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امراة
القيم الواحد وعن ابي هريرة قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث
القوم اذ جاءه اعرابي فقال متى الساعة فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث
فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال وقال بعضهم لم يسمع حتى اذا قضى
حديثه قال اين السائل عن الساعة قال انا يا رسول الله قال اذا ضيعت
الامانة فانتظر الساعة فقيل كيف اضاعتها قال اذا وسد الامر الى غير اهله
فانتظر الساعة ومن اشراطها انشقاق القمر المؤذن باية الشمس
في طلوعها من مغربها وغير ذلك وما بعد مقدمات الشي الاحضوره **فانى**
اي فكيف واين **لهم** اي التذكر والاتعاظ والتوبة **اذا جاءتهم ذكريهم** اي الساعة
لا تنفعهم نظيره قوله تعالى يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى ولما علم
بذلك ان الذكرى غير نافعة اذا انقضت هذه الدار التي جعلت للعمل اوجاءت
الاشراط المحققة الكاشفة لها سبب عنه امر اعظم الخلق تكوينا ليكون
لغيره تكليفا فقال **فاعلم انه** اي الشان العظيم **لا اله** اي لا معبود بحق
الا الله اي اذا علمت سعادة المومنين وشقاوة الكافرين فاثبت على
ما انت عليه من العلم بالوحدانية فانه النافع يوم القيمة وقيل الخطاب مع
النبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره وقال الحسين بن الفضل فازدد علما
الى علمك وقال ابو العالية وابن عيينة معناه اذا جاءتهم الساعة فاعلم
انه لا ملجا ولا مفزع عند قيامها الا الى الله **واستغفر لذنبك** اي
لاجله امر بذلك مع عصمته ليستن به امته وقد فعله قال صلى الله
عليه وسلم لاستغفر الله في اليوم مائة مرة وقيل معنى قوله لذنبك
اي لذنب اهل بيتك وللمومنين والمومنات الذين ليسوا من اهل
بيتك وقيل المراد النبي والذنب هو الافضل الذي هو بالنسبة
اليه ذنب وحسنات الابرار سيئات المقربين دون ذلك قال صلى الله عليه وسلم
انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في كل يوم مائة مرة وقيل هو
كل مقام عال ارتفع منه الى اعلا منه وقوله تعالى **وللمومنين والمومنات**
فيه اكرام من الله تعالى لهذه الامة حيث امر نبيه صلى الله عليه وسلم
ان يستغفر لذنوبهم **والله** اي المحيط بجميع صفات الكمال **يعلم متقلبكم**

اي تصرفكم لاشغالكم بالنهار ومكانه وزمانه **ومثواكم** اي ماواكم الى مضاجعكم
بالليل اي هو عالم بجميع احوالكم لا يخفى عليه شي منها فاحذروه والخطاب
للمومنين وغيرهم وقيل يعلم متقلبكم في اعمالكم ومثواكم في الجنة والنار
ومثله حقيق بان يخشى ويتقى وان يستغفر ويسترحم وسئل سفيان
بن عيينة عن فضل العلم فقال الم تسمع قوله تعالى حين بدا به فاعلم انه
لا اله الا الله واستغفر لذنبك فامر بالعمل بعد العلم وقال اعلموا انما
الحياة الدنيا لعب ولهو الاية **ويقول الذين امنوا** طلبا للجهاد **لولا** اي هلا
ولا التفات الى قول بعضهم ان لا زائدة والاصل لو **نزلت سورة** اي
سورة كانت نسر بسماعها ونتعبد بتلاوتها ونعمل بما فيها **فاذا انزلت
سورة** اي قطعة من القران تكامل نزولها كلها تدريجا وجملة
وزادت على مطلوبهم في الحسن بانها **محكمة** اي مبينة لا يلتبس
شي منها بنوع اجمال ولا ينسخ لكونه جامعا للمحاسن في كل زمان ومكان
وقال قتادة كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة وهي اشد القران
على المنافقين **وذكر فيها القتال** اي الامر به **رايت الذين في قلوبهم مرض** اي
شك وهم المنافقون **ينظرون اليك** شزرا بتحديق شديد كراهة منهم
للجهاد وجبنا عن لقا العدو **نظر المغشي** والاصل ينظرا مثل نظر المغشي
عليه من الموت الذي هو نهاية الغشي فهو لا يطرف بعينه بل شاخص لا يطرف
كراهة للقتال من الجبن والخوف والمعنى ان المومن كان ينتظر نزول الاحكام
والتكاليف ويطلب تنزيلها واذا تاخرت التكليف كان يقول هلا امرت بشي
من العبادة خوفا من ان لا يوهل لها واما المنافق فاذا انزلت السورة او
الاية وفيها تكليف يشق عليه ذلك فحصل التباين بين الفريقين
في العلم والعمل وقوله تعالى **فاولى لهم** وعيد بمعنى فويل لهم وهو افعل
من الولي وهو القرب ومعناه الدعا عليهم بان يليهم المكروه وقوله
تعالى **طاعة وقول معروف** مستانف اي اي طاعة وقول معروف
خير لهم وامثل اي لو اطاعوا وقالوا قولا معروفا لكان امثل واحسن
وسوغ الابتدا بالنكرة لانها وصفت بقوله بدليل قوله تعالى وقول معروف
فانه موصوف فكانه تعالى قال طاعة مخلصة وقول معروف خير وقيل
يقول المنافقون قبل نزول السورة المحكمة طاعة رفع على الحكاية اي امرنا
طاعة او منا طاعة وقول معروف حسن وقيل متصل بما قبله واللام في
قوله تعالى لهم بمعنى البا اي فاولى بهم طاعة الله ورسوله وقول معروف
بالاجابة اي لو اطاعوا الله تعالى كانت الطاعة والاجابة اولى بهم وهذا قول
ابن عباس في رواية عطا سبب عنها قوله تعالى مسندا الى الامر ما هو لاهله
تاكيد المضمون الكلام **فاذا عزم الامر** اي فاذا امر بالقتال الذي ذكر في

اول السورة وغيره من الاوامر المجزومة وما به مغفرة وحاعليه فلو صدقوا الله
اي الملك الاعظم في قولهم الذي قالوه في طلب التنزيل لكان صدقهم له خيرا
لهم اي من تعللهم وجملة لو جواب اذا نحو اذا جاء في طعام فلو جيتني
اطعمتك وقيل محذوف تقديره فاصدق وكذا قدره ابو البقا وعزم الامر على سبيل
المجاز كقوله فذجدت الحرب فجدوا او يكون على حذف مضاف اي عزم
اهل الامر وقوله تعالى فهل عسيتم فيه التفات عن الغيبة اي لعلكم
ان توليتم اي اعرضتم عن الايمان والجهاد ان تفسدوا اي توقعوا
الافساد العظيم الذي يتم بتجدده في الارض بالمعصية والبغي وسفك الدماء
الذي يسخط الله ويغضبه اشد غضبا على فاعله وتكونوا في غاية الجرأة
عليه وترجعوا الى الفرقة بعد ما جمعكم الله بالاسلام وقرا نافع بكسر السين
والباقون بفتحها وتقطعوا اي تقطيعا كثيرا ارحامكم اي تعودوا
الى امر الجاهلية في الاغارة من بعض على بعض وغير ذلك قال قتادة كيف
رايتم القوم حين تولوا عن كتاب الله تعالى الم يسفكوا الدم الحرام وقطعوا الارحام
وعصوا الرحمن وقال بعضهم من الولاية قال الفرا يقول فهل عسيتم ان توليتم
امر الناس ان تفسدوا في الارض بالظلم نزلت في بني امية وبني هاشم
اولئك اي المفسدون الذين لعنهم الله اي طردهم اشد الطرد الملك
الاعظم لما ذكر من افسادهم وتقطيعهم ثم تسبب عن لعنهم قوله تعالى
فاصمهم اي من الانتفاع بما يسمعون واعمى ابصارهم اي عن الارتفاق
بما يبصرون فليس سماعهم سماع ادراك ولا ابصارهم ابصار اعتبار فلا
سماع ولا ابصار افلا يتدبرون بقلوب منفتحة منشرحة ليهتدوا الى
كل خير القران اي يجهدوا انفسهم في ان يتفكروا في الكتاب الجامع لكل
خير الفارق بين الحق والباطل حتى لا يجسروا على المعاصي فان قيل قال تعالى
فاصمهم واعمى ابصارهم فكيف يمكنهم التدبر في القران وهو كقول القايل
للاعمى ابصر وللاصم اسمع اجيب بثلاثة اوجه مترتبة بعضها احسن
من بعض الاول تكليف ما لا يطاق جايز والله تعالى امر من علم منه انه
لا يومن ان يومن فلذلك جاز ان يصمهم ويعميهم على ترك التدبر الثاني
ان قوله افلا يتدبرون القران المراد منه الناس الثالث ان يقال ان هذه
الاية وردت محققة لمعنى الاية المتقدمة فانه تعالى قال اولئك
الذين لعنهم الله اي ابعدهم عنه او عن الصدق او الخير او غير ذلك من
الامور الحسنة فاصمهم لا يسمعون حقيقة الكلام واعماهم لا يبصرون
طريقة الاسلام فاذا هم بين امرين اما لا يتدبرون فيبعدون فيبعدون
عنه لان الله تعالى لعنهم وابعدهم عن الخير والصدق والقران
منهما هو الصنف الاعلى بل النوع الاشرف واما ان يتدبرون لكن

لاتدخل

٣٧٤

لاتدخل معانيه في قلوبهم لكونها مقفلة تقدير فلا يتدبرون القران لكونهم
ملعونين مبعدين ام اي بل على قلوب اي من قلوب الفاعلين بذلك اقفالها
فلا تعي شيا ولا تفهم امرا ولا تزداد الا غباوة وعنادا الا انها لا تقدر على
التدبر قال القشيري فلا يدخلها زواجر التنبيه ولا ينبسط عليها
شعاع العلم فلا يحصل لهم فهم الخطاب والباب اذا كان مغلقا فكما لا يدخل
فيه شي لا يخرج فيه فلا كفرهم يخرج ولا الايمان الذي يدعون اليه
يدخل انتهى فان قيل ما الفايدة في تنكير القلوب اجاب الزمخشري
بقوله يحتمل وجهين احدهما ان يكون للتنبيه على كونه موصوفا لان النكرة
بالوصف اولى من المعرفة قال ام على قلوب قاسية او مظلمة الثاني ان
يكون للتبعيض كانه قال على بعض القلوب لان النكرة لا تعم تقول جاني رجال
فيفهم البعض وجاني الرجال فيفهم الكل والتنكير في القلوب للتنبيه
على الانكار الذي في القلوب وذلك لان القلب اذا كان عارفا كان معروفا
لان القلب خلق للمعرفة فاذا لم تكن فيه المعرفة فكانه لا يعرف قلبا فلا
يكون قلبا يعرف كما يقال للانسان المودي هذا ليس بانسان فكذلك
يقال هذا بقلب هذا حجر واذا علم هذا فالتعريف اما بالالف واللام واما
بالاضافة بان يقال على قلوب اقفالها وهي لعدم عود فايدة اليهم كانها
ليست لهم فان قيل قال الله تعالى ختم الله على قلوبهم وقال تعالى فويل للقاسية
قلوبهم اجيب بان الاقفال ابلغ من الختم فترك الاضافة لعدم
انتفاعهم راسا فان قيل ما الحكمة في قوله تعالى اقفالها بالاضافة ولم
اقفال كما قال قلوب اجيب بان الاقفال كانها ليست الا لها ولم يضف
القلوب اليهم لعدم نفعها اياهم واضاف الاقفال اليها لكونها مناسبة
لها او يقال اراد به اقفالا مخصوصة هي اقفال الكفر والعناد ولما اخبر
تعالى باحاطة باقفال قلوبهم بين منشا ذلك فقال تعالى ان الذين ارتدوا
اي من اهل الكتاب وغيرهم على ادبارهم اي رجعوا كفارا من بعد ما تبين
اي غاية البيان لهم الهدى اي بالدلايل التي هي من شدة ظهورها غنية
بيان مبين الشيطان سول لهم اي زين وسهل لهم اقتراف الكباير
واملى اي ومد الشيطان لهم في الامال والاماني بارادته تعالى فهو المضل
لهم وقرا ابو عمرو بضم الهمزة وكسر اللام وفتح اليا والباقون بفتح الهمزة
واللام وسكون الالف المنقلبة واما لها حمزة والكساي محضة وقرا ورش
بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح قال في الكشاف فان قلت من هولا
قلت اليهود كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم من بعد ما تبين لهم الهدى وهو
نعته في التوراة وقيل هم المنافقون ذلك اي اضلالهم بانهم اي
بسبب انهم قالوا اي المنافقون للذين كرهوا وهم المشركون

لنا اي جميع ما نزل الله اي الملك الاعظم علي التدريج بحسب الوقايع تنزيلا في اعجاز الخلق في بلاغة التركيب مع فصاحة المفردات وجزالتها مع السهولة في النطق والعذوبة في السمع والملايمة للطبع سنطيعكم في بعض الامر اي امر بعض المعاونة علي عداوة النبي صلي الله عليه وسلم وتثبيط الناس عن الجهاد معه قالوا ذلك سرا فاظهره الله تعالى والله اي قالوا ذلك والحال ان الملك الاعظم المحيط علما وقدرة يعلم اي علي ممر الاوقات اسرارهم اي كلها هذا الذي افشاه عليهم وغيره مما في ضمايرهم مما لم يبرز علي السنتهم ولعلهم لم يعلموه فضلا عن افواههم التي تحدثت بها انفسهم فبان بذلك انهم لا اديان لهم ولا عقول ولا مروات وقرا حمزة والكسائي وحفص بكسر الهمزة مصدرا والباقون بفتحها جمع سر فكيف اي حالهم اذا توفتهم الملائكة اي قبضت رسلنا وهم ملك الموت واعوانه ارواحهم كاملة وقوله تعالى يضربون وجوههم وادبارهم تصوير لتوفيهم بما يخافون منه ويجبنون عن القتال وعن ابن عباس لا يتوفي احد علي معصية الا بضرب من الملائكة في وجهه ودبره وقوله تعالى ذلك اشارة الي التوفي الموصوف بانهم اي بسبب انهم اتبعوا اي عالجوا فطرهم الاولي في ان اتبعوا ما اسخط الله اي الملك الاعظم وهو الكفر وكتمان نعت الرسول صلي الله عليه وسلم وعصيان الامر وكرهوا بالاشراك رضوانه بكراهتهم اعظم اسباب رضاه وهو الايمان فهم لما دونه بالقعود عن الطاعات اكره لان ذلك ظاهر غاية الظهور في ان فاعله غير معذور في ترك النظر فيه فاحبط اي فلذلك تسبب عنه انه افسد اعمالهم اي الصالحة فاسقطها بحيث لم يبق لها وزن اصلا لتضييع الاساس من مكارم الاخلاق من القوي والاخذ بيد الضعيف والتصدق والاعتاق من وجوه الارفاق ام حسب الذين وكان الاصل ام حسبوا لضعف عقولهم كما افهمه التعبير بالحسبان ولكنه عبر تعالى بما دل علي الآفة التي ادتهم الي ذلك بقوله تعالى في قلوبهم اي التي افسدت فسد جميع اجسادهم مرض اي آفة لا طب لها حسا انا هو في غاية الثبات كما دل عليه التاكيد في قوله تعالى ان لن يخرج الله اي يبرز من هو محيط بصفات الكمال للرسول صلي الله عليه وسلم والمومنين علي سبيل التجديد والاستمرار وقوله تعالى اضغانهم جمع ضغن وهي الاحقاد اي احقادهم علي المومنين فيبديها حتي تعرفوا نفاقهم وكانت صدورهم تغلي حنقا عليهم ولو نشاء لاريناكهم من روية البصر وجاء علي الافصح من اتصال الضميرين ولو جاز علي ارينا اياك اياهم جاز وقال الرازي الاراة هنا بمعني التعريف وقوله تعالى فلعرفتهم

عطف

عطف علي جواب لو بسيماهم اي بسبب علاماتهم التي نجعلها غالبة عليهم في اظهار ضمايرهم غلبة لا يقدرون علي مدافعتها بوجه ولم يذكرهم سبحانه باسمايهم ابقاء علي قراباتهم المخلصين من الفتن وقوله تعالى ولتعرفنهم جواب قسم محذوف في لحن القول اي الصادر منهم ولحنه فحواه اي معناه وما يدل عليه ويلوح عليه من ميله عن حقايقه الي عواقبه وما يؤول اليه امره مما يخفي علي غيرك قال انس ما خفي علي رسول الله صلي الله عليه وسلم بعد نزول هذه الاية شي من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم وعن ابن عباس لحن القول هو قولهم ما لنا ان اطعنا من الثواب ولا يقولون ما علينا ان عصينا وقيل اللحن ان تلحن بكلامك الذي تميله الي نحو من الانحا ليفطن له صاحبك كالتعريض والتورية قال ولقد لحنت لكم لكيما تفهموا واللحن يعرفه ذووا الالباب وقيل للمخطي لاحن لانه يعدل بالكلام عن الصواب وقال ابو حيان كانوا اصطلحوا علي الفاظ يخاطبون بها الرسول صلي الله عليه وسلم مما ظاهره حسن ويعنون به القبيح والله اي بما له من الكمال يعلم اعمالكم كلها الفعلية والقولية جليها وخفيها ثابتا غيبيا وعلما راسخا شهوديا يتجدد بحسب تجددها مستمرا باستمرار ذلك ولنبلونكم اي نعاملكم معاملة المبتلي بان نخالطكم بما لنا من العظمة بالاوامر الشديدة علي النفوس والنواهي الكريهة اليها حتي نعلم اي بالابتدا علما شهوديا يشهده غيرنا مطابقا لما كنا نعلمه علما غيبيا فنستخرج من سرايركم ما جبلناكم عليه مما لا يعلمه احد منكم بل ولا تعلمونه حق علمه المجاهدين منكم في القتال وفي ساير الاعمال والشدايد والاهوال امتثالا للامر بذلك والصابرين اي علي شدايد الجهاد وغيره من الانكاد قال القشيري فالابتلا والامتحان يبين جواهر الرجال فيظهر المخلص ويفتضح المنافق ويكشف المنافق اهـ وعن الفضيل انه كان اذا قرا هذه الاية بكي وقال اللهم لا تبتلنا فانك ان بلوتنا افضحتنا وهتكت استارنا وعذبتنا ونبلو اخباركم اي نخالطها بان نسلط عليها من يحرفها فيجعل حسنها قبيحا وقبيحها حسنا ليظهر للناس العامل لله والعامل للشيطان لان العامل لله اذا سمي قبيحه باسم الحسن علم ان ذلك احسان من الله تعالى اليه فيستحيي منه ويرجع واذا سمي حسنه باسم القبيح واشهر به علم ان ذلك لطف من الله تعالى به لكيلا يدركه العجب او يهاجمه الريا فيزيد في احسانه والعامل للشيطان يزداد في القبيح لان شهرته عند الناس تحط نظره ويرجع عن الحسن لانه لو لم يوصله لما اراد به من ثنا الناس عليه بالخير ان الذين كفروا اي غطوا ما دلتهم عليه عقولهم من ظاهر آيات الله لا سيما بعد ارسال الرسول صلي الله عليه وسلم المويد بواضح المعجزات وصدوا اي امتنعوا ومنعوا غيرهم زيادة في كفرهم عن سبيل الله اي

الطريق الواضح الذي نهجه الملك الاعظم وشاقوا الرسول اي الكامل في
الرسالة المعروف غاية المعرفة من بعد ما تبين اي غاية البيان بالمعجز
لهم الهدى بحيث صار ظاهرا بنفسه غير محتاج ما اظهره الرسول من
الايات الظاهرة وهم قريظة والنضير والمطعمون يوم بدر لن يضروا الله
اي ملك الملوك شيئا بما هم عليه من الكفر والصد او لن يضروا رسوله
صلى الله عليه وسلم بمشاقته وحذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته
وسيحبط اي يفسد فيبطل بوعد لا خلف فيه اعمالهم من المحاسن
لبنائها على غير اساس يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالسنتهم اطيعوا الله اي
الملك الاعظم تصديقا لدعواكم طاعة لشدة الاجتهاد فيها انها خالصة
وعظم الرسول صلى الله عليه وسلم بافراده فقال تعالى واطيعوا الرسول
لان طاعته من طاعة الذي ارسله فاذا فعلتم ذلك حصنتم انفسكم
واعمالكم فتكون صحيحة ببنائها على الطاعة بتصحيح النيات
وتصفيتها مع الاحسان للصورة في الظاهر ليستكمل العمل
صورة وروحا ولا تبطلوا اعمالكم قال عطا بالشك والنفاق وقال
الكلبي بالريا والسمعة وقال الحسن بالكبائر والمعاصي وقال
ابو العالية كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يرون انه لا يضر مع الاخلاص ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل فنزلت
هذه الاية فخافوا الكبائر ان تحبط الاعمال وقال مقاتل لا تمنوا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبطلوا اعمالكم نزلت في بني
اسد قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وعن حذيفة فخافوا
ان تحبط الكبائر اعمالهم وعن ابن عمر كنا نرى انه ليس شيء من حسناتنا
الا مقبولا حتى نزل ولا تبطلوا اعمالكم فقلنا ما هذا الذي يبطل
اعمالنا فقلنا الكبائر الموجبات والفواحش حتى نزل ان الله لا يغفر ان
يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا فكففنا عن القول في ذلك فكنا
نخاف على من اصاب الكبائر ونرجو لمن لم يصبها وعن قتادة رحم
الله عبدا لم يحبط عمله الصالح بعمله السيء وعن ابن عباس لا تبطلوا
بالريا والسمعة اعمالكم وعنه ايضا بالشك والنفاق وقيل بالعجب
فان العجب ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب ان الذين كفروا
اي اوقعوا الكفر بفعلهم فعل الساتر لما دل عليه عقله من ايات الله المرئية
والمسموعة وصدوا عن سبيل الله اي الملك الاعلى الواضح المستقيم
الموصل الى كل ما ينبغي ان يقصد كل من اراده بتماديهم على باطلهم واذائهم
لمن خالفهم ثم ماتوا بعد المد لهم من مضمارهم بالتطويل في اعمارهم
وهم اي والحال انهم كفار فلن يغفر الله اي المحيط بجميع

صفاته

صفات الكمال الذي يمنع من شوبه المسيء بالمحسن لهم فلا يمحو ذنوبهم
ولا يستر عيوبهم بل يفضح سرائرهم ويردهم على اعقابهم في كل ما يتقلبون
فيه لانهم قد ابطلوا اعمالهم بالخروج عن دايرة الطاعة فلم يبق لهم سبب
وقد دلت هذه الاية على ما دلت عليه اية البقرة من احباط العمل في المرتد
مشروط بالموت على الكفر قيل نزلت في اصحاب القليب قال الزمخشري
والظاهر العموم ثم رغب تعالى في لزوم الجهاد محذرا من تركه فقال
تعالى فلا تهنوا اي تضعفوا ضعفا يؤدي بكم الى الهوان والذل
وتدعوا اعداكم الى السلم اي المسالمة وهي الصلح وانتم اي
والحال انكم الاعلون اي الظاهرون الغالبون قال الكلبي اخر
الامر لكم وان غلبوكم في بعض الاوقات واصل الاعلون اي
الاعليون فاعل وقرا حمزة وشعبة بكسر السين والباقون بفتحها
ثم عطف على الحال قوله تعالى والله اي الملك الاعظم الذي لا يعجزه شيء
ولا كفوء له معكم اي بنصره ومعونته وجميع ما يفعله الكريم
اذا كان مع عبده ومن علم انه سيده وعلم انه قادر على ما يريد لم
يبال بشيء اصلا ولن يتركم اي ينقصكم اعمالكم اي ثوابها كما
يفعل مع اعدائكم في احباط اعمالهم لانكم لم تبطلوا اعمالكم بجعل
الدنيا محط امركم انما الحياة واشار الى دناءتها تنفيرا عنها بقو له
الدنيا اي الاشتغال بها لعب اي اعمال ضايعة زايلة تزيد
في السرور ما يسرع اضمحلاله فيبطل من غير ثمرة ولهو اي
مشغلة بطلب اثارة اللذة كالقنا وان تؤمنوا وتتقوا اي تخافوا
فتجعلوا بينكم وبين غضبه سبحانه وتعالى وقاية من جهاد
اعدائه وذلك من اعمال الاخرة يؤتكم اي الله سبحانه الذي فعلتم
ذلك من اجله في الدار الاخرة اجوركم اي ثواب كل اعمالكم
لبنائها على الاساس ولانه غني لا ينقصه الاعطا ولا يسالكم
اي الله في الدنيا اموالكم اي لنفسه ولا لاجلها لغيره بل يقتصر
على جزء يسير مما تفضل به عليكم كربع العشر وعشره ان
يسالكموها اي كلها فيحفكم اي يبالغ في سوالكم ويبلغ فيه
الغاية حتى يستاصلها فيجهدكم بذلك فالاحفا المبالغة وبلوغ
الغاية في كل شيء يقال احفاه في المسالة اذا لم يترك شيا من الالحاح
واحفى شاربه استاصله تبخلوا فلا تعطوا شيا ويخرج اضغانكم
اي تضغنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم والضمير في يخرج
لله تعالى والرسول او السوال او البخل واقتصر عليه الجلال المحلي
قال قتادة علم الله تعالى ان في مسئلة الاموال خروج الاضغان

يعني أن ما طلبها ولو طلبها وألح عليكم في الطلب لبخلتم كيف وانتم تبخلون باليسير
فكيف لا تبخلون بالكثير ها انتم وحقرا ريهم بقوله تعالى هؤلاء اي انتم
يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون وقوله تعالى تدعون لتنفقوا في سبيل الله
اي الملك الاعظم الذي يجبى خيره ولا يجتنبي عزه استئناف مقرر لذلك او صفة
لهؤلاء على انه بمعنى الذين وهو يعم نفقة الغزو والزكاة وغيرهما فمنكم من
يبخل اي ناس يبخلون وحذف القسم الاخر وهو ومنكم من يجود لان المراد
الاستدلال على ما قبله من البخل ولما كان بخله عن اعطاء المال بجزء يسير
منه انما طلبه لينفع المطلوب منه فقط زاد التعجب بقوله تعالى ومن اي
والحال انه من يبخل بذلك فانما يبخل بماله بخلا صادرا عن نفسه
فان نفع الانفاق وضر البخل عايدان اليه والبخل يتعدى بعن وعلى لتضمنه
معنى الامساك والتعدي فانه امساك عن مستحق والله اي الملك الاعظم
الذي له الاحاطة بجميع اوصاف الكمال الغني وحده عن نفقتكم وانتم ايها المكلفون
خاصة الفقراء لاحتياجكم في جميع احوالكم اليه وان تتولوا عطف
على وان تؤمنوا وتتقوا يستبدل قوما غيركم اي يخلق خلقا سواكم على
خلاف صفتكم راغبين في الايمان والتقوى ثم لا يكونوا امثالكم
في التولي عنه والزهد في الايمان كقوله تعالى ويات بخلق جديد قيل هم
الملائكة وقيل هم الانصار وعن ابن عباس كندة والنخع وعن الحسن العجم وعن
عكرمة فارس والروم وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القوم وكان
سلمان الى جنبه فضرب على فخذه وقال هذا وقومه والذي نفسي
بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من
فارس الترمذي والحاكم وصححاه وما رواه البيضاوي
تبعا للزمخشري من انه صلى الله عليه وسلم
قال من قرا سورة محمد كان حقا على
الله تعالى ان يسقيه من انهار الجنة
حديث موضوع تم الجزء
الثالث من تفسير
الخطيب ويتلوه
الجزء الرابع
من اول
الفتح



سنة ...
ودخل في ملكه الفقير الى الله السلام الحاج محمد حضر عام